



مؤتمر دولي

INTERNATIONAL SYMPOSIUM

الديناميكيات المتغيرة للطاقة والبيئة والأمن  
الغذائي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

CHANGING DYNAMICS OF ENERGY, ENVIRONMENT  
AND FOOD SECURITY IN THE MENA REGION

15-16 فبراير | February 2023 | جامعة اسطنبول | ISTANBUL UNIVERSITY

اسطنبول • ISTANBUL

كتاب أعمال المؤتمر

المنظمون / ORGANIZERS

ORSAM Center for Middle Eastern Studies | مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط  
Faculty of Political Sciences, Istanbul University | كلية العلوم السياسية في جامعة اسطنبول

MENA



كتاب أعمال المؤتمر الدولي

# الديناميكيات المتغيرة للطاقة والبيئة والأمن الغذائي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

إسطنبول 15-17 شباط / فبراير 2023

تحرير

أ.د. أحمد أويصال | د. واثق السعدون | د. زيد عبد الوهاب

مكتبة أورسام

كتاب أعمال المؤتمر الدولي  
«الديناميكيات المتغيرة للطاقة والبيئة والأمن الغذائي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا»

**تحرير**

أ.د. أحمد أويصال

د. واثق السعدون

د. زيد عبد الوهاب

**رقم الكتاب المعياري الدولي**

978-625-8175-65-3

**تصميم وجرافيك**

مصطفى جينكوز

**تاريخ النشر والطباعة**

مايو 2024 - أنقرة

**لناشر**

جمعية دراسات الشرق الأوسط التركية-أورسام



أنقرة 2022 © جميع حقوق النشر تعود إلى مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط

العنوان: Mustafa Kemal Mah. 2128. Sok. No:3 Pk: 06510 Çankaya / Ankara

هاتف: +90 850 888 15 20 البريد الإلكتروني: info@orsam.org.tr

وثيقة اعتماد رقم: 41963

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعكس وجهة نظر مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط مالم ينص على خلاف ذلك. جميع المقالات في هذا الكتاب محمية بحقوق النشر بواسطة مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط ولا يمكن استخدامها أو إعادة نشرها بأي شكل من الأشكال من دون إذن مسبق. باستثناء الاقتباسات المعقولة الجزئية وذلك عن طريق إظهار المصدر وفقاً لقانون الأعمال الفكرية والفنية رقم 5846.

# المحتويات

- 7.....مقدمة  
المحررون
- 9.....هندسة الخارطة الجيوسياسية الجديدة: معادلة الطاقة والغذاء  
د. جمال بن مرار
- 21.....2. المقاربات الجيوسياسية في حوض البحر المتوسط: المجالات الحيوية والموارد  
د. إيمان بلقرشي
- 41.....3. التنافس الروسي - التركي في شرق البحر المتوسط وأثره على  
مستقبل العلاقات بين البلدين  
أ.د. عبد الخالق شامل محمد العيادة، م.م. رائد قاسم عمر
- 61.....4. شؤون الطاقة والمناخ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية:  
سيناريوهات متوقعة ومقاربات جيوبوليتيكية؛ أمنية؛ بيئية  
د. وليد كاصد الزبيدي
- 79.....5. الثابت والمتغير في الرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية لأمن الطاقة  
في منطقة الشرق الأوسط  
د. الحامدي عيدون
- 97.....6. الاستراتيجيات الطاقوية الإقليمية والدولية في الشرق الأوسط  
مهتد حميد الراوي
- 125.....7. استراتيجية الصين تجاه مصادر الطاقة في الشرق الأوسط  
د. زيد عبد الوهاب الأعظمي
- 141.....8. الجزائر ودبلوماسية الطاقة في الفضاء الأورومتوسطي  
سليم بوسكين
- 157.....9. مستقبل النزاع الطاقوي في شرق البحر المتوسط  
أ.د. ناجي محمد الهتاش
- 171.....10. الدول النفطية في الشرق الأوسط وأمن الطاقة في آسيا: الصين والهند نموذجا  
أ.د. حارث قحطان عبد الله، حنين إبراهيم عبد الله
- 187.....11. الوزن السياسي والاقتصادي لفظ العراق ومستقبله  
أ.م.د. عبدالرزاق خلف محمد الطائي
- 207.....12. فرص استغلال التكنولوجيات الحديثة لتحقيق التنمية المستدامة في دول الشرق  
الأوسط وشمال إفريقيا: الإدارة الذكية للطاقة ضمن مشاريع المدن الذكية  
د. سامية غربي

13. تأثير صدمات أسعار النفط على سعر صرف الدينار الجزائري: دراسة قياسية  
تحليلية للسنوات 1980-2020 ..... 227  
بغداد بنين
14. الحرب الروسية - الأوكرانية وانعكاساتها على التعاون المناخي متعدد الأطراف:  
قراءة في ضوء مخرجات قمة المناخ العالمية COP27 ..... 249  
نسبية تامة، د. عبد الحميد مشري
15. أثر التغيرات المناخية على العراق والتوقعات المستقبلية ..... 263  
د. عمر حامد شكر
16. الأمن الغذائي في العراق: بين إهمال قانون الموازنة العامة وتشريع قانون  
الدعم الطارئ للأمن الغذائي والتنمية رقم 2 لسنة 2022 ..... 281  
أحمد جابر حميد
17. السودان سلة غذاء الوطن العربي: الواقع والتحديات ..... 301  
د. عواطف سيد أحمد حمزة
18. جغرافية المياه الجوفية في شمال غرب الصحراء الكبرى (الجزائر-تونس-ليبيا)  
ومشكلات الاستغلال ..... 313  
شرفة كلاء
19. أزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا: الواقع والحلول ..... 333  
أ.د. عمراني كربوسه، د. زروال سهام
20. نهر النيل والأمن المائي والغذائي لمصر والسودان ..... 347  
سحر زكي
21. العلاقات الاقتصادية بين تركيا ودول شمال أفريقيا ..... 365  
د. سليم بدره، أ.د. دكان نور الدين
22. دور الثقافة في حماية البيئة ..... 377  
أحلام الزهيري
23. خطاب الإعلام الدولي حول أزمة المواد الأساسية في العالم العربيّ  
خلال الحرب الروسية الأوكرانية ..... 391  
د. سميرة بالرجب
24. إعادة استعمال القارورات البلاستيكية للسقي في المناطق الجافة في الجزائر ..... 411  
دليلة اولهاسي، محمد زحاح
25. دور التقنيات الحديثة للتشجير في التقليل من التلوث البيئي في المدن:  
مدينة كركوك العراقية أنموذجاً ..... 423  
د. سلجوق برهان باجلان، أ.د. شاهين عباس مصطفى
26. مساهمة الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاك الطاقة ..... 435  
أ.د. السعيد سليمان عواشيرة

## مقدمة

في التاريخ الحديث، أصبحت الطاقة العمود الفقري للحياة الاجتماعية والاقتصادية وعنصرًا أساسيًا لتنمية وازدهار الدول. إنتاج الطاقة وتوزيعها واستهلاكها هي محور الاقتصادات العالمية. بالإضافة إلى ذلك، تؤثر مشاكل الطاقة بشكل كبير على طبيعة العلاقات الدولية. وبالمثل، أصبحت المشاكل البيئية (كالاحتباس الحراري) تؤثر في أمن واستقرار المجتمعات على الصعيد العالمي من خلال موجات الجفاف والفيضانات، مما يتسبب في الهجرة والصراعات. وكجزء من المشاكل البيئية والسياسة الدولية، أصبح الأمن الغذائي قضيةً أكثر إلحاحًا في السنتين الأخيرتين، خاصة بعد حرب أوكرانيا.

هناك تفاعل مثير للاهتمام بين الطاقة والبيئة والأمن الغذائي من منظور الجغرافيا السياسية الإقليمية والدولية. تواجه الدول المنتجة للطاقة مشاكل وتحديات تختلف عن الدول المستهلكة، في حين أن هذا الاعتماد المتبادل لا يضمن دائمًا التوزيع العادل للمنافع. على صعيد البيئة، تتسبب البلدان المتقدمة بتلوث العالم أكثر من البلدان النامية. ومع ذلك، فإن الأخيرة هي من تعاني من الآثار السلبية للتدهور البيئي. ولوحظ وضع مماثل حول الأمن الغذائي، حيث تتمتع الدول الغنية بسهولة الوصول إلى الغذاء مقارنة مع الدول الفقيرة، كما يتضح من أزمة الغذاء التي برزت كنتيجة غير متوقعة للحرب الأوكرانية.

الغزو العسكري الروسي لأوكرانيا في شباط/ فبراير 2022 جعل قضايا الطاقة والأمن الغذائي أكثر أهمية. فقد أثار الغزو صراع القوى العظمى بين ثلاث من القوى العالمية الأربع (أي الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا)، والرابعة (الصين) تراقب تطورات هذا الصراع عن كثب، وباستعداد عالٍ للتوثب والانخراط في هذا الصراع، إذا ما تطلبت حماية مصالحها ذلك. يحاول كلا طرفي الصراع استخدام نفوذهما على جانبي الإنتاج والاستهلاك لتعزيز أجندتهما بشأن الطاقة (الغاز الطبيعي والنفط)، ومن المرجح أن يستمر صراع الطاقة بين الغرب وروسيا لعدة سنوات. يهدد الصراع والمنافسة على الطاقة اقتصادات العديد من البلدان ورفاهيتها الاجتماعية، وخاصة الدول العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والتي تؤمن معظم غذائها بالاستيراد.

بمجرد اندلاع هذه الحرب، حدثت قفزة في أسعار النفط والغاز العالمية، بسبب إصرار الغرب على التخلي عن واردات الطاقة الروسية، كخطوة عقابية ضد روسيا، ثاني أكبر مصدر للنفط بعد السعودية. ارتفعت أسعار النفط والغاز العالمية بشكل حاد بسبب حالة القلق وعدم اليقين بشأن استقرار سوق الطاقة العالمية. بعد الوضع الروسي-الأوكراني، أصبحت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أكثر أهمية في السباق السياسي بين روسيا والغرب بالإضافة إلى أمن الغذاء والطاقة. أصبح النفط والغاز العربي حاسمين كمصدر بديل للطاقة. واجهت الدول العربية غير المنتجة للنفط صعوبات اقتصادية مضاعفة بسبب ارتفاع أسعار الغذاء والنفط.

فيما يتعلق بالتدهور البيئي والتصحر، تواجه منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مشكلة الأمن الغذائي باعتبارها المستورد الرئيس للحبوب الأوكرانية والروسية. وعلى الرغم من تخفيف المشكلة بواسطة تركيبة بين الأطراف المتحاربة،

إلا أنها ما زالت بعيدة عن الحل الكامل بسبب تداعيات هذه الحرب. منطقتنا هي واحدة من أكبر مستهلكي ومستوردي القمح. إلى جانب ذلك، عانت المنطقة من الجفاف في السنوات الأخيرة، مما أثر على القمح والمحاصيل الأخرى. مصر هي أكبر مستورد للقمح في العالم. 50% من وارداتها من القمح تأتي من روسيا و30% من أوكرانيا.

يمكن لبعض دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التغلب على هذا التحدي الاقتصادي بفضل قوة اقتصاداتها ووفرة التمويل، بينما تواجه بعض الدول الأخرى تحديات خطيرة تهدد أمنها الغذائي إلى جانب أمنها القومي واستقرارها السياسي في مواجهة الاحتمال المتزايد للاحتجاجات الجماهيرية والهجرة والإرهاب الذي يجد أرضاً خصبة بسبب الصعوبات الاقتصادية. تؤثر هذه القضايا النفطية والبيئية والأمنية الجديدة على تركيا بدرجة أقل. أدت تركيا دوراً مهماً في التغلب على أزمة الحبوب بين روسيا وأوكرانيا بالتعاون مع الأمم المتحدة، وسمح اتفاق اسطنبول في تموز/ يوليو 2022 بتصدير الحبوب الأوكرانية من موانئها الواقعة على البحر الأسود دون أن تتعرض لتهديد من القوات الروسية.

في ضوء هذه التطورات، نظم مركز دراسات الشرق الأوسط في أنقرة (ORSAM) بالتعاون مع كلية العلوم السياسية بجامعة اسطنبول مؤتمراً أكاديمياً دولياً تحت عنوان "الديناميكيات المتغيرة للطاقة والبيئة والأمن الغذائي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" في الأيام 15-17 شباط/ فبراير 2023، عُقد في رحاب جامعة إسطنبول التاريخية العريقة. ناقش ذلك المؤتمر الجوانب السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية للجغرافيا السياسية المتغيرة في مختلف البلدان من منظور إقليمي ودولي. شارك في ذلك المؤتمر العشرات من الأكاديميين والخبراء الذين قدموا أوراق بحثية ودراسات أكاديمية تناولت الموضوعات المتعلقة بالإطار المفاهيمي للمؤتمر، ركزت معظمها على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

نقدم لكم في هذا الكتاب أهم الأوراق البحثية التي قُدمت للمؤتمر، آملين أن يكون هذا الجهد البحثي مفيداً وأن ينال رضاكم

**المحررون**



# هندسة الخارطة الجيوسياسية الجديدة: معادلة الطاقة والغذاء

د. جمال بن مرار\*

## الملخص

يتناول هذا المقال هندسة الخارطة الجيوسياسية الجديدة: معادلة الطاقة والغذاء، حيث التحولات الحاصلة على الساحة الدولية في القرن الواحد والعشرين منها: أزمة الرهن العقاري في عام 2008 والجائحة العالمية 'كوفيد19' وما تلاها من انهيار اقتصاديات أكبر الدول، ومما لا شك فيه أن الحرب الروسية-الأوكرانية وتداعياتها على المستوى الإقليمي والدولي من خلال تفاقم أزمة الطاقة والغذاء - خاصة الحبوب- وكذلك العقوبات المفروضة على روسيا وحالة الطوارئ التي أعلنتها الاتحاد الأوروبي حيال هذه الأزمة، تدل أن الأزمة الأوكرانية أعادت السرديات الجيوسياسية للعلاقات الدولية بعدما كانت في طي النسيان مدة من الزمن في السياسة الدولية.

تعد معطيات تغير القطب الأمريكي في حسابات مجموعة من الباحثين والمفكرين في العلاقات الدولية من بينهم "ريمون آرون" و«جلبين» وما ستفرضها الحرب الروسية-الأوكرانية من تغير في الخارطة الجيوسياسية في العلاقات الدولية، من خلال سقوط وصعود قوى لا تقبل إلا بالتحكم في جميع التحولات الدولية الراهنة ومحاولة استشراف الواقع بوضع سيناريوهات، فمعايير القوة في العلاقات الدولية تتمثل في التحكم بالفواعل والتحكم في الأحداث والتحكم في الموارد، حيث أن كل قطب يحاول السيطرة والهيمنة، فالقطب الروسي يحاول فرض جدار عازل على الغرب وهو ما يحدث في أوكرانيا، الأمر الذي تعتبره روسيا يتوافق مع توصيات الأوراسية الجديدة وفق نظرية السياسة الرابعة حسب المفكر الروسي ألكسندر دوغين، وتقابله النظرة الأمريكية في وضع قواعد لها في جميع أنحاء العالم حسب توصيات المفكر الأمريكي بريجينسكي، فالنظرة الجيوسياسية متوفرة بقوة في الحرب الروسية-الأوكرانية من خلال إعادة ترتيب الخارطة التي تكون فيها الطاقة والغذاء عاملين أساسيين مهمين وفعالين في الصراع.

**الكلمات المفتاحية:** الطاقة، الغذاء، الجيوسياسية، الصراع، النظام العالمي، التحولات.

\* أستاذ محاضر، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر.

# Engineering the New Geopolitical Map: the Energy and Food Equation

Dr. Djamel Ben Merar\*

## Abstract

This article deals with the engineering of the new geopolitical map: the energy and food equation. The transformations taking place on the international scene in the twenty-first century, including the mortgage crisis in 2008 the global pandemic "Covid 19" and the subsequent collapse of the economies of the largest countries, and there is no doubt that the Russian-Ukrainian war And its repercussions at the regional and international level through the exacerbation of the energy and food crisis - especially grains - as well as the sanctions imposed on Russia and the state of emergency declared by the European Union regarding this crisis, which indicates that the Ukrainian crisis is a geopolitical re-narration of international relations after it was forgotten for a period of time in international politics..

The data of the changes of the American pole are also considered in the calculations of a group of researchers and thinkers in international relations, including "Raymond Aron" and "Galbin", and what the Russian-Ukrainian war will impose in terms of changing the geopolitical map in international relations, through the fall and rise of forces that can only be controlled by all The current international transformations and the attempt to anticipate reality by developing scenarios, in that the criteria of strength in international relations are represented in: controlling actors, controlling events and controlling resources, as each pole tries to control and dominate, the Russian pole is trying to impose a wall of separation on the West, which is what is happening in Ukraine This is what Russia considers to be compatible with the recommendations of the New Eurasianism (the fourth policy theory according to the thinker Alexander Dugin) and is matched by the American view in setting rules for it all over the world (the recommendations of the thinker Brzezinsky). The geopolitical view is strongly available in the Russian-Ukrainian war by rearranging the map that is In which energy and food are important and effective basic factors in the conflict.

**Keywords:** energy, food, geopolitics, conflict, world order, transformations

## مقدمة

دفعت ديناميكية الحرب الروسية-الأوكرانية العديد من الأكاديميين والخبراء في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية إلى التفكير في نظير للحرب الباردة الجديدة، خاصة في ظل فرضية المنافسة الجيوسياسية بين الدول الغربية وروسيا كعامل صراع للسيطرة والهيمنة والنفوذ على أوكرانيا، وذلك لوقوعها ضمن المجال الحيوي الروسي والمساحات الجيوسياسية الرئيسية لروسيا، أوراسيا والمنطقة الأوروبية الأطلسية ومنطقة آسيا والمحيط الهادي، وفقا لسياسة الخارجية الروسية، مما شكل دافعا لبروز مساعي الدول الغربية لإدراج أوكرانيا في دائرة نفوذها، باعتبارها أداة لاحتواء الطموح الجيوسياسي الروسي وتحييد النفوذ السياسي والعسكري والاستراتيجي الروسي عن رابطة الدول المستقلة، وإعادة تشكيل البعد الهوياتي الأوكراني الموالي للغرب المناهض لروسيا وتحييد مصالحها في المنطقة والعمل على توسيع الحلف الأطلسي إلى الحدود الروسية، والهدف من ذلك هو ضمان الولايات المتحدة الأمريكية التعددية الجيوسياسية في ذلك الفضاء كإحدى أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، واعتبرت المشاريع الروسية مجرد آليات لتوسيع مجال نفوذها، مما أدى إلى استحالة التعاون والتوافق وتوازن المصالح الأمر الذي فرض اللعبة الصفرية.

يُعد الصراع الدولي على النفوذ والهيمنة والتأثير في العلاقات الدولية ودفاع الدول عن مصالحها، يؤثر بشكل مباشر بنظريات الجيوبوليتيك المتغيرة، التي تسعى في الأساس إلى تحقيق أكبر قدر من القوة باستغلال كل العوامل المتاحة للحفاظ على أمنها ورسم حدود جديدة ترى الدولة فيها ما يحقق طموحاتها ويعزز قوتها وحماية لأمنها، فذلك يدخل ضمن الجيوسياسية، ومن هذا المنطلق نطرح السؤال الرئيسي للإشكالية:

ما مدى تأثير الطاقة والغذاء في رسم خارطة جيوسياسية جديدة؟

ومن هنا يتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

- ما هي معطيات وملامح الخارطة الجيوسياسية الجديدة؟
- كيف أثرت الطاقة في الخارطة الجيوسياسية العالمية؟
- كيف أثرت أزمة الغذاء في الخارطة الجيوسياسية العالمية؟

للإجابة عن الإشكالية البحثية نطرح الفرضيات الآتية: **كلما زادت حدة أزمة الطاقة والغذاء في العالم كلما ساهمت بشكل كبير في تغير الخارطة الجيوسياسية العالمية.**

## أهمية الدراسة

يتلخص الهدف الأساسي الذي تصبو الدراسة لِنَتَوَسَّلِ إليه في محاولة فهم وتحليل أسباب ودوافع أزمة الطاقة والغذاء التي يشهدها العالم في الوقت الراهن، وكيف أثرت على بلورة خارطة جيوسياسية جديدة على المستوى العالمي، كما سنوضح تأثير التحولات الجيوسياسية في العلاقات الدولية في اكتساب القوة والتي يمكن أن تكون عامل صراع وتوتر من أجل السيطرة والنفوذ والهيمنة في السياسة العالمية.

## أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- تحديد الخارطة الجيوسياسية الجديدة على مستوى العلاقات الدولية.
- توضيح تأثير أزمة الطاقة والغذاء في إبراز التحولات الجيوسياسية في العلاقات الدولية.
- إلقاء الضوء على أهم الصراعات والنزاعات على المجال الجيوسياسي.
- وضع توصيات قد تساهم في فهم آليات وأبعاد التحولات وبلورة جيوسياسية جديدة وتأثيراتها في مسار العلاقات الدولية.

## المحور الأول: معطيات جيوسياسية جديدة في حقل العلاقات الدولية

يُعد التنافس والصراع الإقليمي والدولي السمة الأساسية إلى ما بعد الحرب الباردة ونهاية الثنائية القطبية، مما أدى إلى ظهور فواعل جديدة على الساحة العالمية وفي السياسة العالمية، وأن التغييرات الحاصلة على مستوى العلاقات الدولية أدت إلى ظهور أقطاب متعددة صاعدة أو قوى كبرى للحصول على الهيمنة والنفوذ، وإيجاد موقع والتموضع فيه ضمن التغييرات والتحولات لرسم نظام عالمي جديد؛ لعل الجيوسياسية داعمة للمنافسة والحرب بل يرشحها مجموعة من الباحثين أنها سبب الحروب والمنافسة، لأنها تبحث وتكون حيث تكون المصالح الحيوية والتجارية والاقتصادية، وللجيوسياسية دور مهم وهام في بروز الحروب والأزمات وهذا ما يحدث في الحرب الروسية-الأوكرانية التي بدأت في 22 فيفري 2022.

تعود الانطلاقة الحقيقية الجيوسياسية بمنهجياتها ومحدداتها الأساسية للألماني "فدريك راتزل Friedrich Ratzel" في كتابه بعنوان: "الجغرافيا السياسية" في عام 1897 م، وقد شهد القرن التاسع عشر والقرن العشرين تطورا هام لهذا العلم سواء على المستوى النظري أو مستوى تأثيره في صياغة التوجهات الاستراتيجية الكبرى للدول، ولا يمكن فهم وإدراك الباحثين للرؤى الاستراتيجية التي وجهت المواقف والتحولات الكبرى في القرن الواحد والعشرين، بدون العودة إلى المقولات الجيوبوليتيكا التي تحولت إلى مقولات أساسية تتحدد تبعا لها الموقف من الحرب والسلم.

يرى المفكر الروسي "ألكسندر دوغين Alexandre Douguine" أن الجيوبوليتيك وجهة نظر السلطة، وهي علم سلطة ومن أجل السلطة، فالجيوسياسية لها قانون في نظره: قانون ثنائية القوتين البر في مواجهة البحر، وهي تعني صراع القوى التي تسعى لانتصار على القوى المنافسة لها.

تعتبر الاختلالات في هيكلية وبنية النظام الدولي الراهن وسمات التحولات وعدم الاستقرار، يمكن لها أن تتطور لتصبح صراعا إذا لم تكن وفق حسابات عقلانية لتحقيق فوائد ومصالح بيئة النظام الدولي، رغم ذلك فإن التنافس الدولي في ظل عالم متغير وما أعقبه من تغير في عوامل

القوة ببروز العامل الاقتصادي والتكنولوجي في العلاقات الدولية ومع تنامي ظاهرة العولمة العابرة للحدود وما تخلقه من تحديات اختراق سيادة الدول، وبروز فواعل دولية فوق قومية، كل ذلك نتج عنه تنافس عن الموارد الطبيعية لازدياد الحاجيات وندرة الموارد، وبناء عليه اتخذ التنافس الدولي منحى خطيرا ليتطور ويتحول في مرحلة ما إلى نزاع، وهو ما يحدث فعلا بين القوى الكبرى والفواعل الدولية الأخرى في العديد من مناطق العالم.

إن للأهداف الجيوسياسية أثرا أساسيا في تحديد هوية الدول، فقد تطورت السياسة الخارجية الروسية على وفق المفهوم الذي تتبناه روسيا إزاء التحديات التي تعترضها وأهدافها الوطنية، والتي تتأثر بعوامل جيوسياسية، لذلك طورت روسيا مفهوما يقضي بإحراز مكانة دولة كبرى تشكل أمرا حيويا من أجل استمرار وجودها الأمني والاقتصادي، لذا فإن للسياسة الخارجية الروسية ثوابت وامتغبرات، فالثوابت هي دفاع دائم عن مصالحها، وتمثل ركائز روسيا ومصالحها العليا وأخرى متشعبة ومتعددة في الشعور السلافي وترابطه مع الهوية الدينية الأرثوذكسية ذات المدى الجغرافي، وتحديد الموقع الآسيوي والأوروبي، والحرص على الولوج إلى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط، فلايزال الإرث السوفياتي يلقي بظلاله على روسيا الفيدرالية، فإن السياسة الخارجية الروسية يحركها طموحان يعزز كل منهما الآخر وهذا تجلى في مطلع القرن الحادي والعشرين وهما:

- تأكيد مكانة روسيا بوصفها إحدى القوى الكبرى في الساحة العالمية.

- وضمان إدارة الشؤون العالمية من فواعل عديدة تقف على قدم المساواة بينها.

إن سعي روسيا الفيدرالية إلى زيادة القدرة التنافسية وتوجيه الدولة للقوة الاقتصادية لتحقيق الأهداف السياسية، دفع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لإيجاد ثلاث عناصر جديدة في السياسة الروسية:

أولا: إذا استمر توسع حلف الأطلسي شرقا على الجهة الغربية لروسيا، فستسعى إلى دعم الترابط بين دول الاتحاد السوفياتي السابق لحماية منطقة دفاعها الأول.

ثانيا: أن روسيا تعارض القطبية الأحادية، فروسيا تدافع عن نظام متعدد الأقطاب، ولكنها تتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في عدة قضايا مثل الحد من التسليح والإرهاب وغيرها.

ثالثا: إن روسيا ستعمل على دعم بيئتها الأمنية في الشرق عن طريق تقوية علاقاتها مع الصين والهند وغيرها من الدول.

انطلاقا من توجهات السياسة الخارجية الروسية يمكن فهم وإدراك عدة اعتبارات جيوسياسية للحرب الروسية-الأوكرانية، منها:

1. الأهمية الاستراتيجية لأوكرانيا بالنسبة لروسيا، حيث ان روسيا تعتبر أوكرانيا جزء من حزام الأمان الجغرافي والمجال الحيوي، وأوكرانيا تعتبر حاجزا طبيعيا بين أوروبا وروسيا، فإن

أقرب الطرق من روسيا إلى البلقان والبحر الأبيض المتوسط تمر عبر أوكرانيا من البحر الأسود إلى المياه الدافئة بالنسبة لأسطول البحري الروسي المتواجد في قاعد سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم.

2. الموقف الجيوسياسي الأوكراني مهم بالنسبة لروسيا اقتصاديا، فإمدادات الطاقة الروسية إلى أوروبا تعبر على الأراضي الأوكرانية، وعلاوة على ذلك، الزراعة وخاصة إنتاج الحبوب حيث تعد أوكرانيا مطمورة القمح بالنسبة لأوروبا حيث 30% من القمح العالمي يُنتج بين روسيا وأوكرانيا، والصناعات الأخرى والمعادن والكهرباء التي تعد محفزات إضافية لروسيا.

3. يعد المحدد السكاني واللغوي مهم جدا بالنسبة لروسيا، خاصة السكان الناطقين باللغة الروسية في المناطق الحدودية الشرقية لأوكرانيا المتاخمة لروسيا الفيدرالية، ومنه مشاعر الولاء لروسيا قوية في أوكرانيا وهذا يعد مصدرا إضافيا لروسيا لرغبة ضم بعض المقاطعات وإعادة تأسيس الاتحاد السلافي.

### **المحور الثاني: تأثير أزمة الغذاء العالمية في بلورة الخارطة الجيوسياسية الجديدة**

أدت تداعيات الحرب الروسية-الأوكرانية إلى تذبذب كبير في المواد الغذائية من خلال إجراءات الرقابة الحكومية على تصديرها وهو ما أدى إلى اتخاذ إجراءات حمائية من طرف الدول ووضع سياسات مما يزيد من احتمال حدوث أزمة غذائية عالمية.

فقد فرضت العديد من الدول قيود على تصدير المواد الغذائية وهو ما يؤثر على تجارة المواد الغذائية خاصة على صادرات القمح وتظهر تجارب سابقة أن القيوم من هذا النوع تحدث نتائج عكسية بأكثر ضرر من تفاقم أزمة الغذاء العالمية مما أحدث زيادة في أسعار القمح بنسبة بلغت 30%.

مما لا شك فيه أن تداعيات أزمة الغذاء في العالم تؤثر على الدول الفقيرة والأكثر احتياجا، لسببين هما:

أولا- عادة الدول أشد فقر تستورد كميات كبيرة من المواد الغذائية.

ثانيا- تمثل المواد الغذائية ما لا يقل عن نصف إجمالي نفقات الأسر في الدول منخفضة الدخل.

فقد سببت أزمة الغذاء بداية من 2008 زيادة في مستويات حالات سوء التغذية لا سيما لدى الأطفال، مما أدى إلى استدانة الأسر ورهن ممتلكاتهم لشراء الغذاء، وارتفاع معدلات التسرب المدرسي بلغ 50% بين الأطفال أشد فقرا، ناهيك عن الضرر الاجتماعي والاقتصادي.

في سنة 2022 فرضت قيود على التصدير والاستيراد بنحو 21% من حجم التجارة العالمية في القمح، تعد أقل مما فرض في فترة 2008-2011 التي بلغت حوالي 74%، لكن الظروف مهيئة لزيادة حجم القيود في سنة 2023.

فرضت روسيا قيودا على صادرات القمح إلى بلدان خارج الاتحاد الاقتصادي للمنطقة الأوروبية-الآسيوية، كما فرضت كل من صربيا ومقدونيا الشمالية نفس التدابير، كما تضررت الدول المستوردة من تلك التدابير التجارية التي تغطي 16% من حجم التجارة العالمية، التي أثرت على زيادة بلغت 7 نقاط مئوية في أسعار القمح العالمية، أي تعادل هذه النسبة نحو سدس الارتفاع الإجمالي في الأسعار، مثل مصر التي تستورد 90% من احتياجاتها من القمح من روسيا وأوكرانيا، وكلما كانت التدخلات التجارية كبيرة وتعطل إمدادات السوق العالمية وارتفاع تكاليف الطاقة والأسمدة وسوء الأحوال الجوية في عدة الدول منتجة رئيسية والمخاطرة المرتبطة بالصراع القائم في أوكرانيا؛ فإن المخزونات العالمية من السلع الأساسية الثلاث: الأرز، القمح والذرة، لا تزال كبيرة، وتعهدت مجموعة السبع بعدم فرض حظر على تصدير المواد الغذائية واستخدام جميع الأدوات والآليات التمويل لتعزيز الأمن الغذائي العالمي، منها الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، الاتحاد الأوروبي، استراليا، الأرجنتين والبرازيل.

إن تضخم الأسعار المحلية للأغذية من جهة وضعف العملات الوطنية مقابل الدولار الأمريكي، يساهم في ارتفاع تكاليف الواردات الغذائية من جهة أخرى، والتنبؤ باستمرار الدوافع الرئيسية للزمات الغذائية خلال عام 2023، ومنها عدم كفاية الاستثمارات في النظم الزراعية والغذائية لارتفاع أسعار الطاقة والإنتاج، مما يؤدي إلى إنتاج كميات أقل مما من شأنه أن يؤدي إلى حدوث ندرة في الغذاء.

المطلوب هو الحفاظ على استمرار التدفقات العالمية للمواد الغذائية لاسيما في فترة تزايد الضغوط الاقتصادية والجيوسياسية؛ ويكون من خلال خارطة قدمها الصندوق النقد الدولي بإنشاء نافذة لمواجهة صدمة الأغذية من شأنها توفير التمويل في حالات الطوارئ للدول التي تواجه مشاكل في ميزان المدفوعات جراء الأزمة على صعيد القدرة على تحمل أسعار الأغذية، وهذا ما يتوافق مع اقتراح لإنشاء مرفق عالمي لتمويل الواردات الغذائية، والتفكير في الحصول على الغذاء وتعزيز القدرة على إنتاج الأغذية بكفاءة.

ويؤكد في هذا الصدد "شود ونيو" أن منظمة الأغذية والزراعة على أهبة الاستعداد للمساهمة من الناحية الفنية في عملية رسم خارطة الطريق وتحويل النظم الزراعية والغذائية بالتعاون مع البنك الدولي والمنظمات الدولية الأخرى.

### المحور الثالث: الطاقة محدد الخارطة الجيوسياسية الجديدة

أكدت التطورات والأحداث على الساحة العالمية على ضرورة تبني استراتيجية تجسد بأبعادها الجيوسياسية التوجهات الاستراتيجية لروسيا لمواجهة متغيرات البيئة المحيطة بها، ويظهر ذلك جلياً في خياراتها تجاه تعزيز وجودها عبر وضع استراتيجية ترتقي بها إلى أن تكون فاعلة في أدائها الاستراتيجي، وتحقيق الأهداف لتعزيز الوجود المكاني في الساحات الجغرافية، وملء الفراغ بمجالها الجيوسياسية الحيوية.

رسمت روسيا لأجل ذلك عقيدتها الجيوسياسية الأوراسية وثيقة الصلة باستراتيجيتها تجاه منطقة آسيا الوسطى، والتصورات المكانية الموجهة للتحركات الروسية على النحو الذي يعزز وجودها ونفوذها وهيمنتها في المنطقة، ويقوم على أساس فرض نموذجها الاقتصادي والسياسي والأمني، ولهذا يعتبر هذا المقرب وسيلة لتعريف سلوكها بوصفها الأكثر تأثيرًا في المنطقة، وفي المقابل، تواجه روسيا منافسة متزايدة في منطقة آسيا الوسطى خاصة، ناتجة عن ضغوطات التنافس الإقليمي والدولي، المفسرة لمواقفها وسلوكها الطامح نحو تعزيز وضعها الجيوسياسية، بدلالات ترسيخ وجودها وفرضه في المنطقة.

أعدت ديناميكية الأحداث المتسارعة في البيئة الدولية والإقليمية تشكيل المقاربة الاستراتيجية الروسية لترسيم معادلة القوة في مناطق عديدة من العالم واهتماماتها الجيوسياسية بتحقيق الاستجابة المدركة لتلك التطورات التي طرأت على محيطها الجغرافي؛ وبالتالي، يمكن فهم وإدراك صناعة القرار في روسيا أنها استندت إلى افتراضات تحكمها الاعتبارات الجيوسياسية في تفسير فاعلية تأثيرها الاستراتيجي في المنطقة، للدركاز على الأوراسية نموذجًا في تعويم قيمها إلى مناطق المجال الحيوي.

شهد القرن الواحد والعشرين تصاعدًا في الاهتمام بالجيوسياسية التي يستدعيها تسارع تطور حركية الفاعلين في النظام الدولي، وخاصة في المناطق المفتوحة في ساحات الأحداث المتشابكة، والتي أفضت إلى تصدر التحولات في جيوسياسية العالم والبحث عن مناطق الهيمنة والنفوذ<sup>1</sup>.

تتعاطى الوحدات الدولية مع مجالها الجيوسياسية بنوع من الحتمية معززة لديناميكية تسويق رؤى تجاه توجهاتها السياسية، وهذا يجعل الموقع أو الحيز الجيوسياسية محورًا في سياسات مختلف الفاعلين الدوليين، بحيث يفرض نفسه ويدفعهم للانطلاق إلى مجال أكبر، الذي يمكن أن تصل إليه وتؤثر فيه في تخوم الجيوسياسية، وقد يكون الأمر معاكسًا، أي تبعًا لجيوسياسية القوى المؤثرة، فإن ثمة دوائر للتأثير واتجاهات تركز عليها الدوائر على الجيوسياسية بدءًا من الجوار الجغرافي المباشر إلى الجوار السياسي إلى الأقاليم البعيدة أو الجغرافيا العالمية، وأكثرها اتساعًا هو الدول القوية التي تحرص على اتباع سياسات تشمل أكبر جغرافية ممكنة.

وكمظهر سلوكي يُستند إليه أساسًا لمقومات التفاعل في مساحات الجغرافيا وفضاءاتها المكانية، تشكّل الجيوسياسية متحكمًا رئيسيًا في السلوك الخارجي للدول وسياستها تجاه محيطها الجغرافي، فهي التي تفرض توجهًا بعينه على دولة ما وتمنعه عن أخرى، وهذا ما أكده روبرت كابلان Robert S. Kaplan بقوله "من الممكن أن تكون الجغرافيا كاشفة عن النيات بعيدة المدى لحكومة ما بنفس القدر الذي تكشفه مجالسها السرية. إن موقع دولة ما على الخريطة هو أول ما يحددها بصورة أكثر حتى من الفلسفة الحاكمة لها.

<sup>1</sup> عباس غالب الحديثي، (2004). نظريات السيطرة وصراع الحضارات، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.



وقد أفضى هذا التحول في بنى الاستراتيجية في منظورها الأداء إلى نزعة إحياء فكرية لدور الدولة في إعادة الوعي الذاتي للظهور الجيوسياسية استمرارًا لميراث إمبراطوري قديم، ولهذا تجد روسيا نفسها تتساق نحو مسارات هذه الجاذبية في ظل تنامي نفوذها الإقليمي ومكانتها العالمية، مبررة عودة طموحاتها حول المدى الجغرافي في توجهاتها الجيوسياسية إلى مجال الإمبراطورية القيصريّة والسوفيياتي السابق الذي يشمل تلك الفضاءات المتعلقة بمحاولات استعادة نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري الذي يشمل منطقة آسيا الوسطى وأقاليم جغرافية أخرى<sup>2</sup>.

وهنا نلاحظ أن الفكر الجيوسياسي مهيم على حقل الدراسات الاستراتيجية الروسية بشكل واضح نتيجة لتفاعلات يمكن اختزالها في تطورات الأحداث التي أعقبت تفكك الاتحاد السوفييتي السابق، منتجة لحقائق عبرت عنها ثقافة قومية تعتمد على وازع التأكيد على أن نظامًا جديدًا تشكّل في روسيا.

وتأسيسًا لما سبق، فإن المقاربة الروسية استندت إلى إنتاج طروحات جيوسياسية متجددة في صياغة استراتيجيتها تجاه المجالات الحيوية، وتفعيلها لتكون الطريق للفعل والتأثير الاستراتيجي في محيطها ومجالها الحيوي.

وفضلاً عن إثبات وجودها في امتدادها الإقليمي وتعزيز نفوذها في الدوائر الجيوسياسية، آثرت روسيا مقاربة واقعية مطورة تستند إلى الاعتماد على نمط إحياء الاهتمام ببعض الفضاءات الاستراتيجية من المركز إلى الأطراف، ولا تتوقف هذه المقاربة عند الحدود الروسية بذاتها، بل تمتد حتى شاطئ المحيط الجنوبي.

أما بالنسبة للبلدان المتضامنة استراتيجياً مع روسيا يمكن وعلى هذا الأساس لروسيا توسيع دوائر النطاق الاستراتيجي، التي تفتح آفاقاً جديدة لتموضعها الجغرافي. وفي سياق تركيزها على ساحل القارة الأوراسية الممتد من الأناضول حتى كوريا يجب أن يعامل على أنه الجنوب الروسي المحتمل، كما يحدد التوسع الجيوسياسي الثابت في الاتجاه الجنوبي البنية التركيبية لتلك المناطق الداخلة في الحدود المناطق لروسيا أو في عدد الدول المتحالفة مع روسيا والتي تعطيها عمقاً جغرافياً كما يحدث مع دول منطقة آسيا الوسطى<sup>3</sup>.

ومن دلائل ذلك، أصبحت مقاربات النظام الأوراسي الجديد التي استندت إليها روسيا تتجه إلى منطقة آسيا الوسطى بشكل كبير كمنطقة كانت في عهدها تاريخياً، لضمان أمن حدودها وإعادة إنتاج ذاتها.

وتقوم الاستراتيجية الروسية في هذا الصدد على أساس ربط جميع هذه الأراضي من الشمال إلى الجنوب بمحور جيوسياسي واستراتيجي قوي، لتنظيم المحور وفق اتجاه لتعزيز تقارب طويل الأمد بين المناطق المنفصلة<sup>4</sup>.

<sup>2</sup> المصدر نفسه.

<sup>3</sup> ألكسندر دوغين، (2004)، ترجمة: عماد حاتم، أسس الجيوبولتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.

<sup>4</sup> المصدر نفسه.

إن ذراع الأخطبوط لا يتوقف على أوروبا و«أوراسيا» Eurasia والشرق الأوسط بل كذلك في أفريقيا من خلال خط الأنابيب الممتد من نيجيريا مروراً بالنيجر والجزائر ثم تحت البحر الأبيض المتوسط إلى جنوب أوروبا، فقد تم التوقيع على مذكرة تفاهم مشروع خط أنابيب العابر للصحراء بين الدول الثلاث: نيجيريا والنيجر والجزائر يوم 28-07-2022، ويمتد أنبوب الغاز العابر للصحراء من نيجيريا إلى النيجر ثم الجزائر لتصدير الغاز إلى أوروبا، ويبلغ طوله 4128 كم وقطره من 1220 إلى 1.420 مم، ويستهدف نقل 30 مليار متر مكعب من الغاز النيجيري سنوياً نحو أوروبا.

كما يمكن أن تكون ليبيا مصدر مستقبلي للغاز وعدم استبعاد اتفاقاً روسيا مباشرة بعد استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية في ليبيا؛ خاصة بعد ترسيم دولة ليبيا الحدود البحرية في بحر الأبيض المتوسط مع الجمهورية التركية " Libya-Türkiye Maritime Deal " في 27 نوفمبر 2019 وترسيم الحدود البحرية في البحر الأبيض المتوسط بين إسرائيل ولبنان في 27 أكتوبر 2022 بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية.

فقد ساعد دور شركات البترول الأمريكية، لاسيما "نوبل للطاقة" في اكتشاف وإنتاج المصادر الهيدروكربونية في شرق المتوسط على تحقيق المصلحة الأمريكية لتحقيق أمن الطاقة في هذه المنطقة وكذلك أمن البلدان التي تحظى بعلاقة وثيقة معها، مثال: مصر، الأردن وإسرائيل، خاصة في ظل انتقال الصراع إلى سوريا وتدفق اللاجئين وأنشطة الجماعات الإرهابية، وبصفة عامة تستهدف الولايات المتحدة الأمريكية عدد من الأهداف في هذه المنطقة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- إنشاء تحالف إقليمي جديد يضم كل من: مصر وإسرائيل وتركيا واليونان لتصدير الغاز عبر إنشاء أنابيب إلى دول الاتحاد الأوروبي، في إطار محاولات فك اعتماد أوروبا تدريجياً على صادرات الغاز الروسي، لكن هذا المشروع يصطدم بكثير من الخلافات في منطقة متوترة وغير مستقرة، وهو لا يزال يبحث عن اتفاقيات و ضمانات دولية قبل أن يتدفق غاز الشرق الأوسط إلى أوروبا<sup>5</sup>.

ثانياً- ربط مصالح حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية من الدول المتباينة المصالح والرؤى ببعضها، وتأتي في إطار ذلك اتفاقيات الغاز الطبيعي الإسرائيلي التي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها لخلق مصالح اقتصادية مشتركة بين إسرائيل والدول العربية، حيث وقع الأردن في سبتمبر 2014 اتفاقاً مع إسرائيل لشراء الغاز من حقل "ليفاتيان" على مدى 15 عام، بقيمة 18 مليار دولار، حيث الأردن يعتمد على واردات الطاقة من إسرائيل بنسبة 40%<sup>6</sup>.

ثالثاً- قد تؤدي المصالح الاقتصادية إلى اتفاقيات سياسية تشمل إعادة النظر في الجغرافيا الاقتصادية للمنطقة بما فيها الممرات الآمنة وخطوط الأنابيب للنفط والغاز تربط بين إسرائيل وفلسطين ومصر والأردن في المرحلة الأولى، وقد تمتد إلى دولة أخرى في المنطقة كمرحلة لاحقة، مثل اليونان وقبرص.

<sup>5</sup> أحمد يوسف أحمد. (2018). الصراع على الغاز والنفط في شرق المتوسط. جريدة الأهرام السنة 142 العدد 47625.

<sup>6</sup> World oil outlook, energy geopolitique: challenges & opportunities. usa: international security advison board

إن تنمية مصادر الغاز في شرق المتوسط يمكن أن تتيح فرصا للتوسع الاقتصادي لقبرص واليونان، لكن عدم اليقين من الاستثمار في البنية الأساسية الضرورية وتزايد إنتاج الغاز في أماكن أخرى والتقلبات في أسواق الطاقة العالمية يقلل من احتمالية أن يوفر شرق المتوسط الغاز لأوروبا في المستقبل القريب، وذلك على الرغم من قيام كل من قبرص واليونان بالضغط على الاتحاد الأوروبي لتمويل خط أنابيب غاز من حقول الغاز الإسرائيلية والقبرصية إلى أوروبا عبر قبرص<sup>7</sup>.

كما أن التهديدات الأمنية تؤثر في الاتحاد الأوروبي، ومن ثم فإن المصلحة المباشرة للاتحاد الأوروبي تكمن في تحقيق الاستقرار السياسي في منطقة شرق البحر المتوسط التي تجاورها مباشرة. يضم هذا المستوى كل من: مصر وتركيا وإسرائيل، فهذه الدول الثلاث تفقد عدة تحالفات فرعية متعارضة المصالح في المنطقة.

## النتائج

من خلال دراستنا هذه توصلنا إلى النتائج الرئيسية الآتية:

أولاً- تبين الإحصائيات الكمية أن هناك علاقة وثيقة بين النزاعات في العالم ومناطق موارد الطاقة وأكثرها حساسية ومنافسة جيوسياسية.

ثانياً- يعتبر الغاز والنفط من المسببات الرئيسية للنزاع وإطالة أمدته مما يجعل أطراف الفواعل الدولية ذات المصلحة تحرك صدام الأطراف، مما يستدعي التوزيع العادل لمخرجات المورد والحوكمة المسيرة لإدارة النزاع.

ثالثاً- تُعد أنابيب الغاز وسيلة تعتمد عليها الدول كمتغير أساسي في سياستها الخارجية، وهي بمثابة أذرع استراتيجية للتواجد في مناطق حيث تتواجد مصالحها الجيوسياسية فيها.

## التوصيات

من خلال الدراسة توصلنا إلى التوصيات الآتية:

أولاً- تجسيد أمن الطاقة على المدى الطويل بضمان سريان النظام العالمي للطاقة وتوافرها، والعمل على تطوير أشكال الاستهلاك وترشيده تقنيا لتقليل الضرر على البيئة من أجل تنمية متوازنة.

ثانياً- تفعيل خطوط أنابيب نقل الغاز لرسم خارطة جديدة جيوسياسية للدول لتحقيق أمن الطاقة في القرن الحادي والعشرين.

ثالثاً- تفعيل الأدوات والمركبات الاقتصادية للعمل المشترك بين الدول لتأمين وتوريد وتلبية احتياجات الطاقة، ما يتطلب حتمية مرور الخطوط في مناطق جغرافية محددة سببا في تغيير موازين القوى على الخارطة الجيوسياسية للدول.

<sup>7</sup> شريف شعبان، (27 أبريل، 2018)، التحالفات الإقليمية والدولية في شرق المتوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات.

رابعاً- العمل على وضع طرق عملية فعالة تتضمن مختلف الأساليب الناجعة للتصدي للآزمات الغذائية لتحقيق الأمن الغذائي واستدامته.

خامساً- إنشاء نظام للأمن الغذائي ومراقبة التغذية، وذلك باستخدام المسح عبر الوسائل التكنولوجية المتاحة لرصد نجاعة سوق الأغذية، وآليات التكيف، وأنماط استهلاك الأغذية والفقير متعدد الأبعاد، وجمع المعلومات حول الأمن الغذائي والتغذية وتحديثها في الوقت المناسب لتحديد السكان المعرضين للخطر، ورصد ومعالجة العوامل التي من المحتمل أن يكون لها تأثير سلبي على الحالة الغذائية للفئات الهشة.

# المقاربات الجيوسياسية في حوض البحر المتوسط: المجالات الحيوية والموارد

د. إيمان بلقرشي \*

## ملخص

تُقدم الرؤية الدولية الراهنة للمجال الجيوسياسي لإقليم حوض المتوسط، بنية هندسية ديناميكية جديدة لمشهد الأمن فيه، تتعاطى على مستواها الاستراتيجية الوطنية للقوى الدولية، وما تطرحه منافسات القوة من ميلاد تفاعلات أمنية متعددة اتساقاً وطبيعة الرهانات الأمنية الجديدة التي تتحكم في أساساتها توزيع مصادر الطاقة.

ينم واقع الوجود الاستراتيجي للقوى الدولية في بؤرة التفاعل الأمني لإقليم حوض المتوسط كمجال جيوسياسي بميزات جيوبوليتيكية فريدة، على واقع رهانات جيواستراتيجية مبنية على أولويات ضمان إمداد المورد الحيوي، للتأثير في توزيع القوة في السياسة الدولية.

**الكلمات المفتاحية:** جيوبوليتيك حوض المتوسط، إمداد الطاقة، منافسات القوة، المجال الحيوي.

\* باحثة وأكاديمية من الجزائر، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية في الجزائر.

# Geopolitical Approaches in the Mediterranean Basin: Dynamic Areas and Resources

Eman Blqrashi

## Abstract

The current international vision of the geopolitical field for the Mediterranean basin region presents a new dynamic engineering structure for the security scene in it, dealing at its level with the national strategies of the international powers, and what power competitions pose for the birth of multiple security interactions in consistency with the nature of the new security stakes whose basis controls the distribution of energy sources.

The reality of the strategic presence of international powers in the focus of security interaction in the Mediterranean region as a geopolitical field with unique geopolitical advantages reflects the reality of geostrategic bets based on the priorities of ensuring the supply of a vital resource, to influence the distribution of power in international politics.

**Keywords :** Mediterranean geopolitics, energy supply, power competitions, biosphere.

## مقدمة

عرفت جيوسياسية حوض البحر المتوسط تاريخاً مليئاً بالصراعات بين القوى العالمية والإقليمية وفق طموحات جيوبوليتيكية، متخذةً شكل السيطرة الجيوإستراتيجية أو الجيوإقوية. فرضت الطبيعة التجديدية للسياسة الدولية لعالم ما بعد الحرب الباردة تحولات جسدت رهانات جديدة، انعكاساً لميلاد تفاعلات أمنية عديدة في مجالات جيوسياسية جديدة، ليُجسد بذلك الإقليم المتوسطي المجال الجيوسياسي مكمناً إسقاطات لعبة القوة وصراع الطاقة الدولية المتجددة. تتم منافسات الطموح الجيوبوليتيكي عن واقع الوجود الاستراتيجي للقوى الدولية في منطقة حوض المتوسط، أحد أقاليم الطاقة العالمية والذي يُترجم صراع الموارد المستقبلي على المجالات الجيوإستراتيجية لضمان تأمين المورد الحيوي الناضب، وما تطرحه جيوسياسية منطقة المتوسط من رهانات جيواستراتيجية على المدركات الأمنية للقوى الراغبة في لعب أدوار قيادية أو تعديلية.

تحاول هذه الورقة البحثية مناقشة أهمية منطقة البحر المتوسط ضمن الأجنحة الأمنية الإستراتيجية للقوى العالمية الكبرى في مضمار منافسات جغرافية الطاقة، وأثر التطورات في جيوسياسية المتوسط على التحولات بعيدة المدى في التوزيع الدولي للقوة. وإشكالية البحث في هذه الدراسة هي: كيف تُشكل الجغرافية والطاقة مدخلاً لدراسة منافسات القوة في حوض البحر المتوسط، وماهي تداعيات الإسقاطات الإستراتيجية للقوى الجيوبوليتيكية المتضاربة المنطلقات والمصالح في هذه المنطقة على تحولات الهيمنة الدولية؟

حاولنا معالجة الموضوع من خلال طرح الفرضيات الآتية:

- إنَّ صعوبة تحديد حوض البحر المتوسط مفهوماً ومجالاً، إنَّما تنم عن درجة تضارب المنطلقات الإستراتيجية والمصالح الحيوية بالمنطقة.
- كلما أحييت المقاربات الجيوسياسية للقوى الكبرى في حوض البحر المتوسط، كلما تعددت الإسقاطات الإستراتيجية الأمنية الإقليمية والدولية في المتوسط.
- كلما زادت اكتشافات المورد الحيوي في منطقة حوض المتوسط، كلما تجددت ديناميكية منافسات القوة والطاقة في المنطقة بطموحات جيوبوليتيكية.

قسمت هذه الورقة البحثية إلى المحاور التالية:

**المحور الأول:** منطقة البحر المتوسط: إقليمية المجال وأبعاده الجيوسياسية - الطاقوية.

**المحور الثاني:** مقاربات الهيمنة الجيوبوليتيكية في حوض البحر المتوسط.

**المحور الثالث:** شرق المتوسط: المجال الحيوي الأبرز لإسقاطات منافسات القوة والموارد.

## المحور الأول- منطقة البحر المتوسط: إقليمية المجال وأبعاده الجيوسياسية - الطاقوية

عندما وضعت أولى الخرائط الجغرافية كان حينها هنالك بحر واحد معروف "تالاسا" الممتد من البوسفور إلى أعمدة هرقل - مضيق جبل طارق اليوم-، هذه المساحة البحرية الممتدة بين أوروبا وآسيا وأفريقيا لم تُعرف باسم البحر الأبيض المتوسط حتى بداية القرن السادس عشر "1534م"، ونظرا لتوسط البحر لثلاث قارات و انضوائه على أبرز المضائق الاستراتيجية وقناة السويس، تنامت أهميته تاريخيا على الصعيد العالمي، لتنتم منطقة المتوسط على مجموعة جيوسياسية فريدة كل شاطئ من شواطئها هو جزء من مجموعة قارية يُشكل حافتها البحرية<sup>1</sup>.

إنَّ غياب المرجعية الإقليمية للمتوسط حسب المقاربات الكلاسيكية للعلاقات الدولية، دفعتنا للتركيز على تحديده كمفهوم وكمجال جغرافي وفق مقارنة بديلة، تُساعدنا على استنتاج طبيعة الإقليم المتوسطي بالاستعانة بالمقاربة البنائية في العلاقات الدولية. يصطدم تحديد المتوسط جغرافيا دوما بالترتيبات الأمنية للقوى الكبرى، إذ تتغير الحدود الجغرافية للمتوسط وفق العطايات الأمنية وكذا مدركات الفاعلين الأساسيين في لعبة القوة الدولية.

### أولاً: الأبعاد الجيوسياسية

يُعنى موضوع الجيوسياسية بدراسة تداخل الأفعال بين المجال الجغرافي ومنافسات السيطرة على هذا المجال، حيث تعد سمة التنافس الجيوسياسي المرافقة لتطور البناء السیادي-المجتمعي ركيزة أساسية للتحالفات والصدامات الدولية، إذ أنَّ اكتساب مجال جغرافي معين بعدا جيوسياسيا دائما، يجعل منه ميدانا ورهانا لمطامع القوى التوسعية لغايات جيواستراتيجية وأخرى طاقوية حيوية، بل تتعدى منافسات الجيوسياسية الجديدة المصالح المادية للتمدد على حساب المجالات الجغرافية الحاملة لقيم المجتمعات كمكسب استراتيجي.

تُمثل الجغرافية السياسية متغيراً حاسماً وثابتاً في عملية ممارسة السيادة العالمية "المكانة والقوة"، إنَّ دراسة المتوسط كإقليم يشمل الضفتين والحضارات التي تحيط بهذا البحر<sup>2</sup>، ولعل صعوبة التأسيس للمتوسط كإقليم ترجع إلى عدم التجانس الكبير بين الأجزاء والوحدات المكونة له، كما أنَّ التأسيس لمقاربة أمنية موسعة للمتوسط تجعل منه إقليما دوليا فريدا و متميِّزا، لذلك فالمرجعية الإقليمية للمتوسط تجعل منه حوضا مكونا من أقاليم متوسطة تتقاسمها الضفتان الشمالية والجنوبية من المتوسط في ظل غياب الإحساس المشترك بالانتماء إلى هوية متوسطة كأهم مؤشر في بناء الإقليمية المتوسطة<sup>3</sup>.

رغم التحديدات الجغرافية للمتوسط والمبنية على متغيرات ومؤشرات أمنية، فإنَّ بعض الباحثين يرفضون ما يُمكن تسميته الانتماء الجغرافي المتوسطي، فمعظم الباحثين يستعملون مدلول "الحيز، المجال، الفضاء أو المنطقة"<sup>4</sup>، اتساقاً وذلك يؤكد تقرير إدارة "العلاقات العامة" في

<sup>1</sup> يف لاکوست، الجغرافية السياسية للمتوسط. (تر: زهيدة درويش جبون)، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010، ص 35 - 39.

<sup>2</sup> Pierre (WILLA)، « La Méditerranée Comme Espace Inventé », Jean-Monnet Working Papers, Nov., 1999, N°25, P01.

<sup>4</sup> اعتمدت بعض الدراسات عقب نهاية الحرب الباردة مصطلح "المنطقة Zone"، كمفهوم حديث وكأداة تحليلية جديدة في الدراسات الإقليمية، يُنظر في: «A Wildawsky, M. Singer, »The Real World Order: Zones of Peace/Zones of Turmoil, 1993



الجماعة الأوروبية صعوبة التحديد الجغرافي للمتوسط كإقليم دولي، واعتبره: تعريف الجهة المتوسطة ومفهوم المتوسط نفسه متقلبان، فأحيانا يشملان مجموع المتوسط وأحيانا أخرى يمتدان إلى الشرق الأوسط والخليج، بل حتى إلى آسيا الوسطى، اختيار مناطق التوتر في الجهة يُبين بوضوح أربعة مجموعات إقليمية فرعية أساسية (المتوسط الغربي، دول مسار السلام، المتوسط الشرقي والبلقان، ضفاف الأدریاتيك)<sup>5</sup>.

تري مدرسة كوبنهاغن أنّ المتوسط لا يمكن أن يشكل "مركبا آمنة Security Complex" بمعنى أنّ الدول المحيطة بالمتوسط لها أجنداث أمنية مختلفة<sup>6</sup>. فأمن المتوسط "جنوب - جنوب" يمكن أن يتأثر بعوامل قد لا تؤثر في أمن المتوسط "شمال - جنوب"، كما لعب العامل المؤسسي دورا في إقليمية المتوسط حيث ظلّ المتوسط في ظلّ الترتيبات الأمنية والاقتصادية والسياسية مقسما بين دول أوروبية وإفريقية وآسيوية بنزعة اختراقية جيوسياسية<sup>7</sup>، وكمنطقة هيمنت عليها قوى الانقسام والصراع على حساب قوى التعاون، مما يجعل التفسير "الإقليمي المتعدد Multi - Regional" هو الأقرب في تناول السياسات المتوسطة أو الدراسات الأمنية في منطقة المتوسط، من جهة أخرى ساهم متغير الفواعل على المستوى "فوق - وطني" أو "تحت - الدولي" في تكريس هذه التعددية الإقليمية<sup>8</sup>.

بناء على ما سبق، وانطلاقا من تحليل مقومات البناء الإقليمي في النموذج الكلاسيكي في العلاقات الدولية، يتبين لنا أنّ المتوسط ينم عن مجموعة أقاليم دولية أكثر منه إقليما متجانسا في حد ذاته، المسألة التي أكسبته ميزة جعلته بمثابة شبكة علاقات "بين - إقليمية" تمتد إلى خارج النطاق التقليدي للمتوسط<sup>9</sup>. إنّ الرؤية الإقليمية للمتوسط على المستويين النظري والعملي تُعمق من الجهة العملية التحليلية لمنافسات القوة والإسقاطات الاستراتيجية لقوى اللعبة الدولية في المتوسط في ظل تضارب منطلقاتها ومصالحها الحيوية، وتُصعب من عملية بناء هندسة أمنية متكاملة متوسطة تحقق الاستقرار للأجزاء الجغرافية لجيوسياسية المتوسط، لا سيما في ظل غياب نوع من التجانس السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي في هذه الجهة أو المنطقة، ومنه استحالة التوصل إلى صياغة مشتركة وإجماعية لمفاهيم الأمن الإقليمي في المتوسط.

ورغم تنامي الخطاب الإقليمي المتوسطي الذي يُترجم طموحات سياسية ومصالح براغماتية عديدة، غير أنّ المتوسط يبقى كجمال للتنوع الإقليمي نتيجة غياب "بناء إقليمي للمتوسط" وفق المعطيات السياقية والبنوية التي تفرضها بيئة السياسة الدولية، لا سيما في ظل النظرة الأجنبية للقوى الدولية التجزئية للإقليم "الروسية والأمريكية وخاصة الأوروبية" التي تعكس الرغبة في السيطرة على أقاليم محددة في المتوسط حسب طموحاتها الجيوسياسية.

<sup>3</sup> Ibid, P2.

<sup>5</sup> Alain (ROUSSILLON), « La Méditerranée au Pêril De Ses Identités », *Annuaire De La Méditerranée*, Paris/Rebat : Publisud/GERM, 1997, P240.

<sup>6</sup> Roberto (ALIBONI), « The Role Of International Organizations In The Mediterranean », Paper Presented at the 2nd Session of Halki International Seminars, Greece, Sept. (13-18), 2000, p. 01.

<sup>7</sup> Gérard De (PAYMEGE), « L'Emergence Institutionnelle De La Méditerranée », In, « La Méditerranée Dans Les Relations Internationales », *Relations Internationales*, n° 87, Automne, 1996, P 325.

<sup>8</sup> Noureddine (ABDI), « De La Méditerranée à Un Méditerranéisme », Communication Présenté, au Colloque International, « L'Espace Economique De La Méditerranée Occidentale : Enjeux et Perspective », Bejaia, (25-26) juin, 2000, p.1.

## ثانياً: الأبعاد الجيوإستراتيجية - الجيوإقتصادية

تمثل منطقة حوض المتوسط أحد المجالات الجيوإستراتيجية الجزئية الأوراسية، التي تفرض تحديات ورهانات - بميزة التزاوج الجغرافي الإقليمي الذي تعكسه- على الرؤى التوسعية الجغرافية وأولويات إدارة الجيوإستراتيجية لمصالح القوى الدولية المتنافسة على رقعة الشطرنج العالمية، المسألة التي تجعل من إقليم المتوسط المر المائي الجغرافي الأكثر استقطاباً لصراعات الهيمنة الإقليمية والدولية<sup>10</sup>. إنَّ التزاوج الحاصل بين الجيوإستراتيجية والاقتصاد في مدرك صناعات الاستراتيجيات الأمنية للقوى المتنافسة، راجع للتداخل بين حركية الفاعلين في المنطقة ورهانات حيوية للمتوسط اقتصادياً من جهة، ومتطلبات اللعبة الدولية الأوراسية بمنطلقات جيوطاقوية من جهة أخرى<sup>11</sup>. إنَّ تحليل ديناميكية التفاعلات الدولية في حوض المتوسط تتطلب:

1. تحديد الفواعل الجيوإستراتيجيين ممثلين في القوى الدولية التي تمتلك القدرة والإرادة الوطنية لممارسة النفوذ، بهدف تغيير الوضع الجيوبوليتيكي القائم بالشكل الذي يخدم مصالح هيمنتها الإقليمية (روسيا، أمريكا، الاتحاد الأوروبي، الصين، تركيا وإسرائيل).
2. تحديد المحاور الجيوبوليتيكية مجسدةً في الدول التي تحظى بميزة جغرافية فريدة، باعتبارها تُمثل مصدراً أو منفذاً لموارد حيوية أو لجيوإستراتيجية مميزة في مسعى كسب رهان الإدارة الجيوإستراتيجية للعبة للمتوسطة.

ترتبط ديناميكية التفاعلات الإقليمية والدولية في حوض البحر المتوسط بالتطورات المرافقة لقضايا الطاقة أبرزها المورد الحيوي الناضب، لا سيما في ظل الاكتشافات الأخيرة للغاز الطبيعي في إقليم شرق المتوسط، وتأثير مسألة منافسات الطاقة "تنقيباً واستخراجاً وإمداداً للسوق الدولية" على الترتيبات الأمنية في إقليمي الطاقة شمال أفريقيا وشرق المتوسط من المنطقة المتوسطة من جهة، وعلى مسألة تطوير أمن إمدادات الطاقة العالمية من جهة أخرى، إذ تُشكل جيوسياسية حوض المتوسط سوقاً واعدة وممكن تحديات وفرص السياسات الطاقوية للقوى الدولية (روسيا، أمريكا، أوروبا، الصين، تركيا، إسرائيل)، لا سيما عقب تقرير هيئة المسح الجيولوجي الأمريكي لسنة 2010م حول احتواء منطقة شرق المتوسط ثروة نفطية تُقدر بنحو 1.7 مليار/برميل نفطي والغاز الطبيعي بحوالي 3455 تريليون قدم مكعب، المسألة التي تنعكس على منافسات تطوير أنابيب إمداد غاز جديدة في سياق اللعبة الطاقوية للسيطرة الاستراتيجية<sup>12</sup>.

<sup>9</sup> Pierre (W), Op, Cit, P 03.

<sup>10</sup> Pascal boniface, La Géopolitique, Paris, Groupe Eyrolles, Iris, 2ème édition, 2014.

<sup>11</sup> Zibigniew Brzezinski, «A Geostategy For Eurasia », Foreign affairs, (N°. 5, vol. 76, New York, sep-oct, 1997), 19/11/2016, At 21 :18h, Available In : www.foreignaffairs. Com.

ومن أهم الاكتشافات الكبيرة للطاقة في إقليم شرق المتوسط منذ عام 2009م نجد:

1. جانفي 2009م، اكتشاف مجموعة شركات طاقة برئاسة شركة “نوبل إنبرجي Noble Energy” الأمريكية حقل “تمار Tamar”، 90 كلم من الساحل الإسرائيلي باحتياطي قدر بـ 274 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي<sup>13</sup>.
2. مارس 2010، قدر المسح الجيولوجي الأمريكي “Geological Survey” إجمالي احتياطي حوض دالتا النيل تقدر بنحو 1,8 مليار برميل من النفط قابل للاستخراج، وحوالي 6315 ترليون كيلومتر مكعب من الغاز القابل للاستخراج، و60 مليار برميل من مشتقات الغاز الطبيعي، وموارد محتملة في بحر إيجه والبحر الأيوني المسطح المائي بين اليونان وجزيرة صقلية الإيطالية<sup>14</sup>.
3. جوان 2010، اكتشاف حقل “ليفياثان Leviathan” قبالة ساحل حيفا وينتمي للمياه الإقليمية الإسرائيلية، قدر احتياطيه بـ 620 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي<sup>15</sup>.
4. في ديسمبر 2011م اكتشاف “حقل أفروديت Aphrodite” باحتياطي يُقدر بحوالي 127 كيلومتر مكعب، على بعد 160 كلم من السواحل القبرصية<sup>16</sup>.
5. اكتشاف “حقل تانين Tanin” عام 2012م بواسطة شركة “ديليك Delek” الإسرائيلية باحتياطي 30 كيلومتر مكعب<sup>17</sup>.
6. في عام 2015م اكتشاف أهم حقل غازي في إقليم شرق المتوسط، “حقل ظهر Zohr” في المنطقة الخالصة الاقتصادية المصرية، باحتياطي يبلغ نحو 850 كلم مكعب من الغاز، ليليه اكتشاف حقل “أتول Atoll” في مارس من نفس السنة بالمياه الإقليمية المصرية أيضاً، باحتياطي قُدر بنحو 12 كلم مكعب<sup>18</sup>. وفي 2019م فقد تم أيضاً اكتشاف “حقل نور Nour” على بعد 50 كلم من شبه جزيرة سيناء.
7. في فيفري 2018م اعلان شركة “أيني ENI” الإيطالية عن اكتشاف أولاً “حقل كاليسو Calypso” في المياه الاقتصادية لقرص، باحتياطي يبلغ نحو 199 كلم مكعب من الغاز الطبيعي، وثانياً “حقل جلاوكس Glaucus” باحتياطي يُقدر بحوالي 133 متر مكعب من الغاز<sup>19</sup>.

<sup>12</sup> Rubin Aviad & Ehad Eiran, « The Eastern Mediterranean: Towards a Coordinated Maritime Security Environment », A paper presented at the 2019, Canada : ISA Meeting, Toronto ON, 2019, P 04.

<sup>13</sup> Ibid, P04.

<sup>14</sup> Ibid, P 04.

<sup>15</sup> Stergiou, Andreas, Geopolitics and Energy Security in the Eastern Mediterranean: The Formation of new Energy Alliances, In: Tziarras, The New Geopolitics of The Eastern Mediterranean: Trilateral Partnerships Zenonas, and Regional Security, Peace Research Institute Oslo (PRIO), Friedrich- Ebert Stiftung, 2019, P 13.

<sup>16</sup> Rubin Aviad & Ehad Eiran, OECit, P 04.

<sup>17</sup> Giotis, Spyridon, Energy Security in Eastern Mediterranean: Gas Discoveries and Implications in Israel-Cyprus- Turkey Region, Master's Thesis, University of Macedonia, Department of Balkan, Slavic & Oriental Studies, 2012, P 36.

<sup>18</sup> حسين سليمان، المصالح التركية في غاز شرق المتوسط، الملف المصري: غاز شرق المتوسط - أنماط الصراع وفرص التعاون الإقليمي -، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 65، 2020، ص 19.

<sup>19</sup> Stergiou, Andreas, Op. Cit, P 13.

غدت منطقة حوض المتوسط الغنية طاقوياً المزود الأبرز للطاقة لا سيما الغاز الطبيعي إلى السوق الأوروبية الرامية لتقليل اعتمادها على صادرات الغاز الروسية<sup>20</sup>، في ظل اعتماد هذه الأخيرة “روسيا” ورقة الطاقة لتغيير موازين اللعبة الأوراسية وهرمية سلم القوة الدولية، وتجليات إسقاطاتها الاستراتيجية في سوريا وأوكرانيا تأكيداً لمسعاها الأوراسي، مقابل السعي الأمريكي للتقليل من السيطرة الروسية على شبكة إمداد الطاقة من خلال طرح مشاريع مد خطوط أنابيب لنقل المورد الحيوي من قطر والسعودية وإسرائيل عبر أقاليم تواجد القوات الأمريكية “العراق وشمال شرق سوريا (عارضة سوريا) مع إمكانية وصلها بخط الغاز المصري الإسرائيلي نحو تركيا فالاتحاد الأوروبي”<sup>21</sup>.

## المحور الثاني- مقاربات الهيمنة الجيوبوليتيكية في حوض البحر المتوسط

إنّ فهم الاشكالات الجيوسياسية في منطقة المتوسط يتعدى دراسة المجال الجغرافي المتوسطي إلى أولوية الأخذ بعين الاعتبار منافسات القوى العظمى، وكذا تأثير التغيرات الجيوسياسية البعيدة - تخوم آسيا الوسطى- على التفاعلات الدولية في منطقة المتوسط ككل. إنّ منطقة المتوسط تمثل مجالاً ممتازاً لدراسة صراع القوى الجيوسياسي بطموح فكري جيوبوليتيكي تتباين فيه مداخل الإسقاطات الاستراتيجية أمنية، طاوقية، بيئية..، غير أنّ الأهم هو القدرة على فهم الصراعات الراهنة على أساس الربط بين منافسات اللعبة في أي من أقاليم المتوسط و طبيعة امتداد أو تجدد اللعبة الأوراسية الكبرى، وما هي التغيرات الجيوسياسية التي سوف تحصل؟ ويمكننا فقط تصور ما يمكن أن يحدث في سيناريوهات كارثية او تطورات إيجابية.

ساد اعتقاد في الفكر الاستراتيجي التقليدي مفاده أنّ البحر الأبيض المتوسط يُمثل مجالاً حيويًا “living Space” من يُسيطر ويتحكم في مداخله ومضايقه يستحوذ على القوة في صراع النفوذ، واستند التنافس الدولي التقليدي على المنطقة إلى نظريتين أساسيتين للسيطرة هما:

الأولى- النظرية الرومانية للسيطرة على المتوسط المبنية على مبدأ: “من يتحكم في السواحل الجنوبية للمتوسط، يصل إلى السيطرة والتحكم الفعلي على السواحل الشمالية”<sup>22</sup>.

الثانية- النظرية العربية الإسلامية للسيطرة على المتوسط التي تبرز تاريخياً مع توسعات الدولة العثمانية ما بين القرنين 17 و18 في حوض المتوسط، بفعل أسطولها البحري المتميز بمهامه في مراقبة الملاحة البحرية التجارية والعسكرية للمتوسط، وتمكينها من تحويل هذا الأخير إلى بحيرة عربية بتغلغلها وسط وجنوب أوروبا<sup>24</sup>.

<sup>20</sup> Karagiannis, Emmanuel, « The Emerging Gas Region of the Eastern Mediterranean », FIACSI-ISA Joint International Conference, Buenos Aires, Global and Regional Powers in a Changing World, 2014.

<sup>21</sup> وائل ربيع، الأبعاد الأمنية والعسكرية للتنافس على غاز شرق المتوسط، الملف المصري: غاز شرق المتوسط - أنماط الصراع وفرص التعاون الإقليمي -، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 65، 2020، ص 27.

<sup>22</sup> المجال الحيوي مصطلح طرحه فريدريك راتزل (Frederich Ratzel 1844-1904) عندما طرح أفكاره حول الجغرافية السياسية، مشيراً إلى أنه مفهوم يعني ضرورة أن يتوفر للدولة مكان يُمكنها من تحقيق رغبتها في التوسع كحق لضمان استمرارها وتطورها مادياً-سياسياً-اقتصادياً-ثقافياً.

<sup>23</sup> حامد عبد الله ربيع، “البحر الأبيض المتوسط والاستراتيجيات الكبرى: حول سياسة عربية للبحر المتوسط”، قضايا عربية، (العدد 4، أبريل 1980)، ص 130.

<sup>24</sup> بكر مصباح، التطور الاستراتيجي للسياسة الأمريكية في الوطن العربي، بيروت: مركز الوحدة العربية، 1985، ص 99.

أثرت النظريتين على طبيعة التفاعلات الاستراتيجية في منطقة المتوسط، التي أخذت طابعا توسعيا جيوسياسياً، المسألة التي برزت جلياً مع حرب البلقان الأولى (1912 - 1913) ثم الحركة التوسعية الاستعمارية الأوروبية إبان الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)، وبداية التزاوج في المدرك الاستراتيجي بين عاملي الجيوسياسية والمورد الحيوي في الإسقاطات الجيوستراتيجية لقوى الصراع في المتوسط، ليتحول لاحقاً مع الحرب العالمية الثانية إلى مسرح للعمليات العسكرية، لتأخذ الإدارة الاستراتيجية للصراع على منطقة المتوسط إبان الحرب الباردة وما بعدها طابعا جيواستراتيجياً - طاقياً دولياً سعياً لتجسيد الهيمنة العالمية في نظام دولي فوضوي.

## أولاً- البحر في الاستراتيجية الروسية الحديثة: الطموح الجيوبوليتيكي المتوسطي

### 1. الطرح الجيوبوليتيكي القاري: الطموح الروسي المتوسطي

يرى عديد المفكرين أمثال "ويكهام ستيد وجورج كيس" Wickham Steed & George kiss أن أسس الجيوبوليتيك هو علم ألماني بامتياز، باعتبار الجيوبوليتيك نتاج للطموح والفلسفة والفكر الألماني الذي يبرز جلياً مع خطب "فيشت Fichte" حول الأمة الألمانية وأفكار الدم والتربية لـ "أوتوفون بسمارك Von Bismarck"، ومن كارل شميت وهيغل وتشامبرلين إلى أدولف هتلر.

استفاد الفكر الاستراتيجي الروسي من الفكر<sup>25</sup> والممارسة الألمانية حول أهمية العامل الجغرافي "الجال الحيوي - الحتمية الجغرافية" وأثره في بناء قوة عالمية، وبالتالي إضفاء الشرعية على كل من التوسع الإقليمي الروسي كوسيلة لتحقيق الطموح الأوراسي في علاقة الأرض "القارة الأوراسية" بالهوية "الأثوذكسية الأوراسية"، فالثقافة وبالرجوع لأفكار كيلين تعتبر محرك نمو الدول اتساقاً، وذلك كلما كانت الهوية الأوراسية أكثر نشاطاً وتطوراً كلما كان على الدولة الروسية توسيع نطاقها الجيوسياسي الأوراسي "الحدود غير ثابتة"، كمسألة طبيعية شرعية، وإن اقتضى الأمر الصراع والحرب الشاملة حسب فكر هاوسهوفر الذي أكد على فكرة "Panregionalism" التي تُحقق ضم الأراضي المائلة وذات الصلة بالثقافة الروسية الأوراسية.

يحظى حوض المتوسط بأهمية استراتيجية كبرى كجمال حيوي في المنظور الاستراتيجي الروسي يؤهلها للانفتاح خارج المجال الأوراسي نحو المناطق البرية والبحرية التي تُشكل عقد جيوسياسية لها، ولذلك يأتي تركيز الاستراتيجية الروسية في السنوات الأخيرة على التمدد باتجاه الفضاءات الجيوسياسية التي تقوي مراكزها المطلة على الحوض لاسيما في إقليم شرق المتوسط كساحة منافسة لإعادة تغيير موازين القوى ولعب دور عالمي جديد بقيادة فلاديمير بوتين.

يرى هالفورد ماكيندر «Halford Mackinder 1861-1947» أبرز مؤسسي الجغرافية السياسية بنظريته "المحور الجغرافي للتاريخ"، التي تشكل رؤية تحليلية سابقة للإدارة الجغرافية الاستراتيجية تحقيقاً للهيمنة العالمية التي مستقبها هو لصالح القوى الكبرى، أن كفة ميزان القوة العالمية تميل للقوة البرية في إطار التشكيل الجيوسياسي الروسي الجديد الذي يُحقق تفوق قلب

<sup>25</sup> أبرز الآباء المؤسسين للفكر الجيوبوليتيكي الألماني ("فريدريك راتزل 1869-1904"، "رودلف كيلين Rudolf Kjeljen 1864-1922"، "كارل هاوسهوفر 1869-1946"، "Karl Haushofer")،

العالم. بالنظر للخريطة الجيوسياسية الأوراسية مكن إسقاطات السيطرة العالمية، تمتد الجزيرة العالمية في قارة واحدة هي "أوراسيا - أفريقيا" من مضيق برنج إلى رأس الرجاء الصالح، باحتواء بحر المتوسط كبحر داخلي، وبتوحد المنطقتين الأوراسية والأفريقية ستخلق فضاء أوراسي "قلب الأرض مثير للدهشة"<sup>26</sup>.

يشكل إقليم حوض البحر المتوسط بالتجانس مع المنطقة المحورية في أوراسيا والممتدة من كل سيبيريا وجزء من أواسط آسيا، ومن ثم منطقة القلب في شرق أوروبا المركزية كمنصة حيوية لتحقيق السيادة القارية الأوراسية، وهو ما ترجمه ماكيندر في قانونه الجيوبوليتيكي:

"إن من يُسيطر على أوروبا الشرقية ومن يُسيطر على Heartland قلب الأرض، يُسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يُسيطر على الجزيرة العالمية يُسيطر على العالم."<sup>27</sup>

اتساقاً وذلك، يعد حوض المتوسط أهم جيوسياسية بحرية مكن إسقاطات القوة في منافسات السيطرة الدولية، الذي أشار إليه ماكيندر في تحليله الجيوبوليتيكي ضمن ما سماه "الهلال الداخلي أو الحدي Inter Crescent" الذي يُحيط بقلب العالم وهو بحري التوجه ممثلة في حلقة الأراضي المنخفضة الأوروبية والآسيوية الجنوبية تعقبها شبه الجزيرة العربية، وتمتد من الجزر البريطانية في الغرب وحتى اليابان في الشرق، أي يتكون من: "أولاً المناطق الساحلية الأوروبية الممتدة غرب الأورال، وثانياً الأرض العربية الصحراوية تركيا، إيران وباكستان، وثالثاً جنوب آسيا وجنوب شرقها والصين".

ويشير ماكيندر آنذاك إلى أن المنافذ المائية الوحيدة التي تستطيع عن طريقها قوات بحرية معادية أن تقتحم هذا القلب هي "بحر البلطيق والبحر الأسود"، في ظل ما تمنحه الطبيعة البرية من ميزة دفاعية وقدرة هجومية أمنية للهارتلاند فضلاً عما تتمتع به من معادن وثروات طبيعية، وهو ما يُترجمه التحرك الروسي المتوسطي في سوريا وأوكرانيا تأميناً للنفوذ الأوراسي في إقليم شرق المتوسط مبدئياً ومن ثم المتوسط ككل لاحقاً كأولوية جيواستراتيجية مكملة لعملية تجميع الإمبراطورية كإرادة سياسية "المجال الكبير- كاتحاد ما فوق قومي قائم على أساس العامل الاستراتيجي والجيوبوليتيكي والإيديولوجي"، من منطلق الدولة الحليفة أو الصديقة للدول القارية بالشكل الذي يجعل من روسيا دولة مكملة جيوبوليتيكية، وبالشكل الذي يؤهلها للتصدي للمسعى التوسعي الأمريكي الأطلسي المعادي للأوراسية عن طريق استخدام الهامش لتطويق الهارتلاند.

إن مشروع التكامل الاستراتيجي الأوراسي الذي يُزاوج بين النهج العقلاني- البراغماتي للقيادة الروسية، مبني على ضم البحار الدافئة ضمن دوائر أمنها القومي وفق منطلق سلام عقلائي مفيد للمصالح الجيوبوليتيكية لجميع الدول القارية بالشكل الذي يُمكن هذه الأخيرة من أن تحافظ على استقلالها أمام الجزيرة الأطلسية البديلة، وعليه فإن المصلحة الحيوية للدول القارية المحاذية للمياه الدافئة جعلت من الاتحاد مع روسيا الثابت الملح للتحالف الاستراتيجي لتحقيق التكامل بين قلب الأرض والهلالين الداخلي والخارجي ضد قوى التغيير الدولي المعادية<sup>28</sup>.

<sup>26</sup> أحمد سعيد إبراهيم، ما بين الجغرافية السياسية ومخاطر الجيوبوليتيك والعمولة. سورية: الأوائل للنشر والتوزيع، 2006، ص 84.

<sup>27</sup> Dussouy Gérard, Les Théories Géopolitiques : Traité de relations internationales. Paris. Editions Le harmattan, 2006, P 117.

<sup>28</sup> ألكسندر دوغين. أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2014.

يرى (مورتن كابلان Morten Caplan) أنه في حال تمكن روسيا الاتحادية من إقامة نطاق نفوذ يمتد من سيبيريا إلى الهند وجنوب شرق آسيا، فإنها ستتمكن من خلق منطقة نفوذ لن يكون فيها للصين خيار سوى التكيف مع الهيمنة الروسية من جهة، وإذا تمكنت روسيا من السيطرة على الربع الشمالي الشرقي والجنوب الشرقي من جهة أخرى، فإنها بذلك تُحقق الهيمنة الروسية الأوراسية على الجزيرة العالمية وتُطوق الولايات المتحدة وحلفاءها الأطلسيين تطويقاً فعالاً<sup>29</sup>.

## 2. البحر المتوسط في العقيدة البحرية الروسية "2015 - 2016"

تاريخياً، نزلت السفن العسكرية الروسية إلى حوض المتوسط بهدف حربي ثلاث مرات على الأقل نهاية القرن الثامن "1770، 1774، 1798"، لتُحرك روسيا قوتها العسكرية البحرية من جديد عام 1806م من بحر البلطيق باتجاه البحر المتوسط ضد فرنسا والدولة العثمانية، اتساقاً لذلك استندت الاستراتيجية الروسية على أولوية الانتشار في حوض المتوسط كمنفذ بحري يقع ضمن نطاق أمنها ذو أولوية لضمان تأمين أراضيها<sup>30</sup>.

عبرت روسيا في أوت 2007م بشكل واضح عن رغبتها في إعادة تأسيس تواجد بحري دائم لها في البحر المتوسط "لاسيما في ميناء طرطوس بسوريا"، غير أنه وبعد آخر تعديل في العقيدة البحرية الروسية عام 2015م التي أقرت أن أول صيغة للعقيدة البحرية في تاريخ روسيا الحديث عام 2001م، لم تعد كافية وموائمة للتعامل مع المتغيرات والمستجدات الجديدة على الساحتين الإقليمية والدولية، أقر الرئيس بوتين الصيغة الجديدة للعقيدة البحرية الروسية لعام 2022م التي تُترجم طموحاتها "كقوة بحرية عظيمة" وبما تتماشى مع التحديات الأمنية والجيوسياسية الدولية الراهنة، ويمكن الإشارة إلى أهم بعدين "العسكري والاقتصادي" ضمن وثيقة الوظيفة الاستراتيجية للبحرية الروسية في ما يلي بما يتوافق ومضمون الدراسة حول المتوسط<sup>31</sup>:

- أولوية البعد العسكري للبحرية الروسية، من حيث أولاً: تعزيز شامل لموقع روسيا الجيوسياسي في البحر الأسود وبحر أزوف وبحر قزوين، وتوسيع البنية التحتية العسكرية في شبه جزيرة القرم وبناء حاملات طائرات حديثة، نظراً للتحديات التي زادت حدتها بعد العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا، وثانياً: إمكانية استخدام روسيا للقوة العسكرية بشكل مناسب للوضع في محيطات العالم في حال استنفاد القوة الناعمة، مع الإشارة إلى الاستراتيجية البحرية الأمريكية في المحيطات كتهديد رئيسي للأمن القومي الروسي، مؤكدةً ثالثاً على أهمية "مضائق الكوريل والبلطيق والبحر الأسود والجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط" لضمان الأمن القومي الروسي، مع أولوية تأمين نقاط لوجستية - فنية في البحر الأحمر مع تطوير مرافق الإنتاج لبناء سفن حاملات للطائرات حديثة للقوات البحرية.
- البعد الاقتصادي للبحرية الروسية، الذي يظهر في الحث على تعزيز قدرة البحرية الروسية

<sup>29</sup> Kaplan, M., The life and death of the cold war, Power craft. Selected studies. 1976, P 272.

<sup>30</sup> حامد ربيع، الحوار العربي - الأوروبي واستراتيجية التعامل مع الدول الكبرى. بيروت: بدون دار النشر، 1980، ص 53.

<sup>31</sup> Maritime Doctrine of The Russian Federation, Decree of the President of the Russian Federation, No. 512 of July 31, 2022.



في مسعاها الرامي للوصول إلى موارد المحيطات العالمية وطرق الشحن البحري ذات الأهمية الحيوية، مؤكدة الوثيقة على أولوية الحفاظ على الاستعداد العسكري الروسي في مياه طريق البحر الشمالي، وكذا لضمان وجود بحري روسي دائم في البحر الأبيض المتوسط، فضلا عن مواصلة تطوير أنظمة خطوط الأنابيب البحرية، واستثمارات إضافية في برامج البحوث البحرية.

بناء على ما سبق، أوضحت "منافسات قوة البحر" محركا لكبرى الصراعات الدولية الحديثة، وما يشهده فضاء حوض المتوسط في أقاليمه العديدة أبرز مثال على ذلك (الأزمة السورية، الأزمة الليبية، الحرب الروسية الأوكرانية)، نظرا لتجدد اللعبة الدولية الكبرى وسعي القوى الدولية الراهنة لإعادة هيكلة ترابعية القوة العالمية - اتجاه التعددية الدولية -، ولعل أولى بوادر رهان العودة الروسية إلى لعبة القوة -الجيوبوليتيك المتجددة من مدخل السيطرة البحرية يكمن في: أولاً: ضم جزيرة القرم 2014م والوصول للبحر الأسود، وثانياً- التدخل في سوريا وتثبيت التواجد الروسي على الضفة الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط باستئجار قاعدة طرطوس البحرية، فضلا عما يمثله "ميناء غوادر" الذي شيدته الصين غرب باكستان والمحاذي لمضيق هرمز، والذي يعكس نوعا من بسط نفوذ صيني - روسي مشترك يمتد من البلطيق إلى المتوسط وصولا إلى الهادي، المسألة التي تجعل من المنطقة الممتدة من "بحر الصين الجنوبي والبحر المتوسط" منطقة إسقاطات استراتيجيات منافسات الهيمنة بين القوى الكبرى الثلاث (الصين، روسيا وأمريكا)، ليتأكد المسعى الاستراتيجي المتوسطي الروسي مع التدخل الروسي العسكري في أوكرانيا 2022م.

ويأتي التوسع الجيوسياسي الروسي الأوراسي في أقاليم منطقة حوض المتوسط من باب معادلة استراتيجية مفادها أن القوة القارية قائمة على أن المجال الحيوي الكبير شديد الأهمية وأن المورد الحيوي الاستراتيجي الناضب ذو الأولوية الكبرى<sup>32</sup>، وعليه يكون الطرح الجيوبوليتيكي الروسي وفي ظل الرؤية البحرية الجديدة مبني على أولويات هي:

- تطوير الاتحاد الروسي كقوة بحرية عظمى وتعزيز مكانتها بين القوى البحرية الرائدة في البحرية العالمية، وضمان وصولها لما تحويه هذه المحيطات من موارد حيوية.
- تجسيد المجال الحيوي الأوراسي الكبير - يشمل منافذ بحرية من المتوسط-، مع ضمان زيادة فعالية حماية حدود الاتحاد الأوراسي في البحر بما يتطلبه الأمر من رفع القدرات العملية البحرية.
- زيادة تنافسية النقل البحري الروسي وكسب لعبة الطاقة الدولية، ورهان أنابيب إمداد الطاقة في أوراسيا وفي أقاليم منطقة البحر المتوسط "الغاز الطبيعي في شرق المتوسط".
- بالنسبة تُدرك روسيا أنه لا يمكن تجسيد طموح الاتحاد الأوراسي الكبير إلا بتأمين قوة بحرية، بالشكل الذي يؤهلها للنفوذ للمحيطات العالمية كمراكز جيواستراتيجية تُحقق لها متطلبات الدفاع

<sup>32</sup> هيفرنان ميشيل، نهاية قرن أم نهاية العالم؟ في أصول الجيوبوليتيكا الأوروبية. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010، ص 9 - 10.



من جهة، وإمكانية كسب منافسات البحر والطاقة ومشاريع نقلها من جهة أخرى، بما يعزز من إمكانات سيطرة القوة القارية عالمياً وتعزيز مصداقيتها على المستوى الدولي.

## ثانياً- الطرح الجيوبوليتيكي البحري: الرؤية الأمريكية في البحر المتوسط

يقوم التوجه الجيوبوليتيكي الأمريكي الأوراسي على أولوية استراتيجية مفادها السيطرة على كل المحاور الجيوسياسية البحرية بما يضمن كسب اللعبة الكبرى المتجددة، والتي تُعتبر منطقة المتوسط أبرز محاورها البحرية الحيوية موقِعاً ومورداً حيوياً وتجارةً.

### 1. التاريخ الاستراتيجي الأمريكي في البحر المتوسط

يرجع النفوذ الأمريكي في المتوسط لأواخر القرن الثامن عشر، تحت حجة حماية طريق التجارة الدولية من عمليات القرصنة التي تُهدد السفن الأمريكية المحملة بالأفيون في ظل منافسة بحرية تجارية بريطانية - أمريكية،<sup>33</sup> واعتمدت أمريكا آنذاك استراتيجية بحرية في المتوسط تقوم على أولاً: إرسال أسطول بحري عسكري إلى المتوسط لحماية السفن التجارية الأمريكية، ثانياً المعاهدات العسكرية في حوض المتوسط "تونس، طرابلس الغرب (ليبيا)، طنجة"<sup>34</sup>، وثالثاً إرسال البعثات التبشيرية الدينية - الثقافية والمساعدات المالية في إطارها الثقافي.<sup>35</sup>

ومع توسع النشاط البحري الأمريكي في المتوسط تم تبني قرار تشكيل الأسطول الأمريكي العسكري المتوسطي عام 1820م عرف بالأسطول السادس<sup>36</sup>، ليضحي ذو نشاط حربي ذو تماس مباشر مع مسرح العمليات في منطقة الشرق الأوسط، ليُدرج لاحقاً ضمن قوات حلف الناتو بالشكل الذي خلق منافسة بحرية دولية في ظل المسعى الروسي المتوسطي والصيني مع مساعي إقليمية لدخول هذه المنافسة.

أظهرت الجغرافية السياسية العالمية منذ بداية الحرب الباردة، أمريكا بمركز القوة البحرية المنافسة للقوة القارية في لعبة الإدارة الاستراتيجية للسيادة العالمية، وبداية الانخراط الأمريكي في عمق الجزيرة العالمية: أوراسيا المستندة للقوة البحرية وتأرجح الجيواستراتيجية الأمريكية بين (ألفريد ماهان 1840 - 1914) (Alfred. T. Mahan) القائل بـ "التفوق الأمريكي المطلق في كل مجالات الدفاع لاسيما المجالين البحري والصاروخي" و (نيكولاس سبيكمان 1893 - 1943) الذي أشار إلى حافة الأرض "الريملاند" التي من وجهة نظره مفتاح السياسة العالمية وأعظم أهمية من القلب عند ماكيندر، من حيث أن "السيطرة الاستراتيجية في محيط الجزيرة العالمية على كل الدول بوصفها خطيرة أو مناهضة للقوة الأمريكية"، واستغلال البحر كخطوط حركة أساسية للتجارة والحرب.

<sup>33</sup> يحيى حاج علي، الاستراتيجية الأمريكية في الوطن العربي، تم التصفح 22/12/2022، على الساعة 22:30، يُنظر الموقع الآتي: [www.azazcu/tur.org/home/modules.php?article&sid=2](http://www.azazcu/tur.org/home/modules.php?article&sid=2)

<sup>34</sup> محمد ناصر، جوهر التدخل الأمريكي في العالم الإسلامي، مجلة أفلام ثقافية، تم التصفح 2023/01/02، على 21:00 سا أنظر الرابط التالي: [www.aklaam.net/aqlam/prit.php?id=2311](http://www.aklaam.net/aqlam/prit.php?id=2311)

<sup>35</sup> أحمد الحضرمي، تطور الاستراتيجية الأمريكية نحو العالمية، تم التصفح 2022/12/19، على 18:55 سا، أنظر الرابط التالي: [www.sabanews.net/ar/news/44083.htm](http://www.sabanews.net/ar/news/44083.htm)

<sup>36</sup> عادل موسى، الشرق الأوسط من نابليون إلى أنابوليس، تم التصفح 2023/01/10، على 23:20 سا، ينظر الموقع التالي: [www.aaramnews.com/website/23110newsArticls.htm](http://www.aaramnews.com/website/23110newsArticls.htm)

أكد ماهان منذ عام 1892م على أهمية حوض المتوسط بأقاليمه الجيوسياسية بقوله: "إن الظروف أرادت البحر الأبيض المتوسط أن يلعب دورا هاما من الناحية التجارية والعسكرية في تاريخ العالم أكثر من أي منفذ مائي آخر يتمتع بالحجم نفسه، فهو يُعتبر نقطة التقاء بين أوروبا وأفريقيا وآسيا ويحتوي على أهم المضائق والمناذ المائية في العالم"<sup>37</sup>، كما أشار مفهوم القدرة البحرية على أساس مبدأ حرية التجارة البحرية لتحقيق الهيمنة السياسية الأمريكية على المتوسط، لا سيما في ظل لعب المتوسط دور الممر الاستراتيجي المائي للتجارة من الأطلسي باتجاه السوق الدولية، وكذا معبرا حيويا للطاقة من الشرق الأوسط وبحر قزوين باتجاه أمريكا، وفي إطار سياسة تأمين موارد طاقة متنوعة المصادر فإن مهمة أمن نظام تجاري يخدم المصالح الأمريكية في عالم يزداد تعقيداً قائم على تأمين مصالح واشنطن المتوسطية.<sup>38</sup>

أسس سبيكمان تحليله الجيوبوليتيكي الرامي إلى تحقيق أمريكا السيطرة العالمية على مقاربة جغرافية علاقات القوة القائمة على المتغير المهيمن في تفاعلات السياسة الدولية وهي الجغرافية العسكرية - "Géopower Politics" حيث ركز تحليله الجيواستراتيجي على التزاوج بين متغري القوة والجغرافيا في دراسة العلاقات الخارجية الأمريكية مع مراكز القوة في السياسة الدولية على ضوء نظام دولي فوضوي، المسألة التي تضع واشنطن أمام تحد منع قيام أي تحالف استراتيجي بين القوى ما وراء الأطلسية وما وراء المحيط الهادي بالشكل الذي يُهدد طموحات الهيمنة الأمريكية. يُعتبر حوض المتوسط معبراً بحريا لحوالي 1/3 من الإنتاج العالمي للطاقة وممرا حيويا للملاحة المدنية والعسكرية، وعليه فإن قيام القوة العسكرية بمهمة أساسية تتمثل في تأمين الشروط الأفضل لإقامة الحضارة التجارية الكونية تُمثل أولوية حيوية في استراتيجية السيطرة الأمريكية، ومطلبا حيويا ضمن متطلبات طموحها الجيوبوليتيكي المتوسطي كإقليم جزئي من الأقاليم الفرعية الجيواستراتيجية الأوراسية مكمنا إسقاطات منافسات القوة للهيمنة العالمية.<sup>39</sup>

تمحور تحليله الجيواستراتيجي حول النطاق الساحلي أو ما يُعرف بـ "الريميلاند" Rimland، وقد صاغ قانونه الجيوبوليتيكي على النحو الآتي:

«من يُسيطر على النطاق الساحلي يُسيطر على أوراسيا، ومن يُسيطر على أوراسيا يقبض على مصير العالم بيديه».

دعا سبيكمان صناعات الاستراتيجية الأمريكية إلى أولوية إحكام السيطرة البحرية على المحيطين الأطلسي والهادي، وإلى إقامة قواعد عسكرية في النطاق الساحلي حول القوة القارية وتطويرها بالجزر المقابلة، بالموازاة مع إنشاء أحلاف داخل النطاق الساحلي للقضاء على أي قوة خارجية محتملة أو تُهيمن عليه<sup>40</sup>، كما طرح مفهوم "المحيط المتوسط" الذي يتوافق مع جيوسياسية حوض المتوسط ويعكس التصور الجيوبوليتيكي لفضاء جغرافي سياسي يُمكن تسميته بـ "القارة الأطلسية" مرتبطة

<sup>37</sup> الحاج علي، سياسات دول الاتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص.

<sup>38</sup> Chautard Sophie, L'indispensable de la Géopolitique. Franc, Groupe Studyrama, (--), PP24-25.

<sup>39</sup> ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 67 - 95.

<sup>40</sup> Chautard Sophie, Op. Cit, PP 27-28.

بوحدة ثقافية ذات مصدر أوروبي غربي، وبأيديولوجية ليبرالية - رأسمالية ديمقراطية وبوحدة المصير السياسي والاثني التقني، تُجسد أمريكا عقلها المُدبر ومركزها العصبي وآلية قوتها ومجمعها التجاري والحربي - الصناعي، وتُصبح أوروبا الملحق التفكيري لأمريكا وبصورة تدريجية تتقلص سيادتها السياسية خدمة للمصالح الإستراتيجية الجيوبوليتيكية لصالح المركز، ليكون بذلك سبيكمان سباقاً إلى بناء العمليات العسكرية العظمى للسيطرة الأمريكية العالمية من خلال إبراز دور بناء كيان عسكري- الحلف الأطلسي.

وفي سياق التصدي لرهانات الهيمنة القارية على الجزيرة العالمية، عمدت الولايات المتحدة لتبني استراتيجية بحرية مضمونها محاصرة الأراضي المعادية من البحر وعبر الخطوط الساحلية من بينها منطقة المتوسط، المسألة التي تُفضي إلى إفشال التحالف الروسي-الألماني أو الروسي ودول ضفة شمال أفريقيا (الدولة المفتحة استراتيجيا على المناطق الحيوية البحرية) الذي من شأنه أن يضع أوروبا موضع ساحة حرب "الجسر الديمقراطي لأمريكا الأطلسية باتجاه المجال الجيواستراتيجي الأوراسي"، من جهة أخرى احتواء المطامع الصينية كقوة كبرى صاعدة بمطالب تعديلية وطموحات جيوبوليتيكية منبعثة في المجال المتوسطي باعتباره سوقا تجاريا حيويا واسعا في المدرك الاستراتيجي التجاري الصيني<sup>41</sup>.

## 2. مراكز الرؤية الأمريكية اتجاه البحر المتوسط

عقب انهيار الاتحاد السوفيتي أولت الاستراتيجية البحرية الأمريكية أهمية كبيرة لحوض المتوسط لاسيما الإقليم الشرقي للمتوسط، باعتباره أقرب المجالات الحيوية لأقاليم البلقان، الشرق الأوسط وآسيا الوسطى - قزوين، المسألة التي دفعت بأمريكا لإقرار مفهوم "المجال المتوسطي الموسع"<sup>42</sup>، ولقد سعت الاستراتيجية البحرية الأمريكية في المتوسط خلال هذه الفترة إلى تحقيق 3 أهداف رئيسية وهي:

- بناء قوة متوسطة دون وضع استراتيجي واضح، إلا أنه مانع لبروز قوة بحرية منافسة في المتوسط.

- مراقبة المجال البحري لحوض المتوسط كفضاء جيواستراتيجي هام وحيوي، ومعبر استراتيجي للتجارة وضمن إمدادات الطاقة من جهة ومعبر رئيسي لتحرك القوات الأمريكية نحو بؤر التوتر ومصادر التهديد - وفق رؤية المصلحة الأمريكية -.

- تأمين أمن إسرائيل الذي يمتد مجالها الاستراتيجي من الخليج شرقاً إلى غرب المتوسط غرباً.

تعد اليوم الولايات المتحدة الأمريكية قوة بحرية عظمى، غير أنها تواجه تجدد طموح بحري لعدو تقليدي دولي بقوة هائلة أي روسيا الاتحادية بنشاط عسكري على المستوى العالمي، وبالرغم من صعوبة تحديد مدى عظمة هذه القوة إلا أن الدلائل تُشير أكيداً إلى تزايدها وتوسعها واستعدادها

<sup>41</sup> الحديثي عباس، نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2004، ص 16 - 18.

<sup>42</sup> Stephan Larabee and others, «NATO's Mediterranean Initiative: Policy issues and Dilemmas», RAND corporation, 1999.

الدائم لمواجهة بحرية في حرب محدودة - حسب مفهوم الحرب المحدودة في العقيدة الاستراتيجية الروسية -، غير أن المؤكد أن القوة البحرية تُشكل عامل قوة مهم جداً في لعب روسيا أدواراً دولية وفي تحديد المنافسة البحرية حالياً وفي المستقبل.

إن التصور البحري الأمريكي مرهون بتحقيق أمريكا التكامل الاستراتيجي البحري على صعيد الجيوسياسية العالمية كمرحلة أولى، ولعب الدور القيادي في العلاقات الاقتصادية والثقافية لمواجهة التحدي الذي تفرضه القوى القارية الأوراسية (روسيا، الصين) وما يُلزمه من الطموحات البحرية الألمانية، ولعل تعقيد مسألة الأزمة السورية سابقاً راجع لحيويتها في استراتيجية السيطرة البحرية الروسية كمحور جيواستراتيجيا بحري مهم في حوض المتوسط الممر المائي الثالث البالغ الأهمية في لعبة السيطرة الأوراسية، ما يُعتبر رهانا حساسا في المدرك الاستراتيجي الأمريكي "تحقيق طموح السيطرة الأطلسية المتوسطة"، التي تُترجمها سياسة انتشار الأساطيل البحرية الأمريكية تحت المظلة الأطلسية أبرزها الأسطول السادس في منطقة المتوسط وأبرز قواعده في اسبانيا وإيطاليا، بالشكل الذي يُمكن واشنطن من السيطرة على مداخل المتوسط خاصة مضيق جبل طارق وقناة السويس مع ضغط سياسي مستمر على دول المنطقة المتوسطة، ومنح الأسطول القدرة على التحرك تجاه أي منطقة في المتوسط (المنطقة الغاربية، المنطقة العربية، المنطقة الأورومغاربية).

تقوم الاستراتيجية البحرية الأمريكية في حوض المتوسط على المبادئ التالية - على سبيل الذكر لا الحصر:-

- تعزيز عمليات المراقبة الدائمة للممرات البحرية الحيوية في جيوسياسية حوض المتوسط.
- الرفع من القدرات الاستطلاعية والهجومية الأمريكية من خلال تأمين شبكة قواعد عسكرية تمهيداً للهيمنة المستقبلية على حوض المتوسط.
- مضاعفة النشاط البحري الأمريكي في المتوسط تجارياً وعسكرياً باستخدام القواعد البحرية وسفن التعبئة البحرية.
- استخدام الجسور البحرية للاقتراب والتمركز قرب مناطق الاضطراب المحتملة - التي تُترجم المصلحة الأمريكية.
- المنافسة على مشاريع التنقيب وإمداد الطاقة الدولية، لا سيما في الإقليم الشرقي للمتوسط.
- الضغط على روسيا ومحاولة تضيق الحصار الجيوسياسي عليها، لا سيما على ضوء التفاعلات الروسية الجيواستراتيجية الدولية الراهنة.
- السعي لمنع الصين من دخول لعبة المنافسة الدولية البحرية الاستراتيجية في حوض المتوسط.

ويمكن حصر الرهانات الجيواستراتيجية الأمريكية البحرية في حوض المتوسط في 3 أبعاد هي:

1. ارتباط الاهتمام الأمني الأمريكي بالمتوسط كمنفذ بحري مكن التحديات والتهديدات للأمن الأوروبي.

2. المتوسط كمعبر استراتيجي لضمان استقرار منطقة الشرق الأوسط، أحد أهم الدوائر الأمنية للأمن القومي الأمريكي.

3. إيجاد موقع لأمريكا ضمن الترتيبات الأمنية في المتوسط من خلال تبني عديد المبادرات التي تُترجم أهمية الحوض في الاستراتيجية البحرية الأمريكية.

بالنتيجة يُشكل المتوسط مجالاً بحرياً هاماً للإدارة الأمريكية، ويعكس ذلك استمرارية الاهتمام الاستراتيجي بالمتوسط وفق مبدأ التموقع الأمريكي المدروس، في ظل المواجهة بين البعدين العسكري والاقتصادي سعياً لكسب منافسات القوة البحرية، وهو ما يُلاحظ من خلال الانتشار الأمريكي في شرق المتوسط ومحاولة النفاذ للمحيط الهندي - قبرص ومحاولة منع التوسع البحري الروسي -، رغم ذلك من الصعب جدا التنبؤ بالتحول الأمريكي من التهديد بالقوة إلى استخدامها الفعلي في حوض المتوسط.

### المحور الثالث- شرق المتوسط: المجال الحيوي الأبرز لإسقاطات منافسات القوة والموارد

أضحى إقليم شرق المتوسط أبرز أقاليم المتوسط الحاضرة بقوة على الأجندة الدولية الراهنة، ففي ظل أهميته الجيواستراتيجية تنامت أهميته الطاقوية بحكم معادلة الطاقة الجديدة التي لعبت دوراً في تأجيج الصراعات الكامنة ورفعت من مستوى التنافس الدولي، لا سيما في ظل التحالفات الإقليمية التي تزيد الاستقطاب في المنطقة والتي ساهمت في تصعيد التوترات في الإقليم، المسألة التي تجعل من إيجاد قاسم مشترك موحد وإعادة صياغة نظام إقليمي في هذه البيئة المستقطبة بشكل دائم التحدي الأكثر تعقيداً في إقليم شرق المتوسط.

يضم الحوض الشرقي للمتوسط كنسق إقليمي فرعي متميز، دول المتوسط الواقعة شرق خط الطول 20° “تركيا، اليونان، قبرص، مصر، سورية، إسرائيل ولبنان وفلسطين وشمال شرق ليبيا”<sup>43</sup>. تبرز الأهمية الاستراتيجية للإقليم في ضمه لأهم الممرات البحرية في الجيوسياسية العالمية متمثلةً في مضيقي البوسفور والدردنيل اللذان يصلان بين البحر المتوسط والبحر الأسود، وقناة السويس التي تربط شرق المتوسط بالبحر الأحمر وطرق التجارة الدولية إلى المحيط الهندي، بالشكل الذي يجعل 30% من إجمالي التجارة البحرية العالمية تمر عبر الإقليم و25% من تجارة النفط<sup>44</sup> في ظل طبيعة الإقليم التي تسمح باستخدام كافة أنواع السفن “العسكرية والتجارية” دون إغفال ميزة الموانئ.

#### 1. الإدارة الاستراتيجية للمصالح الروسية في شرق المتوسط

تتمحور المصالح الاستراتيجية الروسية في إقليم شرق المتوسط حول مسألتين حساستين جداً، تعكسان الغاية من تطوير العقيدة الاستراتيجية البحرية ومسعى فرض نظام دولي تعددي، حيث أن

<sup>43</sup> Tziampiris, Aristotle, The New Eastern Mediterranean: Theory, Politics and States in a Volatile Era, Springer, 2019, PP 23 - 26.

<sup>44</sup> إيمان زهران، تركيا وعسكرة التفاعلات في شرق المتوسط، السياسة الدولية، العدد 219، المجلد 55، 2020، ص 164.

ضمان التواجد الجيواستراتيجي بالمتوسط يحتل الأولوية ضمن أجندة الأمن القومي الروسي تجسيداََ لطموح الهيمنة الدولي، وتمثل هاتين المسألتين في:

### أولاً- تأمين وجود عسكري بحري دائم في شرق المتوسط:

تنامى التواجد الروسي البحري في حوض المتوسط الشرقي تدريجيا منذ عام 2007م، وهو أمر راجع لسببين أساسيين هما: تخفيض الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط مقارنة بفترة إبان الحرب الباردة، ودعوة النظام السوري روسيا للتدخل العسكري عام 2015م، الأمر الذي مكن روسيا من انتهاز الفرصة وترسيخ تواجدها العسكري البحري الدائم في شرق المتوسط "قاعدة طرطوس البحرية"<sup>45</sup>، حيث تمتلك روسيا قافلة سفن "Flotilla 29" وسرب العمليات الخامس وكذا قواتها العسكرية في قاعدتي "طرطوس البحرية وحميم الجوية" اللتان أضحتا بمثابة نقاط ارتكاز للانتشار العسكري الروسي بالإقليم.<sup>46</sup>

تمكنت روسيا بذلك من كسب تحدي استراتيجي بالغ الأهمية المتمثل في: أولاً حرية الوصول للبحر المتوسط عبر المرور بمضيق البوسفور والدردنيل من جهة، وثانياً القدرة على لعب دور هام جدا في خضم التفاعلات المرتبطة باكتشافات الغاز في شرق المتوسط "الاشتراك في أنشطة التنقيب"، وثالثاً خلق مشروع للتواجد العسكري البحري الروسي بمهام دورية للدفاع عن منصات الغاز. وكلها عوامل ساهمت في إنجاح استراتيجية روسيا في شرق المتوسط تحت مُسمى "الضم البحري الزاحف" "Grawling Maritime Annexation" التي تتكون من ثلاثة مراحل<sup>47</sup>:

- المرحلة الأولى: ترافق خلالها السفن البحرية الروسية منصة الحفر في المياه الاقتصادية الخالصة للدولة التي أصدرت التصريح.
- المرحلة الثانية: جعل التواجد الروسي البحري دائماً في حال بروز تهديد ما لأمن المنصة بصورة مفاجئة.
- المرحلة الثالثة: تبدأ مع مباشرة عملية استخراج الغاز، أي تُصبح الدولة المضيفة معتمدة على الشركات الروسية في إمداد إنتاج الغاز بهدف تأمين حمايته.

### ثانياً: الدور الاستثماري لشركات الطاقة الروسية في شرق المتوسط

تسعى روسيا الاتحادية في خضم لعبة الطاقة بإقليم شرق المتوسط لكسب رهان الهيمنة الروسية على مشاريع إمداد السوق الدولية بمورد الغاز الاستراتيجي الحيوي، حيث تُصدر روسيا ما يُقارب 200 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي كل سنة لأوروبا، ورغم أنّ احتياطي الغاز المكتشف في شرق المتوسط لا يُمثل تهديداً خطيراً للهيمنة الروسية على سوق الغاز الأوروبية، إلا أنّها تسعى لمنع

<sup>45</sup> Krhovska', Hana, Conflict Resolution in the disputes over Resources in the Eastern Mediterranean: The Case of Israel and Lebanon, Master's Thesis, Masaryk University, Faculty of Social Studies, Political Science Department, 2014, P 52 - 53

<sup>46</sup> Rubin Aviad & Ehad Eiran, Op. Cit, P 08.

<sup>47</sup> Rettig, Elai, Semion Polinov and Shaul Chorevl, "What does Russia want with Lebanon's gas fields?", Jerusalem Post, Accessible in 22/2/2022, 2020: <https://bit.ly/3Bwbeml>

بروز أي تهديد مفاجئ - وإن كان محدوداً - على مسألة هيمنتها على سوق الطاقة الأوروبي، باعتبارها مسألة ذات أولوية حساسة جداً ورئيسية في استراتيجية الأمن القومي الروسي كقوة عظمى طاقوياً، بالشكل الذي يفرض عليها ولتأمين ميزة التفوق الاقتصادي هذه بالمدخل الطاقوي منع صعود أي قوة منافسة في هذا المجال<sup>48</sup>.

وفي سبيل مواجهة هذه التحديات وكسب أي منافسة طاقوية محتملة أو قائمة في إقليم شرق المتوسط، عمدت روسيا لتبني سياستين في آن واحد وهما:

السياسة الأولى: أولوية المشاركة في مشاريع الطاقة بالإقليم من خلال شركاتها الاستثمارية، والتحكم في عمليات شراء وتسويق مورد الغاز، بالشكل الذي يضمن لها المشاركة في عملية الإنتاج، بما يُحقق لها أرباحاً اقتصادية<sup>49</sup>، وقد نجحت في تجسيد ذلك، وهو ما يظهر في:

- توقيع شركة Soyuzneftegaz الروسية اتفاقية مع النظام السوري في 2013/09/20م تمنح بموجبها للشركة حق التنقيب في المنطقة الاقتصادية الخالصة السورية، لمدة 25 سنة في مساحة تبلغ نحو 850 ميلاً بحرياً<sup>50</sup>، ليتم في سنة 2019م توقيع اتفاقية جديدة تمنح روسيا الحق الكامل في التطوير والإنتاج في قطاعي النفط والغاز السوري، الأمر الذي فتح المجال أمام سيطرة روسيا الفعلية والكاملة من خلال إعادة بناء المنشآت النفطية والبنية التحتية.

- تنشيط شركة Neftek الروسية ضمن كونسورتيوم شركات يضم شركتي إيني الإيطالية وتوتال الفرنسية، في لبنان منذ عام 2013م في عمليات التنقيب بالمنطقة الاقتصادية الخالصة اللبنانية<sup>51</sup>.

- تمكن شركة روسنفت الروسية في ديسمبر 2016 من امتياز شروق لحقل ظهر بحصة 30%". السياسة الثانية: منع تنفيذ أي مشروع من مشاريع إمداد الغاز من شرق المتوسط دون أن تكون روسيا طرفاً فيه "منع مشروع الغاز القطري والانحياز لقبرص ضد تركيا".

## 2. الإدارة الاستراتيجية الأمريكية في شرق المتوسط

تُترجم المصالح الحيوية في دخول أمريكا لعبة صراع القوة والموارد في شرق المتوسط من خلال:

- حماية استثمارات الشركات الأمريكية حيث تمكنت شركة نوبل انبرجي وحدها من الحصول على حصة 39.66% من حقل ليفاينان و36% من حقل تمار و30% من حقل أفروديت القبرصي.

- تقليل الاعتماد الأوروبي على الغاز الروسي حيث تُشير الدراسات إلى أن أمريكا قد تضحى من أكبر مصدري الغاز عالمياً، وعليه اهتمامها بغاز شرق المتوسط ليس بغرض استهلاكها وإنما

<sup>48</sup> Ibid,2020.

<sup>49</sup> Krhovska, Op. Cit, 2014, P 40.

<sup>50</sup> Karagiannis, Emmanuel, The Emerging Gas Region of the Eastern Mediterranean, FIACSI-ISA Joint International Conference, Buenos Aires, Global and Regional Powers in a Changing World, 2014,P06.

<sup>51</sup> ألكسندر نيدرمر، جيوسياسية الطاقة وظهور نظام إقليمي فرعي جديد، الملف المصري: غاز شرق المتوسط "أنماط الصراع وفرض التعاون الإقليمي"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 65، 2020، ص 06.



لغرض خفض الاعتماد الأوروبي على الغاز الروسي، وهي تُدفع باتجاه تصدير الغاز من مصدره إلى الاتحاد الأوروبي مباشرة<sup>52</sup>.

- دعم الحلفاء بالمنطقة: حيث تسعى لخلق تجمعاً إقليمياً من دول منتجة للغاز وأخرى لعبور صادراته للدول الأوروبية بما يضمن المصلحة الأمريكية بالإقليم "مصر، إسرائيل، اليونان، تركيا".

وفي سياق ذلك، شجعت أمريكا تصدير الغاز الإسرائيلي إلى الأردن وتوقيع الدولتين اتفاقية عام 2014م تقضي بشراء الثانية الغاز من الأولى لمدة 15 سنة، فضلا عن الإشراف على تقريب العلاقات التركية-الإسرائيلية، فضلا عن مساعي حل المشكلة القبرصية المتجذرة بالشكل الذي يفتح المجال لعدد مشاريع نقل الطاقة، وأهميتهما الجيوسياسية في سياسة التطويق الأمريكي لروسيا، وكذا دعم مندى غاز شرق المتوسط من خلال حضور "Rick Perry وزير الطاقة الأمريكي".

### الخاتمة

ارتبطت كل دراسة بحوض المتوسط بإشكال تحديد سواء كمفهوم أو كمجال جيوسياسي، ومما زاد من تعقيد هذا الإشكال طبيعة التحديات المطروحة على مستواه الجيوسياسي، إذ أنه مفهوم يتمدد ويتقلص حسب إدراكات المصالح الأمنية للفاعلين الرئيسيين في المجال الجغرافي المتوسطي.

لعبت اكتشافات الغاز دورا هاما في تجدد منطق التنافس الجيواستراتيجي بمطامح جيوبوليتيكية بين القوتين القارية والبحرية في أقاليم المتوسط لا سيما الإقليم الشرقي، ومنه عودة منافسات اللعبة الدولية الكبرى الجديدة بمدخل بحري طاقوي أي "اللعبة الطاوية العالمية في البحر"، وهو ما ينم عن إعادة إحياء الاهتمام الدولي بحوض المتوسط وتداعيات منافسات القوة والموارد بإسقاطاتها الجيواستراتيجية على الاستقرار الأمني في حوض المتوسط ككل.

<sup>52</sup> Karagiannis, Op. Cit, 2014, P05 - 06.



# التنافس الروسي - التركي في شرق البحر المتوسط وأثره على مستقبل العلاقات بين البلدين

أ.د. عبدالخالق شامل محمد العيادة \*

م.م. رائد قاسم عمر\*\*

## ملخص

تحاول الدراسة تحليل طبيعة العلاقات الروسية - التركية في إحدى أهم مناطق العالم وهي منطقة شرق البحر المتوسط ذات الأهمية الجيو استراتيجية في مدركات القوى الدولية والإقليمية، تعالج الدراسة مشكلة وهي أن النقص الحاد في موارد الطاقة ولاسيما النفط والغاز الطبيعي الذي تعاني منه تركيا يفرض عليها الاندفاع صوب مناطق تحتوي على هذه الموارد، ولاسيما منطقة شرق البحر المتوسط، الأمر الذي يجعلها تصطدم مع طموحات قوى دولية مثل روسيا الاتحادية وطموحات دول أخرى مطلة على ذات المنطقة، تنطلق الدراسة من افتراض نظري مفاده: أن زيادة الطلب على موارد الطاقة في شرق البحر المتوسط يؤدي إلى تصاعد حدة التنافس الروسي التركي هناك ويزيد من التوترات بين دول المنطقة.

زادت الاكتشافات الهائلة مؤخراً لموارد الطاقة في شرق المتوسط من حالة التنافس الدولي في ميادين وساحات عدة، وبدأت الدول ولاسيما روسيا وتركيا تضع الخطط وتبني استراتيجيات لتحقيق مصالحها على حساب مصالح دول المنطقة، وتطرح الدراسة تصورات ومشاهد مستقبلية للعلاقات الروسية التركية وتدرس العوامل المؤثرة في ذلك، وعلى ما يبدو أن المصالح الحيوية القومية تفرض على الطرفين التغاضي عن المشاكل التي تعترض استمرار العلاقات بينهما.

**الكلمات المفتاحية:** العلاقات الدولية، شرق البحر المتوسط، الطاقة، روسيا، تركيا.

\* أستاذ العلوم السياسية في جامعة كركوك، العراق.

\*\* تدريسي في جامعة كركوك، العراق.

# The Russian-Turkish rivalry in the eastern Mediterranean and its impact on the future of relations between the two countries

Prof. Dr. Abdul Khaliq Shamil

Raed Qasem

## Abstract

The study attempts to analyze the nature of the relations between Russia and Turkey, in one of the most important regions of the world, the eastern Mediterranean, which is of geostrategic importance in the perceptions of international and regional powers, The study addresses a problem, that is that the severe shortage of energy resources, especially oil and natural gas, that Turkey suffers from forces it to rush towards areas that contain these resources, Especially the eastern Mediterranean region, which makes it clash with the ambitions of international powers such as the Russian Federation and the ambitions of other countries bordering the same region, The study is based on a theoretical assumption that the increased demand for energy resources in the eastern Mediterranean leads to an escalation of Russian-Turkish competition there and increases tensions between the countries of the region.

The massive discoveries of energy resources in the eastern Mediterranean have recently increased the state of international competition in several fields and arenas, and countries, especially Russia and Turkey, have begun to develop plans and adopt strategies to achieve their interests at the expense of the interests of the countries of the region, The study presents future visions and scenes of Russian-Turkish relations and studies the factors influencing this, It seems that the vital national interests require the two sides to overlook the problems that hinder the continuation of relations between them.

**Keywords:** international relations, eastern Mediterranean, energy, Russia, Turkey.

## مقدمة

تتصف العلاقات الروسية التركية بالأهمية والتعقيد في ذات الوقت، إذ تخلل تاريخ هذه العلاقات تحولات وتغيرات ومسارات معقدة ومتشعبة للغاية كان للتنافس والصراع والحرب الحظ الأوفر منها على حساب التعاون والتفاهم والمصالح المشتركة. وتُعد منطقة شرق البحر المتوسط واحدة من أبرز مناطق التنافس والصراع الإقليمي والدولي في العالم، وتحديداً التنافس الروسي التركي، لما لهذه المنطقة من مكانة جيوسياسية وأهمية جيو اقتصادية في مدركات الدولتين، إذ تضم كميات هائلة من موارد الطاقة "الغاز والنفط" التي تمثل مصدر هذا التنافس والصراع بينهما، فضلاً عن قضايا الاقتصاد والأمن في منطقة شرق البحر المتوسط.

وقد مثلت التحولات التي شهدتها روسيا وتركيا سواء أكانت على مستوى القيادات بعد 2002، أو على مستوى التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة العربية بعد 2011، إذ فتحت المجال للتواجد الفعلي الروسي والتركي في المنطقة، فضلاً عن القومات الجيوسياسية والتاريخية والإثنية والدينية المتوافرة للدولتين في منطقة شرق البحر المتوسط، إذ تعمل الدولتان على توظيف هذه المعطيات لفرض نفوذها على المنطقة الذي سيوفر لها فرصة لعب دور مهم في عملية تغيير معادلة التوازن الإقليمية والدولية.

## إشكالية البحث

يحاول البحث معالجة الإشكالية التي تتمثل بأن ما تحويه منطقة شرق المتوسط من موارد الطاقة جعل القوى الإقليمية والدولية تتسابق لفرض هيمنتها على هذه المنطقة، وعلى الرغم من امتلاك تركيا موقعاً حيويًا يجعلها جسراً لعبور موارد الطاقة العالمية، إلا أنها في نفس الوقت تعاني من نقص حاد في موارد الطاقة، الأمر الذي يفرض عليها الاندفاع صوب منطقة شرق المتوسط لتأمين هذا النقص، وهذا يجعلها تصطدم مع الطموحات الروسية هناك مما يدفع البلدين للدخول في حالة من التنافس للحصول على هذه الموارد وفرض النفوذ في المنطقة.

## فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أنه ثمة علاقة طردية بين زيادة الطلب على موارد الطاقة في شرق البحر المتوسط وبين تصاعد حدة التنافس الروسي التركي هناك، أي أنه كلما ازداد الطلب على موارد الطاقة كلما ازدادت حدة التنافس الروسي التركي صوب المتوسط، كلما اندفع البلدان لفرض وجودهما في المنطقة.

## المطلب الأول: الأهمية الاستراتيجية لشرق البحر المتوسط في المدرك الروسي- التركي

يُعد حوض البحر الأبيض المتوسط من أهم المواقع الجيو استراتيجية في العالم، وتكمن أهميته في بنيته الجيوبوليتيكية، إذ يربط بين القارات الثلاثة آسيا وأوروبا وإفريقيا، ويمتاز بكثرة الدول المطلّة على شواطئه، يبلغ طوله حوالي 334 ميلاً بحرياً وعرضه 814 ميلاً بحرياً ويبلغ أقصى عمق فيه 5150

م تقريباً<sup>1</sup>، يتصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي غرباً عبر مضيق جبل طارق وشرقاً عبر قناة السويس ليتصل بالبحر الأحمر الذي يتصل بدوره عند مضيق باب المندب بالمحيط الهندي، يصل مضيق الدردنيل والبسفور حوض المتوسط بكل من البحر الأسود وبحر مرمرة، فضلاً عن مضيق صقلية الذي يربط حوض شرق البحر الأبيض المتوسط<sup>2</sup>.

كما أن أهمية البحر المتوسط الحضارية تنأت من أهمية الحضارات العالمية العريقة التي مرت به، بالإضافة إلى ذلك تجمعت فيه العديد من الديانات السماوية والثقافات الاجتماعية والقوميات واللغات واللسانيات التي أنشأت وترعرعت على ضفافه.

ويكتسب البحر الأبيض المتوسط فضلاً عن الأهمية الجغرافية أهمية اقتصادية لما يحتويه من موارد الطاقة " النفط والغاز" التي تمثل عصب الحياة بالنسبة للدول الصناعية في العالم، إذ يمر عن طريقه قرابة 30% من الغاز و 50% من نفط الشرق الأوسط إلى الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن كونه الشريان الحيوي للتجارة العالمية، ويمثل المعبر الرئيس للسفن التجارية العالمية وحاملات النفط وأنابيب الغاز، وزاد في أهميته كثرة الموانئ والمرافئ والمرافق المنتشرة على سواحله والتي تشكل مركزاً هاماً للتبادل التجاري والاقتصادي بين دول العالم<sup>3</sup>.

ويحظى محور البحر المتوسط باهتمام مشترك من قبل روسيا الاتحادية وتركيا، إذ يعد هذا البحر من أكثر البحار التي شهدت تغيرات جذرية بعد الحرب الباردة<sup>4</sup> وتعد المضائق التركية هي البوابة التي تنطلق منها القوة العسكرية صوب شرق البحر المتوسط، كما تعد بمثابة حلقة وصل للاستيلاء على أسواق الطاقة في جنوب شرق أوروبا والى قلب الاتحاد الأوروبي، وقد انتهزت موسكو تراجع الدور الأمريكي والأوروبي في الشرق الأوسط لسد الفراغ الناتج عن هذه التراجع<sup>5</sup>.

للبحر المتوسط أهمية كبيرة لتعزيز الحضور البحري الروسي الذي يُعد ضرورياً في التأثير على تفاعلات السياسة الدولية، كما ان روسيا تنظر إلى هذه المنطقة من خلال العلاقات الروسية بالشعوب السلافية أو بوصفها حامية للأرثوذكسية في المنطقة، وهي المنطقة المتاخمة لأوروبا الغربية المجاورة لتركيا واليونان، وما يعزز هذا الوضع الاستراتيجي في التأثير على مسألة المضائق التركية من جانب وعلى الجناح الجنوبي لحلف الناتو من جانب آخر، ونتيجة لذلك عدّ الروس منطقة البلقان مجالاً للنفوذ وعمقاً استراتيجياً للأمن القومي الروسي، وفي أحيان أخرى استخدام طريقة الاغراء مثل التنازل عن الجزر في شرق البحر المتوسط والذي من شأنها تحمل تركيا على إعادة النظر ولو بصورة جزئية في تقاربها مع موسكو<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> صونيا ولد معزة، البحر المتوسط: الأهمية السياسية والخصائص الاستراتيجية، أكاديمية العلاقات الدولية، شوهدي في: 2021/9/22 في: File/https://www.//C:/Users/Abd/Desktop/.pdf

<sup>2</sup> إيمان بلقرشي، المقاربات الجيوسياسية في منطقة البحر المتوسط: المجال الحيوي والموارد، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد 1، 2021، ص 395.

<sup>3</sup> مريم رزاق بكرة، أهمية حوض المتوسط غفي العلاقات المتوسطية وأنبيعات النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 3، السنة بلا، ص 153-155.

<sup>5</sup> JOINT DRILLS IN Black sea, mar 09,2019,see in: 24/2/2021 in: https://tinyurl.com/y4n38d6o,

<sup>4</sup> حمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي، ترجمة: محمد جابر ثلجي و طارق عبدالجليلبيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011، ص 309

ازدادت الأهمية الجيو- استراتيجية لمنطقة شرق البحر المتوسط مع الاكتشافات الهائلة للثروات الطبيعية من النفط والغاز الطبيعي فيه، إذ تشير التقارير إلى أن منطقة حوض الشام التي تشمل الأجزاء البحرية لغزة وإسرائيل ولبنان وسوريا وقبرص تحتوي على 3,4 مليار متر مكعب من الغاز القابل للاستخراج و 1,7 مليار برميل من النفط، وفي حوض دلتا النيل قبالة السواحل المصرية تم اكتشاف 6,305 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي غير المكتشف و 7,6 مليار برميل من النفط، لاسيما بعد اكتشاف حقل "ظهر" في المنطقة الاقتصادية لمصر، وحقلي " تمارا و ليفيثيان " في إسرائيل عام 2015<sup>7</sup>، ولهذا حظيت الاكتشافات الهائلة في شرق البحر المتوسط من الغاز الطبيعي والنفط باهتمام العديد من الشركات العالمية ذات الاختصاص ومنها شركة نوبل وإكسون موبيل الأمريكية وتوتال الفرنسية وايني الإيطالية وقطر للبترول DEA الألمانية وغيرها، دون فسخ المجال للشركات التركية والروسية بعد استبعادهما من الانضمام إلى منتدى غاز شرق البحر المتوسط لأسباب سياسية واقتصادية، ينظر الجدول رقم.

وعلى أثر ذلك بدأت العلاقات الروسية التركية تتجه نحو تطور جديد في شرق البحر المتوسط من خلال المشاركة في التنقيب عن النفط والغاز بعد اكتشاف كميات كبيرة منهما في ظل استياء أوروبي وأمريكي، بعد ان طرح وزير الطاقة الروسي الكسندر نوفاك بأن بلاده مستعدة للتعاون مع تركيا للتنقيب شرقي المتوسط خلال الاجتماع السادس عشر للجنة الاقتصادية المشتركة بين روسيا وتركيا والذي عقد في ولاية أنطاليا التركية في تموز 2019، وأكد الوزير الكسندر نوفاك على ان العلاقات بين روسيا وتركيا في تقدم دائم<sup>8</sup>.

<sup>6</sup> مجلة الايكونوميست البريطانية منشور بتاريخ 2019/7/26 على الرابط الالكتروني لموقع ANFNEWS شوهد في 2021/4/4 في :- <https://tinyurl.com/tfkvv9n>

<sup>7</sup> علاء جمعة حسن، التوترات في شرق البحر المتوسط وانعكاساتها على تركيا والمنطقة، شوهد في 2021/8/ 12 في: <https://trendsresearch.org/ar/insight/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A>

## جدول رقم 1 يوضح حجم وحصص الشركات الأجنبية في آبار الغاز والنفط لعدد من دول شرق البحر المتوسط

Country	Gas fields (reserves) and exploratory blocks (year awarded)
Egypt	Producing fields Zohr (30 tcf): Eni 50%*, Rosneft 30%, BP 10%, Mubadala (UAE) 10% West Nile Delta (5 tcf): BP 82.75%*, DEA (Germany) 17.25% Smaller fields: Nour (2 tcf): Eni 40%*, BP 25%, Mubadala 20%; Nooros (2 tcf): Eni 75%*, BP 25%; Atoll (1.5 tcf): BP 100%; Baltim SW (0.7 tcf): Eni 50%*, BP 50%; others too numerous to list
Israel	Producing fields Leviathan (22 tcf): Noble 39.66%* Tamar (10.8 tcf): Noble 36%* Smaller fields: Tanin (1.3 tcf); Karish (1-1.5 tcf); Mari-B (1 tcf); Noa (.2 tcf): Noble 47%*
Republic of Cyprus	Discoveries Aphrodite (~S-8 tcf), Block 12, Noble 35%*, BG 35%, Delek (Israel) 30% Calypso (~6.4 tcf): Block 6, Eni 50%*, Total 50% Glaucus (~S-8 tcf): Block 10, ExxonMobil (USA) 60%*, Qatar Petroleum 40% Cuttlefish prospect: Block 3, Eni 50%*, Total 30%, KoGas 20% Exploration Blocks 2,9 (2013): Eni 60%*, Total 20%, KoGas 20% Block 11 (2013): Total 50%*, Eni 50% Blocks 8 (2017): Eni 50%*, Total 50% Block 7 (2019): Total 50%*, Eni 50%
Libya	Bouri (3.5 tcf): Eni 50%
Lebanon	Exploration Blocks 4, 9 (2019): Total 40%*, Eni 40%, Novatek 20%
Palestine	Discoveries Gaza Marine (1 tcf): BG 90%*
Turkey and Turkish Cyprus	Exploration Antalya, Greek Cypriot Blocks 2, 7: Turkish Petroleum Company

Source: Eastern Mediterranean gas: testing the field

<https://www.energy-reporters.com/policy/eastern-mediterranean-gas-testing-the-field>

### المطلب الثاني: الاستراتيجية الروسية لأمن الطاقة في منطقة شرق البحر المتوسط

يرتبط موضوع الطاقة بالنسبة لروسيا ارتباطاً وثيقاً بأمنها القومي، إذ تعد روسيا فاعلاً كبيراً في مجال الطاقة، فهي أكبر مصدر عالمي للغاز الطبيعي، و فيها أكبر احتياطي عالمي مؤكد من الغاز أيضاً، كما تعد روسيا فاعلاً مهماً في الأمن الطاقوي الإقليمي عموماً والأوروبي على وجه التحديد، وتستند روسيا على أمنها الخاص بالطاقة على ذلك التفاعل الحاصل مع الأنواع الأخرى من الطاقة المعنية مثل الاتحاد الأوروبي بوصفه سوقاً استراتيجياً لصادرات الطاقة الروسية ويتعلق أمن الطاقة الروسي باتجاهين رئيسيين، أمن الطاقة ليس فقط أمن إمداد الاتحاد الأوروبي بالطاقة الروسية، وإنما أمن الوصول إلى السوق الطاقوي وتحديداً الأوروبي، ويشمل الموضوع أيضاً إمدادات آسيا الوسطى، وتطرح روسيا مفهوم متعدد الأبعاد لأمن الطاقة وبذلك يعرف المفهوم الروسي لأمن الطاقة بوصفه سلعة اجتماعية حضارية، واقتصادية وسياسية<sup>9</sup>.

<sup>8</sup> امرأة غوكان آباي، روسيا مستعدة لمرافقة تركيا لاكتشاف الطاقة شرق المتوسط، وكالة الاناضول التركية للانباء، شوهده في 2021/7/10:

أما ماذا تعني الطاقة بالنسبة لروسيا، تعد عملية تصدير النفط والغاز الطبيعي، أهم مصادر توفير العملة الأجنبية لروسيا، علماً بأن الجهة المسيطرة ويدها مفاتيح السيطرة على قطاع الغاز، هي شركة غازبروم، شركة الدولة القوية<sup>10</sup> ويعتمد الاقتصاد الروسي بشكل كبير على قطاع الطاقة، وهو من أهم أدوات النمو الاقتصادي، ويلعب قطاع الطاقة دوراً مؤثراً في السوق العالمية، بل تعد روسيا من أغنى دول العالم من حيث وجود الغاز والنفط فيها، وتشارك عائدات تصدير الطاقة “الغاز والنفط” في توفير 60% من العملة الصعبة وما يزيد عن أكثر من 50% من الصادرات الروسية<sup>11</sup>.

وتأتي أهمية شرق البحر الأبيض المتوسط بالنسبة لروسيا في شكلٍ متعدّد الجوانب؛ لأنّه كان الطريق الوحيد لإظهار موسكو نفسها في السياسة العالمية، ولاسيّما في المرحلة التي تفرّدت فيها أمريكا باعتبارها قوةً عظمى إبان الحرب الباردة، فصار شرق البحر الأبيض المتوسط يشكّل هدفاً لروسيا في المنطقة، واكتسب وجودها العسكري في سوريا أهمية حيوية وبقي لروسيا ميراث العلاقات الحسنة التي بنتها مع مصر وسوريا في عهد الاتحاد السوفييتي، فأرادت روسيا أن تزيد نفوذها في القاهرة والشام التي تربطها بهما روابط تاريخية، وشكّل شرق البحر الأبيض المتوسط مفتاح روسيا لبلوغ هذا الهدف<sup>12</sup>.

يحتل شرق البحر الأبيض المتوسط موقعاً استراتيجياً مهماً في منطقة الشرق الأوسط، وقد أصبح بحكم موقعه هذا محطّ أنظار القوى الإقليمية والعالمية على حدّ سواء، وصار سبباً في اندلاع الصراعات بين الدول التي تحاول بسط نفوذها على هذه المنطقة تريد أن تستفيد من مواردها الطبيعية الغنية، إلى جانب موقعها الاستراتيجي، وتأتي روسيا في مقدمة البلدان التي جعلت شرق البحر الأبيض المتوسط هدفاً تريد الوصول إليه وقد عملت روسيا على تطوير استراتيجيات عديدة للوصول إلى تلك المنطقة منذ سنوات طويلة وتجلّت بخطوتها الأخيرة في التدخل في الحرب السورية ودعم نظام الأسد علناً، معتمدة في تلك العملية على ميناء اللاذقية وميناء طرطوس، إذ استطاعت عن طريق هذين الميناءين أن تحيي وجودها في المنطقة مرة أخرى<sup>13</sup>.

توجّهت أنظار روسيا إلى شرق البحر الأبيض المتوسط من دون أن يكون لها ثقل في منطقة الشرق الأوسط، ففي الأزمة اليمنية على سبيل المثال لم تقدّم روسيا المساعدات التي قدّمتها للحرب في سوريا. وأحسّت بالقلق إزاء عملية عاصفة الحزم التي أُطلقت في اليمن عام 2015، ودعت إلى الحلّ بالحوار، ومع حلول عام 2016، لم تبد روسيا حضوراً في هذه المنطقة إلّا من خلال المشاركة في عمليات مكافحة القرصنة في خليج عدن، وبعبارة أدق، أصبح شرق البحر الأبيض المتوسط الهدف الرئيس للسياسات الروسية في النزول إلى البحار الدافئة، ومن خلال هذه المنطقة أرادت روسيا أن تحقّق مكاسبها في الشرق الأوسط، في النتيجة هناك علاقة قوية بين شرق البحر الأبيض المتوسط ومنطقة

<https://tinyurl.com/y8rgfec>

<sup>9</sup> محفوظ رسول، أمن الطاقة في العلاقات الروسية الأوروبية، ط1 عمان: مركز الكتاب، 2018، ص43.

<sup>10</sup> محمد جاسم الخفاجي، روسيا ولعبة الهيمنة على الطاقة: رؤية في الأدوار الاستراتيجية، ط1 عمان: دار امجد للنشر والتوزيع، 2019، ص 73

<sup>11</sup> توماس كوزما، واخرون، “مأزق تركيا مع واردات الغاز الطبيعي تركيا”، ترجمة: محجوب عباس، مجلة قضايا ورؤى، المجلد 11، العدد 3 الرياض:2017، ص 163.

<sup>12</sup> Çağatay Özdemir، استراتيجية روسيا في شرق البحر الأبيض المتوسط، موقع SETA، شوهد في 2021/9/22، في:

الشرق الأوسط، ومن ثمّ تحوّل شرق البحر الأبيض المتوسط الذي يؤثّر كثيرًا في التطورات الحاصلة في منطقة الشرق الأوسط إلى نقطة تحركٍ أساسيةٍ للاستراتيجيات في الشرق الأوسط<sup>14</sup>.

يتبوأ الوجود العسكري الروسي وسياسات الطاقة مكانًا مهمًا في الاستراتيجية التي تتبعها روسيا في شرق البحر الأبيض المتوسط، وقد تأثرت هذه السياسات مباشرةً بالعلاقة التي طوّرتها موسكو مع القوى الإقليمية، إذ بنت تقاربًا مهمًا مع تركيا وإيران، ولم تستطع أن تؤسّس التقارب المنشود مع مصر وإسرائيل. وزعزعت روسيا التوازنات في الشرق الأوسط عبر استراتيجياتها في شرق البحر الأبيض المتوسط، وأدّت دور الوساطة في بناء تحالفات جديدة في المنطقة، وفي هذا السياق غيّرت مسار الحرب السورية عن طريق التقارب مع أنقرة، وشكّلت إسقاطات جديدة لمستقبل المنطقة بفعل تقلص النفوذ الأمريكي، وبفضل العلاقة القريبة التي بنتها موسكو مع إيران، استطاعت روسيا أن تحصل على النتائج المرجوة من التدخل في سورية، وأن تقلل من ثقل التواجد الأمريكي في المنطقة، بمعنى أن روسيا استطاعت تغيير التوازنات في منطقة الشرق الأوسط عبر استراتيجياتها في شرق البحر الأبيض المتوسط، حتى تحوّل عامل القوة والنفوذ لمصلحة موسكو.

### المطلب الثالث: الاستراتيجية التركية لأمن الطاقة في منطقة شرق البحر المتوسط

إن أهم ما يشغل السياسة الخارجية التركية في وقتنا الحاضر هو كيفية توفير الغاز الطبيعي، إذ أنه ثمة احتمال كبير أن يصل الطلب على الغاز الطبيعي في تركيا إلى 218 مليار متر مكعب من الغاز عام 2023، وهذا الرقم يوضح مدى الحاجة التركية للطاقة، وعليه فإن تركيا تعمل على محورين مهمين في سياساتها وهو تعزيز أمن الطاقة عن طريق تنويع مصادر الإمدادات، والثاني هو تحويل تركيا إلى مركز عالمي للطاقة، وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية يجب تأمين الاحتياج الفعلي لتركيا، من أجل أن تصبح الأراضي التركية نقطة ترانزيت لنقل النفط والغاز<sup>15</sup>.

فالهدف الأهم لتركيا هو تقليل الاعتماد في سد احتياجاتها من موارد الطاقة بشكل أساسي على روسيا وإيران، اللذين صارا منافسين إقليميين لأنقرة، الأمر الذي دفع تركيا إلى خفض وارداتها النفطية منهما، إذ انخفضت واردات تركيا في النصف الأول من 2020 بنسبة 44.8% من إيران، وبنسبة 41.5% من روسيا مقارنة بنفس الفترة عام 2019، ولذلك ضاعفت تركيا من أنشطتها الخاصة بأعمال التنقيب عن مصادر الطاقة في كل من شرق البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، والتي توجت في أغسطس 2020 باكتشاف حقل "تونا-1" للغاز في البحر الأسود<sup>16</sup>، رافق ذلك قيام تركيا بإجراء مناورات بحرية كبيرة وفي وقت واحد في البحر الأسود وبحر إيجه والبحر الأبيض المتوسط، وتم نشر سفن التنقيب عن الغاز في المياه الواقعة غرب وجنوب غرب قبرص.

إستر / <https://www.setav.org/ar/>

<sup>13</sup> المصدر نفسه.

<sup>14</sup> انطوان ماردا سوف، ضغط تركيا من أجل التنقيب عن الغاز قد يجعل من الصعب على الشركات الحكومية الروسية التفاوض على صفقات طويلة الأجل مع أنقرة، موقع الشرق للبحوث الاستراتيجية، شوهد في 2020/9/1 في: <https://research.sharqforum.org/ar/2020/09/01/> -ضغط-

<sup>15</sup> توماس كوزما، واخرون، "مأزق تركيا مع واردات الغاز الطبيعي لتركيا"، ترجمة: محجوب عباس، مجلة قضايا ورؤى، المجلد 11، العدد 3



إن عمليات التنقيب التي تقوم بها تركيا ضمن المنطقة الاقتصادية الخاصة التابعة لقرص اليونانية، دفعت دول شرق المتوسط إلى المبادرة بإنشاء منتدى غاز شرق المتوسط EMGF، الذي ضم كلا من مصر والأردن واليونان وإسرائيل ولبنان وفلسطين وإيطاليا. وتم عقد اجتماع في القاهرة في كانون الثاني 2019 حضره وزراء الطاقة في الدول المنتجة والمستهلكة للنفط والغاز والعبارة لشرق المتوسط، وقد أيدت الولايات المتحدة الأمريكية هذا المنتدى، وقد عرض المنتدى مشروعين قيد التنفيذ وهما<sup>17</sup>:

الأول: التصدير المشترك للغاز المسال المصري والقبرصي والإسرائيلي في محطات تسييل الغاز المصرية ونقله إلى الأسواق العالمية، ولاسيما السوق الأوروبية.

الثاني: مشروع خط أنابيب بحري أسيت ميد لنقل الغاز يبدأ من حيفا، قبرص واليونان وإيطاليا مستقبلاً.

وقد شكل اكتشاف وجود الغاز الطبيعي في هذه المنطقة في الآونة الأخيرة، محوراً للتعاون والتنافس بالنظر لحجم الاحتياطيات البحرية الكبيرة المكتشفة أثناء العقد الماضي في شرق البحر الأبيض المتوسط، وتأثيرها الكبير على أجندة أمن الطاقة الإقليمية، كما منحت هذه الاحتياطيات المكتشفة حديثاً لبلدان المنطقة أمل تحقيق اكتشافاتها الذاتي إلى جانب احتمالات انخراطها في أعمال تصدير مربحة للغاز، وعلى الرغم أن تأسيس "منتدى غاز شرق المتوسط" قد أرسى أسس إطار إقليمي جديد للتعاون الفعال في مجال صناعة الغاز الطبيعي في هذه المنطقة، إلا أنه وفي ظل هذه المستجدات، تبقى تساؤلات مهمة تطرح نفسها من قبيل: كيف ينظر بلدان المنطقة المستبعدين-روسيا وتركيا - من هذا الإطار إلى ديناميكيات الطاقة المتغيرة في المنطقة، وما هي السياسات التي قد تتبناها هذه الدول لموازنة الآثار السلبية للتمهيش<sup>18</sup>.

كما تهدف تركيا إلى أن تصبح مركزاً إقليمياً للطاقة وممرّاً لها نحو الدول الأوروبية، وفي سبيل تحقيق ذلك وقّعت تركيا صفقات لخطوط أنابيب النفط والغاز مع أذربيجان والعراق وإيران وروسيا، بحيث يمر أي مشروع خط أنابيب في شرق البحر المتوسط إلى أوروبا عبر أراضيها، بيد أن علاقات تركيا المتوترة مع جميع الدول المطلة على البحر المتوسط تقف حائلاً أمام تحقيق هذه الطموحات<sup>19</sup>.

إذ يمثل مشروع خط أنابيب اسيت ميد التحدي الأخطر على خط الأنابيب التركي الروسي ترك ستريم، لذا سارعت تركيا وكخطوة استباقية بتوقيع مذكرتي تفاهم مع حكومة الوفاق الليبية في تشرين الثاني 2019 ضمن استراتيجياتها، المتمثلة في عرقلة تعاون دول منتدى شرق المتوسط، حيث سمحت الاتفاقية بترسيم الحدود البحرية لتركيا مع ليبيا وتحديد المنطقة الاقتصادية الخالصة لكليهما، والتي تمتد من الساحل الجنوبي لتركيا على البحر الأبيض المتوسط إلى الساحل الشمالي

الرياض:2017)، ص 163.

<sup>16</sup> مصطفى صلاح، توترات أوروبا-تركيا في "شرق المتوسط" .. مسارات الحل المحتملة، شوهده في 2021/6/15: <https://zatmasr.com/>توترات أوروبا-تركيا-في-شرق-المتوسط-م

<sup>17</sup> وليد خدوري، الأبعاد الجيو سياسية للصراع على الغاز والنفط في شرق المتوسط، شوهده في 2021/8/12 في: <https://aawsat.com/home/article/2078146/>الأبعاد-الجيو-سياسية-للصراع-على-الغاز-والنفط-في-شرق-المتوسط

الشرقي لليبيا، دونما اعتبار للجزر اليونانية الرئيسية مثل كريت ورودس، وكانت صفقة الحدود البحرية هي الثمن التي حصلت عليه تركيا في مقابل اتفاقية التعاون العسكري، حيث قدمت تركيا الدعم العسكري المباشر لحكومة الوفاق في مواجهة قوات المشير خليفة حفتر، ووفق لاتفاقية التعاون البحري سيتعين على خط أنابيب الغاز الإسرائيلي-اليوناني-القبرصي أن يمر في المنطقة التي تم ترسيم الحدود البحرية داخلها بين تركيا وحكومة الوفاق، وهو الأمر الذي يؤشر على استمرار السياسة التركية في عرقلة جهود التعاون بين دول المنتدى.

### المطلب الرابع: ساحات التنافس الروسي التركي في حوض البحر المتوسط

ثمة العديد من القضايا والساحات التي شهدت وما تزال حالة من التنافس الروسي التركي ولاسيما حوض البحر المتوسط، بالإمكان تطبيق نظرية اللعبة عليها وعلى النحو الآتي:

أولاً- القضية القبرصية.. محور التنافس الروسي التركي: تنقسم جزيرة قبرص إلى إدارتين مستقلتين قبرص اليونانية وقبرص التركية وفي أكتوبر/تشرين 1983 أُعلن عن قيام جمهورية شمال قبرص التركية في الجزء القبرصي التركي من الجزيرة غير المعترف بها دولياً سوى من تركيا<sup>20</sup> وترى تركيا ان قبرص بمثابة حجر الزاوية في أمن جنوب تركيا وعنصراً أساسياً في الدفاع عن الأناضول، فهي ذات أهمية في حماية النفط المتدفق من الأنبوب العراقي التركي ونفط بحر قزوين الذي يتدفق عبر أنبوب باكو- تبليسي - جيهان<sup>21</sup>.

ويشهد الموقف التركي من القضية القبرصية مقارنة جديدة حالياً، مع اشتداد الصراع في شرق المتوسط، وذلك من خلال التخلي تماماً عن الحل الأممي المطروح لتوحيد الجزيرة في إطار فيدرالي، وطرح "صيغة" جديدة تقوم على بقاء الجزيرة مقسمة، مقابل "تسهيل التعاون" بين شطري الجزيرة في جميع المجالات، مما سيمهد، وفق الجانب التركي، لبقاء الانقسام وفتح الطريق إلى الاعتراف بجمهوريتين قبرصيتين منفصلتين، كما أن الطرح التركي الجديد الذي تتناوله هذه الورقة، يهدف لمنع اليونان وقبرص من استخدام الصراع في شرق المتوسط من أجل فرض أمر واقع فيما يتعلق بترسيم الحدود البحرية، يحرم تركيا من المشاركة في مشاريع النفط والغاز هناك، ويهمش الطائفة التركية القبرصية وتهدف تركيا إلى اتباع جملة من الاساليب المهمة في هذا الموضوع وأهمها<sup>22</sup>:

أ. طرحت تركيا "صيغة جديدة" من أجل حل أزمة تقاسم ثروات شرق المتوسط بينها وبين قبرص، واقترح الجانب التركي بدء "تعاون بناءً" بين شطري الجزيرة في كافة المجالات عدا السياسية منها من أجل "بناء الثقة" بين الطرفين، ومن مجالات التعاون التي تطرحها تركيا التعاون في مجالات الصحة والسياحة والطيران المدني، والأهم التعاون في مجال الطاقة والنفط والغاز عن طريق القطاع الخاص وشركات النفط الدولية، بما يؤدّي إلى ترك ملف تقاسم الثروات النفطية والغازية للشركات الدولية النفطية العاملة في هذا القطاع.

<sup>18</sup> توماس كوزما، تركيا والجغرافيا السياسية للغاز الطبيعي في شرق البحر الأبيض المتوسط، موقع تريندز، شوهد في 2021/9/24 في : <https://trendsresearch.org/ar/insight/تركيا-والجغرافيا-السياسية-للغاز-الطب/>

<sup>19</sup> المصدر السابق.

<sup>20</sup> جورج ثروت فهمي، المسألة القبرصية اتجاه نحو حل نهائي، مجلة السياسة الدولية، العدد156القاهرة:2004، ص145.

ب. تهدف تركيا إلى جذب واشنطن لتكون "الحكم" في قضية الخلاف حول تقاسم ثروات شرق المتوسط، وكذلك شركات النفط والغاز الدولية المهتمة بالعمل هناك، وتعد أنقرة أن الموقف البريطاني سيكون أكثر إيجابية تجاه هذا الطرح بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، كما تهدف أنقرة إلى كسر الجمود الحاصل في المشهد، والذي تستفيد منه قبرص كونها الدولة المعترف بها دولياً وصاحبة السيادة على مياه الجزيرة.

ت. من أجل دعم المقترح التركي، وإقناع واشنطن بوجود "نوايا طيبة" تركية لحل الخلاف، فإن سياسة أنقرة الخارجية تتحوّل من تكتيك التصعيد والتهديد العسكري لعرقلة مشاريع الغاز في المنطقة، إلى التقارب سياسياً مع الدول المعنية بملف شرق المتوسط، من خلال مساعي التقارب مع كلٍّ من إسرائيل ومصر، واستئناف المحادثات الاستكشافية مع اليونان، وتحسين العلاقات مع فرنسا. وذلك من أجل إرسال إشارات قوية لواشنطن بأن أنقرة تسعى جدياً من أجل الوصول إلى حل وسط وعادل.

ث. تسعى تركيا لإقناع الإدارة الأمريكية بقيادة جو بايدن لعقد مؤتمر موسّع للدول المعنية بملف شرق المتوسط، وكذلك الشركات الكبرى للنفط والغاز، من أجل تجاوز الموقف القبرصي واليوناني الذي يسعى لفرض أمر واقع يضر بالمصالح التركية من خلال ترسيم اليونان وقبرص حدودهما البحرية بشكل ثنائي مع دول المنطقة.

تدرك تركيا أن طرحها الجديد في شرق المتوسط قد يواجه تحديات من قبل موسكو ذات العلاقة القوية مع الجمهورية القبرصية، ولذا فإن هذا الطرح التركي بمثابة اختبار أخير لمدى جدية واشنطن في إقامة علاقات متوازنة ومتينة مع تركيا، وسيؤثر بشكل مباشر على علاقات أنقرة مع موسكو سلباً أو إيجاباً، وربما يتحول الملف إلى محدد رئيس في تغيير توجهات السياسة التركية في المنطقة باتجاه اندماج أكبر مع السياسات والمشاريع الأمريكية في المنطقة على حساب علاقات أنقرة مع موسكو، وهذا سينعكس على عدة مناطق تحاول تركيا أن تزيد من نفوذها العسكري فيها، مثل القوقاز وسوريا وشمال أفريقيا<sup>23</sup>. في حين دعمت روسيا ومنذ البداية حكومة قبرص اليونانية ولم تعترف بحكومة قبرص التركية<sup>24</sup> وقد كانت قبرص اليونانية الدولة الوحيدة التي التزمت باستمرار علاقاتها العسكرية مع روسيا بعد الأزمة الأوكرانية، إذ سبق أن تم توقيع اتفاقيات تعاون عسكرية وتقنية بين البلدين في عام 1996 وألحقت بها صفقات شراء الأسلحة تضمنت 41 دبابة من طراز T-70 و 5 عجلة قتال مدرعة طراز BMP3 ومن ضمن مظاهر التعاون الروسي القبرصي اتفاقات حول وصول البحرية الروسية إلى الموانئ القبرصية وبصورة منتظمة ضمن عمليات مكافحة الإرهاب و القرصنة والسماح لسلاح الجو الروسي باستخدام قاعدة بابانديرو للبعثات الإنسانية وهناك مفاوضات لم تتوقف لإنشاء قاعدة عسكرية روسية في الجزيرة وبصفة دائمية، وحاليا تتبنى قبرص المبادرات التي تتعلق بالدفاع عند روسيا في كثير من القضايا مثل الطاقة وما إلى ذلك<sup>25</sup>. وقد صرح الرئيس الروسي

<sup>21</sup> المصدر نفسه.

<sup>22</sup> مركز الامارات للسياسات، استراتيجية جديدة في قبرص، شوهده في 2021/9/20 في:

<sup>25</sup> European Values , Cyprus , Annual Report 2018, Available,see in 2021/5/30 in:  
<https://www.europeanvalues.net/cyprus>.

فلاديمير بوتين أثناء زيارته إلى اليونان في تموز 2018 ولقائه الرئيس اليوناني تسبيراس فائلاً: "إن روسيا كانت تدعم ولا تزال الدولة اليونانية وشعبها منذ الخطوات الأولى للاستقلال، وستفعل ذلك في المستقبل أيضاً، بغض النظر عن الصعوبات التي تمر بها البلاد، وذلك بفعل العلاقات التاريخية التي تربط بلدنا والتقارب الروحي وعوامل أخرى"<sup>26</sup>، وبالنتيجة الطرفان متعادلان.

ثانياً- الساحة السورية: تعد الساحة السورية من أهم ساحات التنافس بين روسيا وتركيا في هيكلية علاقة الدولتين، وبالنظر إلى قدرات كل من اللاعبين فإنه بوسع روسيا تقويض المنطقة الآمنة بدعم الوحدات الكردية والمساس بالأمن القومي التركي، ودعم قوات النظام السوري جوباً، ومع فارق القوة العسكرية بين الدولتين وموقف الناتو المتراخي والخجول من تركيا كعضو فعال في الناتو في الأحداث الأخير في مدينة إدلب واحتمالية تدفق موجات أخر من اللاجئين، فإن اليد العليا أيضاً لروسيا. ولكن هذا بدوره سوف يؤدي حتماً إلى لجوء تركيا والعودة إلى التقارب من الولايات المتحدة الأمريكية عودة الضرورة، الأمر الذي لا يروق لروسيا حيث من شأن ذلك تقويض النفوذ الروسي في المنطقة<sup>27</sup>.

ثالثاً- ساحة البحر المتوسط وأوكرانيا وشبه جزيرة القرم: غيّر ضم شبه جزيرة القرم في آذار 2014 من ميزان القوى في البحر الأسود لصالح روسيا، وزادت من مساحتها الاقتصادية بدرجة كبيرة، ونفس الحالة بالنسبة لطول الساحل إلى 25% من مساحة الساحل الكلي، وما يساوي مساحة الشاطئ التركي، وبناءً على إمكانياتها الحربية وتطبيق القانون البحري، احتلت روسيا مكان تركيا كقوة بحرية ذات سيطرة نوعية وكمية، وقد زودت أسطولها في البحر الأسود وفي شبه الجزيرة القرم بأحدث أسلحتها، كما أدى ضم شبه جزيرة القرم إلى دعم وجودها العسكري في شرق البحر الأبيض المتوسط، وهي منطقة بالغة الأهمية والتأثير لتركيا، تستخدم روسيا موانئ البحر الأسود لإمداد عملياتها العسكرية الداعمة للحكومة السورية<sup>28</sup> وبدأت مخاوف تركيا في البحر الأسود واضحة نتيجة التحولات الأخيرة في ميزان القوى، والخشية من أن يتحول البحر الأسود إلى بحيرة روسية، وفي مؤتمر أمني عن البلقان في اسطنبول سنة 2016 خاطب الرئيس أردوغان حلف الناتو لإعادة التوازن مع روسيا، مذكراً بالنفوذ الروسي المتعاظم، وساندت تركيا المطالب الرومانية لأسطول دائم للناتو في البحر الأسود لمواجهة روسيا، ترى أنقرة أن قرار زيادة حضور التحالف في البحر الأسود من خلال تواجد ثابت والعمل على تنسيق العمليات البحرية لمواجهة موسكو خطوة مهمة جداً<sup>29</sup> أي أن روسيا سبقت تركيا بخطوتين في هذه الساحة، ضم القرم والمكتسبات الاقتصادية والجغرافية والعسكرية الناتجة، وتضييق الخناق على أوكرانيا وتركيا في نفس الوقت، إلا أن تركيا لازالت قادرة على غلق المضائق المائية بوجه السفن الروسية.

<https://epc.ae/ar/topic/aistiratijyya-turkiya-jadida-fi-qubrus>

<sup>23</sup> المصدر السابق.

<sup>27</sup> Micha'el Tanchum, the meaning and end of Turkey-Russia cooperation in Syria, Turkish Policy Quarterly, February 21, 2020: see in 2/6/ 2020: in <https://tinyurl.com/ydykyrgz>.

<sup>28</sup> Gönül Tol, Balance in the Black Sea: The complex dynamic between Turkey, Russia, and NATO, November 18, 2019, in: <https://tinyurl.com/yb6dzzm8>.

<sup>29</sup> Ibid.

رابعاً- ساحة البلقان وشرق البحر المتوسط وليبيا: تعد منطقة البلقان بمثابة مجال حيوي لكل من روسيا وتركيا، بالنسبة لروسيا تحظى هذه المنطقة بقدر كبير لمزاياها الجيوستراتيجية والخصوصية والرمزية منذ مرحلة القياصرة والحرب الباردة وما تحمله هذه البقعة الجغرافية من أهمية بالغة أدت إلى صراع الشرق والغرب وصولاً لوقتنا الحاضر، فأهميتها الاستراتيجية لروسيا تكمن في كونها بوابة انطلاق جيوشها عبر الادرياتيكي باتجاه البحر المتوسط لتعزيز تواجدتها الذي يعد ضرورة قصوى للتأثير على السياسة الدولية وتفاعلاتها، فضلاً عن الروابط الوشيحة بالشعوب السلافية أو كحامية للديانة الأرثوذكسية وقربها من دول أوروبا الغربية وتركيا، ما يمنح روسيا وضعاً استراتيجياً يمكنهم من التأثير في مسألة المضائق من جانب والحصول على جناح آمن من جانب آخر.<sup>30</sup>

لقد أثارت المحاولات الروسية والتركية للسيطرة على مَقَدِرَات شرق البحر المتوسط وجنوبه قلق الدول ذات الصلة وقد ازداد هذا القلق بعد إبرام تركيا اتفاقية ترسيم الحدود البحرية مع ليبيا نهاية تشرين الثاني 2019 والتي تسمح لها بالمطالبة بحقوق في مناطق واسعة من شرق البحر المتوسط تطالب بها قوى أخرى، تحديداً اليونان ومصر وإسرائيل، لذلك تدعم أنقرة بالسلح مقاتلي حكومة الوفاق في معركة التصدي لقوات خليفة حفتر لدخول العاصمة الليبية وتزايدت حدتها مؤخراً عقب إطلاق إشارة الهجوم الحاسم على طرابلس، وتستعد أنقرة لإرسال قوات إلى ليبيا ويُعتقد بأنها ستغير موازين القوى لصالح الوفاق، وبرزت تركيا وروسيا كلاعبين في المسألة الليبية حالياً بعد تراجع تدخل عدد من الدول وتحديداً فرنسا وإيطاليا وما يفسر قلة الاهتمام الأمريكي بشأن التدخلات الروسية في ليبيا، بأنها تركت لتركيا مهمة الوقوف بوجه الروس وتحجيم نفوذها هناك، هذا وقد اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية روسيا بـ«استغلال» النزاع في ليبيا.

بدأت روسيا البحث عن الجذور والذات القومية بعد سقوط الشيوعية حيث تخلصت من أثقال الماضي إذ دعت لرص صفوف الأمم السلافية التي تجمع بينها وبين شعوب بلغاريا واليونان وقبرص وصربيا المسيحية الارثوذكسي، ولتحقيق هذا الهدف لابد من الوقوف بوجه الكاثوليكية وألمانيا الموحدة من جانب ومسلمي البلقان وفي مقدمتهم الأتراك من جانب آخر، ولضمان إيجاد مواطن قدم روسية عن طريق صربيا، واليونان في الادرياتيكي والمتوسط، يوازيه دعم روسي يساعد اليونان وقبرص في بعض مطالبها الإقليمية في عدم محاصرتها من دول إسلامية فضلاً عن الموقع الجغرافي وحالة الاستقرار السياسي والاقتصادي التي تشهدها اليونان؛ لذا سعت روسيا الاتحادية إلى تقليل الاعتماد على تركيا في تصدير الطاقة من أجل ضمان منفذ على البحر المتوسط يتجاوز البوسفور ويتم من خلال اليونان، إذ إن أكثر ما تخشاه روسيا سعي تركيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى حرمانها من المشتقات النفطية المستخرجة من بحر قزوين، وللوصول إلى هذه الغاية أبرمت روسيا مع بلغاريا واليونان عام 2007 اتفاقية لتشييد خط أنابيب "بورغاس الكسندر بوليس" لنقل النفط من روسيا وبحر قزوين إلى الأسواق الغربية عن طريق البلقان لتجنب مضيقي البوسفور والدردينيل التركيين، ومن منفذ آخر وهو ميناء بورغاس البلغاري على البحر الأسود إلى ميناء الكسندر وبوليس

<sup>24</sup> ثابت محمد ناصر العيسى، مصدر سبق ذكره ص 85.

اليوناني المطل على البحر المتوسط، فروسيا تستنتج من رغبة تركيا لمد أنبوب نفط باكو- جيهان واحدا من الأدوات التركية لتهديد مصالح روسيا واليونان، وهما أبرز القوى الارثوذكسية<sup>31</sup>، أي بمعنى تعادل الطرفان في هذه الساحة.

### المطلب الخامس: مستقبل العلاقات الروسية التركية

يكتسي هذا المطلب دلالة رمزية تتمثل في إرادة صانع القرار السياسي في الدولتين روسيا الاتحادية وتركيا في إدراك مستقبل العلاقات بينهما، ولذا سنحاول استشراف المشاهد المستقبلية للعلاقات الروسية التركية على النحو الآتي:

#### أولاً- مشهد استمرار الوضع الراهن:

ينطلق هذا المشهد من افتراض وهو ان العلاقات الروسية التركية ستبقى على ذات النهج أو الوضع الراهن، وإن كلا الدولتين ماضية في تحقيق أهدافها ومصالحها المتبادلة وذلك بالاستناد لما ستحققه المشاريع الثنائية بين البلدين من نتائج طيبة، إذ تفرض التغيرات الدولية والإقليمية على روسيا ان تبحث عن البديل المناسب من أجل الحفاظ على مكانة عالية تليق بدولة مثل روسيا، ولن يتم ذلك عن طريق علاقات أو تفاهات واتفاقيات وتوافقات مع الفاعلين الإقليميين سواء من الشرق أو الغرب أو الجنوب القريب من حدودها، وتركيا هي إحدى الدول التي تنطبق عليها هذه الرؤية بوصفها واحدة من أبرز الدول الواقعة إلى الجنوب القريب من الحدود الروسية<sup>32</sup> تتأسس فروض هذا المشهد على جملة من المقومات والمعطيات ومنها:

أولاً- تعاون الضرورة في القضية السورية: أدت التهديدات المتسارعة والمختلفة في هذه المنطقة الهشة من العالم إلى زيادة الاهتمام والتعاون الروسي والتركي، إذ لجأت روسيا وتركيا مضطراً للتعامل مع هذه التهديدات الأمنية المتصاعدة بصورة مشتركة<sup>33</sup>

الحقيقة أن روسيا تسابق الزمن من أجل إيجاد حل للقضية السورية، عن طريق الوقوف إلى جانب النظام في دمشق واستطاع الكرملين تحقيق الغايات التي حددها من التدخل في سوريا، إن دورها الراهن يجعلها تشعر بنشوة وهيبية الظفر والقيادة في الشرق الأوسط حيث الرغبة الروسية منذ مدة طويلة ولم يكن تحقيق هذا الهدف بالأمر الهين وقد تحقق، إذ كانت تسعى إلى الحصول على الاعتراف بصفتها ممثل جيو سياسي لإدارة الأزمة السورية، من مفاوضات وقمم ومؤتمرات وهذه جزء من السياسة الروسية الجديدة على مستوى إقليمي وعالمي أوسع، وكما أشار الخبير الروسي “ديمتري ترينين” إلى أن: «روسيا عادت إلى المسرح العالمي بوصفها لاعب جيوسياسي مستقل وكبير»<sup>34</sup> وقد ضمنت موسكو السيطرة والاحتفاظ بالقاعدة البحرية في طرطوس و حميميم الجوية

<sup>26</sup> نقل عن: قناة روسيا اليوم (RT، بوتين اليونان شريك مميز وسندعها مهما كانت الطرق، شوهد في 2021/4/12 في:

<sup>32</sup> DMITRI TRENIN, RUSSIA AND TURKEY: A CURE FOR SCHIZOPHRENIA, Carnegie Moscow Centre 2012/01/22, see in27/5/2020 in: <https://tinyurl.com/y9vluarw>.

<sup>33</sup> Grigory Lukyanov and Ruslan Mumedov, Russia and Turkey: Approaches to Regional Security - Middle East, V: XXIII, No2, PERCEPTIONS, Istanb: Summer 2018), p33.

<sup>34</sup> Reported by Melike Janine Sökmen, Irene Martínez and Nicolás de Pedro, Russia, Iran and Turkey: a common strategy in Syria?, Notes\_ Internacionales /n1\_196, CIDOB Center For International Affairs, Barcelona, MAY 2018, p. 1- 5, PDF



وتوسيعها، الأمر الذي أدى إلى القدرة على الإشراف على شرق البحر الأبيض المتوسط بأكمله وليس فقط وجودها في البلاد، والفائدة والدور الأكبر بالنسبة لروسيا هي أنها ليست عبارة عن عضو مشارك في العملية الدبلوماسية بل هي في موقع الريادة والقيادة وصاحبة القول الفصل، ولم تعد هنالك أي فائدة أو قيمة لأي قرار يتخذ دون الرجوع إليها وهذا بطبيعة الحال هو أمر مرفوض من قبل الغرب مما يعكر الاجواء ويعرقل خطط موسكو<sup>35</sup>

أما تركيا فخلال المراحل الأولى من الحرب السورية، رأت أنقرة أن الصراع هو فرصة للعمل بوصفها وسيط وبالتالي توسيع نفوذها السياسي في المنطقة، لكن استراتيجية أنقرة في سوريا اشتبكت مباشرة مع روسيا عندما بدأت تركيا في توفير التدريب والعتاد والدعم اللوجستي لمختلف جماعات المعارضة الإسلامية التي تقاتل على الأرض ضد نظام الأسد ولا سيما الجيش السوري الحر، وإزاء هذه الخلفية، ساهمت المحادثات الثلاثية في تغيير السياسة التركية في سوريا، التي انتقلت من تقديم الدعم بشكل أساسي إلى جماعة المعارضة في سوريا، إلى التعاون مع موسكو وطهران والتركيز على الجماعات الكردية بوصفهم العدو الرئيس في سياستهم الخارجية وبالتالي أصبحت القضية الكردية خطأ أحمر لا يجب تجاوزه، وقد أشار كبار المسؤولين الأتراك مرارًا وتكرارًا في كثير من المناسبات إلى أن خطر ظهور كيان كردي على طول حدوده أولى من سياسة مناهضة للأسد<sup>36</sup> وكرد فعل تركي مباشر، فقد تنازلت عن الرغبة في تغيير النظام وتقاربت أكثر من روسيا وسلطت جهودها في كبح جماح الطموحات الكردية في سوريا<sup>37</sup>.

ثانياً- تركيا والتعامل مع العقوبات الغربية على روسيا: من الواضح أن الكثير من المشاكل والأزمات المتتالية التي تعرضت لها روسيا وأرهقت قوتها الاقتصادية بسبب العقوبات المفروضة والمطبقة عليها من الغرب، نتيجة غزوها لشبه جزيرة القرم الأوكرانية، وهذا ما أوضحه وزير المالية الروسي بالقول "إننا نخسر نحو 40 مليار دولار سنويا بسبب العقوبات المفروضة علينا، كما نخسر من 90 إلى 100 مليار دولار أخرى بسبب تدني أسعار النفط بحوالي 30% فضلاً عن تراجع احتياطات العملة الصعبة بمقدار 100 مليار دولار حتى الشهر العاشر من عام 2015 لتهبط إلى 428,6 مليار دولار، مقابل 524.3 مليار دولار في نفس الشهر من عام 2014، وحالت العقوبات دون وصول موسكو إلى أسواق المال الدولية والحصول على التكنولوجيا الحديثة والمتقدمة، الأمر الذي دفع روسيا بالاهتمام لإيجاد طرف يساندها للقدرة على الصمود بوجه الغرب وتحديدًا في المجال الاقتصادي، وقد وجدت ضالتها في تركيا الدولة المناسبة كحليف اقتصادي يعمل على تماسك الاقتصاد الروسي"<sup>38</sup>

تركيا من جانبها لم ترضخ للعقوبات المفروضة على روسيا ورفضت تطبيقها، بل سارعت إلى اغتنام الفرصة لتعزيز ثقلها في الأسواق الروسية بغية رفع حجم وقيمة التبادلات التجارية مع

<sup>35</sup> Melike Janine Sökmen, Irene Martínez and Nicolás de Pedro, op, cit, p p. 1- 5

<sup>36</sup> Ibid, p p. 1- 5

<sup>37</sup> Galip Dalay, Why is Turkey Betting on Russia ?, LAWFAREBLOG , July 19, 2019, see in27/5/2020 in: <https://www.lawfareblog.com/why-turkey-betting-russia>.

<https://ar.rt.com/15y7>

<sup>38</sup> نزار إسماعيل عبد اللطيف، "التنافس الروسي- التركي على إقليم البلقان بعد الحرب الباردة"، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد -

موسكو والأخيرة على قناعة بأن تركيا طرف ذو أهمية اقتصادية كبرى ومهم ومأمون الجانب<sup>39</sup> و تستمر في تنفيذ سياسة خارجية متعددة الاتجاهات ومتوازنة بين الكتل المتصادمة لتحقيق ذلك ولم تسلم تركيا أيضا من العقوبات الأمريكية بسبب صفقة الS-400 ويقول إسماعيل دمير، كبير مسؤولي المشتريات في تركيا لوكالة أنباء الدفاع: «لا أحد يحتكر أي نظام. يمكننا شراؤه بسهولة من موردين آخرين، إن الموردين غير الغربيين حريصون على استبدال الشركات الغربية»<sup>40</sup>

ثالثاً- تكلفة تراجع العلاقات وإنهاء الشراكة بين الدولتين: غالباً ما يشار إلى ان روسيا وتركيا ذاهبتان إلى بناء شراكة أو علاقة استراتيجية تجعل منهما قوتين قادرتين توازن قوة الغرب، هذه الشراكة أو التعاون الاستراتيجية بدت واضحة في أولى حلقاتها بإنشاء خط السيل الأزرق عام 1997 لتزويد تركيا بالغاز الطبيعي الروسي، ثم تطورت إلى اتفاقية إنشاء خط السيل التركي عام 2016، الناقل الغاز الروسي إلى بعض الدول الأوروبية عبر تركيا، وبقية المشاريع العملاقة لخطوط نقل الطاقة انتهاءً بصفقة منظومة صواريخ الS-400 عام 2017 هذا التعاون المستند على مبدأ اصطياذ فرص التعاون أو باتباع ما يطلق عليها بفصل السياسات، وما يدعم هذا النهج هو طريقة تسوية المشكلات التي تعترضهما بهدف تحقيق الغايات المشتركة نسبياً من خلال غض الطرف عن الخلافات الأمنية والسياسية التي تعيق مسار التنسيق المشترك بين البلدين<sup>41</sup>، ذلك أن الأمن الإقليمي ركيزة مهمة لديمومة الشراكة الاستراتيجية دون أي صراع عالي المستوى بين البلدين<sup>42</sup>

إذ تعد تفاهات و اتفاقيات الطاقة المبرمة بين الدولتين من أقوى دوافع ديمومة العلاقات وتماسكها بينهما، وتحديدًا بعد مد أنبوب ترك ستريم الناقل للطاقة الروسية إلى أوروبا عن طريق تركيا.

في نيسان 2019 وخلال زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى روسيا أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن حجم التبادل التجاري بين الدولتين قارب 35 مليار دولار، كما باشر صندوق الاستثمارات المباشرة الروسي وصندوق الثروة السيادية التركي إلى عقد اتفاقية لإنشاء صندوق استثمارات مشترك بقيمة 900 مليون يورو أي ما يعادل مليار دولار، ومن المتوقع أنه سيجلب استثمارات أخرى بقيمة 5 مليار دولار، فضلاً عن مشاريع أخرى في مجالات التكنولوجيا العالية والرعاية والصحة والبنى التحتية، ويذكر ان من مجموع 25 مليار دولار فإن العائدات المالية لروسيا تبلغ قرابة 22,5 مليار دولار ولصالح تركيا قرابة 2,5 مليار دولار، وتقدر نسبة الاحتياجات التركية إلى الطاقة الروسية ما نسبته 53%<sup>43</sup> وهذا يعني أنه ليس من صالح روسيا التفريط في هذا العائد المالي الضخم نتيجة التبادل التجاري مع تركيا، وفي الجانب الآخر ليس من صالح تركيا التخلي عن

كلية العلوم السياسية، العدد37 بغداد: 2008، ص211 - 212.

<sup>40</sup> Reported by Burak Ege Bekdil and Matthew Bodner, No obliteration: Western arms embargo has little impact on Turkey as it looks east, Defense News, 24/10/ 2019, see in28/5/2020 in: <https://tinyurl.com/y7w3dc7m>.

<sup>31</sup> المصدر نفسه، ص212

<sup>42</sup> Selin sahin, sustainability of the strategic partnership between Turkey and Russia A Master's Thesis, Department of International Relations, İhsan Doğramacı Bilkent , University Ankara, 2019p97.

<sup>38</sup> نقلاً عن فتحية محي الدين طه، تطور العلاقات الروسية - التركية "2000-2016"، دراسة منشورة على الموقع الإلكتروني للمركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2016/7/27، شوهد في 2020/5/28 في



إمدادات الطاقة الروسية إليها، وعليه يرجح المشهد الأول وهو مشهد استمرار العلاقات على النحو الراهن بين الدولتين بحكم المقومات الحالية الخاصة بكلتا الدولتين على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

### ثانياً- مشهد التطور:

ينطلق هذا المشهد من افتراض ان العلاقات الروسية التركية ستشهد تطوراً ملحوظاً في المرحلة القادمة نتيجة لوجود مستوى عالي من التنسيق بين البلدين في القضايا الحساسة والمهمة ولا سيما في المناطق التي تتداخل فيها المصالح الحيوية للطرفين تلك المناطق التي تمتاز بمكانة جيوسياسية وأهمية جيو استراتيجية وجيو اقتصادية وجيو أمنية، وتتأسس فروض هذا المشهد على جملة من المقومات والمعطيات ومنها الآتي:

أولاً- طبيعة العلاقة بين الرئيسين فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان: يسعى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في هذه المرحلة إلى الدفع بالعلاقات الروسية التركية إلى مراحل متقدمة، إذ يؤكد على أهمية زيادة التعاون الوثيق بين روسيا وتركيا ومن خلال القنوات العسكرية والدبلوماسية، وبشكل رئيس في المجال التجاري والاقتصادي، بما فيها تنفيذ المشاريع المشتركة في قطاع الطاقة النووية وتوسيع التعاون في مجال الزراعة والنقل.<sup>44</sup>

ثانياً- الطاقة وضرورات العامل الجغرافي: لا شك أن روسيا لا يمكنها التخلي عن تركيا لموقعها الجيوسياسي<sup>45</sup> إذ تقع تركيا على مفترق طرق حيوي ومؤثر بين ثلاث مناطق بالغة الأهمية وهي القوقاز والبلقان والشرق الأوسط، كما أنها دولة مشرفة على البحر الأسود وبحر قزوين والبحر الأبيض المتوسط، وتحكم بمضيقي البسفور والدردينيل<sup>46</sup>

وتكمن أهمية تركيا بالنسبة لروسيا في السيطرة على المضائق البحرية الحساسة والمهمة جداً، وموقعها الجغرافي السياسي في الشرق الأوسط، وقدرتها على أن تكون سوقاً كبيرة لروسيا التي لديها ترسانة مهمة من الأسلحة والتسلح، بما في ذلك الأسلحة النووية و الموارد الطبيعية الهامة والتكنولوجيا العالية، ويبدو ان المصالح الوطنية الروسية والتركية تتواءم وتتقارب أكثر من أي وقت مضى<sup>47</sup> ويشير إلى ذلك أحمد داود بقوله: “ بعد الحرب الباردة ظهرت تركيا كدولة جسر ومع موقعها الجغرافي السياسي الخاص، لديها القدرة على المناورة في عدة مناطق في وقت واحد وهي تسيطر على منطقة النفوذ في ضواحيها المباشرة يجب على تركيا إعادة تعريف الجغرافيا السياسية، وموقعها الجغرافي السياسي يجب ألا يُنظر إليها كاستراتيجية للدفاع عن الحدود والوضع الراهن،

<https://democraticac.de/?p=34696>.

<sup>45</sup> JOHN KOUTROUMPIS, E-International Relations,11/09/2019, see in19/5/2020 in :

<https://www.e-ir.info/2019/09/11/russia-and-turkey-an-ambiguous-energy-partnership/>.

<sup>39</sup> ديميتري بيكوف، بين تركيا وروسيا: المصالح المشتركة تفرض نزع فتيل الازمة، 2015/11/30، في: <https://tinyurl.com/y8kfczlc2>

<sup>41</sup> جلال سلمي و حفصة جودة، العلاقات الروسية-التركية. صيغة استراتيجية ام توافقية مؤقتة، ن بوس، 2018/12/6، شوهد

<sup>47</sup> HÜSEYİN BAĞCI and ASLAHAN ANLAR DOĞANLAR, Changing geopolitics and Turkish foreign policy VOL. XVI, 2 SECTION Ankara, Middle East Technical University, April, 2009p.99-100.

بدلاً من ذلك، يجب أن يُنظر إليه على أنها أداة لتحويل الكفاءة الإقليمية إلى كفاءة عالمية<sup>48</sup> وبسبب التنافس بين روسيا والدول الأوروبية وقيام الأولى باستغلال موارد الطاقة كأداة ضغط على أوروبا؛ لذلك اضطر الأوروبيون إلى إيجاد طرق ومصادر بديلة للطاقة الروسية من آسيا الوسطى والقوقاز من خلال خطوط الأنابيب، ولهذا أصبحت تركيا بالغة الأهمية كمركز عالمي وإقليمي لا غنى عنها حيث يمر عبر أراضيها عدد كبير من خطوط أنابيب الطاقة من دول آسيا الوسطى القوقاز وبحر قزوين والشرق الأوسط، وروسيا بتجاه أوروبا<sup>49</sup>

كما يشهد مجال الطاقة النووية التركية نجاحاً أكثر بعد التعاون الذي قدم من قبل روسيا إلى تركيا، إذ باشر الجانبان في بناء أول محطة نووية في تركيا آكيو، ومن المقرر الانتهاء من مشروع آكيو بحلول عام 2023، من قبل الشركة النووية الروسية Rosatom<sup>50</sup>

### ثالثاً- مشهد التراجع والانكفاء:

ان تَمَّةَ عوامل عديدة تؤدي بالعلاقات الروسية التركية إلى التراجع أو التلكؤ ومنها عدم التكافؤ أو الفارق الكبير بين الدولتين في حجم القوة والامكانيات ومن جميع النواحي العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية وكذلك الفارق في قدرة التأثير الإقليمية والدولية، يضاف إلى ذلك التناقض في الأهداف والمصالح والاختلاف في وجهات النظر والأدوار في المناطق ذات الأهمية الجيو استراتيجية ولاسيما في البحر المتوسط وغيرها، فضلاً عن ضغوطات الداخل التركي الذي له الأثر الكبير على طبيعة واستمرار هذه العلاقات بسبب الرغبة الجامحة لفئات كبيرة من المجتمع بالعودة إلى الوجهة الغربية.

لغاية اللحظة الراهنة يوازن الروس وبحرفية ومهارة بين النظام السوري والأترك فالأول حليف والثاني شريك، في غياب تحول جوهرى مثل انسحاب تركيا من صفقة S-400، ستحاول موسكو الحفاظ على هذا التوازن لأطول فترة ممكنة ورغم هذا وذاك فإن الخطوات الغير المدروسة واللاواقعية بالإمكان ان تحدث، وربما القضية السورية أو غيرها هي التي سترجح كفة ميزان العلاقة بين الروس والأترك سواء بالتقارب أو بالعكس<sup>51</sup>.

منذ القدم، وتركيا تحاول جادةً الحيلولة دون تمركز وتواجد روسي كبير في المناطق الجنوبية أو في شرق البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما يحدث الآن بالضبط، حيث يزداد التواجد والحضور الروسي أكثر فأكثر ويوماً بعد يوم، وعلى طول ساحل البحر المتوسط من سوريا وحتى الجزائر وبطبيعة الحال كلما زادت روسيا من نفوذها في المنطقة، كلما تقلص المجال التركي للمناورة في عموم هذه الرقعة الجغرافية الاستراتيجية المهمة، كما أن وجود قضايا خلافية في مناطق تقاطع وتضاد المصالح العديدة وإصرار كل طرف على تحقيق أهدافه ومصالحه دون إيلاء الأهمية إلى الطرف الآخر من شأن ذلك أن

<sup>48</sup> Reported by HÜSEYİN BAĞCI and ASLAHAN ,op,cit,pp 101-102.

في 2020/5/28 : <https://www.noonpost.com/content/25771>.

<sup>50</sup> Rahim Rahimov , Putin-Erdogan relations grow in to a Russian-Turkish partnership ,Wilsoncenter,24/04/2018, see in15/5/2020 in: <https://tinyurl.com/y9w96lc7>.

<sup>51</sup> JEFFREY MANKOFFE DON'T FORGET THE HISTORICAL CONTEXT OF RUSSO-TURKISH COMPETITION, Texas National security For insiders. By insiders, APRIL 7, 2022 IN8/5/2020 IN: <https://tinyurl.com/yb6loatr>.

يعيد كل من الطرفين النظر في جوانب عديدة من العلاقات بينهما وحتى في المناطق ذات التفاهات المشتركة، الأمر الذي سيؤثر في مجمل العلاقات بين الدولتين وبالتالي تراجع هذه العلاقات.

### الخاتمة والاستنتاجات

وتبعاً للتصور الذي بُني من خلال استقراء السلوك السياسي الخارجي الروسي والتركي الذي اتضحت ملامحه في حيثيات دراستنا، نخلص من هذه المقاربة بمجموعة من الاستنتاجات يمكننا إجمالها بالآتي:

أولاً- تعدد المناطق والأقاليم ذات الأهمية البالغة والمشاركة بين الدولتين والتي لكل منهما دور مهم ومؤثر فيها مثل الشرق الأوسط والبلقان والبحر الأسود والقوقاز ودول آسيا الوسطى فضلاً عن شرق البحر الأبيض المتوسط هي ساحات للتنافس بين البلدين.

ثانياً- على الرغم من حالة التنافس الدولي والإقليمي التي تشهدها منطقة شرق المتوسط ولاسيما بين روسيا الاتحادية وتركيا، ومع وجود عدد ليس بالسهل من القضايا الخلافية في مناطق تقاطع وتضاد المصالح المختلفة وإصرار كل طرف على تحقيق أهدافه ومصالحه، إلا أن العلاقات بين الدولتين مستمرة بالتقارب وقابلة للتطور والذهاب إلى ما هو أبعد، لاسيما أن هناك رغبة للدولتين لتحقيق الأهداف والمصالح المشتركة.

ثالثاً- هنالك مستوى عالي من اعتمادية متبادلة بين الدولتين في الجوانب الاقتصاد والتجارية والطاوية والعسكرية والأمنية تدفع الدولتين باتجاه التقارب والتعاون وعض الطرف عن العديد من مواضيع التنافس والقضايا الخلافية والعالقة.

رابعاً- هنالك حقيقة مفادها ان العزلة الدولية التي يفرضها الغرب على روسيا، ويحاول فرضها على تركيا أيضاً، وكان آخرها استبعادهما عن مشروع منتدى غاز المتوسط، شكلت عاملاً مهماً وأساسياً ومشتركاً في رفع مستوى التقارب والتعاون بين الدولتين.

خامساً- إن مصير القضايا الخلافية بين الدولتين ومدى تأثيرها على مستقبل العلاقات بين الدولتين ترتبط بالظروف والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية المستقبلية التي من شأنها ان تؤثر في مستقبل علاقات الدولتين بالسلب أو الإيجاب.



# شؤون الطاقة والمناخ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية: سيناريوهات متوقعة ومقاربات جيوبوليتيكية! أمنية! بيئية

د. وليد كاصد الزبيدي\*

## ملخص

يلعب قطاع الطاقة دورًا مهمًا في تغيّر المناخ، وبسبب العقوبات المفروضة على روسيا من جراء حربها مع أوكرانيا، تأثّر توريد الطاقة بالأزمة في عموم العالم، ولاسيما الدول الأوروبية والولايات المتحدة، إذ يعد على المدى القصير، تنويع الإمدادات واستخدام المخزونات وسيلتين مفضلتين لضمان استمرارية الإنتاج والاستهلاك المنزلي.

ولعل هذه الأزمة هي بمثابة تذكير بالحاجة الملّحة إلى تنفيذ تدابير طويلة الأجل من شأنها أن تجعل من الممكن مواجهة التغيّرات المناخية، مثل الحُدّ من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون المرتبطة بإنتاج الطاقة بفضل تطوير الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.

تكمن أهمية موضوع هذه الدراسة في تقييم قطاع الطاقة على خط المواجهة في الأزمة الدولية الناجمة عن الحرب الروسية الأوكرانية، فضلًا عن أزمة المناخ، في حين تُركز على تأثيرات الطاقة والتغيّرات المناخية في منطقة الشرق الأوسط، من جهة وعلى إحتياجات التكيف الهيكلي لقطاع الطاقة لمكافحة تغيّر المناخ من جهة أخرى. ينتج عن ذلك تفاعلات كبيرة بين هاتين الأزميتين بحاجة إلى تقديم حلول تسمح بمعالجة الأوضاع الحالية والمستقبلية.

تدور إشكالية الدراسة حول كيفية التّمكّن من التصدي لشحة وسائل الطاقة فضلًا عن مواجهة التغيّرات المناخية التي تعد أحد أهمّ تحديات العقد الحالي والعقود المقبلة. وهل تستطيع الاتفاقيات المناخية الدولية الانتقال بسرعة إلى نظام طاقة محايد مناخيًا. يتداخل هذا الجانب مع حالة الحرب الحالية في أوكرانيا، والتي أثّرت في توليد وتوريد الطاقة في أوروبا ودول أخرى بسبب الترابط بين هذين الجانبين، كما تبحث الدراسة تحديات تقنين الطاقة واستخدامها بشكلٍ سليم، فضلًا عن إجراءات السيطرة على التحديات المناخية التي تسببها الحرب الأوكرانية.

**الكلمات المفتاحية:** الحرب الروسية الأوكرانية، الشرق الأوسط، الطاقة، الجيوبوليتيك، المناخ، البيئة.

\* أكاديمي من العراق، باحث سابق في الكلية العليا للدراسات الاجتماعية في باريس.

# Energy and Climate Affairs after the outbreak of the Russian-Ukrainian War: Expected Scenarios and Geopolitical, Security, and Environmental Approaches

Dr. Waleed Al Zaidi

## Abstract

The energy sector plays an important role in climate change, and due to the expected or ongoing sanctions against Russia due to its Ukraine invasion, the supply of the energy sector has been affected by the crisis in Ukraine, as in the short term, diversifying supplies and using stocks are two preferred means to ensure the continuity of production and domestic consumption.

Perhaps this crisis serves as a reminder of the urgent need to implement long-term measures that will make it possible to limit climate change, such as reducing carbon dioxide emissions associated with energy production thanks to the development of solar and wind energy.

The importance of the subject of the study lies in evaluating the energy sector on the front line in the international crisis resulting from the Ukrainian war, as well as in the climate crisis. This study focuses on the impacts of energy and climate changes in the Middle East region, on the one hand, and on the structural adjustment needs of the energy sector to combat climate change, on the other hand. This results in major interactions between these two crises that need to provide solutions that allow addressing these two problems.

The problem of the study revolves around how it is possible to address the scarcity of energy means, in addition to confronting climate change, which is one of the most important challenges of the current decade and the coming decades.

The international climate agreements quickly transitioned to a climate-neutral energy system. This aspect overlaps with the current state of war in Ukraine, which affected the generation and supply of energy in Europe and other countries due to the interdependence between globalization. The problem of the study revolves around how to ration energy and use it properly, as well as About the control of the climate challenges caused by the Ukrainian war. This is what this study will address.

**Keywords:** Ukrainian war, Middle East, energy, geopolitics, climate, Environment.

## مقدمة

برزت قضايا الطاقة الحرجة والتغيرات المناخية إلى الواجهة منذ بدء الحرب الروسية الأوكرانية. يمكن لهذه الحرب تسريع التحول البطيء للغاية نحو انتقال الطاقة، لكنها تخاطر أيضًا بإلحاق الضرر بالمناخ، حيث تكافح معظم البلدان من أجل وضع الكوكب على مسار قابل للتطبيق. وكانت التحذيرات الصادرة عن كبار المسؤولين في العالم منذ إندلاع الحرب الروسية الأوكرانية واضحةً نظرًا للتداعيات الرئيسية على سياسات الطاقة. إنَّ غزو أوكرانيا يخاطر بمزيد من التأخير في انتقال الطاقة، الأمر الذي سيكون دراماتيكيًا بالنسبة إلى المناخ.

تُركز الدراسة على موضوعات رئيسية أبرزها "الطاقة" و«المناخ» و«التأثيرات في الشرق الأوسط» و«السيناريوهات المحتملة للحرب»، وغيرها، وسيكون للتأثيرات التي تسببها استخدامات الغاز المُسال والوقود الأحفوري والفحم وغيرها في البيئة والمناخ حيزًا مهمًا في هذه الدراسة، لاسيما في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مما يتطلب التوجه إلى بدائل في مجالات إنتاج الطاقة من خلال تطوير الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وطاقة المياه وغيرها.

تضمنت الدراسة عدة محاور، في مقدمتها تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في شؤون الطاقة العالمية، تبعه محور آخر تناول مقارنة جيوبوليتيكية حول انتقال الطاقة وتأثيرات الحرب في المناخ والبيئة، وفي محور ثالث، تطرقت إلى التأثيرات البيئية والمناخية للحرب في الشرق الأوسط، وحيث أن عددًا من المفكرين والكتاب توقعوا عدة سيناريوهات لانتهاء هذه الحرب، لذا خصصت في محور رابع وأخير عرضًا لأربع وجهات نظر كتب عنها أربعة كتاب ومفكرين وصحفيين، هم أندريه كورتونوف، وميشيل دوكلوس، وديفيد دوغلاس، ورام أتواريا، كل واحدٍ منهم لديه عدة سيناريوهات يقترحها وفقًا لرؤيته حول ما ستؤول إليه الحرب الروسية الأوكرانية.

رُكزت الدراسة على خطر التأثيرات السلبية لاستخدام بدائل الطاقة في البيئة والتغيرات المناخية، لاسيما مع اشتداد برودة الجو في شتاء 2022-2023، وكذلك شتاء 2023-2024، وبالتزامن مع انخفاض إمدادات الطاقة، من المتوقع أن يكون السيناريو سيئًا للغاية، وهو ما حصل مع بداية ظهور وانتشار Covid-19، فهل سيكون باستطاعة الدول الأوروبية مواجهة أزمة الطاقة التي يمر بها العالم بسبب الحرب الروسية الأوكرانية، وفي نفس الوقت المحافظة على نظافة البيئة والحد من التأثيرات السلبية على المناخ، ولسيما في معالجة المخرجات السلبية لدى إنتاج الغاز المُسال، أو التخلص من الاعتماد على الوقود الأحفوري وتسريع التحول البيئي والانتقال إلى الاعتماد على مصادر الطاقة المتجددة. هذه التساؤلات وغيرها ستجيب عنها هذه الورقة البحثية.

## المحور الأول: تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في شؤون الطاقة العالمية

عزز إندلاع الحرب في أوكرانيا الأزمات في أسواق الطاقة، إذ أدرك الاتحاد الأوروبي فجأة تكلفة اعتماده على الهيدروكربونات الروسية، وسعى منذ ذلك الحين إلى تسريع تنويع إمداداته ومزيج طاقته. سيتعين عليه أيضًا أن يعمل على تقليل استهلاكه، في حين يبدو أن ضرورات أمن الطاقة خارج أوروبا لها الأسبقية على أهداف المناخ<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Marc-Antoine Eyl-Mazzega , Les conséquences de la guerre d'Ukraine pour le secteur de l'énergie, Dans Politique étrangère, (Été), 2022/2: <https://www.cairn.info/revue-politique-etrangere-2022-2-page-67.htm>

لقد فاقمت الحرب الروسية الأوكرانية الحركة في مجال الطاقات المتجددة، لكنها تخاطر أيضًا بإلحاق الضرر بمفاوضات المناخ الدولية، إذ تعد روسيا الدولة التي تبلغ انبعاثات غازات الاحتباس الحراري (GHG) فيها ضعف انبعاثات كندا، ولكنها كانت دائمًا "متردة جدًا" في اتخاذ إجراء ما<sup>2</sup>، في حين يعتقد العديد من الخبراء السياسيين أن الصراع من المرجح أن يفسد العلاقات بين الولايات المتحدة والصين، في حين يبقى موقف بكين غير واضح بشأن دعمها لموسكو، مع ذلك، فإن التزام البلدين ضروري لدفع الأمور إلى الأمام، كما يقول "إيدي بيريز" من شبكة العمل المناخي، لأنهما يمثلان وحدهما أكثر من 40% من انبعاثات غازات الدفيئة العالمية. يجب على الحكومات أن تتجنب انقطاعات الإمدادات قصيرة الأجل وتسريع انتقال الطاقة لتحقيق الحياد الكربوني بحلول عام 2050. وفي 8 آذار/مارس اقترحت المفوضية الأوروبية خطة "REPowerEU" لخفض واردات الغاز الروسي بمقدار الثلث بحلول نهاية عام 2022 وخطت أن تنتهيها عام 2027، وهي تقوم على ركيزتين: تحفيز كفاءة الطاقة واستخدام الطاقات المتجددة والكهرباء، فضلًا عن تنويع إمدادات الغاز باستخدام مؤردين آخرين وزيادة واردات الغاز الطبيعي المسال (LNG). مع ذلك، إذا كانت الركيزة الأولى للخطة متوافقة مع الصفقة الخضراء الأوروبية، فإن هذا ليس هو الحال بالنسبة إلى الثانية<sup>3</sup>. ولعل من المهم ملاحظة أنه في حالة وجود محطات طرفية في البلدان المستوردة وبنى تحتية في البلدان المنتجة يبقى النقل ضروريًا، فالاستيراد عن طريق البحر معقد، لأن هناك نقصًا عالميًا في ناقلات الغاز الطبيعي المسال، ولعل شحة الشحن البحري يعد أحد معوقات انتعاش التجارة العالمية<sup>4</sup>.

توصي وكالة الطاقة الدولية بوضع حد للاستثمارات الجديدة في الوقود الأحفوري، مع أن الحرب في أوكرانيا لها تأثير في إحياء هذه الاستثمارات. نفس الملاحظة تسود في مجال الزراعة، إذ تعد روسيا المصدّر الرائد عالميًا للأسمدة الاصطناعية، وقد زاد استهلاكها العالمي بمعدل تسعة أضعاف منذ عام 1960. هذه الأسمدة هي سبب الضرر البيئي غير المستدام (انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، والزراعة الأحادية التي تؤدي إلى إفقار التربة، وفقدان التنوع البيولوجي، وتطویر الزراعة الصناعية، وتشكيل جزيئات دقيقة. وتلوث الهواء والماء وغيرها)، لهذا السبب يهدف مشروع المفوضية الأوروبية "من المزرعة إلى الشوكة" إلى زيادة الأراضي الزراعية المزروعة عضويًا بنسبة 25% وتقليل استخدام المبيدات بنسبة 50% والأسمدة الكيماوية بنسبة 20% في عام 2030، إلا أن اللوبي الزراعي Copa-Cogeca شكك في ذلك، بحجة أن عواقب الحرب في أوكرانيا كانت بحاجة إلى إنتاج المزيد، ولا سيما في توفير غذاء البلدان النامية التي تضررت من ارتفاع الأسعار والمهددة بانقطاع الإمدادات، في حين أن "Farm to Fork" الاستراتيجية، على العكس من ذلك تتوقع انخفاضًا بنسبة 10% من الإنتاج<sup>4</sup>، في وقت نجد فيه أن الاكتفاء الذاتي من الطاقة في القارة القديمة

<sup>2</sup> Alexandre Shields, La guerre en Ukraine, ennemie du climat, le devoir, paris, 26 mars 2022, consulté le 12 Novembre 2022, <https://www.ledevoir.com/environnement/691518/la-guerre-en-ukraine-ennemie-du-climat>

<sup>3</sup> Energie: quels sont les impacts de la guerre en Ukraine ? 01/03/2022, consulté le 11 Novembre 2022, <https://www.jechange.fr/energie/duale/news/guerre-en-ukraine-les-impacts-sur-l-energie>

<sup>4</sup> Arnaud zacharie, guerre en ukraïne: accélérateur ou frein de la transition écologique ? avril 27, 2022, consulté le 28 octobre 2022, <https://www.cncd.be/guerre-Ukraine-accelerateur-frein-transition-ecologique?lang=fr>



شؤون الطاقة والمناخ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية: سيناريوهات متوقعة ومقاربات جيوبوليتيكية؛ أمنية؛ بيئية

لا يزال منخفضًا، بالرغم من أن التطوير الهائل للطاقة الهيدروليكية والشمسية وطاقة الرياح هناك يمكن أن يمكّنها من وضع حد للعديد من تبعياتها الخارجية، ومن ثم زيادة "سيادتها على الطاقة"، وهو الطلب المتزايد منذ بداية الحرب في أوكرانيا<sup>5</sup>.

لقد أدركت الصين جيدًا، وهي التي تمتلك ثاني أكبر اقتصاد في العالم، أن الهيمنة على قطاع التكنولوجيا "النظيفة" ضرورة وطنية، لا تقل أهمية عن توفير الوقود الأحفوري، لاسيما وأن حقة "ما بعد النفط"، إذا ما وصلت، تعد بتبديل الأوراق بين الدول المنتجة والمستهلكة. ولعل بكن ليست استثناءً في ذلك، فبينما تنتج البلاد حوالي 80% من العناصر الأرضية النادرة المستهلكة على الكرة الأرضية -المستخدمة على سبيل المثال في المغناطيس الدائم لتوربينات الرياح في البحر- فإن طرق الحرير الجديدة لها مهنة أخرى بخلاف فتح الطرق البحرية لاستيراد كميات هائلة من الهيدروكربونات إلى الصين. ولسبب وجيه، يمكن لهذا الشريان أن يُمكنه من تأمين منافذ كافية لبيع إنتاجه، عن طريق تحفيز تدفقات الطاقة "النظيفة"، لاسيما وأن الصين أيضًا تحتل المرتبة الأولى على منصة التنويع في إنتاج الصلب والألمنيوم، والثالثة في النحاس والليثيوم<sup>6</sup>.

حان الوقت لإعادة التفكير في أنظمة الغذاء والطاقة العالمية، مع تفاقم الحرب في أوكرانيا وتفاقم الأزمات، إذ تكشف آثارها عن نقاط ضعف رئيسية في أنظمة الغذاء والطاقة العالمي. كان انعدام الأمن الغذائي في ازدياد بالفعل قبل اندلاع الحرب، حيث كان ما يقدر بنحو 44 مليون شخص على شفا المجاعة بسبب COVID-19 وتغيّر المناخ والحر. كما أن شحة الطاقة لا يزال مائلًا، حيث يفتقر 2. 4 مليار شخص إلى الوصول إلى الطهي النظيف، وهو سبب لتلوث الهواء المنزلي الذي يتسبب في 2-3 حالة وفاة مبكرة سنويًا، معظمها بين النساء والأطفال. يرجع ضعف أنظمة الغذاء والطاقة العالمية في جزء كبير منه إلى الاعتماد على الوقود الأحفوري، وطالما أن أمن الطاقة مرتبط بالنفط والغاز، فسيظل عرضة لتقلبات السوق وصددمات الأسعار، فالكثير من الذين فقدوا الوصول إلى الطاقة خلال إنتشار COVID-19 لم يتمكنوا من الدفع. إن ارتفاع أسعار النفط والغاز قد يؤدي في النهاية إلى زيادة الاستثمار في الطاقة القائمة على الوقود الأحفوري. الأرباح المفاجئة لصناعة الوقود الأحفوري، ستجعل التغيير أكثر صعوبة بدون تدخل، مع ذلك قد يشهد العالم انعكاسًا في إزالة الكربون حيث يتحرك التقدم ببطء شديد<sup>7</sup>.

تكشف لنا الحرب في أوكرانيا مدى الاعتماد على الهيدروكربونات، وهذا يثبت لنا مرة أخرى أن الوقت قد حان للمضي قدمًا نحو الخُذ يشير "هوغو سيغوين"<sup>8</sup> إلى تأثيرات ذلك في المناخ: «أنه منذ

<sup>5</sup> Marine Godelier , Comment la guerre en Ukraine façonne une nouvelle géopolitique de l'énergie, La Tribune, 18 Juill 2022, consulté le 11 octobre 2022, <https://www.latribune.fr/entreprises-finance/industrie/energie-environnement/comment-la-guerre-en-ukraine-faconne-une-nouvelle-geopolitique-de-l-energie-924647.html>

<sup>6</sup> Marine Godelier , op. cit.

<sup>7</sup> Ukraine and the food and fuel crisis: 4 things to know , September , 22, 2022, Access 11 September 2022 <https://www.unwomen.org/en/news-stories/feature-story/2022/09/ukraine-and-the-food-and-fod>

<sup>8</sup> هوغو سيغوين: Hugo Séguin خبير في قضايا الطاقة وسياسة المناخ والاقتصاد الأخضر. يدرس في كلية السياسة التطبيقية بجامعة شيربروك ويعمل في الدوائر السياسية في أوتاوا ومدينة كيبك. شارك في الدوائر البيئية في كيبك وكندا والدولية لمدة خمسة عشر عامًا، وعمل مديرًا لبرنامج المناخ والطاقة في منظمة Équiterre وترأس شبكة كندا للعمل المناخي، وهو أحد مؤسسي الحملة العالمية للعمل المناخي. TckTckTck

توقيع اتفاقية باريس عام 2015<sup>9</sup>، دخلت العديد من "القضايا الضخمة" الأخرى إلى المشهد، بما في ذلك الحرب الحالية، وكذلك الوباء العالمي. لذلك لا يمكننا أن نضع كل طاقاتنا في قضية المناخ. وبغض النظر عن الترددات السياسية الاستراتيجية، تبقى مسألة الحفاظ على المناخ من التأثيرات السلبية للحرب واضحًا تمامًا، رغم الالتزامات التي تعهدت بها عدة دول في الوقت الحاضر، فمن المتوقع أن تزيد انبعاثات غازات الدفيئة العالمية بنسبة 14% خلال العقد الحالي، بينما تبلغ هذه النسبة 45%. سيتعين فرض الخفض على جميع الدول من أجل الحفاظ على مناخ كوكبي قابل للحياة"<sup>10</sup>.

## المحور الثاني: انتقال الطاقة وتأثيرات الحرب في مجالي المناخ والبيئة.. مقارنة جيوبوليتيكية

تعد الحرب الروسية الأوكرانية شأنًا سياسيًا معاصرًا له أبعادًا جيوبوليتيكية كبيرة على العالم. ولعل الموقع الجغرافي لأوكرانيا يجعلها في قلب التنافس العالمي من الناحية الجيوسياسية، إذ تحتل موقعًا بين روسيا وحلف الناتو، يحدها من الجنوب البحر الأسود، الذي يربط أوكرانيا بتركيا وبلغاريا، ذو الأهمية الجغرافية والاستراتيجية لروسيا، ومن الناحية الاستراتيجية تحظى أوكرانيا بمكانة متميزة في منظومة الأمن الأوروبي، بالرغم من أنها ليست عضوًا في حلف الناتو، وبسبب موقعها الجغرافي، ومكانتها بالنسبة إلى روسيا، تحولت أوكرانيا إلى بؤرة رئيسية للتوترات المستمرة والمتزايدة بين روسيا والغرب.

لعل للأزمة الجيوبوليتيكية الروسية الأوكرانية تداعيات على النظام العالمي، وذلك بسبب الأهمية الجيوسياسية لأوكرانيا، حيث تكمن أهمية أوكرانيا الاستراتيجية بالنسبة إلى روسيا في أنها توفر لها منطقة عازلة وطريقًا بريًا نحو وسط أوروبا، فضلًا عن ذلك، إقامة القواعد العسكرية والمنشآت البحرية على طول الخط الساحلي لأوكرانيا، وهو ما يتيح لروسيا بسط نفوذها البحري في منطقة البحر الأسود، إلى جانب طرق النقل المهمة وخطوط أنابيب الطاقة الروسية التي تمر عبر الأراضي الأوكرانية. في نفس هذا السياق، يقول مارك ساكسبير<sup>11</sup>: "لقد أدى الغزو الروسي لأوكرانيا إلى قلب النظام العالمي، ومعه أنظمة الطاقة والإنتاج والتوزيع والتمويل، فالحرب في أوكرانيا جزء من النضال من أجل نظام عالمي جديد. تتحدى فيه روسيا والصين صراحة القطب الأمريكي الأوحده، لكن كيف سيبدو النظام العالمي الجديد؟ يبقى سؤالًا مفتوحًا"<sup>12</sup>.

<sup>9</sup> اتفاقية باريس: عُقدت من أجل مواجهة تغيّر المناخ وآثاره السلبية، عندما تبنّت 197 دولة إتفاق باريس في مؤتمر الأطراف الـ 21 في باريس في 12 كانون الأول/ديسمبر 2015. دخل الاتفاق حيز التنفيذ بعد أقل من عام، ويهدف إلى الحد بشكل كبير من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري العالمية والحد من زيادة درجة الحرارة في هذا القرن إلى درجتين مئويتين مع السعي إلى الحد من الزيادة إلى 1.5 درجة. حتى اليوم، إنضمت (193 دولة بالإضافة إلى الاتحاد الأوروبي) إلى اتفاق باريس. أنظر:

L'Accord de Paris, unis nations siye, consulté le 12 Novembre 2022, <https://www.un.org/fr/climatechange/paris-agreement>

<sup>10</sup> Alexandre Shields, op. cit.

<sup>11</sup> مارك ساكسبير: رئيس قسم آسيا في مؤسسة فريدريش إيبيرت. Stiftung.

<sup>12</sup> Marc Saxer, The coming world order, the social Europe, 5 May 2022: <https://socialeurope.eu/the-coming-world-order>

شؤون الطاقة والمناخ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية: سيناريوهات متوقعة ومقاربات جيوبوليتيكية؛ أمانة: بيئة

يعيد الاتحاد الأوروبي تشكيل الجغرافيا السياسية العالمية نحو الطاقات المنخفضة من الكربون، لأنه على الرغم من تعطشه للغاز الطبيعي المسال والتوسع العرضي لمحطات الطاقة التي تعمل بالفحم، إلا أنه لا يزال متمسكًا بهدفه الطموح لتقليل انبعاثات غازات الاحتباس الحراري بنسبة 55% بحلول عام 2030، قبل تحقيق الحياد الكربوني بحلول منتصف القرن الحالي. في نهاية يونيو 2022، قرر المجلس الأوروبي أيضًا زيادة حصة الطاقة التي يجب إنتاجها من مصادر متجددة إلى 40% في عام 2030، مقابل 32% سابقًا<sup>13</sup>.

لا بد من الإشارة، إلى أن "نظرية قلب العالم" لماكيندر<sup>14</sup> تعد من أهم النظريات الجيوبوليتيكية المفسرة لظاهرة الصراع الحالي بين روسيا وأوكرانيا، فمن يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على العالم، وبهذا المعنى تصر روسيا على أنها قلب العالم، ويمكن تعليل ذلك، بأن روسيا وفق نظرية ماكيندر هي قلب الأرض، وأن سعي روسيا التي تملك مساحة جغرافية واسعة للوصول إلى المياه الدافئة باعتبارها دولة مغلقة على المحيطات يجعل الحرب الحالية هي حرب بين قوى برية ممثلة في روسيا وقوى بحرية ممثلة في الناتو وحصيلتها لعبة صفرية<sup>15</sup>.

### أولاً- استخدام طاقة الرياح من أجل بيئة نظيفة

في ظل لعبة ذات قواعد معولمة، لا تزال الهيدروكربونات تحتل دائمًا أهمية كبيرة، وتُشكل العلاقات بين البلدان المنتجة والمستهلكة. على الرغم من وعود التحوّل إلى مصادر الطاقة المتجددة، فإن 84% من الطاقة الأولية المستهلكة على الكوكب تأتي من النفط، الفحم أو الغاز، وأكثر من 70% منها في الاتحاد الأوروبي. بفضل أزمة العرض، فإن الرغبة الشديدة في الحصول على الوقود تجعل المنتجين يكافحون من أجل تلبية الطلب حتى أكثرها تلويثًا، وهناك مصدر مهم للطاقة، الذي يعد بإعادة هيكلة سوق الهيدروكربون العالمي على المدى الطويل، ألا وهو الغاز الطبيعي المُسال (LNG) يتم تخزينه عند (-162) درجة مئوية ويتم نقله بواسطة السفن بدلًا من خطوط الأنابيب، وهو يعيد تشكيل التجارة الدولية. ولسبب وجيه، تسمح مرونته لأولئك الذين يستطيعون تحمل تكاليفها بالحصول على الإمدادات في أي مكان، بشرط أن يكون لديهم محطات إعادة تحويل الغاز المُسال إلى غاز عند تكريره.

ليس هناك شك في وجود توجه نحو تسريع إزالة الكربون عن قطاع الطاقة، إذ سعت أوروبا بالفعل إلى تقليل اعتمادها على الهيدروكربونات، إلا أن الحرب شجعتها على المضي قدمًا بشكل أسرع، على أنه في غضون سنوات قليلة، من المفترض أن يكون هناك انخفاض كبير في الطلب على

<sup>13</sup> Alexandre Shields , op. cit.

<sup>14</sup> نظرية قلب العالم (HeartLand Theory). تعد هذه النظرية التي جاء بها هالفورد جون ماكيندر John Mackinder في مقال له تحت عنوان "محور الارتكاز الجغرافي في تعاليم التاريخ" The Geographical Pivot of History، أول نظرية في الاستراتيجية العامة والقوى العالمية. قدّم ماكيندر مفهوم قلب العالم ليفسر للإمبراطورية البريطانية الحاجة إلى معالجة التوسع الروسي باتجاه الخليج العربي، في وقت كانت روسيا تعزز بقوة نظام القوة البرية الممثلة من طرف روسيا أن تكون تقريبًا كمحرك للقوة البحرية الممثلة من طرف الإمبراطورية البريطانية. أنظر للتفاصيل: «نظرية قلب العالم»، الموسوعة السياسية، شوهدت في 12/20، 2022. <https://political-encyclopedia.org/dictionary>

<sup>15</sup> الحرب الروسية الأوكرانية. رهان جيوبوليتيكي سيغير الخارطة العالمية، ندوة أقيمت في قسم العلوم السياسية بجامعة بومرداس بالجزائر، 20/03/2022، شوهد في 11/12/2022. <https://www.echoroukonline.com>

الهيدروكربونات. في حين يعتقد "إريك لاشابيل"، الأستاذ المشارك في قسم العلوم السياسية في جامعة مونتريال، أنه في الوضع الحالي، ستسعى البلدان أكثر من أي وقت مضى إلى التحول إلى "الإنتاج المحلي" من طاقة الرياح أو الطاقة الشمسية أو الطاقة النووية، فعلى سبيل المثال، تعتمد إيطاليا اعتمادًا كبيرًا على الغاز الروسي، وتريد الآن تسريع تطوير مشاريع طاقة الرياح في البحر الأبيض المتوسط. الأمر نفسه ينطبق على المملكة المتحدة، التي تراهن أيضًا على الطاقة الشمسية والنووية. كما أعلنت هولندا مؤخرًا عن نيتها مضاعفة إنتاجها من طاقة الرياح بحلول عام 2030، وذلك بفضل المشاريع الجديدة في بحر الشمال. وفي حالات أخرى تفرض الأزمة على العكس تأجيل بعض القرارات المتخذة لحماية البيئة والسكان. لذلك قررت بلجيكا تأجيل خروجها من برنامج الطاقة النووية، في حين أشارت ألمانيا إلى أنها "قد" تعلق الإغلاق للزمع لبعض محطات الطاقة التي تعمل بالفحم<sup>16</sup>. أما بالنسبة إلى الصين، التي تستورد ثلاثة أرباع استهلاكها من النفط و 40% من استهلاكها للغاز، فهي تراقب الوضع عن كثب، ولسبب وجيه، فإن قريبا من خليج عمان يجعلها بوابة مثالية لنقل الهيدروكربونات من الشرق الأوسط، لاسيما وأن الصين قد رسخت وجودها في جيوتوي<sup>17</sup>.

يؤكد عالم البيئة الفرنسي "يانيك جادوت" مرارًا وتكرارًا: "نحن في خضم اضطراب دولي، والاعتماد على الشمس والرياح من خلال خلق فرص عمل محليًا أفضل من الاعتماد على الغاز والنفط الروسي أو من المملكة العربية السعودية"<sup>18</sup>.

هناك العديد من المعايير التي تسمح لبكين ونيودلهي، المستهلكين الأول والثالث للطاقة على المستوى العالمي، بإرواء تعطشهما للوقود من خلال الاعتماد على الإمدادات الروسية التي يتخلى عنها الاتحاد الأوروبي، من جانبه المتضرر من التضخم خارج حدود سيطرته.

## ثانيًا- تدابير وإجراءات معالجات التأثيرات البيئية والمناخية

تعد قمة الأمم المتحدة للمناخ التي عقدت في شرم الشيخ بمصر من 6 - 18 تشرين الثاني/نوفمبر 2022 في غاية الأهمية، إذ اجتمعت الدول في شرم الشيخ للاتفاق على إجراءات للحد من تغيّر المناخ. ولعل القضية الرئيسية التي جرى التفاوض بشأنها، هي من يدفع ثمن الأضرار التي يسببها تغيّر المناخ في الدول النامية، وقد حذرت شخصيات بارزة في القمة من أن الهدف الرئيسي لمحاولة الحد من متوسط ارتفاع درجات الحرارة إلى 1.5 درجة مئوية قد يكون تحت التهديد<sup>19</sup>.

من جانبهم، وافق قادة الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي البالغ عددهم 27 عضوًا في إعلان فرساي المنعقد في آذار/مارس 2022، على التخلص التدريجي من اعتماد الاتحاد الأوروبي على الوقود الأحفوري الروسي في أقرب وقت ممكن. فضلًا عن ذلك، تحرك الاتحاد الأوروبي لمواجهة

<sup>16</sup> Alexandre Shields , op. cit.

<sup>17</sup> Marine Godelier , op. cit.

<sup>18</sup> Ibid.

<sup>19</sup> COP27: War causing huge release of climate warming gas, claims Ukrain, BBC, 4 November 2022, access 15 october 2022, <https://www.bbc.com/news/science-environment-63625693>

شؤون الطاقة والمناخ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية: سيناريوهات متوقعة ومقاربات جيوبوليتيكية؛ أمانة؛ بيئية

أزمة الطاقة، إذ تمت تعبئة الغاز إلى أكثر من 80% من الدول قبل الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، وإتفق أعضائه على أهداف واضحة لخفض استهلاك الغاز في هذا الشتاء، ولمساعدة المستهلكين والشركات الضعيفة على إدارة الأسعار المرتفعة، اقترحوا من بين أمور أخرى، فرض ضريبة غير متوقعة على الشركات في قطاع الطاقة التي حققت أرباحًا كبيرة، فضلًا عن ذلك، وجنبا إلى جنب مع مجموعة الدول السبع وشركاء آخرين، يرغب الاتحاد بوضع حد أقصى لسعر صادرات النفط الروسية<sup>20</sup>.

وضمن نفس هذا السياق، تعتزم العديد من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي أيضًا استخدام الفحم لتعويض نقص الغاز الروسي، مثل ألمانيا التي تخطط لتعليق إغلاق محطات الطاقة التي تعمل بالفحم، واليونان التي ستضاعف إنتاجها من الليغنيت (الفحم الأسمر أو البني)، ورومانيا التي تستأنف مؤقتًا محطات الطاقة التي تعمل بالفحم، أو إيطاليا التي تعتزم استغلال المزيد من محطتي الطاقة التي تعمل بالفحم، وهو خيار غير متوافق مع تقرير IPCC الذي يحدد عام 2025 عامًا يجب فيه الوصول إلى ذروة انبعاثات ثاني أكسيد الكربون العالمية للحد من ظاهرة الاحتباس الحراري إلى 1.5 درجة، في حين انخفضت انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من قطاع الطاقة بنسبة 7% بين عامي 2019 و2021 في الاتحاد الأوروبي، وارتفعت الانبعاثات المرتبطة بالفحم بنسبة 17% في عام 2021 مقارنة بعام 2020، نظرًا لارتفاع أسعار الفحم، وقد جعل الغاز الفحم أكثر قوة على المنافسة، إذ يعد مصدرًا مهمًا بشكل خاص في ألمانيا وبولندا اللتان ركزتا على ما نسبته 53% من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من قطاع الطاقة في الاتحاد الأوروبي عام 2021.

منذ بدء الحرب في شباط/ فبراير 2022، تدعي أوكرانيا أنها جمعت أدلة على "جريمة بيئية" تكلفتها 37 مليون يورو، بما في ذلك تدمير الغابات، وإطلاق الغازات السامة، وإلحاق الضرر بمرافق المياه. وتخطط لاستخدام الأدلة لطلب تعويض من روسيا عن الأضرار التي تسببت فيها، ولدى سؤاله عما إذا كانت أوكرانيا قادرة على تقييم الأضرار البيئية في خيرسون المحررة مؤخرًا، قال "روسلان ستريليتس"، وزير حماية البيئة الأوكراني " إنه من السابق لأوانه للعلماء الوصول إلى جميع أنحاء المدينة. كما تدعي الحكومة أن حوالي 600 حيوان و 750 نباتًا وفطرًا، بما في ذلك الأنواع المهددة بالانقراض<sup>22</sup>، فعلى سبيل المثال، منذ أن اندلعت الحرب الروسية الأوكرانية في فبراير 2022، وثقت 120 حالة وفاة من الدلافين في البحر الأسود، وهو ما يرتبط بالحرب<sup>23</sup>.

في ذات السياق، أشار الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلى أن العالم لا يزال يتجه نحو ارتفاع درجة حرارة 7.2 درجة مئوية مقارنة بعصر ما قبل الصناعة، في حين أن الهدف من اتفاقية باريس هو قصرها على 1.5 درجة مئوية- كما سبقت الإشارة إليه- وقال "نحن نسير نائمين نحو كارثة مناخية"، وما لم ننفذ التغييرات الجذرية التي سيتم اقتراحها في تقرير للهيئة الحكومية

<sup>20</sup> Face à la Russie, notre stratégie fonctionne et nous devons la poursuivre, sites web de l'union européenne, 15.09.2022, consulté le 10 November 2022: [https://www.eas.europa.eu/eas/face-C3A0-la-russie-notre-strat-C3A9gie-fonctionne-et-nous-devons-la-poursuivre\\_fr](https://www.eas.europa.eu/eas/face-C3A0-la-russie-notre-strat-C3A9gie-fonctionne-et-nous-devons-la-poursuivre_fr)

<sup>21</sup> Arnaud zacharie , op. cit.

<sup>22</sup> COP27: War causing huge release of climate warming gas, op. cit.

<sup>23</sup> Arnaud zacharie , op. cit.

الدولية المعنية بتغيير المناخ، المنشور في 4 نيسان/ أبريل، فإن تغيير المناخ سوف يتسبب في صراعات عنيفة في العقود القادمة. وبينما تكافح العديد من الدول حول كيفية تقليل اعتمادها على النفط الروسي، خلصت دراسة نُشرت مؤخرًا من قبل باحثين في جامعة مانشستر إلى أنه سيتعين على الدول المتقدمة إنهاء جميع عمليات إنتاج النفط والغاز الطبيعي بحلول عام 2034 لمنح نفسها فرصة بنسبة 50%، من أجل الحد من تغيير المناخ إلى ارتفاع درجة حرارة 1.5 درجة مئوية<sup>24</sup>.

يتطلب الأمر أن تشجع الحرب الروسية الأوكرانية الحكومات على مضاعفة جهودها للتخلص من الاعتماد على الوقود الأحفوري وتسريع التحول البيئي والاجتماعي، في حين توضح الأزمة الحالية كيف أن "إشارة تسعير الكربون"<sup>25</sup> ليست كافية لمواجهة التحدي المناخي. من المُسلم به أن ارتفاع أسعار الوقود الأحفوري وهبوط أسعار الطاقات المتجددة يؤديان إلى زيادة الاستثمارات في الطاقات المتجددة، لكنهما لا يمنعان استثمارات جديدة في البنى التحتية للغاز والنفط، ومن ثم، وفقًا لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية زاد الإنفاق العام المخصص لتدابير التحفيز الصديقة للبيئة من 677 مليار دولار إلى 1090 مليار دولار بين تموز/ يوليو ونهاية كانون الأول/ ديسمبر 2021، لكن الإنفاق على التدابير ذات التأثير المختلط أو السلبي على البيئة زاد أيضًا من 319 إلى 468 مليارًا. في نفس الوقت، ينبغي على الحكومات أيضًا مضاعفة الإعانات المقدمة للوقود الأحفوري للحد من العواقب الاجتماعية للارتفاع غير المنضبط في الأسعار<sup>26</sup>.

### المحور الثالث: التأثيرات البيئية والمناخية في الشرق الأوسط

من السابق لأوانه تقييم التأثير الدائم للحرب الروسية الأوكرانية على منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولكن إذا استمر تجاهل روسيا، ولم تنتهز الدول الأوروبية الأكثر إهتمامًا بمستقبل هذه المنطقة الفرصة لإعادة الانخراط في مفاوضات سياسية، فمن الممكن أن تنتهز الصين الفرصة لتقدم ببادقها في جميع الاتجاهات، ومن ثم تحسين موقعها في مواجهة الولايات المتحدة، بشرط ألا تنطلق في مغامرة عسكرية. يبدو أن هناك شيئًا واحدًا مؤكدًا وهو أن العالم العربي وتركيا وإيران وإسرائيل يراقبون باهتمام شديد الطريقة التي سيتصرف بها الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، وكيف سيديرون مرحلة ما بعد الحرب لدى حصولها، إذ أن أية علامة ضعف أو تراجع قد تكلف ثمنًا باهظًا ونقدًا<sup>27</sup>.

<sup>24</sup> Alexandre Shields , op. cit.

<sup>25</sup> تسعير الكربون: هو وسيلة لمكافحة تغيير المناخ الذي يجذب اهتمامًا متزايدًا. ما يقرب من 40 دولة وأكثر من 20 مدينة وغيرها من الولايات، لديها أو سيكون لديها قريبًا أنظمة تداول الانبعاثات أو ضرائب الكربون. يساعد تحديد سعر الكربون على تحويل عبء الأضرار الناجمة عن انبعاثات غازات الاحتباس الحراري إلى المسؤولين والقادرين على تقليلها. وهناك نوعان رئيسيان لتسعير انبعاثات الكربون وهما: نظم الاتجار في الانبعاثات، وضرائب الكربون. لمزيد من التفاصيل، أنظر موقع البنك الدولي:

« Que signifie » donner un prix au carbone ? , La Banque mondiale ,11 juin 2014, consulté le 10 decembre 2022, <https://www.banquemondiale.org/fr/news/feature/2014/06/11/what-does-it-mean-to-put-a-price-on-carbon>

<sup>26</sup> Marine Godelier , op. cit.

<sup>27</sup> Pierre Razoux, impacts de la guerre en ukraine au moyen-orient et en afrique du nord , institut fmes, paris, conslute' le 12 Decembre 2022, <https://fmes-france.org/impacts-de-la-guerre-en-ukraine-au-moyen-orient-et-en-afrique-du-nord/>



شؤون الطاقة والمناخ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية: سيناريوهات متوقعة ومقاربات جيوبوليتيكية؛ أمانة: بيئة

بحث الكونغرس الأمريكي في شهر حزيران/ يونيو 2022 تقريرًا حول التدايعات العالمية للحرب الروسية الأوكرانية. يقدم هذا التقرير معلومات وتحليلات حول الآثار التي خلفها الغزو الروسي لأوكرانيا والحرب التي أعقبت ذلك، على دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (MENA)، وهي منطقة ذات بروز استراتيجي وسياسي خارجي مستمر للكونغرس والولايات المتحدة<sup>28</sup>.

لا يمكن أن يكون هناك رابع من حرب مدمرة كالحرب في أوكرانيا، إلا أن البلدان غير المنتجة للنفط فسوف تتعرض لتدايعات سلبية قد تقود إلى توترات اجتماعية إضافية. من جهته، أبدى البنك الدولي استعداده لزيادة مساندة للإنتاج المحلي والتسويق التجاري للأغذية الزراعية، وإدارة المخاطر الزراعية والاحتياطيات الغذائية في البلدان التي تتعرض لصدمات على ذلك المستوى سواء من خلال زيادة تكاليف الطاقة أو الأسمدة، أو عوامل أخرى مثل الأزمات المرتبطة بالجفاف/تغير المناخ (مثل العراق واليمن وتونس ولبنان ومصر). وفي الأجل القريب، أبدى البنك استعداده لتوسيع برامجه للحماية الاجتماعية الموجهة للتغذية في بلدان مختارة عن طريق البناء على الأعمال التي أنجزت منذ عام 2020 في سياق الاستجابة والتصدي لجائحة كورونا، وكرر البنك استعداده في أن يمضي قدمًا للاضطلاع بهذه المسؤولية وتأكيد مسانده التي لا تتزعزع لشعوب منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا<sup>29</sup>.

وحيث أن أسعار المواد الغذائية تؤثر في السياسة في كل مكان، ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فقد وصل مؤشر الفاو لأسعار الغذاء إلى أعلى مستوى له منذ خمسين عامًا في عام 2013، بالتزامن مع الاحتجاجات وتغييرات عددٍ من الأنظمة التي ميزت الربيع العربي، إلى مستوى مرتفع جديد في آذار/ مارس 2022، بعد عامين من الزيادات المطردة بسبب جائحة Covid-19، ومؤخرًا غزو روسيا لأوكرانيا. نظرًا لأن البلدان في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لا تزال معرضة لارتفاع أسعار الغذاء العالمية، فإن درجة مخاطر انعدام الأمن الغذائي لا تزال ماثلة<sup>30</sup>.

يسلط الاعتماد على الطاقة الضوء على أهمية كفاءتها، إذ يتيح انخفاض الطلب إمكانية تقليل انبعاثات ثاني أكسيد الكربون وفواتير المستهلك والاعتماد على الواردات. للاستغناء عن الغاز الروسي على المدى القصير، سيحتاج الاتحاد الأوروبي إلى نشر الطاقات المتجددة واستخدام مصادر الطاقة البديلة، ولكن أيضًا لتحسين كفاءة الطاقة والرقمنة لتقليل الطلب بنسبة 15%. لهذا السبب نشرت وكالة الطاقة الدولية خطة من 10 نقاط بما في ذلك العديد من التدابير التي تهدف إلى تقليل الطلب على الطاقة في الاتحاد الأوروبي، مثل تركيب مضخات حرارية من شأنها أن تقلل واردات الغاز الروسي بنسبة 5% وخفض درجة حرارة التدفئة بمقدار 1 درجة.

<sup>28</sup> Middle East and North Africa: Implications of 2022 Russia-Ukraine War, Congressional Research Service, June 15, 2022, access 11september 2022, <https://sgp.fas.org/crs/mideast/R47160.pdf>

<sup>29</sup> Ferid Belhaj, Aggravation de la tension: l'impact de la guerre en Ukraine sur la région du Moyen-Orient et de l'Afrique du Nord, banque mondial blog, 07 Mars 2022, consulté le 13 octobre 2022, <https://blogs.worldbank.org/fr/arabvoices/compounded-stress-impact-war-ukraine-middle-east-and-north-africa>

<sup>30</sup> Caitlin Welsh, The Impact of Russia's Invasion of Ukraine in the Middle East and North Africa, CISS, May 18, 2022, consulté le 16 December 2022, <https://www.csis.org/analysis/impact-russias-invasion-ukraine-middle-east-and-north-africa>

لقد سبب الغزو الروسي لأوكرانيا كمية كبيرة من غازات الاحتباس الحراري يتم إطلاقها في الغلاف الجوي، حسبما زعمت أوكرانيا في قمة المناخ للأمم المتحدة COP27 في مصر. وقالت أوكرانيا إنها تجمع أدلة على الجرائم البيئية لمقاضاة روسيا، كما زعمت أن الحياة الحيوانية والنباتية قد دُمرت، فقد إدعى وزير حماية البيئة والموارد الطبيعية "روسلان ستريليتس"، أن الحرب أدت بشكل مباشر إلى انبعاث حوالي 33 مليون طن من غازات الاحتباس الحراري التي تعمل على تدفئة الغلاف الجوي للأرض، مدعيًا أن روسيا حوّلت احتياطياتها الطبيعية إلى قاعدة عسكرية. مردفًا: روسيا تفعل كل شيء لتقصير آفاقنا وآفاقكم. وبسبب الحرب، سيتعين على الجميع بذل المزيد للتغلب على أزمة المناخ"، تم احتساب الأرقام من خلال حساب الانبعاثات بما في ذلك من حرائق الغابات والحرائق الزراعية، وكذلك النفط المحروق بعد الهجمات على مستودعات التخزين، وهناك من يرى أن إعادة بناء أوكرانيا سيؤدي إلى انبعاثات أكثر بكثير، قد تصل إلى 49 مليون طن من ثاني أكسيد الكربون. وتقول أوكرانيا إن على روسيا أن تتحمل مسؤولية هذه الانبعاثات<sup>31</sup>.

لا شك أن البلدان التي لديها موارد هيدروكربونية قليلة أو معدومة ستضطر إلى شراء النفط والبنزين والغاز والقمح بتكلفة أعلى وستعاني إقتصاديًا بلا شك، فعلى سبيل المثال، نجد أن ليبيا دولة غنية وذات كثافة سكانية منخفضة نسبيًا - ومن ثم فهي أقل عرضة للمخاطر الاجتماعية والاقتصادية - وهي تستفيد من تحسن أسعار المواد الهيدروكربونية، في حين أن مجموعة كبيرة من البلدان مثل سوريا ولبنان والسودان والأردن والسلطة الفلسطينية واليمن وتونس وبدرجة أقل مصر والعراق ستكون معرضة للخطر، لاسيما في هذه الفترة الزمنية، أما بالنسبة إلى قطر، ينبغي أن تستفيد من عواقب الحرب في أوكرانيا، ذلك أن الارتفاع المذهل في أسعار الغاز والابتعاد المؤقت لروسيا من دول الخليج (لم تقترب قطر من الكرملين أبدًا)، فضلًا عن احتمال التوصل إلى اتفاق نووي إيراني، يعزز هيكليًا مجال المناورة القطري في المنطقة ودولها، فضلًا عن دور الوسيط المتميز الجديد الذي تلعبه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط<sup>32</sup>.

وهكذا تذكرنا الأزمة الحالية بأن العدالة المناخية يجب أن تكون في قلب التحول البيئي، لأنها لن تكون مقبولة اجتماعيًا إلا إذا كانت قائمة على العدالة الاجتماعية والمالية. تتزايد الحاجة إلى سياسات إعادة التوزيع، ليس فقط داخل منطقة اليورو، ولكن على المستوى الدولي بشكل عام، حيث تفتقر البلدان النامية إلى الحيز المالي. وفقًا لوكالة الطاقة الدولية، إذا كانت الدول الصناعية في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية قد خصصت 373 مليار دولار للإنفاق العام على الطاقة النظيفة بحلول عام 2023، وهو ما يقترب من الإنفاق المطلوب على المدى القصير لاحترام المسار المؤدي إلى حياد الكربون في عام 2050. أما بالنسبة للبلدان النامية، فهي لم تخصص سوى 52 مليار دولار بحلول عام 2023، أي ربع النفقات اللازمة فقط على المدى القصير لتكون متسقة مع هدف "صافي الانبعاثات الصفرية" في منتصف القرن، في حين يتطلب نزع الكربون عن الاقتصاد العالمي تعزيز التعاون الدولي، لاسيما من خلال تمويل الصندوق الأخضر للمناخ وتحويل الديون إلى استثمارات في التحول البيئي<sup>33</sup>.

<sup>31</sup> COP27: War causing huge release of climate warming gas, op. cit.

<sup>32</sup> Pierre Razoux, op. cit.

<sup>33</sup> Arnaud zacharie , op. cit.



## المحور الرابع: سيناريوهات محتملة للحرب الروسية الأوكرانية

بالنظر لأهمية وضرورة توقيف الحرب الروسية الأوكرانية على السلم والسلام العالميين أولاً، والحد من تأثيراتها السلبية على الطاقة والمناخ والبيئة في عموم العالم ثانياً، لذا خصصتُ هذا المحور لعرض أهم السيناريوهات المتوقعة من قبل عددٍ من الكتاب والباحثين والصحفيين حول هذا الأمر. وقبل الحديث عن السيناريوهات التي تستشرف مستقبل الحرب الروسية الأوكرانية، ننصح بالرجوع إلى الجدول الزمني للعودة بالزمن من أجل فهم التسلسل الزمني لهذه الحرب ومسار أحداثها<sup>34</sup>.

### أولاً- أندبه كورتونوف: أربعة سيناريوهات للغد

يقدم كورتونوف<sup>35</sup> منذ عام 2018 أربعة سيناريوهات للعلاقات بين كييف وموسكو، أي قبل نشوب الحرب الأخيرة في فبراير 2022.

#### 1. محور (أوكرانيا الضعيفة)

يقوم هذا السيناريو على أساس مفترض بأن أوكرانيا بأنها لن تكون قادرة في السنوات القليلة المقبلة على إحراز تقدم حقيقي على طريق الإصلاحات الاقتصادية وتعزيز مؤسساتها، وزيادة كفاءة الدولة ومحاربة الفساد. بمعنى أن الضعف والوهن سيدب فيها بشكلٍ تدريجي.

#### 2. سيناريو "الحرب الباردة" (أوكرانيا القوية - المواجهة)

في السيناريو الثاني الذي يستشرفه كورتونوف، يتوقع فيه بأن تحقق أوكرانيا قفزة أساسية إلى الأمام نحو التحديث الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي ربما يؤدي إلى "الانفراج"، أي حدوث استقرار اجتماعي واقتصادي، إذ ستقوم البلاد منذ استقلالها عن الاتحاد السوفيتي بتجديد النخبة السياسية والاقتصادية، والتي أصبحت أوروبية بشكل متزايد.

#### 3. "البلقنة" (أوكرانيا الضعيفة - الاسترخاء)

يتوافق التطور الداخلي لأوكرانيا في هذا السيناريو مع الوضع الراهن، بينما تحسن العلاقات بين روسيا والغرب بشكل كبير. وحيث قد تتمكن موسكو من تجنب تشديد جديد للعقوبات الأوروبية والأمريكية، وحتى الحصول على تخفيفها.

#### 4. "جسر أوروبي" (أوكرانيا القوية - انفراج)

سيناريو كورتونوف الأخير - الأكثر تفاؤلاً - يقوم على تزامن اتجاهين لتحقيق الاستقرار: تعزيز الدولة الأوكرانية (كما في سيناريو "الحرب الباردة") والانفراج بين روسيا والغرب (كما في سيناريو "البلقنة").

<sup>34</sup> Ukraine, Russie:remonter le temps du conflit ,| Institut Montaigne, analyses - Mai 24, 2022, consulté le Decembre 2, 2022 , <https://www.institutmontaigne.org/blog/ukraine-russie-remonter-le-temps-du-conflit>

<sup>35</sup> مدير مركز الشؤون الدولية الروسي وأستاذ علوم سياسية.

## ثانياً - سيناريوهات ميشيل دوكلوس:

في هذه الطائفة الثانية من السيناريوهات، حصر دوكلوس<sup>36</sup> مآلات الحرب الروسية الأوكرانية بأربعة سيناريوهات<sup>37</sup> نسردها في ما يلي:

### 1. قتال مطول دون نتيجة حاسمة

يُقرنا المستشار دوكلوس في هذا السيناريو من الوضع السوري. يمكن أن يعترض المرء على ذلك بأن تراكم الدمار وغياب التسوية السياسية لا يمكن نقلهما إلى دولة أوروبية. مع ذلك، فخلال الشهور القليلة الماضية، كانت حرب أوكرانيا بأكملها أمراً شبيه بالحالة السورية من حيث الدمار والخراب في جميع المجالات. فيما عدا احتمالية الدخول في مفاوضات قد توقف استمرار الحرب، ومن شأن مثل هذا التوقع أن يجعل من الممكن النظر في مسألة "المفاوضات المحتملة" في ظل ظروف أفضل مما هي عليه اليوم<sup>38</sup>.

### 2. انتصار روسي شبه كامل

يتوقع هذا السيناريو: غزو كييف، ومقتل زيلينسكي أو اضطراره الذهاب إلى المنفى. من المُسلم به أن المقاومة الشعبية قد نشأت، وربما ظهرت حرب عصابات في المناطق الحضرية، لكن بوتين لم يستسلم وتلقى دعماً نشطاً من الصين؛ وهناك من يرى أن هدف فلاديمير بوتين هو قبل كل شيء الحفاظ على نظامه. في نفس هذا السياق، يؤكد ديفيد باسو<sup>39</sup>، بأن كل السيناريوهات ممكنة في الأشهر المقبلة. يمكن أن يتحول الشيء الذي يبدو صلباً إلى منزل من الورق والعكس صحيح. الخطر هو أنه إذا شعر بوتين بأنه محاصر للغاية، فسيحاول إحداث صدمة<sup>40</sup>.

### 3. تقسيم أوكرانيا

هنا في هذا السيناريو المتوقع، تنتصر روسيا أيضاً ولكنها "تتنازل" عن الحفاظ على دولة أوكرانية في غرب البلاد (عاصمتها كييف). يوافق زيلينسكي على ترتيب ما، لتجنب السكان تدميراً أكثر خطورة، على غرار غروزني أو حلب، يوافق. وفقاً للخبراء، فإن نهر "دنيبر سف" سيمثل خط الترسيم، ومسألة مصير كييف التي يتم طرحها ستكون (مقسمة، كما كانت برلين).

<sup>36</sup> ميشيل دوكلوس، مستشار خاص لمعهد مونتين، له مسيرة دبلوماسية طويلة. شغل منصب النائب الأول لمدير مركز التحليل والتنبؤ بوزارة الخارجية في الأعوام 1984 - 1987. ثم عمل سفيراً في COPS في بروكسل في الأعوام 2000 - 2002، كما عمل مستشاراً دبلوماسياً لوزير الداخلية الفرنسي في الأعوام 2009 - 2012، ثم سفيراً لدى سويسرا 2012 - 2014.

<sup>37</sup> مقال منشور في 16 مارس 2022 على موقع معهد مونتين باللغتين الانكليزية والفرنسية، بعنوان "الحرب في أوكرانيا- ما هي السيناريوهات لإنهاء الأزمة؟ الجدول الزمني لمعهد مونتين".

<sup>38</sup> Michel Duclos, Guerre en Ukraine - le moment de négocier est-il venu? Institut Montaigne, Novembre 21, 2022, consulté le 20 Decembre, 2022, <https://www.institutmontaigne.org/analyses/guerre-en-ukraine-le-moment-de-negocier-est-il-venu>

<sup>39</sup> صحفي سياسي، يعمل في EURACTIV، وهي شبكة إعلامية أوروبية مستقلة تأسست عام 1999 متخصصة في شؤون الاتحاد الأوروبي.

<sup>40</sup> Davide Basso, Guerre en Ukraine: « tous les scénarios sont possibles » selon le président de la commission Défense de l'Assemblée nationale, EURACTIV France, Sep 23, 2022, consulté le

11 Novembre 2022, <https://www.euractiv.com>

[fr/section/l-europe-dans-le-monde/interview/guerre-en-ukraine-tous-les-scenarios-sont-possibles-selon-le-president-de-la-commission-defense-de-lassemblee-nationale/](https://www.euractiv.com/fr/section/l-europe-dans-le-monde/interview/guerre-en-ukraine-tous-les-scenarios-sont-possibles-selon-le-president-de-la-commission-defense-de-lassemblee-nationale/)

#### 4. فشل روسي

يتمسك الأوكرانيون وروسيا، لأسباب مختلفة، في مواجهة التكاليف المتزايدة للحرب، ولكن الأمر ينتهي بالتراجع. مع ذلك، حتى في هذه الفرضية-الأقل احتمالاً- يوقف بوتين التكاليف فقط بعد أن تعهد باستقطاع أوكرانيا لجزء من أراضيها في الجنوب (على الأقل حتى أوديسا)<sup>41</sup>.

#### ثالثاً- سيناريوهات برونو تترتريه

حدّد المستشار الجيوبوليتيكي برونو تترتريه<sup>42</sup> خمسة سيناريوهات<sup>43</sup>، يرى أنها الأكثر احتمالاً في الحدوث، نوردتها في ما يلي:

##### 1. التعتش، أو سيناريو "كاراباخ"

السيناريو الأول هو الوقوع في المستنقع لعدة أشهر على الأقل، وربما عدة سنوات. يقوم الجيش الروسي بالفعل في جنوب أوكرانيا بتدعيم مواقعه وتحصينها. يمكن شن حرب "مواقع" بدلاً من "حركة" تكون فيها المدفعية أكثر تأثيراً من الدبابات، تتخللها هجمات غير حاسمة.

##### 2. العودة إلى الوضع السابق أو سيناريو "كشمير"

في هذا السيناريو الثاني لتيرتريه، قد يؤدي الجمود الدائم-ما يمكن أن نطلق عليه (إختبار الضعف)، أو ما يسميه الخبير الأمريكي إليوت كوهين "الانهيار التنافسي"- في النهاية، بعد انسحاب الجيش الروسي إلى مواقعه الأولية، على عودة متفق عليها إلى الوضع ما قبل الجمود الدائم. هذه العودة إلى المربع الأول إقترحها هنري كيسنجر في دافوس في نهاية مايو الماضي كأفضل حل للتفاوض.

##### 3. الغزو الروسي، أو سيناريو "القرم"

في سيناريو ثالث، ستنجح موسكو على حساب جهود كبيرة، في قهر "روسيا الجديدة" بأكملها، من دونباس إلى غرب القرم، وفي تعزيز مواقفها. ثم تقترح روسيا وقف إطلاق النار و«تسوية إقليمية» في كييف.

##### 4. إعادة الاحتلال الأوكراني، أو سيناريو "كرواتيا"

يتوقع هذا السيناريو حدوث انهيار مادي ومعنوي للجيش الروسي، مع كل الجوانب التي تم أخذها في الاعتبار، يبقى أكثر احتمالاً من الفرضية المعاكسة. كما يذكرنا خبير فرنسي، "هذه الحرب هي حرب استكشافية على الأرض ضد أمة مسلحة أمرت بالتعبئة العامة، وقدرتها على استبدال الرجال، أو حتى مجرد إعفائهم من الراحة، ليست هي نفسها"<sup>44</sup>.

<sup>41</sup> Michel Duclos, op. cit.

<sup>42</sup> هو نائب مدير مؤسسة البحوث الاستراتيجية (FRS)، وهي مؤسسة فكرية فرنسية رئيسية معنية بقضايا الأمن الدولي.

<sup>43</sup> مقال نشره في موقع معهد مونتبن باللغة الفرنسية في 31 مايو 2022 بعنوان "أوكرانيا: ثلاثة أشهر من الحرب، خمسة سيناريوهات".

<sup>44</sup> Bruno Tertrais, Ukraine: trois mois de guerre, cinq scénarios, analyses - Mai 31, 2022, consulté le 12 Decembre 2022, Institut Montaigne, <https://www.institutmontaigne.org/analyses/ukraine-trois-mois-de-guerre-cinq-scenarios>

## 5. الحل الوسط، أو سيناريو "كوسوفو"

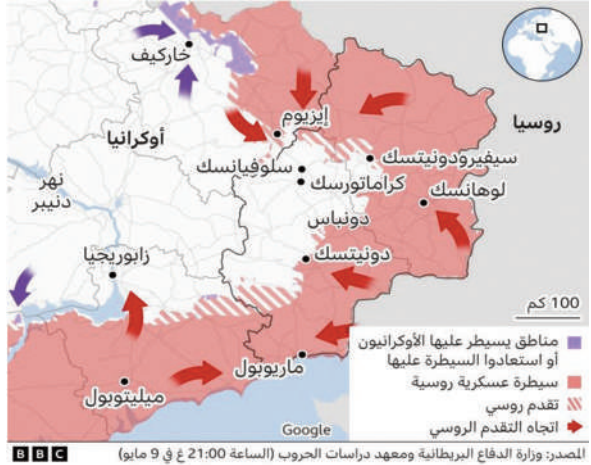
في هذا السيناريو، ستمت فيه إستعادة دونباس-في هذه الفرضية- لكن شبه جزيرة القرم ستبقى في أيدي موسكو. ويمكن أن تتطور الوحدة الأوكرانية لدرجة أن شبه الجزيرة تصبح شبيهة بالأزاس واللورين، ليتم استعادتها يوماً ما. فإن سيناريو الأرض مقابل السلام - هذا إذا استخدمنا استعارة الشرق الأوسط - لن يكون واقعياً إلا إذا وافقت دول الناتو، بقيادة الولايات المتحدة، على التعويض عن فقدان شبه جزيرة القرم والاعتراف بالسيادة الروسية على الأرض بضمان من الأمن الممنوح لأوكرانيا في حدودها الجديدة لتجاوز روسيا للمعايير الأوروبية بشأن عدم تعديل الحدود بالقوة<sup>45</sup>.

## رابعاً- سيناريوهات رام أتوربا

أخيراً - يُقدم رام أتوربا<sup>46</sup> عدة سيناريوهات متوقعة للحرب الروسية الأوكرانية، وكما يلي:

### 1. السيناريو الأول: الجبهات تتجمد

لا يزال فيه حوض التعدين في شرق أوكرانيا الناطق بالروسية -إلى حد كبير-هدفاً أقل أهمية لروسيا إلا أن الكرملين لم يتخلَّ عن "نزع أولي للسلاح" ومن ثم "تجريد نهائي للسلاح" عن أوكرانيا، وهما هدفان حربيان أوسع نطاقاً. في أدناه خارطة تبين المدن الأوكرانية التي اقتربت منها القوات الروسية.



### خارطة تبين المدن الأوكرانية التي إقتربت منها القوات الروسية

### 2. السيناريو الثاني: تواصل روسيا قضمها للأرض

تعلّم الجيش الروسي من أخطائه الأولية، عندما اندفع إلى العراق في كيف لقطع لمباغته القوة الأوكرانية، في حين تحوّلت حرب الحركة تدريجياً إلى حرب استنزاف، مع مواصلة روسيا

<sup>45</sup> Ibid.

<sup>46</sup> صحفي يعمل في مجلة الأوقات السويسرية، وهي إحدى وسائل الإعلام الرائدة باللغة الفرنسية، التي تصدر يومياً على المستوى الوطني في سويسرا.

شؤون الطاقة والمناخ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية: سيناريوهات متوقعة ومقاربات جيوبوليتيكية؛ أمنية؛ بيئية

قصفها، مع استمرار القوات الروسية قضم الأراضي الأوكرانية. "ليس هدف موسكو التقدم بسرعة، بل إضعاف القوات الأوكرانية"، لاسيما وأن موسكو تعتقد أن الوقت يجري الآن لصالحها.

تواصل الولايات المتحدة بلاشك دعم الجيش الأوكراني بشكل كبير، ولكن باستثناء تدريب الجنود الأوكرانيين، يبدو أن الدعم الأوروبي بدأ ينفذ، ففي تقريره الذي نُشر في 18 آب/ أغسطس 2022، أشار معهد التنمية الاقتصادية في كيل بألمانيا، والذي يسرد جميع المساعدات المقدمة لأوكرانيا، إلى أنه لا ألمانيا ولا فرنسا ولا إيطاليا قد أعلنت عن دعم جديد منذ يوليو 2022، بضمنها الأسلحة التي وُعدت بها أوكرانيا سابقًا.

### 3. السيناريو الثالث: أوكرانيا تستعيد زمام المبادرة

في مواجهة القوة الروسية، بدأت الأسلحة الغربية تُحدث تأثيرات. لا يمكن للجيش الأوكراني التنافس في عدد القذائف المطلقة، ولكن بفضل المدافع التي قدمتها الدول الغربية، فإن ضرباته أصبحت أكثر دقة. خلال شهر أغسطس الماضي، تمكنت أوكرانيا من ضرب شبه جزيرة القرم لأول مرة. من غير المعروف كيف فعل الأوكرانيون ذلك. هل كانت هذه صواريخ أم أعمال حربية وراء خطوط العدو؟ في كلتا الحالتين "الأعمال الأوكرانية تهدف إلى الحفاظ على الروح المعنوية الأوكرانية والحصول على دعم خارجي".

### 4. السيناريو الرابع: امتداد الحرب وتطورها

هذا هو السيناريو الأخير، ربما يُعد الأسوأ الذي قد يدفع بالبلدان الجديدة إلى الصراع. هذه القفزة إلى المجهول ستجر أوروبا وحلف شمال الأطلسي إلى صراع مباشر مع روسيا، مع تصعيد نووي محتمل. وقد حذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش من "الانتحار الجماعي". إن وقوع حادث نووي سيكون له عواقب لا حصر لها وسيؤدي إلى إعادة خلط أوراق الصراع وقد يعمل على إجبار الدول الغربية على التدخل المباشر في أوكرانيا<sup>47</sup>.

ولعل الخلاصة التي تُطرح في ختام هذا المحور: لا يوجد سيناريو مرجح كأولوية في الحدوث في قادم الأيام والأشهر؟ وسط تعددها واختلافها وتقارب احتمالات حدوثها، من وقف الحرب والتفاوض إلى استمرارها وتوسع وتمدد نطاقها.

### خاتمة

في ختام هذه الدراسة، لا بد من الإشارة إلى أن قضايا الطاقة والمناخ والتحول البيئية لها علاقة وطيدة بالحرب الروسية الأوكرانية ومخرجات هذه الحرب، ولعل تأثيراتها لا تطل روسيا وأوكرانيا فحسب، بل ودول المنطقة المجاورة لهما خاصةً، بل وأغلب دول العالم عامةً.

ولعل الخطر يزداد مع تفاقم الوضع بخصوص نضوب موارد الطاقة ولاسيما الغاز في أوروبا والولايات المتحدة في فصلي الشتاء الحالي والمقبل، لذا على أوروبا أن تكون قادرة على وضع

<sup>47</sup> Ram Etwareea, et autres,ukraine: quatre scénarios pour une guerre qui s'enlise, le temps,Mars 3,2022, consulté le 20 Novembre 2022,https://www.letemps.ch/grand-format/ukraine-quatre-scenarios-une-guerre

سياسات معقولة والتمكن من السيطرة على الموقف، فضلاً عن ذلك الالتزام بالإدارة البيئية ومراعاة الالتزامات والمعايير الفنية ذات الصلة للبلدان التي تسمح لها بذلك، وذلك من أجل تجنب سيناريو متطرف قد يحدث، يتجاوز أزمة الطاقة، وهو ما لا يمتلكه الاتحاد الأوروبي يقيناً. إذ تمر أوروبا بأزمة قيادة في مواجهة أزمة الطاقة، تُعد هي الأسوأ منذ تأسيس الاتحاد الأوروبي، إذ لم يعد لدى أية دولة أوروبية شركاء مضمونين.

كان تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على أسواق الغذاء العالمية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال الأسمدة والطاقة، منقطع النظر خلال النصف الأخير من عام 2022. إذ كانت لها تداعيات كبيرة على أسواق الطاقة والغذاء، ما جعل دول الاتحاد الأوروبي تعمل عن كثب على تنفيذ إجراءات تهدف إلى مكافحة ارتفاع الأسعار وندرة الإمدادات.

في نفس هذا السياق، نجد أن أسعار الطاقة وأمن التوريد قد ارتفعت منذ النصف الثاني من عام 2022، بشكل كبير في الدول الأوروبية خاصة ومعظم دول العالم عامة، لاسيما أسعار الوقود وذلك في أعقاب هذه الحرب، والذي أثار أيضاً مخاوف بشأن أمن إمدادات الطاقة في الاتحاد الأوروبي، في حين أدى قرار روسيا بتعليق إمدادات الغاز إلى العديد من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي إلى تفاقم الوضع بشكلٍ كبير.

يتبين لنا مما تقدم، أن استمرار الحرب الروسية الأوكرانية سيفضي إلى تفاقم أزمة الطاقة ليس في دول الاتحاد الأوروبي فحسب، بل ستطال تأثيراتها جميع دول العالم. ولا أعتقد أن الإجراءات التي يتخذها الاتحاد الأوروبي بدعمٍ كبير من الولايات المتحدة ستوفر لدول الاتحاد الوفرة الكافية من الطاقة، لاسيما وإنها حرب ساحتها الجغرافية هي أوكرانيا، إلا أن حدودها السياسية والاقتصادية تتجاوز ذلك بكثير، إذ انها في الحقيقة، مواجهة بين روسيا والغرب، ولاسيما الولايات المتحدة وأغلب دول الاتحاد الأوروبي. وهو يعني أنه على الأرجح أن تُفاقم هذه الحرب التأثيرات المناخية والبيئية وشحة أو نضوب الطاقة في عموم العالم.

# الثابت والمتغير في الرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية لأمن الطاقة في منطقة الشرق الأوسط

د. الحامدي عيدون\*

## ملخص

الدراسة المعمقة لفهم التوجهات والرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية حول أمن الطاقة اتجاه منطقة الشرق الأوسط تستدعي سبلا للبحث في الرؤية الاستراتيجية الأمريكية، القائمة أساساً على تحديد الثابت والمتغير لمختلف مسارات السياسة الخارجية الأمريكية، وأثر تغيرات الإدارات الأمريكية المتعاقبة على المنطقة. المتبوع لطبيعة النظام الدولي في أزمنة السلام، أو أزمنة عدم الاستقرار في المنطقة، يدرك جيداً أن منطقة الشرق الأوسط غدت في صميم الهواجس الأمنية العالمية، بخاصة المشهد الأمني المعقد لمنطقة الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد الانتفاضات الشعبية التي اندلعت في العالم العربي في أواخر 2010، إضافة للتحويلات العميقة التي طرأت على المنطقة في ظل جائحة كورونا. إذ تظل الأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط بالنسبة للسلام والأمن العالمي، واحدة من أكبر القضايا العالمية المعاصرة، والأكثر خطراً في مضمار التنافس على الزعامة والهيمنة العالمية، نظراً لمدى صعوبة الأوضاع في عموم بلدان المنطقة، وفي شتى المجالات، الأمنية والاقتصادية والاجتماعية. وبما أن طبيعة التفاعلات في السياسة الدولية، وحجمها، مرتبطة بالأساس بتوجهات القوى العالمية الكبرى، وعلى رأسهم القوة العالمية الأولى (الولايات المتحدة الأمريكية)، فإن مصير استراتيجيات العمل الدولي في منطقة الشرق الأوسط، سواء كان أحادياً أو متعدد الأطراف، مرهون بسياسات الولايات المتحدة في هذه المنطقة، ومدى ثبات، أو تغير، الرؤية الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة.

**الكلمات المفتاحية:** الرؤية الاستراتيجية، أمن الطاقة الأمريكي، الجيواستراتيجية، منطقة الشرق الأوسط.

\* رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة سطيف 2، الجزائر.

# The constant and variable in the US geostrategic visions of energy security in the Middle East

Dr. El Hamdi Aidoun

## Abstract

TAn in-depth study to understand the US geostrategic directions and visions on energy security towards the Middle East region calls for ways to research the US strategic vision, which is based mainly on defining the constant and variable of the various paths of US foreign policy, and the impact of changes of successive US administrations on the region. Those who follow the nature of the international system in times of peace, or times of instability in the region, are well aware that the Middle East region has become at the core of global security concerns, especially the complex security landscape of the Middle East in the post-popular uprisings that erupted in the Arab world in late 2010. In addition to the profound transformations that occurred in the region in light of the Corona pandemic. The geostrategic importance of the Middle East region for global peace and security remains one of the biggest contemporary global issues, and the most dangerous in the field of competition for global leadership and hegemony, given the extent of the difficult situation in all countries of the region, and in various security, economic and social fields. Since the nature and size of interactions in international politics are mainly linked to the orientations of the major world powers, led by the first world power (the United States of America), the fate of the strategies of international action in the Middle East, whether unilateral or multilateral, depends on the policies of the United States in This region, and the extent of stability or change in the US strategic vision towards the region.

**Keywords:** strategic vision, US energy security, geostrategy, the Middle East region.



## مقدمة

تهدف هذه المقالة إلى فهم وتوضيح الرؤية الاستراتيجية الأمريكية في الحفاظ على أمن الطاقة العالمية، ونقل هذه الرؤية لمنطقة الشرق الأوسط، على غرار تحليل السياسات والاستراتيجيات الأمريكية بصفة عامة، فضلاً عن رصد الثابت والمتغير في الرؤيات الجيواستراتيجية للإدارات الأمريكية المتعاقبة بصفة خاصة، خصوصاً في ظل التحولات التي شهدتها النظام الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة. وفي إطار معرفة وفهم الثابت والمتغير في الرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية لأمن الطاقة في منطقة الشرق الأوسط، يجب قبل كل شيء تناول بعدين أساسيين في الموضوع:

• **البعد النظري:** وهو الأرضية المعرفية والمفاهيمية والنظرية التي تؤسس وتقوم عليها الرؤية الإستراتيجية الأمريكية للعالم بشكل عام، في مختلف القضايا (الأمنية والاقتصادية والسياسية والتجارية والطاقوية... الخ).

• **البعد العملي والتطبيقي:** معرفة كيف جسدت الولايات المتحدة رؤيتها لأمن الطاقة في منطقة الشرق الأوسط في إطار سياساتها الخارجية، وسنركز في هذه المقالة على فترة ما بعد الحرب الباردة، حتى نعرف الثابت والمتغير في الرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية.

ومن منظور أكثر تعمق، أن فهم موضوع أمن الطاقة لأي دولة يتركز على:

1- معرفة الفاعلين والمؤسسات الحاكمة: مسؤولون منتخبون ومعيّنون في الهيئات الحاكمة المحلية والدولية، والبيروقراطيات، والمنظمات غير الحكومية العاملة داخل قطاع الطاقة، والمؤسسات الأكاديمية والبحثية المهتمة بشؤون الطاقة.

2- السوق / قطاعات الأعمال: مستهلكو الطاقة من المؤسسات الصناعية والتجارية، العامة والخاصة، وشركات الطاقة، ومشغلو أنظمة أسواق الطاقة، وشركات موارد الطاقة، ومطورو ومصنعو تكنولوجيا الطاقة.

3- أصحاب المصلحة والمجتمع المدني: الأفراد، ومجموعات المصالح، والمنظمات غير الربحية، والمنظمات الدينية، والمنظمات المهنية.

4- التكنولوجيا: التقنيات التي توفر الطاقة.

بناء على ما سبق من تقديم للمشكلة الأساسية للورقة، يمكن تقديم الإشكالية البحثية كالآتي: “ما مدى ثبات وتغير الرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية في مجال أمن الطاقة، في ظل التحولات المعاصرة في منطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة، وفي النظام الدولي بشكل عام؟”

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية جملة من الاسئلة الفرعية:

1- ما هي المنطلقات الاستيمية لفهم الرؤيات الأمريكية تجاه قضايا أمن الطاقة؟

2- ما هي رؤية الولايات المتحدة الجيواستراتيجية في مجال أمن الطاقة في الشرق الأوسط؟

3- ما هي الأمثلة على ثوابت الولايات المتحدة في حفاظها على أمن الطاقة في العالم وفي منطقة الشرق الأوسط؟

4- كيف تؤثر التغيرات العالمية والتحولت الحاصلة لأمن الطاقة على مستقبل الرؤية الأمريكية في المنطقة؟

استنادا للإشكالية المطروحة والأسئلة الفرعية للوضوعة تم الاعتماد على الفرضيات العلمية الآتية:

الفرضية الأولى: رؤيات الولايات المتحدة الجيواستراتيجية الثابتة في مجال أمن الطاقة في الشرق الأوسط، تقوم على تعزيز الاستقرار والأمان في المنطقة، عسكرياً ودبلوماسياً، من خلال دعم الدول المصدرة للنفط والحفاظ على التدفق الحر للطاقة، من خلال العمل مع كبريات شركات الطاقة والحلفاء والشركاء الدائمين في المنطقة.

الفرضية الثانية: التغيرات في الرؤيات الجيواستراتيجية للولايات المتحدة في مجال أمن الطاقة في الشرق الأوسط، تبرز في الحد من الاعتماد على نفط المنطقة، ومن خلال زيادة استخدام مصادر الطاقة البديلة وتعزيز الكفاءة الطاقوية.

بناء على الإشكالية والأسئلة الفرعية تم تقسيم الورقة البحثية الى محاور ثلاث، تحاول الإجابة على الأسئلة الإيستولوجية والأنطولوجية، وتمكن من دراسة متغيرات هذا الموضوع المعقد، هذه المحاور هي:

المحور الأول: فهم الرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية: المنطلقات الاستيمية والأطر النظرية.  
المحور الثاني: الثوابت الأمريكية في مجال أمن الطاقة في منطقة الشرق الأوسط: المحددات والفواعل

المحور الثالث: تغيرات وتحولات الرؤية الأمريكية لأمن الطاقة في المنطقة.

خاتمة واستنتاجات.

## المحور الأول: فهم الرؤيات الجيواستراتيجية الأمريكية: المنطلقات الاستيمية والأطر النظرية

1. مفهوم الرؤية في جيوسياسية العلاقات الدولية: ما هو مفهوم الرؤيات في العلاقات الدولية؟

لاحظ الاقتصادي والفيلسوف الأمريكي توماس سوويل THOAMS SOWEL أن الرؤيات سواء كانت ذو بعد عالمي أم محلي، تلتقي كلها حول مسألة طبيعة المعرفة البشرية، حيث يرى سوويل أن الرؤية تعنى بالمادة الأولية التي تبني عليها النظريات و تُستنتج منها الفرضيات من أجل تبسيط

وتوضيح الأهداف والتوجهات بحكم أن الوضوح في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ليس أمراً مفروغاً منه وغير جلي للعيان<sup>1</sup>؛ ويمكن أن نقارب مفهوم الرؤية بمفهوم النموذج المعرفي أيضاً كما صاغه توماس كون T.KHUNN في كتابه "بنية الثورات العلمية"، بتعريفه أن الرؤيا: «مجموعة التخمينات الأساسية التي يطرحها بعض الباحثين حول العالم الذي يعكفون على دراسته»<sup>2</sup>؛ وتقوم على قالب الثقافي والأيدولوجي المنتج للتصور الخاص بالعالم. وهو نفس المفهوم الذي يستخدمه كل من جوديث غولد شتاين Goldestien و روبرت كيهوان Keohan على مصطلح رؤية العالم World Vision ؛ للتعريف نفسه ويربطونه بالمفاهيم المبدئية والمعارية التي توضح الرؤية والفعل و تنعكس على السياسات النوعية من جهة ، و من جهة أخرى تقابلها المفاهيم السببية التي تفسر العلاقات القائمة بين الرؤيات التي يتوافق عليها مجتمع علمي معين أو جماعة محددة وتتبنها سلطة سياسية وإدارية ما . بناء على كل هذا يشكل المفهوم أساس التصورات التي يمكن للفرد أو الجماعة أن يكونها عن العالم، إضافة إلى المقترحات التي يمكن تقديمها حول تنظيم هذا المفهوم في أي عقل بشري ، بطريقة انتقائية بين المسلمات وفق منهج معين<sup>3</sup>.

وبهذا نجد أنفسنا إزاء مجموعة فكرية تكون نظريات حول العلاقات الدولية وتنتج تقاطعات لمقترحات ورؤيات وإستراتيجيات التي قد تكون قد ألهمته لمختلف الفاعلين والممثلين الذين يتبادلان التأثير على المسرح العالمي.

وعليه فإن الرؤيات هي اقتراح هام وتصورات عقلية ، قائم على إطار نظري ومعرفي ومفاهيمي مشروط بأفق ثقافي ، وفق نظريات وتوجهات إستولوجية وأيدولوجية ، توضح صورة العالم الجيوستراتيجي الذي على أساسها تبنى الاستراتيجيات القومية والدولية ، ولكن تترك للقارئ والمتابع هامشاً كبيراً من التأويل ، نظراً لسعيها إلى تبسيط واقع معقد والتأثير فيه بمختلف أنماط القوة لتحقيق مصالحه وفق رؤيات عدة حول العالم. وهو نفس المفهوم الذي يتبناه المفكر الروسي ألكسندر دوغين في فهم جيوستراتيجية العالم المعاصر باعتباره: رؤية للعالم من منظورات عالمية متعددة المعارف والمشارب النظرية.

ما الهدف من الرؤيات إذن؟ تمثل الرؤية الاستراتيجية أحد المقاربات النظرية في فهم توجهات السياسة الدولية ، وتقوم على فرضية ان كل قوة عظمى لا بد ان تحركها رؤية مستقبلية مشتركة ، تمنحها إدراك بما هو موجود وإلى ما ستؤول إليه الأمور ، وما يجب القيام به ، كل هذا يستوجب عليها التخطيط وتبني استراتيجيات تحقق هذه الرؤية. وعليه نستنتج أن أي رؤية للعالم تتضمن هدفين:

1- تبسيط الواقع المركب والمعقد وفق أطر معرفية ومفاهيمية ونظرية تبسط الفهم البشري لهذه الظواهر.

<sup>1</sup> جيرارد ديسوا. دراسة في العلاقات الدولية. الجزء الأول النظريات الجيوستراتيجية ، ترجمة: قاسم المقداد. دار نينوى للدراسات والنشر. دمشق. سوريا. 2014. ص:10-11.

<sup>2</sup> توماس كون. بنية الثورات العلمية. ترجمة شوقي جلال. دار التنوير. تونس. 2017. ص:96.

<sup>3</sup> جيرارد ديسوا. مرجع سبق ذكره.

2- معرفة واكتساب الواقع دلالات مختلفة تفتح مجال واسع للتأويل والتفسير والتطبيق لدى الجماعات العلمية؛ وهذا ما انعكس على إدراك الواقع، وتقبل الأفكار والطروحات في الواقع بعد فهمه وفقاً لهذين السببين<sup>4</sup>.

وعليه تقدم الرؤيات اذن حسب ما أورده عبد العزيز جراد<sup>5</sup> في كتابه "الجيوسياسية مفاهيم ومعالم ورهانات" وصفا ابستيميا يوضح لنا مدلولاته المفاهيمية و يشرح لنا كيف تتبنى الأفكار والاستراتيجيات، وتفسر النتائج المترتبة على أي حدث في الواقع، كما تبين حقيقة جعل الجيوسياسية التي تحتل الصدارة في مجال التحليل والتنبؤ في القضايا الدولية والعالمية المعاصرة، والفروق بين الانشقاقات في العلوم الإنسانية الأخرى تتلاشى، كما يمكن أن تميز وتصنف كل العناصر التي تسمح بتفسير كل حالة في جوهرها وتطورها من خلال أنماط الدراسة المختلفة<sup>6</sup>.

## 2. الرؤيات الجيوستراتيجية المعاصرة وفقاً لمنظري المجتمع الأكاديمي الأمريكي والمؤسسات الحاكمة

بعد سقوط جدار برلين عام 1989 وتفكك الاتحاد السوفياتي عام 1992 إنهار معه قلب العالم Heartland وتمت إعادة التصور الجيوسياسي للخارطة العالمية، وكرست الولايات المتحدة الأمريكية سيادتها العالمية كقوة مهيمنة على كافة السبل في الساحة الدولية؛ هذه القناعة القوية هي نتاج نخبة سياسية و مجتمع أكاديمي و خبراء مؤسسات حاكمة أمريكية، ومن بين مراكز القرار في الولايات المتحدة الأمريكية نذكر كل من : هنري كيسنجر ( 1923- Henry Alfred Kissinger ، صموئيل هنتنغتون (1927-2008 Samuel Phillips Huntington ، زبغنيو بريجينسكي (1928-2017 Zbigniew Brzezinski ، جوزيف ناي ( 1937- Joseph Nye ، ادوارد لوتواك ( 1942- Edward Nicolae Luttwak ، كولن إس. غراي ( 1943- Colin S. Gray ، وغيرهم الكثير.

ويمكن تلخيص انعكاسات السلاسل المتعاقبة للفكر الجيوسياسي الكلاسيكي لفترة الحربين العالميتين الأولى والثانية (لكل من راتزل، وماهان-ماكندر، وسيكمان) على مسار تاريخ الفكر الجيوستراتيجي لفترة الحرب الباردة وبعدها، في ثلاث اتجاهات لرؤيات جيوسياسية أساسية:

1. اتجاه سيكمان وجيله الثاني (السيكمانيون الجدد): سي.اس.غاري C.S. Gray، و أي .

لوتواك E. Luttwak.

2. الاتجاه البحري الثاني (الماهانيون الجدد): ليهمان Lehman، واكلاي Ackley، الجنرال

هيرس Gen. Herres.

3. الاتجاه الوسطي (الماكندريون الجدد): اس.بي. كوهين S.B.Cohen، و بريجينسكي.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص: 26-27.

<sup>5</sup> عبد العزيز جراد (12 فبراير 1954) سياسي جزائري عتبه الرئيس عبد المجيد تبون في 28 ديسمبر 2019 وزيراً أول خلفاً لسابقه صبري بوقادوم. حصل على شهادة عليا في العلوم السياسية من معهد العلوم السياسية في الجزائر عام 1976، وعلى الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة باريس عام 1981، ثم على درجة بروفسور عام 1992 بعد أن درّس في عدة مؤسسات جامعية في الجزائر وخارجها. شغل منصب مستشار دبلوماسي في عهد الرئيس علي كافي في عام 1992، وأمين عام للرئاسة في عهد الرئيس اليامين زروال، وكان مدير للدرسة العليا للإدارة، وشغل منصب الأمين العام لوزارة الخارجية 2001-2003، كُلف بتشكيل الحكومة الجديدة بعد إقالة حكومة بدوي.

<sup>6</sup> عبد العزيز جراد. الجيوسياسية مفاهيم ومعالم ورهانات. منشورات الشهاب. الجزائر. 2018. ص: 19-20.

الملاحظ هنا التداخل و الجدال الواسع بين الاتجاهات الثلاثة في رؤيتهم لكيفية إدارة هيمنة أمريكا لعالم العلاقات الدولية من منظور جيوسياسي، إذ أن رؤية مفكر مختص بالقوات الجوية، لا تشبه رؤية المفكر المختص بالقوات البحرية، وهي تختلف أيضاً عن رؤية مفكر القوات البرية، أو المفكر المدني، كما أنها قد تتعارض مع رؤية الجغرافي أو الدبلوماسي أو السياسي، فهذه الاختلافات ذات الطابع النقابي استمرت في الجدال المعاصر في الأوساط الفكرية لصناع القرار في الولايات المتحدة بين أتباع سبيكمان Spykman (السبيكمانيين الجدد) و جماعة ماهان Mahan (المهانويون الجدد) و كذلك أتباع ماكندر Mackinder (الماكندرين الجدد) في إطار التنافس حول النفوذ وبسط الهيمنة العالمية بين الجيوش البرية و البحرية<sup>7</sup>. Army and Navy

وعليه لفهم رؤيات الاستراتيجية الأمريكية في مجال أمن الطاقة، سنركز اهتمامنا على جوهر فكر الماكندريون الجدد وعلى رأسهم طروحات بريجينسكي حول رؤيته الاستراتيجية للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط<sup>8</sup>. لكن لماذا هذا الاتجاه بالذات؟

ببساطة لأن هذا هو التوجه الوسطي في التفكير الجيوإستراتيجي الأمريكي، خصوصاً آراء المفكر الاستراتيجي زيغنيو بريجينسكي، الذي يزودنا بصورة واضحة عن الأهداف والرؤيات الاستراتيجية الأمريكية، كما يقدم بريجينسكي Brezinski في دراساته وكتبه الهامة عن الموضوع رؤية براغماتية واقعية وطموحة، ومن أهمها نذكر ثلاث كتب<sup>9</sup> (الرؤية الاستراتيجية الأمريكية و أزمات القوى الكبرى، وكتاب فرصة ثانية : ثلاث رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، رقعة الشطرنج الكبرى: الأولويات الجيوإستراتيجية الأمريكية وضرورتها الملحة)، أما في ما يخص تأثير أفكار بريجينسكي في عملية صنع السياسات الأمريكية، فإنه يعد مرجع لا يمكن الاستغناء عنه.

ففي كتاب "رقعة الشطرنج الكبرى" نجد عرضاً حاسماً واضحاً ومعتمداً عن المصالح الاستراتيجية لأميركا في عالم ما بعد الحرب الباردة. وإذ يضم هذا الكتاب مزيجاً من التحليلات التاريخية والجغرافية، والسياسية، فإنه يمثل ذلك التفكير الجيوإستراتيجي المتألف من إطار العمل الجديد والضروري للسياسة الخارجية الأمريكية، ويربط معاً أهداف المدى القريب والمتوسط والبعيد التي يجب أن تعتمدها أميركا في العالم.

<sup>7</sup> جيرارد ديسوا. مرجع سبق ذكره. ص. 38.

<sup>8</sup> زيغنيو بريجينسكي : (28 آذار 1928 - 26 أيار 2017) هو مفكر استراتيجي ومستشار للأمن القومي لدى الرئيس الأمريكي جيمي كارتر بين عامي 1977 و1981. كما عمل مستشاراً في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، وأستاذاً (بروفسوراً) لمادة السياسة الخارجية الأمريكية في كلية بول نجتز للدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جون هوبكينز في واشنطن. كان زيغنيو بريجينسكي من الشخصيات القليلة بين خبراء السياسة الخارجية الأمريكية التي حذرت إدارة بوش صراحة من غزو العراق. وينقل عنه في شباط 2003 وقبل حرب العراق بأسابيع قوله إنه إذا قررت الولايات المتحدة اللضي قدماً في خطتها الخاصة بالعراق، فسوف تجد نفسها بمفردها لتحمل تكلفة تبعات الحرب، فضلاً عن ازدياد مشاعر العداوة والكراهية الناتجة عن تلك الحرب.

<sup>9</sup> (The Grand Chessboard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives ; Strategic Vision: America and the Crisis of Global Power, second chance: three presidents and the crisis of american superpower).

### 3. موجز عن أفكار وطروحات برجينسكي في تحديد الرؤية الجيوبوليتيكية الأمريكية العالمية

يقدم برجينسكي نظرياً نظرة الاختزالية والتمثيلية للعالم كرقعة شطرنج وذلك التحليل وفق نظرية اللعبة Theory Game وعلم التوافقات ونظرية الاحتمالات، كما يركز على مستوى التحليل الجيوبوليتيكي العالمي بالاعتماد على الطرح الجيوإستراتيجي القائم على مفهوم القوة والاستدلال التاريخي والاعتماد على نمذجة واسقاطات الخرائطية<sup>10</sup>. حيث يشير برجينسكي إلى أن الدور الأساسي الذي يجب أن تلعبه أمريكا في منطقة الشرق الأوسط و شمال أفريقيا وعالم ككل، هو إدارة شؤون العالم و بسط الهيمنة الأمريكية عالمياً، عن طريق خلق توازن و حالة من الاستقرار بين اللاعبين الجيوإستراتيجيين و المحاور الجيوبوليتيكية المؤثرة على المصالح الأمريكية<sup>11</sup>، وطرح برجينسكي أمثلة على هذه الأطروحة، مثل إقامة مبادرات تعمل على الحد من النزاعات ذات البعد الإقليمي والعالمي، من أبرزها مبادرة أيزنشتات سنة 1998، والتي فحواها هو خلق شراكة أمريكية مغاربية لضمان استقرار المنطقة المتوسطة، وكذلك التطبيع الكامل بين إسرائيل والدول العربية بعد تسوية جميع القضايا الفلسطينية وإقامة "مبادرة السلام العربية" القائلة بربط التطبيع بالقضايا الفلسطينية.

وللتوضيح إن اللاعبين الجيوإستراتيجيين النشطين هم الدول التي تملك القدرة والإرادة القومية على ممارسة القوة أو النفوذ فيما وراء الحدود بغية التغيير، وبدرجة تؤثر في المصالح الأمريكية، أما المحاور الثابتة الجيوبوليتيكية الثابتة فهي الدول التي لا تأتي أهميتها من قوتها وحوافزها، بل من أهمية مواقعها الجيوبوليتيكية الحساسة، وفي الظروف العالمية الراهنة، يمكن أن نحدد على الأقل خمسة لاعبين جيوإستراتيجيين رئيسيين وخمس دول محورية جيوبوليتيكية في الخريطة السياسية الجديدة لأوراسيا، وهي: فرنسا، وألمانيا، وروسيا، والصين، والهند هي من اللاعبين الرئيسيين والفعالين، أما الدول المهمة جيوبوليتيكيّاً فهي: الجزائر، مصر، السعودية، أوكرانيا، وتركيا، فإنها تلعب دور المحاور الجيوبوليتيكية الثابتة.<sup>12</sup>

وعليه يمكن التركيز عملياً على المناطق واللاعبين الدوليين من حيث أهميتها الجيوإستراتيجية، بحسب التحولات الدولية وطبيعة النظام الدولي، وبحسب الأهداف الاستراتيجية (القرية الأمد، المتوسطة الأمد، طويلة الأمد)، فضلاً عن الاستخدام والفعالية البراغماتية للطروحات النظرية. حيث يستدعي التفوق الأمريكي جيوإستراتيجياً الاعتماد على منظورات تعطيها قابلية للبقاء وللاستمرار والتجدد، وهي كما في لعبة الشطرنج، يجب على المخططين لشؤون العالم الأمريكي أن يفكروا في القيام بحركات متعددة إلى الامام، وتوقع حركات مضادة، وان يكون لهم استراتيجيات كالآتي:

<sup>10</sup> Brzezinski, Zbigniew. The grand chessboard: American primacy and its geostrategic imperatives. Basic books, 2016.p-p.18-19.

<sup>11</sup> IBID.P20

<sup>12</sup> IBID

- نظرة استراتيجية قصيرة المدى (مدة 5 سنوات قادمة، عهدة رئاسية، أو عهدتين).
- استبصار استراتيجي متوسط المدى (يصل من 10 الى 20 عام).
- رؤية استراتيجية طويلة المدى (ما بعد 20 عام فأكثر).<sup>13</sup>

كل هذه المنظورات هي سلسلة متصلة مع بعضها، بحيث كل طور يفضي الى الطور التالي بشكل تدريجي وسلسل ومتناغم ومدرّوس. ففي المرحلة الاولى استراتيجية قصيرة المدى، هنالك مصلحة أمريكية في تعزيز التعدد الجيوسياسي القائم على الاستدامة على الخارطة الاوراسية، وهو ما تجسد في حرب الخليج الثانية وفي غزو العراق من طرف إدارتي جورج بوش الأب والابن. وفي الطور الثاني يقوم على منظور استراتيجي متوسط المدى، يقوم على رعاية وتوطيد الشراكات الحقيقية التي تضم حلفاء الولايات المتحدة الاستراتيجيين في المناطق الحساسة والمهمة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا وأوروبا، مثل دور حلف الناتو وجعله أكثر توحداً وتفوقاً على الصعيد الإقليمي، من اجل احتواء النزعة التوسعية الروسية والنفوذ الإيراني في المنطقة، وتشكيل علاقات استراتيجية مع أوروبا والصين، بما يحدد دور روسيا سلبياً، او إيجابياً، وهو ما اتضح بشكل واضح في إدارتي كل من بيل كلنتون وباراك أوباما. وكل هذا من أجل رؤية استراتيجية طويلة المدى، تسعى الى الإدارة الطويلة الأمد للمصالح الجيوبوليتيكية للولايات المتحدة، تجاه مختلف اللاعبين الجيواستراتيجيون والمحاور الجيوبوليتيكية، للحفاظ على الهدف الأساس، وهو إطالة الهيمنة الأمريكية العالمية والحفاظ عليها.

## المحور الثاني: الثوابت الأمريكية لتحقيق أمن الطاقة في منطقة الشرق الأوسط: المحددات والفاعلات

قبل التطرق إلى الثوابت والتغيرات التي حدثت للرؤية الأمريكية لأمن الطاقة في منطقة الشرق الأوسط، يمكننا الاعتماد على ضوابط من منهجية تسهل علينا رصد وتقييم هذه الحركية في الرؤيات، وهي الرؤيات والتوجهات المعرفية والاستراتيجية لمفاهيم مثل الهيمنة، ديمومة إبقاء الأمداد الطاقوي، ثوابت التفوق الأمريكي في السياسات. بناء على مفهوم الهدف من أمن الطاقة، بحسب يورجين<sup>14</sup> Yergin فإن الثابت في الرؤيات الاستراتيجية الأمريكية لأمن الطاقة في الشرق الأوسط، هو تحقيق أمن طاقي مستدام، وذلك من خلال: "التأكيد على الحاجة لضمان إمدادات كافية وموثوقة من الطاقة والحفظ عليها، بأسعار معقولة، وبطرق لا تعرض القيم والأهداف الوطنية الأمريكية الرئيسة للخطر ... حيث أن تركيز مخاوف أمن الطاقة ينصب على الصدمات، مثل الانقطاعات والاضطرابات والتلاعب بالإمداد، والتي يمكن أن تؤدي إلى زيادات حادة ومفاجئة في الأسعار، وبالتالي يمكنها أن تفرض تكاليف اقتصادية وسياسية باهظة. لذلك يجب التأكيد على أهمية تشجيع التعاون الدولي للحد من هذه التهديدات والمخاطر المحتملة"<sup>15</sup>.

<sup>13</sup> Op cit. p-p:22-23

<sup>14</sup> Bernell, David, and Christopher A. Simon. The energy security dilemma: US policy and practice. Routledge, 2016.p.16

<sup>15</sup> Daniel Yergin, "Energy Security in the 1990s," Foreign Affairs, 67(1), 1988, p. 111



## 1. طرق تحقيق الهدف الدائم والثابت من منظور جيوسياسي امريكي

بعد أن كانت الرؤيات الاستراتيجية الأمريكية في فترة الحرب الباردة تحكمها زيادة مجال القوة في مسارات العلاقات الدولية، وزيادة حجم القوات العسكرية الثلاث في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة البرية منها. نجد وفقاً ل طرح بريجينسكي، بأن الرؤيات الاستراتيجية الأمريكية بعد الحرب الباردة تقوم على مفهوم الهيمنة العالمية للولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة، وفق منطلقات نزع السلاح وضبط التفاعلات الاقتصادية، خاصة المرتبطة بمجال الطاقة (النفط أساساً) في المناطق المنتجة والمصدرة وممرات نقل الطاقة لأمريكا والدول الحليفة لها، بالإضافة إلى الاعتماد على التفوق في مجال قوة التكنولوجيا والقوة الذكية، تكنولوجيا الفضاء الخارجي.

**في المجال التجاري والطاقي،** مع ولاية الرئيس كلينتون الثانية، تم استخدام تعبير جديد للإشارة إلى السياسة الخارجية الأمريكية، بحسب ما يرى ويليام بفاف W.Pfaff، والتي تقوم على نظام أمن تجاري وطاقوي يخدم المصالح الأمريكية في عالم يزداد تعقيداً وعدائية وترابطاً<sup>16</sup>. وهنا تبرز مفارقة ضرورة ضمان الاستقرار في المنطقة بما يسمح بالحفاظ على أمن الطاقة والطرق التجارية والطاوية، ولكن برغم انتشار الإرهاب العالمي، وبالخصوص في منطقة الشرق الأوسط، إلا أن أمن طاقتها وإمداداتها بالنفط بقي في بيئة جيوسياسية ملائمة لمصالح الولايات المتحدة والدول الحليفة لها، وهذا ما يؤكد فكرة بناء نظام أممي وتجاري مشترك.

بعد هجمات 11 من سبتمبر 2001، ومسلسل هجمات القاعدة وتزايد العنف الذي يستهدف الولايات المتحدة، طبقت السياسات الأمريكية ثلاث ردود أفعال أحادية رئيسية، أولها اقدام الرئيس جورج دبليو بوش على اقحام الولايات المتحدة في مشروع عسكري بأفغانستان (بهدف إسقاط بنظام طالبان وتركيب نظام ديمقراطي فيها كذلك)، ثم تأييد عملية عسكرية نفذها رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون في 2002 لضرب منظمة التحرير الفلسطينية في الضفة الغربية، وثالثاً قيام بوش الأب بـغزو العراق في ربيع 2003، تحت ذريعة اتهامات غير مدعومة، حول وجود علاقة بين نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين والمنظمات الارهابية، ومزاعم حيازة ذلك النظام لأسلحة دمار شامل. تراكمياً أدت هذه الأفعال الى رفع منسوب العداء الشعبي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، والى تعزيز موقع إيران الإقليمي، وتوريط أمريكا في حرب لا متناهية. فضلاً عن ان تكاليف هذه الحروب اثقلت كاهل الوضع الداخلي الأمريكي. أصرت إدارة بوش الأب على استخدام تعريف مؤدلج للإرهاب ومحاربتة وربطه بتهديد الأمن القومي الأمريكي، واللعب على الوتر الداخلي القائم على التضليل للمشحون بالتخويف وادعاء حماية الداخل وفق إجراءات استباقية خارجية.

تمثلت عواقب سياسة إدارة بوش الأب على توجهات السياسة الأمريكية، بتدهور درامي لمكانة أمريكا عالمياً، وتبدد تدريجي لمشروعية مصداقية أمريكا، بدليل تردد حلفائها عن دعم مشاريعها في العراق وأفغانستان، حيث اعتبر الكثير من الدول عبر الأطلسية والأوروبية ان حرب 2003 على

<sup>16</sup> جيرارد ديسوا. مرجع سبق ذكره. ص127.



العراق، هي رد فعل أمريكي متطرف واحادي وملتبس ونفعي، وحتى تأييدهم للحرب على طالبان ما لبث ان تزعزع وانكشم تدريجياً، وبات حلف الناتو مدرك لحجم التناقض بين الأهداف والنتائج<sup>17</sup>.

## 2.التفاعل والتعاون مع اللاعبين الجيوستراتيجيون والمحاور الجيوبولتيكية

**الدول المحورية جيوستراتيجيا في مجال الطاقة في منطقة الشرق الأوسط، التي تركز عليها** الولايات المتحدة، هي: السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر الكويت، البحرين، العراق، إيران، السودان، اليمن، الأردن، ولبنان. تمتلك المنطقة أكبر احتياطات نفطية مؤكدة في العالم، ما يقرب من 808 مليار برميل من الاحتياطات المؤكدة اعتباراً من عام 2015، بقيادة المملكة العربية السعودية (268.3 برميلاً)، وإيران (157 برميلاً)، والعراق (144.2 برميلاً)، والكويت (104 مليار برميل)، الإمارات العربية المتحدة (97.8 برميلاً)، قطر (25.2 برميلاً). لهذا السبب، حافظت الولايات المتحدة على تحالفات طويلة الأمد ومشاركة تجارية مع الدول الرئيسة المنتجة للنفط في المنطقة<sup>18</sup>.

**أما اللاعبين الجيوستراتيجيين النشطين، فهم الدول التي تملك القدرة والإرادة القومية على** ممارسة القوة أو النفوذ فيما وراء الحدود بغية أحداث تغيير، بدرجة تؤثر في المصالح الأمريكية، ضمن إطار الشؤون الجيوبولتيكية الراهنة. تملك هذه الدول أيضاً القدرة الكامنة و/أو الاستعداد لأن تكون سريعة التأثير جيوبولتيكياً، مثل روسيا والصين والهند، فمثلاً روسيا هي شريك أساس في الصناعة النفطية والغازية في الشرق الأوسط، وهي تشكل أحد الأهداف الرئيسية للولايات المتحدة الأمريكية في مجال أمن الطاقة في المنطقة. روسيا هي الأكثر تصديراً للغاز في العالم، وهي تمتلك العديد من شركات الطاقة الكبرى التي تعمل في المنطقة. اندلاع الأزمة الأوكرانية أدى إلى اتخاذ إجراءات عقابية جديدة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية تجاه روسيا، خاصة في مجالي التجارة والطاقة، والتي من المؤكد انها ستؤثر على مستقبل العلاقات والمواجهات الروسية الأمريكية<sup>19</sup>.

**أما المحاور الثابتة الجيوبولتيكية فهي الدول التي لا تأتي أهميتها من قوتها وحوافزها، بل من** قدراتها الطاقوية ومواقعها الحساسة، فمثلا تركيا هي بلد يحتل موقعا جغرافيا حيوي ومهم جدا في الشرق الأوسط، وهي تضم العديد من المصادر الطبيعية للطاقة المهمة، كالنفط والغاز. كذلك، تركيا هي مرجع رئيس للطاقة في المنطقة، وهي تعتبر نقطة تجمع للشبكات الطاقة الدولية، مما يجعلها مهمة جداً للولايات المتحدة الأمريكية في مجال الأمن الطاقوي. وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل مع تركيا لتحقيق أمن الطاقة في المنطقة، بينما كانت تركيا تعمل على تطوير وتوسيع شبكات الطاقة الداخلية والدولية لتضمن التزود الطاقوي المستدام. كذلك، فإن التعاون الطاقوي الدولي بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا قد يشكل شرطاً للحفاظ على الاستقرار الطاقوي في المنطقة<sup>20</sup>.

<sup>17</sup> كان بريجنسكي من الشخصيات القليلة بين خبراء السياسة الخارجية الأمريكية التي حذرت إدارة بوش صراحة من غزو العراق. وينقل عنه في شباط 2003 وقبل حرب العراق بأسابيع قوله إنه إذا قررت الولايات المتحدة المضي قدما في خططها الخاصة بالعراق، فسوف تجد نفسها بمفردها لتتحمل تكلفة تبعات الحرب، فضلاً عن ازدياد مشاعر العدا والكراهية الناتجة عن تلك الحرب.

<sup>18</sup> فيليب سيبيل لوبيز. الجغرافيات السياسية للبترو. ترجمة، نجاه الصليبي الطويل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط.1. مصر. 2013. ص.229

<sup>19</sup> زيغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى: السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيوستراتيجيا. طبعة ثانية، مركز الدراسات العسكرية. 1999. ص.18.

<sup>20</sup> Brzezinski, Zbigniew. The grand chessboard: American primacy and its geostrategic imperatives. Op cit. p.46

بل ربما تشهد العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا تقدماً كبيراً، ينعكس على التعاون الدولي في مجال الطاقة.

### 3. الحفاظ على الأمن في المنطقة ومحاربة الإرهاب كهدف ثابت ومستدام

منذ عام (2015)، تدور اثنتان من أكثر القضايا إلحاحاً حول مصلحة الولايات المتحدة في مكافحة الانتشار المتزايد لداعش (الدولة الإسلامية في العراق وسوريا)، والتحقق من قوة ونفوذ إيران. يسيطر داعش حالياً على أجزاء كبيرة من غرب العراق وأجزاء من شرق سوريا. يُعلن تنظيم داعش نفسه على أنه خلافة عالمية، ويظهر بفخر عنفه ووحشيته الموثقين جيداً. الولايات المتحدة تصف المنظمة بدقة بأنها دولة إرهابية.<sup>21</sup>

في عهد الرئيس أوباما، انطوت مشاركة الولايات المتحدة في القتال ضد داعش على توفير الأسلحة والمواد الغذائية والمعدات وكذلك الدعم الجوي المستهدف لقوات التحالف المتحالفة ضد داعش. حتى أن الولايات المتحدة قدمت دعماً جويّاً للقوات العسكرية الإيرانية التي تعمل بموافقة العراق عن طيب خاطر في الحرب ضد داعش. (61) كما تشارك الولايات المتحدة ودول أخرى بنشاط في توفير اعتراض الإشارات وتحليلها، والاستخبارات الأرضية والجوية والفضائية. لشركاء التحالف المناهضين لداعش. قاومت الولايات المتحدة حتى الآن الالتزام بدور أكبر، وتجنب إعادة القوات البرية إلى الأدوار القتالية في العراق، بينما شجعت القوى الإقليمية على المشاركة في القتال ضد الجماعة.<sup>22</sup>

وباختصار فإن الجيوستراتيجية الأوراسية التي تأخذ بها الولايات المتحدة تتضمن الإدارة الهادفة أو الحاسمة التي تمارس على الدول الديناميكية جيواستراتيجياً، والاحتواء الحذر للدول المؤثرة جيوبوليتيكياً، وذلك من خلال مراعاة المصالح المزدوجة لأمبركا في المحافظة على الأمد القصير على قوتها العالمية الفريدة في نوعها وفي تحويل هذه القوة على المدى الطويل إلى تعاون عالمي ذي طابع مؤسساتي يتزايد مع الزمن.

ويمكن تلخيص ثوابت القضايا المتعلقة بأمن الطاقة الأمريكي بالشرق الأوسط والتي تحافظ على المصالح الأمريكية الرئيسية في المنطقة هي:

- التحالف مع الشركاء الاستراتيجيين كدولة إسرائيل كشريك دائم في المنطقة.
- التحالف مع تركيا كعضو مشارك في الناتو.
- ضبط النفوذ الإقليمي ووقف البرنامج النووي الإيراني.
- اتفاقيات القواعد العسكرية مع العراق والبحرين والكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة.
- الحفاظ علاقات ودية مع الدول المنتجة للنفط. فتح ممرات بحرية.
- الاستقرار، وإن لم يكن السلام، فغياب الحرب.<sup>23</sup>

<sup>21</sup> المرجع نفسه، ص.32

<sup>22</sup> عمرو عبد العاطي. أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأمريكية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص.29.

<sup>23</sup> جان ه. كاليكي وديفيد ل. غولدون، الأمن والطاقة نحو استراتيجية سياسة خارجية جديدة، ترجمة: حسام الدين خضور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص.29.

### المحور الثالث: تغييرات وتحولات الرؤية الأمريكية لآمن الطاقة في المنطقة

التغير في الرؤيات الاستراتيجية الأمريكية لآمن الطاقة في الشرق الأوسط هو الطرق والسياسات المختلفة التي يستخدمها الولايات المتحدة للوصول إلى الهدف العام وهو أمن طاقتي مستدام. فقد قد يشمل ذلك التحول إلى الطاقات المتجددة، والتعاون مع الدول الأخرى في الشرق الأوسط، أو الضغط على دول أخرى لتغيير سياساتها الطاقوية، وزيادة إنتاج موارد الطاقة في الولايات المتحدة ذاتها، في إطار صياغة سياسات أميركية معينة، تعمل على التوازن والاستيعاب و/أو السيطرة على المنطقة، وذلك على نحو يمكن معه المحافظة على المصالح الأميركية الحيوية ورفع مستوياتها، وكذلك تعمل على وضع مفاهيم أكثر شمولية عن الجيوستراتيجية، ويمكنها أن تقيم على نطاق عالمي علاقة متبادلة بين السياسات الأميركية الأكثر وضوحاً وفعالية. خصوصاً في ظل الظروف السياسية والاقتصادية وحتى البيئة المحلية التي تشهدها المنطقة، من اضطرابات وانتفاضات، وعدم استقرار الحكومات الشرق أوسطية، وانتشار الإرهاب، وغيرها.<sup>24</sup>

في كتاب بريجنسكي في 2007 "فرصة ثانية" Second chance: Three presidents and the crisis of American superpower يوجه سهام نقده اللاذع إلى السياسة الخارجية الأميركية في عهد كل من جورج بوش الأب وبييل كلينتون وجورج بوش الابن، ويعتقد أن الولايات المتحدة خلال حكم هؤلاء الثلاثة قد فرطت وأهدرت فرصتها الأولى لقيادة العالم عندما سحنت هذه الفرصة مع انتهاء الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفيتي. ورغم ضياع الفرصة الأولى في ظل أداء ضعيف يفتقر للرؤية الاستراتيجية لدى كل من الرؤساء الثلاثة، فإن بريجنسكي يرى أن الولايات المتحدة ما تزال لديها فرصة ثانية. ويؤكد بريجنسكي على أهمية العشرين العام القادمة في حسم اضطلاع الولايات المتحدة بقيادة العالم، محذراً من أن ازدياد سوء الوضع في العراق (وهو أحد الذين دافعوا عن قرار الخروج من العراق في 2013)، أو توسيع دائرة الحرب في الشرق الأوسط بمهاجمة إيران، ربما يؤديان إلى أن تذكر كتب التاريخ أن عمر الولايات المتحدة كقائدة للعالم كان قصيراً جداً<sup>25</sup>.

#### 1. سياسات في المجال التكنولوجي

قدمت الثورة التكنولوجية دفقاً مهماً في الرؤيات الجيوستراتيجية الأميركية، وذلك منذ عام 1983 إلى غاية اليوم، فمثلاً في إدارة ريغان وكخطوة للخروج من حالة التكافؤ مع الاتحاد السوفيتي من خلال وضع منظومة دفاع فضائي في إطار مبادرة الدفاع الاستراتيجي IDS، نستشف من تقدم تلك الخطوة أن الولايات المتحدة أيقظت جهودها رغم معرفتها بانهاك العدو العتيق، ولم توقف تقدمها في مجال عسكري الفضاء الكوني بعد زواله، ولقد بلغ هذا التقدم مرحلة لدرجة رأى فيه الخبراء الأمريكيون أن تلك المبادرة تمثل ثورة في الشؤون العسكرية، ذو مضمون و نتائج قائمة معلنه عن هيمنة أميركية وفق استراتيجية أميركية، اتخذت شكلاً واضحاً من الماهانية الكونية، التي لا تقتضي الانعزالية ولا تتخلى عن نقاط الالتحام في الهلال الداخلي Rimland ولا تتنكر بالنتيجة

<sup>24</sup> للرجع نفسه.

<sup>25</sup> Brzezinski, Zbigniew. Second chance : Three presidents and the crisis of American superpower. Basic books, 2008.p.39

لأهداف سبيكمان الأساسية، حيث يتم توجيه القوة البحرية الأمريكية و قواعدها البحرية المتحركة بواسطة الأقمار الصناعية والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأسلحة المثبتة فوق مسار مداري، وفق تركيبة فضائية - بحرية -جوية، تدار من طرف الانسان والآلة، بطرق سيرانية Cybernetics، وهذا الهدف الأول المعلن للثورة العسكرية الأمريكية، سيجعلها محور الجغرافيا السياسية العالمية من خلال السماح لها بالتدخل بشكل بديل أو متزامن في أوروبا، الشرق الأوسط، آسيا الوسطى والشرقية<sup>26</sup>.

ومن مستويات التمييز بين أهمية الأهداف والسياسات الأمريكية المتغيرة لأمن الطاقة في الشرق الاوسط، القدرة على تحمل تكاليف مصادر الطاقة، يعني هذا المكون لأمن الطاقة أن الأسعار طويلة الأجل يمكن التحكم فيها ولا تخضع لتضخم مرتفع. تسمح القدرة على تحمل التكاليف للشركات والحكومات والأفراد بالتنبؤ بالتكاليف المستقبلية بدقة، والوصول إلى الأموال التي كان من الممكن إنفاقها على الطاقة واستخدامها في استثمارات أخرى. وهذا يعني أيضاً أن تقلب الأسعار على المدى القصير سوف يتضاءل، مما يسمح لمستخدمي الطاقة بتجنب التكاليف الكبيرة المحتملة التي تأتي من الارتفاع السريع في تكاليف الطاقة. لا يشمل هذا الجانب من أمن الطاقة الأسعار فحسب، بل يشمل أيضاً الأفق الزمني الذي يمكن للمستخدمين النهائيين أن يجدوا فيه وسيلة للتكيف مع الأسعار المرتفعة (على سبيل المثال، شراء سيارات أكثر كفاءة في استهلاك الوقود). عندما تكون الأسواق متقلبة وتحدث زيادات حادة في الأسعار، تصبح القدرة على تحمل التكاليف عنصرًا فوريًا في أمن الطاقة. تقع القدرة على تحمل التكاليف أقل بقليل من الوفرة والثوقية من حيث الأهمية النسبية. يتوقع الناس ارتفاع الأسعار بمرور الوقت؛ علاوة على ذلك، يشمل مصطلح "ميسور" مجموعة واسعة من التفسيرات حسب ظروف الفرد<sup>27</sup>.

## 2. سياسات تقليل التأثيرات البشرية والبيئية لإنتاج الطاقة واستخدامها وتنويع مصادر الطاقة

أدى الوعي والفهم المتزايد لتأثيرات ومخاطر استمرار إنتاج الطاقة على البشر والبيئة إلى بذل جهود متزايدة لتقليل هذه العواقب. من أخطر تلك التأثيرات التغيرات المناخية، تلوث الهواء من أكاسيد النيتروجين، وأكاسيد الكبريت والجسيمات، وانسكابات النفط، وتلوث التربة والمياه والأضرار الناتجة عن الأساليب التي تحصل بها الولايات المتحدة على النفط والفحم، والوفيات والآثار الصحية العامة للحصول على الوقود الأحفوري وحررقه. وقد ثبت أن كل هذه العوامل الخارجية السلبية ناتجة عن الاستخدام الواسع للوقود الأحفوري. هذا الجانب من أمن الطاقة، والذي يمكن وصفه بأنه يتضمن أهداف النظافة البيئية والتنمية المستدامة، ذو أفقاً زمنياً طويلاً.

يشمل تنويع أنواع الوقود والمصادر الجغرافية للطاقة دعم تنوع الإمدادات والموردين وجميع عناصر أمن الطاقة المرتبطة بالأمن البيئي والصحي والمناخي، بينما يخدم أيضاً هدف التخفيف من مواطن الضعف الأمنية الوطنية والعالمية. النجاح في تحقيق التنويع، من الناحية المثالية، من شأنه أن يقلل بشكل كبير من الاعتماد على النفط في النقل والوقود التقليدي لتوليد الكهرباء. فيما يتعلق

<sup>27</sup> Booth, Ken& Nicholas Wheeler. "The security dilemma." Fear, Cooperation and Trust in World Politics, Basingstoke and New York: Palgrave Macmillan (2008). p.256

بتنوع موردي النفط، بعيدًا عن دول الأوبك على وجه الخصوص، يُشار إلى هذا عمومًا باسم “استقلال الطاقة” أو إنهاء دور النفط باعتباره السلعة الاستراتيجية النهائية للعالم، مما يجعله مجرد سلعة أخرى يتم التداول فيها، وبالتالي التخفيف من آثار الأمن القومي والاقتصاد لعدم الاستقرار السياسي والإرهاب والصراعات العسكرية في الشرق الأوسط<sup>28</sup>.

### 3. تحول جيواستراتيجي في الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط

من أهم أمثلة هذا العامل انسحاب الولايات المتحدة من العراق في 2011، والتركيز على فواعل جدد مثل الشركات العسكرية والأمنية الخاصة والبحرية الخاصة لتوفير الأمن الطاقوي، وهنالك أمثلة كثيرة عليها، مثل شركة G4S، وهي الشركة الأكبر في العالم في مجال الأمن الخاص، وتقدم خدمات الحماية البحرية للشركات النافذة والشركات المصدرة للطاقة البحرية. فقد تبني الرئيس باراك أوباما استراتيجية تقوم على مبادئ القيادة من الخلف، والتشارك في التكلفة والاحتواء التدريجي للتهديدات، من خلال الترتيبات الدولية متعددة الأطراف. فقام بإعلان عن الخروج الرسمي 2010 من أطول حربين في تاريخ أمريكا، الحربين الأفغانية والعراقية (أفغانستان 112 شهر والعراق 96 شهرًا). واتباع سياسة احجام عن التدخل في الصراعات الإقليمية، لتجنب تحمل الولايات المتحدة تكلفة التوسع، والاعتماد على الاحتواء المرن للدول المهددة للأمن الدولي، مثل كوريا الشمالية، وهو ما تسبب في تزايد التهديدات الموجهة لاستقرار المنطقة في فترات لاحقة، على غرار رفض أوباما بشدة توجيه ضربة عسكرية للأسد في 2013 عقب استخدام أسلحة كيميائية ضد المدنيين<sup>29</sup>. منذ تولي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الحكم، توجهت جل الأنظار الفواعل الدولية إلى واشنطن، معبرة عن توجسها وتخوفها من عودة أمريكا للسياسية الأحادية والانعزالية، وعدم التزامه بالعمل الدولي متعدد الأطراف، خصوصا ان سياسات دونالد ترامب اتسمت بتعمد تحطيم المبادئ الراسخة، وتفكيك الايقونات التي هيمنت على السياسة الأمريكية على مدار عقود، مما أدى الى اضطراب الدور الأمريكي في نظام العالمي<sup>30</sup>.

<sup>28</sup> op cit. p-p270-271

<sup>26</sup> للرجع نفسه.ص.129.

<sup>29</sup> للمزيد أنظر : <https://bit.ly/3LfeuKL>

<sup>30</sup> عبد النور بن عنتر، ترامب والعمل الدولي متعدد الأطراف. <https://bit.ly/3glhJk>

#### 4. مقارنة بين الإدارات الأمريكية المتتابعة حول سياسات أمن الطاقة في الشرق الأوسط

إدارة جو بايدن	إدارة دونالد ترامب	إدارة باراك أوباما	إدارة جورج بوش الابن	السياسات الطاقوية	
دعم ضعيف	دعم قوي	لم يدعم	دعم قوي	زيادة الإنتاج الأمريكي للنفط والغاز الطبيعي	1
دعم ضعيف	دعم قوي	دعم بشدة	دعم قوي	تعزيز الإمداد الأمريكي للطاقة	2
دعم	لم يدعم	دعم قوي	لم يدعم	التطوير الشامل للطاقة المتزامنة	3
دعم	لم يدعم	دعم قوي	لم يدعم	التعايش السلمي في منطقة الشرق الأوسط	4
دعم	لم يدعم	دعم قوي	لم يدعم	تقليل استخدام الفحم والانبعاثات الصناعي وخفض انبعاثات الغازات الدفيئة	5
دعم	لم يدعم	دعم قوي	لم يدعم	الاستثمار في تكنولوجيات الطاقات المتجددة	6

جدول مقارنة بين سياسات أمن الطاقة في الشرق الأوسط في الإدارات رؤساء أمريكا في سنوات حكمهم  
 المصدر: من إعداد الباحث

في إدارة باراك أوباما وجورج بوش الابن (منذ سنة 2001 إلى غاية 2011)، إدارة باراك أوباما كانت تركز على التعايش السلمي في الشرق الأوسط والعمل مع الدول الحليفة لضمان أمن الطاقة. كما كانت تدعم التطوير الشامل للطاقة المتزامنة والطاقة المتجددة. أما إدارة جورج بوش الابن، فكانت تركزت على زيادة الإنتاج الأمريكي للنفط والغاز الطبيعي، وتعزيز الإمداد الأمريكي للطاقة بشكل أساسي. كانت تدعو للتحليل الجديد لبيان أهمية جهود الطاقة المتجددة، وتعزيز الإنتاج الأمريكي للطاقة النفطية والغازية.

إدارة ترامب وإدارة جون بايدن (منذ سنة 2017 إلى غاية 2022)، الرؤية الاستراتيجية الأمريكية لأمن الطاقة في الشرق الأوسط قد تغيرت على مدار السنين، بينما كانت إدارة الرئيس ترامب قادرة على التأثير على شركات الطاقة الأمريكية التي تعمل في منطقة الشرق الأوسط، ودعمها من أجل الاستحواذ على استثمارات جديدة في صناعة الطاقة في المنطقة. مثل شركات Exxon Mobil وChevron، ركزت إدارة الرئيس جون بايدن قد ركزت على العلاقات الدولية والتعاون الدولي، مثل التعاون مع الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي للحد من الاعتماد على نفط الشرق الأوسط.

#### خاتمة

الرؤيات الأمريكية لأمن الطاقة العالمي، وفهمها لما يشكل تسييس وعسكرة أسواق الطاقة العالمية، ليست بالضرورة مشتركة في جميع أنحاء العالم. في عصر تمتعت فيه الولايات المتحدة بقوة وتأثير أكبر حول العالم مما هي عليه اليوم، ربما كان سيكون هنالك عواقب وخيمة للخلاف مع التوجهات الأمريكية حول سياسات الطاقة. ومع ذلك، فإن التحدي الحالي للولايات المتحدة حول صياغة سياسات الطاقة العالمية له أهمية خاصة في سياق التغير العالمي السريع، لا سيما أن الصين، القوة الأسرع صعودًا في العالم، تتعامل مع الولايات المتحدة وفق سياسات الطاقة الخاصة بها.

مقال في مجلة أوبك ريفيو في عام 2007 بقلم وو لي وليو شيوجون بعنوان "الصين أم الولايات المتحدة: أيهما يهدد أمن الطاقة؟" يلخص هذا النقد، بحجة أن الولايات المتحدة هي التهديد الأكثر أهمية لأمن الطاقة العالمي. يجادل المؤلفان بأن للولايات المتحدة أولوية قصوى في تعزيز أمن الطاقة لنفسها ولحلفائها، لكن الولايات المتحدة غالبًا ما تتصرف بطرق تعمل ضد أولوياتها المعلنة، وفي هذه العملية تزيد من انعدام أمن الطاقة العالمي فيما يتعلق بالمواد النفطية. التخفيف من الاعتماد على الطاقة النفطية: هذا يشمل التحول إلى الطاقات المتجددة، وتطوير الطاقات الأخرى الغير نفطية، مثل الغاز الطبيعي، الطاقة الشمسية، والطاقة الهيدروليكية.

أحد العوامل الرئيسية التي ستؤثر على مستقبل امن الطاقة في الشرق الأوسط هي الطاقة الشمولية والطاقة المتجددة. الطاقة الشمولية تعني الطاقة المصدرة من مجموعة متنوعة من المصادر، مثل الطاقة الشمسية والطاقة الهيدروليكية وطاقة الرياح. كما يتوقع أن يزيد التأثير الخطير للتغير المناخي على الطاقة الشمولية.

وفي الأخير يمكن القول أن رؤيات الجيواستراتيجية في تحقيق أمن الطاقة قائم على تداول الادارات الأمريكية على استخدام العصا والجزرة في توجه سياساتها الاستراتيجية ( خاصة منها قريية المدى والمتوسطة)، بعد سلسلة تعثرات أمريكا وانفلات زمام الأمور في قبض هيمنتها على العالم، من غير المحتمل ان تبقى أمريكا مكتوفة الايدي لتدع قوة عالمية أخرى كالصين او روسيا لتحمل مشعل الهيمنة العالمية، فمن شأنها ان تفرز سلسلة ردود أفعال متسارعة مفضيه الى فوضى وتوتر وارتباك عالمي، على الصعيدين السياسي والاقتصادي، حتى تتمكن أمريكا من استعادة جاهزيتها لممارسة دورها القيادي للعالم من جديد.





# الاستراتيجيات الطاقوية الإقليمية والدولية في الشرق الأوسط

د. مهند حميد الراوي\*

## ملخص

مع تبوء الغاز مكانة مرموقة بين مصادر الطاقة، وزيادة الاعتماد عليه لاعتبارات مرتبطة بالبيئة والتكلفة الاقتصادية، ازدادت أهمية منطقة شرق المتوسط بعد الاكتشافات الغازية الكبرى فيها، ويتوقع لذلك أن يحدث التنافس عليها ليس بين دول المنطقة فحسب، بل نتيجة دخول قوى كبرى من خارج المنطقة ذات مصلحة فيها، إما لأسباب استثمارية وتجارية مثل شركات النفط الكبرى، وإما لأسباب جيواقتصادية مرتبطة بتنامي احتياجات دول الاستهلاك التي باتت تعتمد على الغاز بوصفه مصدراً رئيساً من مصادر الطاقة وتسعى لتنويع مصادرها، أو لأسباب جيوسياسية، مرتبطة بسعي بعض القوى العالمية لاستمرار الهيمنة على منابع الطاقة وطرق إمدادها، بوصفها أدوات سيطرة سياسية، إضافة إلى أهميتها الاقتصادية والتجارية.

**الكلمات المفتاحية:** الطاقة، التوازنات الإقليمية، الولايات المتحدة، روسيا، تركيا.

\* مدرس مساعد بكلية العلوم السياسية في جامعة الموصل، العراق.

# Regional and International Energy Strategies in the Middle East

Mohanad Al-Rawi

## Abstract

With gas assuming a prominent position among energy sources, and increasing reliance on it for considerations related to the environment and economic cost, the importance of the Eastern Mediterranean region has increased after the major gas discoveries in it, and it is expected that competition for it will intensify not only among the countries of the region, but also as a result of the entry of major powers from those outside the region have an interest in it, either for investment and commercial reasons such as the major oil companies, or for geo-economic reasons linked to the growing needs of consuming countries that have come to rely on gas as a major source of energy and are seeking to diversify their sources, or for geopolitical reasons, linked to the pursuit of some global powers continue to dominate energy sources and ways of supplying them, as tools of political control, in addition to their economic and commercial importance.

**Keywords:** energy, regional balances, the United States, Russia, Turkey.

## المقدمة

لم تعد الاستراتيجية الأمريكية وتحديدًا الطاقوية قائمة على صناعة أهداف لها في الشرق الأوسط مثلما كان عليه الحال في السابق، وإنما استندت إلى ما يمكن تسميته بالعودة نحو الوسائل في الاستراتيجية، أي أن أهدافها واضحة، وهي إدامة النفوذ الأمريكي في المنطقة وتوسيعه وتمكينه، وبالتالي لم تعد هناك أهداف تبحث عنها بقدر ما تبحث عن وسائل تخدم هدف تلك الاستراتيجية في العراق والمنطقة. إذ تحاول الولايات المتحدة العودة إلى الشراكات والتحالفات الإقليمية كوسيلة من وسائل الاستراتيجية، من خلال استدعاء الوسائل التاريخية أثناء الحرب الباردة وتطبيقها على الشرق الأوسط عن طريق استراتيجية التطويق والاحتواء بالاعتماد على العراق كمركز ثقل استراتيجي، في ظل توازنات التهديد الجارية في المنطقة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية. فما ينطبق على إيران في الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط ينطبق على العراق، من خلال تطبيق استراتيجية الحليف الواحد والشراكات المتعددة، من خلال مشروع المشرق الجديد الذي يضم العراق ومصر والأردن برعاية أمريكية، وإمكانية العودة إلى فكرة حلف بغداد في ظل احتمالية انضمام فواعل جديدة ضمن هذا المشروع الذي قد يتحول سريعاً بسبب تسارع الأحداث إلى تحالف، ومن ثم إلى حلف إقليمي يسعى إلى تطويق إيران بسلسلة من الدول المعادية في سياساتها الإقليمية في المنطقة، خاصة وإن إيران اضطرت واستبقت الذهاب إلى الصين من أجل الهروب من سياسة التطويق التي ترعاها الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، لهذا فمن المتوقع أن تتوسع سياسة التطويق من خلال ضم مجموعة من الدول الإقليمية الأخرى إلى هذا المشروع الناشئ، مثل المملكة العربية السعودية فضلاً عن الإمارات العربية المتحدة، في ظل بحث الولايات المتحدة الأمريكية عن بديل لإيران وفق هذه الاستراتيجية، بسبب خلافها مع النظام السياسي الإيراني وليس مع إيران كدولة. وهذا ما يجعل العراق البديل الاستراتيجي الأمثل للعب مثل هذا الدور في المنطقة. خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى انطلاقاً من العراق كقاعدة لتأسيس مركب أمن إقليمي كحالة وسائلية، وصولاً إلى نظام أمن إقليمي في المنطقة التي تمر بترتيبات استراتيجية أكثر مما هي نظام إقليمي، خاصة وأن التوازن لم يعد هدفاً نهائياً بقدر ما هو هدف مرحلي، لأن أغلب القوى تعمل على الإخلال بالتوازن من خلال تغيير قواعد الاشتباك.

تتجه الولايات المتحدة الأمريكية في ظل حكم الرئيس الأمريكي جو بايدن للعودة إلى استراتيجية التوازن من خارج المجال، من خلال دعم الحلفاء الإقليميين (العراق) لأداء أدوار استراتيجية في المناطق التي يتواجدون فيها ومدى قدرتهم على ضبط التوازن في الأزمات الإقليمية، في ظل الحرب الإقليمية غير المقيدة من خلال دعم الحراك والاحتجاجات الشعبية في العراق وبعض دول الخليج، التي تعد أحد أهم المرتكزات التي تعيق تطور أي علاقة بين بلدان المنطقة، نتيجة لتجاذب المصالح واختلاف الرؤى حول طبيعة كل أزمة أو حرب على حدة، فضلاً عن انتقال حالة صراع المحاور الإقليمية إلى دول الخليج العربي وانعكاس ذلك على الاستراتيجية الأمريكية في العراق، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية في إطار انتشار القوة العالمي والتمدد الإقليمي تعتمد إلى فكرة دمج الأقاليم كوسيلة من خلال دمج إطارين من أجل مواجهة إطار جيوبولتيكي معين. ومن خلال العراق تدمج بين

شرق المتوسط والشرق الأوسط لمجابهة مشروع روسيا الأوراسية ومشروع الحزام والطريق الصيني ومشروع أم القرى الإيراني، فضلاً عن تنامي دور تركيا الإقليمي، كمدخل متجددة لتأمين الهيمنة الأمريكية عن طريق توظيف مكانة العراق الجيوسياسية في المنطقة الرخوة في الإقليم ضمن مشاريع الطاقة الإقليمية والدولية لإدامة سيطرتها الجيوسياسية.

تنطلق الرؤية الأمريكية إلى العراق من كونه أحد دول الإخلال بالنظام الأمني الإقليمي من خلال إيران، التي تعد محرك الإخلال في النظام الأمني في المنطقة وأدائها لدور الدولة العابثة في الإقليم. لذلك تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال توظيف دول الخليج العربي وتحديداً المملكة العربية السعودية، للقيام بوظيفة التوازن مع إيران من خلال محاولة سحب العراق من النفوذ الإقليمي لإيران نحو النفوذ الخليج الأمريكي، والتي قد تمكن العراق في المستقبل من أداء التحوط الاستراتيجي إقليمياً.

### المبحث الاول: الاستراتيجيات الدولية والاقليمية تجاه العراق والشرق الاوسط

#### المطلب الاول: الاستراتيجية الامريكية الطاقوية تجاه العراق والشرق الاوسط

يقول ريتشارد هاس "إن هذا الجزء من العالم لنا فيه مصالح دائمة تواجه تهديدات دائمة أيضاً، لذلك فإن للولايات المتحدة دوراً يجب أن تلعبه، فقد وضعت هذه المنطقة معضلات معقدة أمام السياسة الخارجية الأمريكية منذ نصف قرن، فهذا العالم لنا فيه أصدقاء قد يكونوا أقياء اقتصادياً وضعفاء عسكرياً، ولنا فيه مصالح شديدة الأهمية مثل البترول، غير أن هناك فجوة في هذا الجزء من العالم وقدرتنا على حمايته، ولا أرى أي وسيلة لسدها إلا بالجهود المنسقة<sup>1</sup>.

إن الدلالة الأمريكية المبكرة على حيوية الموقع الجيواستراتيجي للشرق الأوسط والمنطقة العربية تحديداً، قد أظهرت تصريحا أدلى به الفريد ماهان القيادي في البحرية الأمريكية والذي ترجع إليه التوصيفات الأولى للمنطقة، والذي جاء فيه: "إن الشرق الأوسط سواء كان مفهوما استراتيجيا أو موقعا على الحدود الجنوبية للبحر المتوسط وآسيا، فهو مسرح مواجهة استراتيجية بين القوى المتصارعة<sup>2</sup>، إذ يشكل الشرق الأوسط بالنسبة للولايات الأمريكية وحدة جيوسياسية واضحة، وإن تضمنت أكثر من منطقتين متميزتين هما: جوار إسرائيل والخليج العربي النفطي، وتختلف كل واحدة منهما من حيث وظيفتها الجيوسياسية والجيواستراتيجية، إذ تتنازع هذه المنطقة عوامل عدة: أحدهما جغرافي، والآخر بنوي اقتصادي وسياسي وأمني، وكل من هذه العناصر تشكل أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية<sup>3</sup>.

إن للعراق في إدراك صانع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية أهمية بالغة، فقد ذُكر في كتاب "اللاعب واللعبة: عالم الاستخبارات الأمريكية في اعترافات أحد رجاله"، بأنه منذ اليوم الأول لقيام مكتب تنسيق السياسات في C.I.A، انهمك جميع كبار المسؤولين في الوكالة بإعداد مشاريع

<sup>1</sup> R. Haass, The Reluctant Sheriff : The United State After the Cold War,( N. Y : 1997 ) p55

<sup>2</sup> مروان بحيري، السياسة الأمريكية والشرق الأوسط من ترومان إلى كيسنجر، في كتاب: السياسة الأمريكية والعرب، 3، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 49.

<sup>3</sup> محمد مراد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي، 1، (بيروت: دار المنهل، 2009)، ص 15.

الموازنات وهرمية التنظيم والمسؤوليات، فتحدث الموظف المسؤول عن سوريا وقال: إن حساباته تشير إلى أن مكتبه يحتاج 1,2 مليون دولار، فعقب أحد المسؤولين في الوكالة وقال: "إذا كان مكتب سوريا يحتاج هذا المبلغ، لابد أن مكتب العراق يحتاج إلى ضعفه، لأن العراق أهم من سوريا بمرتين"<sup>4</sup>.

كما لا يخفى دور النفط العراقي في رؤية الولايات المتحدة الأمريكية من خلال احتلالها للعراق، إذ يقول برجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي جيمي كارتر وذلك في كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى": "إن على الولايات المتحدة استغلال تخوم منطقة أرض القلب المحيطة بالبحر الأوراسي وهي إيران-أفغانستان وفيما بعد العراق، كنقطة ربط ما بين الخليج العربي ومنطقة بحر قزوين الغنية بالنفط، أي عبارة أخرى التحكم بأمن النفط"<sup>5</sup>، فضلاً عن أن توماس فريدمان، قال في عام 2003 "إن النفط هو أحد أسباب الإعداد للحرب ضد العراق، وإذا حاول أي شخص أن يقنعنا بغير ذلك فإنه قطعاً لا يحترم عقولنا"<sup>6</sup>، كما إن جاك سترو وزير خارجية بريطانيا الأسبق قال: "العراق فيه نفط، لو كان يزرع بصللاً لما دخلنا إليه"<sup>7</sup>، أما بول وولفويتز فقد قال: "لم يكن أمامنا أي خيار في العراق، فالبلد يسبح على بحر من النفط"<sup>8</sup>.

وبالتالي تعد السيطرة على العراق إحدى مراحل السيطرة على منطقة الشرق الأوسط للسيطرة على النفط فيه، إذ يقول مايكل كلير: "إن من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على النفط العالمي، ومن يسيطر على النفط العالمي يسيطر على اقتصاد العالم، على الأقل في مدى المستقبل المنظور"<sup>9</sup>.

والذي يدفع الولايات المتحدة نحو نفط العراق أكثر هو ليس فقط لأهميته، وإنما مسألة أساسية خططت لها الشركات النفطية ووكالات المعلومات والمخابرات حول الذروة النفطية ووصولها مرحلة الانحدار، إذ يصاحبه ارتفاع في سعر النفط وارتفاع الطلب في وقت لا يتوفر أي بديل عن النفط.

وعلى الرغم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت أنظارها مدفوعة للسيطرة على نفط بحر قزوين، إذ كانت التوقعات تشير إلى أن منطقة بحر قزوين في آسيا الوسطى تضم احتياجات تقدر بأكثر من 200 مليار برميل من النفط الغير مستخرج لدرجة أطلق عليها السعودية الجديدة، ولكن بحلول عام 2003 بدا واضحاً التوقعات حول احتياطات بحر قزوين كانت مبالغة جداً وان احتياطها لا يشكل سوى 4% من حجم الاحتياطي العالمي، وهنا برز العراق الذي علمت المخابرات الأمريكية من مصادر فرنسية وروسية بأن احتياطاته من النفط تتجاوز الـ 200 مليار برميل، وبذلك تم شن الحرب على العراق<sup>10</sup>.

<sup>4</sup> بلا، اللاعب واللعبة: عالم الاستخبارات الأمريكية في اعترافات أحد رجاله، ط1، (بيروت: دار الحمراء، 1990)، ص 93.

<sup>5</sup> زينغينو برجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، تعريب أمل الشرقي، ط1، (عمان: الاهلية للنشر، 1999)، ص 48.

<sup>6</sup> نقلاً عن احمد منصور، قصة سقوط بغداد، الحقيقة بالوثائق، ط1، (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2004)، ص 72.

<sup>7</sup> مجموعة باحثين، مناهضة احتلال العراق: دراسات ووثائق أمريكية وعالمية، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005)، ص 91.

<sup>8</sup> نقلاً عن: سامي المهنا، العالم يعيون امريكية: الاوراق السرية للبيت الابيض، ط1، (القاهرة: دار المريخ، 2004)، ص 18.

<sup>9</sup> Michael T. klare, Resource Ears: The New Landscape of Conflict (New York: Metropolitan, 2001), p55.

<sup>10</sup> طلعت مسلم، التحرك الأمريكي للهيمنة على تدفق نفط الشرق الأوسط، (القاهرة: مركز افريقية للدراسات والبحوث السياسية، 2008)، ص 18.

فضلاً عن أن رئيس النظام السابق صدام حسين أقدم في اللحظات شبه الأخيرة لمراحل الغزو على خطوات غير محسوبة وكانت السبب الرئيس في استعجال الغزو، وأهم هذه الخطوات هي أنه اتفق مع حكومة جاك شيراك الفرنسية عام 2000 بتصعيد مبيعات النفط العراقية ضمن برنامج النفط مقابل الغذاء، باليورو بدلاً من الدولار الذي تلتزم به أوبك منذ بداية التسعينيات<sup>11</sup>.

أما فيما يتعلق بالتداخل والارتباط في استراتيجيات التصادم الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط، فقد أتاحت الفرصة لصانع القرار السياسي الإيراني لترتيب مشروع يصلح لبيئة إقليمية تتوافق مع المصالح والأهداف الإيرانية في الشرق الأوسط، خاصة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003، الذي حول إيران إلى قوة سياسية وعسكرية إقليمية مهيمنة بعد أن غابت حالة التوازن العسكري في الإقليم، الأمر الذي أفرز بيئة خصبة لدور إقليمي إيراني يؤدي أدواراً ويخلق مؤثرات تهدد أمن الشرق الأوسط، هذا الأمن الذي كان يستند إلى قوة العراق الغائبة منذ سنوات، والذي دفع دول المنطقة لاتخاذ الولايات المتحدة كأداة لحماية الأمن القومي الخليجي بشكل أكبر من السابق<sup>12</sup>، وقد وجدت الولايات المتحدة نفسها بعد عناء شديد أنها أصبحت تحاصر إيران انطلاقاً من تواجد قواتها في الخليج بالإضافة إلى الوجود الغربي في أفغانستان في أعقاب احتلال أفغانستان عام 2002<sup>13</sup>، لكن ذلك لم يؤدي سوى إلى تعزيز نفوذ إيران إقليمياً، وهذا النفوذ كان أحد أوجه التعبير عن المنظور الإيراني تجاه الأمن الخليجي. وهذا ما دفع إيران إلى استراتيجية التقارب مع الصين، بسبب ارتباط مصالح الدولتين في المنطقة من خلال بحث إيران عن حليف دولي منافس للنفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، وبالتالي التفاء مصالح قوة إقليمية مع قوة دولية.

فبعد مرحلة طويلة من المحادثات بين بكين وطهران، لا يعرف أمدها بالضبط، أعلنت وزارتا خارجية البلدين عن توقيع اتفاق تعاون وتنسيق مشترك لربع قرن، شبيه بالاتفاقات بين الاتحاد السوفياتي وكوبا ودول أوروبا الشرقية. اتفاق يشمل قطاعات واسعة، اقتصادية ودفاعية ودبلوماسية، بحسب ما تم إعلانه حتى الآن<sup>14</sup>:

أولاً- تتعهد الصين بشراء كميات هائلة من النفط والغاز الإيراني بحجم يعيد لطهران مستوى في التصدير لم تشهده منذ عقود، وذلك لقاء ثمن منخفض يوفر احتياطاً واسعاً لبكين، وسيولة كبيرة للنظام الإيراني، وستتحدى الصين الحصار الاقتصادي الأمريكي من دون أي تفاوض مع واشنطن.

ثانياً- تقوم الصين باستثمارات في الاقتصاد الإيراني بحوالي 400 مليار دولار لسنوات، أي أكثر من ضعفي حجم صفقة الاتفاق النووي، مما سيربط الاقتصادين بعرقى قصوى، تتحدى أي عزل مالي من الغرب، إضافة إلى ربط العملة الإيرانية بالعملة الصينية القوية.

<sup>11</sup> نقلاً عن وائل محمد اسماعيل، رقعة الشطرنج الشرق اوسطية، مصدر سبق ذكره، ص 76.

<sup>12</sup> وصال نجيب العزاوي، العراق الجديد والشرق الأوسط، إيران والتداعيات النظرية، مجلة شؤون الأوسط، العدد 111، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 2003.

<sup>13</sup> Colin Legum and Haim Shaked, eds. Middle East Contemporary Survey Survey, New York, Holmes and Meter Publishers, 2012, p172

<sup>14</sup> وليد فارس، تأخرت أميركا في الشرق الأوسط فانقضت الصين، الاندبندنت، تاريخ النشر: 2021/3/30.

ثالثاً- ستمد الصين شبكة الإنترنت التابعة لها إلى عموم إيران وتحميها من الاستهدافات السيبرانية، وتساعدنا في منع اختراقها.

رابعاً- سيتم تبادل معلومات استخباراتية بين الحكومتين حول خصومهما المشتركين في المنطقة وعالمياً، مما يعني حماية إضافية للنظام الإيراني عبر قوة عظمى تتمتع بقدرات واسعة.

خامساً- سيتم تعزيز التنسيق الدبلوماسي بين الطرفين دولياً وفي الأمم المتحدة، مما سيوفر فيتو صينياً مستمراً ضد أي قرار غربي، إضافة إلى الفيتو الروسي. أي عملياً وضع طهران تحت المظلة الدبلوماسية الصينية-الروسية.

سادساً- وربما الأهم استراتيجياً، إقامة تعاون عسكري صيني- إيراني يشمل تصدير أسلحة متطورة إلى إيران، من طائرات حربية تضاهاي النماذج الغربية، ودبابات متقدمة وصواريخ وأعتدة وأنظمة إلكترونية حديثة، أضف إلى ذلك تحديث للطارات والقواعد العسكرية الإيرانية والموانئ.

يشكّل الموقع الإيراني أهمية جيو-سياسية للصين بحكم وقوعها في الجنوب الغربي من قارة آسيا، وبإطلالها على أهم مسطحات مائية استراتيجية، هي الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي وبحر قزوين، ما جعلها تمثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب، وبمناخها ممر طبيعي للتجارة العالمية، والتي تُعدّ الصين أحد روادها، وتشكّل جسراً يربط وسط آسيا ومشرقها أولاً، وغرب آسيا وشرق البحر المتوسط ثانياً، إذ يحدها من الشرق باكستان وأفغانستان، ومن الشمال تركمانستان، ومن الجنوب الغربي الخليج العربي وخليج عمان، ومن الغرب العراق وأذربيجان وأرمينيا وتركيا وبحر قزوين، كما تشكّل الطريق الحيوي في الاستيراد والتصدير بين الشرق والغرب<sup>15</sup>.

يُتيح الموقع الاستراتيجي للصين موطئ قدمٍ في منطقة الشرق الأوسط الحيوية، بكل ما تحتويه من سلعٍ استراتيجية وثرواتٍ طبيعية ومعدنية، وأسواق واسعة وممرات ملاحية دولية تعبّر من خلالها ناقلات النفط للصين، كما يُتيح الموقع الإيراني للصين التواجد في المنطقة لمزاحمة الدور الأمريكي، فضلاً عن أنه يُتيح لها توسيع نطاق نفوذها الجغرافي الاستراتيجي إلى أبعد من جوارها المباشر في منطقة آسيا والمحيط الهادي، وهو ما جعل أهميتها للصين تتخطى الجانب الاقتصادي كمزودٍ للطاقة.

وكذلك تقع إيران ضمن الدول الواقعة في نطاق مشروع إعادة إحياء طريق الحرير الذي طرحه الرئيس الصيني شي جين بينغ عام 2013م لتدشين المشروع الاقتصادي العملاق العابر للقارات "الحزام والطريق"، الذي يربط الصين بأفريقيا وأوروبا عبر طريق يمر بآسيا الوسطى والهند وشرق آسيا، وصولاً إلى الدول الخليجية نحو أفريقيا، مع تدشين مسارٍ يمر عبر إيران والعراق فسوريا فلبنان، وربما إلى إسرائيل، مع مسارٍ آخر يخرج من العراق باتجاه الأراضي التركية فقبرص ثم أوروبا.

<sup>15</sup> عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي وأحمد شمس الدين ليلة، العلاقات الصينية- الإيرانية: آفاق الشراكة الاستراتيجية في عالم متغير، مجلة الدراسات الإيرانية، العدد (11)، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2020، ص 72.

واحتل هذا المشروع أهمية كبرى لدى إيران لما له من مردودٍ إيجابي على اقتصادها من زاوية تعزيز الطلب على النفط في الدول الواقعة على نطاقه، وكذلك شكّل فرصةً للإيرانيين لتنفيذ حلمٍ إيراني منذُ عهد الرئيس الراحل هاشمي رفسنجاني أواخر ثمانينات القرن المنصرم، بأن تكون إيران قلب طريق الحرير، الأمر الذي يجعل من الموقع الإيراني موقعًا جيوسياسياً عالمياً، ولذلك وقّعت الصين وإيران على اتفاقيةٍ لتحويل إيران إلى مركزٍ "ترانزيت" للبضائع الصينية باستكمال طريق الحرير أثناء زيارة الرئيس الصيني لإيران عام 2016<sup>16</sup>.

ويشكّل موقع الصين أهمية استراتيجية لإيران بوقوعها في الجزء الشرقي من قارة آسيا، وبمساحتها المترامية الأطراف، والتي جعلتها تحظى بتأثير الكتلة الحيوية على مستوى القارة الآسيوية، ويحدودها مع 21 دولةً برًا وبحرًا، كما تتحكم الصين في مضيق تايوان الذي يربط بحري الصين الشرقي بالجنوبي، والذي تمر به السلع الاستراتيجية وسُفن التجارة من وإلى كوريا الجنوبية واليابان، الحليفتان للولايات المتحدة، ومن ثم تمتلك الصين أوراق ضغطٍ دولية بموقعها الجغرافي، يمكن أن تستفيد منها إيران<sup>17</sup>.

اما على المستوى الأقاليم المجاورة وتطبيقاً لفكرة دمج الأقاليم في الاستراتيجية الامريكية من خلال متغير الطاقة فإن الصراع على الطاقة هو السبب الأبرز لما يشهده العالم اليوم من نزاعات وحروب، وبسبب اكتشاف كميات كبيرة من النفط والغاز في أوراسيا، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية التمركز في هذه المناطق مثل أفغانستان وأذربيجان وجورجيا وتركمانستان وتحاول الآن التمركز في أوكرانيا وتحديداً في جزيرة القرم لتكون قريبة من مصادر الطاقة العالمية.

إذ أن الدول وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية كمستهلك للطاقة لها مصلحة مباشرة في تعزيز إمدادات الطاقة العالمية وتنويعها لسببين<sup>18</sup>:

1. اقتصادي: لتأمين مصادر طاقة بديلة.
2. أمني: يتمثل بإجراء وقائي احتياطي في حال انقطاع شحنات النفط من الخليج العربي.

كما أن روسيا هي المصدر الرئيس للغاز الطبيعي إلى أوروبا من خلال شبكات الأنابيب، إذ تؤمن 30% من الغاز الذي تحتاجه أوروبا و16% من هذا الغاز يمر عبر أوكرانيا، فيما تستورد ألمانيا لوحدها 32% من طاقتها من روسيا، وعلى هذا الأساس حذرت دراسة للكونغرس من أن التقارب الروسي الألماني قد يضعف مساعي الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا إلى تطوير مصادر الطاقة والبحث عنها في روسيا وغيرها، إذ تكافح روسيا للحصول على موافقة دول بحر قزوين لتنفيذ مشاريع إمداداتها النفطية والتي تضمن دور مرافئها في تصدير الطاقة للدول الأوروبية المجاورة كأوكرانيا وبلغاريا وغيرها<sup>19</sup>.

<sup>16</sup> المصدر نفسه.

<sup>17</sup> تامر نادي، مناورة غير عادية!! أهداف التدريبات العسكرية الصينية الروسية لإيران أمام مدخل الخليج العربي، (تقرير)، ملحق الباحثين السياسيين العرب، على الرابط: <http://arabprf.com/?p=2478>

<sup>18</sup> ستيفن لارابي، روسيا والغرب بعد الأزمة الأوكرانية: أوجه الضعف الأوروبية جراء الضغوط الروسية، مؤسسة راند، 2017، ص 23.

<sup>19</sup> لكسندر كورددين، لماذا فقد مشروع "السييل الجنوبي" أهميته؟، روسيا ما وراء العناوين، 2014/12/16، متاح على الرابط التالي: <https://www.i24news.tv/ar/أخبا>



أما فيما يتعلق ببداية نشأة الأزمة الأوكرانية، فقد بدأت الأزمة الأوكرانية من خلال خروج المتظاهرين إلى ساحات الاستقلال في كييف، بعد أن أحجب الرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش عن توقيع معاهدة مع الاتحاد الأوروبي بضغط روسي، إذ أنه يفترض أن المظاهرات جاءت رداً على محاولة الرئيس الأوكراني الانسحاب من بعض المعاهدات مع الاتحاد الأوروبي والتوجه إلى روسيا لعقدها معها اتفاقات وتحالفات استراتيجية. لكن هذا الأمر كان في سنة 2010 بعيد استلام الرئيس الأوكراني مهامه عندما أعلن عن هذا القرار وتراجع عنه بعد خروج المظاهرات المناهضة لقراره في نفس السنة، إلا أن المظاهرات تكررت في سنة 2014 من دون سابق إنذار وكأن المسألة مفتعلة. إذ نرى أنها جاءت كرد فعل على الأزمة السورية ومحاولة الأمريكان فتح جبهة لروسيا في أوكرانيا بسبب التدخل الروسي في الأزمة السورية ومحاولة إشغال روسيا في أكثر من جبهة، خاصة إذا علمنا أن السيناتور الأمريكي جون ماكين قام بزيارات إلى ساحات الاستقلال في أوكرانيا والتقى بقيادة المعارضة الأوكرانية في حينها.<sup>20</sup>

فضلاً عن أن أوكرانيا تعد حاجز الصد الفاصل بين روسيا الاتحادية وأوروبا، وأن سقوط أوكرانيا بيد المعارضة وتغيير نظام الحكم فيها يعني أنها قد خرجت من النفوذ الروسي إلى النفوذ الأمريكي، وبالتالي فهي محاولة لتجسيم روسيا وعزلها، والأخطر من ذلك تطويقها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.<sup>21</sup>

خاصة إذا علمنا أن مشروع الدرع الصاروخي الذي تنوي الولايات المتحدة إقامته هو في حقيقته لتطويق روسيا والصين بالدرجة الأولى، وليس لتطويق إيران كما تدعي الولايات المتحدة الأمريكية، إذ أن الأماكن المزعم نشر الدرع الصاروخي فيها هي سوريا وتركيا وأوكرانيا كونها قريبة من روسيا وتعمل على تطويق روسيا من كل الجهات.

وتواجه روسيا معضلة عرقلة إمداداتها الطاقوية نحو الأسواق العالمية، سيما الأوروبية منها؛ حيث تتجه معظم صادرات الطاقة الروسية عبر شبكة واسعة من الأنابيب؛ يعتمد أهمها على أوكرانيا كدولة عبور لإمدادات الطاقة الروسية، أي يمر حالياً ما يفوق 20% من توريدات الطاقة الروسية نحو أوروبا عبر أوكرانيا، وتحديدًا عبر خط دروشبا (خط الصداقة). وتثبت الشواهد التاريخية أن أوكرانيا لطالما شكلت نقطة ضعف منيعة لإمدادات الطاقة الروسية نحو أوروبا. وقد تجلى ذلك بوضوح على إثر الأزمة الأوكرانية لعام 2009 حينما قامت أوكرانيا بعرقلة إمدادات الطاقة الروسية نحو السوق الأوروبي، بل وقامت أوكرانيا باقتطاع مستويات مهمة من الطاقة الروسية الموجهة لأوروبا، حيث كان ذلك بطريقة غير قانونية ودون أدنى وجه حق. فضلاً عن قيام أوكرانيا حينها بابتزاز روسيا عبر رفعها لتعريفات عبور الطاقة إلى مستوى 3 دولار لكل ألف متر مكعب من الغاز. وتكمن أيضاً خطورة التبعية الطاقوية الروسية لدول العبور مثل أوكرانيا في خطر عرقلة هذه الإمدادات،

<sup>20</sup> اف. ستيفن لارابي، روسيا والغرب بعد الأزمة الأوكرانية: أوجه الضعف الأوروبية جراء الضغوط الروسية، مؤسسة راند، 2017، ص 23.

<sup>21</sup> بشير نافع، الأزمة الأوكرانية تفجر الصراع على أوروبا من جديد، مركز الجزيرة للدراسات، متاح على الرابط: <http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/03/201431710531266222.html>

ناهيك عن صعوبة التخلص من هذه التبعية إلى ما قبل عام 2025، نظرا لضخامة تكلفة مشاريع الطاقة البديلة التي قد تجتاز أوكرانيا.<sup>22</sup>

## المطلب الثاني: التداخل والارتباط بين الاستراتيجية الإيرانية والصينية تجاه العراق والشرق الأوسط

وقعت كل من إيران والصين اتفاقية الشراكة الاستراتيجية لمدة 25 سنة تتضمن الدفاع والأمن وبناء محطات كهرباء ومطارات وتطوير الموانئ الحالية، إضافة إلى بناء موانئ جديدة بقيمة 450 مليار دولار.

يبدو من هذه الاتفاقية أن هناك امتيازات واضحة للصين فيها مقابل غامض نوعاً ما، حول ما إذا ستحصل إيران من هذا الاتفاق؟، والذي يمكن أن يكون اتفاقاً من جانب واحد، إذ تعمل الصين على محاولة توظيف العقوبات الأمريكية على إيران من خلال طرح نفسها كبديل وبالتالي حليف لإيران، ومن ثم الدخول إلى الشرق الأوسط التي تعد منطقة أمن قومي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. إذ أن هذا الاتفاق أعطى إيران مركزاً مهماً في مشروع الحزام والطريق الصيني، وبالتالي عمل على إزاحة العراق وخاصة ميناء الفاو الكبير، مما يعني تنازل الصين على أن يكون العراق أحد الممرات الرئيسية لهذا المشروع باتجاه أوروبا بعد أن رفض العراق هذا المشروع بضغوطات من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على صانعي السياسة في العراق، لتكون إيران من خلال هذه الاتفاقية للممر الرئيسي لمشروع الحزام والطريق نحو أوروبا. من جهة أخرى فإن إيران بهذا التوجه نحو الصين تعمل على مزاحمة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط من خلال جلب فواعل دولية لحمايتها من جهة، ولإزاحة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى، فضلاً عن تنويع تحالفاتها بعد تحالفها مع روسيا في الشرق الأوسط من جهة ثالثة، فضلاً عن إنها تعمل على توظيف انشغال الإدارة الأمريكية الجديدة بالداخل الأمريكي ومواجهة وباء كورونا من جهة رابعة، فضلاً عن توظيف المرحلة الانتقالية للإدارة الأمريكية ومحاولتها تصحيح ما خلفته الإدارة السابقة ومحاولة العودة للتحالفات والشراكات الإقليمية والدولية. إذ أن إيران تحاول من خلال هذا الاتفاق إقامة زخم سيطرتها وانتصاراتها الإقليمية من جهة، وكذلك تعويض ما خلفته العقوبات الأمريكية من جهة أخرى.

كما أن سياسة الرئيس الأمريكي جو بايدن تجاه إيران هي التي أعطت الفرص لإيران للتحرك في الشرق الأوسط ومن ثم التوجه نحو الصين، على اعتبار أن سياسة بايدن تجاه إيران تركز على فكرة الثواب بدل العقاب، بمعنى محاولة تطويع إيران من خلال زيادة حصتها في الإقليم مقابل التخلي والتنازل عن مشروعها النووي، لكن هذا في الحقيقة سيعطي فرصة لإيران لتخصيب اليورانيوم ومن ثم إمكانية إعلان امتلاك القنبلة النووية بطريقة هادئة. خاصة بعد تقليل العقوبات وإطلاق يد إيران في الشرق الأوسط.

<sup>22</sup> محفوظ رسول، الأمن الطاقوي الروسي بين الفرص والقيود، (الجزائر: جامعة الجزائر 3\_ كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية)، ص 9.

### المطلب الثالث: اتفاق الشراكة الإيرانية-الصينية وعلاقاتها بالممرات المائية

إن الاتفاق يسهم في تحويل إيران إلى مركز إقليمي على "الحزام والطريق"، الأمر الذي لا يضمن لها فقط تحقيق مكاسب اقتصادية ضخمة في مرحلة يعاني فيها الاقتصاد الإيراني من أزمات هيكلية بسبب حزمة العقوبات الأمريكية الراهنة، لكنه ينطوي على مكاسب استراتيجية لا تقل أهمية؛ إذ أن من شأن تعميق ارتباط الاقتصاد الإيراني بالبنية التحتية الإقليمية وعبر الإقليمية، خلق مصالح دولية في الدفاع عن إيران في مواجهة السياسات الأمريكية؛ وهذه المصلحة قد تكون صينية بالأساس في المرحلة الأولى، لكن تعميق تكامل وارتباط الاقتصاد الإيراني والبنية التحتية الإيرانية بالمراكز الإقليمية الأخرى، سيستتبع تدريجياً تزايد حجم المصالح الدولية حول إيران.

ترى إيران أن تعطل حركة التجارة بسبب حوادث قناة السويس وجنوح السفن بشكل دوري، يستدعي الإسراع أكثر من أي وقت مضى في إكمال البنية التحتية، وتفعيل ممر شمال-جنوب كبديل عن ممر قناة السويس، حيث أن هذا الممر يختصر الزمن حتى 20 يوماً والكلفة حتى 30 في المئة، ويعد خياراً أفضل كبديل عن قناة السويس في مجال الترانزيت، وهو مشروع يؤكد من وجهة نظر الدول المعنية بهذا الطريق الممر ضرورة البحث عن بديل أقل خطورة من قناة السويس. من جهة أخرى، فإن محاولات النظام الإيراني مع الحكومات العراقية المتوالية لتفعيل العمل في بناء وصلة سكك الحديد التي تربط بين مدينة المحمرة-خورمشهر بمدينة البصرة العراقية بطول 37 كيلومتراً، وتسمح لظهران بربط خطوطها السككية التي تبدأ من الصين والهند وباكستان بالعراق وسوريا وسواحل البحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن الجهود التي تبذل أيضاً لربط ميناء جابهار الإيراني الذي تسهم الهند وروسيا في أعمال تطويره وبنائه، بخطوط برية وسككية مع ميناء غوادر الباكستاني الذي تقوم الصين بتشغيله، ويرتبط مع المناطق الصناعية الصينية بخطوط برية وسككية باتجاه مختلف مناطق العالم، ويؤسس لتشاركية "صينية وروسية وهندية وباكستانية وإيرانية" للتحكم بخطوط الطاقة والتجارة، لجهة أن ممر "جنوب - شمال" يربط المياه الدافئة في الخليج وما ورائها بالعاصمة الروسية، امتداداً إلى أوروبا الشرقية.

لا يمكن فهم إقدام إيران على توقيع الاتفاق في هذا التوقيت بمعزل عن الأزمات التي يعاني منها الاقتصاد الإيراني، نتيجة سياسة الضغوط القصوى التي مارستها إدارة الرئيس السابق دونالد ترمب ضد النظام الإيراني، والتي استهدفت الوصول بالصادرات الإيرانية من النفط إلى الصفر. وقد حققت هذه السياسة نجاحاً كبيراً ما أدى إلى تراجع حاد في مؤشرات أداء الاقتصاد الإيراني، كما تزامنت هذه السياسة الأمريكية مع تعرّض إيران لعددٍ من الأزمات الأخرى، كان أبرزها مقتل قاسم سليمان قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني في 3 يناير 2020، والذي كان يمثل أحد أهم صانعي ومنقّذي السياسة الإقليمية الإيرانية في عدد من دول الجوار، ثم حادثة إسقاط الطائرة الأوكرانية في الثامن من الشهر نفسه، بالإضافة إلى تحول إيران إلى بؤرة إقليمية لجائحة كوفيد-19. كل هذا للمشكلات أدت إلى اهتزاز كبير في شرعية النظام الإيراني. وفي هذا السياق، جاء الإعلان عن هذا الاتفاق باعتباره رافعة إنفاذ للاقتصاد الإيراني عبر محاولة تأمين تدفقات صادرات النفط الإيراني لثاني أكبر اقتصاد في العالم، وتأمين تدفق الاستثمارات الصينية في عدد من القطاعات الاقتصادية الإيرانية،

وبشكل يسمح للنظام بالحديث عن إنجاز مهم، وأنه يُوجّه ضربة مهمة للولايات المتحدة في ضوء ضعف رد فعل النظام الإيراني على عملية مقتل سليماني وعمليات احتواء السياسة الإيرانية في الإقليم.

ان إيران هي من ترغب أن تستبدل النظام الحالي في الشرق الأوسط- بقيادة المملكة العربية السعودية والدول الخليجية بنظام آخر تكون هي مركزه، ولذلك تسعى إلى التمدد في نفوذها لتكون منظومة عقائدية قادرة على مواجهة التحديات المحتملة لوجودها كقوة إقليمية في النظام الأمني لمنطقة الشرق الأوسط. إذ ان تحجيم القوة الإقليمية لإيران وزيادة قوة المملكة العربية السعودية يتطلب جملة من التكاليف على المملكة العربية السعودية القيام بها، وهذا ما يجعل الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على إدارة المصالح الاستراتيجية بطريقة تقلل من انخراطها المباشر في توازنات القوى، ليؤدي الحلفاء هذا الدور عنها وبما يضمن استمرار نفوذها وتفوقها العالي والإقليمي، وأبرز مثال على ذلك ما تقوم به المملكة العربية السعودية من تبدلات لمراكز القوة الإقليمية أبرزها دعم التغيير في مصر ليكون السيسي بدلاً من مرسي، والذي انعكس تأثير ذلك على المكانة التي كانت ترجوها إيران، فضلاً عن أحداث الأزمة الخليجية وتقليص نفوذ قطر الإقليمي في منطقة الخليج. لكن يبدو أن هذه الاستراتيجية قد تدخل عليها بعض التعديلات من خلال تبدلات مراكز القوة وفقاً للتحويلات الإقليمية والدولية، حيث أنه ومع صعود جو بايدن إلى الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن دور المملكة العربية السعودية قد تراجع إلى حد ما، مقابل صعود الدور القطري، وبما أن قطر قريبة إلى حد ما من إيران نتيجة الأزمة القطرية، فإن دول الخليج اضطرت إلى التعامل مع الأزمة بانسيابية غير معهودة في السابق مقابل إعادة قطر إلى البيت الخليجي، خشية من صعود دور قطر الإقليمي على حساب المملكة العربية السعودية، وبالتالي، فإن صانع القرار السعودي يرى أن قطر ضمن البيت الخليجي رغم الخلافات، أفضل من قطر حليفة لإيران في ظل تراجع الدور السعودي، والذي قد يغير معادلات المنطقة لصالح إيران خاصة في ظل تقارب غير مسبوق بين إيران والصين وفقاً لهذا الاتفاق. لذلك فإن منطقة الخليج العربي بسبب تحركات إيران الإقليمية وخروجها إلى الفضاء الدولي من بوابة الصين، قد أفقد النظام الإقليمي الخليجي فعاليته، مما اضطرت دول الخليج إلى التحول من النظام الإقليمي إلى الترتيبات الإقليمية وفق أسلوب الصفقة، بسبب سرعة التغييرات والتحويلات التي تجرى في المنطقة، خاصة وأن صانع القرار الإيراني أكثر خبرة بتلك التحويلات، كونه ينطلق من الفعل وليس رد الفعل كما يحدث مع دول الخليج العربي.

ستتمتع الصين بالحصول على الواردات النفطية من إيران بأسعار مُنخفضة عن أسعار السوق بموجب هذه الاتفاقية، مع إمكانية الدفع الآجل حتى عامين، إلى جانب إمكانية الدفع بالعملة المحلية الصينية اليوان، وهي مسألة تنطوي على مكاسب مشتركة للطرفين؛ إذ تزيد من فرص تحوّل العملة المحلية الصينية إلى عملة دولية، وأداة للوفاء وتسوية المعاملات الدولية، كما تُجنّب إيران الاعتماد على الدولار الأمريكي.

## المبحث الثاني: المشاريع الأمريكية في العراق والشرق الأوسط (المشرق الجديد نموذجاً)

إن العامل المشترك بين الدولتين "إيران والصين" في علاقتهما مع الولايات المتحدة الأمريكية، أن كلاهما مشمولتان بالعقوبات الأمريكية، لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستستمر بالضغط على الدولتين من خلال سياسة الضغط الأقصى، من أجل إفشال تلك الشراكة الاستراتيجية، لأن الولايات المتحدة الأمريكية تدرك أن الصين تحاول مزاحمتها في الشرق الأوسط من خلال بوابة إيران، بعد ان فشلت من بوابة العراق عن طريق ميناء الفاو الكبير، وبالتالي فإن أمام الولايات المتحدة الأمريكية عدة أوراق ضغط، من بينها الورقة الاقتصادية بالدرجة الأولى، وإن لم تنجح واستمرت تلك الاتفاقية بمزاحمة الولايات المتحدة الأمريكية فإنها قد تعتمد وتضطر إلى توظيف ورقة الإرهاب من جديد، خاصة وأن هناك تحركات جديدة لتنظيم داعش الإرهابي في مناطق ومدن عراقية، تحاول إيجاد مكان لها مستغلة الانشغال الحكومي بالصراعات السياسية، فضلاً عن صراع الأجهزة الأمنية الذي انعكس على مستوى أداؤها المتراجع مقابل صعود متواتر للعمليات الإرهابية في العراق، إذ أن هناك تسريبات بإمكانية نقل مخيم الهول من سوريا إلى العراق الذي يضم أكثر من 7000 آلاف مقاتل من تنظيم داعش وذلك بضغوطات أمريكية، ومن ثم قد تعمل على تهريب هؤلاء المقاتلين مثلما حدث في 2014 أثناء هروب مقاتلي التنظيم من سجن أبو غريب في العراق، والتي كانت النواة الرئيسية والبدائية لتوسع تنظيم داعش في العراق وسوريا، لذلك من المتوقع أن تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على تكرار تلك التجربة من أجل ضرب العمق الإيراني أو على الأقل ضرب العمق الإيراني في العراق من أجل إشغال إيران في العراق ومن ثم إخراجها بطريقة سريعة، أو على الأقل التفاوض معها من خلال ورقة الإرهاب، خاصة وأن جنوب العراق العمق الاستراتيجي لإيران يشهد تحركات مضادة وكبيرة للنفوذ الإيراني في العراق وبتحريك من الولايات المتحدة الأمريكية، لهذا فإنه من المتوقع أن تشهد الساحة العراقية الجنوبية صراعاً مسلحاً في المرحلة القادمة.

يُعد مشروع "المشرق الجديد" الذي طرحه رئيس الوزراء العراقي السابق مصطفى الكاظمي، حدثاً نوعياً في واقع المنطقة التي تشهد انقسامات وتجاذبات بين الأطراف المختلفة، وهو ما يؤشر إلى طبيعة التحديات التي تواجه المشروع والصعوبات التي قد تعترض مساره. ورغم العنوان الاقتصادي للمشروع إلا أنه ينطوي على أبعاد سياسية واستراتيجية، إذ يقوم مشروع "المشرق الجديد" على أساس الربط بين مصر التي تمثل كتلة سكانية كبيرة، والتي لديها خبرات في العديد من المجالات، ولديها موقعها على البحر المتوسط، والعراق الذي يمتلك موارد نفطية كبيرة، والأردن الذي يملك مزايا اقتصادية جيدة. ويركز المشروع على التعاون الاقتصادي وتعزيز الجوانب الاستثمارية والتجارية بين البلدان الثلاثة، في خطة ستكون تدفقات رأس المال والتكنولوجيا فيها أكثر حرية، ويتوقع أن يشجع الدول الأخرى على ضخ استثمارات جديدة في المنطقة. كما إن هذا المشروع سيعمل على نقل الفعالية الاقتصادية للعراق إلى البحر الأحمر والبحر المتوسط، بعيداً عن الخليج العربي ومضيق هرمز الواقعين تحت سيطرة إيران؛ الأمر الذي يعزز أوراق القوة العراقية مقابل إيران، لكن في نفس الوقت فإن العراق سيكون مضطراً إلى الاختيار بين الترابطات الجيوسياسية اما مع إيران أو العمق العربي المتمثل بدول الخليج العربي، وهذا ما يجب ان تدركه دول الخليج على اعتبار أنه فرصة

تاريخية لعودة العراق والتي قد لا تتكرر في المستقبل، في ظل تذبذب وتيرة الأحداث والتحويلات التي تمر بها الساحة العراقية.

إن ما هو جديد ضمن مشروع المشرق الجديد، أن هناك فواعل جديدة قد تدخل ضمن هذا المشروع الذي قد يتحول إلى تحالف ومن ثم حلف إقليمي يسعى إلى تطويق إيران بسلسلة من الدول المعادية في سياساتها الإقليمية لمشروع التوسع والنفوذ الإيراني في المنطقة، خاصة وأن إيران اضطرت واستبقت الذهاب إلى الصين من أجل الهروب من سياسة التطويق التي ترعاها الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، لهذا فمن المتوقع أن تتوسع سياسة التطويق من خلال ضم مجموعة من الدول الإقليمية الأخرى إلى هذا المشروع الناشئ، خاصة للمملكة العربية السعودية فضلاً عن الإمارات العربية المتحدة.

### المبحث الثالث: المشاريع الطاقوية التركية\_الروسية في الشرق الأوسط

#### المطلب الاول: أمن الطاقة في الاستراتيجية التركية

إن أمن الطاقة أمر بالغ الأهمية لتركيا التي تعتمد بشكل تام على وارداتها في توفير الطاقة، لذلك تعمل الحكومة التركية على إحداث تغييرات هيكلية كبيرة في قطاع الطاقة داخل البلاد، ويرجع ذلك أساساً إلى المخاوف بشأن الاعتماد الكبير على واردات الغاز الطبيعي، مما يسبب قلقاً سواء من الناحية التجارية أم من منظور استراتيجي، ولتفادي هذه المخاوف تتبع تركيا سياسة خفض اعتمادها المطلق على المورد الرئيسي للغاز الطبيعي من روسيا، التي توفر 53% تقريباً من إجمالي واردات الغاز التركية. وتعتمد تركيا أيضاً لتقليص اعتمادها على القدرة الحالية للبنية التحتية للاستيراد والنقل، التي لا تستطيع تلبية الطلب على الغاز في فترات الذروة، حيث تنوي تركيا تنويع مصادر إمدادات وأنواع استيراد الغاز، سواء من خطوط أنابيب الغاز أم الغاز الطبيعي المسال لضمان توافر الواردات من مجموعة أوسع من المصادر المتاحة وبشروط تنافسية، مع العمل على تخزين المزيد من الغاز في البلاد عندما تسمح قدرة البنية التحتية بذلك، وفي هذه الحالة تستطيع تركيا أن تصبح مركزاً تجارياً للغاز، حيث تستطيع المتاجرة بالغاز الطبيعي الزائد لديها<sup>23</sup>.

تعتمد تركيا على سياسة واضحة إزاء التعامل مع الطاقة ومصادرها، تهدف منها تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية، تتمثل فيما يلي<sup>24</sup>:

1. تنويع مصادر ومسارات الحصول على مصادر الطاقة الخارجية: فخلال عام 2015 قامت تركيا باستيراد ما يقارب 99% من استهلاكها من الغاز من الخارج، وذلك بعد التزايد المضطرب لطلبها على الغاز الطبيعي لتأتي في المرتبة الثانية عالمياً في الطلب على الغاز بعد الصين.
2. زيادة مساهمة مصادر الطاقة المتجددة، وإدخال التكنولوجيا النووية لتطوير مصادر جديدة:

<sup>23</sup> شادي سمير عويضة، استغلال الغاز الطبيعي في حوض شرق البحر المتوسط وعلاقته بالنفوذ الإسرائيلي في المنطقة، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2019)، ص 121.

<sup>24</sup> احمد زكريا الباسوسي، تأثيرات تهديد أمن الطاقة على الصراع الدولي على الغاز الطبيعي: دراسة حالة منطقة حوض شرق البحر المتوسط، رسالة دكتوراه، (القاهرة: جامعة القاهرة\_ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2018)، ص 70\_72.



وذلك بغية تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها، تقليص اعتمادها على الخارج في تأمين مصادر الطاقة الخاصة بها، فضلاً عن تحقيق الاستفادة القصوى من مصادر توفير الطاقة المحلية، علاوة على مكافحة ظاهرة التغيرات المناخية التي باتت تهدد العالم برمته.

3. المشاركة في استقرار أمن الطاقة الأوروبي من خلال التحول إلى محور لتجارة الطاقة، فالموقع الجغرافي لتركيا يؤهلها للقيام بهذا الدور لا سيما قربها جغرافياً من أكثر مناطق العالم احتواءً على مصادر الطاقة، حيث تحتوي المنطقة المحيطة بها على ما يقارب 75% من مصادر الطاقة العالمية، وبالتالي فإن ذلك يؤمن لها أمرين:

الأول: ضمان قدرتها على توفير كامل احتياجاتها من مصادر الطاقة.

الثاني: القيام بمسؤولية التحول إلى محور لتجارة الطاقة العالمية، لا سيما أنها تمثل رابطاً حقيقياً بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب أيضاً.

يبدو أن تركيا قد بدأت تسير في هذا الاتجاه بخاصة مع قيامها بالفعل في بناء خطوط لنقل النفط والغاز عبر أراضيها، فضلاً عن شروعاتها الدخول في جولات تفاوضية عدة لبناء وتأسيس خطوط أخرى. إذ يمكن تقسيم أبرز مشروعات وخطوط نقل الغاز عبر الأراضي التركية إلى قسمين:

القسم الأول- خطوط نقل الغاز الطبيعي القائمة:

حيث استثمرت تركيا موقعها الجغرافي والاستراتيجي لخلق أهمية جيواستراتيجية لنفسها، حيث أنها من بلدان المنطقة التي تمر بها خطوط نقل الغاز الطبيعي والنفط. وفي هذا الإطار يمكن حصر أبرز خطوط نقل الغاز الطبيعي التي تمر بالأراضي التركية:

1. خط أنابيب باكو-تبليسي-أرضروم: ويطلق عليه أيضاً خط غاز القوقاز الجنوبي، يبلغ طوله 690 كم وينقل الغاز الطبيعي المنتج في حقل "شاه دينيز" من أذربيجان بمنطقة بحر قزوين عبر الأراضي الجورجية إلى تركيا<sup>25</sup>.

2. خط ربط أنابيب ربط تركيا-اليونان: يبلغ طوله قرابة 300 متر، منها 209 داخل الأراضي التركية، بحيث يتم من خلاله نقل الغاز المنتج في حقل "شاه دينيز" من أذربيجان مروراً بتركيا حتى اليونان. ويعد هذا الخط جزءاً من الخطة الأوروبية لنقل الغاز عبر الممر الجنوبي.

3. خط السيل الأزرق: إذ يعد الخط الأكبر لنقل الغاز الطبيعي بين روسيا وتركيا، ويبلغ طوله 1213 كم، تديره شركة أنابيب النفط التركية، بحيث ينقل هذا الخط 16 بليون متر مكعب من الغاز سنوياً.

4. خط الأنابيب الروسي-التركي: حيث يبلغ طوله 845 كم يمر عبر كل من أوكرانيا ورومانيا وبلغاريا، للدخول إلى الأراضي التركية، وذلك بطاقة بلغت 14 بليون متر مكعب من الغاز الطبيعي.

<sup>25</sup> احمد زكريا الباسوسي، مصدر سبق ذكره، ص ص 73-74.

5. خط الغاز الإيراني-التركي: تم إنشاء هذا الخط بموجب اتفاق تم توقيعه بين إيران وتركيا في 1996، بموجبه بدأت إيران توريد الغاز إلى تركيا بطاقة استيعابية بلغت 10 بليون متر مكعب من الغاز الطبيعي.

القسم الثاني- مشروعات في إطار الدراسة والتفاوض:

لم تكتف تركيا بخطوط الغاز الطبيعي القائمة التي تعمل بكفاءة، لكنها تخوض بشكل مستمر ودائم في جولات تفاوضية مع أطراف دولية مختلفة لإنشاء مزيد من الخطوط، خاصة تلك التي يمكن أن تكون معبراً حقيقياً لنقل غاز بحر قزوين حالياً، وشرق البحر المتوسط في المرحلة المقبلة إلى أوروبا. وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى أهم تلك المشروعات، وهي كالتالي:

1. خط أنابيب الغاز العابر للأناضول: تم الإعلان المبدي عن المشروع في 2011 في إطار القمة الثالثة لطاقة واقتصاد البحر الأسود التي عقدت في مدينة اسطنبول. ويبلغ طول الخط الذي يفترض أن ينقل الغاز من أذربيجان عبر جورجيا وتركيا حتى أوروبا 1850 كم، ويعد الممر الرئيسي لغاز الجنوب نحو أوروبا، حيث تقدر السعة المخططة للخط 16 بليون متر مكعب من الغاز في 2026 في مرحلته الأولى، لتصل إلى 60 بليون متر مكعب في مرحلته الأخيرة، حيث تبلغ التكلفة الاجمالية المقدرة للمشروع ما بين 10-11 بليون دولار<sup>26</sup>.

2. مشروع خط أنابيب غاز نابوكو: يعد من أكثر مشروعات خطوط الغاز تعثراً على الرغم من الدعم الأوروبي، إذ بدأت الإرهاصات الأولى للمشروع في يونيو عام 2002، حيث وقعت خمس شركات نمساوية وتركية ومجرية وبلغارية ورومانية بروتوكول نية لإنشاء خط أنابيب نابوكو، تبعه اتفاق للتعاون في 2002 فضلاً عن منح المفوضية الأوروبية في 2003 مبلغاً يساوي 50% من التكاليف المتوقعة لدراسة الجدوى بما فيها تحليل السوق، والدراسات التقنية والمالية والاقتصادية. وفي حال إتمامه سيعد أطول خطوط أنابيب الغاز الطبيعي، لكونه يفترض أن يمتد 3300 كم تبدأ من أرضروم بتركيا مروراً بأنقرة، عابراً للحدود إلى رومانيا، ثم المجر وأخيراً النمسا. حيث يفترض أن ينقل 31 بليون متر مكعب من الغاز سنوياً، وذلك بتكلفة إجمالية 8 مليار يورو للخط<sup>27</sup>.

من جهة أخرى، تعد تركيا الدولة الاقرب جغرافياً إلى الدول المتوسطة المصدرة للغاز، وهو الأمر الذي من شأنه أن يقدم الحل والخيار الأكثر جاذبية لمعضلة نقل غاز شرق المتوسط، فقد أضحت تركيا نتيجة نموها الاقتصادي الكبير منذ العام 2003 مستهلكاً مهماً للغاز، حيث تستهلك 50 مليار متراً مكعباً سنوياً، وهو ما يؤمن لها 50% من إنتاج الكهرباء التركية، إضافة إلى ذلك لا تنتج تركيا الغاز، بل تعتمد على روسيا الاتحادية التي تستورد منها 60% من احتياجاتها من الغاز، كما تستورد 20% من احتياجاتها من الغاز من إيران. إذ يعتبر هذان البلدان منخرطين بقوة في الصراع المسلح في سوريا الذي تعد تركيا أيضاً طرفاً رئيساً مشاركاً فيه. ويضاف إلى ذلك التوتر شبه الدائم والتهديدات

<sup>26</sup> المصدر نفسه، ص 75.

<sup>27</sup> المصدر نفسه، ص 76\_77.



التي يتعرض لها عبور الغاز عبر مناطق تركيا الجنوبية الشرقية، خاصة هجمات حزب العمال الكوردستاني. كما تعتمد إيران إلى المبالغة في تسعير غازها، وهو الأمر الذي طالما تسبب بمشكلات لتركيا التي اضطرت بسبب ذلك إلى العزوف عن شراء الغاز الإيراني بكميات كبيرة نظراً لارتفاع اسعاره مقارنة بغيره، حيث وصلت الأمور بتركيا إلى حد مقاضاة إيران أمام محاكم دولية بسبب مغالاتها في تسعير غازها<sup>28</sup>.

أما بالنسبة إلى العلاقات بكل من أذربيجان والعراق، وهما مصدران أساسيان للطاقة إلى تركيا، فهي تظل مرهونة دائماً بتقلبات سياسية تجعل تدفق الإمدادات من النفط والغاز على نحو آمن ومستدام غير مؤكد. من هنا يمكن لصادرات الدول الطاقوية الشرق متوسطة، وتحديدًا الصادرات المشتركة من الغاز الإسرائيلي والقباضي، أن تؤمن لتركيا 25 مليار متر مكعب سنوياً، أي نصف استهلاكها الحالي من خلال بناء خط أنابيب طوله 470 كم، وهو الذي يعد الأقل تكلفة بين كل مشاريع نقل الغاز المطروحة في شرق المتوسط. كما أنه وبوصفه خط غاز بحري، فسيكون من الصعب جداً استهدافه بأعمال التخريب. غير أنه يوجد عاملان أساسيان يمنعان حصوله<sup>29</sup>:

الأول: الوضع السياسي الحاصل بين تركيا وإسرائيل الذي أدى إلى المزيد من التدهور في العلاقات بين البلدين، والذي ألقى ظلالاً من الشك حول إمكانية تنفيذ خط الأنابيب المقترح.

الثاني: عدم التوصل إلى تسوية شاملة للقضية القبرصية-القبرصية والتركيبية-التركية والذي يعد شرطاً ضرورياً من قبل الطرفين للوصول إلى إمدادات آمنة للطاقة ولجذب التمويل والرساميل اللازمة لإنشاء خط الأنابيب المقترح.

بالرغم من الاختلال الكبير في موازين القوى بين تركيا وقبرص اليونانية، إلا أن الجانب القبرصي يستقوي بأربعة معطيات، هي: الدعم المضمون من قبل اليونان، وعضويته في الاتحاد الأوروبي، والاتفاقات الإقليمية مع إسرائيل ومصر ولبنان، وإعطاء رخص التنقيب لعدد كبير من الشركات التي تتبع في الغالب للقوى الكبرى أميركا، روسيا، فرنسا، إيطاليا... إلخ، وذلك في محاولة لربط مصالح هذه الدول بمصالح جمهورية قبرص اليونانية، بحيث يشكّل ذلك رادعاً للجانب التركي. وتذكر أنقرة أن توقيع قبرص اليونانية اتفاقات ترسيم للمنطقة الاقتصادية الخالصة مع مصر ولبنان وإسرائيل، يهدف إلى أن تحصن الأخيرة نفسها أمام المطالب التركية لكي يصبح ذلك أمراً واقعاً يتجاوز قدرتها على الرد. في هذا الإطار يُنظر إلى التعاون الثلاثي القبرصي-الإسرائيلي-المصري المتزايد في شرق المتوسط على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري، على أنه جهد مشترك لتشكيل محور في وجه الموقف التركي<sup>30</sup>.

<sup>28</sup> وسيم خليل قلعية، روسيا الأوراسية كقوة عظمى: جيوبوليتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط، ط1، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2019)، ص ص 276\_277.

<sup>29</sup> المصدر نفسه، 278.

<sup>30</sup> علي حسن باكير، النزاع على الغاز في شرق المتوسط ومخاطر الاشتباك، تقارير، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2018)، ص 9.

أمام هذه المعطيات هددت تركيا بشكل متكرر منذ العام 2012 على الأقل بأن أي إجراء أحادي من قبل قبرص اليونانية يتجاهل الحقوق التركية أو حقوق قبرص التركية، سيقابل برد مناسب يضمن حقوق ومصالح تركيا. ومع مرور الوقت واستمرار تجاهل التحذيرات التركية، أصبحت أنقرة أكثر حزمًا في التعبير عن شكل الإجراءات التي ستخضعها وتتضمن:<sup>31</sup>

- حرمان الشركات التي تتجارب مع قبرص اليونانية من فرص الاستثمار في تركيا.
- السماح للشركات التركية ببدء عمليات المسح أو التنقيب في بعض المناطق المتنازع عليها عام 2011 التي أعطت قبرص التركية الحق لتركيا بالتنقيب في محيطها.
- منع السفن القادمة للتنقيب في المنطقة الاقتصادية الخالصة التي حددتها.

### المطلب الثاني: أمن الطاقة في الاستراتيجية الروسية

على الرغم من التراجع الكبير الذي شهده الاتحاد الروسي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية كافة، ولمدة عقد كامل، إلا أنه شهد إعادة صياغة رؤية جديدة تحاكي الوضع الدولي الجديد في ظل زعامة الولايات المتحدة الأمريكية على قمة النظام الدولي، هذه الرؤية تركزت على إعادة ترتيب الداخل ومن ثم الانتقال إلى الخارج سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وهذا ما شجع على توظيف مصادر الطاقة الروسية كقوة استراتيجية تتطلع لها روسيا من أجل لعب دور عالمي ساعدها على إعادة مكائنها المفقودة، لذلك فإن روسيا في كل استراتيجية سواء كانت شاملة أو فرعية، تكون الطاقة حاضرة فيها كونها مصدراً من مصادر قوة الدولة الروسية وحيويتها.

يقوم أمن الطاقة الروسي على ضرورة الاستخراج الكافي من مصادر الطاقة الروسية الواقعة في مناطق جغرافية صعبة، مثلما يتضمن الوصول الآمن إلى الأسواق الطاقوية العالمية، خاصة الأوروبية منها، فضلاً عن ضرورة التصدير الآمن لإمدادات الطاقة الروسية دون عرقلتها من طرف دول العبور، وبأسعار عالية تحقق أرباحاً مهمة، زيادة على ضرورة امتلاك التكنولوجيات المناسبة والضرورية لاستخراج الطاقة، وامتلاك التحكم في شبكة خطوط نقلها نحو الأسواق الخارجية، ناهيك عن ضرورة التنويع وخلق توازن سليم في أسواق الطاقة الروسية بما لا يجعل روسيا تابعة نحو سوق طاقتي واحد، والحقيقة يجعل هذا المفهوم من روسيا فاعلاً ودولة محورية مهمة في توازنات الطاقة في السوق الدولية باعتبارها منتجاً طاقتياً كبيراً، خاصة وأن الأدبيات السياسية والاستراتيجية تستخدم عبارة (ليس لروسيا سياسة خارجية وإنما سياسة طاقة)<sup>32</sup>.

<sup>31</sup> وسيم خليل قلعجية، مصدر سبق ذكره، ص ص 285\_286.

<sup>32</sup> نورهان الشيخ، سياسة الطاقة الروسية وتأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي، (القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، 2009)، ص 1.

إن طبيعة الاستراتيجية الروسية باتت في واقع الحال أشبه بمزيج من نزعات تجارية، ولا سيما ما ارتبط منها بالطاقة (التي أسبغ عليها مفهوم أمن الطاقة)، وطموح يتعاضم تدريجياً لاستعادة "العظمة" لروسيا، وهو الذي غالباً ما يوصف مجازاً بـ "النهوض من حالة الركوع"<sup>33</sup>.

تعد روسيا فاعلاً طاقوياً كبيراً، حيث تمتلك أكبر احتياط عالي من الغاز الطبيعي، بنسبة 72.5% من الاحتياطي العالمي، أي ما يقارب 1,680 مليار متر مكعب، كما أنها تعد أكبر منتج ومصدر له، وتتوقع الحكومة الروسية أنها ستنتج 31 مليار متر مكعب في 2030. وتعد شركة غاز بروم أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم، كما أنها تتحكم في 90% من إنتاج ونقل الغاز الروسي إلى آسيا وأوروبا، وروسيا تعي أكثر من غيرها البعد الطاقوي وأهميته الاستراتيجية داخلياً، وأهميته المتزايدة في الساحة الدولية، كما أن اتساع وتيرة التنمية الاقتصادية في روسيا وتعدد اختصاصات فروعها الطاقوية، وارتباطها مع اقتصاديات دول آسيا وأوروبا واتساع شبكة نشاطها الاستراتيجي الرأسمالي في القطاع العام والخاص خارج البلاد، اعتبر طفرة نوعية في الاقتصاد الروسي كمرحلة جديدة من مراحل الاندماج والتكامل ضمن الاقتصاد العالمي. وتعتبر أهمية الطاقة بنوعها النفط والغاز فضلاً عن الثروات الأخرى بالنسبة للحكومة الروسية شريانا حيويًا للخزينة العمومية وترشيداً في الميزانية العامة للدولة، وتلعب دوراً مهماً في التنمية الاقتصادية والسياسية، حيث تشكل الطاقة 30% من الناتج المحلي في روسيا، وإن أي انخفاض أو عدم استقرار في السوق العالمي يخلق اختلالات خطيرة على الميزانية الروسية ويعطل عجلة التنمية الاقتصادية في نسبة النمو الداخلي، كما تمتلك روسيا مجموعة من عوامل القدرة والتأثير التي تؤهلها للقيام بدور فاعل حالياً وفي المستقبل تشكل قوة دافعة رئيسية مضافة لتكون عملاقاً عالمياً في تصدير الطاقة نحو أوروبا وآسيا، فضلاً عن أن الطاقة تعد دعامة حيوية وأساسية للأمن القومي الروسي بمفهومه الشامل وآلية من آليات التأثير في البيئة الدولية، بالنظر إلى الدور الذي تلعبه روسيا في سوق الطاقة<sup>34</sup>.

في منتصف عام 2003، شرع الرئيس بوتين بإحكام قبضة الحكومة على صناعة النفط والغاز، وبذلك كشفت معالم استراتيجية روسية جديدة تمثلت بـ:

أولاً: إضعاف وإنهاء سيطرة الزمرة الرأسمالية الجديدة من الإشراف والسيطرة على قطاع الطاقة.

ثانياً: الإبقاء على توجه إغراء الاستثمارات الأجنبية.

ثالثاً: إخضاع سياسة الاستثمار لرقابة السلطة.

رابعاً: تقليص فرص استيلاء الشركاء الأجانب على عمليات الطاقة.

خامساً: إشاعة الرأي في السياسة الروسية بأن إعادة العافية للاقتصاد الروسي ولدور روسيا في السياسة الدولية مرهون بملكية روسيا لثروتها الطبيعية وخاصة الطاقة.

<sup>33</sup> بافل باييف، الاتحاد الروسي: كفاح من أجل التعددية القطبية وأغفال للعواقب، في جرابي هيرد، القوى العظمى والاستقرار الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين: رؤى متنافسة للنظام العالمي، ط1، (ابو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2013)، ص 207.

<sup>34</sup> بن سي قدور عبد القادر، مبادئ سياسة روسيا تجاه أمن الطاقة بين المدخل الاقتصادي والتأثير السياسي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد (1)، (الجزائر: المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، 2018)، ص 7-8.

سادساً: السعي لتقليص آثار العولة والسوق العالمي على الاقتصاد الروسي، وإعفاء روسيا من العواقب السلبية لعملية خصخصة غير ناضجة.

سابعاً: تبني سياسة تخطيط النمو "إذ أن النمو المستقر للاقتصاد الروسي في السنوات القادمة" كما كتب بوتين "سيقوم على تخطيط النمو"<sup>35</sup>.

إن جوهر استراتيجية الطاقة الروسية ليس أن تصبح روسيا مجهزاً للمواد الخام، بل من المشاركين الأساسيين في السوق العالمي، وأن تكون الطاقة مصلحة استراتيجية، أي أداة قوة تعزز موقف ونفوذ روسيا في السياسة الدولية وتضمن لها الموارد اللازمة للإبقاء على قدرتها الاستراتيجية للردع. وتمثل تلك القوة الاستراتيجية في جملة أوجه ذات صلة بالطاقة:

أولها: حصة روسيا من الإنتاج والاحتياطي العالمي للنفط والغاز الطبيعي داخل ترابها الإقليمي.

ثانياً: جاهزية روسيا على التعامل مع الطلب على الطاقة من حيث إمكانياتها التقنية والتغلب على الصعوبات الجغرافية ومستوى الاستثمار وسياسة الطاقة وطنياً.

ثالثاً: منظومة إيصال النفط والغاز الطبيعي إلى السوق العالمي من شبكة خطوط النقل وغيرها وكفاءتها وسعتها على الحمولة، والأوضاع الأمنية، وقدرة روسيا على تحديثها.

رابعاً: البدائل المتاحة لروسيا لإيصال نفطها وغازها الطبيعي إلى المستهلكين والسوق العالمي، وما تواجهه من تحديات تقنية وفنية وجغرافية وسياسية وأمنية.

خامساً: المدى الذي تستطيع فيه روسيا تسخير واقع موقعها الجغرافي وتاريخ علاقاتها ونفوذها في إقليم بحر قزوين الكبير، حيث دول وسط آسيا المصدرة للنفط والطاقة.

سادساً: مواجهة تحديات التنافس والخصام على مصادر الطاقة واتجاهات خطوط نقلها من مصادرها إلى السوق العالمي عبر روسيا أو دون المرور بها.

سابعاً: تقلبات العرض والطلب العالميين على الطاقة وتأثيراتها على الأسعار<sup>36</sup>.

وبذلك شكّل صعود بوتين إلى السلطة رافعة للاقتصاد الروسي الذي نجح في تحقيق نسب نمو عالية خلال سنوات متتالية، نتيجة ارتفاع أسعار النفط والغاز الذي استفادت منه الحكومة الروسية بتأجهاين: عبر صادراتها النفطية وعبر إعادة تصدير شحنات الطاقة القادمة من قزوين والقوقاز، وهو ما سمح للحكومة الروسية بتمويل خططها الاقتصادية. من هنا كان الإصرار الروسي دائماً على العمل على بقاء الأراضي الروسية للمر الأساسي وشبه الوحيد لمصادر الطاقة القادمة من آسيا الوسطى وقزوين. أمام هذا الواقع لا تبدو روسيا مستعدة للتنازل في هذه المسألة. وبحسب الكاتب

<sup>35</sup> كاظم هاشم نعمة، روسيا في السياسة الاسيوية ما بعد الحرب الباردة، (عمان: أمانة للنشر والتوزيع، 2013)، ص 441\_442.

<sup>36</sup> المصدر نفسه، ص 443\_445.

مارشال غولدمان فإنّ موسكو تخوض "مباراة شطرنج عظمى" تسعى خلالها للتصدّي لمحاولات الولايات المتحدة بناء خطوط أنابيب تتجاوز موسكو.<sup>37</sup>

اتخذت الدولة سياسة اقتصادية مكنتها من الاستفادة القصوى من مقوماتها ومواردها وإمكاناتها المادية، باعتبارها من أغنى دول العالم من حيث مصادر الطاقة، فهي تمتلك سابع أكبر احتياطي نفط في العالم والدولة الأولى عالمياً من حيث احتياطات الغاز الطبيعي، فلقد أحكمت إدارتها لقطاع الطاقة وتوالت عمليات الخصخصة ولكن تحت إشراف وسيطرة الدولة، من خلال شركات حكومية مثل غاز بروم التي تحتكر إنتاج وتسويق الغاز وتحصل على الدعم الحكومي، وروس نفط ولوك أويل التي بلغ متوسط الإنتاج اليومي لها من النفط الروسي 981,1 مليون برميل عام 2007، حيث زاد إنتاج واستخراج النفط والغاز الطبيعي كما ازداد احتياطي روسيا من العملة الصعبة والذهب بنسبة 70% عام 2004 فقد بلغ حجم استخراج النفط ذلك العام نحو 450 مليون طن، وتم تحويل الإيرادات الناتجة من بيع النفط بسعر يفوق 20 دولاراً للبرميل الواحد إلى صندوق الاستقرار، مما أدى إلى وجود وفورات بهذا الصندوق تقدر بحوالي 19 مليار دولار في يناير 2005 نتيجة ارتفاع أسعار البترول. وبالتالي نتج عن ذلك ارتفاع الاحتياطي النقدي في الأعوام التالية إلى أن عاد الوهج الروسي وتنامي الاقتصاد بأكمله وتطورت البنية التحتية، وتوقفت موسكو عن تلقي الإعانات والمساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية والدول المتقدمة، بالإضافة إلى تحول مجموعة الدول السبع الصناعة إلى مجموعة الثمانية بعد التحاق روسيا بها بسبب تأثيرها الكبير على السوق العالمي للطاقة وإحكام سياساتها على ذلك القطاع.<sup>38</sup>

### المطلب الثالث: التطبيقات العملية للاستراتيجية الروسية الطاقوية

#### أولاً- الأزمة السورية

منذ قيام الثورة السورية في عام 2011م، وبخلاف باقي دول التحولات العربية كانت الثورة السورية الأسرع في تحديد الموقف الروسي حيالها، حيث بادرت روسيا بإعلان دعمها لنظام الأسد، ورفضت التدخل الخارجي في الشأن السوري، وتعتبر الأزمة السورية الآن القضية الأولى بالرعاية في السياسة الخارجية الروسية.<sup>39</sup>

وكانت هناك عدة أسباب للتدخل الروسي في الأزمة السورية ومن بينها<sup>40</sup>:

1- تحتل سوريا المركز الرابع في استيراد السلاح الروسي.

2- وجود قاعدة بحرية روسية في ميناء طرطوس الساحلية التي تطل على البحر المتوسط.

<sup>37</sup> أحمد ملي، التنافس الدولي على حوض قزوين، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد (89)، (لبنان: وزارة الدفاع الوطني، 2014).

<sup>38</sup> محمد سالم طابع، أمن الطاقة والعلاقات الروسية الغربية في الفترة (2000\_2015)، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2016).

<sup>39</sup> شبكة بي بي سي، التدخل العسكري الروسي في سورية يسيطر علي إهتمام صحف عربية، بريطانيا، 2015/10/2م، تاريخ الدخول: 2016/4/5، للمزيد انظر: 201\_10\_151002\_arab\_press\_02\_10\_201 http://www.bbc.com/arabic/inthepress/2015/10/151002\_arab\_press\_02\_10\_201

<sup>40</sup> وكالة روسيا اليوم الإخبارية، نقاط الاختلاف والالتقاء بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا حول سورية، موسكو، 2015/10/23م، تاريخ الدخول: 2016/4/5 للمزيد انظر: https://arabic.rt.com/news/79782

- 3- تجربة روسيا السلبية في الملف الليبي وموافقته على قرار الأمم المتحدة رقم 1973، والذي سمح لحلف الناتو بالتدخل في ليبيا وإسقاط نظام معمر القذافي أحد حلفاء موسكو.
- 4- موقع سوريا الجيوستراتيجي والذي يشكل فضاء حيويًا لروسيا على البحر المتوسط.
- 5- رغبة روسيا في إنشاء نظام عالمي متعدد الأقطاب تكون روسيا فاعلاً قوياً فيه.
- 6- سقوط نظام الأسد هو بمثابة تضيق الخناق على إيران، وهنا ستخسر روسيا نفوذاً هاماً في منطقة الشرق الأوسط.

بحسب المنظور الاستراتيجي الروسي، يشكل الموقع الجيوسياسي لسوريا موطناً القدم الأكثر أهمية في المنطقة بالنسبة للمصالح الروسية، موقعها على البحر المتوسط يجعلها ذات أهمية كبرى لجهة المصالح والمكانة الروسية في الشرق الأوسط. ويتيح منفذاً لأسطولها البحري في البحر الأسود قاعدة سيفاستوبول إلى المياه الدافئة في المتوسط. وسوريا أقرب حليف لموسكو خلال الحكم السوفيتي، وقامت الأخيرة بدعم دمشق بالتدريبات والمساعدات العسكرية، وصلت قيمتها إلى 26 مليار دولار<sup>41</sup>.

كما شهدت العلاقات بين الدولتين دفعة جديدة خلال حكم بوتين والأسد، ففي عام 2005، قامت موسكو بشطب معظم ديون سوريا (9,8 من أصل 13,4 مليار دولار)، مقابل السماح بإنشاء مرافئ بحرية روسية دائمة في ميناء طرطوس واللاذقية السوريتين. ومن بين الزعماء القلائل في العالم، دعم الأسد التدخل الروسي في جورجيا في آب/أغسطس 2008، وهذا ينبع من رؤية صناع القرار السوري على أنهم الأقرب من المصالح الروسية في المنطقة، نظراً للمصالح المتبادلة والتحالفات بين الطرفين خلال عقود طويلة. وقد عبر عن ذلك الرئيس بشار الأسد عام 2005، قائلاً: "إن سوريا وروسيا الآن في موقع الحلفاء السياسيين"<sup>42</sup>.

ووفقاً لمعهد ستوكهولم لأبحاث السلام، فإن 78% من واردات سوريا من السلاح جاءت من روسيا خلال المدة بين 2007-2010. يضاف إلى ذلك، وبحسب صحيفة "موسكو تايمز" الروسية، سجلت الشركات الروسية حضوراً كبيراً في قطاع الطاقة والبنية التحتية السورية، بلغت قيمة الاستثمارات 20 مليار دولار عام 2009. كل هذه المعطيات الجيوسياسية والجيواقتصادية دفعت روسيا وبكل ثقلها السياسي والعسكري إلى الوقوف إلى جانب نظام بشار الأسد، الذي يعد آخر حليف لها في المنطقة، لأن سقوطه يعني الكثير لمكانة ونفوذ موسكو، لذا استخدم الروس كل أوراقهم السياسية في أروقة الأمم المتحدة لمنع الإطاحة بنظام الأسد، للحفاظ على مصالحهم ومكانتهم الاستراتيجية في سوريا، وحماية صفقات الأسلحة معها، وكذلك الحفاظ على قاعدتها البحرية في ميناء طرطوس على البحر المتوسط، وحسب موقع "روسيا اليوم"، وقعت روسيا وسوريا في 18 كانون الثاني 2017، على وثيقة تسمح للقوات الروسية استخدام قاعدة حميميم الجوية في اللاذقية

<sup>41</sup> آنا بورشفسكايا، مصالح روسيا الكثيرة في سوريا، معهد واشنطن، 24 كانون الثاني/يناير 2013.

<sup>42</sup> عقيل سعيد محفوظ، سوريا وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص 148-149.

لمدة 49 عاماً. هذا يعني نفوذاً جيواستراتيجياً لروسيا في الساحة السورية، حتى في حال مرور الأخريرة في مرحلة ضعف أو انقسام<sup>43</sup>.

تعد المصالح الاقتصادية أحد الدوافع الرئيسية التي جعلت من روسيا تقحم نفسها في الأزمة السورية فضلاً عن وجود مصالح اقتصادية تاريخية بين البلدين منذ ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، خاصة في مجال استثمار الشركات الروسية في قطاع الطاقة، لكن يبدو أن هذه العلاقات الاقتصادية المتبادلة ازدادت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، على اعتبار أن روسيا تسعى إلى أن يكون لها موطن قدم في الشرق الأوسط يزاحم الولايات المتحدة الأمريكية على مصادر الطاقة في المنطقة والعالم، إلا أن الدافع العسكري كان أحد الأهداف الروسية في دعمها للنظام السوري خشية تطويق الولايات المتحدة لها، لذلك عمدت إلى إنشاء قاعدة طرطوس العسكرية في سوريا لخلق حالة من التوازن النسبي مع الوجود الأمريكي في المنطقة ومنها سوريا، إذ تلعب القاعدة البحرية الروسية في سوريا دوراً حاسماً في استراتيجية روسيا البحرية، وقد اعترف قادة البحرية الروسية علانية بأهمية طرطوس بالنسبة للبحرية الروسية. كما أنه تعد مركز ثقل للوجود الروسي في منطقة الشرق الأوسط، انطلاقاً من مصالحها الجيوسياسية. وتنظر موسكو إلى ميناء طرطوس باعتباره بوابتها البحرية إلى المنطقة والوسيلة لاستعادة مجدها في تلك المنطقة، لذلك هي لن تستغني عنه، لا بل ستستमित في دفاعها عن قاعدتها هناك كما أعلنت مؤخراً على الملأ، أنه من ضمن الأسباب المباشرة التي تدفعها إلى مواصلة دعمها لنظام الرئيس السوري بشار الأسد رغم كل ما يجري في الداخل من مجازر واضطرابات، وكانت روسيا قد أعلنت أخيراً أنها تستعد لإرسال وحدة مختارة من قوات مشاة البحرية إلى قاعدتها البحرية في ميناء طرطوس بسوريا، في إشارة قوية إلى أن روسيا لن تتسامح مع التدخل العسكري الأجنبي في سوريا وستقوم بما في وسعها لحماية مصالحها وأسطولها هناك<sup>44</sup>.

### ثانياً- الأزمة الأوكرانية

تقع جزيرة القرم جنوب أوكرانيا ويحيط بها البحر الأسود من الجنوب والغرب، ولا تتصل بالبر القاري إلا من خلال شريط ضيق من جهة الشمال، ويمتد من جهتها الشرقية شريط أرضي يكاد يتصل بالأراضي الروسية. تبلغ مساحتها 27 ألف كيلو متر، وتعني كلمة القرم (القلعة) باللغة التتارية.<sup>45</sup>

وهي جمهورية ذات حكم ذاتي، وعلى الرغم من كونها جزء من أوكرانيا بحكم اتفاقية مع الحكومة الأوكرانية في كييف بعد انفصال أوكرانيا عن الاتحاد السوفيتي، إلا أنها تربطها علاقات تاريخية ولغوية وثقافية قوية مع روسيا الاتحادية. ولها أهمية استراتيجية استثنائية سببت لها نزاعات عسكرية لعقود من الزمن<sup>46</sup>.

<sup>43</sup> المصدر نفسه.

<sup>44</sup> ميشيل كيلو، رهانات صعبة: حسابات موسكو تجاه الصراع في سورية، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، العدد 195، يناير 2014، ص 95.

<sup>45</sup> إيمان أشرف أحمد محمد شلبي، الأبعاد الدولية للأزمة الأوكرانية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، من على شبكة الانترنت على الرابط : <https://democraticac.de/?p=25929>

<sup>46</sup> محمد الكوخي، الأزمة الأوكرانية وصراع الشرق والغرب: جذور المسألة ومآلاتها، ط1، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 53.



ويقارب عدد سكانها المليونين، وأغلبهم روس بمقدار يزيد عن 50% و25% أوكرانيين وحوالي 12% هم مسلمون.

كما أنها مليئة بالمعادن لا سيما الحديد والنفط، وهي موطن لعدد من أكثر المنشآت العسكرية أهمية في روسيا، بما في ذلك مقر أسطولها البحري في منطقة البحر الأسود، وهو الأسطول الذي يضم أكثر من 26 ألف جندي روسي<sup>47</sup>.

تقتضي عملية التأثير الروسي في الاتحاد الأوروبي الاعتماد على متغير الطاقة، كما تقتضي استمرار عملية التأثير التحكم في مجموعة من المتغيرات، التي تؤثر في أمن الطلب بالنسبة لروسيا الاتحادية، والتي من بينها التداخل الديناميكي بين ثلاث نقاط أساسية، تشكل منطلقات كل منها تأثيراً في استقرار أمن الطلب الروسي، ويمكن إبرازها على الشكل الآتي<sup>48</sup>:

1. أمن الإمدادات من خلال دول العبور الأساسية نحو الاتحاد الأوروبي.

2. استمرارية أمن الطلب من خلال التحكم في سوق الطاقة الأوروبية.

3. الاستثمار في أسواق الطاقة الجديدة للحد من استراتيجية التنويع الأوروبية.

و يمكن إدراج هذه المتغيرات الثلاث ضمن إطار جغرافي يعرف بالمنطقة الما بعد السوفيتية، وبالتحديد في الدول الثلاث الفاصلة بين الاتحاد الأوروبي وروسيا، متجسدة في كل من أوكرانيا وروسيا البيضاء ومولدوفا، وبالرغم من أن قائمة الدول الأوروبية التي تفصل بين القوتين الإقليميتين تتسع إلى أكثر من ذلك، إلا أن الأهمية المتعددة الأبعاد لهذه الدول تبرز من عدة أبعاد أساسية<sup>49</sup>:

1. بعد استراتيجي متمثل في العمق الأمني المتبقي لروسيا بعد توسعات الكتلة الأوروأطلسية بمضامينها الصلبة (حلف الناتو) والناعمة (الاتحاد الأوروبي) كقوة معيارية واقتصادية.

2. بعد اقتصادي متجسد في مرور خطوط نقل الطاقة الرئيسية للاتحاد الروسي عبر تلك الدول.

3. بعد سياسي متعلق بضرورة الحفاظ على النفوذ الروسي في الدول الثلاث، خاصة أوكرانيا، وذلك ضمن مسعى أعمق مرتبط بتجديد ميراث المثلث السلافي القديم.

تعتبر أوكرانيا حسب "بريجينسكي" في كتابه الشهير "رقعة الشطرنج" محورا جيوسياسيا وتستمد قوتها من موقعها الحساس والنتائج المترتبة عن الهشاشة الضمنية لظرفها، وأوكرانيا هي النقطة الفاصلة بين أوروبا وروسيا وأن فقدان هذه الأخيرة لها يعني فقدان روسيا لمكانتها، ومن جانب آخر فإن استعادة روسيا لأوكرانيا يشكل تهديداً بالغ الأهمية بالنسبة لأوروبا الوسطى بشكل

<sup>47</sup> باسم راشد، تهديد جيوسراتيجي: حسابات القطب الروسي في الأزمة الأوكرانية، السياسة الدولية، العدد 196، أبريل 2014، المجلد 49

<sup>48</sup> لخضر نويوة، الاستراتيجية الروسية تجاه الاتحاد الأوروبي: الطاقة نموذجاً (2000\_2014)، رسالة ماجستير، (الجزائر: جامعة محمد خيضر \_بسكر\_ 2015)، ص 149.

<sup>49</sup> المصدر نفسه، ص 153



خاص وإلى الاتحاد الأوروبي بشكل عام. ومن هنا تبرز المكانة الاستراتيجية لأوكرانيا، ما جعلها منطقة تجاذب واستقطاب بين المحور الروسي والمحور الروسي الأورو-أطلسي<sup>50</sup>.

خلال عام 2004 حدث تحول سياسي كبير في أوكرانيا، شكل صدمة لروسيا بسقوط حليفها "فيكتور يانكوفيتش" في الانتخابات الرئاسية التي عرفت تزويرا، وكذا محاولة قتل المرشح المنافس والوالي للغرب "يوتشينكو" عن طريق تسميمه، ما أدى إلى حدوث ثورة شعبية سميت بالثورة البرتقالية أدت إلى إعادة الانتخابات وفوز "يوتشينكو"، كان للدول الغربية دور رئيسي في هذه المناورة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية لكسر نفوذ موسكو، ومحاولة ضم أوكرانيا لحلف الناتو وكذلك الاتحاد الأوروبي، وفعلا كان "يانكوفيتش" يدعو الدوما إلى ضرورة انضمام أوكرانيا للحلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي. حتى أن أوكرانيا أعادت هيكلة قطاع الدفاع للاستجابة لمعايير الانضمام إلى الناتو<sup>51</sup>.

إن احتمال انضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو والاتحاد الأوروبي يجعل حدود روسيا مكشوفة، وهو ما تخشاه موسكو بشدة، ويسقط مشروعها للعودة إلى مكائنها كقوة عالمية. شجعت هذه المعطيات الجديدة روسيا على اتخاذ خطوات في شكل عقوبات ضد أوكرانيا، لكنها ليست عسكرية إنما باستعمال سلاح الطاقة عن طريق مطالبتها بتسديد ديونها من مبيعات الغاز، والتي فاقت 2.5 مليار دولار وفرضها سعرا مماثلا لسعر السوق الأوروبي بعدما كانت أوكرانيا تشتري الغاز الروسي بأسعار زهيدة لا تتجاوز 95 دولار ل 1000 متر مكعب. يضاف إلى كل هذا دعم أوكرانيا لجورجيا عام 2008 في حربها ضد روسيا، حيث زار الرئيس "يوتشينكو" "تبليسي" لمساندة جورجيا ما أغضب روسيا بشدة، وزيادة على هذا هددت أوكرانيا بغلق القاعدة البحرية الاستراتيجية لروسيا في ميناء "سيباستوبول"، المطل على البحر الأسود والمنفذ البحري الرئيسي لروسيا إلى بحر قزوين في حالة استمرار الحرب على جورجيا. رأت أوكرانيا في السلوك الروسي أنه ابتزاز وإتهامتها بالإمبريالية الطاقوية ورأت في اقتراحات غاز بروم على أنها تسعى إلى إضعاف الشركة الحكومية الأوكرانية "نافتو غاز" التي تدر أكثر من 2.2 مليار دولار من مداخيل حقوق التراخيص من خلال السعي إلى دمجها مع غاز بروم<sup>52</sup>. أدت زيادة أسعار الغاز الروسي بأكثر من أربعة أضعاف إلى تراجع كبير في الاقتصاد الأوكراني الصناعي والذي يعتمد على أكثر من 45% من الغاز الروسي، صاحبه موجة غضب شعبية بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية في فترة الرئيس "يوتشينكو"، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر من 53% من الشعب الأوكراني كان رافضا لفكرة الانضمام إلى حلف الناتو بسبب هشاشة الوضع الأمني في أوروبا الشرقية والتخوف من حروب مستقبلية بين روسيا والغرب، بالإضافة إلى شعور سكان الجهة الشرقية لأوكرانيا القريبة من روسيا بانتماء روسي، وتدعم ذلك في القمة التي جمعت بين الرئيس "بوتين" و«يانكوفيتش» تم الاتفاق على تمديد تأجير القاعدة البحرية الروسية في أوكرانيا لمدة 25 سنة مقابل أسعار غاز تفضيلية لصالح أوكرانيا ما يبين قدرة سلاح الطاقة الروسي. عرقلت أزمات الغاز المتوالية في

<sup>50</sup> زيغينيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، الأولية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية، ترجمة أمل الشرقي الأردن: عمان، دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1999، ص 59-65.

<sup>51</sup> أسماء حداد، الرهانات الروسية الطاقوية وتأثيرها على مكائنها الجيوسياسية، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2017).

<sup>52</sup> زيغينيو بريجنسكي، مصدر سبق ذكره، ص 129.

النظر في ضم أوكرانيا إلى حلف الأطلسي، حتى أن الرئيس "يانكوفيتش" صرح أن هذا لم يعد أولوية بالنسبة لأوكرانيا، وهذا ما يؤكد نجاح دبلوماسية الطاقة الروسية في تحقيق الأهداف السياسية لروسيا.

### ثالثاً- الأزمة الليبية

بدأت روسيا بوضع ليبيا أمام عينيها منذ زمن بعيد، حيث رأتها كمنطقة نفوذ بالبحر المتوسط في قلب العالم ومركزاً للصراعات الدولية قبل ظهور صراع امتلاك الطاقة الذي زاد من حدة الصراعات واتساعها. وتهدف روسيا إلى تأسيس وجود ثابت ودائم في ليبيا، قريب من ساحل المتوسط الشرقي، يضاف إلى وجودها المتسع في سوريا، لأنهم يعتقدون أنه في حال وقوع مواجهة مع الغرب، فإن مقدراتهم البحرية في البحر الأسود لن تستطيع الفوز على قوة بحرية غربية تعبر إلى البحر عن طريق مضيق البوسفور والدردنيل، سيما وأن تركيا في هذه الحالة ستلتزم بتعهداتها ضمن حلف الناتو. ولذا، فإن الدفاع الروسي عن البحر الأسود لا بد أن يبدأ بالاشتباك مع البحرية الغربية في شرق المتوسط، قبل عبورها إلى البحر الأسود. والوجود العسكري الروسي في سوريا غير كاف لتحقيق النصر في مثل هذه المواجهة، ولا بد من تأسيس وجود عسكري روسي آخر في جنوب شرقي المتوسط كذلك. كما أن روسيا بتأمينها موطئ قدم في ليبيا يمكنها اللعب وفقاً لاستراتيجية الضغط بورقة اللاجئين على أوروبا. وتمكنها من الوصول إلى الموارد أو على الأقل منع أوروبا الوصول إليها، وأن تواجد الدولة الروسية في ليبيا قد يمثل لها أداة ضغط على تركيا إلى جانب دورها في سوريا، مما يثير احتمالية زيادة الارتباط بين الأنشطة الروسية على الجبهتين بالفترة المقبلة<sup>53</sup>.

### خاتمة:

من كل ما سبق نستنتج ان مستقبل الاستراتيجيات الإقليمية والدولية في منطقة شرق المتوسط سيكون كبير ومتداخل ومعقد، خاصة وأن اغلب تلك القوى لم تستطيع من الوصول الى صيغة سلمية في التعامل مع المشكلات والقضايا الإقليمية بعيداً عن التدخلات العسكرية التي سئمت منها دول المنطقة، خاصة فيما يتعلق بالمسألة الليبية التي طال انتظار حلها رغم تعقيداتها، لكن اذا استطاعت هذه القوى ان تكون دول فاعلة في اعادة اعمار المناطق المدمرة بالشراكة مع بعض الدول الاوربية التي لديها مصالح مشتركة فضلاً عن الدول العربية ذات المصالح المشتركة و الدول الإقليمية ستكون حينها العمق الاستراتيجي الثاني لتركيا بعد سوريا بسس وجود بعض المصالح المشتركة في الفترة الاخيرة، للوصول الى مصادر الطاقة و عقد شراكات على كافة المستويات السياسية و الاقتصادية و حتى المجتمعية.

اضافة الى ان هذه القوى لا بد لها من ان تتعامل مع الدول ذات المصالح المشتركة و المختلفة في الشرق الاوسط وفق مقاربات متعددة بسبب طبيعة الاختلافات البنوية بين تلك الدول نتيجة طبيعة الحكم القائم في كل دولة مما يسهل لديها تنامي دورها الاقليمي. هذا الدور الاقليمي في

<sup>53</sup> هاجر احمد، شوكة بالخاصرة الأوروبية.. ماذا تريد روسيا من التدخل في الصراع الليبي؟، مدونات الجزيرة، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2020).

المنطقة لن يشهد صعود حقيقي الا اذا استطاعت حل المشاكل الداخلية (بالنسبة للقوى الاقليمية) وحتى القوى الدولية، المتمثلة بالازمات الاقتصادية التي تعاني منها في السنوات الاخيرة، اذ ان بعض هذه القوى تعمل على الهروب احياناً الى الخارج لتصدير مشكلاتها من جهة والوصول الى مصادر الطاقة من جهة ثانية، وتوسيع النفوذ في هذه المناطق.



# استراتيجية الصين تجاه مصادر الطاقة في الشرق الأوسط

د. زيد عبد الوهاب الأعظمي\*

## ملخص

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة لفهم الاستراتيجية التي تعمل عليها الصين تجاه مصادر الطاقة في منطقة الشرق الأوسط، وكيف يمكن ضمان وتأمين إمدادات الطاقة من المنطقة التي تشهد حالة من التنافس والاستقطاب بين القوى العالمية والإقليمية، لضمان مصالحها الاستراتيجية. وما هو التصور الاستراتيجي الذي يمكن الصين من حماية تلك المصالح الحيوية الطاقوية في الشرق الأوسط مع تنامي حالة الاضطراب الأمني ليس من خلال الأحلاف، فقط بل برؤى استراتيجية تذهب أبعد من مجرد الشراكة الاقتصادية.

الإشكالية الأساسية التي تحاول الدراسة مناقشتها هي طبيعة الرؤية الاستراتيجية الصينية تجاه مصادر الطاقة منطقة الشرق الأوسط، وذلك من خلال فهم الأهداف والمصالح ذات الصلة بالطاقة التي تسعى الصين إلى تحقيقها، وأهمية تلك الاستراتيجية. كما تطرح الدراسة فرضية قدرة الصين على تأمين إمدادات الطاقة عبر التأثير في ملفات المنطقة الحيوية، لتكون لها أدوار أكثر فاعلية على المستوى الإقليمي من ثم العالمي.

**الكلمات المفتاحية:** الشرق الأوسط، الطاقة، مصادر الطاقة، القوى الكبرى، الصراع على مصادر الطاقة.

\* باحث وأكاديمي من العراق، خبير دراسات العراق في مركز دراسات أورسام في أنقرة.

# China's strategy towards energy resources in the Middle East

Dr. Zaed Abdulwahhab

## Abstract

The importance of this study is that it is an attempt to understand the strategy that China is working on towards energy sources in the Middle East region, and how it is possible to ensure and secure energy supplies from the region, which is witnessing a state of competition and polarization between global and regional powers, to ensure its strategic interests. And what is the strategic vision that enables China to protect those vital energetic interests in the Middle East with the growing state of security turmoil, not only through alliances, but also through strategic visions that go beyond mere economic partnership?

The main problem that the study attempts to discuss is the nature of the Chinese strategic vision towards energy sources in the Middle East region, through understanding the energy-related goals and interests that China seeks to achieve, and the importance of that strategy. The study also proposes the hypothesis of China's ability to secure energy supplies by influencing the region's vital files, in order to have more effective roles at the regional level, and then globally.

**Keywords:** Middle East, energy, energy sources, major powers, conflict over energy resources.

## مقدمة

تعد الطاقة في القرن الحادي والعشرين سر التطور والتفوق ومفتاح السيطرة على العالم، ومن هنا جاءت أهمية الصراع على موارد الطاقة بين الدول. وزادت حدة الصراع على مصادر الطاقة مع ظهور الدول القومية، ولاسيما بين الدول الأوروبية على مصادر الفحم، وإيجاد أسواق جديدة في العالم من أجل تصريف منتجاتها. ولكن، بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 تفاقم الصراع بين الدول العظمى والكبرى، خصوصا بعد قيام الولايات المتحدة باحتلال أفغانستان والعراق عام 2003، واندفاع السياسة الخارجية الروسية تجاه الشرق الأوسط مع نشوب الثورة السورية وتنامي علاقاتها الاقتصادية والاستراتيجية مع دول المنطقة، ونشوء فكرة الحزام والطريق للصين الذي يؤمن حضورها الاقتصادي ويحمي مشاريعها الاقتصادية في الشرق الأوسط وأفريقيا. فيمكن القول أن التنارع واضح وصراع المشاريع له أبعاده الاستراتيجية نحو هدف حيوي تمثله الطاقة ومصادرها في الشرق الأوسط.

تتوزع منابع الطاقة التقليدية الرئيسة في العالم بين أكثر من رقعة جغرافية، إلا أن أهمها وأكثرها حيوية في مصادر الطاقة ولاسيما في مجال النفط وصناعاته هي منطقة الشرق الأوسط، فهذه المنطقة تحتوي على أكبر مخزون نفطي في العالم، حيث تقدر إحصائيات شركة بريتش بتروليم الاحتياطي النفطي في دول الخليج العربي بحوالي 48.1٪ من إجمالي الاحتياطي العالمي، الأمر الذي يفسر حجم الصراع الدائر في المنطقة بين القوى بمختلف تصنيفاتها.

كشفت المسوحات الجيولوجية عن وجود احتياطات كبيرة من الطاقة ولاسيما الغاز في عموم منطقة الشرق الأوسط وتحديدًا في حوض البحر المتوسط، بما يجعله واحداً من أهم المناطق على خريطة الطاقة العالمية. وتوزعت الاكتشافات الغازية الأخيرة بين كلٍ من مصر وقبرص وإسرائيل وتركيا ولبنان وفلسطين وسوريا، وستكون لها تأثيرات سياسية حتمية في ضوء احتدام التنافس الدولي والإقليمي على مصادر الطاقة، وعودة أجواء الصراع القائم على أسس جيوبوليتيكية بين القوى الكبرى والإقليمية.

تسعى القوى العظمى إلى امتلاك مصادر الطاقة والتحكم في مفاتيحها عالمياً وتكون طامحة إلى تحقيق الكثير من الأهداف، من أهمها:

إن امتلاك الدولة لمصادر الطاقة تنعكس آثاره على سرعة دوران عجلة الاقتصاد القومي لها، وهو الأمر الذي يعمل على تعزيز نفوذها وقوتها كدولة ذات طابع سياسي واقتصادي.

مع امتلاك الدولة لمصادر الطاقة ومنابعها فهي تحصل على مزايا اقتصادية وسياسية، ومن أهمها: ميزة عنصر الأمن، الذي يأتي مصاحباً له حالات من الاستقرار السياسي المستمر، ويعتبر ركيزة أساسية للتنمية الاقتصادية والسياسية في الدولة، مما تنعكس آثاره على انطلاق الدولة خارجياً وتعزيز سياستها الدولية.

تتمحور الفرضيات الأساسية التي تطرحها الدراسة حول نوعية الاستراتيجية التي تتبعها الصين

في منطقة الشرق الأوسط لتأمين مصادر الطاقة، والوسائل التي تسعى الصين إلى توفيرها من أدوات استراتيجية ولوجستية واقتصادية لبقاء منطقة الشرق الأوسط مصدرا من مصادر الطاقة كمشروع الحزام والطريق أو ما يُعرف بخط الحرير. كما وتتساءل الدراسة عن فهم وإتقان الصين لحالة التوازن الاستراتيجي الحاصل في منطقة الشرق الأوسط وعدم الإخلال به منعا للتأثير في بيئة مصادر الطاقة السياسية والأمنية، وتداعيات ذلك بشكل مباشر على الصين.

تم تقسيم الورقة البحثية إلى المحاور الآتية:

أولا- الشرق الأوسط في السياسة الخارجية الصينية.

ثانيا- الصين ومصادر الطاقة في الشرق الأوسط.

ثالثا- مبادرة الحزام والطريق وأثرها على صراع الطاقة في المنطقة.

### أولا- الشرق الأوسط في السياسة الخارجية الصينية

ظل الأمن القومي الصيني محكوماً لعدة عقود منذ تأسيس الجمهورية بقناعة راسخة تقتصر على مبدأ "حماية الحدود" أو ما يُطلق عليه نظرية "سور الصين العظيم"، وهو كناية عن التوقع داخل الحدود والانكفاء عن لعب أي دور حيوي خارج هذه الأسوار. لكن مع التطورات الأخيرة يبدو أن الصين شرعت بتوسيع رؤيتها لمفهوم الأمن القومي آخذة بالاعتبار النمو المتسارع لاقتصادها، واتساع رقعة المصالح الصينية في الخارج، وبروز "أمن الطاقة" كأحد أهم مرتكزات الأمن القومي الذي يضمن استمرار عجلة الاقتصاد الصيني بالدوران. وتبعاً لذلك يبدو أن اهتمام الصين بمنطقة الشرق الأوسط سيكون أكبر من السابق، لكن دون الانخراط الفاعل في قضاياها مراعاة للأسس التي تحكم سياساتها الخارجية، لأنها أهم مصدر من مصادر الطاقة في العالم كما أنها أحد أهم الأسواق الاستهلاكية.

تميل الصين عادة لاستخدام مصطلح "غرب آسيا وشمال إفريقيا" كبديل عن مصطلح "الشرق الأوسط" لتعريف تلك المنطقة، ووفق هذا التقسيم الجغرافي تقوم بهيكله مؤسساتها الحكومية والحزبية المعنية بإدارة العلاقات مع دول المنطقة. ومن المعروف أن الصينيين -بمن فيهم أيضاً بعض المسؤولين الحزبيين والحكوميين- لا يفترقون كثيراً بين القوميات والشعوب واللبل والنحل في تلك المنطقة، بل عادة ما يخلط كثير منهم بين الإسلام كدين والعروبة كقومية، ويعتبرون إيران دولة عربية وأن خلافاتها مع جوارها الإقليمي تعود في مجملها إلى خلافات ذات جذور دينية<sup>1</sup>.

بدأ الاهتمام الصيني في الشرق الأوسط في العام 1949، حيث شكل هاجس البحث عن شرعية دولية وتوسيع الاعتراف الدبلوماسي بها في المنطقة التي كانت في معظمها تعترف بالصين الوطنية-تايوان. فبدأت الصين دخول المنطقة من خلال شعارات من قبيل مساعدة حركات التحرر الوطنية والحوول دون وقوع دول المنطقة أو بعضها تحت سيطرة ونفوذ الغرب الاستعماري،

<sup>1</sup> عزت شحور، الصين والشرق الأوسط: ملامح مقاربة جديدة، 11 يونيو 2012، مركز الجزيرة للدراسات، دراسة متاحة على الرابط <https://stud.ies.aljazeera.net/ar/reports/2012/06/2012611142554206350.html>



ومقاومة الإمبريالية والاستعمار. لذلك يمكن توصيف العلاقات الصينية-الشرق الأوسطية بأنها علاقات تجارية قديمة وممتينة، ولاسيما علاقات الصين بالدول العربية، كمصر وسورية والعراق والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وكذلك غير العربية مثل إيران وإسرائيل، تحصل من خلالها الصين على احتياجاتها من الطاقة الاستراتيجية.

تبدو العلاقات السياسية الصينية-الشرق الأوسطية متناقضة ومتداخلة على الرغم أنها متينة وتسير وفق نسق واضح، وذلك حسب لغة المصالح وطبيعة العلاقات التي تربط دول المنطقة بالصين، فمثلاً: للصين علاقة استراتيجية مع إسرائيل وتعمل في ذات الوقت على دعم الشعب الفلسطيني الخاضع للاحتلال الإسرائيلي، وهي تقيم علاقات قوية مع المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومنافستها الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأمر الذي يفرض على صانع القرار في بكين اتباع استراتيجية مرنة وحذره تجاه الدول التي لا تمتلك استراتيجية واحدة أو رؤية مشتركة بما ينسجم ومصالحها وأهدافها الاستراتيجية.

تدور السياسة الخارجية للصين تجاه دول الشرق الأوسط العربية حول محورين أساسيين: يتمثل الأول في التعاون العسكري ومبيعات الأسلحة، باعتبار سوق الشرق الأوسط سوقاً واعدة ومهمة للسلاح والصناعات العسكرية والمدنية الصينية. أما المحور الثاني فهو محور النفط والطاقة اللذان يشملان مصدرين أساسيين للصناعات الصينية. لذلك تدرك الدول الشرق الأوسطية أن العلاقات مع الصين يمكنها أن تكمل العلاقات مع الولايات المتحدة من دون الانتقاص منها في إطار قلق واشنطن على حلفائها في المنطقة من ولوج الصين إليها، فالحلفاء ولاسيما في الخليج العربي أنفسهم يرون أن العلاقات مع بكين يمكن أن تعزز مواقفهم التفاوضية في العاصمة واشنطن.<sup>2</sup>

حاولت الصين أن تظهر نفسها شريكا سياسيا مهما، وقوة كبرى لتعزيز التأثير الذي تسعى إليه، والذي لا يزال ضعيفا على المسائل الإقليمية، على الرغم من إعلان استعدادها للانتقال لأداء دور أكثر تأثيراً، شرط أن يُطلب منها ذلك. فصدرت دعوات من بكين إلى استئناف المفاوضات العربية-الإسرائيلية، وأوفدت مبعوثاً خاصة إلى الشرق الأوسط في عام 2022، وكان الغاية من ذلك هو إثبات وجودها على الساحة الدولية، على الرغم من عدم تمكنه من أداء أي دور مؤثر خلال زيارته المتكررة إلى المنطقة.<sup>3</sup>

تسعى الصين جاهدة في سياستها الخارجية إلى الحفاظ على الوضع القائم في المنطقة باتباعها سياسة علاقات متوازنة، لا تريد تعريض تلك العلاقات للخطر من خلال اتخاذ مواقف ملموسة أو اتباع استراتيجية إقليمية واضحة، فعدم مراعاة طبيعة العلاقات القائمة بين دول الشرق الأوسط وحساسيتها، من خلال الانحياز إلى جانب دون آخر، قد يعرض علاقتها بالطرف الآخر للخطر

<sup>2</sup> حكمت العبد الرحمن، الصين والشرق الأوسط، دراسة تاريخية في تطور موقف الصين تجاه قضايا المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تموز/يوليو 2020.

<sup>3</sup> حكمت العبد الرحمن، الصين والشرق الأوسط، دراسة تاريخية في تطور موقف الصين تجاه قضايا المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تموز/يوليو 2020.

<sup>4</sup> سكوبل نادر، الصين في الشرق الأوسط: التنين الحذر، مؤسسة راند، 2016، P 5-6.

ولاسيما الولايات المتحدة، وهو أمر لا تسعى إليه الصين وتعمل على تجنبه<sup>4</sup>.

لم يقتصر نشاط الصين الجديد في الشرق الأوسط على الهيمنة الاقتصادية، إذ أدركت بكين أن الشرق الأوسط كمنطقة تعج بالمخاطر السياسية تستوجب منها الاقتراب نحوه، مع وجود الحذر الاستراتيجي الذي يعد علامة مميزة لمقاربة الصين للشرق الأوسط. وقد اجتهدت الصين في إعادة ترتيب أوراقها السياسية، وسعت لإبراز نشاطها في الشرق الأوسط واتخذت خطوات للتوسط في نزاعات الشرق الأوسط، وأظهرت حرصا شديدا على التعامل بحذر في القضايا الحساسة الإقليمية والدولية، ومنها على سبيل المثال مبدأ الصعود السلمي للصين الموجه أساسا إلى جيرانها الإقليميين وشركائها الدوليين المتوجسين خيفة من تنامي القوة الصينية العسكرية والاقتصادية، والصراع العربي-الإسرائيلي والأزمة العراقية، وقضايا الثورات العربية، وظهور التنظيمات الإرهابية كداعش التي لم تنظم الصين إلى التحالف الدولي للحرب على داعش، بحجة "احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها"<sup>5</sup>.

تمارس الصين تأثيرا اقتصاديا حقيقيا، ومن المتوقع أن يزداد هذا التأثير خلال المرحلة التالية من خلال تبني (استراتيجية الدراجة)، والتي تعني أن عجلة الاقتصاد هي من تقود عجلة السياسة وربما الأمن في مرحلة لاحقة. لكن التأثيرين الأمني والسياسي لا يزالان محط تساؤل ومراجعة، فتأثير الولايات المتحدة الأمريكية لا يزال موجودا وبقوة، والتأثير الأمني والسياسي الصينيان لا يزالان دون طموح بكين، بسبب الافتقار إلى أدوات عسكرية واسعة النطاق أو قواعد عسكرية حاضرة وفاعلة<sup>6</sup>.

لا يقف الشرق الأوسط على هامش الاهتمامات الصينية، ويؤكد صناع القرار في بكين على أهمية الشرق الأوسط وقضايا المنطقة ويولونها الاهتمام المطلوب بما يحقق مصالحهم، فتزايد أهمية الشرق الأوسط في السياسة الدولية والقضايا العالمية، وتزايد القضايا التي تهدد استقراره، وتنامي رغبة الصين في أن يعترف بها المجتمع الدولي بصفته قوة كبرى مهمة ومحترمة ومسؤولة؛ كل ذلك دفع الصين إلى مراجعة سياستها والبدء في رسم معالم إستراتيجية واضحة حسب متطلبات المرحلة، ومن ثم التعامل مع المنطقة العربية من خلال تحديد الأهداف والمصالح والأدوات الأساسية للمصالح القومية الصينية.

تشير دراسة مشتركة نشرها مركز نيكسون ومركز الخليج حول تنامي الدور الصيني في منطقة الخليج العربي، إلى أن الكثير من التكهانات حول نتائج النشاطات الصينية المتعددة لا تزال غير واضحة. وتضيف الدراسة أن الصين ليس لديها طموحات عسكرية تدفع بها لتحل محل الولايات

<sup>5</sup> حكومات العبدالرحمن، استراتيجية الصين الشرق أوسطية من سور الصين العظيم إلى الانفتاح الاقتصادي، سياسات عربية، العدد 34، أيلول/سبتمبر 2018، ص86.

<sup>6</sup> حكومات العبدالرحمن، استراتيجية الصين الشرق أوسطية من سور الصين العظيم إلى الانفتاح الاقتصادي، سياسات عربية، العدد 34، أيلول/سبتمبر 2018، ص60.

<sup>7</sup> دور الصين التنامي في الشرق الأوسط: الآثار للترتبة على المنطقة وخارجها، مركز نيكسون ومركز الخليج للأبحاث، 2010، ص23.

المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي في الأمد البعيد، بل هدفها الأساس هو تأمين مصالحتها الاستراتيجية من خلال تأمين الأمن البحري الذي يوفر لها ما تحتاج إليه من النفط والغاز والمعادن.<sup>7</sup>

## ثانيا- الصين ومصادر الطاقة في الشرق الأوسط

تعد الصين واحدة من القوى الصاعدة والتي يشكل أمن الطاقة بالنسبة لها مسألة بالغة الأهمية، في ظل تزايد حاجاتها الطاقوية بشكل مستمر، عطفًا على حجم النمو الذي يحققه الاقتصاد الصيني، وهو ما يجعل الصين مستهلكًا رئيسيًا للنفط بشكل خاص في العالم، الأمر الذي جعل السياسة الخارجية الصينية تهتم بمسألة ضمان أمنها الطاقوي، رغم أنها تحتوي على احتياطات كبيرة من موارد الطاقة التي تنتجها ذاتيًا، لكن بسبب تزايد طلبها بشكل مستمر لم تعد تلك الموارد تغطي حاجياتها، وقد تحتم عليها ضرورة التوجه بسياساتها الخارجية إلى تبني استراتيجيات من شأنها أن تخلق لها علاقات مع دول مختلفة تكون بالدرجة الأولى غنية بالموارد الطاقوية لتتمكن من ضمان إمداداتها.

أصدرت الحكومة الصينية في تاريخ 13 يناير 2016 وثيقة رسمية هي الأولى من نوعها التي تصدر حول سياسة الصين تجاه الدول العربية، استعرضت خلالها الروابط التاريخية التي تجمع الصين بالدول العربية، والسياسات ومجالات وآفاق التعاون المشترك، ففي الفقرة المتعلقة بالتعاون في مجال الطاقة نصت الوثيقة الرسمية على: (إجراء التعاون على أساس المنفعة المتبادلة، ودفع ودعم التعاون الاستثماري بين الصين والدول العربية في مجال النفط والغاز الطبيعي وخاصة في مجالات تنقيب النفط واستخراجه ونقله وتكريره، والدفع بالترابط والتناسق من حيث الخدمات الهندسية والتقنية في الحقول النفطية وتجارة المعدات والمعايير القطاعية).<sup>8</sup>

عرّفت الصين مفهوم "أمن الطاقة" على أنه ضمان وتأمين مصادر الطاقة والخارج، بما يضمن استمرار النمو الاقتصادي والتحديث في الصين. و بذلك فالصين ركزت في تعريفها للمفهوم على الاتجاه التقليدي المتمثل في "أمن العرض"، من خلال ضمان أمن الإمدادات بما يضمن النمو الاقتصادي. ورغم أن تحول قضية أمن الطاقة إلى قضية محورية في السياسة الخارجية الصينية، فإنه يعد أمرًا مهمًا وحديثًا نسبيًا، مقارنة بدول أخرى كاليابان والولايات المتحدة الأمريكية.<sup>9</sup>

ينتهج الصينيون سياسة تُعرف باللغة الصينية باسم "زو تشو ك" « Zou Chu Qu أي "استراتيجية التوجه نحو الخارج" أو "الاستثمار وراء البحار" Overseas investment وكذلك تعرف أيضا بـ«تجاوز عتبة البلاد» Going-out or going abroad strategy وتعتمد هذه الاستراتيجية على النشاطات الدبلوماسية خارج الصين و بشكل خاص تركز على جميع المناطق التي يمكن أن تتوفر بها الموارد الطاقوية، في إطار اتخاذ إجراءات ونشاطات في ظل دبلوماسية الطاقة

<sup>8</sup> النص الكامل للاتفاقية على الرابط التالي [http://arabic.news.cn/2016-01/13/c\\_135006742.htm](http://arabic.news.cn/2016-01/13/c_135006742.htm).

<sup>9</sup> عبد القادر دندن، الاستراتيجية الصينية لأمن الطاقة وتأثيرها على الاستقرار في محيطها الإقليمي: آسيا الوسطى-جنوب آسيا-شرق وجنوب شرق آسيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة باتنة الجزائر: كلية الحقوق و العلوم السياسية، 2012-2014، ص 113-114.

<sup>10</sup> دندن، مرجع سابق، ص131.

الصينية . حيث سعت الصين من خلال هذه الاستراتيجية لضمان إمداداتها بالتوجه إلى المناطق الغنية بالنفط في الخارج عن طريق الاستثمار في مناطق الإنتاج، وقيام الشركات النفطية الصينية بالتنقيب على النفط في تلك المناطق لكي تضمن تصديره للصين<sup>10</sup>.

تعتمد الصين إلى حد كبير على واردات الطاقة من الشرق الأوسط، كحال اقتصادات كافة البلدان الآسيوية الكبرى تقريباً، لكنها أيضاً من أهم الشركاء التجاريين للصين. وكنيجة لذلك، فللصين مصلحة كبيرة في كل من الاستقرار الإقليمي الإجمالي وعلاقات العمل اللاتئة مع أبرز الدول الإقليمية المنافسة: ابتداءً من إيران، ومروراً ببلدان الخليج العربي، ووصولاً إلى إسرائيل. علاوةً على ذلك، بالنسبة إلى الصين نفسها، سيعود مجرد الانتقال من الفحم إلى الغاز الطبيعي الخاص بالشرق الأوسط بأكبر وأسرع منفعة على المدى القصير من أجل تهدئة أزمة تغير المناخ في أنحاء العالم<sup>11</sup>.

تستورد الصين أكثر من نصف احتياجاتها من النفط من دول الخليج العربي، وتستورد ثلث ما تحتاجه من الغاز الطبيعي من الشرق الأوسط؛ ولذلك أسست شركات الطاقة الصينية الرئيسية، مواطن أقدم لها للإمداد في الشرق الأوسط، حيث تمتد شراكات الطاقة الصينية الشرق أوسطية إلى مشروعات البتروكيماويات والغاز الطبيعي ومشاريع التكسير في الصين نفسها. وتركز السياسة الخارجية الصينية على استمرار أولوية الاقتصاد تجاه منطقة الشرق الأوسط، حيث تحرص على الاستفادة من عوائد التعاون الاقتصادي في مجالات البنية التحتية، والتصنيع، ونقل التكنولوجيا الإنتاجية، والطاقة، والطاقة النووية، والزراعة، والتكنولوجيا الدقيقة، والتعاون المالي والتجاري، وتبادل الاستثمارات<sup>12</sup>.

تلجئ الصين إلى اعتماد استراتيجيات متعددة تعتمد الأولى على تنويع مصادر الطاقة من أفريقيا وإيران وروسيا، حتى لا تبقى رهينة طرف واحد، وتجد الصين نفسها مجبرة على استيراد كميات كبيرة من مصادر الطاقة من الخارج لسد حاجة التطور الكبير الذي تعيشه. وقد دفع عدم الثقة بالأسواق العالمية الصين إلى اعتماد استراتيجيات أخرى أساسها إبرام اتفاقيات ثنائية مع المنتجين، والعمل على توثيق علاقات مبنية على الثقة بينهم<sup>13</sup>.

تمكنت الصين من تحقيق الجزء الأساس من استراتيجية أمن الطاقة، وهي تنويع مصادر الطاقة من خلال شرائها ما تحتاج إليه من ثلاثين بلداً. أما الجناح الآخر من استراتيجية أمن الطاقة فتمثل في التقليل من المخاطر المرتبطة بالنقل البحري للنفط، ذلك أن بكين شجعت مشاريع إنجاز خطوط أنابيب نقل النفط والغاز من روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى لتجاوز المخاطر في مضيق ملقا، وعملت على تدعيم تلك الاستراتيجيات، فشجعت تصدير رؤوس الأموال والخبرة الفنية لشركات النفط الفنية<sup>14</sup>.

<sup>11</sup> ديفيد، بولوك الصين والنفوذ في الشرق الأوسط: التخفي في وضح النهار، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 25 أكتوبر 2021.

<sup>12</sup> النفوذ الصيني في الشرق الأوسط، كمون أم ترقب؟ مركز سمت للدراسات، 8 شباط/فبراير 2018.

<sup>13</sup> العبدالرحمن، ص 89

<sup>14</sup> ميشال ميدان، الصين تغزو أسواق الطاقة العالمية، Hérodote، 2007، باريس، ص 77-94.

سمح اعتماد الصين على تنوع وارداتها الاستراتيجية من الشرق الأوسط بتعزيز علاقاتها السياسية، ومضاعفة مشاريعها مع كثير من دوله. وقد سعت الصين لتشكيل تحالفات مرنة تضمن لها انتظام الإمدادات الاستراتيجية التي تحتاج إليها بتكلفة أقل، وقد صممت هذه الاستراتيجية لتغطي زمني الحرب والسلام على حد سواء، لأنها تسهم في إفشال الحصار الذي تحاول منافستها الولايات المتحدة فرضه عليها أو التهديدات الخارجية لها، كالتهديد الإرهابي لطرق مواصلاتها البحرية على سبيل المثال<sup>15</sup>.

إن المبدأ الأساس للقوة الصينية هو تحقيق المصالح والأهداف من دون النظر إلى الوسائل، ما دامت تصب في خانة تحقيق أهداف الصين ومصالحها العليا، وهو ما يتوافق مع سياسة القوة الناعمة التي يمكن تعريفها (أنها القدرة على الحصول على ما تريد من طريقة الجاذبية بدل الإرغام) أو (القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج المتوخاة دون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للعوامل والوسائل العسكرية والصلبة)<sup>16</sup>.

يمكن تلخيص الاستراتيجية التي تلجأ إليها السياسة الخارجية الصينية في إطار سعيها لتحقيق أمن الطاقة في<sup>17</sup>:

1. **التنوع:** مثل التنوع المبدأ الأساسي الحاكم للصين في إطار سعيها لتحقيق أمن الطاقة، و التنوع هنا يشمل تنوع الاستراتيجيات كذلك الموردين، فقد أخذت الصين تتحرك على أكثر من مسار، فمن ناحية لجأت إلى البديل الخاص بالاستيراد النفط الخام معتمدة على أكثر من منطقة من بينها دول الشرق الأوسط و دول آسيا الوسطى وروسيا، وبعض الدول الإفريقية إضافة إلى بعض دول أمريكا اللاتينية من خلال علاقات التعاون بين منتجي ومستهلكي النفط أي تحقق كل من "أمن الإمدادات" الذي تطالب الدول المستهلكة و"أمن الطلب" الذي تنادي الصين لهذا البديل.

2. **سياسة الصعود السلمي التدريجي:** من خلال طرحها لهذا المفهوم رسمياً لأول مرة في منتدي آسيا والمحيط الهادي (APEC) الذي عقد في كوريا الجنوبية عام 2005، أرادت الصين أن توضح بأن مكانة الصين كفاعل أساسي في النظام الدولي لن تغير من هيكله أو تهدد أمنه و استقراره، وانعكس التزام الصعود السلمي التدريجي بشكل واضح على سياستها الخاصة بأمن الطاقة. ففي منطق الشرق الأوسط أخذ الدور الصيني في التزايد، وليس هناك ما يوحي بانعكاسات سلبية للصعود الصيني من زاوية ايجابية، فهي أتاحت لدول المنطقة مزيداً من الانفتاح، بالإضافة إلى كون هذه الدول ترى في الصين سوقاً حالياً ومستقبلياً لمنتجاتها النفطية.

3. **عدم الثقة في السوق العالمي:** المبدأ الأساسي هنا هو أن قضية الطاقة قضية محورية و لا يمكن

<sup>15</sup> كايستان جان بيري، سياسة الصين الدولية بين التكامل وإرادة السلطة، 2010، باريس، ص 390.

<sup>16</sup> ابتكر مبدأ "القوة الناعمة" عالم السياسة الأمريكي والأستاذ في جامعة هارفرد جوزف ناي.

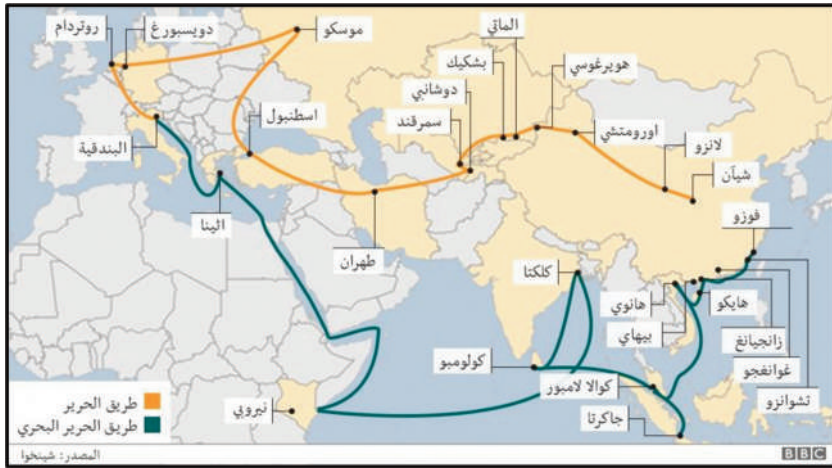
<sup>17</sup> آمنة ميعوات، أسس واستراتيجيات الأمن النفطي الصيني في منطقة الشرق الأوسط، المركز الديمقراطي العربي 2 نوفمبر 2016، <https://de-mocraticac.de/?p=39354>

تركها لقوى السوق خاصة وأن سوق الطاقة العالمي يتسم بعدم الثقة و الثبات و التآثر بالتقلبات و بالأحداث المختلفة سياسيا و اقتصاديا و حتى الشائعات بما يتطلب قدرا أكبر من التحكم، و هذا لضمان عدم استهلاك السوق المتقلب على عملية التنمية في الصين، فمعدل استهلاك الصين من النفط سنويا يفوق 9% منذ عام 2007، كما أن استهلاك الطاقة سوف يمثل 40% من إنتاج الطاقة العالمي عام 2020، وفي حدود عام 2030 سوف يمثل نحو خمس الطلب العالمي على الطاقة و 15% من الطلب العالمي على النفط، و بذلك فقد تحولت قضية الطاقة في الصين لتصبح قضية سياسة عليا ترتبط بالأمن القومي الصيني، و لم تعد كما كانت في السابق سياسة دنيا ترتبط بسياسة الطاقة المحلية.

### ثالثا- مبادرة الحزام والطريق وأثرها على صراع الطاقة في المنطقة

يمكن تعريف مشروع الحزام والطريق على أنه أضخم مبادرة اقتصادية للصين، أطلقها الرئيس شي جين بينغ في خريف 2013، تشمل مشروعات سكك الحديد وطرقاً سريعة ومرافئ ومشروعات طاقة، حيث تتجاوز قيمة المشروعات 102 تريليون دولار. وتقوم الرؤية الاستراتيجية للمشروع على تعزيز دور الصين في النظام الدولي، على أساس تطوير دبلوماسية جديدة للصين ذات طابع عالمي تتناسب مع مكانتها كقوة كبرى في العالم، حيث تضم المبادرة مناطق من الصين ودولا من غرب آسيا وأوروبا والشرق الأوسط وتغطي أكثر من 65 بلدا.

تاريخيا ... كان طريق الحرير شرياناً رئيساً حيويًا يربط العالم القديم ببعضه، وقد بدأت الصين منذ القرن الثالث قبل الميلاد تدير شبكة من العلاقات التجارية من خلال ما سُمي “طريق الحرير” الممتد من الصين إلى القسطنطينية؛ حيث تميزت الصين بتصدير الحرير والذي كان موضع طلب النخب الحاكمة الغنية، وكذلك كانت تنقل كثيرًا من البضائع والمنتجات الأخرى، مثل: التوابل، والسجاد والخزف والعاج، وكانت الصين تستورد الخيل والإبل من الشرق الأوسط.



يعتبر الشرق الأوسط من أكثر المناطق أهمية بالنسبة للصين لأنه يقع على مفترق طرق ثلاث قارات مهمة أوروبا وإفريقيا وآسيا إلى جانب البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب وبحر



قزوين والبحر الأسود. يُعتقد أن كل هذه القارات مرتبطة بمشروع مبادرة الحزام والطريق من قبل الصين. تقع هذه المنطقة أيضًا عند تقاطعات طرق النفط التي تعتبر ذات أهمية كبيرة للصين لتلبية احتياجاتها المتزايدة من الطاقة.

يمثل الشرق الأوسط العقدة الأقرب إلى القنوات البحرية الاستراتيجية الأربعة للبوسفور والدرديل وباب المندب ومضيق هرمز الذي تمر عبره معظم التجارة الصينية. تلعب هذه المنطقة أيضًا دورًا رئيسيًا في التنسيق الأمني والتعاون الاقتصادي والتبادلات الثقافية تحت مظلة مشروع مبادرة الحزام والطريق. باستثناء كل هذا، تمثل هذه المنطقة الحرجة أكثر من 40٪ من واردات الصين من النفط وهي مزود رئيسي للغاز الطبيعي المسال، حيث تعتمد الصين على واردات الطاقة القادمة من هذه المنطقة، حيث إن أكثر من نصف واردات النفط الخام الصيني إلى جانب حوالي 10% إلى 20% من واردات الغاز الطبيعي من الشرق الأوسط.

أصدرت الحكومة الصينية في تاريخ 13 يناير 2016 وثيقة رسمية هي الأولى من نوعها التي تصدر حول سياسة الصين تجاه الدول العربية، استعرضت خلالها الروابط التاريخية التي تجمع الصين بالدول العربية، والسياسات ومجالات وآفاق التعاون المشترك، ففي الفقرة المتعلقة "الحزام والطريق" نصت على (التمسك بمبدأ التشاور والتشارك والتنافع لتعزيز البناء المشترك من الجانبين الصيني والعربي لـ«الحزام والطريق» ، وتشكيل معادلة تعاون "1+2+3" تتخذ مجال الطاقة كالمحور الرئيسي ومجالي البنية التحتية وتسهيل التجارة والاستثمار كجناحين و3 مجالات ذات تقنية متقدمة وحديثة تشمل الطاقة النووية والفضاء والأقمار الاصطناعية والطاقات الجديدة كنفط اختراق، بما يطور ويجدد من التعاون العملي)<sup>18</sup>.

تشير الاستراتيجية التنموية لمبادرة الحزام والطريق، إلى أن الصين تطمح إلى اكتساب مساحة نفوذ أكبر في الشرق الأوسط، الذي يعد من أكثر المناطق أهمية في العالم ومصدرا استراتيجيا من مصادر الطاقة، فتتمثل أهم مصالح الصين في الحفاظ على علاقات استراتيجية مركبة مع دول المنطقة لتعزيز نفوذها وترسيخ تواجدتها بما يؤمن إمدادات الطاقة بأقل التكاليف وبمردود اقتصادي هائل لصالح بكين. لذلك تتبع الصين دبلوماسية "الشراكة" بدلا من "التحالفات"، ففي التحالف يخشى الجانب الأقوى من التورط في صراعات الجانب الأضعف، بينما يخشى الجانب الأضعف من أن يقع التخلي عنه. في المقابل تعمل الشراكات الاستراتيجية على تبديد هذه المخاوف عن طريق تقليل الالتزامات، حيث يتفق الجانبان على التعاون في مجالات تكون فيها المصالح مشتركة مع إدارة مجالات المنافسة المحتملة.

تستثمر الصين في كثير من مشروعات البنى التحتية لتأمين طرقها التجارية؛ فهي تمتلك مئات الجسور وآلاف الكيلومترات من الطرق والسكك الحديدية وخطوط الأنابيب في أماكن عدة من العالم. لكن ذلك ليس كافيا لتحقيق الاستراتيجية الصينية في مشروع الحزام والطريق في جغرافية الشرق

<sup>18</sup> النص الكامل للاتفاقية على الرابط التالي [http://arabic.news.cn/2016-01/13/c\\_135006742.htm](http://arabic.news.cn/2016-01/13/c_135006742.htm).

<sup>19</sup> النفوذ الصيني في الشرق الأوسط، كمون أم ترتقب؟ مركز سمت للدراسات، 8 شباط/فبراير 2018.

الأوسط، وأعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ عن حزمة عريضة لتمويل التصنيع في الشرق الأوسط؛ منها قرض قيمته 15 مليار دولار، وقرض تجاري بقيمة 10 مليارات دولار، وقرض بقيمة 10 مليارات دولار، حتى بلغ حجم الاستثمارات الصينية في منطقة الشرق الأوسط خلال عام واحد أكثر من 160 مليار دولار<sup>19</sup>.

حسنت الصين علاقاتها مع دول الشرق الأوسط بعد تنفيذ مشروع مبادرة الحزام والطريق، لتصبح شريكاً رئيسياً للاستيراد والتصدير لدول المنطقة. تعتبر تركيا وإيران والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية ومصر من أهم الشركاء التجاريين في الشرق الأوسط، وتنظر لهم الصين على أنهم أهم أركان نجاح مبادرة الحزام والطريق الذي يوسع الفاعلية الاقتصادية والوجود الاستراتيجي لبكين في الشرق الأوسط ومصادر الطاقة فيه.

تحظى هذه المبادرة بالنسبة إلى تركيا بأهمية جيواقتصادية وجيوسياسية كبرى، وتتطلع تركيا إلى آسيا الوسطى ومن خلالها إلى شرق آسيا أيضاً، باعتبارها مناطق خصبة تمتلك من المقومات الثقافية والجغرافية والاقتصادية ما يسمح لها ربما بتحقيق القفزة الاقتصادية المطلوبة لناحية زيادة حجم الصادرات وتنويع التبادل التجاري ورفع معدلات النمو الاقتصادي دون إهمال الانفتاح المستمر على الأسواق الجديدة في الشرق الأوسط والعمق الإفريقي، ويعتبر المسؤولون الأتراك أنّ بلادهم أصبحت مؤهلة للعب هذا الدور بفعالية خاصة مع ما توفره من بنية تحتية متطورة لخدمة هذا المشروع وخطوط نقل بترية وبحرية وجوية. ولذلك فهي مهينة للاندماج السريع في هذه المبادرة مقارنة بغيرها من الدول<sup>20</sup>.

منذ عام 2019 تتسارع الأعمال بين تركيا والصين لمواءمة مشروع "الممر الأوسط" التركي ومبادرة "الحزام والطريق" الصينية، وبالتالي تعزيز الروابط بين بوابتي طريق الحرير التاريخي الغربية والشرقية، بما سيجعل "الممر الأوسط" الذي يشمل تركيا بديلاً قوياً من حيث التكلفة والوقت. وإلى جانب كون "الممر الأوسط" جزءاً محورياً من مشروع الحزام والطريق الصيني، فإنه أيضاً أقصر في المسافة من الممر الشمالي الذي يمرّ من الصين عبر روسيا وبيلاروسيا للوصول إلى أوروبا، وكذلك عن طريق التجارة الجنوبي الذي يمرّ عبر قناة السويس.

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة على مضيق هرمز الذي تمر عبره غالبية واردات الصين النفطية. لذلك من مصلحة الصين أن تكون هذه الطرق آمنة لضمان مرور سلس للسفن التي تنقل النفط إلى الصين. الإمارات العربية المتحدة هي ثاني موقع استثماري مفضل للصين في منطقة الشرق الأوسط. إن الموقع الاستراتيجي لدولة الإمارات العربية المتحدة وبنيتها التحتية المتطورة تجعلها جذابة كمرکز للصادرات الصينية.

<sup>20</sup> علي باكير، إحياء طريق الحرير: كيف تنظر تركيا إلى المبادرة الصينية، مركز الجزيرة للدراسات، 11 مايو 2017 ينظر إلى

<https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2017/05/170511121355930.html>



أرادت الصين أن تكون لها علاقات ودية مع إيران بهدف توسيع موردي الطاقة وتقليل الاعتماد على الطاقة في المملكة العربية السعودية. يعتبر التعاون مع إيران أمراً مهماً للحد من مخاطر تعطل النقل البحري عبر مضيق هرمز. وهددت إيران في بعض المناسبات، بما في ذلك مؤخراً بإغلاق المضيق، الأمر الذي من شأنه أن يرفع أسعار النفط ويعطل إمدادات الطاقة. لذلك فإن بكين حريصة على تطوير علاقات تعاون مع طهران. بالإضافة إلى ذلك تأمل بكين أن ينتقل النفط الإيراني يوماً ما إلى الصين، مما يقلل الاعتماد على الشحن البحري والمخاطر التي ينطوي عليها ذلك.

أهمية قناة السويس لشحن البضائع الصينية إلى أوروبا تجعل مصر دولة رئيسية أخرى. على الرغم من أن موقع مصر الاستراتيجي يعني أنها مركزية والتي بسببها تلعب الصين دوراً رئيسياً في تسهيل بعض المشاريع الرائدة في مصر التي تم إطلاقها في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي.

كثفت الصين من تطوير البنية التحتية للنقل في إسرائيل في محاولة لإنشاء طريق من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط يتجنب قناة السويس. لذلك، تقوم الصين ببناء خط سكة حديد فائق السرعة من إيلات على خليج العقبة إلى ميناء أشدود على البحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن الاستثمار في توسيع الميناء. الأمل هو أنه يمكن شحن البضائع من هذه الموانئ إلى ميناء بيرايوس في اليونان الذي تديره شركة.. China Ocean Shipping Company.

يمثل الاهتمام بأمن الملاحة في الصين سبباً رئيسياً آخر يجعل منطقة الشرق الأوسط جزءاً أساسياً من مبادرة الحزام والطريق، حيث تمر معظم السفن التي تحمل البضائع بين أوروبا والصين عبر العديد من نقاط الاختناق الموجودة في هذه المنطقة، لذلك من مصلحة الصين الأولى تأمين هذه النقاط. كما يُنقل حوالي ثلث النفط الخام عبر البحار ويمر عبر مضيق هرمز.

وتمر غالبية التجارة المنقولة بحراً بين الصين وأوروبا عبر مضيق باب المندب، إلا أن هذا المسار التجاري يعرّض واردات الصين من الطاقة والسلع للانقطاعات والاضطرابات الناجمة عن القرصنة والتوترات الإقليمية والصراعات، ونتيجة لذلك، تهتم الصين بالدرجة الأولى بتأمين هذه الطرق التجارية جنباً إلى جنب مع البحث عن طرق بديلة أخرى لتجنب نقاط الاختناق البحرية<sup>21</sup>.

شهدت مبادرة الحزام الطريق تجاوباً محدوداً من الدول العربية على الرغم من وجود الكثير من الاتفاقيات التي تربط الصين بالدول الشرق-أوسطية في المجالات الاقتصادية والمالية والثقافية. ويمكن تفسير هذا التجاوب البطئ والحذر من خلال النظر في أمرين اثنين: الأول هو ضبابية صورة المشروع وغموض أهدافه، والثاني هو الخوف من تأثيره في أهم الممرات العالمية التي تقع ضمن الدول العربية، ولاسيما قناة السويس، ما ينعكس سلباً على الاقتصاد المصري، فالتأثيرات في البداية محدودة ولا تمثل خطراً حقيقياً وواضحاً في الأمد القريب. إلا أن التهديد سيكون أكبر وأكثر تأثيراً في

<sup>21</sup> كاياني، مهويش، مبادرة الحزام والطريق.. الصين توسع نفوذها في الشرق الأوسط، موقع موديرن ديبلوماسية، 5 أبريل 2021، <https://mod-erndiplomacy.eu/2021/04/05/bri-project-thriving-in-middle-east/>

<sup>22</sup> عبدالرحمن، حكمت، مصدر سابق، ص 70-71.

<sup>23</sup> شفيق شقير، طريق الحرير الجديد في سياق العلاقات العربية-الصينية، مركز الجزيرة للدراسات، 11 مايو 2017.

حال طُورت البنى التحتية اللازمة للطريق، وحصل التغلب على المشكلات السياسية التي تعانيتها المنطقة التي يمر بها طريق الحرير الجديد<sup>22</sup>. الأمر الذي سبب خيبة أمل عند الصينيين الذين اعتبروا أن التجاوب العربي مع المبادرة جاء متواضعا جدا ولم يرق إلى مستوى توقعاتهم<sup>23</sup>.

على الرغم من إعلان الصين سعيها للشراكة مع الدول العربية من خلال مبادرة الحزام والطريق، فإن هناك اتجاهات في المنطقة العربية، تتخوف من أن عوائد المشروع في الأساس تخدم الاقتصاد الصيني، ولا تحقق فرص التنمية المتكافئة للجانبين. وفي السياق ذاته، تواجه الصين بعض الصور السلبية التي تتعلق ببعض الممارسات غير التنافسية في علاقاتها التجارية بالدول العربية، والاتهامات المتصاعدة للصين بالإغراق الاقتصادي والمنافسة غير العادلة بسبب تدني مستويات صادراتها للمنطقة العربية، وهو ما يرجع إلى تدني مستوى العملة الصينية إلى أقل من مستوياتها الحقيقية.

هناك اتجاه يرى أن مشروع طريق الحرير، يغلب عليه قدر كبير من الأبعاد الرمزية التاريخية تجعله أقرب للدعاية السياسية منه إلى مشروع واقعي قابل للتطبيق بالنظر إلى اتساع نطاقه الجغرافي والاقتصادي ليشمل قارات العالم القديم، ومجالات البنية التحتية، والنقل، والمواصلات، والملاحة البحرية، والتصنيع، والتجارة، وهو ما يجعل هذا المشروع أقرب إلى رؤية رمزية لمستقبل العلاقات منه إلى مبادرة قابلة للتطبيق ذات سياسات وآليات واضحة.

تواجه كل من الصين ودول الشرق الأوسط قضايا رئيسية لضمان أمن الطاقة وتحقيق تحول الطاقة. إن كيفية تحقيق التحول في مجال الطاقة وكيفية التحسين المستمر لمستوى التعاون في مجال الطاقة بين الصين والدول العربية هي قضايا يحتاج الطرفان إلى مواجهتها وحلها في المستقبل. لذلك، يجب على الطرفين تعزيز تعاونهما في مجال الطاقة في المستويات العليا والمتوسطة والدنيا، وتوسيع الطاقة الجديدة والطاقة المتجددة وغيرها من التعاون المتعمق، وبناء شراكة طاقة استراتيجية مستقرة وموثوقة بين الطرفين.

## الخاتمة

لعبت الموارد الطاقوية دور كبير في تحديد توجهات السياسة الخارجية الصينية في منطقة الشرق الأوسط، خاصة بسبب مورد النفط الذي يعد شريان الاقتصاد العالمي، فلولا دور الموارد الطاقوية لبقيت الصين متفوقة في مجالها الآسيوي خاصة و أنها تعتبره أولى أولوياتها، لكن بسبب تزايد حاجاتها الطاقوية في ظل ضعف إنتاجها المحلي أصبح لزاما عليها البحث عن مناطق تأمين لها أمن إمداداتها، و ذلك يقودنا مباشرة لتوجه لمنطقة تعد المصدر رقم واحد في الإنتاج العالمي للموارد الطاقوية خاصة مورد النفط .

تسعى الصين إلى تعزيز حضورها في القطاعات الإنتاجية للنفط في مناطق مختلفة معتمدة في ذلك على أسعارها التنافسية وشروطها المقبولة بشكل أكثر من الشركات الغربية. كما أنها من المتوقع أن تواصل السعي لوجودها العسكري من خلال زيادة قواتها المشاركة في عمليات حفظ السلام أو مكافحة القرصنة، وفي نفس الوقت السعي لإيجاد قواعد عسكرية لحماية إمداداتها النفطية. وقد

بدأت بالفعل مفاوضات مع باكستان وأخرى مع سيشل\* في الوقت الذي تقوم فيه بتطوير قدراتها البحرية وبناء حاملة طائرات.

تحافظ الصين على علاقاتها مع مختلف الأطراف ضمن المحاور الإقليمية ذات المصالح المتعارضة، إذ إن العلاقات الوثيقة بين الصين وكل من إيران وتركيا وإسرائيل، تؤثر على آفاق تطور العلاقات الصينية العربية في ظل تباين المصالح بين هذه الأطراف، وتهديد سياسات بعض القوى الإقليمية للأمن والاستقرار في الشرق الأوسط. وفي هذا الإطار، هناك العديد من التساؤلات في العالم العربي بشأن موقف الصين من الأزمة السورية، خاصة نمط تصويتها في مجلس الأمن على القرارات الخاصة بالأزمة، واستخدامها حق (الفيتو) في العديد من المرات، بما لا يتوافق مع مصالح الشعب السوري الذي يتعرض لمأساة إنسانية.

تدير الصين علاقاتها مع الشرق الأوسط بمهارة معقدة وعلى نحو فيه من التوافق والمغامرات والمخاطر الصعبة الكثير؛ فهي تبني شراكة إستراتيجية مع إسرائيل وفي الوقت نفسه أقامت شراكات كبرى مع الدول العربية، وتواصل دعمها التقليدي للشعب الفلسطيني، وفي علاقتها مع الولايات المتحدة فإنها تقدم بعض الدعم لسياساتها الخارجية في المنطقة، وفي المقابل فإن الولايات المتحدة توفر الأمن والحماية للنقل النفطي إلى الصين، وتقيم الصين في الوقت نفسه علاقات قوية وواسعة مع إيران في التسليح والنفط، برغم المعارضة الأميركية والإسرائيلية للبرنامج النووي الإيراني، والتحفظ السعودي والخليجي على كثير من سياسات إيران الإقليمية، ولكن السياسة والمواقف الصينية تجاه ما يجري في سوريا كانت موضع استياء عربي واسع.

أسست الصين سياستها الخارجية مع منطقة الشرق الأوسط دبلوماسيا وسياسيا واقتصاديا وتجاريا وثقافيا وإعلاميا وعسكريا، وقد تمكنت من بناء علاقات قوية مع دول المنطقة، حيث وقعت على العديد من الاتفاقيات التجارية مع تلك الدول. فقد ركزت على التواجد بمنطقة الشرق الأوسط لتضمن مصالحها بذلك، من خلال توطيد علاقتها مع الدول النفطية بشكل كبير، حيث تمتلك الصين مع تلك الدول علاقات تجارية مستقرة في تجارة الطاقة، من خلال عقدها للعديد من الصفقات الكبرى مع كل من السعودية وإيران وقطر.

سيكون اهتمام الصين بمنطقة الشرق الأوسط أكبر من السابق - لكن دون الانخراط الفاعل في قضاياها مراعاة للأسس التي تحكم سياساتها الخارجية- لأنها أهم مصدر من مصادر الطاقة في العالم كما أنها أحد أهم الأسواق الاستهلاكية. ويمكن القول حاليًا: إن ميزان التبادل التجاري مع أية دولة هو المقياس الوحيد لمستوى تطور العلاقات مع الآخرين من وجهة النظر الصينية

سيظل أمن الطاقة من حيث المصادر وطرق الإمداد المحرك الرئيسي للسياسة الصينية تجاه المنطقة، ولهذا فإنها لا يمكنها أن تتخلى تمامًا عن النفط الإيراني وتضع كل بيضها في سلة دول الخليج لأنها تدرك أن دول الخليج ستكون أكثر تكييفًا مع المطالب الأميركية عندما تستدعي الظروف. وهي كذلك لا يمكن أن تعتمد بشكل كامل على النفط الروسي حتى وإن نجحت بمد أنابيب بين الجانبين؛ وذلك لأسباب إستراتيجية.



# الجزائر ودبلوماسية الطاقة في الفضاء الأورومتوسطي

سليم بوسكين\*

## ملخص

تناولت هذه الدراسة مدى توظيف الدبلوماسية الجزائرية للبعد الطاقوي في علاقاتها الخارجية في الفضاء الأورومتوسطي واستثمار مواردها الطاقوية في تعزيز مصالحها القومية اقتصاديا وسياسيا واستراتيجيا، في مواجهة الفواعل الدولية الأخرى التي تربطها علاقات في المجال، سواء كانت علاقات اعتماد متبادل وتعاون أو علاقات تنافس، وحتى علاقات الصراع، فقد عالجت الدراسة ايتمولوجية دبلوماسية الطاقة والأمن الطاقوي، ثم أسس ومرتكزات الدبلوماسية الجزائرية والمبادئ التي تحكمها، لتحليل العلاقات الجزائرية الأوروبية والمتوسطية في مجال الطاقة، وكيف توظف الجزائر مواردها الطاقوية لخدمة مصالحها العليا، واستغلالها كأوراق تفاوضية مع دول المنطقة سواء في إطار التعاون أو التنافس أو الصراع.

**الكلمات المفتاحية:** دبلوماسية الطاقة، الجزائر، الأزمة الأوكرانية، الفضاء الأورو-متوسطي.

---

\* باحث وأكاديمي، جامعة الجزائر 3، الجزائر.

# Algeria and Energy diplomacy in the Euro-Mediterranean space

Saleem busakin

## Abstract

This study examined the extent to which Algerian diplomacy employs the energy dimension in its foreign relations in the Euro-Mediterranean space and invests its energy resources in promoting its national interests economically, politically and strategically, in the face of other international actors that have relations in the field, whether they are relations of mutual dependence and cooperation or relations of competition, and even relations of conflict. The study dealt with the etymology of energy diplomacy and energy security, then the foundations and foundations of Algerian diplomacy and the principles that govern it, to analyze the Algerian European and Mediterranean relations in the field of energy, and how Algeria employs its energy resources to serve its higher interests, and exploit them as negotiating cards with the countries of the region, whether in the framework of cooperation, competition or conflict.

**Keywords :** Energy diplomacy, Algeria, Ukrainian crisis, Euro-Mediterranean Space.

## مقدمة

تعتبر الجزائر من الدول ذات الأهمية الاستراتيجية في مجال الطاقة، فهي تحتوي على موارد نفطية وغازية معتبرة، إضافة إلى إمكانيات في مجال الطاقة المتجددة كالطاقة الشمسية، لذلك فهي تسعى لاستغلال هذه الموارد كأوراق رابحة في نشاطها الدبلوماسي من أجل خدمة وتعزيز مصالحها الوطنية في إطار علاقاتها مع الأطراف الخارجية سواء كانت علاقات تنافس وصراع أو تعاون وتنسيق، خاصة في ظل التحولات الجيوسياسية التي تشهدها المنطقة الأورو-متوسطية من نزاعات وتنافس لاسيما بعد اندلاع الأزمة الأوكرانية وما ترتب عنها من تهديد للأمن الطاقوي والأمن الغذائي لعدة دول في المنطقة، وعليه تسعى الجزائر لتوظيف دبلوماسية الطاقة لتعزيز مكانتها الجيوسياسية والاقتصادية في المنطقة باستغلال الفرص الممكنة التي تتيحها المتغيرات العالمية الراهنة، وفي نفس الوقت كسب الرهانات وتجاوز التحديات التي فرضها هذا الواقع الدولي في ظل حالة الاضطراب والاستقطاب على الساحة العالمية وعلى المستويات المختلفة الأمنية والسياسية والاقتصادية.

## إشكالية الدراسة

في ظل المعطيات العالمية التي ترتبت عن الأزمة الأوكرانية الراهنة وصراع الطاقة بين القوى الدولية في الفضاء الأورو-متوسطي؛ كيف يمكن للجزائر توظيف دبلوماسيتها الطاقوية في رسم مكانتها الإقليمية؟

## فرضية الدراسة

قد تتيح تحولات النظام العالمي في مجال الطاقة فرصة للجزائر لإثبات مكانتها الإقليمية وتعزيز مصالحها الاستراتيجية في الفضاء الأورومتوسطي.

## المقاربة المنهجية

اعتمدنا في تحليل هذه الدراسة على المنهج الإحصائي من خلال تقديم قراءة في مختلف الأرقام والإحصائيات والبيانات المتعلقة بموضوع الطاقة في إطار العلاقات الجزائرية في الفضاء الأورومتوسطي، كما اعتمدنا على نظرية الدور من أجل دراسة وتحليل الدور الذي تلعبه السياسة الخارجية في الفضاء الجيوسياسي بالاستناد على مواردها الطاقوية، والسعي لإثبات نفسها كقوة إقليمية محورية فاعلة في المنطقة.

## محاور الدراسة

في البداية نوضح مفهوم دبلوماسية الطاقة؛ ثم نبين المقومات الطاقوية للجزائر، وفي الأخير نتطرق إلى موضوع الطاقة كمتغير في النشاط الدبلوماسي الجزائري تجاه الفضاء الأورومتوسطي.

## المحور الأول: دبلوماسية الطاقة

### أولاً: مفهوم دبلوماسية الطاقة

تستخدم الدول عدة أدوات ووسائل في سياستها الخارجية في سبيل تعزيز مصالحها القومية، وتختلف هذه الأدوات حسب الإمكانيات والقدرات التي تمتلكها كل دولة، وفي وقتنا الحالي تعد

الطاقة أحد ركائز قوة الدولة لذلك تسعى الدول لضمان أمنها الطاقوي، باعتبار أن الطاقة أحد الركائز الأساسية المحركة للاقتصاد، ومورد لا يمكن الاستغناء عنه، ومن هنا توظف الدول نشاطها الدبلوماسي في مجال الطاقة بأساليب واستراتيجيات مختلفة لكن يبقى الهدف الأساسي هو تحقيق المصلحة القومية والأمن الطاقوي.

تصف لنا دبلوماسية الطاقة مجمل التفاعلات الدولية واستخدام السياسة الخارجية لتأمين الوصول إلى إمدادات الطاقة في الخارج والترويج والتعاون في قطاع الطاقة، فهي تستهدف ممارسة التأثير من خلال المفاوضات لإدارة العلاقات الدولية الثنائية والمتعددة الأطراف المرتبطة بالمجال الطاقوي<sup>1</sup>.

كما يقصد بها العلاقات الخارجية التي تهدف إلى ضمان أمن الطاقة لبلد ما مع تشجيع فرص الأعمال المتعلقة بقطاع الطاقة من بين مجموع أدوات السياسة الخارجية التي يمكن الاستفادة منها لدعم مصالح الدولة في مجال الطاقة. وتقوم دبلوماسية الطاقة من أجل تحقيق أمنها من خلال التعاون بين الحكومات، كذلك تأمين الوصول إلى إمدادات الطاقة تتمثل في استخدام التهديدات أو العقوبات الاقتصادية أو القوة والاستفادة من القوة الصلبة<sup>2</sup>.

دبلوماسية الطاقة هي دبلوماسية نوعية تشير إلى عمليات التفاوض والتعاون بما يتضمنه من احتمالات نزاعية وتوترات في المجال الإقليمي والدولي، في سبيل تحقيق الإمدادات الطاقوية المختلفة الضرورية للدولة.

يكون نشاط دبلوماسية الطاقة على مستوى النشاط الخارجي للدول مع بعضها البعض، فهي تشمل الدول المصدرة أو الموردة للموارد الطاقوية المختلفة، والدول المستوردة لها وكذا الدول التي بها طرق الإمداد الطاقوي أي التي تمر عليها إمدادات الطاقة من الأطراف المنتجة الموردة والدول المستوردة المستهلكة.

ويوجد ارتباط قوي بين دبلوماسية الطاقة والتنمية والتجارة الدولية والمساعدات العسكرية والسياسة الخارجية بشكل عام، ويشير هذا المصطلح إلى سياسة الدول واستراتيجيتها للوصول إلى موارد الطاقة وتأمين إمداداتها في الخارج من خلال تعزيز التعاون الثنائي بين الحكومات في قطاع الطاقة. وتعد الدول هي الفاعل الأساسي ووحدة التحليل الرئيسية إضافة إلى الهيئات والمؤسسات التابعة لها، لأن الدافع الأساسي وراء إبرام الصفقات الطاقوية خاصة النفط والغاز ليس بالضرورة تعظيم المكاسب النفعية المادية اقتصاديا، بقدر ما تهدف إلى تحقيق الأمن القومي الطاقوي، فحسابات التكلفة والفوائد لا تتبع هنا المنطق الاقتصادي، بل المنطق السياسي والاستراتيجي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> شالوا عبد الخالق محمد ونجدت صبري عقراوي، "علاقة دبلوماسية الطاقة بصنع القرار في السياسة الخارجية"، مجلة قه لاي زانست العلمية، (مجلد: 4، العدد: 4، خريف 2019)، ص 1160.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 1161.

<sup>3</sup> Andreas Goldthau , « Energy Deplomacy in trade investment of oil and gas», January 2010, available in : <https://www.researchgate.net>



تعمل الدول الموردة والمنتجة على إيجاد فرص جيدة للتسويق وفرض شروطها ومحاولة تحقيق جملة مكاسب مالية واقتصادية وسياسية، كما تعمل الدول المستوردة على ضمان تأمين إمدادات الطاقة إليها في كل الظروف (خاصة ظروف الأزمات والحروب والتوترات).

ومنذ اندلاع الأزمة الأوكرانية بعد بدء العمليات العسكرية الروسية في الأراضي الأوكرانية شهدت دبلوماسية الطاقة نشاطا متزايدا على الصعيد العالمي، بسبب ما ترتب عن هذه الأزمة من تهديد لأمن الطاقة للدول الأوروبية التي تعتمد على الإمدادات الروسية بنسبة كبيرة، وباتت الدول المهتدة في أمنها الطاقوي تعمل بوتيرة كبيرة على المستوى الدبلوماسي من أجل إيجاد موارد طاقوية لتأمين احتياجاتها الوطنية، بعيدا عن إمكانية الوقوع في فخ الندرة والنقص أو المساومة في إطار المفاوضات الدولية.

### ثانياً: أسس ومبادئ الدبلوماسية الجزائرية

تقوم الدبلوماسية الجزائرية على عدة مبادئ وأسس التي تحدد طبيعة الفعل والسلوك الذي تتبعه الجزائر تجاه الخارج، وقد ساهمت عدة عوامل ومحددات في رسم وصياغة هذه الأسس من التاريخ والجغرافيا والعوامل الحضارية والأيدولوجية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى ما تقتضيه المصالح القومية للبلاد، ومن بين أهم هذه الأسس والمبادئ نذكر الآتي:

- احترام الشرعية الدولية في إطار دعم عمل المنظمات الدولية والإقليمية، والعمل على تحقيق وإحلال السلم والأمن الدوليين؛ فبحكم الموقع الجغرافي وانتماء الجزائر لعدة فضاءات جيوسياسية: إسلامية وعربية وإفريقية ومغاربية ووسطية، مكنها من أن تكون نشطة في عدة منظمات دولية، كمنظمة الأمم المتحدة ومنظمة الأوبك وحركة عدم الانحياز.. الخ، ومنظمات إقليمية كالاتحاد الإفريقي وجامعة الدول العربية والاتحاد المغاربي ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومبادرة النيباد والشراكة الأورومتوسطية.. الخ.
- يعتبر مبدأ احترام السيادة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول من ثوابت السياسة الخارجية الجزائرية<sup>4</sup>، بحيث لا تزال الجزائر تتخذ موقفا أكثر صلابة بخصوص احترام السيادة الوطنية للدول، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وفق ميثاق منظمة الأمم المتحدة والأعراف والقوانين الدولية؛ بحيث تنص المادة 33 من الدستور الجزائري على (تعمل الجزائر من أجل دعم التعاون الدولي، وتنمية العلاقات الودية بين الدول، على أساس المساواة، والمصلحة المتبادلة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وتتبني مبادئ ميثاق الأمم المتحدة وأهدافه)<sup>5</sup>. وفي هذا الشأن فالجزائر ترفض بالمطلق أي محاولة خارجية للتدخل في شؤونها الداخلية، كما ترفض أن تتدخل في الشؤون الداخلية لغيرها من الدول، ولعل موقفها من القضايا العربية كاليمن برفض انضمامها للتحالف العربي بقيادة السعودية

<sup>4</sup> وهيبه دالح، السياسة الخارجية الجزائرية تجاه منطقة الساحل في ظل حكم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة 1999-2017، (الجزائر: دار الخلدونية، 2018)، ص 174.

<sup>5</sup> دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المعدل سنة 2020، المادة: 33.

للتدخل في اليمن، ورفضها للتدخل في الأزمة السورية والأزمة في ليبيا وتونس، فحرصت الجزائر على التزام الحياد وعدم الميل لتأييد أي طرف داخلي، وطالما تؤكد أن الحلول للمشاكل داخل الدول يكون حلها داخل الدول نفسها وليس من الخارج<sup>6</sup>.

- عدم الاعتداء والعدوان، وتسوية النزاعات والصراعات بالطرق السلمية، وعدم استخدام القوة العسكرية إلا في حالة الدفاع الشرعي عن النفس، فاستخدام القوة العسكرية سيؤدي إلى تأزيم الأوضاع وتأجيل الحلول مثلما وقع في الكثير من النزاعات التي يشهدها العالم، كما ترفض الجزائر قيام أي اعتداء أو عدوان ضد الدول والذي من شأنه تهديد السلم والأمن الدوليين؛ بحيث تنص المادة 31 من دستور الجمهورية الجزائرية على (تمتنع الجزائر عن اللجوء إلى الحرب من أجل المساس بالسيادة المشروعة للشعوب الأخرى وحريتها، تبذل الجزائر جهدها لتسوية الخلافات الدولية بالطرق السلمية)<sup>7</sup>.

- دعم حق الشعوب في تقرير مصيرها وتحقيق استقلالها الذاتي وفق القوانين الدولية، كما تدعم حركات التحرر، ومناصرة القضايا العادلة في العالم، بحيث نصت المادة 32 من الدستور الجزائري على (الجزائر متضامنة مع جميع الشعوب التي تكافح من أجل التحرر السياسي والاقتصادي، والحق في تقرير المصير، وضد التمييز العنصري)<sup>8</sup>، وهو مبدأ عالمي، وله إرث تاريخي في الموروث السياسي والحضاري للجزائر خاصة بعد ما خاضته من تضحيات في سبيل التحرر من سطوة الاستعمار والاحتلال الفرنسي؛ فهي تتضامن وتدعم كل الشعوب في العالم التي تناضل لتحررها السياسي والاقتصادي، وتقرير مصيرها بنفسها بعيدا عن الاحتلال والوصاية الخارجية، كما تناضل من أجل مكافحة التمييز العنصري في العالم سواء تمييز على أساس العرق أو اللون أو الدين أو الانتماء الاجتماعي والثقافي..الخ.

- تقوم الدبلوماسية الجزائرية كذلك على لعب دور الوسيط في القضايا العالمية والإقليمية، وهو دور تقليدي عرفت به الجزائر منذ استرجاع السيادة الوطنية، فقامت بدور الوساطة في كثير من النزاعات والصراعات وتسوية الخلافات؛ كالوساطة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران في أزمة الرهائن الأمريكية والمختطفين في إيران 1981/1979، ودورها في الوساطة والمصالحة بين إيران والعراق بعد حرب دامت ثماني سنوات (1980-1988)، والوساطة في تسوية النزاع الحدودي بين إريتريا وأثيوبيا سنة 2000، والوساطة في مالي منذ عقود من الزمن بين الحكومة المركزية وتمردي الشمال الأزواد، والوساطة بين الفرقاء الليبيين بعد الحرب الداخلية التي نشبت إثر سقوط نظام معمر القذافي سنة 2011.

- مبدأ حسن الجوار الإيجابي، من خلال العلاقات التعاونية مع دول الجوار في فضاءها الجغرافي، سواء في إطار العلاقات الثنائية أو الإقليمية والجهوية، من خلال إبرام اتفاقيات ومعاهدات للتعاون والتنسيق في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية..الخ،

<sup>6</sup> زينب فريح وعمر فرحاتي، "السياسة الخارجية الجزائرية في ظل بيئة إقليمية متغيرة: دراسة في ملامح الاستمرار والتغير"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، (المجلد: 09، العدد: 03، ديسمبر 2018)، ص 899.

<sup>7</sup> دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المادة: 31.

<sup>8</sup> دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المادة: 32.

ويقوم حسن الجوار الإيجابي بتمتين العلاقات مع دول الجوار في جو من الثقة والاعتماد المتبادل؛ وفي هذا الإطار تنص المادة 33 من الدستور الجزائري على (تعمل الجزائر من أجل دعم التعاون الدولي، وتنمية العلاقات الودية بين الدول، على أساس المساواة، والمصلحة المتبادلة)<sup>9</sup>، فحسن الجوار في شكله البسيط يعني عدم الاعتداء وتفادي التدخل في الشؤون الداخلية وهو منطلق غير كاف لضمان الاستقرار والأمن والوفاق الإقليمي والجهوي<sup>10</sup>، ولذلك لا بد من إعطائه بعدا إيجابيا آخر يقوم على أساس التعاون المثمر لصالح الشعوب وتكامل المصالح بين البلدان المعنية، والتنسيق المستمر بين الدول في القضايا ذات الاهتمام المشترك والتي تهتم الجميع.

- مبدأ احترام الحدود الموروثة عن الاستعمار، وهو ما أقرته منظمة الاتحاد الإفريقي حتى تمنع الخلافات والنزاعات الحدودية بين دول القارة، وتسويتها بطرق سلمية عن طريق الدبلوماسية والتفاوض وليس عن طريق الاعتداء والعدوان والعمل العسكري الذي يهدد أمن دول الجوار ويخل بالسلم والأمن الإقليمي والدولي؛ وقد عملت الجزائر على ضبط الحدود وترسيمها مع دول الجوار على أساس هذا المبدأ من خلال عدة اتفاقيات مبرمة مع دول الجوار، وهذا من أجل وأد أهم أسباب النزاعات الثنائية في القارة الإفريقية، وتحقيق التعاون والاستقرار<sup>11</sup>. سعي الجزائر لضبط الحدود وترسيمها مع دول الجوار يعبر عن الصورة الإيجابية لتطبيق مبدأ حسن الجوار بالقضاء على مسببات النزاع والتحارب، فترسيمها واحترامها يجعلها عاملا لتحقيق السلم والتعاون الإقليمي<sup>12</sup>.

تسعى الجزائر دائما إلى بناء دبلوماسية براغماتية وتبني سياسة خارجية تتسم بالواقعية، عبر دبلوماسية تحكمها المبادئ والأهداف الواردة في مختلف المواثيق والدساتير الوطنية، وقد تمكنت هذه الدبلوماسية من تحقيق عديد من الإنجازات الوطنية في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية وحتى الثقافية، بحسب الظروف والمعطيات التي تفرضها تحولات البيئة الدولية في كل حقبة زمنية وكل مرحلة من مراحل تطور النظام الدولي، كذلك معطيات البيئة الداخلية والإقليمية، وهي عوامل تؤثر طبعاً في توجهات السياسة الخارجية الجزائرية<sup>13</sup>.

على مستوى الفضاء الأورومتوسطي دخلت الجزائر في علاقات صداقة وحسن الجوار مع الدول المتوسطية، ومشاركتها في مختلف المبادرات في هذا الفضاء بتركيزها على ضبط الخلافات والوقاية من التوترات، فهدف الدبلوماسية الجزائرية في المتوسط هو خلق الانسجام بين المبادرات التي تم الإعلان عنها بما يخدم المصلحة المشتركة، وبما يتماشى مع مبادئ وأهداف سياستها الخارجية<sup>14</sup>.

<sup>9</sup> دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المادة 33.

<sup>10</sup> مرحوم عبد الرحيم، "ملامح السياسة الخارجية الجزائرية"، مجلة الحقوق والحريات، عدد خاص 2017، ص 25.

<sup>11</sup> سليم العايب، الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الاتحاد الإفريقي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، (جامعة باتنة-الجزائر، 2011)، ص 29.

<sup>12</sup> مرحوم عبد الرحيم، نفس المرجع السابق، ص 27.

<sup>13</sup> عبد النور تومي، "التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الجزائري"، مركز دراسات الشرق الأوسط أورسام، 2022/06/29، متوفر على الرابط الإلكتروني: <http://orsam.org.tr/ar/cezayir-dis-politikasinin-yeni-yonleri/>

<sup>14</sup> Filali Fatma Zohra, « L'Algérie : quelles sécurités dans l'ensemble méditerranéen ? », Revue Algérienne de communication, (Algerie : Université d'alger 3, vol N°21, 1<sup>er</sup> Semestre 2011), P 42.

## المحور الثاني: مقومات الطاقة في الجزائر

تمتلك الجزائر موارد طاقوية معتبرة أساسها النفط والغاز الطبيعي، وكذلك لها إمكانيات كبيرة في مجال الطاقات المتجددة كالطاقة الشمسية، كما أنها تعتبر من الدول المهمة في احتياطات الغاز الصخري.

### أولاً: البترول

بلغ إنتاج الجزائر من البترول سنة 2020 ما قيمته 1.1 مليون برميل في اليوم، تصدر منه 540 ألف برميل يومياً، وتملك حوالي عشرة مليار طن من الاحتياط البترولي، وتقدر احتياطات المحروقات القابلة للاستخلاص والتي تم إثباتها إلى غاية سنة 2015 بـ 12200 مليار برميل من النفط الخام<sup>15</sup>. فعلى المستوى العالمي تحتل الجزائر المرتبة الخامسة عشر فيما يخص الاحتياطات النفطية، والمرتبة 18 من حيث الإنتاج، و12 من حيث التصدير<sup>16</sup>.

### ثانياً: الغاز الطبيعي

قدر إنتاجه سنة 2018 بـ 97 مليار متر مكعب، وبذلك تحتل الجزائر المرتبة العاشرة عالمياً، وهي تمتلك سابع احتياطي عالمي قدر بـ 2368 مليار متر مكعب حسب إحصائيات سنة 2020، وإفريقيا تعتبر الجزائر أول دولة منتجة، وثاني دولة على مستوى الاحتياطي بعد نيجيريا<sup>17</sup>، وبلغت صادرات الجزائر منه سنة 2022 ما قيمته 56 مليار متر مكعب.

### ثالثاً: الغاز الصخري

كشف تقرير الندوة الأمامية للتجارة والتنمية لسنة 2019 أن الجزائر تحتوي على ثالث أكبر احتياطي عالمي من الغاز الصخري الممكن استرجاعه تقنياً بعد الصين والأرجنتين، وتقدر هذه الكمية بـ 9818 ترليون قدم مكعب من الغاز الصخري، و 1194 مليار برميل من النفط الصخري<sup>18</sup>، لكن استغلال هذا المورد لا يزال يواجه عدة تحديات وصعوبات مختلفة.

### رابعاً: الطاقة الشمسية

تقدر مساحة الجزائر بأكثر من 2.3 مليون كلم<sup>2</sup>، تشكل الصحراء نسبة كبيرة منها بأكثر من 80%، وهو ما جعل منها أحد أكبر حقول الطاقة الشمسية في العالم، بتوفرها على مخزون كبير من هذه الطاقة، ويقدر متوسط طلوع الشمس في الجزائر 3000 ساعة، بمتوسط يبلغ 6.57 كيلو واط ساعة/متر مربع في اليوم، بمساحة 86% من الصحراء الكبرى، وبموقعها الجغرافي تمتلك الجزائر أهم حقل شمسي في العالم، وإذا قارنا إمكانيات الجزائر من الطاقة الشمسية بالغاز الطبيعي فإنها

<sup>15</sup> وسيلة بوفنش، "دور الطاقة في تفعيل أبعاد التنمية المستدامة في الجزائر خلال الفترة 1990-2016"، (العدد: 06، مجلد: 02)، ص 22.

<sup>16</sup> جلال حدادي، معزلة الأمن الجزائري في الفضاء المتوسطي، (الجزائر: دار النشر الجامعي الجديد، 2017)، ص 99.

<sup>17</sup> دالع وهبية، "العلاقات الطاقوية الجزائرية الأوروبية في ظل المتغيرات الراهنة"، في: دالع وهبية وآخرون، تأثير التغيرات في منطقة المغرب العربي على العلاقات الأوروبية مغاربية، (الجزائر، دار الأمة، 2020)، ص 97.

<sup>18</sup> حاتم غندير، "الانتقال الطاقوي في الجزائر: بين خيار الغاز الصخري والطاقات المتجددة"، 17 ماي 2020، مركز الجزيرة للدراسات، متوفر على الرابط الإلكتروني: <http://studirs.aljazeera.net/ar/article/4683>

تعادل حجم 37000 مليار متر مكعب سنويا، أكثر من ثمانية أضعاف احتياطات الغاز الطبيعي في البلاد، إضافة إلى فارق أن الطاقة الشمسية قابلة للتجديد عكس الغاز الطبيعي<sup>19</sup>.

والطاقة الشمسية لها عدة مزايا تمنحها الأفضلية على غيرها من الموارد الطاقوية، ومن هذه المزايا:

- أنها طاقة متجددة غير ناضبة وبلا مقابل.
- عدم خضوعها لسيطرة الأنظمة السياسية الدولية أو المحلية التي تحد من استعمالها.
- تتوفر في جميع الأماكن تقريبا ولا تحتاج لوسائل نقل.
- لا يتطلب إنتاجها واستغلالها تكنولوجيات كبيرة معقدة.
- قلة نسبة الخطر بالنسبة للعاملين فيها والمستهلكين<sup>20</sup>.

#### جدول: القدرات الشمسية في الجزائر<sup>21</sup>

البيانات	منطقة ساحلية	هضاب عليا	صحراء
مساحة(%)	4	10	86
معدل مدة إشراق الشمس)ساعات/سنة	2650	3000	3500
معدل الطاقة المحصل عليها) كيلواط ساعي/م 2/سنة	1700	1900	2650

تعمل الجزائر في السنوات الأخيرة على تحقيق الانتقال الطاقوي بالاعتماد على الطاقات المتجددة خاصة في ظل التحولات التي يعرفها سوق الطاقة الدولي، وكذلك تزايد الاستهلاك المحلي للطاقة، وتحدي تحقيق التنمية المستدامة والاقتصاد الأخضر والحفاظ على البيئة.

ويتوقع البرنامج الوطني لتطوير الطاقات المتجددة إنتاج 22 ألف ميغاواط من الكهرباء من مصادر الطاقة المتجددة في آفاق سنة 2030، منها الطاقة الشمسية وطاقة الرياح الموجهة للسوق الداخلية، و10 آلاف ميغاواط للتصدير، ما يوازي 27% من إجمالي إنتاج الكهرباء في آفاق 2030<sup>22</sup>.

<sup>19</sup> توفيق حسني وآخرون، الجزائر 100% طاقة متجددة، (الجزائر: مؤسسة فريدريك ايرت، جانفي 2021)، ص 6.

<sup>20</sup> محمد شيخي وبن محاد سمير، "السياسة الطاقوية في الجزائر بين محدودية الموارد الناضبة ورهانات الطاقات المتجددة دراسة قياسية"، مجلة اقتصاديات الأعمال والتجارة، (العدد الأول، 2016)، ص 26.

<sup>21</sup> محمد شيخي، ص 27.

<sup>22</sup> دالغ وهبية، مرجع سابق، ص 98.

## المحور الثالث: الطاقة كمتغير في النشاط الدبلوماسي الجزائري تجاه الفضاء الأورومتوسطي

عرفت الدبلوماسية الجزائرية فترات متباينة تجاه الفضاء الأورومتوسطي، من النشاط والحمول، الحركية والركود، ومن الانفتاح أو الانكفاء على الذات، وهذا بتأثير البيئة الداخلية ومؤسسات صنع القرار والأزمات التي عرفت فيها في كثير من المحطات، وكذلك تأثير البيئة الخارجية وموازن القوى العالمية على صعيد النظام الدولي، فبعد الاستقلال عرفت الدبلوماسية الجزائرية حركية ونشاطا كبيرين بهدف إيجاد مكانة رائدة للجزائر في الساحة العالمية، خاصة وأن العالم كان يشهد فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي الاشتراكي والغربي الرأسمالي الليبرالي، ووجدت الجزائر في حركة عدم الانحياز إطارا للحركية الخارجية بعيدا عن الولاء لأي معسكر، وهو ما أتاح لها هامشا من الحركة والمناورة الخارجية، لكن بعد انهيار أسعار النفط والأزمة الاقتصادية مع نهاية الثمانينيات من القرن الماضي إضافة إلى دخول البلاد في أزمة أمنية عسيرة، شهدت الدبلوماسية الجزائرية تراجعاً في الأداء خاصة بعد زوال نظام الثنائية القطبية الذي كان يتيح هامشا من الحرية للعمل الخارجي، عكس ما كان بعد ذلك مع الأحادية القطبية وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالقرار على المستوى العالمي، ثم عرفت فترة أخرى من الحركية والازدهار مع مجيء الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة إلى الحكم وقيادته البلاد للخروج من الأزمة الأمنية التي عصفت بها لأكثر من عقد من الزمن، ثم تكثيف نشاطه الخارجي لإعادة مكانة الدولة خارجيا والخروج بها من حالة العزلة الدولية التي فرضت عليها -إن صح التعبير- بفعل الظروف الداخلية والعوامل الخارجية، لكن هذه الحركية لم تدم كثيرا، وبدأ التراجع يدب في نشاط الدبلوماسية الجزائرية بفعل مرض الرئيس الراحل وبحكم تركيز عملية صنع القرار الخارجي بيد رئيس الجمهورية، واستمرت حالة الخمول والتراجع إلى غاية خروج الجزائر من الأزمة الصحية كوفيد 19، ودور النخب السياسية الحاكمة التي أفرزها حراك 22 فيفري 2019 بوصول عبد المجيد تبون إلى الحكم بعد انتخابات 12 ديسمبر 2020، ومنذ فوزه بالرئاسة قام الرئيس تبون بوضع خارطة طريق جديدة للدبلوماسية الجزائرية، تعتمد على تعزيز مكانة الجزائر الدولية، كقوة إقليمية فاعلة، محاولا استغلال إمكانيات وموارد البلاد في شتى المجالات لتعزيز المصالح الوطنية العليا داخليا وخارجيا.

ومن بين أهم الموارد الاستراتيجية التي تزخر بها الجزائر نجد الموارد الطاقوية خاصة النفط والغاز، ورغم أن الجزائر تحتل مراتب متقدمة من حيث الإنتاج والمخزون الاحتياطي على المستوى الإقليمي والعالمي، إلا أن توظيف هذا المورد في المجال الدبلوماسي على المستوى الخارجي لم يكن بالشكل المطلوب، فرغم التحولات التي عرفتتها الجزائر في علاقاتها الخارجية مع الدول الأورومتوسطية، باستثناء الموقف المشترك مع الدول العربية في حرب 1973 بقرار هذه الدول وقف تصدير البترول للدول الداعمة للاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، ورغم ارتفاع أسعار الطاقة عالميا في كثير من المحطات إلا أنه لم يتم استغلال تلك الفرص على المستوى الدبلوماسي في العلاقات الخارجية، لكن مع وصول عبد المجيد تبون للحكم وتبنيه لسياسة خارجية نشطة واستباقية، وما يشهده العالم من تحولات وتغيرات خاصة بعد الأزمة الأوكرانية، وما أسفر عنها من ارتفاع أسعار

البتترول والغاز في الأسواق العالمية، والتي أثر في كثير من اقتصاديات الدول في الفضاء الأورومتوسطي، وهو ما أتاح للجزائر نهج سياسة خارجية نشطة من أجل خلق حركية ومكاسب اقتصادية باعتبارها دولة ريعية.

### أولا: الطاقة في العلاقات الجزائرية الأوروبية

تعتبر الجزائر ثالث أكبر مورد للغاز الطبيعي لأوروبا بعد روسيا والنرويج، حيث صدرت سنة 2019 ما يفوق 36 مليار متر مكعب نحو أوروبا، وترتبط الجزائر بأوروبا عبر ثلاثة أنابيب تعبر البحر الأبيض المتوسط، يشتغل منها حاليا اثنان هما خط ترنسماد TRANSMED يمر عبر تونس-صقلية الإيطالية، وهو يربط دول المغرب العربي بجنوب أوروبا، والثاني عبر إلميريا جنوب إسبانيا، والثالث متوقف وكان يمر عبر المغرب نحو إسبانيا، وهو خط GME Gazoduc Maghreb Europe<sup>23</sup>.

#### خريطة: أنابيب الغاز الجزائرية نحو أوروبا<sup>24</sup>



وبخصوص العقود المجددة بين الجزائر وشركائها الأوروبيين لتوريد الغاز الجزائري، نذكر تجديد الجزائر لعقود توريد الغاز المسال لتركيا عبر شريكها "بوتاش" إلى غاية 2024 بكمية سنوية تقدر بـ 5,4 مليار متر مكعب. كما وقعت سوناطراك أيضا على عقود تجديد توريد الغاز لشركة ناتيرجي الإسبانية اعتبارا من 2019 لمدة 10 سنوات بكمية 8 مليار متر مكعب سنويا.

إيطاليا هي الأخرى أحد شركاء الجزائر في تجديد عقود توريد الغاز الجزائري نحوها ابتداءً من 2019 كل من اپني لمدة 10 سنوات بـ 10 مليار متر مكعب سنويا واینال لمدة 8 سنوات بكميات 3 مليار متر مكعب كل عام.

كما أبرمت البرتغال مع الجزائر عقد تجديد عبر شركتها غالب لمدة 8 سنوات بـ 3 مليار متر مكعب في السنة. كما تم تحديد عقد آخر لإنجي الفرنسية في نوفمبر 2019 باستيراد الغاز المسال لـ

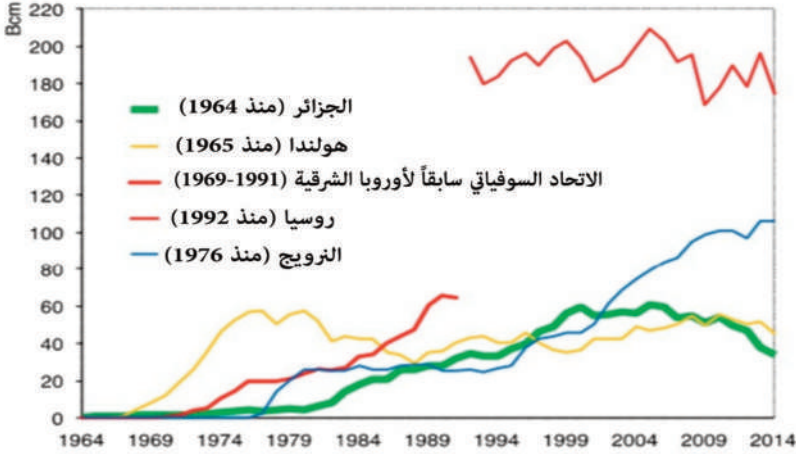
<sup>23</sup> عبد الوهاب بن خليف، جيوستراتيجية العلاقات الدولية المتغيرات القواعد والأدوار، طبعة أولى، (الجزائر: دار قرطبة، 2016)، ص 214.

<sup>24</sup> <http://www.echoroukonline.com>



4 سنوات ب 1,4 مليار متر مكعب سنويا. وتوريد الغاز الطبيعي عبر خطوط الأنابيب الرابطة بين إيطاليا وإسبانيا نحو فرنسا لمدة 3 سنوات بكميات تصل 500 مليون متر مكعب سنويا.

### شكل: أهم موردي الغاز الطبيعي إلى دول الاتحاد الأوروبي<sup>25</sup>



وحسب الشكل السابق فإن الجزائر تعد من الممولين الرئيسيين لدول الاتحاد الأوروبي في مجال الغاز الطبيعي، ويعد سعر الغاز الجزائري أرخص مقارنة بالغاز الروسي أو النرويجي أو الإيراني الذي تستورده أوروبا.

وما يزيد من أهمية الجزائر بالنسبة لأوروبا في مجال الطاقة هو تزايد الاستهلاك الأوروبي للطاقة، فهو يعد ثاني أكبر سوق في العالم، ويستهلك 16.4% من الطاقة العالمية بعد الولايات المتحدة الأمريكية التي تستهلك ما نسبته 26%، كما أن أوروبا ورغم إنتاجها من الغاز والفحم، فإنها تعتمد على بنسبة كبيرة على الاستيراد من الخارج وهو ما يضعها في حالة تبعية طاقوية<sup>26</sup>.

ترتكز العلاقات الجزائرية-الأوروبية في مجال الطاقة على أهداف وغايات متباينة اقتصاديا وسياسيا واستراتيجيا، فالطرف الأوروبي يسعى إلى تحقيق أمنه الطاقوي خاصة في ظل التحديات التي يواجهها بفعل الأزمات التي يشهدها سوق الطاقة العالمي، والتحديات التي باتت تواجه دول الاتحاد بعد الأزمة الأوكرانية- الروسية، وتأزم العلاقات الروسية الأوروبية.

كما أن الاتحاد الأوروبي يسعى إلى تفعيل دوره الدولي والإقليمي في ظل الضغوطات الأمريكية والمنافسة الصينية، ودول إقليمية أخرى في مجال الاستثمارات الطاقوية، كما يسعى إلى ضمان تأمين الإمدادات الطاقوية من مصادر موثوقة، خاصة في ظل الأزمات التي تشهدها الدول المنتجة والمصدرة لها، وهو ما يهدد الأمن الطاقوي لدول الاتحاد. وتعد الجزائر من الدول التي يسعى الاتحاد الأوروبي

<sup>25</sup> حاتم غندير، الانتقال الطاقوي في الجزائر، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط الإلكتروني: <http://studirs.aljazeera.net/ar/article/4683>

<sup>26</sup> دالع وهيبية، مرجع سابق، ص 99.



للاعتقاد عليها في تأمين جزء مهم من احتياجاته الطاقوية، بحكم ثقته في الطرف الجزائري، فالجزائر تعتبر "دولة مسؤولة" وتفي بالتزاماتها الدولية رغم الخلافات أو التوترات، وهذا ما يلاحظ في كثير من المحطات، فالعلاقات الجزائرية الفرنسية كثيرا ما تعرف تجاذبات سياسية وتوترات، لكنها هذا لم تؤثر على التزام الجزائر بواجباتها وفق ما هو مبرم من اتفاقيات في مجال تزويد فرنسا بالطاقة، وكذلك بالخلاف السياسي مع إسبانيا بعد دعم الحكومة الإسبانية بقيادة بيدرو سانشيز المقترح المغربي بالحكم الذاتي في قضية الصحراء الغربية، ومع ذلك استمر إمداد إسبانيا بالطاقة وفق الاتفاقيات المبرمة مسبقا.

وهذا عكس روسيا مثلا التي تعمل على توظيف ورقة الطاقة في مواجهة دول الاتحاد الأوروبي، فكثيرا ما استخدمت هذه الورقة للضغط السياسي على دول الاتحاد الأوروبي في ظل التجاذبات التي تعرفها العلاقات الروسية مع الدول الأوروبية والدول الغربية بصفة عامة.

وفي مقابل ذلك للجزائر كذلك أهداف اقتصادية منها تأمين الطلب والمحافظة عليه أو زيادة حصتها في السوق الأوروبية لتصدير منتجاتها الطاقوية، باعتبار أن السوق الأوروبية تعد أكبر الأسواق الطاقوية للجزائر وحاجة الجزائر للعملة الصعبة من عائدات التصدير، لأن الطاقة تحتل نسبة كبيرة جدا في الدخل الوطني الجزائري، كما تعمل الجزائر على الاستفادة من الخبرات الأوروبية في المجال الطاقوي خاصة مجال الطاقات المتجددة لزيادة الإنتاج، لتغطية الطلب المحلي المتزايد والتصدير نحو أوروبا والأسواق المجاورة.<sup>27</sup>

### ثانيا: دبلوماسية الطاقة الجزائرية ولعبة المصالح

تحاول الجزائر مع القيادة السياسية الجديدة التي جاءت بعد حراك فيفري 2019 تبني سياسة خارجية نشطة وواقعية وأكثر براغماتية، من خلال الاستثمار في مكونات القوة للدولة والتي من بينها الموارد الطاقوية، التي تجعلها تحتل مكانة مهمة عالميا ورائدة إقليميا، خاصة في ظل علاقاتها مع دول الجوار الأوروبي والمتوسطي، فمع العمل على تنويع الصادرات والخروج من دائرة التبعية للمحروقات كمصدر أساسي للدخل القومي، وبالتالي تحرير الأمن الاقتصادي للبلاد من المحروقات، تسعى السلطة السياسية على المستوى الخارجي للتأسيس لدبلوماسية فاعلة وعقلانية، تعمل على تعزيز المصالح القومية وبناء علاقات خارجية على أساس المنافع المتبادلة، في إطار معادلة علاقة رابح-رابح.

وبناءً على هذا الأساس نلاحظ أن الدبلوماسية الجزائرية تشهد نوعا من الاختلاف على ما كانت عليه سابقا في علاقاتها الخارجية، ولعل الأزمة الأوكرانية-الروسية قد أتاحت بعض الفرص وهامش الحركة للجزائر في توظيف ملف الطاقة في علاقاتها مع الدول الأوروبية، رغم الضغوطات التي تمارسها القوى الكبرى عليها، ورغم التحديات التي بات يفرضها المشهد الدولي عليها. فتأزم العلاقات الأوروبية مع روسيا بفعل التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا وتوظيف روسيا لملف الطاقة في

<sup>27</sup> نفس المرجع، ص 100.

مواجهة الدول الأوروبية، بحيث تعتبر روسيا ممولا رئيسيا لأوروبا بالطاقة، وهذا ما دفع بالدول الأوروبية إلى بناء سياسات لمحاولة الخروج من التبعية الطاقوية لروسيا، فاتجهت للتفاوض مع الدول المنتجة والموردة للطاقة ومن بينها الجزائر، التي تعتبر خيارا مهما لعدة اعتبارات ذكرناها سابقا.

وفي هذا الإطار يجب الإشارة إلى أن الجزائر واجهت ضغوطات كبيرة في ملف تمويل أوروبا بكميات إضافية من الغاز لتعويض الغاز الروسي، لكن الجزائر تسعى لضمان مصالحها الاقتصادية والسياسية من جهة مع دول الاتحاد الأوروبي من خلال ضخ مشاريع جديدة كمشروع خط الطاقة الجديد الذي سيتم بناؤه ليربط الجزائر بإيطاليا ويجعلها محطة لتزويد أوروبا بالغاز الجزائري، لكن في نفس الوقت لا تريد الجزائر أن تمس بمصالحها وعلاقاتها الاستراتيجية مع روسيا، فروسيا تعتبر شريكا استراتيجيا للجزائر، تتوافق معها في كثير من الرؤى تجاه القضايا العالمية، كما أنها تعد للمول الأساسي للتسلح الجزائري، بحيث تعتمد الجزائر على روسيا في مجال التسلح والدفاع منذ الاستقلال. فنجد روسيا تحاول الضغط على دول الاتحاد الأوروبي وابتزازها سياسيا مقابل تمويلها بالطاقة خاصة الغاز، خاصة في ظل احتدام الصراع بين روسيا والغرب بقيادة الناتو والولايات المتحدة الأمريكية، في المقابل تسعى الدول الأوروبية لإيجاد بدائل لتعويض الغاز الروسي، وبالتالي لعب ورقة رابحة ضد روسيا في إطار الصراع القائم حاليا على الأراضي الأوكرانية. ومن بين هذه البدائل كما ذكرنا هي الجزائر.

### ثالثا: الجزائر ودبلوماسية العقاب الطاقوي

يمكن القول أن الجزائر وظفت دبلوماسية العقاب في مجال الطاقة تجاه إسبانيا والمغرب الأقصى، فبعد التوترات التي شهدتها العلاقات الجزائرية المغربية في السنوات الأخيرة نتيجة السياسات العدوانية للمغرب تجاه الجزائر، ومع تطورات ملف الصحراء الغربية، قامت الجزائر برد فعل تجاه المغرب باتخاذ جملة إجراءات تدخل في خانة العقاب كغلق المجال الجوي وقطع العلاقات الدبلوماسية، كما وظفت الطاقة في الضغط على المغرب برفض تجديد عقد أنبوب الغاز المغربي، الذي كان يمر من الجزائر ويعبر الأراضي المغربية لتتال حصه منه بأسعار تفضيلية ليصل إلى إسبانيا ومنه إلى أوروبا، مقابل بقاء تشغيل خط يربط الجزائر مباشرة بإسبانيا لكن بطاقة ضخ أقل.

فالجزائر بهذا مارست الضغط على المغرب خاصة في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع المغربي، كما عاقبت إسبانيا بتطوير العلاقات الجزائرية الإيطالية على حساب إسبانيا، وجعل إيطاليا مركز تموين طاقوي لأوروبا انطلاقا من الجزائر، وهذا بسبب موقف إسبانيا من قضية نزاع الصحراء الذي يخدم استراتيجية النظام المغربي على حساب الجزائر.

### خاتمة

في ختام الورقة البحثية يمكن عرض أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال دراسة وتحليل دور متغير الطاقة في العلاقات الجزائرية الأورومتوسطية، وهي كالآتي:

- أن الدبلوماسية الجزائرية في الفضاء الأورومتوسطي تركز على جملة من المحددات الجيوسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، وتبنى السياسة الخارجية الجزائرية على جملة مبادئ صاغتها سياقات التاريخ الجزائري الحديث في محطاته المختلفة، ومن هذه المبادئ والأسس نجد احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، حسن الجوار الإيجابي، وتنمية العلاقات الودية بين الدول والشعوب، والتضامن مع القضايا العادلة ودعم حق الشعوب في تقرير المصير والتحرر السياسي والاقتصادي ومناهضة كل أشكال التمييز العنصري، واحترام الشرعية الدولية في إطار تبني مبادئ وأهداف ميثاق منظمة الأمم المتحدة ودعم التعاون الدولي في إطار المنظمات الدولية المختلفة، دعم السلم والأمن الدولي والمشاركة فيه، ورفض استخدام القوة والعدوان والاعتداء، وتسوية النزاعات بالطرق والوسائل السلمية، وغيرها من المبادئ التي تعد من الثوابت الموجهة للسلوك السياسي الخارجي للجزائر.

- تمتلك الجزائر موارد طاغوية مهمة من نفط وغاز وطاقات متجددة، جعلها تحتل مراتب متقدمة عالميا وإقليميا في مجال المحروقات سواء من حيث حجم الاحتياطات أو الإنتاج والتصدير، وهو ما يمنحها ورقة مهمة توظفها دبلوماسيا خاصة في الفضاء الأورومتوسطي الذي هو السوق الأساسي للموارد الطاغوية الجزائرية.

- ما يلاحظ هو أن الجزائر لم تكن تستثمر كما يجب في توظيف المتغير الطاغوي في علاقاتها الأورومتوسطية لعدة عوامل وأسباب، لكن مؤخرا عمدت الجزائر إلى توظيف مواردها الحيوية لتعزيز مصالحها القومية في علاقاتها الخارجية ومنها الموارد الطاغوية، خاصة بعد التحولات التي يشهدها العالم بعد الأزمة الأوكرانية، ونشطت الجزائر دبلوماسيتها الطاغوية مع شركائها وزبائنهم مغاربيا وأوروبيا.

- تعتبر الجزائر دولة مسؤولة تجاه التزاماتها الخارجية في إطار ما أبرم من اتفاقيات في مجال الطاقة خاصة النفط والغاز، لكنها أصبحت توظف البعد الطاغوي في تحقيق مكاسب وطنية اقتصادية وسياسية، وهذا من خلال تعزيز شراكاتها مع الدول الصديقة كإيطاليا، من خلال الاتفاق على إقامة مشروع أنبوب طاغوي جديد يربط البلدين، ويجعل من إيطاليا مركز توريد طاغوي لأوروبا، في المقابل تراجع المبادلات والمشاريع الطاغوية مع دول تصنف حاليا بغير الصديقة كإسبانيا والمغرب من خلال عدم تجديد اتفاقية أنبوب (المغرب العربي-أوروبا GME) بعد التوترات والخلافات السياسية التي شهدتها العلاقات الجزائرية مع هذه الدول.

تواجه دبلوماسية الطاقة الجزائرية عدة تحديات ورهانات في الفضاء الأورومتوسطي، منها ما هو خارجي اقتصادي وسياسي وأمني كالمنافسة الخارجية في مجال الطاقة، أو الصراعات الدولية المسلحة، وما يقابلها من ضغوطات سياسية على الجزائر "تأثير الأزمة الأوكرانية على العلاقات الجزائرية الروسية والعلاقات الجزائرية الغربية"، وتحديات داخلية متعلقة بتزايد الطلب والاستهلاك المحلي من الطاقة وتحدي تحقيق الانتقال الطاغوي نحو الطاقات المتجددة، وهي تحديات ورهانات استراتيجية تحدد معالم الدبلوماسية الطاغوية للجزائر مستقبلا.



# مستقبل النزاع الطاقوي في شرق البحر المتوسط

أ.د. ناجي محمد الهتاش\*

## ملخص

يوما بعد يوم تزداد الأهمية الجيوسياسية للبحر المتوسط، وفي ظل الاكتشافات الهيدروكربونية الكبيرة في منطقة شرق المتوسط، والتي ستكون مستقبلا مصدرا عالميا مهما للعالم بشكل عام ولأوروبا بشكل خاص، خاصة تلك المتعلقة بالغاز التي اكتشف منه كميات كبيرة في عدد كبير من المواقع في مياه البحر، مع احتياطيات كبيرة قدرت بأكثر من (122) تريلون قدم مكعب، قد تجعلها في مقدمة المناطق العالمية الطاقوية، فضلا عن سهولة النقل سواء البحري منه أم عن طريق الأنابيب.

وبسبب المشاكل الحدودية البحرية بين دول المنطقة كل من تركيا، مصر، اليونان، قبرص، ليبيا، وإسرائيل، وعدم التوصل إلى تفاهات بشأنها، فقد شهدت المنطقة العديد من التصرفات التي تعد بمثابة استفزاز بين الأطراف، فبعد الاتفاقية التي توصلت إليها تركيا مع حكومة الوفاق الليبي في العام 2019، وتأسيس ما يعرف بالمنطقة التجارية الخالصة (EEZ)، أقدمت مصر من جانبها على الدخول في اتفاقية تجارية مع اليونان، وإنشاء ما يعرف بمنتدى غاز شرق المتوسط (EMGF) مع اليونان، إسرائيل، قبرص، إيطاليا، الأردن، وفلسطين. واتفاقيات ثنائية لمصر مع قبرص واليونان وإسرائيل.

إن ملف الخلاف الرئيسي في منطقة شرق المتوسط يتعلق بالحدود البحرية للمناطق الاقتصادية الخالصة لدول المنطقة، سيما أن هناك ثلاث دول لم توقع على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار هي تركيا، وإسرائيل، وسوريا، وهذه الاتفاقية هي التي يتم بمقتضاها تعيين الحدود البحرية للدول. يضاف إليه اعتراض تركيا على ما أقرته معاهدة لوزان بشأن منح اليونان مناطق بحرية تركية، وكذلك وجود صراعات متجددة بين دول المنطقة حول الحدود البرية بالأساس، وهذا زاد من صعوبة تحديد الحدود البحرية. يضاف إليها النشاطات العسكرية الملحوظة خاصة بين مصر وتركيا، مما يعطي رسائل تنذر بخطر تفجر الوضع في هذه المنطقة.

تتمثل مشكلة ورقة البحث في سؤال جوهري هو: ما هو تأثير الاكتشافات الطاقوية الهيدروكربونية في منطقة شرق البحر المتوسط في موضوع ترسيم الحدود بين دول المنطقة، وهل سينحدر الصراع في هذه المنطقة إلى المواجهة العسكرية؟

**الكلمات المفتاحية:** شرق البحر المتوسط، الطاقة، الصراع، تركيا، مصر، اليونان.

\* جامعة تكريت-كلية العلوم السياسية.

<sup>1</sup> وحدة تحليل السياسات في المركز، الآثار الجيوسياسية لاكتشافات الغاز الإسرائيلية في شرق المتوسط، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2012، ص1.

# Prospects of energy conflict in the eastern Mediterranean

Prof. Dr. Naji Muhammad Al-Hatash

## Abstract

Day by day, the geopolitical importance of the Mediterranean is increasing, and in light of the large hydrocarbon discoveries in the eastern Mediterranean region, which in the future will be an important global resource for the world in general and for Europe in particular, especially those related to gas, of which large quantities were discovered in a large number of locations in sea waters. With large reserves estimated at more than (122) trillion cubic feet, it may make it at the forefront of the global energy regions, in addition to the ease of transportation, whether by sea or through pipelines.

Because of the maritime border problems between the countries of the region, Turkey, Egypt, Greece, Cyprus, Libya, and Israel, and the failure to reach an understanding regarding them, the region witnessed many actions that amounted to provocation between the parties. After the agreement reached by Turkey with the Libyan Government of National Accord In the year 2019, and the establishment of what is known as the Exclusive Trade Zone (EEZ), Egypt, for its part, entered into a trade agreement with Greece and established what is known as the Eastern Mediterranean Gas Forum (EMGF) with Greece, Israel, Cyprus, Italy, Jordan, and Palestine. Egypt has bilateral agreements with Cyprus, Greece, and Israel.

The main dispute file in the eastern Mediterranean region is related to the maritime borders of the exclusive economic zones of the countries of the region, especially since there are three countries that are not signatories to the United Nations Convention on the Law of the Sea, which are Turkey, Israel, and Syria, This agreement is the one under which the maritime borders of countries are determined, in addition to Turkey's objection to what was approved by the Treaty of Lausanne regarding granting Turkish regions to Greece, as well as the existence of deep-rooted conflicts between the countries of the region over the land borders mainly, this made it more difficult to define the maritime borders. In addition to the remarkable military activities, especially between Egypt and Turkey, which sends messages warning of the danger of an explosive situation in this region.

The problem of the research paper is represented in a fundamental question: What is the impact of the hydrocarbon energy discoveries in the eastern Mediterranean region on the issue of demarcating the borders between the countries of the region, and will the conflict in this region descend into a military confrontation?

**Keywords:** Eastern Mediterranean, energy, conflict, Turkey, Egypt, Greece.

## المقدمة

الفرضية التي تحاول الورقة البحثية اثباتها هي ان الخلافات السياسية هي السبب الأكبر في تفاقم هذه النزاعات الحدودية البحرية، وان هناك آليات ضابطة لإيقاع هذه النزاعات منها المصالح القومية لكل طرف، والدور الأمريكي في عدم السماح لتصاعد هذه النزاعات ووصولها إلى حافة الحرب، كون الطرف الأمريكي قريب وحليف لكل الأطراف، اضافة إلى ذلك أهمية غاز هذه المنطقة الواعدة لأوروبا في ظل استمرار الحرب الروسية-الأوكرانية.

تقسم الورقة البحثية إلى:

أولاً: مكامن الطاقة في شرق المتوسط.

ثانياً: مواقف الدول الطاقوية.

ثالثاً: السيناريوهات المستقبلية للنزاع الطاقوي في شرق المتوسط.

### أولاً- مكامن مصادر الطاقة في حوض شرق المتوسط

يعد حوض شرق البحر المتوسط أحد أهم ثلاثة أحواض في هذا البحر إلى جانب الحوض الغربي وهو خاص بدول أوروبية، والحوض الأوسط ويضم دول أوروبية ودولة واحدة في شمال افريقيا وهي ليبيا. أما موضوع بحثنا وهو الحوض الشرقي فيضم الدول المطلة على البحر المتوسط شرق خط طول (20)، وهي تركيا، مصر، سوريا، لبنان، فلسطين، ليبيا، اليونان، قبرص، وإسرائيل. وقدرت هيئة المسح الجيولوجي الأميركية في العام 2010 ان المنطقة تتوافر على احتياطي متوسط يقدر ب(122) تريليون قدم مكعب من مصادر الغاز قابل للاستخراج، وقد يصل إلى (227) تريليون قدم مكعب، ومتوسط من النفط غير مكتشف يقدر ب (1,7) مليار برميل من النفط، وقد يصل إلى (3,7) مليار برميل<sup>1</sup> فيما أشارت تقديرات أخرى إلى ان مخزون الغاز قد تصل إلى (345) تريليون قدم مكعب<sup>2</sup> سيجعلها تتوافر على (41 %) من احتياطي الغاز في العالم<sup>3</sup>

يتألف حوض شرق البحر المتوسط من حوضين هما حوض الشام وتبلغ إجمالي الاحتياطيات (3450) مليار متر مكعب غاز ومليار ونصف برميل نفط، وحوض الدلتا وتبلغ الاحتياطيات فيه (6318) مليار متر مكعب من الغاز وأكثر من مليار ونصف برميل نفط<sup>4</sup> وان الطلب على غاز هذه المنطقة يتجاوز الامدادات بأكثر من (40) مليار متر مكعب سنويا، مع احتمالية زيادة الكمية بأكثر من الضعف بحلول العام 2025 حسب تقديرات شركة نوبل إنرجي<sup>5</sup>

<sup>2</sup> امينة رياحي، البلوك 9و4 والرهانات الأمنية الطاقوية للشرق الأوسط مقارنة مع القوقاز، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد 12، جوان، 2019، ص149.

<sup>3</sup> سلوى السعيد فراج، رشا عطوة عبد الحكيم ضبيش، انعكاس صراعات الغاز الجديدة على الأمن الإقليمي لمنطقة شرق المتوسط، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد 12، أكتوبر 2021، ص122.

<sup>4</sup> Rubin, Aviad and Ehad Eiran, The Eastern Mediterranean: Toward a Coordinated Maritime Security Environment, A paper presented at the 2019 ISA Meeting, Toronto ON, Canada,

<sup>5</sup> للمزيد من التفاصيل عن حقول الغاز ينظر: شادي سمير عويضة، استغلال الغاز الطبيعي في حوض شرق البحر المتوسط وعلاقته بالنفوذ الإسرائيلي في المنطقة، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2019)، ص75. عباد حكيمة، واقع أمن الطاقة في شرق المتوسط بعد الاكتشافات الحديثة للغاز الطبيعي بين الصراع والتعاون، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري-تيزي وزو، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2018-2019، ص46-56

### خريطة دول حوض شرق البحر المتوسط



### حقول الطاقة المكتشفة في منطقة شرق البحر المتوسط<sup>6</sup>

ت	الدولة	الحقل	الاحتياطي من الغاز الطبيعي
1	مصر	ابو ماضي	-
2	مصر	ابو قير	-
3	مصر	نوا وماري	32مليار م <sup>3</sup>
4	مصر	ظهر	849مليار م <sup>3</sup>
5	إسرائيل	تمارا	274مليار م <sup>3</sup>
6	إسرائيل	ليفائثان	620 مليار م <sup>3</sup>
7	إسرائيل	ماري بي	42.5مليار م <sup>3</sup>
8	إسرائيل	دولفين	2.3مليار م <sup>3</sup>
9	إسرائيل	شمشون	8.5مليار م <sup>3</sup>
10	إسرائيل	تائين	34
11	إسرائيل	كاريش	51
12	إسرائيل	رويي	90
13	قبرص	كالييسو	6-8 تريليون ق <sup>3</sup>
14	قبرص	غلافكوس	5-8 تريليون ق <sup>3</sup>
15	قبرص	كرونوس	2.5 تريليون ق <sup>3</sup>
16	قبرص	أفروديت	140 مليار م <sup>3</sup>
17	فلسطين	غزة مارلين	30مليار م <sup>3</sup>

<sup>6</sup> الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على مصادر: امينة رياحي ، البلوك 49 والرهانات الأمنية الطاقوية للشرق الأوسط مقارنة مع القوقاز، للمجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد 12، جوان، 2019، ص 146. علي حسين باكير، النزاع على الغاز في شرق البحر المتوسط ومخاطر اشتعاله، مركز الجزيرة للدراسات، 19 نيسان 2018. أحمد زكريا الياسوسي، تأثيرات تهديد أمن الطاقة على الصراع الدولي على الغاز الطبيعي : دراسة حالة منطقة حوض شرق البحر المتوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2018، ص ص 86-90. سلوى السعيد فراج، رشا عطوة عبد الحكيم ضبيش، انعكاس صراعات الغاز الجديدة على الأمن الإقليمي لمنطقة شرق المتوسط، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد 12، أكتوبر 2021، ص 125.



حقول الغاز المكتشفة في حوض شرق البحر المتوسط<sup>7</sup>



<sup>7</sup> <https://arabicpost.net/https://arabicpost.net/wp-content/uploads/2018/03/Cyprus-turkey-concesion-blocks-t-1.png>

## توزيع حقول الغاز في شرق البحر المتوسط<sup>8</sup>



## ثانيا- النزاعات الطاقوية في شرق البحر المتوسط

هناك نزاعات بحرية حدودية واضحة بين القوى الإقليمية في شرق البحر المتوسط. سبب هذا النزاع هو الخلاف حول تعيين المناطق الاقتصادية الخالصة للدول وحدودها البحرية وفق اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لسنة 1983<sup>9</sup>، وبموجبها تحصل الدول على (320) كم من السواحل، هذه الاتفاقية يعترها مشاكل في التطبيق لسببين جوهريين<sup>10</sup>:

<sup>8</sup> Michael Ratner, Natural Gas Discoveries in the Eastern Mediterranean, Congressional Research Service, USA, August 15, 2016, P2.<<https://fas.org/sgp/crs/mideast/R44591.pdf>>

<sup>9</sup> قسمت الاتفاقية البحار إلى: البحر الإقليمي 12 ميل بحري، المنطقة الاقتصادية الخالصة 200 ميل، والجرف القاري وأقصى حد يصله 350 ميل بحري. ينظر اتفاقية منظمة الأمم المتحدة على موقع المنظمة الرسمي. [http://www.un.org/depts/los/convention\\_agree\\_ments/texts/unclos/unclos\\_a.pdf](http://www.un.org/depts/los/convention_agree_ments/texts/unclos/unclos_a.pdf)

<sup>10</sup> زعيم علي جمال الدين الغنم، الصراعات الدولية والإقليمية على الغاز الطبيعي بمنطقة شرق المتوسط (2009-2019)، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والسياسية، المجلد 7، العدد 14، يوليو 2002، ص 578.

الأول: التداخل في المناطق ومطالبة كل دولة فيها بسبب الطبيعة الجغرافية والجيولوجية للمياه الذي تتميز بالتقعر.

الثاني: عدم توقيع كل من تركيا، وسوريا، وإسرائيل على الاتفاقية.

وقد عملت بعض القوى على حل خلافاتها الحدودية من خلال عقد الاتفاقيات الثنائية وتعيين المناطق الاقتصادية الخاصة.

## 1- النزاعات الحدودية:

قبل ان يكون هناك نزاع على مكامن الطاقة في حوض شرق المتوسط، لا ننسى ان هناك صراعا موروثا تاريخيا بين دول الحوض فالأطراف العربية لها صراع طويل مع إسرائيل يعد من أطول الصراعات في تاريخنا المعاصر ذلك هو الصراع العربي-الإسرائيلي، وهناك صراع آخر بين اليونان وتركيا في قبرص ولا يخلو هذان الصراعان من تدخل القوى العالمية الكبرى فيه. فضلا عن التوترات الحديثة في علاقات بعض دول المنطقة نتيجة الخلافات السياسية، ونقصد هنا التوتر في العلاقات المصرية-التركية، وقد ألقى كل هذا بظلاله على النزاعات الحدودية بين هذه الأطراف نجده واضحا على مسألة ترسيم الحدود البحرية وحقوق التنقيب على مكامن الطاقة في مياه شرق البحر المتوسط، وفيما يأتي تفاصيلها بإيجاز:

أ- النزاع القبرصي-التركي: كان للارث التاريخي، وتقسيم جزيرة قبرص الدور الكبير في استمرار الخلافات السياسية والحدودية بين تركيا وقبرص (اليونانية) المعترف بها دوليا، إذ تعارض تركيا اتفاقيات المناطق الاقتصادية التي وقعتها الحكومة القبرصية مع الدول الأخرى، ولم تعترف بها، كون تركيا غير موقعة على اتفاقية الأمم المتحدة للبحار وترى تركيا أولا ضرورة تسوية سياسية للقضية القبرصية بين القبارصة الأتراك، والقبارصة اليونانيين قبل الشروع باستغلال الثروات المحتملة حفاظا على حقوق القبارصة الأتراك<sup>11</sup>. وهذا دفع تركيا لمنع قبرص اليونانية من التنقيب عن الغاز، إذ قامت سفن حربية تركية منع إحدى الشركات الإيطالية من ذلك عام 2018<sup>12</sup> كما تجد تركيا ان المنطقة الاقتصادية الخالصة التي حددتها قبرص تتداخل مع الجرف القاري التركي. وهذا دفع تركيا من جهتها أن تقوم بالاستكشافات الطاقوية نيابة عن جمهورية قبرص التركية المعترف بها تركيا فقط في المنطقة الاقتصادية الخالصة لقبرص بوجود قوة بحرية تركية، وهذا الأمر يثير كل من قبرص واليونان. ومن جانبها رفعت قبرص شكوى إلى الاتحاد الأوروبي كونها عضوا فيه، الأمر الذي دفع الاتحاد للتدخل كطرف ضد تركيا حتى ان هناك من يرى ان صراعا بين الاتحاد وتركيا في هذه المنطقة، وهي احد اسباب عدم ضم تركيا للاتحاد.

<sup>11</sup> وحدة تحليل الازمات، مصدر سبق ذكره ص28.

<sup>12</sup> Snyder, Xander, Turkey Tests the Waters Off the Coast of Cyprus, GPE 14 February 2018, <https://goo.gl/5nM5y9>.

ب- النزاع التركي-اليوناني: الوضع فيه من التعقيد بسبب الخلافات القديمة بينهما، وهذا انعكس بشكل كبير على موضوع الصراع على الطاقة في البحر المتوسط. فبالإضافة إلى الخلافات حول التنقيب والاستكشافات التركية في المنطقة الاقتصادية الخالصة لليونان، هناك خلاف أيضا بعدم اعتراف اليونان بالاتفاقية التركية مع حكومة الوفاق الليبية، إذ تجد اليونان ان في ذلك تجاهل للسيادة اليونانية واعتداء صريح على حقوقها البحرية وعلى حقوق قبرص<sup>13</sup>. وكرد فعل من قبل اليونان قامت في سبتمبر 2020 بنشر قوات اضافية قرب الجزر والمناطق المتاخمة لتركيا، نتيجة إرسال تركيا سفن المسح الزلزالي إلى الجزر والمنطقة الاقتصادية المحيطة بقبرص<sup>14</sup>.

من جهة أخرى ترى تركيا أن اتفاقية لوزان 1923 فيها اجحاف للحقوق التركية، كونها منحت اليونان أعداداً هائلة من الجزر الصغيرة، بعضها كان جزءاً من الدولة العثمانية، وأن ترسيم الحدود البحرية أو تحديد المناطق الاقتصادية الخالصة من خلال تطبيق اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار على هذه الجزر وهي كثيرة، يجعل شرق المتوسط بحيرة يونانية، لذا فهي تسعى إعادة ترسيم الحدود بشكل منصف لتحظى نصيباً من مصادر الطاقة<sup>15</sup>.

ت- النزاع الإسرائيلي - التركي: هناك خلافات بسبب اعتراض إسرائيل على عمليات التنقيب التركية على مقربة من الحقول الغاز الإسرائيلية، ومن جانبها ترفض تركيا الاتفاقية الإسرائيلية-القبرصية بشأن عمليات التنقيب للدولتين.

ث- النزاع الفلسطيني- الإسرائيلي: تعترض إسرائيل بأحقية السلطة الفلسطينية التنقيب بحجة انها ليست دولة ذات سيادة، ومنحت إسرائيل السلطة الفلسطينية التنقيب بحدود (2,5) ميل بحري من أصل (20) ميل بحري<sup>16</sup>.

ج- النزاع الإسرائيلي-اللبناني: لم يكن هناك اتفاق نهائي لترسيم الحدود بين إسرائيل ولبنان بما فيها الحدود البحرية، الخلاف بين الدولتين يدور حول ترسيم المنطقة الاقتصادية للدولتين، وان الاتفاق الإسرائيلي-القبرصي حول مناطقهم الاقتصادية الخالصة فيها انتهاك للمياه الإقليمية اللبنانية، الأمر الذي دفع حزب الله اللبناني إلى تهديد عمليات التنقيب الإسرائيلية بالرد العسكري<sup>17</sup>.

<sup>13</sup> تقدير موقف، غاز شرق المتوسط: الأبعاد الاقتصادية والعسكرية، مركز الجزيرة للدراسات، 5 فبراير 2020، ص2.

<sup>14</sup> نيو إيسترن أوتلوك، من ولماذا يوجب المواجهة مع تركيا في شرق المتوسط؟، (ترجمات)، بغداد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 8 حزيران 2022، ص2.

<sup>15</sup> للمزيد ينظر: عباد حكيمة، واقع أمن الطاقة في شرق المتوسط بعد الاكتشافات الحديثة للغاز الطبيعي بين الصراع والتعاون، مصدر سبق ذكره، ص61.

<sup>16</sup> نديم علي جمال الدين الغنام، الصراعات الدولية والإقليمية على الغاز الطبيعي بمنطقة شرق المتوسط (2009-2019)، مصدر سبق ذكره، ص 579.

<sup>17</sup> للمزيد ينظر امينة رياحي، البلوك 4و9 والرهنات الأمنية الطاقوية للشرق الأوسط مقارنة مع القوقاز، مصدر سبق ذكره، ص154. أحمد زكريا الباسوسي، تأثيرات تهديد أمن الطاقة على الصراع الدولي على الغاز الطبيعي، مصدر سبق ذكره، ص 106.

ح- النزاع الإسرائيلي- القبرصي: رغم الاتفاقية الثنائية بين الجانبين حول تعيين المنطقة الاقتصادية الخالصة، إلا أن هناك خلاف حول امتدادات حقلي أفروديت القبرصي، ويشاي الإسرائيلي المشترك، والذي يقع معظمه في المياه الاقتصادية لقبرص وجزء صغير منه قرابة سواحل فلسطين وتسيطر عليه إسرائيل<sup>18</sup>. المباحثات مستمرة بين الطرفين لإنهاء الخلاف.

خ- الخلاف المصري-التركي: كان للخلافات السياسية بين الطرفين تأثير كبير على الوضع بين البلدين في شرق المتوسط، إذ رفضت مصر من جانبها الاتفاقية التركية-الليبية، إذ ترى مصر في الدعم العسكري للحكومة الليبية تهديد للامن المصري<sup>19</sup>، وعلى ما يبدو كرد فعل قامت مصر من جانبها توقيع اتفاقية للمنطقة الاقتصادية الخالصة مع اليونان عام 2020، وتأسيس منتدى غاز شرق المتوسط ردا على الاتفاقية الاقتصادية الخالصة التركية-الليبية. ويرى الباحث أن الوضع بين البلدين ليس نزاعا وإنما خلافات أساسها سياسية بين النظامين، بدليل أن الاتفاقية التركية-الليبية تضيف لحدود مصر الاقتصادية البحرية بحدود (35 ألف كم<sup>2</sup>)<sup>20</sup> وتأكيدا على أن الخلاف بين البلدين سياسي بحت، اعترف وزير الخارجية المصري سامح شكري أن مصر تعارض الاتفاقية التركية-الليبية رغم أنها لا تمس حقوق مصر، كما أن المسؤولين المصريين والاعلام المصري لم يتحدث قط عن أن هذه الاتفاقية فيها انتهاك للحقوق المصرية أو أنها استولت على مياه إقليمية مصرية<sup>21</sup>.

خلاصة القول هنالك توجس إقليمي بين دول شرق المتوسط، إذ أن بعضها ترى أن تركيا توجهها لتكون هي القوة الإقليمية الرئيسية في الحوض، والمركز الرئيس لعبور مصادر الطاقة من الشرق إلى الغرب من خلال مرتكزين، الأول: النهضة العسكرية-الصناعية والاستفادة من الموقع الجغرافي، والثاني: مبدأ الوطن الأزرق ورسم حدود المياه الإقليمية والجرف القاري، والمنطقة الاقتصادية الخالصة لتركيا في البحار المطلة عليها وبمساحة (462 ألف كم<sup>2</sup>)، لذا كان هناك أشبه بمحور أو تحالف سياسي وعسكري - امني بين مصر واليونان، وقبرص وحتى إسرائيل ضد التوجهات التركية.

ومن وجهة النظر التركية، تجد تركيا أن مصالحها الاستراتيجية الأساسية في المنطقة مهددة من جانب جيرانها وتشعر بالقلق من زيادة التنسيق في ما بينهم، وفي المقابل وكرد فعل لتأمين أمن الطاقة، استمرت تركيا بأنشطة البحث والتنقيب في شرق البحر الأبيض المتوسط، وهناك مخاوف من استخدام أمن الطاقة ذريعة لممارسة "دبلوماسية الزوارق الحربية"<sup>22</sup>. عموما أن تركيا لا تريد تهميشها من قبل الآخرين وابعادها عن مسألة مستقبل الطاقة في شرق المتوسط وهي تعرف قدر نفسها كونها من الدول المهمة لعبور مصادر الطاقة على المستوى الدولي.

<sup>18</sup> "إسرائيل" وقبرص نحو حل خلاف حقل الغاز البحري. <https://hodhodpal.com/post/70433/>

<sup>19</sup> بلال شاكر الرشيدة، فاطمة هارون العمارات، الصراع التركي اليوناني في شرق المتوسط ودور الأطراف الإقليمية، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة تكريت، العدد 24، 2021، ص387.

<sup>20</sup> تقدير موقف، غاز شرق المتوسط: الأبعاد الاقتصادية والعسكرية، مركز الجزيرة للدراسات، مصدر سبق ذكره، ص4.

<sup>21</sup> مصر وتركيا واليونان وإسرائيل... أهدافها الحقيقية من صراع شرق المتوسط مختلفة عما يُعلن.

<https://arabicpost.net/تحليلات/صراع-شرق-المتوسط/12/08/2020>

<sup>22</sup> نورشين أتش أغلو، ويشنة كوركماز، محور التحالف الجديد شرق المتوسط واتفاقيات إبراهيم، مجلة رؤية تركية، شتاء 2021، ص16.



## 2- التحالفات والتفاهمات:

في إطار النزاعات الحدودية والصراع والتنافس الطاقوي في حوض شرق المتوسط، هناك أيضا تعاون بين أطراف على حساب أطراف أخرى، هذا التعاون الذي ربما يرتقي إلى التحالف مؤشر على وجود حالات النزاع الحدودي وبالتالي النزاع على مكامن الطاقة وخاصة الغاز في المنطقة، لذا عمدت بعض الدول على تسوية نزاعاتها الحدودية بترسيم الحدود بينها، بمعنى اتفاقيات ثنائية منها اتفاقية ترسيم الحدود البحرية المصرية-القبرصية 2013، والاتفاقية اللبنانية-القبرصية 2007، الاتفاقية القبرصية-الإسرائيلية 2010<sup>23</sup> وكذلك اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين تركيا وليبيا. فضلاً عن منتدى غاز شرق المتوسط (EMGF) الذي تأسس عام 2019 من كل من مصر، اليونان، قبرص، إسرائيل، إيطاليا، الأردن، فلسطين، لتنسيق المواقف وتسوية الخلافات بشأن الحدود وحقوق الغاز المشتركة، وتم استبعاد تركيا وليبيا منه، وكأنه تحالف طاقوي ضد تركيا رداً على سياسة تركيا في المنطقة في قبرص وليبيا.

أ- الاتفاقية اليونانية-القبرصية-المصرية: وقعت مصر اتفاقية ترسيم الحدود مع قبرص اليونانية عام 2003<sup>24</sup>، واتفاقية في عام 2013 لتقاسم الموارد الهيدروكربونية، والتوقيع على اتفاقية المنطقة الاقتصادية الخالصة 2020<sup>25</sup>. التقارب بين هذه الدول أكثر من التعارض والتصادم، بل ان قبرص اليونانية تحاول الاستقواء من علاقتها بمصر ضد تركيا، فضلا عن وجود مقومات سياسية، اقتصادية، وعسكرية بين هذه الدول كالمناورات والتدريبات البحرية والجوية، ومنها مناورات ميدوزا منذ العام 2014 ولحد الان.

ب- الاتفاقية الإسرائيلية- القبرصية: اتفاقية ترسيم الحدود البحرية عام 2010<sup>26</sup> اضافة إلى الاتفاقيات، هناك تعاون عسكري دفاعي إسرائيلي-يوناني-قبرصي لحماية الموانئ ومنشآت الطاقة.

ت- الاتفاقية اللبنانية- القبرصية: اتفاقية ترسيم الحدود البحرية عام 2007.

## ثالثا- السيناريوهات المستقبلية للنزاع الطاقوي في شرق المتوسط

هناك جملة عوامل سيكون لها دور بمستقبل الوضع في حوض شرق المتوسط وموارد الطاقة فيه وهي بإيجاز:

- الدور الأمريكي والأوروبي في اقليم شرق حوض المتوسط

- الإرث التاريخي والصراعات بين دول الحوض

<sup>23</sup> ينظر شادي سمير عويضة، مصدر سبق ذكره، ص 90.

<sup>24</sup> أحمد زكريا الباسوسي، تأثيرات تهديد أمن الطاقة على الصراع الدولي على الغاز الطبيعي: دراسة حالة منطقة حوض شرق البحر المتوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2018، ص96.

<sup>25</sup> ينظر أحمد عبد الرحمن خليفة، موقع مصر في التفاعلات الإقليمية والدولية الغازية بعد اكتشافات شرق المتوسط، مركز اركان للدراسات والابحاث والنشر، ص10. [www.arkan-srp.com](http://www.arkan-srp.com)

<sup>26</sup> احمد زكريا الباسوسي، مصدر سبق ذكره. ص 95.

- العلاقات السياسية البينية بين دول الحوض

- الحرب الروسية-الأوكرانية

وبناء على هذه العوامل يمكن رسم صورة استشرافية لمستقبل النزاع في المنطقة.

## 1- مشهد الاستقرار

وفيه يشهد الحوض استقرارا وان كان حذرا، والابتعاد عن كل من شأنه التصعيد للتصادم، نتيجة المعطيات التالية:

- حاجة أوروبا الملحة لمصادر الطاقة، إذ تشير التقديرات إلى زيادة في حاجة أوروبا للغاز إلى أكثر من 80% في منتصف العام 2030، وهذا سيدفع أوروبا إلى إيجاد مصادر جديدة للغاز الطبيعي<sup>27</sup> يمكن ان يعوض غاز حوض شرق المتوسط جزء من احتياجاتها نتيجة قطع الغاز الروسي. لذلك من أولويات الاتحاد الأوروبي تعزيز أمن الطاقة وتنويع مصادره، إذ سيسهم غاز شرق المتوسط من تقليل الاعتماد على الغاز الروسي.

- بما أن الولايات المتحدة حليفة لكل دول الحوض، فيمكن استغلال ذلك في التأثير بضرورة تسوية الخلافات بين الأطراف. وفي هذا الصدد كان الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب حذر رئيس الحكومة اليونانية من صدام عسكري قد يخسره مع تركيا، وفي ذات الوقت اتصل بالرئيس التركي هاتفيا ودعاها إلى عدم التصعيد مع اليونان والعمل على حل الخلافات بين البلدين<sup>28</sup> ومن جهة أخرى وقبل انفجار الازمة الأوكرانية كانت هناك معارضة للرئيس الأمريكي ترامب لمشروع نورد ستريم 2 لنقل الغاز الروسي إلى ألمانيا وأوروبا<sup>29</sup>.

- استمرار الحرب- الروسية-الأوكرانية، واستمرار ازمة الطاقة في أوروبا.

- إمكانية ان تشهد العلاقات المصرية-التركية تحسن على خلفية لقاء الرئيسان المصري والتركي في قطر خلال بطولة كأس العالم لكرة القدم.

- بدأت بعض الدول تسوية خلافاتها (إسرائيل-قبرص)، وتدخل امريكي لحل الخلافات بين إسرائيل ولبنان.

- نجاح جهود الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي في إعادة توحيد شطري جزيرة قبرص، او تهدئة الوضع فيها، استكمالاً لا عادة التوحيد. من جانبها تركيا تأمل من ان يشكل اكتشاف الغاز حافزا لإنجاز توحيد الجزيرة وليس العكس.

<sup>27</sup> عباد حكيم، واقع أمن الطاقة في شرق المتوسط بعد الاكتشافات الحديثة للغاز الطبيعي بين الصراع والتعاون، مصدر سبق ذكره، ص77.

<sup>28</sup> تقدير موقوف، غاز شرق المتوسط: الأبعاد الاقتصادية والعسكرية، مصدر سبق ذكره، ص4.

<sup>29</sup> Bassam Fattouh, The Geopolitics of East Med Gas: Hyped Expectations and Hard Realities, The Oxford Institute For Energy Studis, University of OXFORD, June 2019.

- هناك من الباحثين المتخصصين في شؤون الطاقة من يرى ان هذه الاستكشافات الطاقوية ممكن أن تؤسس لعلاقات مستقرة في المنطقة، ففي مقال بعنوان “آفاق للتعاون أم الصراع.. هل تقود اكتشافات غاز شرق المتوسط إلى تحوّل إقليمي؟”، سلّط “هنري باركي” أستاذ العلاقات الدولية بجامعة ليهاي، و«إلين لايسون» مدير برنامج الأمن الدولي في كلية شار للسياسات والحكومة بجامعة جورج ميسن الأميركية، الضوء على موضوع استكشافات الغاز في حوض المتوسط من أنها شكل جديد من التعاون بين دول شرق المتوسط بما يؤدي لتأسيس علاقات جديدة تساعد على انهاء حالة عدم الاستقرار فيها<sup>30</sup>.
- جاء تأسيس منتدى غاز شرق المتوسط، والذي تحوّل إلى منظمة إقليمية بهدف تعزيز التعاون من خلال إقامة حوار منظم ومنهجي حول الغاز الطبيعي، بما في ذلك السياسات الإقليمية المتعلقة بهذا المصدر المهم، وامكانية ضم تركيا إلى هذه المنظمة وارادة جدا، وهو ما يزيد من حالات التعاون في المنطقة والابتعاد عن حالات التوتر.

## 2- مشهد الاستمرارية

وفيه يبقى كل طرف من أطراف الصراع على موقفه وأحقيته في التنقيب عن مصادر الطاقة في المياه الإقليمية، واستمرار الخلافات بشأن المناطق الاقتصادية الخالصة شروط هذا المشهد ومعطياته:

- عدم توقيع جميع الدول على اتفاقية البحار.
- استمرار الاستكشافات الطاقوية مع استمرار الخلافات حول المناطق الاقتصادية الخالصة وكل طرف يتصرف حسب صالحه بعيدا عن اتفاقية الأمم المتحد للبحار، مع عدم انها ترسيم الحدود البحرية بين بعض دول الحوض.
- استمرار الخلافات السياسية، وخاصة بين تركيا من جهة واليونان ومصر من جهة أخرى.
- تعمل تركيا على ضبط النفس وعدم القيام بأعمال عسكرية من شأنها ان تدين تركيا، بسبب عدم الاعتراف بجمهورية قبرص التركية دوليا، وكونها عضو في حلف الناتو وليس من مصلحتها الدخول في مواجهة عسكرية مع اليونان او قبرص، فضلا من ان الاخيرتين عضوين في الاتحاد الأوروبي. كما ان تضرر الشركات العالمية العاملة في المنطقة سيدخل تركيا في مشاكل مع القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة. من جانب اخر تستمر تركيا بعمليات المسح والتنقيب في المناطق المتنازع عليها وبموافقة قبرص التركية. ومنع قبرص اليونانية التنقيب في المناطق التي تتداخل مع المناطق التركية او المناطق القبرصية التركية. مع تأكيد

<sup>30</sup> صراع إقليمي للسيطرة على غاز شرق المتوسط.. وتحالف رباعي في مواجهة تركيا: توقّعات بإعادة ترتيب المشهد في المنطقة

صراع-إقليمي-للسيطرة-على-غاز-شرق-المتوس/2020/08/24/attaqa.net/



مجلس الأمن التركي على عدم التنازل عن مصالح تركيا في هذه المنطقة امام اليونان وقبرص<sup>31</sup>

- ادراك الأطراف ان التصعيد في المواقف سيشكل مأزقا يضر بمصالح جميع الأطراف، ويجعل الاستثمار في المنطقة أعلى تكلفة على شركات الطاقة.
- عدم وجود جدية من قبل الاتحاد الأوروبي لإصلاح العلاقات بين تركيا واليونان.

### 3- مشهد تصاعد الصراع/ التصادم العسكري

في هذا المشهد يتصاعد حدة الصراع ليصل إلى حافة الحرب، او الدخول فيها، وهي ممكن وقوعها بين إسرائيل ولبنان، مصر وتركيا، و تركيا واليونان، وبوادر هذه الحرب نجدها في:

- تهديد حزب الله للسفن وفرق التنقيب الإسرائيلية، بسبب التجاوزات الإسرائيلية على المياه الإقليمية اللبنانية.
- وجود تعاون عسكري وتدريبات مشتركة بين بعض الدول بحجة الدفاع عن منشآت الطاقة. كما في حالات التعاون العسكري الإسرائيلي مع اليونان وقبرص، واجراء المناورات العسكرية المشتركة.
- حماية عمليات التنقيب والاستخراج بقوات عسكرية بحرية وجوية قد يؤدي للتصادم والاحتكاك العسكري، كما حصل في العام 2011 عندما أرسلت تركيا سفينة استكشاف إلى المياه الإقليمية اليونانية وعلى مقربة من حقول الغاز الإسرائيلية، فقامت إسرائيل بإرسال طائرتين حربيين حلقتا فوق السفينة التركية، وبالمقابل ردت تركيا بإرسال طائرتين حربيين هي الأخرى لتطاردهم الطائرتين الاسرائيليتين.
- تهديد المسؤولين في بعض الدول للرد عسكريا على تجاوزات الدول على المناطق الاقتصادية الخالصة، كما في تصريح وزير الدفاع اليوناني بعد توقيع تركيا الاتفاقية مع حكومة الوفاق الوطني الليبية.
- تكثيف بعض الدول تواجدها العسكري قرب حقول الغاز في البحر المتوسط من اجل معالجة المخاطر والتهديدات المحتملة من الأطراف الأخرى، كما في الحالة الإسرائيلية.

### الخاتمة

حاولت هذه الورقة البحثية اثبات الفرضية التي انطلقت منها وهي ان النزاع في حوض شرق البحر المتوسط معقدة، ويتداخل فيها الاقتصادي، بالجغرافي والتاريخي والسياسي. وكان للخلافات السياسية القديمة منها والحديثة تأثيرا في تأزم الوضع في الحوض، واستمرار النزاع بين دوله كالخلاف التاريخي التركي-اليوناني، والصراع العربي-الإسرائيلي، والحديث منها الخلاف التركي-

<sup>31</sup> وكالة الأناضول للأنباء، الأمن القومي التركي " يؤكد ضرورة إبعاد الإرهابيين من منبج وشمال العراق فوراً، 2018/3/28.

المصري. ان النزاع الحدودي في هذه المنطقة ينطلق من عدة اعتبارات منها القانونية تحكمه اتفاقية البحار للامم المتحدة، والأخرى المصالح الوطنية لدول هذا الحوض، وادعاء كل طرف احقيته على حساب الطرف الاخر. ومعروف ان وجود الخلافات السياسية وقطع العلاقات إلى جانب وجود مشاكل حدودية دائما ما يفضي إلى الصدام المسلح ووقوع الحروب، الا ان مع حالة حوض شرق المتوسط على ما يبدو ان الأطراف منضبطة للمحافظة على حدود التماس بينها باتجاه عدم التصعيد للوصول إلى حالة الحرب، لوعي الأطراف بأهمية مصالحها، فضلا عن وجود الضابط الأمريكي الحليف للجميع.

وعلى الرغم من وجود اصطفايات وتمحور لبعض الدول في محاولة لعزل تركيا الدولة الأكبر في الحوض، الا ان الواقع يؤكد ان اتخاذ السياسات سواء من قوى إقليمية او قوى كبرى تبقى ناقصة وغير مكتملة بدون اشراك تركيا فيها، ومنها منتهى غاز شرق المتوسط، ليس لان تركيا قوة إقليمية كبيرة في الحوض حسب، وانما لأن تركيا تعد من اكبر دول عبور الطاقة من الشرق إلى الغرب، وهي رائدة في هذا المجال، وبالإمكان الاستفادة من خبرتها في هذا الجانب، وهي الاقرب إلى أوروبا المتعطشة لمصادر الطاقة، فضلا إلى انها ستحرر من قيود اتفاقية لوزان 1923، وستفتح امامها مجالات واسعة للتعاون وخاصة في موضوع الاستكشافات الطاقوية، لذا لا يمكن استبعاد تركيا من أي اتفاقيات او اجراءات إقليمية بسبب موقعها ودورها الطاقوي عالميا.

وفي تقييم لمستقبل النزاع الطاقوي والحدودي في الحوض يرى الباحث ان الاوضاع تبقى في ظل النزاع الحدودي مرشحة لمشهدي الاستمرارية المنضبطة باتجاه الاستقرار وتحقيق مصالح كل الأطراف بعد تسوية الخلافات السياسية والحدودية وبدعم أمريكي وأوربي للاستفادة من غاز المنطقة للتخفيف من ضغوط روسيا الطاقوي. أما إذا دعمت عمليات الاستكشافات بمزيد من القوة البحرية والجوية، فإن ذلك قد يؤدي إلى الاحتكاك العسكري قدد يتطور إلى عمليات عسكرية محدودة خاصة بين تركيا واليونان لا نعتقد انها تؤدي إلى الحرب الشاملة سيما ان الدولتين حليفتان للولايات المتحدة وعضوين في حلف الناتو.

# الدول النفطية في الشرق الأوسط وأمن الطاقة في آسيا: الصين والهند نموذجا

\* أ.د. حارث قحطان عبد الله \*

\*\* حنين إبراهيم عبد الله \*\*

## ملخص

إن سعي دول العالم، وخاصة القوى الصناعية الكبرى، للحصول على المواد الخام هدف مهم بالنسبة لها، حيث أن حيوية هذه المادة (النفط)، وعدم القدرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي جعل الحصول عليها في كثير من الأحيان أمرا ملحا وهدفا لسياسة البلدان. وما زاد من أهمية النفط هو فشل المحاولات العديدة التي جرت وما زالت مستمرة من قبل الدول الصناعية لتوفير طاقة بديلة للنفط مثل الطاقة الشمسية والطاقة النووية، بسبب ارتفاع تكلفة هذه البدائل، وعدم رغبتهم في تغطية جميع الاستخدامات التي يوفرها النفط. في ضوء ذلك لا تنحصر أهمية النفط في كونه سلعة اقتصادية مهمة، بل يتعدى ذلك ليصبح ذا أهمية استراتيجية من وجهة نظر القوى الفاعلة في النظام الدولي.

الكلمات المفتاحية: النفط، الشرق الأوسط، الطاقة، أمن الطاقة، الصين، الهند.

<sup>\*</sup> أستاذ العلوم السياسية بجامعة تكريت، العراق.

<sup>\*\*</sup> تدريسية في كلية العلوم السياسية بجامعة تكريت، العراق.

# Oil states in the Middle East and energy security in Asia: China and India as a model

**Prof. Dr. Harith Qahtan Abdullah**

**Ms. Haneen Ibrahim Abdullahh**

## **Abstract**

The pursuit of world countries, especially the major industrial powers, to obtain raw materials is an important goal for them, as the vitality of this substance (oil), and the inability to achieve self-sufficiency has made obtaining it often become an urgent foreign policy goal of countries. What increased the importance of oil was the failure of the many attempts that took place and are still ongoing by the industrialized countries, to provide an alternative energy to oil such as solar energy and nuclear energy, due to the high cost of these alternatives, and their unwillingness to cover all the uses provided by oil.

In light of this, the importance of oil is not limited to being an important economic commodity, but rather goes beyond that to become of strategic importance from the point of view of the active forces in the international system.

**Keywords:** oil, Middle East, energy, energy security, China, India

## المقدمة

لا تقتصر أهمية النفط لى كونه سلعة اقتصادية مهمة، إنما تتجاوز ذلك ليصبح ذا أهمية استراتيجية من وجهة نظر القوى الفاعلة في النظام الدولي، وفي مقدمتها الصين، لأنه يمثل شريان الحياة الأساس للاقتصادات العالمية المتقدمة. فالأولوية الممنوحة للاعتبارات الاقتصادية، والطلب المتزايد على السلع والخدمات، فضلاً عن تزايد الطلب على مصادر الطاقة، وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي في المناطق التي تضم مخزونات كبيرة من الموارد الطبيعية، يؤكد أن التنافس على موارد الطاقة سيكون السمة المميزة للبيئة الإقليمية والدولية، ولذلك أولت الصين والهند هذه المسألة أهمية كبيرة في مضمون أجندتها الاقتصادية للقرن الحادي والعشرين.

## فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن أمن الطاقة في الاسواق الصينية والهندية يعد ركيزة مهمة في ضوء تذبذب الأسعار في السوق العالمي.

## إشكالية البحث

تنطلق إشكالية البحث من تساؤل رئيسي " أن تغير أسعار مصادر الطاقة (النفط) يؤثر على مستويات أمن الطاقة الصيني والهندي. ومن هذا السؤال تستنج عدة اسئلة فرعية.

- ماهو أمن الطاقة الصيني.
  - ماهو أمن الطاقة الهندي.
  - ماهي الأساليب الصينية للحفاظ على أمن الطاقة.
  - ماهي الأساليب الهندية للحفاظ على مستوى الطاقة.
- وستكون الدراسة مكونة من أربعة مباحث:
- المبحث الأول: العلاقات الطاقوية بين الشرق الأوسط والصين والهند.
- المبحث الثاني: مفهوم أمن الطاقة بالنسبة للصين والهند.
- المبحث الثالث: استهلاك الصين والهند لموارد الطاقة.
- المبحث الرابع: إجراءات الصين والهند لتأمين موارد الطاقة.

## المبحث الأول: العلاقات الطاقوية بين الشرق الأوسط والصين والهند

### المطلب الأول: علاقات الصين الشرق أوسطية

منذ عام 1993، تعدّ الصين مستوردًا صافيًا للنفط، والذي جاء مع بروز الشرق الأوسط مصدرًا مهمًا للوقود الأحفوري على المستوى العالمي.

وبحسب تقرير صحيفة آسيا تايمز، أصبحت الصين تستورد ما يقرب من نصف احتياجاتها من نפט الشرق الأوسط منذ عام 2017، بعدما تجاوزت الولايات المتحدة بصفة أكبر مستورد للخام في العام ذاته. ورغم مساعي بكين منذ سنوات نحو زيادة الإنتاج المحلي من الوقود الأحفوري، فإن اعتمادها على الشرق الأوسط في تلبية احتياجاتها من تلك السلعة المهمة ما زال رئيسيًا. فعلى سبيل المثال، استوردت الصين خلال عام 2020 نحو 47% من إجمالي احتياجاتها النفطية -والتي بلغت قيمتها 176 مليار دولار- من دول الشرق الأوسط. وبرزت السعودية مؤخرًا أكبر مورد للنفط الخام إلى الصين، إذ بلغت قيمة صادرات المملكة إلى بكين من النفط خلال 2020 نحو 28.1 مليار دولار، لتستحوذ على نسبة 15.9% من إجمالي واردات بكين من النفط الخام، بينما جاء العراق بالمرتبة الثالثة خلال 2020، إذ قَدَّرت قيمة صادراتها بنحو 19.2 مليار دولار بنسبة استحواذ وصلت إلى 10.9% من واردات الصين النفطية خلال 2020. وجاءت أيضًا كل من عمان والإمارات والكويت من بين الـ 10 الكبار الموردين للنفط إلى الصين خلال 2020. ورأى التقرير المذكور أن النفط الإيراني أفضل مثال على تعطُّش الصين إلى نفط الشرق الأوسط. ورصد هذا التقرير تصدير إيران نحو 306 آلاف برميل يوميًا من النفط الخام إلى الصين خلال 2020 وحتى أوائل العام الماضي 2021، رغم العقوبات المفروضة على إيران.

بكين لا تعتمد على نفط الشرق الأوسط الخام فقط، بل يشمل كذلك الغاز الطبيعي، لكون المنطقة مصدرًا حيويًا له أيضًا، وفي 2020، صدَّرت قطر، والتي توصف بأنها أكبر مصدر للغاز المسال في العالم، ما يمثِّل 20% من إجمالي واردات بكين من الغاز المسال.

بسبب اعتمادها على نفط الشرق الأوسط في توفير جزء كبير من احتياجاتها المحلية، أصبح للمنطقة أهمية إستراتيجية للصين، وبناءً على ذلك، اتجهت الصين إلى توسيع استثماراتها في منطقة الشرق الأوسط، لتشمل مشروعات في البنية التحتية والسكك الحديدية والتقنيات المتقدمة والطاقة النووية، والتي جاء بعضها في إطار مبادرة الحزام والطريق، ونقل تقرير صحيفة آسيا تايمز المشار له مسبقاً عن معهد "أمريكان إنتربرايز إنستيتيوت" رصده لتدقِّق نحو 123 مليار دولار من الصين إلى منطقة الشرق الأوسط تحت مسمى الحزام والطريق، خلال المدة من 2013 حتى 2020. ويشير التقرير إلى أن تدقِّق تلك الاستثمارات جعل من الصين لاعبًا رئيسًا في منطقة الشرق الأوسط.

### المطلب الثاني: علاقات الهند الشرق أوسطية

يؤدي نفط الخليج العربي دورًا محوريًا ورئيسًا في ضمان استقرار أمن الطاقة في دولة الهند، التي تُعدّ ثالث أكبر مستورد للنفط عالميًا، بعد الصين والولايات المتحدة، سجل حجم التبادل التجاري بين الهند ودول الخليج العربي الست خلال العام المالي الذي بدأ من أبريل/نيسان 2021 حتى مارس/آذار 2022 نحو 154.7 مليار دولار، مقابل 87.4 مليارًا في المدة المماثلة من العام المالي السابق له، مع تشكيل واردات نفط الخليج العربي عنصرًا رئيسًا بالنسبة إلى الدولة الآسيوية وبصفة عامة، قفزت واردات الهند من النفط خلال العام المالي المنتهي في مارس/آذار الماضي إلى 119.2 مليار دولار، مقابل 62.2 مليار دولار خلال العام المالي السابق له، بحسب بيانات وزارة النفط الهندية، التي نقلتها صحيفة إيكونوميك تايمز الهندية.

وفي الغالب، يُشكّل نفط الخليج العربي وغازه -أو نفط دول الخليج العربية الست: البحرين والكويت وقطر وعمان والسعودية والإمارات- قرابة 60% من احتياجات الهند النفطية.

### المبحث الثاني: مفهوم أمن الطاقة بالنسبة للصين والهند

تحتل مصادر الطاقة عموما والمصادر النفطية خصوصا، أهمية كبيرة لدى الدول الصناعية الكبرى، فهي شريان الحياة الاقتصادية والأساس في تحديد قوة الدولة اقتصاديا، فالدول الكبرى، باستثناء روسيا الاتحادية، تعاني نقصا في موارد الطاقة إذ إن احتياجاتها تفوق ما تملكه من موارد طاقة، ما يجعلها تعتمد على الخارج في تلبية الاستهلاك الداخلي، وكلما زاد معدل النمو الاقتصادي ومعدل الناتج المحلي الإجمالي فإنه يرجع إلى زيادة الأنشطة الاقتصادية وهو بالنهاية يتطلب توفير مصادر الطاقة للاستمرار أو الحفاظ على معدلات الناتج والنمو، ولذلك فإن الدول التي تسعى إلى زيادة مقومات قوتها لا بد لها من توفير مستلزمات زيادة هذه المقومات ومن بينها المقوم الاقتصادي الذي يعتمد على مصادر الطاقة في تعزيز مؤشراتته. ومن هذه المنطلقات الاقتصادية ظهر مفهوم أمن الطاقة.

يشير المفهوم العام للأمن إلى السلام والطمأنينة وديمومة مظاهر الحياة واستمرار مقوماتها وشروطها بعيدا عن عوامل التهديد ومصادر الخطر. ومع التطور لحاصل في الحياة البشرية وسعي الدولة الحديثة إلى تأمين مصادر بقاءها ووجودها فقد توسع مفهوم الأمن وأصبح يشمل مستويات عدة لا سيما في التهديدات التي بدأت تتعرض لها الدول، ومصالحها المتزايدة، فالدولة التي تسعى إلى تحقيق تقدم في مستوى قوتها مثلا تحتاج إلى تعزيز مقومات هذه القوة وهذه الأخيرة تتطلب بذل جهود أكبر من الدول لتأمين هذه المقومات وهو ما يفرض على الدولة بذل جهود أكبر ضد أي مخاطر محتملة<sup>1</sup>.

يحتل الأمن الطاقوي مكانة هامة خاصة وأنه أصبح يشكل هاجسا لمختلف الدول فمسألة الطاقة مسألة جد حساسة تمسّ الأمن القومي بصفة مباشرة، خاصة وأن الطاقة كثيرا ما كانت مصدرا لتنافس ونزاعات الدول<sup>2</sup>، إذ يعد أمن الطاقة أحد الأبعاد التي تشكل الأمن القومي للدولة، وتحقيق الأمن القومي للدولة يعد هدفا من أهداف السياسة الخارجية ولذلك تولي الدول لا سيما الدول الكبرى بالغ الاهتمام من أجل تحقيق كافة الأبعاد الأمنية من خلال أدوارها الخارجية واستعمال مختلف الوسائل والأساليب التي تسعى إلى تعزيز مقومات قوتها والتنافس على قمة الهرم الدولي، ويعد أمن الطاقة أحد الأبعاد الأمنية التي تقع ضمن أهداف السياسة الخارجية للدول الكبرى والتي تعمل على تأمينه من خلال استعمال وسائل متعددة، وهو ما أدى في أحيان كثيرة إلى إيجاد حالة تنافس بين الدول الكبرى بسبب السعي لتأمين هذا البعد الأمني وحمايته ومع تزايد المنافسة ما بين استراتيجيات الدول المنتجة من جهة وسياسات الدول المستهلكة من جهة أخرى<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علاء عبد الوهاب عبد العزيز، أمن الطاقة في السياسة الخارجية الصينية، المجلة السياسية والدولية، العدد 41-42 (بغداد: 2019)، ص 583.  
<sup>2</sup> عبد القادر دندن، الاستراتيجية الصينية لأمن الطاقة وتأثيرها على الاستقرار في محيطها الإقليمي: آسيا الوسطى-جنوب آسيا-شرق و جنوب شرق آسيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة باتنة الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2012-2014، ص 113  
<sup>3</sup> قارن بين أمنة ميعوات، أسس واستراتيجيات الأمن النفطي الصيني في الشرق الأوسط، للركز العربي الديمقراطي (برلين: 2016). و علاء عبد الوهاب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص 584.

## المطلب الأول: أمن الطاقة الصيني

تقوم الاستراتيجية الصينية لأمن الطاقة الهادفة لمواجهة المشاكل المذكورة في تقرير نائب الوزير الأول على عدد من المرتكزات التي تتبع من التعريف الصيني لأمن الطاقة. فقد عرفت الخطة الخماسية العاشرة (2001-2005) أمن الطاقة على أنه "ضمان وتأمين مصادر الطاقة والخارج، بما يضمن استمرار النمو الاقتصادي والتحديث في الصين" وبذلك فالصين ركزت في تعريفها للمفهوم على الاتجاه التقليدي المتمثل في "أمن العرض"، من خلال ضمان أمن الإمدادات بما يضمن النمو الاقتصادي. و رغم أن تحول قضية أمن الطاقة إلى قضية محورية في السياسة الخارجية الصينية، فإنه يعد أمرا مهما حديثا نسبيا مقارنة بدول أخرى كاليابان والولايات المتحدة الأمريكية<sup>4</sup>.

ومن الناحية العملية تبني الصين مقاربة لأمن الطاقة قائمة على شقين لكل منهما استراتيجيات تنفيذ مختلفة. الأول أمن العرض من خلال ضمان الدخول لموارد الطاقة عالمياً، والمبدأ الأساس التنوع والاستراتيجية الأساسية هي التوجه للخارج، فالصين ترى ان قضية الطاقة قضية أمن قومي لا يمكن تركها لقوى السوق بمفردها، وإنما لابد من تنظيمها من خلال الدخول بقوة في سوق الطاقة العالمي والتعاون مع كبار الدول المنتجة للنفط من خلال مجموعة من شركات النفط الوطنية التي استخدمتها الصين كأداة تنفيذ سياستها الخارجية في مجال تأمين الدخول لمصادر الطاقة.

تقوم الرؤية الصينية في التعامل مع الشرق الأوسط على مايلي

- التعامل مع المنطقة على أساس رؤية استراتيجية صينية ذاتية، لا كرد فعل على سياسات دول أخرى.
- التعامل مع المنطقة العربية خاصة، على أنها مصدر للطاقة و سوق تجاري للمنتجات الصينية.
- توظيف منطقة الشرق الأوسط توظيفا استراتيجيا، على اعتبار أنها منطقة تنافس دولي واسع.

تبرز استراتيجية التوجه نحو الخارج كأهم استراتيجيات الصين. ينتهج الصينيون سياسة تعرف باللغة الصينية باسم "زو تشو ك" « Zou Chu Qu أي "استراتيجية التوجه نحو الخارج" أو "الاستثمار وراء البحار" Overseas investment وكذلك تعرف أيضا بـ "تجاوز عتبة البلاد" Going-out or going abroad strategy وتعتمد هذه الاستراتيجية على النشاطات الدبلوماسية خارج الصين و بشكل خاص تركز على جميع المناطق التي يمكن أن تتوفر بها الموارد الطاقوية، في إطار اتخاذ إجراءات و نشاطات في ظل دبلوماسية الطاقة الصينية. حيث سعت الصين من خلال هذه الاستراتيجية لضمان امداداتها بالتوجه إلى المناطق الغنية بالنفط في الخارج عن طريق الاستثمار في مناطق الانتاج، وقيام الشركات النفطية الصينية بالتنقيب على النفط في تلك المناطق لكي تضمن تصديره للصين. و ترجع جذور هذه الاستراتيجية إلى عمل بكين وفق المبدأ القائل بأن "أمن الطاقة أهم

<sup>4</sup> عبد القادر دندن، مصدر سبق ذكره، ص67.



من أن يترك تحت رحمة الأسواق"، ويكمن تركيز هذه الاستراتيجية على نشاطات الدبلوماسية التجارية التي يقوم بها القادة الصينيون ضمن مناطق تصدير النفط الرئيسية و كذا الجهود التي تبذلها شركات النفط الوطنية الصينية الكبرى المملوكة للدولة: (CNOOC) و (SINOPEC) و (CNPC) لضمان استثمارات صافية في حقول النفط و السيطرة التامة على الامدادات لمواجهة الحاجات المستقبلية، و ذلك باتخاذ إجراءات تعزز دبلوماسية الدولة من خلال جهود الشركات التي تعمل على ترقية وتطوير أنابيب نقل النفط و الغاز الحالية و البحث عن طرق مستقبلية بديلة. حيث صاغت الصين العديد من العلاقات مع الدول النفطية التي بإمكانها أن تقيم معها علاقات استراتيجية طاقوية، على غرار كل من السعودية وإيران، وقد عملت الشركات النفطية الصينية من خلال استثماراتها في الخارج على نيل حقوق جزئية أو التحكم المباشر في حقول النفط المحتملة في العالم. فوَقعت الصين إثر ذلك العديد من العقود التي تخص جملة من المشاريع المركزية المتعلقة بالموارد الطاقوية، ومن بينها اثني عشر عقدا لصالح شركات النفط العملاقة الصينية الوطنية، حيث مكنتها من اكتساب أصول التنقيب والبحث في مناطق ما وراء البحار بشكل نشيط كجزء من سياسة أمن الطاقة الصينية.

### استراتيجية خيط اللؤلؤ

يعتبر البحر المنفذ الاستراتيجي الوحيد الهام للصين من الناحية الأمنية الاستراتيجية، لأنها تسعى للعب دور بحري يرتبط بشكل مباشر بتنمية اقتصادها الذي يعتمد على النقل البحري للموارد الطاقوية و السلع، لذا لا بد عليها من تكوين قوة بحرية تعتمد على تطوير قدراتها العسكرية و البحرية بإقامة قواعد بحرية خارجية، لذا لجأت إلى تبني الاستراتيجية الصينية التي تعرف بـ "خيط اللؤلؤ" String of Pearls، ففي إطار هذه الاستراتيجية قامت بشراء حاملة طائرات من روسيا لتتمكن من تطوير قدراتها، كما خاضت عدة اتفاقيات لبناء قواعد بحرية في المحيط الهندي بشكل يوازي خطوط نقل النفط من منطقة شبه الجزيرة العربية و الشرق الأوسط. أما الشق الثاني، فهو تطوير مجموعة من الاستراتيجيات الداخلية تعتمد على الكفاءة في استخدام الطاقة وتقليل تأثير الصدمات النفطية الخارجية على أمن الطاقة الصيني، وبناء مخزون استراتيجي من النفط حيث اتبعت الصين المسار ذاته الذي سبقها إليه دول أخرى من خلال بناء مخزن استراتيجي يكفي لمدة 90 يوما بمعدلات الاستهلاك المتوقعة<sup>5</sup>.

وقد تم تأكيد فكرة بناء مخزون استراتيجي في الخطة الخمسية العاشرة للصين (2001-2005) وهي أول خطة خمسية تشير إلى أمن الطاقة في الصين، وقد تم وضع خطة التنفيذ على ثلاثة مراحل تم الانتهاء من المرحلة الأولى عام 2009م، حيث تم تخزين 102 مليون برميل تكفي لمدة 33 يوما في مدينة تشنهائي. وفي مارس عام 2010م بدأت المرحلة الثانية في مدينة جانجونج وتشمل مخزونا اضافياً يقدر 170 مليون برميل، اما المرحلة الثالثة، فتشمل تخزين نحو 204 مليون برميل وذلك لزيادة المخزون الاستراتيجي ليصبح كافيا لمدة 90 يوما ومن المرجح ان ينتهي بنهاية 2020<sup>6</sup>.

<sup>5</sup> خديجة عرفة محمد، أمن الطاقة واثاره الاستراتيجية، الطبعة الأولى (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2014)، ص125.

<sup>6</sup> قارن بين: خديجة عرفة محمد، مصدر سبق ذكره، ص126، وعبد القادر دندن، مصدر سبق ذكره، ص72.



صورة تبين عملية تخزين النفط في الصين كخزين استراتيجي يستخدم في أوقات الأزمات

### المطلب الثاني: أمن الطاقة الهندي

لا تزال دول غرب آسيا هي المصدر الرئيسي لواردات الطاقة الهندية رغم مساعي الهند المستمرة لتأمين احتياجاتها المتزايدة من الطاقة عبر سياسات وآليات متنوعة؛ ما يجعلها من أكثر الدول التي سوف تتأثر بأزمة كبرى في المنطقة، وهو ما يثار معه عدة تساؤلات هندية مثل: هل ستعرض الهند لمجموعة جديدة من التحديات لتأمين إمداداتها من الطاقة من غرب آسيا؟ وما العوامل التي من المرجح أن تؤثر في تعاون الهند مع المنطقة في مجال الطاقة؟

في هذا السياق تأتي دراسة الباحثة Meena Singh Roy، تحت عنوان: "ديناميات الطاقة بين الهند ودول غرب آسيا: إدارة التحديات واستكشاف فرص جديدة"، ضمن كتاب (التطورات في منطقة الخليج: الآفاق والتحديات بالنسبة للهند خلال العقد القادمن)، الذي نشره معهد دراسات وتحليلات الدفاع الهندي IDSA في عام 2014. حيث تؤكد هذه الدراسة عن أهمية منطقة غرب آسيا في سوق الطاقة العالمي، فثمة أربعة دول هي (إيران وقطر والسعودية والإمارات) تأتي بين أكثر 10 دول لديها احتياطات ضخمة من الغاز على مستوى العالم، وثمة خمس دول هي (السعودية وإيران والعراق والكويت والإمارات) تُصنف بين أكثر 10 دول تمتلك احتياطات نفطية كبيرة على مستوى العالم. ويتميز نفط المنطقة بانخفاض التكلفة الإنتاجية مقارنة بالدول الأخرى، إذ تتراوح تكلفة الإنتاج -باستثناء عُمان- ما بين 3 إلى 5 دولار أمريكي للبرميل الواحد.<sup>7</sup>

<sup>7</sup> احمد عاطف، كيف تعزز الهند أمن الطاقة مع منطقة غرب آسيا؟ (المستقبل للدراسات والابحاث، 2014)، ص2.

ويعد أمن الطاقة جزءاً لا يتجزأ من الشراكة الاستراتيجية للهند مع العديد من الدول الغنية بموارد الطاقة، إذ تعتبر الهند من أكبر مستهلكي الطاقة في العالم، خاصة وأن الاقتصاد الهندي ينمو بمعدل سنوي يبلغ نحو 8% خلال الفترة (2012 إلى 2017)، ما يزيد استهلاك الهند للطاقة بمعدل يصل 6% سنوياً، كما تشير التقديرات إلى أن الهند سوف تكون أكبر مستورد للنفط في عام 2050. وإدراكاً لذلك وضعت الهند أمن الطاقة باعتباره عنصراً حاسماً في أجندة سياستها الخارجية، وذلك من خلال تنويع وتوطيد العلاقات مع الدول المصدرة للغاز والنفط، حيث بلغت واردات الهند من الطاقة 22% من أفريقيا و9% من أمريكا اللاتينية في عام 2010.<sup>8</sup>

وتذهب الاستراتيجية الهندية في تأمين الطاقة إلى جملة من العوامل تؤثر على أمن الطاقة الهندية وهي<sup>9</sup>:

1- محددات العرض والطلب والأسعار: من المتوقع مع الزيادة السكانية أن ينمو الطلب العالمي على الموارد الغذائية بنسبة 35% والماء بنسبة 40% والطاقة بنسبة 50% بحلول عام 2030، وسيكون التعامل مع مشكلات الأمن الغذائي والمائي ذات صلة بالطلب والعرض على موارد أخرى مثل النفط والغاز؛ وهو ما يثير اهتمام دول غرب آسيا التي تسعى لتأمين احتياجاتها المائية والغذائية، وقد يدفعها ذلك إلى تقليل صادراتها من الطاقة. وهناك عدداً من التطورات الأخرى التي قد تؤثر على أسعار الطاقة، وبالتالي على اقتصاديات دول الخليج المصدرة للنفط، وهي تطورات لا يمكن للهند أن تظل بعيدة عن تأثيراتها في سوق الطاقة العالمية، من أبرزها: اكتشاف الغاز الصخري في الولايات المتحدة، والتنامي السريع في إنتاج النفط في دول أمريكا الشمالية، والتركيز المتزايد على مصادر الطاقة المتجددة، وزيادة العرض من النفط والغاز في كل من إيران وروسيا.

2- التعقيدات الجيوسياسية في الإقليم: ترى الدراسة أن هناك جملة من العناصر الحاسمة التي تسهم في تعقيد الوضع بالمنطقة، ومن ثم تهدد حصول الهند على الطاقة من دول غرب آسيا، ومن بينها التنافس الأيديولوجي والجيوسياسي السعودي - الإيراني، والانقسام الطائفي بين السنة والشيعة، والتهديد الذي تشكله العناصر المتطرفة والمسلحة في سوريا، ووجود شكوك حول الوضع في البحرين واليمن، فضلاً عن مخاطر تأمين خطوط النقل والاتصالات البحرية في ضوء تهديد إيران بغلق مضيق هرمز على خلفية أية صراع كبير بالمنطقة في ظل عدم حسم برنامجها النووي حتى الآن؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى انقطاع إمدادات النفط والغاز إلى الهند.

3- استقرار دول المنطقة: تشير الدراسة إلى أن إمدادات الطاقة التي تحصل عليها الهند من دول المنطقة لم تتأثر بالثورات العربية، وترى أن التغييرات الداخلية في غالبية دول منطقة غرب آسيا لن يكون لها تأثير على التعاون في مجال الطاقة بين الهند ودول المنطقة. بيد أن أي تغييرات مفاجئة وعنيفة في بنية بعض الدول في المنطقة، مثلما حدث في العراق بعد الغزو الأمريكي وسقوط نظام صدام

<sup>8</sup> المصدر نفسه، ص3.

<sup>9</sup> Meena Singh Roy, India-West Asia Energy Dynamics: Managing Challenges and Exploring New Opportunities, in Rumel Dahiya (Editor), Development in The Gulf Region: Prospects and Challenges for India in the Two Decades (New Delhi, Institute for Defense Studies and Analyses, 2014) pp 65-66.

حسين، سوف يطلق العنان لحالة من عدم الاستقرار التي ستلقي بتبعاتها على إمدادات الطاقة، وهو ما يتعين على الهند أن تأخذ بعين الاعتبار لأنها سوف تكون بحاجة حينذاك إلى عقود جديدة للطاقة، وتبحث عن مصادر بديلة لإمدادات النفط والغاز، وهما أمران سوف يأخذان وقتاً طويلاً<sup>10</sup>.

4- التنويع الاقتصادي في المنطقة: تحاول الدول في منطقة الخليج تنويع اقتصادياتها للحد من اعتمادها فقط على موارد الطاقة، وللحد أيضاً من احتمال التراجع الاقتصادي الناتج عن عدم القدرة على التنبؤ بأسعار الطاقة؛ ومن ثم سوف تسعى إلى تحويل نفسها من دول نفطية إلى قوى اقتصادية كبرى. وترى الدراسة أن الإصلاحات الاقتصادية في هذه الدول ستفتح بالتأكيد العديد من الفرص للهند، كما أن نجاح عملية التنويع الاقتصادي سيكون له بعض التأثير على قدرة دول المنطقة على تحديد أسعار النفط والغاز. وفي المقابل فإن الفشل في هذا الشأن سيستلزم من الدول الخليجية زيادة حجم الصادرات لمواجهة متطلبات الميزانيات المحلية؛ وبالتالي فإن ذلك يعني التقليل من القدرة على التأثير على أسعار الطاقة<sup>11</sup>.

6- العلاقات الصينية مع دول غرب آسيا في مجال الطاقة: تتمتع بكين بعلاقات طيبة مع دول المنطقة، وتحديداً السعودية والعراق، فضلاً عن إيران التي تنظر إلى الصين كشريك تجاري أساسي في مواجهة العزلة الاقتصادية الدولية المفروضة عليها. وتطرح الدراسة هنا تساؤلاً مفاده: إلى أي مدى سوف تؤثر علاقات الصين مع دول غرب آسيا في مجال الطاقة على التعاون الهندي مع تلك الدول في ذات المجال؟... هنا تظهر وجهتها نظر لدى الخبراء الهنود، الأولى تؤكد أن الصين منافس قوي للهند وسوف تصبح تحدياً كبيراً لها في تأمين احتياجاتها النفطية من غرب آسيا نظراً لقوة الصين الاقتصادية وثقل وزنها السياسي على الساحة الدولية. في المقابل تبني خبراء آخرون وجهة نظر ثانية هي أن الهند والصين ليس بينهما تنافس، كما أن هناك موارد كافية في العالم لتلبية احتياجاتهما من الطاقة، وثمة من يقول أيضاً إن الهند تتمتع بمزايا مختلفة في منطقة غرب آسيا، منها القرب الجغرافي، وأن دول الخليج تفضل الهند على الصين بسبب الجذور العميقة للعلاقات الهندية - الخليجية<sup>12</sup>.

### المبحث الثالث: استهلاك الصين والهند لموارد الطاقة

يشهد العالم تغيرات كبيرة بمصادر الطاقة التي تتحكم بمفاصل الحياة اليومية للبشر، ولا شك أن الطاقة الأحفورية بأنواعها الثلاث الفحم والنفط والغاز، والتي تنتج أكثر من 85% من طاقة العالم هي أهم مصادر الطاقة على الإطلاق، ولكن هذا النوع من الطاقة يواجه حالياً تحديات تتلخص باتفاقية باريس للمناخ التي تطالب بالحد من استخدام الفحم والنفط، ونتج عن ذلك تباطؤ النمو باستهلاك العالم للفحم، وذلك بسبب عزم الصين وأميركا وأوروبا تقليل حرق الفحم واستبداله بأنواع أخرى أقل تلوثاً، وهذا أدى إلى نمو كبير بإنتاج واستهلاك الغاز والطاقة المتجددة، وفي هذا الصدد صدر قبل أيام تقرير شركة BP النفطية العملاقة الإحصائي السنوي ملقياً الضوء عن أهم معالم الطاقة العالمية خلال العام الماضي ويعتبر هذا التقرير من أهم المراجع عن الطاقة العالمية<sup>13</sup>.

<sup>10</sup> احمد عاطف، مصدر سبق ذكره، ص.4.

<sup>11</sup> Meena Singh Roy, Op.Cit., p.69.

<sup>12</sup> Ibid.,p.72.

<sup>13</sup> أبعاد الخفجي، الاستهلاك العالمي من الطاقة يرتفع إلى 13.5 مليار طن نفط مكافئ في 2017، صحيفة أبعاد الاخبارية، 26 يونيو 2018.

وبحسب هذا التقرير فقد بلغ الاستهلاك العالمي من الطاقة في 2017 ما يعادل 13.5 مليار طن نفط مكافئ وبزيادة 2.2% عن استهلاك عام 2016 أي بزيادة ما يعادل 253 مليون طن نفط مكافئ، وكان النمو باستهلاك العالمي للطاقة مدعوما بارتفاع استهلاك العالم للغاز الطبيعي بنحو 83 مليون طن نفط مكافئ والطاقة المتجددة بحوالي 70 مليون طن نفط مكافئ والنفط والفحم والطاقة النووية والمائية<sup>14</sup>.

### المطلب الأول: استهلاك الصين لموارد الطاقة

في عام 2001، حلت الصين في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في استهلاك الطاقة عالميا، أما في عام 2016، فقد قفزت إلى المرتبة الأولى في استهلاك النفط، بنسبة وصلت إلى 22.4% متفوقة على الولايات المتحدة بـ 18 %، وحلت أيضا في المرتبة الثالثة في استيراد الطاقة. وتمتلك الصين اقتصاداً متطوراً، بالنظر لضعف إنتاجها المحلي من النفط والغاز، فمن المتوقع أن يزيد استهلاكها من النفط من 407 مليون طن في عام 2010م إلى 563 مليون طن عام 2020م، بمعدل زيادة خلال تلك الفترة تبلغ 3,3% وقد قفز متوسط الاستهلاك السنوي للغاز الطبيعي فيها بنسبة 143 % من مستوياته في عام 2010م، فوصل إلى 260 مليار متر متعب في عام 2015م. وبلغ إنتاج الصين من الغاز الطبيعي 170 مليار متر متعب، واستوردت 90 مليار متر متعب حتى عام 2015م. فقد استوردت 05,8 مليون برميل يوميا في ايلول عام 2016 بزيادة قدرها 3,18% مقارنة بنفس الشهر عام 2015م، حيث زادت عن الكمية التي استوردتها عام 2014م 3,7 مليون برميل يوميا<sup>15</sup>.

وبلغ النمو الاقتصادي السنوي للصين ما بين 8 % إلى 10 % في الفترة الممتدة بين عامي 2008م و2014م، وبلغ الناتج القومي فيها حوالي 6,7% من الناتج الإجمالي العالمي في عام 2010م. و على الرغم من تراجع النمو الاقتصادي الصيني إلى 7 % في عام 2015م، فإنها ترتب على رأس قائمة الدول المصدر للسلع في العالم. كما استطاعت أن تتجاوز القوى الغنية الاقتصادية الغربية، وأن تكون أكبر شريك تجاري للولايات المتحدة صاحبة المركز الاقتصادي العالمي الأول. ومن المتوقع أن يبلغ الناتج المحلي الإجمالي للصين في عام 2021م نحو 4000 بليون دولار. وقد أخرج هذا التطور الاقتصادي الصين من عزلتها السياسية التي انتهجت طوال تاريخها، فقدت بدأت تعطي مفهوماً جديداً لأمنها القومي يقوم على التعاون مع العالم، بدلا من العزلة. وكان أهم عامل في ذلك الفجوة التي تعاني منها الصين في مجال الطاقة. حيث أصبح أمن الطاقة يغطي مساحة كبيرة في أمنها القومي<sup>16</sup>.

وتحتاج إلى استيراد 60% من حاجتها من النفط، وقياساً على اعتبار الصين ثاني أكبر بلد مستهلك للنفط في العالم مقروءا مع حجم اقتصادها الضخم، مقروءا، تتضح الحاجة الكبيرة من النفط التي تحتاج إليها الصين.

وعلى الرغم من التوقعات بتراجع معدلات نمو الاقتصاد الصيني بشكل متواصل، فإن طلب الصين على الطاقة سيتواصل. فقد أشارت دراسة لصندوق النقد الدولي بأن زيادة النمو في عام 2020و

<sup>14</sup> المصدر نفسه.

<sup>15</sup> كارن أبو الخير، " آسيا وملامح نظام عالمي جديد"، مجلة السياسة الدولية، السنة 47، العدد 183، يناير " 2011، ص 44.

<sup>16</sup> عمرو عبد العاطي، أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأمريكية، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، 2014) ص 156 157.

<sup>17</sup> تشانغ تري كويين، قضية الأمن النفطي في الصين، مجلة القضايا الدولية، العدد4 (للعهد الصيني للدراسات الدولية، 2004)، ص 4.



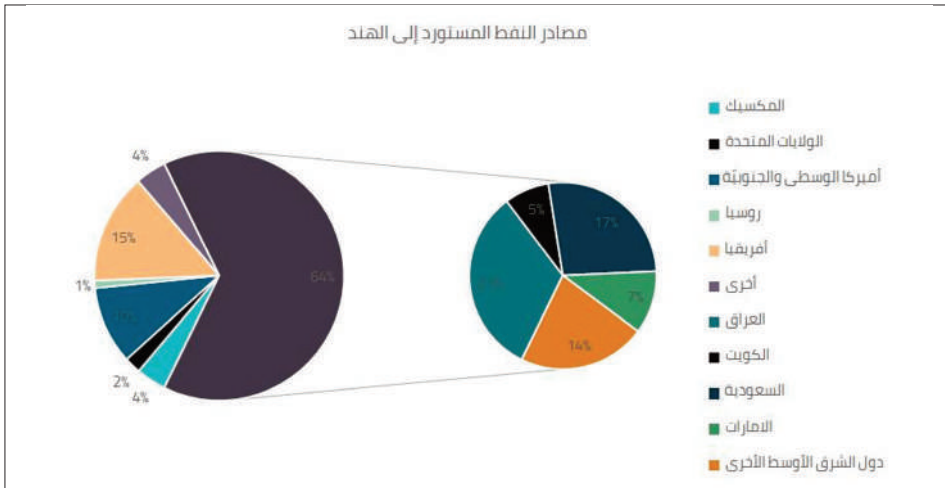
2030 و2035 ستخفض إلى 5.14% و3.49% و3.05%. إلا أن الدراسات تتوقع أن حجم الاقتصاد الصيني سيزيد بنسبة 174% في عام 2035 عما كان عليه عام 2015، وأن استهلاك الطاقة سيزيد خلال تلك الفترة بنسبة 46%، لتصبح الصين أكبر مستهلك للطاقة في العالم<sup>17</sup>.

### المطلب الثاني: استهلاك الهند لموارد الطاقة

تمثل الهند 18 في المئة من سكان العالم بينما تستهلك نحو 6 في المئة فقط من إجمالي استهلاك الطاقة الأولية في العالم، إذ يساوي نصيب الفرد من استهلاك الطاقة فيها 0.6 طن من النفط أي ثلث متوسط نصيب الفرد العالمي البالغ 1.8 طن من النفط، وبما أن استهلاك الطاقة يشكّل أحد أبرز دعائم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، أضحت توفير الطاقة المستدامة إلى جميع المواطنين من أولويات الحكومة الهندية التي وضعت خطاً لضمان تحقيق ذلك، فوفقاً للبرلمان، تحتاج الهند إلى مضاعفة استهلاك الطاقة للفرد أربع مرات لتلبية تطلعات مواطنيها المتزايدة، وبما أن الهند تستورد النفط بشكل أساسي من دول الشرق الأوسط، فإن تحقيق خطتها يحمل فرصاً واعدة لقطاع الطاقة ودول الشرق الأوسط معاً<sup>18</sup>.

تشكّل الهند ثالث أكبر مستهلك للنفط في العالم بعد كل من الصين والولايات المتحدة وهي تستورد نحو 80 في المئة من استهلاكها، فقد استوردت العام 2018 نحو 228 مليون طن من النفط، إذ ارتفع النفط المستورد على أساس سنوي بنسبة 8 في المئة وقد شكّلت نحو 21 في المئة من نمو الطلب العالمي على النفط. تستورد الهند النفط بشكل أساسي من الشرق الأوسط، إذ استوردت 64 في المئة من هذه الدول وكانت العراق المصدر الأكبر مشكّلةً 21 في المئة وتلتها السعودية بنسبة 17 في المئة<sup>19</sup>.

### مخطط يوضح مصادر النفط المستورد إلى الهند



المصدر: حنين سلوم، الهند المستقبل الواعد لقطاع الطاقة العالمي، 2020/6/2.

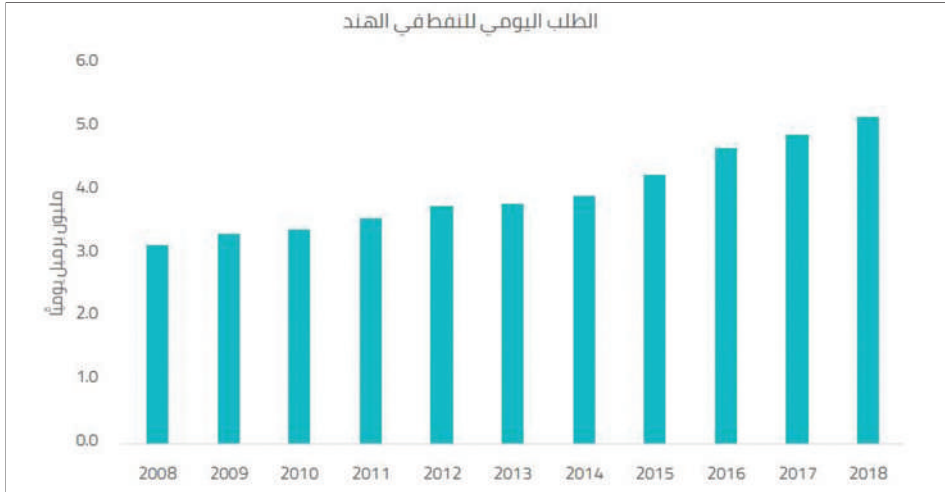
<sup>18</sup> حنين سلوم، الهند المستقبل الواعد لقطاع الطاقة العالمي، أولا - للاقتصاد والاعمال، 2020/6/2.

<sup>19</sup> المصدر نفسه.

تشكّل الهند سوقاً واعدة لقطاع الطاقة والشرق الأوسط معاً، فمن المتوقع أن ينمو استهلاك النفط في البلاد بشكل أسرع من أي اقتصاد رئيسي آخر وفقاً لتقرير BP ما يعني أنّ الهند سوف تستورد كمية أكبر من النفط من دول الشرق الأوسط في السنوات المقبلة خصوصاً بفضل العلاقات الوطيدة بين الهند ودول الشرق الأوسط التي تقدّم حسومات على سعر النفط لشركات التكرير الهندية وهو ما يصعب المنافسة على دول أخرى مثل روسيا، المكسيك، والولايات المتحدة<sup>20</sup>.

وقال المدير التنفيذي لوكالة الطاقة الدولية فاتح بيرول إنّ الهند تعدّ محركاً رئيسياً لنمو الطلب على النفط لكنّه قد يتباطأ قليلاً تماشياً مع تباطؤ النمو الاقتصادي العالمي، ووفقاً لوكالة الطاقة الدولية، من المتوقع أن يصل الطلب على النفط في الهند إلى 6 ملايين برميل يومياً في حلول العام 2024 بينما من المتوقع أن يرتفع إنتاجها المحلي بشكل هامشي فقط ما يجعلها أكثر اعتماداً على واردات النفط الخام وأكثر عرضة لتعطل الإمدادات في الشرق الأوسط<sup>21</sup>.

### مخطط يوضح الطلب اليومي المتصاعد للنفط في الهند



المصدر: حنين سلوم، المصدر السابق.

من جهة أخرى، إنّ الهند رابع أكبر مكرّر للنفط في العالم وهي مصدر للوقود المكرر مثل البنزين والديزل كما تعتمزم رفع طاقتها التكريرية بنسبة 60 في المئة لتصل إلى نحو 8 ملايين برميل يومياً في حلول العام 2025 من نحو 5 ملايين برميل يومياً حالياً وهو ما يجعل قطاع التكرير في الهند سوقاً جاذبة للإستثمارات. في الواقع، إنّ ارتفاع الطلب على الوقود في الهند يحث شركات النفط العالمية الكبرى على الإستثمار في قطاعها النفطي<sup>22</sup>.

<sup>20</sup> ظفر الاسلام خان، الهند واستراتيجيتها للطاقة في الشرق الأوسط ( الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2013)، ص3.

<sup>21</sup> إحصائية الطاقة 2012 (نشرة هندية رسمية): [http://mospi.nic.in/mospi\\_new/upload/Energy\\_Statistics\\_2012\\_28mar.pdf](http://mospi.nic.in/mospi_new/upload/Energy_Statistics_2012_28mar.pdf).

<sup>22</sup> Indrani Bagchi, "Less dependence on Middle East energy to impact geopolitics: national security advisor," Times of India, 25 August, 2012 - [http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2012-08-25/india/33384879\\_1\\_energy-challenge-energy-sources-energy-crisis](http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2012-08-25/india/33384879_1_energy-challenge-energy-sources-energy-crisis).

## المبحث الرابع: إجراءات الصين والهند لتأمين موارد الطاقة

تبحث الدول في استراتيجياتها على تأمين مصادر الطاقة والتي تعد ركيزة مهمة في تحقيق الأمن الطاقوية لها، وبطبيعة الحال تختلف هذه الاستراتيجيات من دولة إلى أخرى بحسب ما تنطلق له من أهمية لذلك الأمن، إلا أن في الوقت عينه تعد هذه الاستراتيجيات مهمة في الحفاظ على مواقع متقدمة في الترتيب بين الدول الاقتصادية العالمية ومنها الصين والهند

### المطلب الأول: إجراءات الصين لتأمين موارد الطاقة

1- التنوع (دبلوماسية النفط): مثل التنوع المبدأ الأساسي الحاكم للصين في إطار سعيها لتحقيق أمن الطاقة، والتنوع هنا يشمل تنوع الاستراتيجيات كذلك الموردين، فقد أخذت الصين تتحرك على أكثر من مسار فمن ناحية لجأت إلى البديل الخاص بالاستيراد النفط الخام معتمدة على أكثر من منطقة من بينها دول الشرق الأوسط، و دول آسيا الوسطى وروسيا، و بعض الدول الإفريقية إضافة إلى بعض دول أمريكا اللاتينية. من خلال علاقات التعاون بين منتجي و مستهلكي النفط أي تحقق كل من "أمن الإمدادات" الذي تطالب الدول المستهلكة و "أمن الطلب" الذي تنادي الصين لهذا البديل. ففي بحث قدمه بيتر بروكز، و جي هاي شين لمعهد الدراسات الآسيوية ونشرته مؤسسة التراث الأمريكي، أكد أن بداية النفوذ الصيني في القارة الأفريقية، يرجع إلى الستينيات من القرن الماضي لكن هذه العلاقات في العقود الأخيرة اتخذت شكلاً جديداً يركز على العلاقات الطاقوية والاستثمارية. وفي هذا الصدد قام الرئيس الصيني " هيو جنتاو" بزيارة تاريخية لمصر والجزائر والغابون في عام 2004، والتي أسفرت عن عقد اتفاقيات في مجال الطاقة، لتليها اتفاقيات أخرى مع انغولا، السودان، ليبيا، نيجيريا، الكاميرون والكونغو. بنسبة 25% من موارد الطاقة العالمية، وستكون الصين بذلك أكبر مستهلك للنفط في العالم.

2- استراتيجية عقد اللؤلؤ: تعمل الصين على توثيق علاقاتها الاستراتيجية ببعض الدول المختارة الممتدة من بحر الصين الجنوبي وصولاً إلى الشرق الأوسط؛ فهي بنت وتبني منشآت حيوية واستراتيجية (موانئ، قواعد، رادارات، مطارات، طرق، مصافي نفط، منشآت لخدمات لوجستية... إلخ) في كل من بنغلاديش، بورما، كمبوديا، مالديف، ميانمار، سيشل، سيرلانكا، تايلاند وباكستان. وتسعى الصين إلى تقوية علاقاتها مع هذه الدول التي تنتشر على طول الخط الساحلي الذي يزودها بإمداداتها الخارجية و وارداتها البحرية، بالإضافة إلى نقاط الاختناق البحرية المهمة والمواقع الاستراتيجية غرب وشرق المحيط الهندي من خليج عدن مروراً ببحر العرب وليس انتهاءً بمضيق ملقا، فيما بات يعرف باسم "استراتيجية عقد اللؤلؤ"<sup>23</sup>.

3- مبادرة الحزام والطريق: عرف هذه المبادرة باسم حزام واحد طريق واحد وهي عبارة عن مبادرة الحزام الاقتصادي لطريق الحرير البحري وطريق الحرير للقرن 21، ويهدف طريق الحرير الجديد إلى إحياء وتطوير طريق الحرير التاريخي من خلال مد أنابيب للغاز الطبيعي والنفط وتشديد شبكات من

<sup>23</sup> علي حسين باكير، دبلوماسية الصين النفطية: الأبعاد والانعكاسات، (بيروت: دار للنهل، 2010)، ص171.



الطرق وسكك الحديد ومد خطوط للطاقة الكهربائية والإنترنت ويتكون طريق الحرير الجديد من طريق بري وآخر بحري فضلاً عن الطريق الرقمي وخطوط أنابيب النفط والغاز الطبيعي<sup>24</sup>.

### المطلب الثاني: اجراءات الهند لتأمين موارد الطاقة

أدى الاستثمار السياسي والاقتصادي للتنامي في تحقيق هدف الارتقاء إلى قمة الهرم العالمي بين الدول إلى تعزيز البعد الاستراتيجي لاعتماد نيودلهي على موارد الطاقة الخليجية. وبات الآن للحكومة الهندية، وإلى حد كبير لشعبها، توقعات أكبر لقوة الهند الاستراتيجية. ومن المحركات الأساسية التي أدت إلى تسلق الهرم العالمي التح بنفوذ استراتيجي متزايد والقدرة على إبراز أي قوة عسكرية في جميع أنحاء المحيط الهندي وآسيا وخارجها. رئيسا الوزراء السابقان (أتال بيهاري فاجبايي) 1998 - 2004 و(مانموهان سينغ) 2004 - 2014، قد حثا الهند إلى النظر إلى ما بعد جوارها المباشر. ويعزى ذلك، في جزء منه، إلى نظرة القادة الهنود التراتبية للشؤون العالمية، التي تشكل الدافع وراء تفضيلهم إعطاء الأولوية لارتقاء الهند إلى قمة النظام العالمي. ويتطلب هذا المسعى تخصيص نسبة أكبر من الموارد للأهداف الاستراتيجية. فعلى سبيل لمثال، يستدعي إبراز القوة العسكرية إمدادات هائلة من الطاقة، وبالتالي يصعب ذلك للغاية بدون مصادر آمنة للطاقة<sup>25</sup>.

يطرح ذلك تحدياً كبيراً للهند التي تبدي حاجة متفاقمة إلى الطاقة. وتواجه الهند فقراً في الطاقة، إذ يفترق 25 بالمئة من سكان الهند إلى الطاقة الكهربائية، في حين تواجه النسبة المتبقية احتمال انقطاعات متتالية في الطاقة الكهربائية. وقد تضاعف استهلاك الطاقة الأولية في الفترة الممتدة بين عامي 1990 و 2012، وبحلول العام 2013 غدت الهند ثالث أكبر مستهلك للطاقة في العالم. 11 وتتوقع الوكالة الدولية للطاقة أن تستأثر البلاد بنسبة 25 بالمئة من الزيادة المتوقعة في استهلاك الطاقة العالمي بين عامي 2015 و 2040. ويجب استيراد معظم موارد الطاقة<sup>26</sup>.

وتتسم واردات النفط بأهمية كبيرة نظراً لغياب البدائل الممكنة وارتفاع كلفة الإنتاج للمح. يل ففي العام 2012، تمّت تلبية 71 بالمئة من الطلب على النفط الخام في الهند عن طريق الاستيراد، مرتفعة بذلك عن نسبة 42 بالمئة المسجلة عام 1990. ومن المتوقع أن تزداد نسبة الطاقة التي يجب استيرادها في الهند، ولا سيما للنفط والغاز الطبيعي<sup>27</sup>.

نتيجة لهذه الاحتياجات، تعتبر الهند أكثر اعتماداً على موارد الطاقة من الشرق الأوسط بالمقارنة مع القوى الكبرى الأخرى التي لها مصلحة كبيرة في المنطقة. وبحلول العام 2016، أتى أكثر من نصف واردات الهند من النفط والغاز من دول مجلس التعاون الخليجي. وشكّلت دول مجلس التعاون الخليجي مجتمعةً الشريك التجاري الأبرز للهند في فترة العامين 2014 و 2015، فوصل التعامل

<sup>24</sup> طريق الحرير الجديد بين مطبات الديون ومغناطيس الاستثمار، على الموقع: <https://annabaa.org/Arabic/economic-reports/17317>.

<sup>25</sup> كديرا بنياغودا، العلاقات بين الهند ودول مجلس التعاون الخليجي: فرصة استراتيجية لدلهي (الدوحة: مركز بروكنجز، 2017)، ص.5.

<sup>26</sup> Indrani Bagchi, "India Moving to the Centre of Global Energy Affairs," Times of India, November. 28, 2015, <http://timesofindia.indiatimes.com/india/India-moving-to-the-centre-of-global-energyaffairs/articleshows/49962339.cms>

<sup>27</sup> كديرا بنياغودا، مصدر سبق ذكره، ص.6.

التجاري إلى 137,7 مليار دولار مرتفعاً من 5,5 مليار عام 2001. ومن المتوقع أن يزداد حجم التجارة المرتكزة على الطاقة، إذ سجّلت صادرات دول مجلس التعاون الخليجي إلى الهند نمواً سنوياً بمعدل نسبته 43 بالمئة على مدى العقد الماضي، وهو النمو الأسرع بين جميع شركاء الدول الخليجية التجاريين الآخرين<sup>28</sup>.

ومن الواضح أن أمن الطاقة في الهند مبنيٌّ على علاقة سياسية جيدة مع دول مجلس التعاون الخليجي. حتى أنّ جهود الهند الرامية إلى التحوّل إلى دولة مستقلة من حيث الطاقة شملت الاستحواذ على احتياطات هيدروكربونية أجنبية من المنبع، وقد تتطلب تلك الخطوة حماية عسكرية في منطقة غير مستقرة. وتعطي هذه العناصر كلها دافعاً محثاً جديداً لصنّاع السياسات من أجل النظر إلى العلاقات مع الدول الخليجية من منظور استراتيجي، وليس من منظور تجاري بحت. بالتالي، أصبحت اليوم جيوسياسية الطاقة “جزءاً لا يتجزأ من الأعمال اليومية في الهند”.

## الخاتمة

أصبحت الطاقة المحرك الرئيسي لعجلة الحياة الإنسانية في شتى أنحاء العالم، وأصبح الاقتصاد العالمي مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بالطاقة إذ لا يمكن بأي حال تحريك عجلة التقدم الاقتصادي أو التنمية الاقتصادية دون توفر طاقة مستدامة وبأسعار عادلة تدفع عجلة الاقتصاد المحلي والعالمي إلى النمو والاستقرار الاجتماعي والسياسي والأمني وتجنب الصراعات العسكرية. تتعدد أنواع الطاقة لكن أهمها حالياً ولعقود قادمة هو النفط والغاز الطبيعي. كما يرتبط أمن الطاقة بعدد من التحديات التي تؤثر على استراتيجية أمن الطاقة القومية والعالمية، الأمر الذي يدفع الدول إلى تبني سياسات وأدوات مختلفة تتناسب مع الأوضاع الراهنة على الصعيدين الداخلي والخارجي ولعلّ أهم هذه التحديات هي اختلال توازن العرض والطلب في سوق الطاقة العالمي، بسبب تزايد استهلاك موارد الطاقة وخاصة البترول والغاز، ومع تزايد النمو السكاني العالمي، وخاصة في الهند والصين، مازالت موارد الطاقة غير كافية على تلبية الطلب العالمي المتزايد الذي يشهد كل عام ارتفاع كبير في الاستهلاك، وعلى هذا الأساس تبحث الدول وتنطلق في استراتيجيات ووسائل متعددة للحفاظ على أمنها الطاقوي.

<sup>28</sup> المصدر نفسه، ص 8.

# الوزن السياسي والاقتصادي لـنفط العراق ومستقبله

أ.م.د. عبدالرزاق خلف محمد الطائي \*

## المخلص

يمتلك العراق مخزون هائل من النفط وهذا ما منحه أهمية سياسية واقتصادية في السياسة الدولية، حيث يعد النفط معياراً أساسياً من معايير القوة الجيوسياسية للعراق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الثروة النفطية التي يمتلكها العراق تُشكّل أحد أبرز العوامل التي تُؤدّي إلى حصول تحديات لأمنه القومي. إذ يشكل النفط أهمية قصوى في واقع ومستقبل العراق، كونه يعد المصدر الرئيس للدخل القومي العراقي. يهدف البحث الى معرفة نسب الاحتياط والانتاج والتصدير للنفط العراقي، عالمياً وداخل منظمة الأوبك، وبيان التأثير السياسي للنفط العراقي داخلياً وخارجياً، فضلاً عن أثر الإيرادات النفطية في تنمية الاقتصاد العراقي.

**الكلمات المفتاحية:** العراق، النفط، منظمة الأوبك.

---

\* استاذ مساعد في قسم السياسات العامة بمركز الدراسات الإقليمية في جامعة الموصل.

# The political and economic weight of Iraq's oil and its future

Dr. Abdul-Razzaq Khalaf Muhammad

## Abstract

Iraq has a huge stock of oil, and this is what gave Iraq political and economic importance in international politics, as the dimension of oil is a basic criterion of the criteria of the geopolitical strength of Iraq. Since oil is of paramount importance in the reality and future of Iraq as it is the main source of Iraqi national income, the research aims to know the percentage of reserves, production, and export of Iraqi oil globally and within the OPEC organization. And the political impact of Iraqi oil internally and externally, as well as the impact of oil revenues on the development of the Iraqi economy.

**Keywords:** Iraq, oil, OPEC.

## مقدمة

يعد النفط معياراً أساسياً من معايير القوة الجيوسياسية للدول، حيث يمنح النفط أهمية سياسية واقتصادية للدول المنتجة بين دول العالم، وتكتسب دول منطقة الخليج العربي ومنها العراق أهمية كبيرة في السياسة الدولية وذلك لأنها تمتلك مخزون هائل من النفط الخام، وما دما نتحدث عن النفط العراقي وأهميته الاقتصادية والسياسية، ينبغي القول إن الثروة النفطية التي يمتلكها العراق تُشكّل أحد أبرز العوامل التي تُؤدّي إلى حصول تحديات لأمنه القومي.

**أهمية البحث:** تتبع أهمية البحث من الأهمية القصوى الذي يشكله النفط في واقع ومستقبل العراق كونه يعد المصدر الرئيس للدخل القومي العراقي، خاصة لما حصل من تدهور للبنى التحتية من صناعة وزراعة وما أصبحت عليه المجالات الاقتصادية الأخرى، وبعد ان أصبح الاقتصاد العراقي يعتمد بنسبة 92% من الإيرادات على ما توفره عملية تصدير النفط الخام من موارد مالية للدولة.

**إشكالية البحث:** تقوم اشكالية البحث على عدة تساؤلات من أهمها.

- ما هي نسبة الاحتياط والإنتاج والتصدير للنفط العراقي عالميا وداخل منظمة الأوبك؟
- ماهي أثر الإيرادات النفطية في تنمية الاقتصاد العراقي؟
- ما هو التأثير السياسي للنفط العراقي داخليا وخارجيا؟
- هل النفط عامل وحدة للعراق أم أنه يدفع بعض المحافظات بتشكيل إقليمها الخاص؟

**أهداف البحث:** تتضمن أهداف البحث في الإجابة على التساؤلات أعلاه من خلال معرفة التأثير السياسي للنفط العراقي داخليا وخارجيا، ومعرفة وزن النفط العراقي عالميا وداخل منظمة أوبك، ومعرفة الإيرادات النفطية وإسهاماتها في التنمية الاقتصادية.

**منهجية البحث وهيكلية:** يتبع المنهج التوثيقي الوصفي في الكتابة دون إغفال الجانب التحليلي. وقد قسم البحث إلى ثلاث مباحث رئيسية وخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث، أما المباحث فقد استعرض **المبحث الأول:** التوزيع الجغرافي لحقول النفط في العراق وخصائصه النوعية. كمية الاحتياط، الطاقة الإنتاجية والتصديرية في حين ناقش **المبحث الثاني:** دور النفط في الاقتصاد العراقي بعد 2003. بينما تطرق **المبحث الثالث** إلى الوزن السياسي للنفط العراقي من خلال مناقشة موقع النفط في الاحتلال الأمريكي للعراق، واستفتاء إقليم كوردستان، والدعوى لإنشاء إقليم البصرة.

## المبحث الأول- التوزيع الجغرافي لحقول النفط في العراق

### أولاً- احتياطات النفط العراقي وخصائصه النوعية:

يحتوي العراق حسب الدراسات الجيولوجية على حوالي 530 تركيبا جيولوجيا تعطي مؤشرات قوية بوجود كم نفطي هائل<sup>1</sup>. وبحسب آخر تصنيف لأكثر الدول امتلاكاً لاحتياطي النفط لعام 2021 كشفت مؤسسة GFP العالمية، أن "العراق احتل المركز الخامس عالمياً والثاني عربياً من ناحية احتياطي النفط الخام"، مبيّنة أن احتياطي العراق من النفط بلغ 148 ملياراً 800 ألف برميل، وهو بذلك يحتل المرتبة الخامسة عالمياً. جاءت فنزويلا بالمرتبة الأولى وبمقدار 302 مليار 300 مليون برميل من أصل 92 دولة تمتلك إحتياطيات نفطية، تلتها السعودية ثانياً وبمقدار 266 ملياراً 200 مليون برميل، ومن ثم كندا بالمرتبة الثالثة وبمقدار 170 ملياراً 500 مليون برميل، تليها بالمرتبة الرابعة إيران وبمقدار 157 ملياراً 200 مليون برميل". ثم العراق بالمرتبة الخامسة عالمياً وثانية عربياً وثالثة على مستوى دول منظمة أوبك والشكل رقم واحد يبين أكبر عشر دول في العالم من حيث احتياطي النفط الثابت، بمليارات البراميل: <sup>2</sup>. والجدول رقم واحد يبين أعلى عشر دول من حيث الاحتياطي العالمي للنفط:

### جدول رقم 1

ت	الدولة	الاحتياط	النسبة من الاحتياطي العالمي
1	فنزويلا	303.6	19.6%
2	السعودية	267.1	17.2%
3	إيران	208.6	13.5%
4	العراق	148.8	9.4%
5	الامارات	107	6.9%
6	الكويت	101.5	6.6%
7	روسيا	80	5.2%
8	ليبيا	48.4	3.1%
9	الولايات المتحدة الأمريكية	44.5	2.9%
10	نيجيريا	36.9	2.4%

تم اعتماد العديد من البيانات في إعداد الجدول أعلاه وخاصة بيانات منظمة أوبك وغيرها للمؤسسات الإحصائية مثل مؤسسة GFP العالمية، وتعتمد بيانات "أوبك" على إحتياطيات النفط التقليدي في العالم ولا تشمل النفط الصخري، لذا خرجت كندا من قائمة أكثر الدول امتلاكاً للإحتياطيات، نظراً لأن معظم الاحتياطي لديها من النفط الصخري.

<sup>1</sup> Kamil al-Mehaidi ,Geographical Distribution of Iraqi Oil Fields And Its Relation with the New Constitution REVENUE WATCH INSTITUTE,P 5. <http://www.iraqrevenuewatch.org/reports/052706.pdf>

من خلال الجدول أعلاه يمتلك العراق إحتياطيات نفطية مؤكدة تبلغ أكثر من 148 مليار برميل من النفط، أي ما نسبته 9.4% من مجموع الإحتياطي العالمي<sup>3</sup>. ويكمن المقدار الأعظم من هذا النفط في جنوب البلاد. لكن تقديرات الخبراء تتفاوت بدرجة كبيرة لأن الاستكشافات النفطية لم تطل إلا 10% من الأراضي العراقية. كما ان بعض الخبراء يرى أن اللكامن النفطية العميقة الواقعة معظمها في منطقة الصحراء الغربية يمكن أن تكون مصادر نفطية إضافية قد تصل إلى 100 مليار برميل آخر أو أكثر حسب بعض الآراء المتفائلة، وقد لا تتجاوز الـ 45 مليار برميل حسب الآراء غير المتفائلة<sup>4</sup>. علماً أن هذه المناطق لم يجري استكشافها بعد. إلا إن فرقا تابعة لوزارة النفط العراقية اكتشفت مخزونات ضخمة من الغاز الطبيعي في خمس رقع استكشافية، يقدر إجمالها بنحو 25 تريليون مغمق مغمق يساوي مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي<sup>5</sup>. أما أبرز الحقول النفطية فهي كالآتي:

### حقول النفط في جنوب العراق:

**حقل الرميلة:** يقع في محافظة البصرة جنوب العراق وقد اكتشف من قبل بعثة شركة نفط العراق<sup>6</sup>. عام 1953 ويعد من أكبر الحقول العراقية وهو تاسع أكبر حقل نفطي عالمي وينقسم إلى قسمين الرميلة الشمالي والرميلة الجنوبي ويمتد من غرب مدينة البصرة متجها جنوبا حتى يدخل جزؤه الجنوبي في الكويت، وتبلغ مساحة الحقل 38 كيلومترا طولاً و12 كيلومترا عرضاً، واحتياطيات تبلغ نحو 17.7 مليار برميل وتزيد آباره على 531 بئراً منتج<sup>7</sup>.

**حقل غرب القرنة:** يقع في محافظة البصرة على بعد 65 كم شمال غربي مدينة البصرة بدأ الإنتاج فيه سنة 1973 يحتوي على مخزون يقدر بـ 24 مليار برميل. وينقسم إلى منطقة حقل غرب القرنة 1، وحقل غرب القرنة 2.

**حقل الزبير:** يقع حقل الزبير على بعد 20 كم جنوب غربي مدينة البصرة. وتم اكتشافه في العام 1949 ويبلغ احتياطه الآن نحو 4 مليار برميل نفط.

**حقل مجنون:** يقع في محافظة البصرة على بعد 60 كم شمال غرب مدينة البصرة، ويمتد شمالاً باتجاه محافظة ميسان. تم اكتشافه في العام 1975، تبلغ مساحة الحقل 60 كيلومترا طولاً و15 كيلومترا عرضاً، ويقدر مجموع احتياطاته المثبتة الآن بنحو 13 مليار برميل نفط.

<sup>2</sup> الحياة الاخبارية على الرابط: <https://allhayat.net/?p=144515>

<sup>3</sup> Lawrence Kumins, Iraq Oil Reserves, Production and Potential Revenues, CRS Report for Congress. Apr. 13 - 2005, <http://www.fas.org/sgp/crs/mideast/RS21626.pdf>

<sup>4</sup> عمرو هشام محمد، " واقع الصناعة النفطية في العراق ومتطلباتها المستقبلية"، دراسات اقتصادية، مجلة فصلية محكمة تصدر عن بيت الحكمة، العدد 20 السنة السابعة بغداد: 2008، ص 13.

<sup>5</sup> محمد علي، " العراق يكتشف كميات ضخمة من الغاز الطبيعي في الأنبار" تقرير في صحيفة العربي الجديد العدد الصادر 2021/4/19

<sup>6</sup> شركة نفط العراق IP.C هي شركة نفطية احتكرت جميع عمليات التنقيب عن النفط وإنتاجه في العراق بين عامي 1925 و1961. وكانت هذه الشركة ملكيتها موزعة على النحو الآتي: 23,75% شركة النفط البريطانية(ملكية بريطانية بالكامل) 23,75% شركة النفط الفرنسية (ملكية فرنسية بالكامل) 23,75% شركة شل الهولندية الملكية (ملكية بريطانية هولندية مناصفة) 23,75% شركة انماء الشرق الأدنى، وهي شركة موزعة مناصفة بين شركة ستاندرد اويل نيو جرسى وشركة سكوني فاكوم اويل (ملكية أمريكية بالكامل) 5% مؤسسة كولينكيان (برتغالية)، وبذلك يصبح المجموع 100%، وكانت مدة الامتياز 75 سنة، للمزيد عن تطور الامتيازات النفطية في العراق، ينظر نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق، جامعة بغداد بغداد-1980، ص 27 وما بعدها.

<sup>7</sup> Patrick Schmidt., " Oil and Gas Fields: Rumaila, <https://www.iraq-businessnews.com/list-of-oil-and-gas-fields-in-iraq/oil-and-gas-fields-rumaila>

**حقل نهر بن عمر:** المعروف أيضاً باسم نهر عمر، يقع على بعد 15 كم شمال مدينة البصرة. تم اكتشافه في أربعينيات القرن العشرين، وتبلغ مساحة الحقل 40 كم طول و25 كم عرض، أما مقدار الاحتياطيات المثبتة للحقل فتبلغ الآن بنحو 6.5 مليار برميل نפט، و12 مليار قدم مكعب غاز<sup>8</sup>.

**حقول نفط ميسان:** وهي مجمع من الحقول يقع على بعد 175 كلم شمال مدينة البصرة بالقرب من الحدود مع إيران، بما في ذلك حقول أبو غريب وجبل فوقي الفكة وبزرقان النفطي. الاحتياطيات 2.5 مليار برميل نפט

**حقل حلفايا:** يقع في محافظة ميسان جنوب شرق العراق على بعد 35 كيلومترا جنوب شرقي مدينة العمارة، تم اكتشافه في العام 1976، ويبلغ حجم الحقل 35 كيلومترا طول وبعرض 10 كيلومترا، تبلغ احتياطياته نحو 4.1 مليار برميل نפט.

**حقل الغراف:** يقع في محافظة ذي قار جنوب العراق، على بعد 85 كيلومتر شمال الناصرية تم اكتشافه: 1984. يبلغ طول الحقل 17.5 كم وعرضه 5.5 كم. وتقدر حجم الاحتياطيات بنحو 860 مليون - 1 مليار برميل نפט.

**حقل بدرة:** يقع في محافظة واسط شرقي العراق، على بعد 160 كم جنوب شرق مدينة بغداد، وتم اكتشافه في العام 1979. يبلغ حجم الحقل 16 كم طول و 6 كم عرض<sup>9</sup>.

#### **حقول النفط في وسط وشمال العراق<sup>10</sup>:**

**حقل كركوك:** يقع في محافظة كركوك شمال العراق قرب مدينة كركوك. تم اكتشافه في العام 1927 وبدأ الإنتاج عام 1934، أما مساحة الحقل فهي على شكل مستطيل باتجاه الشمال الغربي والجنوب الشرقي إذ يزيد طوله عن 100 كيلومتر وعرضه يصل إلى 4 كيلومترات. واشتملت آباره على 196 بئرا وتبلغ احتياطياته الان نحو 8.7 مليار برميل نפט.

**حقل باي حسن:** يقع في منطقة الدبس جنوب غربي حقل كركوك. وتعد آباره أعمق آبار كركوك وحقل باي حسن الذي تبلغ عدد آباره نحو 35 وبدأ الإنتاج فيه منذ حزيران /يونيو 1959 تبلغ احتياطياته الان نحو: 2.078 مليار برميل نפט.

**حقل جمبور:** يقع شمال شرق مدينة كركوك، وهو موازٍ لحقلي كركوك وباي حسن. وقد بدأ الإنتاج فيه منذ آب/أغسطس 1959. وتبلغ عدد آباره 16 بئر.

**حقل شرق بغداد:** يقع الحقل في محافظتي بغداد وصلاح الدين، على بعد 10 كيلومترات شرقي مدينة بغداد. وتم اكتشافه في العام 1976، تبلغ مساحة الحقل 65 كيلومترا طولاً، و11 كيلومترا عرضاً يغطي فقط الجزء الشمالي الغربي من نهر ديالى.

<sup>8</sup> <https://www.iraq-businessnews.com/list-of-oil-and-gas-fields-in-iraq/oil-and-gas-fields-nahr-bin-umar/>

<sup>9</sup> باتريك شميث.

<https://www.iraq-businessnews.com/list-of-oil-and-gas-fields-in-iraq/oil-and-gas-fields-nahr-bin-umar/>

<sup>10</sup> عبدالرزاق خلف محمد الطائي، "الصناعة النفطية العراقية الواقع والطموح"، مجلة دراسات اقليمية، مجلد 8، العدد 26، جامعة الموصل، 2012، ص ص322-323.



**حقول النفط في محافظة نينوى<sup>11</sup>: حقل القيارة النفطي** جنوب مدينة الموصل حيث تم اكتشافه في العام 1927، وتبلغ احتياطاته الان نحو 800 مليون برميل ويقدر عدد آبارها بنحو 59 بئراً نفطية، يستغل منها نحو 33 بئراً منتجة، و**حقل نجمة النفطي** ويقع جنوب الموصل ويضم 89 بئراً نفطية تم اكتشافها في فترة سابقة، ومن حقول محافظة نينوى **حقل عين زالة** و**حقل بطمة** قرب ناحية زمار والبالغ مجموع آبارهما نحو 44 بئراً و**حقل صفيّة** المتاخم للحدود السورية.

**حقول النفط في محافظة صلاح الدين: حقل تكريت** علاس، و**حقل عجيل**، و**حقل بلد**، والتي تقع كلها في محافظة صلاح الدين.

كما يقع **حقل نفط خانة** في محافظة ديالى في وسط البلاد.<sup>12</sup>

والجدول رقم 2 يبين توزيع الحقول النفطية المنتجة وغير المنتجة وتقدير احتياطاتها النفطية حسب مواقعها من المحافظات:

<sup>11</sup> المصدر نفسه، ص ص 323-324.

<sup>12</sup> تاره مقداد احمد، نصيف جاسم اسود، "الأهمية الجيواقتصادية للنفط الخام العراقي وتداعياته في منظمة اوبك بمنظور الجغرافية السياسية"، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد 11، الإصدار 3 الجزء 2، جامعة تكريت، 2019، ص 209.

## جدول رقم 2

المحافظة	الاحتياط بالمليون برميل	الحقول المنتجة	الحقول غير المنتجة
البصرة	69,277	رميلة الشمالية/ رميلة الجنوبية/نهر عمر/الزبير / غرب القرنة/مجنون / الصبة/ طوبة / اللحيس	رطاوي / راجي / جريشان/ سيبا / صفوان
التأميم	34,475	كركوك / باي حسن /خجاز /جمبور	حمرين / جديدة
ميسان	8,500	الفكة/حلفاية /ابوغرب/ بزركان/ العمارة/	الحويزة والرفيع وشرق رافيدان والدجيلة والقमित/ حويزة/ رفاعي/ نور/ كميت رافدين/ دجيل.
بغداد مع صلاح الدين	11	حقل شرق بغداد مع امتداده في محافظة صلاح الدين	
ذي قار	5,070		ناصرية / غراف / غرب الرافدين
مليار	7,510	قبارة / عين زلة / صفيّة /بظمة /شيخان يدار من قبل الإقليم	نجمة/ جاوان/ قصاب/ علان/ سرجون
نينوى			ابراهيم
اربيل	4,160		مخمور /قرة جوق/قبة خرمانة / طقق /دمر داغ
صلاح الدين	2725	تكريت / بلد/عجيل مشترك مع محافظة التأميم	شرق بغداد الامتداد الشمالي / بلكانة
واسط	1,350		بدرة/ أهدب / ظفرية
ديالى	650	نفط خانة	خشم /الأحمر/ انجانة/جياسورخ / قمر/ نفط خانة/ناودومان/جريابيكة
كربلاء	340		مرجان / غرب الكفل
النجف	200		شرق الكفل مشترك مع محافظة كربلاء
المنى	20		أبو خيمة
السليمانية	700		يوجد حقلين للغاز هما جمجمال وخور
دهوك	1,6		مور
الأنبار/ القادسية/ بابل	-	لم يكتشف حقل نفطي لحد الان	
المجموع	148,310	27	45

تم إعداد الجدول أعلاه بالاعتماد على بيانات وزارة النفط العراقية ووزارة الموارد الطبيعية في إقليم كردستان وغيرها من المصادر. العلامة (-) تعني المعلومات غير متوفرة.

### ثانياً- القدرات الإنتاجية وتوزيع الحقول المنتجة:

بلغ إنتاج العراق النفطي ذروته في ديسمبر/كانون الأول 1979 عندما وصل إلى 3,7 مليون برميل يوميا، أما التطور الأكثر أهمية في الإنتاج النفطي في العراق، فقد حدث خلال الفترة 1976-1981 حينما وصل مستوى الإنتاج إلى حوالي 3.2 مليون برميل يوميا كمتوسط لتلك الفترة، وكان من المخطط له الوصول بالإنتاج إلى 5.5 مليون برميل/يوماً في العام 1983، إلا أن ظروف الحرب مع إيران في العام 1980، وما رافقها من تدمير للبنية الارتكازية في القطاع النفطي، لم توقف طموحات تلك الخطة فحسب، بل دمرت كل مرافق الإنتاج والتصدير أيضاً. وخلال العام 1989 تم تبني خطة تهدف للوصول إلى طاقة إنتاجية مقدارها 6 مليون برميل/يوماً. لكنها مرة أخرى توقفت بسبب اجتياح العراق للكويت، وقبيل الاجتياح بلغ الإنتاج النفطي 3.5 مليون برميل يوميا انخفض بعدها في ظل الحصار الدولي ليصل خلال الفترة 1991-1996 إلى متوسط مقداره 0,57 مليون برميل يوميا، وتراوح الإنتاج بين عامي 1996 و2002 بين 1,5 و2,7 مليون برميل. وبرغم قدرة النفط العراقي على أن يتخطى إنتاجه اليومي 4,5 ملايين برميل، إلى أن ظروف الحصار حال دون ذلك<sup>21</sup>. وبعد العام 2003 1.37 مليون برميل يوميا، ارتفع الإنتاج في عام 2008 إلى 2,281 مليون برميل يوميا، وكنتيجة لتطوير الإنتاج جراء جولات التراخيص ارتفع إنتاج النفط الخام إلى 3,4 مليون برميل يوميا عام 2014 إلى 4,6 مليون برميل يوميا عام 2019. والجدول رقم 3 يبين أبرز الحقول المنتجة في العراق الآن.

### جدول رقم 3

حقول جنوب العراق	إنتاج النفط إلف برميل يوميا	حقول شمال ووسط العراق	إنتاج النفط إلف برميل يوميا
شمال الرميلة	900	كركوك	700-550
جنوب الرميلة	600	باي حسن	150-100
غرب القرنة 1	380	جمبور	150-100
غرب القرنة 2	400	خباز	30
الزبير	485	القيارة	40
مجنون	225	نجمة	10
نهر بن عمر	20		
ميسان/بزركان	130	عجيل	25
جبل فوقي	50	شرق بغداد	20
ابو غراب	40	عين زالة	17
لحيس	50-30	بطمة	20
ارطاوي	1380		
المجموع	3,340000	المجموع	نحو مليون برميل
المجموع الكلي		4,500000	

الجدول من اعداد الباحث بناء على المعلومات المتوفرة في مصادر البحث بدون حقول نفط كوردستان.

<sup>21</sup> العربية نت، نشر في: 04 / 01 / 2022، على الرابط -/04/01/2022/oil-and-gas/aswaq/ www.alarabiya.net

### ثالثاً- كمية إنتاج النفط العراقي وصادراته ونسبه في منظمة أوبك والعالم:

الجدول رقم 4: إنتاج وصادرات النفط الخام في العراق وأهميته النسبية بالنسبة لأوبك والعالم للمدة 2004-2021

السنة	اللعديل اليومي للإنتاج (مليون برميل)	التصدير	نسبة الإنتاج الى العراق الى	نسبة الإنتاج الى العالم الى	السنة	المعدل اليومي للإنتاج (مليون برميل)	معدل التصدير اليومي (مليون برميل)	نسبة الإنتاج الى العراق الى	نسبة الإنتاج الى العالم الى
			أوبك%	العراق الى				أوبك%	العراق الى
				العالم%					العالم%
2004	1,995	1,535	6.73	2.69	2013	2,98	2,390	9.34	4.09
2005	1,853	1,402	5.73	2.59	2014	3,11	2,520	10.70	4.60
2006	1,955	1,51	8.12	2.69	2015	3,482	3	10.89	4.66
2007	2,035	1,643	6.38	2.85	2016	Nis.16	3.302	-	-
2008	2,281	1,849	6.89	3.17	2017	Nis.46	3.309	-	-
2009	2,336	1,906	8.07	3.39	2018	4.6	3.5	-	-
2010	2,358	1,89	8.06	3.37	2019	4,6	3.460	-	-
2011	2,653	2,166	8.80	3.38	2020	4.114	3.000	-	-
2012	2,942	2,423	9.08	4.04	2021	4.100	2.962	-	-

### المبحث الثاني- دور النفط في الاقتصاد العراقي بعد 2003

يشغل قطاع النفط مكانة كبيرة في الاقتصاد العراقي ويلعب الدور الرئيسي في عملية التنمية الاقتصادية حيث يعتمد بـ صور أساسية على إنتاج النفط وتصديره والعوائد المالية المتحصلة منه. ولغرض الوقوف على مساهمة النفط في الاقتصاد العراقي يمكن تقسيم المبحث إلى الآتي:

#### أولاً- مساهمة النفط في الناتج المحلي الإجمالي:

يعرف الناتج المحلي الإجمالي بأنه عبارة عن قيمة الإنتاج من السلع والخدمات النهائية المتحققة خلال السنة، والناتج المحلي الإجمالي يعبر عن كفاءة الأداء الاقتصادي للبلد<sup>14</sup>.

وبعد القطاع النفطي المساهم الفعلي في الناتج المحلي الإجمالي، الأمر الذي جعل الاقتصاد العراقي اقتصاداً ريعياً حسب تصنيف الخبراء الاقتصاديين وذلك من خلال الاعتماد على الإنتاج والصادرات النفطية كمصدر رئيس للإيرادات العامة، حيث سجلت نسبة مساهمة القطاع النفطي في الناتج المحلي الإجمالي عام 2005 نحو 63.9% وهي أعلى نسبة مساهمة للقطاع النفطي خلال مدة الدراسة، أدى ذلك إلى زيادة الإيرادات العامة مما ساهم في تشغيل القطاعات الأخرى وبلغ متوسط

<sup>14</sup> وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء، التقديرات الأولية للناتج المحلي الإجمالي للفصول الثلاثة لسنة 2019، بغداد، كانون الاول 2019، ص2.

مساهمة القطاع النفطي في الناتج المحلي الإجمالي 9.53% وبلغت أدنى نسبة له في العام 2013<sup>15</sup>. وسجلت نسبة مساهمة القطاع النفطي في الناتج المحلي الإجمالي في العام 2015 حوالي 60% والجدول رقم 5 يوضح تطور نسبة مساهمة القطاع النفطي في الناتج المحلي الإجمالي في العراق للمدة 2004-2021

#### الجدول رقم 5

السنة	النسبة %	السنة	النسبة %	السنة	النسبة %
2004	58	2010	54.7	2016	60.4
2005	63.9	2011	58	2017	61.5
2006	53.7	2012	52.4	2018	60.25
2007	53.9	2013	41.5	2019	62.3
2008	56	2014	43.5	2020	57
2009	55.5	2015	60	2021	42%

الجدول من إعداد الباحث بناء على المعلومات المتوفرة في الجهاز المركزي للإحصاء في وزارة التخطيط العراقية.

#### ثانياً- تطور الإيرادات النفطية العراقية:

نتيجة لإعادة الاهتمام والأولوية التي أعطتها الدولة للقطاع النفطي باعتباره المحرك الأساس للاقتصاد العراقي ارتفعت الإيرادات المالية للحكومة، فبعد أن كان الإنتاج اليومي للنفط عام 2003 قرابة 1.37 مليون برميل يومياً والتصدير 0,866 مليون برميل يومياً، ارتفع الإنتاج في عام 2008 إلى 2,281 مليون برميل يومياً والتصدير إلى 1,755 مليون برميل يومياً، وكنتيجة للاهتمام الذي أولته خطة التنمية الوطنية 2010-2014، إلى نشاط النفط فقد ارتفع إنتاج النفط الخام إلى 3,4 مليون برميل يومياً عام 2014 وارتفع التصدير إلى 2,5 إلى مليون برميل للعام نفسه والذي صاحبه تطوير في البنى الارتكازية وخاصة طاقات منافذ التصدير، ثم ارتفع كل من الإنتاج والتصدير ووصل إلى 3,5 مليون برميل يومياً و3 مليون برميل يومياً على التوالي في عام 2015، واستمر بالارتفاع حتى وصل إلى 4,46 - 3,25 كل من الإنتاج والتصدير على التوالي في عام 2017، وهذا الأمر انعكس على العوائد النفطية المتأتية من تصدير النفط الخام، وهي تعد الأساس في تحقيق الإيرادات النفطية وقد ظلت عوائد النفط العراقي للمصدر الاساسي بل الوحيد لتمويل برامج التنمية عموماً<sup>16</sup>.

أما فيما يخص الإيرادات أو العوائد النفطية فإنها ارتفعت وأخذت تتجه بشكل تصاعدي، أن هذا الارتفاع لا يعود إلى تحسن مستويات إنتاج النفط العراقي ومستوى صادراته، وإنما إلى الارتفاع الكبير الذي شهدته أسعار النفط في الأسواق العالمية، هذا التحسن استمر إلى عام 2012، بعدها أخذت الإيرادات النفطية بالانخفاض نتيجة الهبوط العام في أسعار النفط خاصة في عامي 2015-2016 فإن تدهور سعر البرميل من النفط من 147 دولار للبرميل إلى أقل من 40 دولار، أحدث

<sup>15</sup> حسام الدين طه محسن، "أثر التغير في أسعار النفط في النمو الاقتصادي في العراق للمدة 2005-2017 دراسة تحليلية"، مجلة البحوث والدراسات النفطية، العدد 30، 3، 2021، ص52.

<sup>16</sup> سامي حميد عباس، منار سامي حميد، الإيرادات النفطية وانعكاساتها على بعض مؤشرات التنمية المستدامة في العراق للمدة 2003-2018، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، مجلد 12، العدد 30 جامعة الأنبار، 2020، ص 11.

عجزاً في الموازنة العراقية مما أجبر الحكومة العراقية على الاقتراض، لذلك يؤدي القطاع النفطي ممثلاً بإيراداته دوراً مهماً في مختلف القطاعات الاقتصادية في العراق فهو المصدر الرئيس في إيرادات الدولة<sup>17</sup>.

وكما هو معروف فإن ارتفاع اسعار النفط يصاحبه ارتفاع في حجم الإنتاج مما جعل العوائد النفطية في العراق ترتفع بنسب عالية، مما يؤدي إلى توسيع استخدام العوائد بهدف توسيع قاعدة الاقتصاد الوطني، يظهر هيمنة الصادرات النفطية على النشاط التصديري، فقد تجاوزت الصادرات النفطية 98% من مجموع الصادرات، وبكل تأكيد فإن هذه الإيرادات النفطية المتأتية من تصدير النفط الخام تتأثر بالأسعار السائدة في السوق النفطية العالمية، لذا أصبح من الضروري تنويع القاعدة الاقتصادية في العراق بدلاً من الاعتماد على مورد واحد قابل للنضوب<sup>18</sup>.

والجدول رقم 6 إنتاج النفط وتصديره ونسبة مساهمة الإيرادات النفطية في الإيرادات الكلية للعراق للمدة 2003-2021

الجدول رقم 6 (م.ب.ب: مليون برميل يومياً)

السنوات	إنتاج النفط م.ب.ب	صادرات النفط الخام م.ب.ب	الإيرادات النفطية مليار دولار	نسبة مساهمة الإيرادات النفطية % في الإيرادات الكلية
2003	Oca.37	0.866	7.519	98.3
2004	Oca.99	1.369	17.751	98.9
2005	Oca.83	1.287	19.050	97.4
2006	Oca.93	1.377	20.465	98.7
2007	2.Mar	1.625	39.433	97.4
2008	Şub.28	1.755	61.11	98.8
2009	Şub.33	1.905	39.31	94
2010	Şub.35	1.845	51.589	95.1
2011	Şub.55	2.165	82.970	94.3
2012	Şub.94	2.423	94.078	96.9
2013	Şub.97	2.389	89.145	96.3
2014	Mar.45	2.515	84.204	93.3
2015	Mar.50	3.004	44.000	89.6
2016	Nis.16	3.302	39.835	81.3
2017	Nis.46	3.250	59.505	82.3
2018	Nis.45	3.900	83.680	89.7
2019	4,6	3,47	78.527	-
2020	4.105	3.000	42	-
2021	4.100	2.962	75.65	-

Source: Christophe Jaffrelot Ed., Pakistan at the Crossroads: Domestic Dynamics and External Pressures, Columbia University Press ,New York -2016, p.314.

<sup>17</sup> المصدر نفسه، ص11.

<sup>18</sup> المصدر نفسه، ص12.

## المبحث الثالث- الوزن السياسي للنفط العراقي

يؤثر النفط في السياسة عن طريق توظيفه كأداة من أدوات السياسة الخارجية للدول النفطية كوسيلة ضغط مباشرة أو غير مباشرة في المفاوضات الخارجية من جهة ومن جهة أخرى يمكن ان تكون الدول النفطية محط تنافس من قبل القوى الدولية. كما يمكن توظيف النفط كادا من أدوات الحفاظ على وحدة الدولة وخاصة في ظل وجود دستور يدعو إلى تشكيل اقاليم كما في العراق وبهذا للمبحث سوف نتناول الوزن السياسي للنفط العراقي من خلال الإجابة على الآتي:

**أولاً- موقع النفط في الاحتلال الأمريكي للعراق:** لم يكن النفط هو الهدف الوحيد في غزو واحتلال العراق في العام 2003 لكنه بالتأكيد كان الهدف المركزي، ويمكن الاستشهاد على ذلك من خلال تصريحات كبار الشخصيات العسكرية والسياسية الأمريكية<sup>19</sup>، هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكن الاستشهاد بتوظيف النفط كأداة من أدوات السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق.

فلم يكن النفط بعيداً عن خطط وأهداف السياسة الأمريكية بفرض الحصار الاقتصادي على العراق في آب/ أغسطس 1990<sup>20</sup>، وحرمان نظام الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين من تصدير النفط كونه مصدراً من مصادر قوته، وهذا ما يفسر امتداد الحصار حتى احتلال العراق في نيسان / ابريل 2003.

وبالعودة إلى التصريحات يمكن الاكتفاء بما قاله بول وولفيتز Paul Wolfowitz، مساعد وزير الدفاع الأميركي للمدة 2001-2005، في ايار /مايو 2003 أثناء قمة الأمن الآسيوي في سنغافورة وردا على سؤال حول سبب معاملة قوة نووية مثل كوريا الشمالية بشكل مختلف عن العراق، حيث لم يتم العثور على أي أسلحة دمار شامل في الأخير، قال نائب وزير الدفاع: “دعونا ننظر إلى الأمر ببساطة. أهم فرق بين كوريا الشمالية والعراق هو من الناحية الاقتصادية، لم يكن لدينا خيار في العراق. البلد يسبح على بحر من النفط “<sup>21</sup>.

أما من الناحية العملية ففي تقرير صدر في 2001 حول أمن الطاقة تم إعداده بتكليف من نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني Dick Cheney 2001-2009 نشره لاحقاً مجلس العلاقات الخارجية ومعهد جيمس بيكر للسياسة العامة. حيث حذر هذا التقرير من أزمة طاقة عالمية وشيكة من شأنها أن تسبب في اضطراب الأوضاع الاقتصادية بالولايات المتحدة، مشيراً إلى أن المصدر الرئيسي للاضطراب هو “التوترات بالشرق الأوسط” وخصوصاً التهديد الذي يشكله العراق. والعبارة التالية وردت بالنص

<sup>19</sup> ومنها مقالة الجنرال جون أبي زيد، الرئيس السابق للقيادة المركزية الأمريكية والعمليات العسكرية في العراق، في عام 2007: “بالطبع الأمر يتعلق بالنفط؛ لا يمكننا إنكار ذلك حقاً”. ووافق رئيس الاحتياطي الفيدرالي السابق ألان جرينسبان، في مذكراته، “أشعر بالحنن لأنه من غير اللائح سياسياً الاعتراف بما يعرفه الجميع: حرب العراق تدور إلى حد كبير حول النفط.”

Antonia Juhasz., “ Why the war in Iraq was fought for Big Oil”, Special to CNN April 15, 2013.  
<https://edition.cnn.com/2013/03/19/opinion/iraq-war-oil-juhasz/index.html>

<sup>20</sup> عصام الجبلي، “ النفط والصراع السياسي في العراق ”، موقع دراسات الجزيرة في 2012/4/5 على الرابط:  
<https://studies.aljazeera.net/en/node/3398>

<sup>21</sup> Daniel W. Drezner, “ Galactically stupid distortion at the guardian “, Foreign Policy Magazine June 4, 2003,  
<https://foreignpolicy.com/2003/06/04/galactically-stupid-distortion-at-the/>

في التقرير: "هناك احتمال بأن يقوم صدام بسحب النفط العراقي من السوق لفترة طويلة من الزمن من أجل الإضرار بالأسعار".... "لا يزال العراق يمارس نفوذاً مزعماً لاستقرار التدفقات النفطية من الشرق الأوسط إلى الأسواق الدولية. كما أبدى صدام حسين استعداده لاستخدام صادرات بلاده من الخام للتلاعب بأسواق النفط، وهذا سيؤدي إلى توطيد أركان حكمه وتعزيز صورته كزعيم عربي، والضغط على الآخرين من أجل رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على نظامه". لذا يجب على الولايات المتحدة إجراء مراجعة فورية لسياستها تجاه العراق بما في ذلك العسكرية ويجب بعد ذلك تطوير استراتيجية متكاملة مع الحلفاء الرئيسيين، لإعادة صياغة الأهداف فيما يتعلق بالسياسة العراقية<sup>22</sup>

وعلى الجانب البريطاني كشفت صحيفة إندبندنت حسب وكالة رويترز إن خمسة اجتماعات على الأقل عُقدت في تشرين الاول/ أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2002 بين مسؤولين حكوميين بريطانيين، وشركات نفطية كبرى كشركة بريتيش بتروليوم BP، وشركة شل Shell Oil Company ومجموعة بي جي BG Group نوقشت خلالها خططاً لاستغلال احتياطات العراق النفطية، وبحسب محضر إحدى الاجتماعات نقل عن إدوارد تشابلن Edward Chaplin مدير شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بوزارة الخارجية 2002-2004، قوله، "لقد عقدنا العزم على الحصول على حصة عادلة من الإجراءات للشركات البريطانية في عراق ما بعد صدام". وأكدت وزيرة التجارة والاستثمار آنذاك إليزابيث سيمونز Elizabeth Symons خلال الاجتماع لشركات النفط " أن الحكومة تعتقد أنه ينبغي منح شركات الطاقة البريطانية حصة من احتياطات النفط والغاز في العراق، بالنظر إلى التزام بلير بالخطط الأمريكية"<sup>23</sup>.

اجتمعت مجموعة النفط والطاقة التابعة لمشروع مستقبل العراق التابع لوزارة الخارجية الأمريكية للمدة من شباط/فبراير 2002 إلى نيسان/أبريل 2003، والتي ضمت خبراء أميركيين فضلاً عن مغتربين عراقيين، حيث تم الاتفاق على أن يكون العراق "مفتوحاً أمام شركات النفط العالمية في أسرع وقت ممكن بعد الحرب"<sup>24</sup>

وجاء في محضر اجتماع عقد في 12 أيار/مايو 2003 ما يلي: "الشكل المستقبلي للصناعة العراقية سيؤثر على أسواق النفط، وعمل أوبك، ..و"أن النتيجة" المرغوبة" لصناعة النفط العراقية المعطلة هي قطاع نفطي مفتوح وجذاب للاستثمار الأجنبي، مع الترتيبات المناسبة لاستغلال الحقول الجديدة. وأن "تدخل الشركات الأجنبية يبدو أنه الحل الوحيد الممكن" لجعل العراق مصدراً موثقاً للنفط<sup>25</sup>.

<sup>22</sup> Nafeez Ahmed, "Iraq invasion was about oil", The Guardian Thu 20 Mar 2014.

<https://www.theguardian.com/environment/earth-insight/2014/mar/20/iraq-war-oil-resources-energy-peak-scarcity-economy>

<sup>23</sup> Karolina Tagaris ; Peter Graff, "UK held talks with oil firms before Iraq invasion -paper", Reporting From Reuters ,London, April 19, 2011 , www.reuters.com/article/britain-iraq-oil-idUSLDE73100J20110419

<sup>24</sup> Antonia Juhasz., " Why the war in Iraq was fought for Big Oil", Special to CNN April 15, 2013. <https://edition.cnn.com/2013/03/19/opinion/iraq-war-oil-juhasz/index.html>

<sup>25</sup> Nafeez Ahmed



تم خلال الأيام الأولى من الاحتلال تعيين شخصية أميركية لإدارة القطاع النفطي استمرت لمدة ستة شهور، وأنيط العمل لما سمي بإعادة تأهيل القطاع بشركات أميركية مثل هالبرتون، بكتل، بارسونز، وورلي.. وغيرها<sup>26</sup>. وفي ايلول/سبتمبر 2003 عينت حكومة الاحتلال الأمريكي إبراهيم بحر العلوم أحد أعضاء المجموعة وزيراً للنفط حيث شرع بحر العلوم على الفور في محاولة تنفيذ أهداف المجموعة<sup>27</sup>

كان النظام القانوني العراقي يقف في طريق شركات النفط الغربية للعامل في العراق لذا ناقش البعض داخل وخارج إدارة بوش بأنه ينبغي ببساطة تغيير قوانين النفط العراقية، لدى دفعت إدارة بوش الحكومة العراقية في السر والعلن إلى تمرير قانون النفط والغاز العراقي، الذي تمت صياغته جزئياً من قبل شركات صناعة النفط الغربية، وفي كانون الثاني/يناير 2007، وضعت إدارة بوش معايير محددة للحكومة العراقية، بما في ذلك تمرير تشريع نفطي جديد لتشجيع الاستثمار، ولكن بعد تجاوز البرلمان بدأت شركات لنفط العالمية عام 2008 بتوقيع عقود مع وزارة النفط العراقية ساعدت إدارة بوش في صياغتها عرفت بعقود جولات التراخيص.

وفي جولة التراخيص الأولى تم طرح الحقول العملاقة المنتجة للنفط الخام وهي حقول الرميلة والزبير وغرب القرنة فضلا عن حقول ميسان الفكة والبزركان وأبو غراب، حيث وقعت شركة بريتيش بتروليوم BP البريطانية عقد لمدة 25 سنة لتطوير وتشغيل حقل الرميلة، ووقعت شركة إكسون موبيل Exxon Mobil الأمريكية عقد لمدة 25 سنة لتطوير وتشغيل حقل غرب القرنة واحد، هذا إلى جانب توقيع شركات نفطية من دول مختلفة لتطوير حقول النفط العراقية في مناطق مختلفة من العراق، والجدول رقم 7 يبين ذلك:

### الجدول رقم 7

اسم الحقل	الموقع	نوع الترخيص، ومدته	تاريخ توقيع العقد	أسم الشركة	جنسية الشركة
الرميلة منتج	البصرة	عقد خدمة فنية، 25 سنة	3.11.2009	بريتيش بتروليوم	بريطانية
الزبير منتج	البصرة	عقد خدمة فنية، 25 سنة	22.01.2010	إيني، كوغاس	إيطاليا، كوريا الجنوبية
غرب القرنة1	البصرة	عقد خدمة فنية، 25 سنة	25.01.2010	اكسون موبيل، ايتوتشو، بتروتشائنا، بترامينا	أمريكية، يابانية، الصين، أندوسيا
منتج					
حقول ميسان	ميسان	عقد خدمة فنية، 20 سنة	17.05.2010	سينوك	تركيا
غرب القرنة 2	البصرة	عقد تطوير وخدمة الإنتاج، 25 سنة	31.01.2010	لوك أويل	روسيا
الرقعة 8 (غير منتج)	ديالى	عقد استكشاف وتطوير وخدمة الإنتاج، 30 سنة	5.11.2012	باكستان بتروليوم	باكستان

<sup>26</sup> عصام الجليبي، "النفط والصراع السياسي في العراق"، موقع دراسات الجزيرة في 2012/4/5 على الربط: <https://studies.aljazeera.net/en/node/3398>

<sup>27</sup> Antonia Juhasz., "Why the war in Iraq was fought for Big Oil", Special to CNN April 15, 2013. <https://edition.cnn.com/2013/03/19/opinion/iraq-war-oil-juhasz/index.html>

الكويت، مصر	كويت انرجي، دواگران أويل، الهيئة المصرية العامة للبترول	27.01.2013	عقد استكشاف وتطوير وخدمة الإنتاج، 30 سنة	البصرة	الرقعة 9 الفيحاء
روسيا	لوك اويل	27.11.2012	عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج، 30 سنة	ذي قار	الرقعة 9 (غير منتج)
روسيا	باشنفت	8.11.2012	عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج، 30 سنة	النجف، المثنى	الرقعة 12
الصين	جيو جيد		عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج، 30 سنة	ديالى	نفط خانة (منتج)
الصين	جيو جيد		عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج، 30 سنة	ميسان	الحويزة (غير منتج)
الصين	يوناييتد انرجي غروب		عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج،	البصرة	سندباد
الإمارات العربية	شركة نفط الهلال		عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج	البصرة/ المثنى	خضر الماي
الإمارات العربية	شركة نفط الهلال		عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج	ديالى	كلابات - كمر
الإمارات العربية	شركة نفط الهلال		عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج	ديالى	انجانة-خشم الاحمر
الصين	الواحة	1.09.2008	عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج، 20 سنة	واسط	الأحذب
الصين	تشاينا زينهوا	24.05.2018	عقد استكشاف، وتطوير وخدمة الإنتاج، 25 سنة	بغداد	شرق بغداد الجزء الجنوبي

## ثانيا- النفط واستفتاء إقليم كردستان:

يعد النفط ووارداته أحد أهم مؤثرات شكل العلاقات بين حكومة المركز وحكومة إقليم كردستان، وتعقد الأخيرة آمالاً كبيرة على النفط من أجل الحصول على مكاسب جيوسياسية. رغم ذلك، لم تغير هذه الموارد الكثير من المعطيات السياسية والاقتصادية، بل شكلت مصدراً للضغط السياسي على الإقليم. من جهة ومن جهة أخرى عندما سيطرت حكومة الإقليم على نفط كركوك أثناء سيطرة داعش على أجزاء من العراق شرعت حكومة الإقليم بتوظيف النفط توظيفاً سياسياً وذلك من خلال الإعداد للاستفتاء من أجل استقلال الإقليم عن العراق وجعل النفط مورده الرئيس للإقليم في حال نجاح مشروع الاستفتاء.

بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في العام 2003 وإقرار الدستور العراقي عام 2005 تم الإعلان عن قيام إقليم كردستان العراق برئاسة السيد مسعود البرزاني 2005-2017 وبرلمان وحكومة تدير شؤون الإقليم كجزء من العراق الاتحادي ومن الوزارات التي تم تأسيسها في حكومة إقليم كردستان وزارة الموارد الطبيعية في عام 2006، وبعد فشل إقرار قانون النفط والغاز في البرلمان العراقي تم إقرار قانون النفط والغاز لإقليم كردستان العراق عام 2007<sup>28</sup>.

<sup>28</sup> وحيد انعام الكاكائي، "جيوستراتيجية النفط والغاز في إقليم كردستان العراق والفواعل الاقليمية والدولية"، مجلة ديالى للبحوث الانسانية، المجلد 2، الاصدار 86، جامعة ديالى، 2021، ص 1

والذي ترى فيه الحكومة المركزية ان هذا القانون غير دستوري وفقاً للمادة 112 أولاً وثانياً من الدستور العراقي والتي ينص على ان تقوم الحكومة الاتحادية بإدارة النفط والغاز المستخرج من الحقول الحالية مع حكومات الأقاليم والمحافظات المنتجة على ان توزع وارداتها بشكل منصف يتناسب مع التوزيع السكاني في جميع أنحاء البلاد، وتقوم الحكومة الاتحادية وحكومات الأقاليم والمحافظات المنتجة معا برسم السياسات الاستراتيجية اللازمة لتطوير ثروة النفط والغاز.<sup>29</sup>

اتخذت حكومة إقليم كردستان مجموعة خطوات متسارعة لتطوير صناعة الطاقة، وتوقيع اتفاقيات وفق عقود "المشاركة في الإنتاج" التي استقطبت كبريات شركات الطاقة العالمية، مثل شيفرون واكسون وموبيل وتوتال، وروسنفت. هذه السياسة اعتبرتها حكومة بغداد فرض إرادة من قبل حكومة إقليم كردستان، لأنها سبقت إقرار قانون النفط والغاز الاتحادي، لا سيما وأن إقليم كردستان جزء من العراق الاتحادي. نتيجة لذلك، استطاع الإقليم ولأول مرة عام 2014 من تصدير النفط إلى الأسواق الدولية عن طريق خط أنابيب كردستان- تركيا.<sup>30</sup>

بالتزامن مع هجوم مسلحي تنظيم داعش على أجزاء واسعة من غرب وشمال العراق. وبتحول جيوسياسي سيطرت قوات البيشمركة الكوردية على مدينة كركوك وحقولها النفطية في حزيران / يونيو 2014، لذلك ظهر تقدم ملحوظ في مسألة تصدير النفط بين الإقليم وبغداد، من خلال وضع آلية تصدير النفط من الإقليم إلى الأسواق الدولية في ديسمبر/كانون الاول 2015، وقد تضمن الاتفاق قيام الإقليم بتصدير 550 الف برميل من النفط يومياً، بواقع 250 الف برميل من حقول الإقليم، إضافة إلى 300 الف برميل من حقول كركوك عبر خط أنابيب كردستان إلى تركيا، في المقابل سيحصل الإقليم على 17% من الموازنة العامة، مع ذلك لم تصمد هذه الاتفاقيات طويلاً أمام انعدام الثقة بين كلا الطرفين، وانخفض تحصة الإقليم من الموازنة لعام 2018 إلى 12%<sup>31</sup>.

في ظل الأوضاع الأمنية المضطربة الذي شهدها العراق جراء الحرب مع داعش والخلافات السياسية والمالية بين الإقليم والمركز، أعلن رئيس الإقليم مسعود البارزاني في السابع من حزيران/يونيو 2017 إجراء استفتاء على انفصال الإقليم عن العراق، وحدد يوم 25 أيلول/سبتمبر من نفس العام موعداً لإجراء ذلك.<sup>32</sup>

رغم التحذيرات القوية من قبل بغداد وطهران وأنقرة ومعارضة المجتمع الدولي ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية، جرت عملية الاستفتاء في الموعد المحدد، وبالرغم أن نتيجة الاستفتاء كانت ب "نعم" لصالح الانفصال عن العراق، إلا أنها جاءت بنتائج سلبية على الإقليم من حيث الوضع الاقتصادي وإنتاج النفط، إذ استعادت الحكومة المركزية سريعاً السيطرة على جميع المناطق المتنازع عليها، بما في ذلك كركوك وحقولها النفطية في 16 تشرين الاول / اكتوبر 2017 كما قامت

<sup>29</sup> الدستور العراقي لعام 2005 للمادة ص 28

<sup>30</sup> الكاكائي، المصدر السابق، ص1.

<sup>31</sup> المصدر نفسه، ص11.

<sup>32</sup> موقع الجزيرة، "استفتاء إقليم كردستان... تفاصيل وتطورات"

الحكومة العراقية، بالتنسيق مع أطراف إقليمية مثل طهران وتركيا للضغط على حكومة الإقليم اقتصادياً وأمنياً. مما أدى إلى إلغاء كافة الاتفاقيات النفطية بين الطرفين، وخسارة الإقليم الكثير من المكاسب السياسية والاقتصادية<sup>33</sup>.

ومع استمرار الخلاف بين بغداد وحكومة الإقليم حول إدارة ملف إقليم كردستان قرار المحكمة الاتحادية العليا قرارها ببطان قانون النفط والغاز الذي شرّعه حكومة إقليم كردستان عام 2007 والذي أتاح لها التعاقد مع شركات أجنبية لاستخراج وبيع النفط من حقول داخل محافظات أربيل والسليمانية ودهوك بالإضافة لاستخراجه من مناطق متنازع عليها في محافظات نينوى وكركوك وديالى وصلاح الدين من دون العودة لبغداد<sup>34</sup>.

### ثالثاً- النفط والدعوى لإنشاء إقليم البصرة:

تعد محافظة البصرة مركز صناعة النفط والنفذ البحري الوحيد للعراق على الخليج العربي، ومن أبرز المدن النفطية في العالم، حيث تضم حقولاً نفطية عملاقة، يقدر حجم احتياطها بنحو 55% من مجموع الاحتياطيات النفطية في العراق، ومجموع ما تنتج حقولها أكثر من 250 مليون برميل في اليوم لكن سكانها يعانون من تدني الخدمات وبخاصة الطاقة الكهربائية والمياه الملوثة والمالحة ونقص الخدمات العامة.

دفع وجود النفط في البصرة العديد من الشخصيات والأحزاب السياسية لطلب إعلان تشكيل إقليم البصرة مستغلين الدستور العراقي، فقد شهد أواخر العام 2008 أولى محاولات البصرة العملية بالتحوّل إلى إقليم، حيث قدم وائل عبد اللطيف محافظ البصرة آنذاك طلباً رسمياً إلى المفوضية العليا المستقلة للانتخابات لإجراء استفتاء على تشكيل إقليم البصرة، بعد حصوله على توقيع 2% من الناخبين وبدعم من حزب الفضيلة الإسلامي، لكن محاولته لم تتكلل بالنجاح بسبب تعذر الحصول على نسبة 10% من أصوات الناخبين، وهي المرحلة التي تمهد في حال نجاحها لإجراء استفتاء جماهيري عام<sup>35</sup>.

شعر المطالبون بقيام إقليم البصرة أنهم يواجهون قوة رفض صارمة من بغداد لمنع قيام إقليم في منبع النفط العراقي، فبغداد تخشى أن تفلت البصرة من الحكم المركزي تحت أي شكل أو مُسمى، لما يُشكله ذلك من تهديد جدي لموارد العراق المالية المعتمدة على نفط البصرة وموانئها في تصدير الخام المستخرج من أراضيها<sup>36</sup>.

<sup>33</sup> الكاكائي، المصدر السابق، ص 11.

<sup>34</sup> صلاح حسن بابان، "السيناريوهات المتوقعة بعد قرار القضاء العراقي تسليم نفط إقليم كردستان لبغداد" موقع الجزيرة في 2022/2/20 على الرابط: <https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/2/20>

<sup>35</sup> علاء عيسى راضي الجبوري، " إقليم البصرة بين اجراءات التشكيل الدستورية والقانونية ورغبات الإنشاء"، شبكة الانباء للمعلومات، <http://www.annabaa.org/arabic/authorsarticles/28751> الربط: 2021/10/12

<sup>36</sup> عمر الجفّال وصفاء خلف، " مطلب البصرة بإقامة إقليم أو الاستقلال في ظل أزمة الحكم المحلي فيها «، 2021/1/21 على الربط: مطلب-البصرة- بإقامة-الإقليم-أو-الاستقل/2021/01/22/mec/ <https://blogs.lse.ac.uk/mec/2021/01/22/mec/>

قدم 16 عضواً من مجلس محافظة البصرة سنة 2010، طلباً إلى مجلس الوزراء لإجراء استفتاء شعبي كمرحلة أولى لإقامة إقليم البصرة، لكن الحكومة وقتها تجاهلت طلبهم<sup>37</sup>.

انطلقت أواخر العام 2014 "الحملة الشعبية لتكوين إقليم البصرة"، ونجحت تلك الحملة، بعد أشهر، بتلقي رد رسمي حين تقدمت مجدداً إلى مفوضية العليا للانتخابات لإجراء استفتاء يتيح للبصرة التحوّل إلى إقليم. وظهر "علم إقليم البصرة". خلال التظاهرات. وقد أهملت الحكومة الاتحادية في حينها الردّ على طلب الاستفتاء مجدداً وفي ظل إقرار قانون "البصرة عاصمة اقتصادية للعراق" الذي حظي بعض الشيء بنظرة إيجابية لدى السكّان. فقد أصاب دعوة البصرة إلى الأقلمة الفتور والتراجع بفعل التصعيد بين بغداد وإقليم كردستان نتيجة قرار الأخير إجراء استفتاء للانفصال عن العراق<sup>38</sup>.

عادات المطالبات مرة أخرى مع ذروة الاحتجاجات الشعبية في العام 2018م إذ قام مجلس المحافظة بتقديم طلب لتحويل محافظة البصرة إلى إقليم، وبعد مضي عام، قرر المجلس ذاته في جلسة استثنائية تحويل المحافظة إلى إقليم، على أمل أن يُجرى الاستفتاء أواخر العام نفسه<sup>39</sup>، إلا أنه سرعان ما واجه رفضاً من جهات سياسية ودينية واسعة<sup>40</sup>. كما منحت الحكومة المحليّة ومجلس المحافظة في البصرة موازنة ضخمة من أجل نسيان فكرة الإقليم. وأثناء الاحتجاجات الحاشدة صيف 2020، بقيت أصوات تطالب بإنشاء إقليم البصرة، لكنها بدت أقلّ حدّة وأقلّ تأثيراً من السابق، فضلاً عن أنّها غير مُسندة بمسوّغ قانوني بعد قرار البرلمان الاتحادي بحل مجالس المحافظات.

في استبيان تم إعداده في العام 2019 حول أزمة الحكم المحلي في محافظة البصرة، أظهرت النتائج أن 43 بالمئة من المشاركين في الاستبيان أنه من الأمثل تحويل البصرة إلى إقليم مشابه لإقليم كردستان، فيما يجد 37 بالمئة أنه من الأفضل أن تتمتع البصرة بحكم لا مركزي إداري مع صلاحيات أوسع دون الذهاب إلى تشكيل إقليم، أما الإجابة عن فكرة الانضمام إلى إقليم مع المحافظات الجنوبية فكانت ستة بالمئة، وأيد فكرة الانفصال عن العراق وتأسيس دولة مستقلة ستة بالمئة<sup>41</sup>.

## الخاتمة

اهتم البحث في استعراض الوزن السياسي والاقتصادي لنفط العراق ومستقبله ونتيجة الأوضاع السياسية والاقتصادية التي يعيشها العراق، ويمكننا استخلاص النتائج وتقديم المقترحات التالية:

<sup>37</sup> مشتاق رمضان، "تحرك نيابي جديد لتشكيل إقليم البصرة تنفيذاً لمطالب شعبية"، 2022/2/22 على الربط:

<https://www.rudawarabia.net/arabic/middleeast/iraq/2202202210>

<sup>38</sup> الجفال وخلف، المصدر السابق، ص 3.

<sup>39</sup> الجبوري، المصدر السابق، ص 5.

<sup>40</sup> رمضان، المصدر السابق، ص 2.

<sup>41</sup> الجفال وخلف، المصدر السابق، ص 3.

## الاستنتاجات:

- تدهور الأوضاع الاقتصادية في العراق جعل النفط يقف في المقدمة باعتباره الممول الوحيد لميزانية الدولة التشغيلية والإنمائية، لذلك فإن ثمة مسؤولية جسيمة تقع على عاتق الحكومة تدعوها لاتخاذ قرارات مهمة لإبعاد شبح التدهور الاقتصادي.
- من بين أهم أولويات السياسة النفطية في العراق، هو إعادة تعميم وتأهيل الحقول والمنشآت النفطية وتطوير حقول جديدة واستكمال برامج الاستكشاف والتنقيب عن النفط واستغلال الغاز الطبيعي في أوسع القطاعات الاقتصادية وبناء معامل تكرير جديدة للاستهلاك المحلي والتصدير وتدريب وتأهيل ملاك نفطي جديد وتشجيع القطاع الخاص المحلي، والتأكيد على أهمية تشريع قانون نفطي واضح وشامل، يأخذ بعين الاعتبار إمكانات العراق الهيدروكربونية الكبيرة، وحالة الدمار والإهمال التي لحقت بتلك الصناعة، وشحة الموارد المالية وضرورة الاستعانة بالكفاءات العراقية الموجودة داخل العراق وخارجه.

## التوصيات:

- وضع الاستراتيجيات والسياسات، والخطط العامة اللازمة لإدارة وتنمية النفط والغاز والثروات المعدنية.
- إجراء الدراسات والبحوث العملية والفنية التخصصية في مجالات الصناعة النفطية وتقنياتها.
- توفير احتياجات السوق المحلي من المنتجات النفطية.
- تطبيق أنظمة الرعاية الاجتماعية والصحية ونظم السلامة المهنية الخاصة بالعاملين في مجالات أنشطة الوزارة المختلفة.
- العمل على الإسراع في إصدار القوانين اللازمة لتغطية عمل القطاع النفطي وإنشاء شركة النفط الوطنية في حالة عدم الوصول إلى إجماع في إصدار قانون النفط والغاز.
- مراجعة جولات التراخيص مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الحالية للعراق.
- على وزارة النفط تطوير كواردها العلمية والاستفادة من الخبرات الأكاديمية، وتفعيل دور الجهات ذات العلاقة لديها لتوعية المجتمع بجولات التراخيص وفوائدها التي ستعكس على المصلحة الوطنية العراقية.
- يجب مواكبة التطور العالمي، وعلى وزارة النفط أن تستغل فورات النفط لشراء حصص الشركات بالتدريج.
- حفر آبار جديدة في الحقول النفطية ذات الإنتاجية المنخفضة مع المسح الجيولوجي الشامل لجميع المنطقة المحيطة بالحقول.

# فرص استغلال التكنولوجيات الحديثة لتحقيق التنمية المستدامة في دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: الإدارة الذكية للطاقة ضمن مشاريع المدن الذكية

د. سامية غربي \*

## ملخص

الطاقة هي العمود الفقري لأي اقتصاد يطمح أن يتبوأ صدارة الدول المتقدمة، شريطة التحكم في إنتاجها وتوزيعها وترشيد سُبل استغلالها، فالتغيرات المتسارعة الناتجة عن التطور التقني والتكنولوجي أضحت الورقة الرابحة لمن يمتلكها، وهنا يحقق النجاح بتحقيق التوليفة المثلى بين استغلال التكنولوجيات الحديثة بما يحقق الاستغلال الأمثل للثروات ويضمن تحقيق تنمية مستدامة.

كما هو معروف أن أغلب دول الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا هي من الأغنى من حيث الثروات، ولكن بالمقابل من أضعف الدول استغلالاً للتكنولوجيات الحديثة، خاصة في ظل صراعات دولية وإقليمية على الطاقة والذي تلوح أفق استمراره لعقود، فالتفاوت الملحوظ بين اقتصاديات بعض دول الشرق الأوسط وبعض دول الشمال الإفريقي في مجالات عديدة خلق مفارقة "عدم المساواة" بين الأقطاب، وحلحل فرص التعاون وتوطيد العلاقات بينها، وهنا يكمن هدف هذه الورقة البحثية التي من خلالها نحاول إبراز أهم الفرص التي يمكن الاستفادة منها لتحقيق استغلال تكنولوجي يراعي شروط التنمية المستدامة من خلال الاستثمار في الطاقة والطاقة المتجددة بأسلوب ذكي ضمن مشاريع مدن ذكية مستدامة في إقليم دول الشرق الأوسط ودول إفريقيا، من خلال تحليل الوضع القائم اقتصاديًا وسياسيًا وتفسير نتائجه ومحاولة الوصول إلى توصيات بناءة ومساهمة للتحسيس بضرورة تدارك الوضع واستغلال فرصة تناحر الدول الغربية لتحقيق لمّ شمل عربي وإفريقي بين أوطان الدول العربية.

**الكلمات المفتاحية:** تكنولوجيات حديثة، دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تنمية مستدامة، مدن ذكية، طاقة متجددة.

\* دكتورة في إدارة الأعمال، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، الجزائر.

# Opportunities to exploit New Technologies for Sustainable Development in the Middle East and North African Smart Energy Management within Smart City Project

Samia Gharbi

## Abstract

Energy... the backbone of an economy that aspires to be at the forefront of developed countries, provided that its production and distribution are controlled and its exploitation is rationalized. Accelerated changes resulting from technical and technological development have become the winning paper of its holders, thus achieving the best combination of the exploitation of modern technologies to optimize wealth and ensure sustainable development.

Most Middle Eastern and North African countries (MENA) are known to be among the wealthiest in terms of wealth. But also one of the most vulnerable states to exploit modern technologies, especially in the context of international and regional energy conflicts, whose persistence for decades looms. The significant disparity between the economies of Some Middle Eastern and North African countries in many areas has created the paradox of polar inequality. Solving opportunities for cooperation and strengthening relations between them lies in the objective of this paper, through which we try to highlight the most important opportunities that can be used to achieve technological exploitation that takes into account the conditions of sustainable development by investing in energy and renewable energy in an intelligent manner within the projects of smart sustainable cities in the Middle East and North African countries. By analyzing the current situation economically and politically, interpreting its results, trying to reach constructive recommendations and contributing to the sensitization of the need to redress the situation and taking advantage of the opportunity of the western countries to fight for Arab and African reunion between Arab countries.

**Keywords** : Modern Technologies, MENA, Sustainable Development, Smart Cities, Renewable Energy.



## مقدمة

لقد تغيّرت الملامح المعيشية للمجتمعات باتباعها الجهات المستقبلية في ظل بيئات أكثر استدامة وأكثر ذكاءً، من خلال الاستفادة من التطوّرات الحاصلة التي تقدمها التكنولوجيات الحديثة في كل ثانية، سعياً لتحقيق الرفاه للمجتمعات وتقديم مستوى معيشي متميّز ونوعية حياة أكثر مواءمة لمتطلباتها.

فمجاللات التطور متعددة وأشكالها متنوعة، ساهمت في ارتقاء العديد من الدول وخاصة في الأعوام الأخيرة بوصفها من الاقتصادات الصاعدة، الأمر الذي جعل منها من بين الدول الأكثر طلباً على الموارد الطبيعية والطاقوية وبوتيرة متسارعة، ما شكّل ضغوطات وتحديات كبيرة وجب إيجاد حلول عاجلة لها من أجل تحقيق توليفة متكاملة مكوّنة من نمو اقتصادي واحتواء وُزقي اجتماعي وحماية بيئية.

اكتظ عالمنا اليوم خاصة في المدن، فالشواهد الرقمية تشير إلى أنه وبحلول سنة 2050، سيعيش حوالي سبعة من كل عشرة أشخاص في المدن، هذا سينعكس على جودة الحياة بها، خاصة وأن المدن تمثّل أكثر من 70% من انبعاثات الكربون في العالم، ومن 60% إلى 80% من استهلاك الطاقة، كل ذلك كانت نتائجه محسوسة، إذ أدى التحصّر السريع إلى تحديات إضافية مثل الفوارق الاجتماعية، والازدحام المروري، وتلوث المياه، وما يرتبط بها من قضايا صحية.

إن التفاعل غير السويّ بين إنتاج الطاقة في بعض الدول -وبالأخص منها دول الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا- واستهلاكها من قبل الدول المتقدمة، أخلّ بالتوازن على مستوى اقتصادي في الاستفادة والتوزيع العادل للمنافع، وعلى مستوى بيئي في التسبب في تلوث البيئة ومساهمة الدول المتقدمة في ذلك بمعدلات مرتفعة على حساب الدول النامية، الأمر الذي استحدثت صراعات وحروباً على الطاقة (الغاز الطبيعي والنفط)، هذه الصراعات التي أصبحت تهديداً لاقتصادات العديد من الدول وخاصة الدول العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

ولا يخلو الأمر من الإشارة إلى الحرب الروسية-الأوكرانية التي غيّرت الكثير من ملامح السوق الطاقوي، والتي عززت من مكانة الدول العربية "الشرق أوسطية والشمال إفريقية" المنتجة للطاقة، باعتبارها أصبحت مصدراً بديلاً لتوفير الطاقة وساحة خصبة للسباق السياسي بين روسيا والغرب، ولكن بالمقابل ساهم ذلك في تردّي الوضع في العديد من الدول العربية غير المنتجة للنفط، والتي عانت من صعوبات اقتصادية حادة بسبب ارتفاع أسعار الغذاء والنفط.

ففي ظل الاستدامة عزّجت الأبحاث في زاوية الدراسات البيئية إلى التركيز على البيئة الذكية، والتي تتعلق بكل الإجراءات والسياسات والتطبيقات الذكية الموجهة للإدارة المثلى للبيئة، ما يؤمن لها الاستخدام العقلاني والمستدام للموارد، يضمن حقوق الأجيال القادمة، ويعزز كفاءة استخدام الموارد بالاعتماد على الآليات الحديثة الرقمية المنطلقة من استحداث بُنى تحتية وهيكل قاعدية ذكية بما فيها الإدارة الذكية للنفايات، الإدارة الذكية للمياه، الإدارة الذكية للطاقة والاتجاه نحو كل ما هو أخضر مُحافظ على البيئة بشكل مُستدام، حيث تمت هيكلة هذه الشبكات فيما أُطلق عليه باسم المدن الذكية المستدامة.

أدركت الدول العربية، وبالأخص منها دول الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا أهمية -بل وخطورة- الأمر الذي أصبح ضرورة لا اختياراً لترشيد استهلاك الطاقة من خلال دمج التكنولوجيات الناشئة الداعمة للتحويلات في المدن الذكية، استرشاداً بتجارب الدول السبّاقة إلى هذه الخطوة الجريئة في استخدام التكنولوجيا للحفاظ على البيئة في إطار مستدام.

ضمن هذا السياق نُقدّم هذه الورقة لطرح إشكالية بحثية ومناقشتها والتي نوردتها على النحو الآتي:

### إشكالية البحث

كيف يمكن للتكنولوجيات الحديثة أن تساعد في تحقيق أهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالإدارة الذكية للطاقة ضمن مشاريع المدن الذكية في دول الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا؟

### أهداف الدراسة:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تحقيق عدّة أهداف يمكن ذكر أهمها فيما يأتي:

- الكشف عن إمكانيات استخدام التكنولوجيات الحديثة في تحقيق مبادئ التنمية المستدامة.
- مناقشة وتحليل الأساليب المعتمدة في المدن الذكية المستدامة الناجحة في بعض دول الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا في ترشيد الاستغلال الطاقوي الذكي، للاستفادة من تجاربها في باقي دول المنطقة.
- حصر أهمّ الفرص التي يمكن استغلالها من قبل دول الشرق الأوسط ودول الشمال الإفريقي في مجال التكنولوجيات الحديثة وكيفية استغلالها لبناء مدن ذكية نموذجية مستدامة معتمدة على الترشيح الطاقوي الذكي.

### أهمية الدراسة

#### تكمن أهمية الدراسة في:

- تسليط الضوء على أهمية استخدام التكنولوجيات الحديثة تحقيقاً لمبادئ وأهداف التنمية المستدامة، باعتماد الإدارة الذكية للطاقة فيما يعرف بالمدن الذكية.
- المساهمة باقتراحات من خلال رصد لأهمّ التجارب الناجحة حول استغلال فرص استخدام التكنولوجيات الحديثة لإدارة ذكية للطاقة ما يحقق مبادئ التنمية المستدامة.

من أجل مناقشة كل هذه النقاط، ارتأينا تقسيم هذه المداخلة البحثية إلى جزأين أساسيين، الأول يهتم بالإطار النظري للبحث من خلال مختلف المتغيّرات، والجزء الثاني يتمثل في إسقاط على الواقع لفرص استغلال التكنولوجيات الحديثة من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة، من خلال رصد حالات ناجحة حول الموضوع، وقد تم تحديد المحاور الرئيسية التالية:

## الجزء الأول: التأسيس النظري للدراسة

نتناول في هذا الجزء أهمّ متغيرات الدراسة من تنمية مستدامة ومدن ذكية وطاقات متجددة، من حيث تحديد تعريف لكل منها وذكر خصائصها ومكوناتها وغيرها من العناصر للإحاطة بجوانب الموضوع.

## المحور الأول: التنمية المستدامة

زاد الاهتمام منذ مده حول ضرورة تحقيق التنمية في جميع المجالات، الأمر الذي يستدعي الاستخدام للكثير من الموارد الطبيعية، ولكن الموازنة أدى ذلك الاستخدام المفرط إلى ارتفاع مستويات التلوث وإلى استنزاف مصادر الطاقة، ما أصبح يشكل تهديداً للأجيال القادمة، فأين يكمن الحل؟

توصلت الأبحاث إلى أن ضرورة التقيّد بمبادئ وأهداف التنمية المستدامة هو المنطلق لتحقيق توازن بيئي مع استغلال للموارد بشكل عقلائي، فما المقصود بالتنمية المستدامة؟ ما هي مبادئها وأهدافها؟

## أولاً. تعريف التنمية المستدامة

تُعرّف التنمية المستدامة على أنها: الإدارة الحكيمة للموارد الطبيعية المتاحة بشكل يكفل الرخاء الاقتصادي والاجتماعي، وتحقيق الاحتياجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة. كما عرفت لها لجنة البيئة والتنمية في تقرير لها تحت شعار (مستقبلنا المشترك) الصادر في العام 1987 على أنها: تلبية احتياجات أجيال الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة في تلبية احتياجاتها الخاصة<sup>1</sup>.

كما عُرفت التنمية المستدامة في تقرير منظمة Industrial UNIPO الصادر عام 1996 على أنها: أنماط من عملية التصنيع تربط النشاط الصناعي بمزايا اقتصادية واجتماعية تمتد من الأجيال الحالية إلى الأجيال المستقبلية، وذلك في مسار يجنب الآثار السلبية على البيئة ويسارع معدلات التنمية خلال الزمن ويضمن الاستخدام الكفاء للموارد القابلة للنضوب ويعمل على الحفاظ على الموارد القابلة للتجديد، ويقضي على حالات التبذير والتلف والتخزين.

من خلال التعريفات السابقة يمكن استنتاج أن التنمية المستدامة تركز بشكل كبير على تلبية الاحتياجات الحالية مع الحفاظ على الاحتياجات المستقبلية للأجيال المقبلة حفاظاً على البيئة.

<sup>1</sup> Our Comment Future, Word Commission on Environment and Dvelopment Report. UK: Oxford University Press,1987.

## ثانياً. مؤشرات التنمية المستدامة

تتفرع مؤشرات التنمية المستدامة إلى عدّة فروع، ويمكن ذكرها في مجموعتين أساسيتين هما:

### أ- المؤشرات البيئية للتنمية المستدامة

وهي عبارة عن مجموعة محددة ترتبط بالشقّ الخاص بالبيئة، وتدرج ضمنها المؤشرات الآتية:

- الغلاف الجوي: يضمّ عنصر الغلاف الجوي ثلاث مؤشرات تتعلق بالتغيّر المناخي ويتم قياسه بانبعاثات ثاني أكسيد الكربون، وأيضاً من خلال تركيز ملوثات الهواء.
- الأراضي: وترتبط بمؤشرات الزراعة، الغابات، التصحر، التحضر، ويتم قياسها من خلال انبعاثات الغازات الدفيئة، وهدفها الحفاظ على الأمن الغذائي والصحة.
- المحيطات، البحار والمناطق الساحلية: أداة القياس في هذه المناطق هي درجة تركيز الطحالب بالمياه الساحلية، ونسب الصيد السنوية، والتركز السكاني بها.
- المياه العذبة: تُقاس بكمية ونوعية المياه السطحية والجوفية التي يتم ضخّها والاستفادة منها سنوياً.
- التنوع الحيوي: يتم قياسه من خلال الأنظمة والأنواع البيئية والكائنات الحية الحيوانية والنباتية.

### ب- المؤشرات الاقتصادية للتنمية المستدامة:

تمثل المؤشرات الاقتصادية للتنمية المستدامة في معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي وكذا الميزان التجاري، فضلاً عن نسبة المديونية المحلية والخارجية.

تنحصر أهمّ مؤشراتهما فيما يلي<sup>2</sup>:

- استخدام الطاقة: يبين هذا المؤشر نصيب الفرد من الطاقة الكهربائية.
- تدوير النفايات: يتمثل في الإدارة البيئية، وهي عبارة عن نسبة المواد المُعاد تصنيعها من النفايات البلاستيكية والورقية لإعادة الاستفادة منها في العمليات الإنتاجية.
- توليد النفايات الخطيرة الناتجة عن العمليات الإنتاجية: ويُبرز هذا المؤشر نوعية الأنشطة الصناعية والتكنولوجية التي تستخدمها وكذا تحديد النفايات الناتجة عنها.

### ثالثاً. أهداف التنمية المستدامة

تتجلى أهداف التنمية المستدامة في جملة من المساعي التي حدّدت ضمن خطة واضحة للعالم، والمتمثلة أساساً فيما يلي:

<sup>2</sup> مؤشرات التنمية المستدامة في دولة قطر، 2015، ص 47-48.

فرص استغلال التكنولوجيات الحديثة لتحقيق التنمية المستدامة في دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا:  
الإدارة الذكية للطاقة ضمن مشاريع المدن الذكية

- تحسين نوعية المياه عن طريق الحدّ من التلوث ووقف إلقاء النفايات والمواد الكيميائية وتقليل تسربها إلى أدنى حد ممكن، وخفض نسبة مياه المجاري غير المعالجة، وزيادة إعادة التدوير، فضلاً عن ضمان إمدادات المياه العذبة على نحو مستدام.
- إن الهدف الأساسي للتنمية المستدامة هو تلبية حاجات البشر وتحقيق الرعاية الاجتماعية على المدى الطويل، مع الحفاظ على قاعدة الموارد البشرية والطبيعية والحدّ من التدهور البيئي.
- إضافة إلى الأهداف التي حددتها هيئة الأمم المتحدة والمتمثلة في جمعية الأمم المتحدة للبيئة التابعة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة للعام 2023.
- تحقيق زيادة كبيرة في حصة الطاقة المتجددة بحلول العام 2030.
- الحدّ بدرجة كبيرة من تلوث الهواء والماء والتربة بحلول العام 2030.
- زيادة كفاءة استخدام الموارد وزيادة استخدام التكنولوجيا والعمليات الصناعية النظيفة والسليمة بيئياً.
- تحقيق الاستخدام الكفء للموارد الطبيعية بحلول العام 2030.
- حماية الجبال والغابات والأراضي الرطبة والأنهار ومستودعات المياه الجوفية والبحيرات بحلول العام 2030.
- إدماج التدابير المتعلقة بتغيّر المناخ في السياسات والاستراتيجيات والتخطيط على الصعيد الدولي.
- تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان عن طريق التركيز على الجوانب النوعية للتنمية وليس الكمية منها، وبشكل عادل وملأئم بين الأجيال الحالية والمستقبلية.

## المحور الثاني: الطاقات المتجددة

نستهل هذا المحور بتحديد المقصود بالطاقات المتجددة، وذكر مميزاتها وأهم مصادرها ومجالات استخدامها.

### أولاً. تعريف الطاقات المتجددة

هي تلك الطاقات التي يتكرر وجودها في الطبيعة على نحو تلقائي ودوري، بمعنى أن الطاقة المستمدة من الموارد الطبيعية التي تتجدد أو التي لا يمكن أن تنفذ.

كما تُعرّف بأنها الطاقة التي تولد من مصدر طبيعي لا ينضب وهي متوفرة في كل مكان على سطح الأرض ويمكن تحويلها بسهولة إلى طاقة.

كما يمكن إضافة تعريف آخر: بأن الطاقة المتجددة يتم الحصول عليها باستغلال الظواهر الطبيعية العادية كطاقة الرياح أو الطاقة المائية أو الطاقة النباتية أو الطاقة المتأتية من الكواكب الأخرى، أو تلك التي تصدر من صلب الأرض كالطاقة الجيوحرارية<sup>3</sup>.

<sup>3</sup> إبراهيم زرزور، المسألة البيئية والتنمية المستدامة. الملتقى الوطني حول اقتصاد البيئة والتنمية المستدامة. معهد علوم التسيير المركز الجامعي المدية الجزائر، 2006.

## ثانياً. مميزات الطاقة المتجددة

إن الطاقة المتجددة لها من الخصائص التي تنفرد بها عن غيرها من الطاقات التقليدية، ويمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

- أنّها تُعدّ مصدراً مجانياً ونظيفاً لا يسبب أي مشكلات بيئية كما هو الحال مع المصادر الأخرى، كالنفط والفحم والغاز.
- قابليتها للتوزيع والتوازن في شتى المناطق وفي الدولة الواحدة، وهي لا تتطلب بنية تحتية ضخمة ويمكن الاستفادة منها من خلال بنية إنتاجية مباشرة.
- تشكل مصدراً مستقلاً لا يتأثر بالعلاقات الدولية ولا يخضع للتجارة الدولية وظروفها وملاساتها واحتكاراتها.
- تنتشر في جميع أنحاء العالم وبنسب متفاوتة وقد تتواجد في أماكن تندر فيها الطاقات التقليدية.

## ثالثاً. مصادر الطاقة المتجددة

### أ. الطاقة الشمسية

تكمّن أهمية الطاقة الشمسية في عدم محدوديتها ومجانيتها ووصولها إلى مناطق نائية لا يمكن لمصادر الطاقة الأخرى الوصول إليها، فضلاً عن ذلك فهي تُعتبر صديقة للبيئة كونها لا تساهم في التلوث، كما أن أشعة الشمس سهلة الاستخدام ومجانية، لكن الصعوبة تكمن في إمكانية استخدامها في مشاريع طاوية على نطاق واسع، ويمكن استخدامها في توليد الكهرباء وعمليات التدفئة والتبريد، وهناك ثلاث تقنيات شائعة لاستخدامها وهي السيليكون والأغشية الرقيقة واستخدام حرارة الشمس للتسخين.

حسب أبو القريبات ولشهب توجد تقنيتان أساسيتان لإنتاج الطاقة الشمسية:

- الطاقة الشمسية المركّزة: والتي تستخدم المرايا والعدسات لتركيز الطاقة الشمسية، وعليه فهي تستخدم على نطاق تجاري لتدوير التوربينات وإنتاج الكهرباء<sup>4</sup>.
- الطاقة الشمسية الكهروضوئية: حيث يتم تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية بواسطة مجمعات الخلايا الفوتوفولتية، إذ تقوم هذه الخلايا بتحويل الطاقة الشمسية مباشرة إلى طاقة كهربائية.

### ب. طاقة الرياح

هي مصدر آخر من مصادر الطاقة المتجددة، أولى استعمالها كانت طواحين الهواء وذلك لتوليد الكهرباء.

<sup>4</sup> عابي مومن ، الاستثمار في الطاقات المتجددة كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة حالة الجزائر، مجلة الاقتصاد الدولي والعودة 2019.

### ج. الطاقة المائية

يُقصد بالطاقة المائية الطاقة الكهرومائية، وهي مصدر متجدد يعتمد على الدورة الطبيعية للماء التي تشمل التبخر والتكثف في الجو والسقوط على الأرض وجريان المياه بفعل الجاذبية وطاقة المدّ والجزر وطاقة الأمواج.

### د. طاقة الحرارة الجوفية

وهي الطاقة الحرارية الأرضية المخزّنة تحت سطح الأرض ويمكن استخدامها لتوليد الكهرباء وتسخين المياه، سواء في التدفئة أو التطبيقات الصناعية، فنسبة إمدادها من الطاقة للكربون تعتبر ضعيفة جداً وهي توفر حالياً 01% من احتياجات الطاقة العالمية، تُستخدم تجارياً في أكثر من 70 بلداً، وهي توفّر عدداً من المزايا وخاصة إذا تم إعداد محطات للطاقة الحرارية الأرضية تعمل بشكل مستمر ودون انقطاع، وهذا ما يجعلها قاعدة للتحميل أو كنظام رئيسي لإمداد الكهرباء.

### هـ. الكتلة الحيوية والوقود الحيوية

الكتلة الحيوية هي طرق استخدام لبعض المواد من الأشجار أو غيرها من النباتات التي يمكن استخدامها لتوليد طاقة مفيدة، كما يمكن أن تشمل أيضاً النفايات القابلة للتحلل الحيوي الذي يمكن أن يتحوّل إلى وقود، ويمكن حرق الكتلة الحيوية والحرارة المتولدة واستخدامها لأغراض التدفئة أو في توليد الكهرباء.

### و. الطاقة الهيدروجينية

وهي من بين أهم الطاقات المتجددة باعتبار أن الهيدروجين أحد المكونات الأساسية التي يمكن استخراجها من مواد أخرى مثل الماء والمكونات الهيدروكربونية، أو الكربون المهدرج الذي يتم استخراجها من التفاعلات الكيميائية للغاز الطبيعي وبخار الماء.

## المحور الثالث: المدن الذكية

لقد اختلفت التعريفات المتعلقة بالمدن الذكية وذلك بسبب تنوع المجالات التي تمسها، حيث تم تناولها من قبل عدّة تخصصات، كما أن المصطلحات الخاصة بها اختلفت بين الباحثين فمنهم من يُطلق عليها تسمية مدن المستقبل ومنهم من يسميها المدينة الصديقة للبيئة، وأطلق عليها أيضاً المدن الذكية أو المدن المدمجة أو المدن المبتكرة أو المدن الخضراء أحياناً، ولكن الأكثر شيوعاً في الاستخدام هو المدن الذكية، فما المقصود بها؟

### أولاً. مفهوم المدن الذكية

المدينة الذكية هي مدينة تعتمد على البيانات، والمقصود بالبيانات هو البيانات الضخمة التي تعتبر أساس ظهور هذه المدن الذكية.

كما تم تعريف المدينة الذكية على أنها تستخدم بيانات إلكترونية متصلة ببعضها البعض عن طريق شبكات متزامنة للعمل على تنظيم أمور المدينة بالاعتماد على الحواسيب والبرامج، بحيث يمكن مراقبة حركة الطرق لتخفيف الازدحام وتأمين معلومات أفضل حول المواطنين.

المدن الذكية هي التي تتكامل فيها أنظمة البيئة باستخدام الطاقة بشكل ذكي والتحكم بدرجات الحرارة أو الإضاءة أو الصوت ومكان العمل والاتصالات.

كذلك هي مدينة تعمل على تطوير واقعها نحو الحداثة والحد من التكديس السكاني ومن التلوث وأيضاً في توسعة المساحات الخضراء على استهلاك الطاقة عبر أجهزة الاستشعار عن بعد.

من خلال ما سبق يمكن القول إن المدينة الذكية هي مدينة تعتمد على دمج تكنولوجيا حديثة للمعلومات والاتصالات في تسيير مختلف حدودها، سواء كانت حكومية أو صحية أو تعليمية أو النقل أو المواصلات أو الطاقة وغيرها لتحسين نوعية حياة الأفراد بها، كما يمكن اعتبار الهدف من المدن الذكية المستدامة هو تحويل المدن الحالية إلى بيئات معيشية أكثر استدامة وأكثر ذكاءً ومقاومة للكوارث وحفاظاً على الطاقة والتخفيف من انبعاثات الغازات الدفينة.

### ثانياً. مزايا المدن الذكية

من أهم المزايا التي تسعى إلى تحقيقها المدن الذكية نجد في مقدمتها ما يلي:

- دعم النمو والابتكار وتسريع وتيرة اعتماد التقنية لتقديم خدمات الرصد في بعض المناطق واستخدام بيانات المواطنين من أجل استغلالها في تطبيقات جديدة ومبتكرة.
- تهيئة بيئة آمنة توفر طاقة فعّالة للمواطنين من خلال تنفيذ حلول مثل الدوائر والعدادات الذكية وأنظمة إدارة المباني وتعزيز كفاءة استخدام الطاقة.
- توفير بيئة مستدامة لسكانها من خلال جود أفضل للهواء والحد من انبعاث ثاني أكسيد الكربون.
- إعادة تصميم شبكة النقل وحركة المرور وهذا ما يُعرف بالتنقل الذكي أو من خلال السيارة المتصلة.
- الإدارة المستدامة لإمدادات الطاقة سواء تعلق الأمر بنقل الطاقة أو بإنشاء وتصميم الشبكات الذكية أو شبكات الطاقة الذكية والمباني الذكية للاستغلال الأمثل والذكي للطاقة.

### ثالثاً: الإدارة الذكية للطاقة ضمن مشاريع المدن الذكية

إن نجاح المدن الذكية يتعلق بمدى جاهزية البيئة الذكية التي تتواجد فيها تلك المدينة وبالتالي فهي تتعلق بسياسات ذكية لتطبيقات موجهة لإدارة البيئة، فهي تشمل بدرجة مركزية على الطاقة الذكية بما فيها الطاقة المتجددة وشبكات الطاقة الذكية وأجهزة القياس ومراقبة التلوث والتحكم فيه والمباني الخضراء والتخطيط الحضري الأخضر، كل هذا يعرف بالإدارة الذكية للطاقة.

من أهم مظاهر البيئة الذكية في الجانب المتعلق بالإدارة الذكية للطاقة نجد في مقدمتها نظم أتمتة بناء الطاقة، أنظمة أتمتة الطاقة المنزلية، تتبع استهلاك الطاقة المنزلية، أضواء الشوارع الذكية، التسعير الديناميكي للكهرباء، وأنظمة التشغيل الآلي للتوزيع.



ومن أجل نجاح هذه المشاريع والمتعلقة خاصة بالإدارة الذكية للطاقة يجب وجود توافق بين البنى التحتية الذكية والبيئة، فالطاقة الذكية تستخدم نظم إدارة ذكية تتمثل خاصة في أجهزة الاستشعار والعدادات المتطورة ومصادر الطاقة المتجددة وأجهزة التحكم الرقمية وأدوات تحليلية لتوزيع الطاقة واستخدامها بشكل آلي ومرصود، كل هذا يستلزم وجود بنى تحتية للطاقة الذكية والمعتمدة على التوليد الموزع للطاقة المتجددة وتكنولوجيا الشبكات الذكية وتخزين الطاقة ونظام الاستجابة الآلية للطلب والمخططات الافتراضية للطاقة وابتكارات جانب الطلب مثل المركبات الكهربائية والأجهزة.

في هذا الصدد نشير إلى أن الشبكة الذكية هي المكوّن الرئيسي في البنى التحتية للطاقة الذكية، ومن هنا تم تعريفها على أنها نظام لتوصيل الكهرباء من نقطة التوليد إلى نقطة الاستهلاك بالاعتماد على التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصالات لتعزيز عمليات الشبكة وخدمة المستهلك.

كما نشير إلى أن انتشار تكنولوجيا الاستشعار الذكية في تمكين الاتصال المتبادل بين مصادر الطاقة والمستخدمين النهائيين في نظام مرّن وأكثر كفاءة يسمح بقدر أكبر من اختراق مصادر الطاقة المتجددة الكبيرة والصغيرة الحجم، كما يسمح بدمج الطاقة المتجددة في إمدادات شبكة الطاقة وإنشاء شبكة تكامل الطاقة المتجددة.

بالنسبة لتصميم الشبكة الذكية يتعيّن على المشغلين مطابقة إمداد الكهرباء بالطلب في الوقت الفعلي، عندما يكون الطلب عند مستويات الذروة أو عندما يكون الطلب منخفضاً. ويعمل هذا النموذج مع محطات الوقود الأحفوري لأنه يوفر طاقة حمولة أساسية وإمدادات طاقة ثابتة وموثوقة كما يمكن التحكم فيها حسب الطلب.

أما الطاقة المتجددة من الرياح والطاقة الشمسية فهي مصدر طاقة متقطع وتخضع المصادر المتجددة لتقلبات الظواهر الطبيعية مثل سرعة الرياح الطاقة التي تولدها التي يصعب مطابقتها مع الطلب على الشبكة في الوقت الفعلي للطلب عليها. وترتكز جهود الشبكات الذكية للإدارة الذكية للطاقة على ثلاثة أهداف رئيسية تتمثل فيما يلي:

- تزويد العملاء بمزيد من التحكم في استهلاك الطاقة الخاصة بهم عن طريق أجهزة ذكية متعددة الاستخدامات وقت الاستخدام.
- تحسين موثوقية الشبكة من خلال الأتمتة والكشف عن الانقطاعات.
- دمج الطاقة المتجددة من خلال تخزين أفضل للطاقة وتوزيعها.

**الجزء الثاني: الإطار العملي للدراسة .. فرص وآليات استغلال التكنولوجيات الحديثة في إدارة الذكية للطاقة ضمن مشاريع المدن الذكية المستدامة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.**

إن المتصفح للإمكانات التي تزخر بها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، يتأكد أنها منطقة تنعم بإمكانات وقدرات هائلة تمكّنها من تميمها وبالتالي تعزيز مكانتها إقليمياً ودولياً، فبغض النظر عن الموارد الطبيعية التي حباها الله بها في جوف الأرض، وبالتعريف عن الحديث عن الطاقات الطبيعية المتجددة نجدها أيضاً غنية جداً، من خلال موقعها الاستراتيجي الذي مكنها من الاستفادة من حرارة الشمس ومن قوة الرياح، فالفرصة ذهبية باتخاذ قرار الاستثمار في توليد وتأمين الطاقات المتجددة المعتمدة على الظواهر الطبيعية واستغلالها بالشكل الذي يسمح لها بترشيدها وتوجيه الاستفادة منها في إطار مشاريع عصرية مبتكرة، يستفيد منها المجتمع ككل من خلال الأساليب الإدارية القائمة على الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة والآليات الذكية، من خلال تجسيد بُنى تحتية مؤهلة لإدارة الذكاء للطاقة واستبدالها بالطاقة المتجددة فيما يسمى بالمدن الذكية أو مدن المستقبل، وفي هذا السياق فإن تعداد التجارب الناجحة وفير، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط والمساوي الحديثة جادة في باقي دول الشمال الإفريقي.

وهذا ما سنحاول التطرق إليه في الجزء الموالي، من حيث الإشارة إلى فرص استغلال الطاقة المتجددة في المنطقة والاستشهاد في ذلك بإحصائيات مفصلة، ثم الحديث عن مواضع استغلال تلك الطاقات المتجددة في إطار المدن الذكية، وهنا يكون الاستشهاد بالتجارب الناجحة في الدول العربية خاصة، والتنويه إلى كيفية الاستفادة منها كدروس وعبر ناجحة بالنسبة لباقي دول المنطقة، أو على الأقل الاستفادة من إثراء المدن الحالية القائمة بأفكار مستقبلية مستمدة من واقع المدن الذكية.

### **أولاً. الطاقات المتجددة في دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: الواقع والآفاق**

يجدر بنا بداية تحديد الدول التي تضمها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وبحصريها فهي تتمثل في كل من:

الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا، البحرين، جيبوتي، مصر، إيران، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، مالطا، عُمان، قطر، السعودية، سورية، الإمارات العربية المتحدة، والصفة الغربية وقطاع غزة، واليمن.

بملاحظة عابرة يمكن استنتاج أن مكان انتشار هذه الدول ضمن الخارطة الجغرافية تُكسبها مكانة جَدَّ هامة، وتجعلها من بين أهم المستفيدين من الطاقات المتجددة مثل الرياح والشمس، وقد شهد قطاع الطاقة المتجددة نمواً سريعاً في السنوات الأخيرة في بقاع معينة من المنطقة بفضل تعزيز الاستثمارات، وتنامي الخطط والمشاريع بالغة التنظيم، وتزايد رعاية الحكومات وسياساتها الداعمة. وعادةً ما تتسم البلدان التي حققت أعظم النجاحات، بمستوى عالٍ من التدخل الحكومي في التعديلات التي تطرأ على الأسواق، والتحوّلات التي تصيب المجتمعات والصناعات، بعيداً عن الأنظمة التي تعتمد على الوقود الأحفوري.

فقد شهدت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا اهتماماً كبيراً من قبل المستثمرين وخاصة في الفترة 2009-2012، وتجسّد ذلك من خلال تحقيق إجمالي الاستثمارات في الطاقة المتجددة 2.9 مليار دولار أميركي في عام 2012، بزيادة تبلغ 40% عن عام 2011 و6.5% المسجلة في عام 2004.

ومن أهم الاستثمارات الحكومية الناجحة في مجال الطاقات المتجددة في الشرق الأوسط ما يلي<sup>5</sup>:

- مدينة مصدر في الإمارات العربية المتحدة، وهي تهدف إلى تطوير المدينة البيئية الأكثر استدامة في العالم.
- إنترتك Enertech، وهي فرع من الشركة الوطنية لمشاريع التكنولوجيا NTEC في الكويت، كما تعتبر مسؤولة عن الاستثمار الاستراتيجي في مصادر الطاقة المتجددة والتكنولوجيا النظيفة.
- مدينة الملك عبد الله للطاقة الذرية والمتجددة في السعودية، والتي يركز نشاطها على السياسات والبحوث.
- جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في السعودية، ويُركّز فيها البحث والتطوير على محطات تحلية المياه باستخدام الطاقة للمائية والطاقة الشمسية، أو الطاقة الشمسية لوحدها.
- محطة توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية في جزيرة فرسان في السعودية، بسعة 0.5 ميغاواط بتمويل من شركة شوا شل سيكيو Showa Shell Sekiyu KK اليابانية التابعة لشركة شل الهولندية<sup>6</sup>.
- تدشين أكبر محطة للطاقة الشمسية المركّزة في العالم بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 2013، وهي مشروع محطة شمس 1، بسعة 100 ميغاواط؛ وقد بلغت تكلفته 765 مليون دولار أمريكي. وتملك شركة توتال الفرنسية 20% من هذا المشروع.

أما الاستثمارات التي مست دول شمال إفريقيا، فقد كانت الانطلاقة من مدينة ورززات في المغرب، حيث تم تمويل وإنشاء محطة للطاقة الشمسية المركّزة، Concentrated Solar Plant، وتطويرها من قبل شركة أكوأ باور إنترناشيونال ACWA Power International السعودية، هي والبنك الدولي، وأيضاً بمساهمة من خلال "الصندوق المتعدّد الأطراف لتكنولوجيا المناخ" Multilateral Climate Technology Fund، MCTF، وقد بلغت تكلفتها 1.16 مليار دولار أمريكي، وسعّتها 160 ميغاواط. وفي مدينة طرفاية، طوّرت شركة الطاقة المغربية ناريفا Nareva مزرعة رياح بقيمة 563 مليون دولار أمريكي، وبسعة 300 ميغاواط، وبهذا سجلت المغرب نسبة من الاستثمارات في الطاقات المتجددة خلال الفترة 2011 - 2012 ما يقارب 40%<sup>7</sup>.

وقد تم تسطير جملة من الأهداف التي حددتها كل دولة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والتي توضح جلياً مدى استعداد المنطقة للتكيف مع التغييرات التي طرأت على الاستثمار والطلب على الطاقة وبالأخص الطاقة المتجددة، ويمكن الإشارة إلى ذلك من خلال الجدول أدناه:

<sup>5</sup> Darwish , A., & Shaaban,, S. (2016). "Solar and Wind Energy-Present and Future: Energy Prospects in the Middle East and North Africa". Switezland springer Internatina Publishing, 173 - 184.

<sup>6</sup> Rehman, S. (2007). "Wind Measurements and Energy Potential for a Remote Village in Saudi Arabia," . *Proceedings of the IEEE Power Engineering Society Conference and Exposition in Africa - PowerAfrica*. South Africa : , Johannesburg,.

<sup>7</sup> Block, , E. (2014). "Middle East Energy". Récupéré sur Power Engineering International, : <https://goo.gl/J6vwR6>

جدول (1) أهداف بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فيما يخص الاستثمار في الطاقة المتجددة<sup>8</sup>.

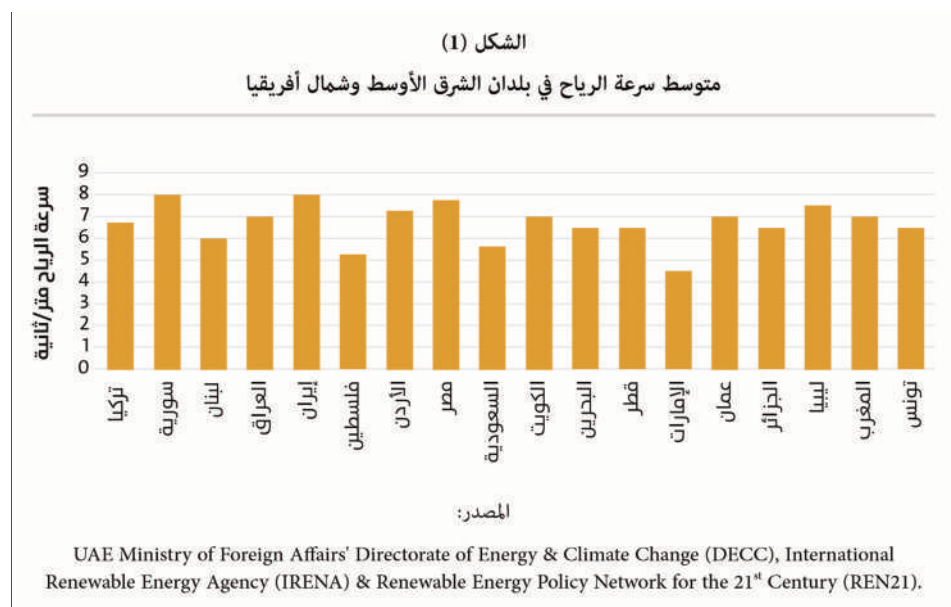
البلد	الأهداف	نوع التكنولوجيا
الجزائر	15% سنة 2020	خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة (رياح 3% طاقة شمسية 37% )
	40% بحلول 2040	
ليبيا	7% سنة 2020	خلايا ضوئية
	10% بحلول 2025	
المغرب	42% سنة 2020	خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة
تونس	11% سنة 2016	رياح 1.7 غيغاواط 2030 خلايا ضوئية 1.5 غيغاواط 2030 طاقة شمسية مركزة 500 ميغاواط
	25% بحلول 2030	
	40% بحلول 2030	
مصر	20% سنة 2020	خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة 8% رياح 12%
فلسطين	10% سنة 2020	خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة، مزارع شمسية 460 ميغاواط، وألواح شمسية سقفية 110 ميغاواط، رياح 800 ميغاواط
الأردن	7% سنة 2015	خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة، مزارع شمسية 460 ميغاواط، وألواح شمسية سقفية 110 ميغاواط، رياح 800 ميغاواط
	10% سنة 2020	
لبنان	12% سنة 2020	خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة 100-150 ميغاواط رياح 400 ميغاواط
سورية	5% بحلول 2025	طاقة الرياح 1000-1500 ميغاواط محطة توليد طاقة شمسية بالخلايا الضوئية 250 ميغاواط
البحرين	5% سنة 2020	خلايا ضوئية رياح
إيران	10% بحلول 2025	خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة رياح
العراق	2% سنة 2016	خلايا ضوئية 240 ميغاواط طاقة شمسية مركزة 400 ميغاواط رياح 80 ميغاواط
الكويت	5% سنة 2015	خلايا ضوئية 15% طاقة شمسية مركزة 40% رياح 10%
	10% سنة 2020	
	15% بحلول 2030	
عمان	10% سنة 2020	خلايا ضوئية طاقة شمسية مركزة رياح
قطر	2% سنة 2020	خلايا ضوئية
السعودية	50% بحلول 2030	الإجمالي 54 ميغاواط خلايا ضوئية وطاقة شمسية مركزة 42 غيغاواط، رياح 9 غيغاواط
الإمارات	5% بحلول 2030	خلايا ضوئية، طاقة شمسية مركزة، رياح
	7% بحلول 2030	أبو ظبي
اليمن	15% بحلول 2025	رياح 400 ميغاواط، طاقة شمسية مركزة 100 ميغاواط خلايا ضوئية 4 ميغاواط

<sup>8</sup> C. B. Nalan, O. Murat & O. Nuri, "Renewable Energy Market Conditions and Barriers in Turkey," *Renewable and Sustainable Energy Reviews*, vol. 13, no. 6-7, August-September 2009, pp. 1428-1436.

عادة ما يقترن الحديث عن الطاقات المتجددة بالطاقات المتولدة من الظواهر الطبيعية "حرارة الشمس وضوؤها، والرياح"، بالنسبة للطاقة المتجددة والمتولدة عن الرياح في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة شمال إفريقيا تعتبر من أهم مصادر توليد الكهرباء، وهنا نجد بلدان المغرب العربي خاصة تتميز بموقعها الذي يمدّها برياح طبيعية وسرعة عالية، وهذا طبعاً لا يعتبر استثناء لدول الشرق الأوسط، فكل من سلطنة عمان ومصر أيضاً من أهم الدول التي حظيت برياح مناسبة لتوليد الكهرباء، وفي هذا الصدد تعمل المملكة العربية السعودية على إجراء أبحاث حول إمكانية استغلال طاقة الرياح وخاصة في القرى النائية، مما يساعدها على تخفيض التكاليف المرتفعة لخطوط نقل الكهرباء الطويلة، كما تعمل الأردن على البحث في تجهيز غَنَفَات الرياح Wind Turbines لتشغيل محطات تحلية المياه الآسنة بالتناضح العكسي.

وفيما يلي رصد لسرعة الرياح في الثانية في مختلف بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وهذا من خلال الشكل التالي:

شكل رقم (01): إمكانات طاقة الريح في بلدان المنطقة عند ارتفاع 100 متر لمحطة مركزية.



من خلال الشكل أعلاه تتضح أن سرعة الرياح في الثانية الواحدة تختلف من دولة إلى أخرى ضمن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتختلف درجات الاستفادة من الطاقة المتجددة المتولدة على الرياح على أساس سرعتها، إذ نجد أن كلا من سورية والعراق هما الدولتان اللتان تحتلان الصدارة في القائمة، بالنسبة لسرعة الرياح طبيعياً في الثانية الواحدة وتليهما كل من مصر وليبيا، وبعدها تتنافس كل من الأردن، الكويت، عُمان والمغرب، ثم تأتي كل من الجزائر وقطر، البحرين، تركيا، ولبنان، لتعرف باقي دول المنطقة مستويات أقل في سرعة الرياح، وتجدر الإشارة أن التفاوت بين هذه النسب ليس بالفارق الكبير بل هو متقارب إلى حد بعيد، وتبقى كل الدول ذات مستويات

سرعة رياح أعلى من الأوساط، وهذا ما يشجع جداً على التفكير في تجسيد مشاريع استثمارية لتوليد الطاقة المتجددة انطلاقاً من الرياح في المنطقة.

### ثانياً. المدن الذكية المستدامة كمشاريع نموذجية للاستغلال الطاقوي المتجدد:

يعتمد استثمار التكنولوجيات الحديثة في مجال الطاقة باستغلالها في الإدارة الذكية لها، فالحديث عن الإدارة الذكية للطاقة ليس بالضرورة اختراع طرق وأساليب ومنتجات جديدة ولكن يعني أيضاً ابتكار واستحداث أساليب لإنتاج الطاقة، وهذا ما تطرقنا إليه في العنصر السابق والمتمثل في التوجه نحو إحلال الطاقة التقليدية بالطاقة المتجددة كونها أقل تكلفة، وأقل تلويثاً وأكثر نفعاً ومتجددة وتحقق كل أهداف التنمية المستدامة.

ومن أهم الكيانات التي حققت نتائج مبهرة في استغلال فرص استثمار التكنولوجيات الحديثة المعتمدة على التسيير والإدارة الذكية للطاقة نجدها متجسدة خاصة في المدن الذكية، وقد رصدنا تجارب ناجحة للعديد منها في دول الشرق الأوسط خاصة، والتي يمكن ذكرها فيما يأتي:

#### أ. مدينة "ذا لاين" بالمملكة العربية السعودية

بمنطقة نيوم بالسعودية، هي مدينة ذكية بطول 170 كيلومتراً خالية تماماً من الكربون بلا سيارات ولا شوارع، ويمكن الوصول لجميع الخدمات في 5 دقائق سيراً على الأقدام، وتعتمد على الطاقة المتجددة، وتتكون المدينة من ثلاث طبقات واحدة على السطح مخصصة للمشاة، وثانية تحت الأرض للبنية التحتية، وثالثة تحتها للنقل، بها نظام سكك حديدية سريعة للانتقال من جانب إلى آخر بالمدينة في 20 دقيقة، من خلال الذكاء الاصطناعي يتم مراقبة المدينة وتسخير البيانات الضخمة لتحسين الحياة اليومية للقاطنين، وتعترم المملكة أن تجعل من هذه المدينة الذكية بداية لانتشار العديد منها في كل من الرياض، مكة، المدينة المنورة، جدة، والدمام.

#### ب. الإمارات العربية المتحدة

- إمارة الشارقة

الشارقة تعتبر من بين أكثر المدن نجاحاً في تجسيد المدن الذكية، ففي العام 2017 تأسست شركة الإمارات بالشراكة مع مجموع "بيئة" لتحويل النفايات للحفاظ على البيئة وتحقيقاً لأهداف التنمية المستدامة، وبالتالي تعتبر أول شركة تحوّل النفايات إلى طاقة يُستفاد منها في إطار ما يُعرف بالطاقة النظيفة.

كما تعمل الشركة على بناء المشروع بإمارة الشارقة، حيث تعمل المحطة على تحويل أكثر من 300 ألف طن من المواد غير القابلة للتدوير من المكبات سنوياً والتي سيتولد عنها ما يعادل 30 ميجاواط من الطاقة النظيفة الكافية لإمداد 28 ألف منزل بالطاقة.

في نفس السياق، تستثمر الشركة في تحويل المكبات الشاغرة إلى مزارع للطاقة الشمسية، وهذا ما تم تجسيده في العام 2021 بتحويل منطقة الصجعة التي تعتبر أول منطقة حوّلت فيها النفايات إلى طاقة شمسية، حيث ينتج المشروع 120 ميجاواط وهو على ثلاث مراحل أولها تنتهي في 2023.

لم يتوقف نشاط هذه الشركة عند هذا الحد فهي أيضاً تعمل في مجال تحويل النفايات إلى هيدروجين، من خلال معالجة المواد البلاستيكية غير القابلة لإعادة التدوير ونفايات الأخشاب لإنتاج الهيدروجين الأخضر، والذي صُنّف أنظف مصدر للطاقة، والذي سيتم استخدامه في تشغيل أسطول “بيئة” المستقبلي من مركبات جمع النفايات<sup>9</sup>.

- إمارة دبي: المدن الذكية في دبي خطة دبي 2021:

تعتبر خطة دبي 2021 نقطة عبور إلى المستقبل، وتهدف إلى اتباع الأساليب المبتكرة لتحويل دبي إلى مدينة ذكية ومستدامة، بحيث تركز الخطة على ستة محاور تشكل معاً رؤية المدينة الذكية حتى العام 2021، وقد نجحت دبي في بناء عدة مدن مستدامة، والتي تعتبر إحدى الركائز المهمة للاقتصاد الأخضر وقد تم تطوير المدينة في دبي لاند، و تمتد على مساحة 460 هكتار وتضم مجموعة من المبادرات لضمان الحفاظ على الموارد، بما في ذلك تصميم المنازل لضمان كفاءة استهلاك الطاقة، واستخدام مواد البناء الصديقة للبيئة، و اكتمل إنجازها في سنة 2016.

تستحوذ المساحات الخضراء على مساحة 60% من إجمالي مساحة المشروع، 50% منها للزينة، والجزء الآخر أشجار مثمرة تتضمن حديقة لممارسة الأنشطة الاجتماعية، ومزرعة عضوية لتزويد سكان المدينة بجزء كبير من احتياجاتهم الغذائية، كما يتضمن كل منزل حديقة عضوية صغيرة، وسيارة غولف تعمل بالطاقة المتجددة لاستخدامها للتنقل بين مرافق المدينة كما يحتوي مشروع مدينة دبي المستدامة على نظام فصل بين المياه السوداء، والرمادية ومعالجة الرمادية منها لإعادة استخدامها في المدينة.

وفي ذات الإطار شجع نجاح مدينة دبي المستدامة على مواصلة الاستثمار في المدن الذكية في مناطق أخرى من إمارة دبي ومنها مدينة زهرة الصحراء، الذي تجسد من خلال اتباع نهج عمراني مستدام لحماية البيئة، تقع المدينة في منطقة الروية وتدعم تطبيق التقنيات الخضراء والنظيفة، وهو تطبيق يتميز بالتخفيف من درجات الحرارة وتنقية الهواء من الملوثات.

إضافة إلى مدينة دبي الجنوب والتي تُعد منطقة اقتصادية حرة، ووجهة استثمارية استثنائية بفضل موقعها الاستراتيجي المتميز، إذ يحرص مشروع دبي الجنوب على توفير أحدث التقنيات المتطورة للمدن الذكية والمستدامة بشكل متكامل وسلس عبر كل أنحاء المنطقة السكنية.

كما تم إنجاز واحة دبي للسيليكون وهو برنامج تم إطلاقه في 2016 على مساحة تبلغ 150 متر مربع بتكلفة قدرت بـ 1.3 مليار درهم وهي مصممة لتكون مدينة ذكية متكاملة، حيث نجحت واحة دبي للسيليكون في تخفيض استهلاك الطاقة بنسبة 31 %، وبهذا تجاوزت أهداف استراتيجية دبي للتكامل للطاقة 2030 التي تسعى لتخفيضها بنسبة 30%، وتعمل الواحة حالياً على عدد من المبادرات الرئيسية التي يتم تنفيذها في إطار استراتيجية دبي للطاقة النظيفة 2050، والتي تهدف إلى تعزيز كفاءة استخدام الطاقة، وخفض التكاليف التشغيلية، والانبعاثات الكربونية.

<sup>9</sup> <https://www.beeahgroup.com/ar/services/beeah-energy>.



## - مدينة مصدر الذكية - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة:

مدينة مصدر هي مشروع نموذجي لأول مدينة محافظة على البيئة وخالية من انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون والنفائيات في العالم في إمارة أبو ظبي، وهي أول مدينة في العالم أساس إنجازها هو الحفاظ على البيئة واحترام أسس التنمية المستدامة وهي بهذا تحتل الترتيب الثالث في قائمة أكثر المدن ذكاءً، كما تعتبر من أوائل المدن للمستدامة في الشرق الأوسط التي تبنت توفير بصمة خضراء يحتذى بها لمدن المستقبل، واستيعاب التوسع الحضري السريع، وخفض استهلاك الطاقة والمياه، والحد من التلوث والنفائيات، وتستفيد من أشعة الشمس أيضاً، حيث يتم توليد الطاقة الكهربائية النظيفة باستخدام تكنولوجيا الألواح الشمسية المثبتة على أسطح المباني، فضلاً عن امتلاكها لإحدى أضخم التجهيزات الكهروضوئية في منطقة الشرق الأوسط.

حيث تم تصميم وإنجاز نموذج المنازل الفخمة والمستدامة والصديقة للبيئة في مدينة مصدر، باستخدامها كمية أقل من الطاقة بنسبة 72 %، ومن المياه بنسبة 35 % مقارنة مع المنازل التقليدية ذات الحجم المائل في أبو ظبي، الأمر الذي يساهم في منع انبعاث ما يقدر بـ 63 طناً من ثاني أكسيد الكربون سنوياً. كما يمكن لهذه المنازل أن تمتد الشبكة بالكهرباء الفائضة عن حاجتها عند تجهيزها بالألواح الكهروضوئية، و جدير بالذكر أن تكلفة بناء هذا النوع من المنازل تماثل تكاليف بناء المنازل التقليدية ذات الحجم المائل، وبالمقابل فهي تتسم بانخفاض كلفة العيش فيها نظراً لكفاءتها العالية في استهلاك الطاقة والمياه، وتم تصميم النموذج الأولي للمنزل الفخم ليمد الشبكة الوطنية للكهرباء بنحو 40 ألف كيلوواط/ساعة من الكهرباء من خلال 80 لوحة شمسية تم تركيبها على السطح، ويعتمد هذا النوع من المنازل على تصميم ذكي يستخدم حلول كفاءة الطاقة للحد من تأثيرها على البيئة، ومن المتوقع أن تستهلك المنازل الفخمة والمكونة من أربع غرف نوم 97 كيلوواط/ساعة فقط من الكهرباء لكل متر مربع.

## الخاتمة

استعرضنا من خلال هذه الورقة البحثية موضوعاً من مواضيع الحاضر ومواضيع المستقبل، كونه عالج إحدى القضايا الرئيسية التي تناحرت عليها الدول طويلاً، فالطاقة عنصر حيوي ولا مجال للاستغناء عنه، ألا إذا تم ذلك بشكل مختلف أي بشكل ذكي من خلال إحلاله أو على الأقل تجديده، وفي هذا الصدد تحدثنا على الطاقات المتجددة ومدى أهميتها وفوائدها بالنسبة للمجتمعات وبالأخص منها التي تسعى إلى العيش بشكل أفضل وبتكاليف أقل من خلال تخفيض تكاليف الاستهلاك الطاقوي، مع التفكير في حماية حقّ الأجيال القادمة في الاستفادة منها في إطار مبادئ وأهداف التنمية المستدامة، كما عرجنا في هذه الدراسة على أهم كيانات تنفيذ وتجسيد الأفكار الذكية لإدارة الطاقة من خلال الاستثمار في إنجاز مشاريع لمدن ذكية مستدامة، وهذا بعد الحديث عن إمكانات المنطقة من مصادر الطاقة المتجددة، لنصل إلى استعراض أهم المدن الذكية في منطقة الشرق الأوسط على سبيل الذكر لا الحصر، لتكوين رؤية عن كيفية الاستفادة من تجاربها بالنسبة لباقي دول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:



## النتائج

- عدم الاستغلال الفعلي والجاد للاستثمار في الطاقة المتجددة رغم انتشارها بوفرة في منطقة شمال إفريقيا خاصة والاستمرار في استنزاف الطاقة من نפט وغاز طبيعي.
- إهمال أهداف التنمية المستدامة من قبل الحكومات والشعوب في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بسبب غياب التوعية والتحسيس.
- محدودية الاستثمار في الطاقة المتجددة بسبب نقص البنى التحتية والهياكل القاعدية الضرورية لذلك.
- تهدف المدن الذكية إلى تخفيض استهلاك الطاقة وخفض الانبعاثات الكربونية ومعالجة مياه الصرف الصحي وإعادة تدوير النفايات، من خلال مجموعة متنوعة من مبادرات البحث والتطوير.
- عدم استغلال التكنولوجيات الحديثة بشكل أمثل في مجالات إدارة الطاقة الذكية وتجسيدها من خلال مشاريع مدن ذكية مستدامة.
- المدن الذكية المستدامة تلبى جميع مفاهيم الاستدامة، وبالتالي فإن الواجهة الحالية والمستقبلية هي التحول للمدن الذكية الذي يعتبر تحوُّلاً للمدن الخضراء المستدامة وصديقة للبيئة شريطة ربط أهداف الاستدامة بأهداف المدينة الذكية.

## التوصيات

- ضرورة الاستفادة من تقنيات الإدارة الذكية للطاقة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وترشيد أوجه الإنفاق للاستثمار في مشاريع تحقق مبادئ وأهداف التنمية المستدامة.
- تُعدّ مصادر الطاقة المتجددة جزءاً من الموارد الطبيعية في المنطقة والتي تنعم بها بوفرة يمكن استثمارها، وهنا وجبت المشاركة الحكومية القوية والفعّالة والجديّة التي تشمل وضع السياسات واللوائح والأنظمة، وإدخال تعديلات على الأسواق، وإعداد خطط مشاريع تفصيلية وشاملة، وتنفيذ "برنامج تقويم موارد الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.
- التشجيع على الاستغلال الفعلي والأمثل للتكنولوجيات الحديثة والذكاء الاصطناعي للاستفادة من تقنياته في توليد الطاقة المتجددة سواء من خلال الطاقة الشمسية أو الرياح، أو إعادة تدوير النفايات غير القابلة لإعادة الاستغلال وغيرها، وهنا نشير إلى لبنان التي تعاني كثيراً من تراكم النفايات والتي أصبحت تمثل هاجساً للمواطن والحكومة.
- التحسيس بمدى أهمية وضرورة أهداف التنمية المستدامة والتشجيع على الاستخدام الذكي والمستدام لمصادر الطاقة المختلفة من خلال حملات توعوية وتثقيفية لشعوب منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وفي الأخير نوصي بضرورة تطوير المدن القائمة إلى مدن ذكية بناءً على الإمكانيات المتاحة لديها من بنية تحتية قائمة ومن ثم وضع آليات لتطويرها للوصول إلى بنى تحتية تتميز بالجاهزية لمطالبات نجاح إنجاز المدن الذكية المستدامة.



# تأثير صدمات أسعار النفط على سعر صرف الدينار الجزائري: دراسة قياسية تحليلية للسنوات 1980-2020

بغداد بنين \*

## ملخص

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى معرفة طبيعة العلاقة بين صدمات أسعار النفط وتغيرات سعر صرف الدينار الجزائري مقابل الدولار خلال الفترة 1980-2020، وذلك باستخدام نموذج الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة غير الخطي NARDL، اعتماداً على مجموعة من البيانات السنوية للاقتصاد الجزائري وتم استخدام العديد من الاختبارات الإحصائية لمعرفة نوع وطبيعة العلاقة بين المتغيرات في المدى القصير والطويل.

وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة غير تناظرية بين أسعار النفط وسعر صرف الدينار الجزائري، حيث أن ارتفاع أو انخفاض أسعار النفط يؤدي إلى تغير في أسعار الصرف الجزائري، وعليه تأثر حجم احتياطي الصرف بالزيادة أو النقصان والقدرة الشرائية للمواطن بزيادة الدعم أو نقصانه.

**الكلمات المفتاحية:** الصدمات النفطية، سعر الصرف، نموذج NARDL.

---

\* أستاذ محاضر، جامعة الوادي، الجزائر.

# The impact of oil price shocks on the exchange rate of the Algerian dinar Analytical Econometric Study (1980-2020)

Baghdad Banin

## Abstract

Through this study, we aim to know the nature of the relationship between oil price shocks and changes in the exchange rate of the Algerian dinar against the dollar during the period 1980-2020, using the non-linear distributed time gaps autoregressive model NARDL, depending on a set of annual data for the Algerian economy. Statistical tests to find out the type and nature of the relationship between variables in the short and long term.

The study concluded that there is an asymmetric relationship between oil prices and the exchange rate of the Algerian dinar, as the rise or fall of oil prices leads to a change in the exchange rates of the Algerian dinar, and accordingly the volume of the exchange reserve is affected by the increase or decrease and the purchasing power of the citizen by the increase or decrease in subsidies. oil prices, dinar exchange rate, NARDL model.

**Keywords:** oil shocks, exchange rate, NARDL model.

## المقدمة

تعتبر الجزائر من أهم الدول المصدرة للنفط في العالم، بسبب امتلاكها لإمكانات ضخمة من الموارد الطبيعية وأهمها الموارد النفطية، إضافة إلى ذلك فالاقتصاد الجزائري اقتصاد ريعي بامتياز حيث تمثل صادرات قطاع المحروقات 90% من إيرادات الدولة.

وأمام ما تتعرض له السوق البترولية العالمية من هزات متتالية في الأسعار بداية من سنة 1980 حتى سنة 2020، نتيجة تأثيرها سلبا وإيجابا بعوامل متعددة انعكست في النهاية على أسعار النفط هبوطا وصعودا، مما أفضت إلى حالة من عدم الاستقرار ترتبت عليها نتائج تراكمية على الاقتصاد الجزائري، الذي يعتبر من بين الاقتصاديات الأكثر تأثرا بأسعار النفط، ولكون الصناعة النفطية مسعرة بالدولار الأمريكي فهذا يعني أنه قد تكون هناك علاقة بين أسعار النفط وسعر صرف الدينار الجزائري.

مما سبق ذكره، سنحاول من خلال هذه الدراسة تحديد طبيعة العلاقة بين تغيرات أسعار النفط وسعر صرف الدينار الجزائري باستعمال نموذج الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة غير الخطي (NARDL)، من خلال السؤال الجوهري الآتي:

## ما هو أثر صدمات أسعار النفط في المدى القصير والبعيد على سعر صرف الدينار الجزائري 1980-2020؟

ومن خلال السؤال الجوهري الذي سنحاول الإجابة عليه، وبناء على الدراسات والأبحاث السابقة فإنه سوف يتم تقسيم هذه الورقة إلى ثلاث محاور أساسية وهي:

- الصدمات النفطية وتغيرات أسعار صرف الدينار الجزائري.
- نموذج NARDL
- تقدير النموذج وأهم الاختبارات التشخيصية المستخدمة.

## المحور الأول: الصدمات النفطية وتغيرات أسعار صرف الدينار الجزائري

باعتبار أن الجزائر أحد الدول المنتجة للبترول، فهي تعتمد اعتمادا كبيرا على العائدات النفطية في رسم معالم وأسس السياسة المالية للبلاد نتيجة للإيرادات النفطية، وهو ما ينجر عليها تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، سنحاول في هذا العنصر تحليل الجانب النظري للعلاقة بين الصدمات النفطية وتغيرات سعر صرف الدينار الجزائري.

### أولاً: مفهوم سعر النفط

هنالك تعاريف عدة لسعر النفط نذكر منها:

- هو قيمة الشيء المعبر عنه بالنقود، والسعر قد يعادل قيمة الشيء أو قد لا يتعادل معها أو يتساوى معها، أي قد يكون السعر أقل أو أكثر من قيمة ذلك المنتج، ومن خلال التعريف فإن السعر البترولي يعني قيمة المادة أو السلعة المعبر عنها بالنقود<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محمد أحمد الدوري، محاضرات في الاقتصاد البترولي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 80.

- يشير سعر النفط إلى القيمة النقدية لبرميل النفط الخام بالمقياس الأمريكي للبرميل المكون من 42 غالون، معبرا عنه بالوحدة النقدية الأمريكية (الدولار).<sup>2</sup>

من خلال ما تقدم يمكننا القول بأن هنالك:

- السعر الإسمي للنفط: هو القيمة التقديرية للدولار التي تعطى بوحدة واحدة من النفط للبرميل عادة خلال فترة زمنية معينة ويتحدد بناء على قانون العرض والطلب.
- السعر الحقيقي للنفط: هو السعر الإسمي بعد تعديله بناء على معدلات التضخم.

### ثانياً: أنواع أسعار النفط

عموماً فإن تغيرات سعر النفط في السوق النفطية يمكن أن تُعرض تحت هذه الأنواع:

- السعر المعلن: وهو سعر البرميل المعلن من قبل الشركات النفطية في كارتل الشقيقات السبع (الشركات النفطية العالمية الكبرى السبع) محسوباً بالدولار الأمريكي، وقد ابتداء العمل بالسعر المعلن منذ عام 1880 عندما أعلنت شركة (ستاندرد أويل نيو) عن سعر برميلها النفطي عند فوهة البئر، ثم استمر العمل بهذا النوع من الأسعار داخل الولايات المتحدة وخارجها، والمعروف أن الأسعار الرسمية التي تعلنها الدول النفطية تأتي في إطار السعر الرسمي المعلن.<sup>3</sup>

- السعر المتحقق: وهو عبارة عن السعر المعلن محسوماً منه نسبة معينة من السعر المعلن للبرميل لترغيب المشتري أو لتخلص من طبيعة بعض القيود.<sup>4</sup>

- سعر الإشارة: إن سعر الإشارة هو سعر متوسط بين السعر المعلن والمتحقق، ظهر هذا السعر النفطي في السوق النفطية الدولية في فترة الستينات من القرن العشرين نتيجة لعقد اتفاقيات نفطية جديدة، علماً أن هذا النوع من الأسعار قد طبق في كثير من الدول النفطية على غرار الجزائر من خلال الاتفاقية المعقودة بينها وبين فرنسا في 1965 وكذلك بين فنزويلا وشركات نفطية أجنبية في 1967.<sup>5</sup>

- سعر الكلفة الضريبية: هو السعر المعادل لكلفة إنتاج البترول الخام مضاف إلى قيمة ضريبة الدخل والربح بصورة أساسية العائدة للدول البترولية لحصولها على برميل من البترول الخام، وهو في نفس الوقت يمثل الأساس الذي تتحرك فوقه الأسعار المتحققة في السوق، فالبيع بأقل من هذا السعر يعني الخسارة.<sup>6</sup>

<sup>2</sup> بيداء رزاق حسين، أثر تغيرات أسعار النفط على الاستقرار النقدي في العراق للمدة (2003-2016)، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد 63، العراق، ص: 90.

<sup>3</sup> محمد إسماعيل عمر، صناعة وتكرير البترول، مصر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2008، ص: 33.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص: 33. بتصرف.

<sup>5</sup> مراد علة، تطورات أسعار النفط في الأسواق العالمية دراسة تحليلية (2000-2014)، مجلة الدراسات الاقتصادية والمالية، العدد التاسع، المجلد الثالث ص: 199.

<sup>6</sup> محمد أحمد الدوري، مرجع سبق ذكره، ص: 199.

- السعر الفوري: هو سعر الوحدة النفطية المتبادلة آنيا أو فوريا في السوق النفطية الحرة، وهذا السعر معبرا أو مجسدا لقيمة السلعة النفطية نقديا في السوق الحرة للنفط المتبادل بين الأطراف العارضة والمشتريّة بصورة فورية، حيث ظهر هذا السعر النفطي مع وجود السوق الحرة بين الأطراف المعنية.
- السعر المستقبلي: هو سعر يتم التفاوض حوله بين المتعاملين لشحنة من النفط تسلم في تاريخ مستقبلي على أساس الأسعار المعلنة في بورصات لندن ونيويورك<sup>7</sup>.

### ثالثاً: العوامل المحددة لأسعار البترول

إن معرفة أهم العوامل المؤثرة في أسعار البترول يعتبر في غاية الأهمية سواء بالنسبة للدول المنتجة أو الدول المستهلكة، وفيما يلي أهمها:

- الطلب على النفط: والذي يتحدد بمدى رغبة وقدرة الأفراد والمؤسسات في الحصول على هذه السلعة النابعة من استعمالها عند سعر معين وخلال فترة زمنية محددة، ويتأثر الطلب النفطي في سوق النفط بعدة عوامل منها:
- النمو الاقتصادي العالمي: هناك ارتباط وثيق بين النمو الاقتصادي وإجمالي الطلب النفطي مما يعني أن النمو الاقتصادي العالمي المحرك الرئيسي للطلب على الطاقة.
- أسعار السلع البديلة: تؤثر السلع البديلة أو المنافسة إيجاباً أو سلباً على الطلب العالمي للنفط.
- التغيرات المناخية: حيث تؤثر التغيرات المناخية المسجلة خلال السنة على مستويات الطلب وفي الدول المستهلكة للنفط.
- الاستقرار السياسي والأمني في العالم: وهو لا يقل أهمية عن بقية العوامل الأخرى في التأثير على النفط.
- التطور السكاني وتزايدده: إن العامل السكاني له تأثير نسبي ومتكامل مع بقية العوامل الأخرى، حيث كل ما كان العدد كبيراً ومتزايداً فإنه يؤدي إلى توسع ونمو الطلب بافتراض أن نسبة النمو السكاني أقل من نسبة النمو الاقتصادي.
- الهشاشة والاختلال في الأنظمة المالية: لقد أظهرت الأزمة المالية الأخيرة بوضوح أن هناك عوامل مؤثرة من خارج السوق النفطية، مثل الهشاشة المالية والاختلال في الأنظمة المالية، والتي يمكن أن تكون ذات تأثير حاد وطويل الأمد على الطلب على النفط.
- العرض على النفط: يعتبر العرض البترولي استجابة لما يطلبه المستهلكون عند الأسعار السائدة في السوق، وهناك العديد من العوامل والأسباب التي تؤثر في العرض العالمي

<sup>7</sup> نواف الرومي، منظمة الأوبك وأسعار النفط العربي الخام، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصر، 2000، ص24.

للنفط سواء بالارتفاع أو الانخفاض، وتختلف درجة تأثيرها من عامل إلى آخر وأهم هذه العوامل نجد:

- الطلب على النفط: يعتبر الطلب على النفط من المحددات الرئيسة للعرض النفطي، انطلاقاً من فكرة أن الطلب يخلق العرض.
- السعر: تلعب الأسعار دوراً هاماً في المقادير المعروضة من أي سلعة، فارتفاع سعر النفط يؤدي إلى زيادة في الكمية المعروضة منه، إلا أن سوق النفط يخضع لاعتبارات احتكارية فضلاً عن المدى الزمني.
- الاحتياجات والطاقة الإنتاجية: حيث تعتبر عاملاً هاماً في التأثير على العرض العالمي للنفط.
- المستوى التكنولوجي والتقني لأدوات الإنتاج: للمستوى التكنولوجي الذي تتميز به أدوات الإنتاج دور هام في سرعة الكشف عن المكامن النفطية، وبالتالي يساعد في اكتشاف احتياطيات نفطية جديدة تساهم في رفع مستوى العرض الكلي للنفط.
- المصادر البديلة للنفط وأسعارها: حيث يتغير العرض في حالة تغير الطلب الناتج أصلاً عن انخفاض أسعار السلع البديلة.
- الحروب والأحداث السياسية: شهد العرض العالمي للنفط عدة اختلالات بسبب الأزمات السياسية خاصة في الدول المنتجة بدأ من الأزمة النفطية سنة 1980، ما يدل على أنها أحد العوامل المؤثرة على العرض النفطي.
- اتفاقيات المنظمات الدولية: كمنظمة الدول المصدرة للنفط والوكالة الوطنية للطاقة.

#### رابعاً: الصدمات النفطية

عرفت السوق النفطية العالمية العديد من التطورات والتغيرات منذ اكتشافها إلى آخر أزمة عرفها هذا السوق، لذلك من المهم توضيح شرح مبسط للصدمات النفطية.

تعرف الصدمات النفطية على أنها الحدث الذي ينتج عنه تغير كبير ومفاجئ في المتغيرات الاقتصادية المختلفة، وقد تكون انعكاساتها موجبة أو سالبة، فالصدمة الموجبة هي التي تؤدي إلى تحسين في قيمة المتغيرات الاقتصادية، في المقابل نجد أن الصدمة السالبة تؤدي إلى تدهور قيمة المتغيرات الاقتصادية وهذا ما نطلق عليه بالأزمات الاقتصادية<sup>8</sup>. للصدمات النفطية عدة أنماط، نذكر منها:

- الأزمة السعرية: يمكننا حصر تعريف الأزمات السعرية في صناعة النفط على أنها الاختلال المفاجئ في توازن السوق يؤدي بشكل مباشر إلى انخفاض أو ارتفاع حاد في الأسعار يمتد

<sup>8</sup> محمد السيد جيهان، إيناس فهمي حسين، أثر الصدمات الاقتصادية الكلية في السوق المصري، مجلة بحوث اقتصادية عربية، العدد 71، 2015، ص 44.



على فترة زمنية معينة، ويعزى هذا الاختلال إلى تغير حاصل في محددات العرض أو الطلب أو كلاهما في آن واحد بعوامل داخلية كالتغيرات الهيكلية أو بعوامل خارجية كالتغيرات الجيوسياسية<sup>9</sup>.

- الطفرة النفطية: يقصد بالطفرة النفطية تلك القفزات المفاجئة والتلقائية في أسعار النفط، تبدأ بشكل مفاجئ وغير متوقع في الأسعار الفورية وتتأكد في بعد الأسعار الحقيقية<sup>10</sup>.

يمكن تقسيم الصدمات النفطية إلى نموذجين، وهما: صدمات ارتفاع الأسعار، وصدمة انخفاض الأسعار.

نماذج عن صدمات الارتفاع: فيما يلي أهم التطورات التي شهدتها سوق النفط منذ 1973 والتي أدت وبشكل مباشر إلى رفع أسعار النفط ومن أهم هذه الصدمات نذكر:

1. الصدمة النفطية الأولى 1973: في أكتوبر 1973 ولأول مرة تم استخدام النفط كسلاح وذلك من خلال حظر الدول العربية تصديرها للنفط إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا وبعض الدول الغربية الأخرى وذلك من أجل إجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، مما سبب انخفاض كبير في العرض النفطي وهذا أدى إلى ارتفاع أسعار النفط من 3.01 دولار للبرميل إلى 11.5 دولار للبرميل<sup>11</sup> ومن نتائج هذه الأزمة نذكر<sup>12</sup>:

- ارتفاع مداخيل الدول المنتجة والمصدرة للنفط.

- انخفاض معدل النمو الاقتصادي العالمي بشكل كبير.

2. الصدمة النفطية الثانية 1979: بعد الأزمة النفطية الأولى ودع العالم عصر النفط الرخيص، وتعاقت بعد ذلك مؤتمرات الأوبك لمراجعة الموقف وتصحيح الأسعار، فشهد العالم أزمة نفطية ثانية بسبب تغيير مفاجئ بين الطلب الطاقوي الكامن والعرض النفطي الضروري، ونجد أن من أهم أسباب هذه الأزمة<sup>13</sup>:

- انهيار الإنتاج الإيراني: عرفت صناعة النفط في إيران خلال الربع الأخير من سنة 1978 إضراب عمال النفط ضد نظام الشاه، مما تسبب في تراجع إنتاج النفط من 6 مليون برميل يوميا في شهر سبتمبر إلى 2.3 مليون برميل يوميا في شهر ديسمبر، كما توقفت حينها صادرات النفط نحو الخارج وتم توجيه الإنتاج نحو الاستهلاك المحلي.

<sup>9</sup> سعد الله داود، الأزمات النفطية والسياسات المالية في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 34.  
<sup>10</sup> خميسي محمد، تأثير الطفرة النفطية الثالثة في السياسات النفطية لدول مجموعة الدول الأوبك، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 6، جانفي 2012، ص 300.

<sup>11</sup> عبد المطلب عبد الحميد، اقتصاديات البترول والسياسات السعرية البترولية، الدار الجامعية، ط (1)، الاسكندرية، 2015، ص 183.

<sup>12</sup> العمري علي، تأثير تطور أسعار النفط على النمو الاقتصادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 15.

<sup>13</sup> نفس المرجع السابق.

- تدهور قيمة الدولار الأمريكي: أدى تدهور قيمة الدولار بعد التخلي عن اتفاقية بروتن وودز إلى انخفاض القوة الشرائية لإيرادات منظمة الأوبك، ولهذا السبب قررت منظمة الأوبك الانتقال إلى سلة عملات كوسيلة لتعويض الخسائر الناجمة عن تآكل الدولار، وقد جاء ذلك بعد اجتماع جنيف ما بين 26 إلى 28 يوليو 1979.

- ونجد أن نتائج هذه الصدمة قد انحصرت في الآتي:

- تراجع الحصة السوقية للدول لمنظمة الأوبك من الإنتاج العالمي من 49% عام 1980 إلى 39% عام 1981.

- قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتغيير السياسة النقدية من خلال رفع أسعار صرف الدولار مقارنة بالعملات الأخرى.

3. الصدمة النفطية 2004: تسببت هذه الأزمة في وصول أسعار النفط إلى مستويات قياسية حيث بلغ سعر البرميل الواحد من النفط 42.82 دولار وذلك في شهر جوان، ونجد أن من أهم أسباب هذه الأزمة:

- الاضطرابات الجيوسياسية التي كانت تشهدها كل من العراق ونيجيريا.

- التحسن الكبير الذي شهده أداء الاقتصاد العالمي خلال سنة 2004، أدى إلى زيادة الطلب العالمي على النفط خاصة في كل من الصين والولايات المتحدة، حيث بلغ إجمالي الطلب سنة 2004 إلى 82.2 مليون برميل في اليوم مقارنة 79.6 مليون برميل في اليوم عام 2003<sup>14</sup>.

4. الصدمة النفطية لسنة 2008: شهدت هذه السنة العديد من التغيرات من أهمها زيادة عدد المستثمرين غير التجاريين في سوق العقود الآجلة، كما تميزت هذه السنة بتضاعف الطلب على الخامات النفطية مقارنة بالسنوات السابقة، كل هذه الأسباب كانت كفيلة برفع سعر النفط إلى ما يقارب 150 دولار للبرميل في منتصف سنة 2008<sup>15</sup>.

نماذج عن صدمات الانخفاض: وهي الصدمات النفطية التي أدت إلى انخفاض أسعار البترول، ومن أهمها:

1. الصدمة النفطية لسنة 1986: يمكننا أن نحصر الأسباب الرئيسية لحدوث الأزمة العكسية وانخفاض سعر النفط في عدم احترام الدول النفطية للمنظمة لأوبك سقف الإنتاج المحدد لها والمقدر بـ 17 مليون دولار، فنجد على سبيل المثال أن كل من ليبيا ونيجيريا قد رفعتا حصصهما بزيادة قدرها 200000 برميل في اليوم، كما أدى ظهور دول جديدة منتجة للنفط إلى نشوب منافسة كبيرة بين الدول الأوبك وتلك الدول، مما أدى إلى تراجع نسبة سيطرة دول الأوبك على الصادرات العالمية للنفط

<sup>14</sup> مساعيد فاطمة، مستقبل الغاز في ظل التوازنات العالمية الراهنة، دفاثر سياسية وقانونية، العدد5، جوان 2011، ص 244.

<sup>15</sup> داود سعد الله، تشخيص المتغيرات الجديدة في سوق النفط وأثرها على استقرار الأسعار 2008، مجلة الباحث عدد 09، 2011، ص 215.

حيث استطاعت هذه الدول تغطية 15% من إجمالي الاستهلاك العالمي، في المقابل نجد أيضاً أن انخفاض الاستهلاك العالمي من النفط الذي وصل إلى 30% عام 1985 مقابل 41% عام 1979 دور كبير في هذه الأزمة<sup>16</sup>.

2. الصدمة النفطية لسنة 1998: بعد استقرار أسعار النفط خلال نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات، حيث تراوحت الأسعار بين 14 و21 دولار للبرميل، حيث بدأت الأسعار تتآكل سنة 1997 حتى وصلت في سبتمبر إلى أدنى مستوى لها وهو 9.47 دولار للبرميل، ويعود هذا التراجع بشكل أساسي إلى انخفاض معدل النمو الاقتصادي للممور الآسيوية، مما أدى إلى تراجع الطلب على الطاقة، بالإضافة إلى عودة العراق إلى الإنتاج من خلال برنامج النفط مقابل الغذاء<sup>17</sup>.

3. الصدمة النفطية لسنة 2008: في شهر أكتوبر خلال نفس السنة وصل إلى 60 دولار للبرميل وهو ما يقدر بحوالي 32% من قيمته في أكتوبر فقط، وذلك راجع إلى الأزمة المالية العالمية التي انعكست آثارها على جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية في العالم بما في ذلك أسواق النفط<sup>18</sup>.

4. الصدمة النفطية لسنة 2014: في يوليو 2014 انخفضت أسعار النفط من 115 دولار للبرميل إلى أقل من 30 دولار في بداية 2016، وهو أكبر انخفاض تشهده الأسعار منذ انهيار عام سنة 2008 وقد ساهم في هذا الانخفاض<sup>19</sup>:

- ارتفاع سعر الصرف الدولار الأمريكي مما ساهم في ضعف الطلب في دول الأخرى.
- وجود مناطق مضطربة سياسيا في الشرق الأوسط (العراق وليبيا) والتي ما زالت تسعى لرفع إنتاجها.
- ظهور إنتاج النفط الصخري حيث أضاف هذا المصدر الجديد حوالي 4.2 مليون برميل يوميا إلى سوق النفط الخام مما ساهم في حدوث فائض من المعروض العالمي.

### خامساً: العلاقة بين تغيرات أسعار النفط وأسعار صرف الدينار الجزائري

عرف الاقتصاد الجزائري تذبذبا لسعر الصرف نتيجة تقلبات أسعار النفط التي ترتبط ارتباطا وثيقا بكل مرحلة من مراحل التنمية الاقتصادية، لذلك سنحاول في هذا المحور التطرق بشكل مختصر إلى كل مرحلة من مراحل تطور سعر الصرف بدلالة تقلبات أسعار النفط في الجزائر فيما يلي:

<sup>16</sup> موري سمية، أثر تقلبات أسعار البترول على التنمية الاقتصادية في الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة تلمسان، 2014-2015، ص 19-20.

<sup>17</sup> عبادة عبد الرؤوف، محددات سعر نفط منظمة الأوبك وأثره على الاقتصاد الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة ورقلة 2010-2011، ص 39.

<sup>18</sup> بقلة إبراهيم، تطورات أسعار النفط وانعكاساتها على الموازنة العامة للدول العربية، مجلة الباحث، العدد 12، 2013، ص 14.

<sup>19</sup> بن راشد خالد، تحديات انهيار أسعار النفط والتنوع الاقتصادي في دول مجلس التعاون، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أغسطس 2015، ص 6.

- تطور سعر صرف الدينار الجزائري بدلالة تقلبات سعر النفط (1980-1989): ساهم الارتفاع الكبير في الدولار الأمريكي بداية من 1980 في حدوث ارتفاع نسبي في القيمة الحقيقية للدينار الجزائري مما أدى إلى ضعف إنتاجية ومنافسة القطاع العام وخاصة القطاع غير النفطي بسبب الزيادة التي حدثت في أسعار عوامل الإنتاج والسلع والخدمات المحلية، أما في الأزمة العكسية وما نجم عنها من تآكل لعائدات التصدير مما جعل الحكومة الجزائرية تفتح باب الاقتراض، قام البنك المركزي خلال هذه الفترة بإعادة النظر في تسيير سعر صرف الدينار الجزائري ومراجعة قيمته، أما في سنتي 1986-1988 تبنى بنك الجزائر سياسة صرف نشطة سمحت بخفض قيمة الدينار الجزائري بـ 31% لسلة العملات.

- تطور سعر صرف الدينار الجزائري بدلالة تقلبات سعر النفط (1990-1999): عرفت هذه الفترة في بدايتها أزمة نفطية تسببت في خسائر كبيرة في معدلات التبادل التجاري، مما أدى إلى انخفاض قيمة الدينار الجزائري، ومن أجل إعادة تنظيم الأسعار قام البنك المركزي في عام 1992 بانتهاج سياسة الانفتاح لترتفع قيمة الدينار من 9 إلى 22 وتواصل في الارتفاع حتى نهاية 1993 حيث بلغ حينها 23.3، أما في عام 1994 فقد الدينار الجزائري أكثر من 50% من قيمته الحقيقية مما جعل السلطات تضع برنامجا للتعديل الهيكلي، كما تم في نفس السنة إنشاء نظام تعويم موجه عن طريق حصص التثبيت ويقصد هنا جلسات التثبيت بين البنوك التجارية والبنك المركزي، أما في عام 1996 تم تأسيس سوق الصرف ما بين البنوك التجارية الجزائرية، مما ساهم في رفع سعر صرف الدينار بـ 20% مسجلا 54.7 وبقى محافظا على نفس المستوى في سنتي 1997-1998، وكننتيجة لتسيير سعر صرف الدينار حسب نظام التعويم واصل سعر الصرف الارتفاع محققا 75.3 عام 1998 وهذا راجع أيضا إلى انخفاض سعر النفط والذي بلغ في نفس السنة مستوى 13.07 دولار للبرميل.

- تطور سعر صرف الدينار الجزائري بدلالة تقلبات سعر النفط (2000-2010): تمكن سعر الصرف خلال بداية هذه الألفية من تحقيق نوع من التوازن بزيادة هامشية لا تتعدى 3% ليعرف بعدها نوعا من الانخفاض تراوحت نسبته بين 2% و 5% وذلك في عام 2003، ويعزى ذلك للإجراء الذي اتخذته الحكومة للحد من تطور الكتلة النقدية المتداولة بالأسواق الموازية التي تسببت في اتساع الفارق بين القيمة الإسمية للدينار الرسمي وقيمه في السوق السوداء مقابل أهم العملات الأجنبية، أما في أواخر 2003 ارتفعت قيمة الدينار الجزائري مقابل الدولار الأمريكي بحوالي 11% وارتفع سعر الصرف الحقيقي بـ 7.5%، فقد بلغ سعر الصرف الفعلي الحقيقي للدينار مستواه في 2004 مسجلا 72.1 حيث تزامن هذا الارتفاع مع الارتفاع المطرد لسعر النفط في السوق الدولية في سنة 2005 ووصل سعر صرف الدينار حينها 73.27 مقابل الدولار الواحد.

- تطور سعر صرف الدينار الجزائري بدلالة تقلبات سعر النفط (2011-2020): خلال هذه الفترة شهد سعر النفط أقصى مستوى سعري له تاريخيا إذ بلغ 112.9 دولار للبرميل وهو ما أسهم بتحسين سعر الصرف الدينار عام 2001 بمعدل 72.9، بعد ذلك شهدت السوق الدولية

حركات واسعة في أسعار صرف العملات الصعبة الرئيسية، وفي عام 2013 قامت السلطات النقدية الجزائرية بتخفيض قيمة الدينار الجزائري بطريقة غير معلنة وهنا فقد متوسط سعر الدينار السنوي مقابل الدولار الأمريكي 2.6% من قيمته في المقابل فقد سعر الصرف الفعلي الحقيقي للدينار 2.4% كمتوسط سنوي في 2013 مقارنة بنفس الفترة في عام 2012 وواصل حينها البنك المركزي انتهاج سياسة التعويم بهدف المحافظة على استقرار معدل الصرف الفعلي الحقيقي.

ما يجدر ذكره أن البنك المركزي الجزائري عمل على خفض حدة وتبعات الصدمة في سنة 2015-2016 لإعادة سعر الصرف الفعلي الحقيقي للدينار إلى مستواه التوازني الجديد، إذ سجل 109.4 دينار مقابل الدولار الواحد سنة 2016 رغم استمرار تبعات الأزمة النفطية العالمية 2014 إذ انخفض سعر البرميل إلى 44 دولار، ثم شهد سعر الصرف ثباتا في سنتي 2016-2018 حيث بلغ 109.4 دج/ للدولار الواحد ويقابله ارتفاع في سعر النفط ليصل إلى 71.44 دولار للبرميل.

أما في سنتي 2019-2020 فقد سجلت أسعار صرف الدينار ارتفاعا كبيرا حيث بلغت ما يقارب 123 دج/ للدولار، وبالمقابل انخفض سعر النفط إلى 42 دولار للبرميل نتيجة أزمة الكوفيد 19 مما أدى إلى انخفاض الطلب عليه والإقبال العالمي.

ومما سبق يمكننا القول إن العلاقة بين سعر صرف الدينار مقابل الدولار وأسعار النفط فهي علاقة توازنية طويلة الأجل وعكسية، فقد تحدث استثناءات يتوافق فيها انخفاض الدولار مع انخفاض أسعار النفط، كما أن ارتفاع الدينار مقابل الدولار قد يساهم في رفع أسعار النفط، ويحدث هذا عادة عند تتضافر مجموعة من العوامل تؤثر في آلية العلاقة العكسية بين سعر صرف الدولار وأسعار النفط.

## المحور الثاني: نموذج NARDL

يعتبر كل من SHIN و PROMME و YU أول من درسوا اللاتناظر، وهذا سنة 2014 حيث كان الحديث في هذا الموضوع في إطار التكامل المشترك، لكن العمل الثوري الذي أصبح الأكثر انتشارا هو ما تطرق إليه هؤلاء، حيث طبقوا ذلك باستعمال NARDL أي اعتمدوا على نموذج التكامل المشترك في تطوير النموذج غير الخطي NON LINEAIRE، فهذا العمل مهم وثنوري ويقصد به دراسة في علاقة واحدة بين العلاقات الطويلة الأجل والعلاقات القصيرة الأجل، بالإضافة إلى أنه يمكننا من تتبع تأثير الصدمات فيما إذا كانت صدمات موجبة أو صدمات سالبة، فعلى سبيل المثال إذا تطرقنا لدالة الاستهلاك بناء على معطيات الدخل، فإذا زاد الدخل يزيد الإنفاق الاستهلاكي لكن إذا انخفض الدخل هل سوف سينخفض الإنفاق الاستهلاكي؟ وهل بنفس القيمة من الانخفاض؟ وهل أن الميل الحدي للاستهلاك ثابت؟ وهل هناك زيادة أو نقصان في الميل الحدي للاستهلاك؟<sup>20</sup>.

<sup>20</sup> عماد الدين أحمد المصباح، محاضرة صوتية على الانترنت، 2020، الرابط: [https://msbbh68.blogspot.com/2020/06/blog-post\\_45.html?fbclid=IwAR2U1tMUQNt6G86NgZWGVcnQQlowxK6daG70reHP4wbGiTvpwdN\\_JpgWdWo](https://msbbh68.blogspot.com/2020/06/blog-post_45.html?fbclid=IwAR2U1tMUQNt6G86NgZWGVcnQQlowxK6daG70reHP4wbGiTvpwdN_JpgWdWo).

## أولاً- مفهوم نموذج NARDL:

يعتبر أسلوب NARDL للتكامل المشترك توسيعاً أو تعميماً للتقدير الخطي لأسلوب الانحدار الذاتي ذي الفجوات الزمنية المبثثة للتكامل المشترك ARDL، بحيث يأخذ بعين الاعتبار احتمالية اللاخطية في تأثير المتغير المستقل التابع سواء في الأجل القصير أو الطويل، علاوة على ذلك يمثل نموذج NARDL أداة قوية لاختبار التكامل المشترك بين مجموعة من متغيرات السلسلة الزمنية في معادلة واحدة، على عكس نماذج التكامل المشترك الأخرى حيث يجب أن يكون ترتيب التكامل للسلسلة الزمنية المذكورة هو نفسه كذلك كما يساعد نموذج NARDL على حل مشكلة عدم التجانس باختيار فترات الإبطاء المناسبة للمتغيرات<sup>21</sup>.

كما يستعمل هذا النموذج بشكل أفضل لتحديد علاقات التكامل في العينات الصغيرة ويمكن تطبيقها بغض النظر عما إذا كانت السلاسل مستقرة عند المستوى أو عند الفرق الأول أو مزيج بينهما، غير أنه لا يمكن تطبيقها في حالة ما إذا كانت السلسلة مستقرة من الفرق الثاني، كما أنه يسمح بكشف التكامل المشترك الخفي، على سبيل المثال قد يكون للصدمة الإيجابية تأثير مطلق كبير على المدى القصير في حين أن الصدمة السلبية يكون لها تأثير مطلق كبير على المدى الطويل أو العكس. وتقوم فكرة هذا الأسلوب على تقسيم الصدمات التراكمية التي تحدث في المتغير المفسر  $x$  إلى ثلاثة أنواع:

- صدمات موجبة: نسميها  $x^+$  وهي تمثل المجموع التراكمي للصدمات الموجبة ونحسبها وفق الصيغة الآتية:

$$= \sum \max (\Delta X) X_t^+ = \sum_{n+1} \Delta X_n^+$$

- صدمات سالبة: نسميها  $x^-$  وهي تمثل المجموع التراكمي للصدمات السالبة ونحسبها وفق الصيغة الآتية:

$$= \sum \min (\Delta X) X_t^- = \sum_{n+1} \Delta X_n^-$$

- صدمات صفرية (للتوازن): نسميها  $X^0$  سيكون المجموع التراكمي لهذه الصدمات مساوية للمتغير نفسه أي:

$$X = X^+ + X^- + X^0$$

وعلى ذلك ننتقل إلى نموذج مبسط:  $y_t = \alpha + \beta x_t + \varepsilon_t$

<sup>21</sup> بن عمرة عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص: 18.

وبناء مما سبق ذكره نستخلص الملاحظات الآتية:

- إذا لم يكن ثمة اختلاف بين مقدرتي الصدمات الموجبة والسالبة، فإن العلاقة تناظرية، ولكن إذا كان اختلافاً معنوياً بين المقدرتين فإن العلاقة آنذاك ستكون غير تناظرية.
- نستخدم اختبار World test العادي من أجل اختبار فرضية تساوي المقدرتين 1 و2.
- تتبع عملية الاختيار لتوزيع F الحقيقية، لا توجد أي فروق في الناتج سواء استخدمنا توزيع t وتوزيع F.
- النموذج الذي تم عرضه نموذج انحدار بسيط لكن بالعودة إلى التسمية للأسلوب المطروح، نجد بأنه تعميم على أسلوب ARDL محتوية على المتغير المفسر المقسم ما بين الصدمات التراكمية الموجبة والصدمات التراكمية السالبة.

### ثانياً- أهمية استخدام نموذج NARDL:

طور Shin et al نموذج NARDL من أجل اختبار فرضية لا خطية العلاقة بين بعض متغيرات الدراسة، ويعد أسلوب NARDL توسيعاً أو تعميماً للتقدير الخطي لأسلوب الانحدار الذاتي ذي الفجوات اللبئة للتكامل المشترك ARDL التي طورها Pesaran et al بحيث يأخذ بعين الاعتبار احتمالية اللاخطية في تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع، سواء في الأجل القصير أو الطويل.

هذا الأسلوب كما في ARDL يقوم بالكشف عن التأثيرات قصيرة الأجل وطويلة الأجل في معادلة واحدة، وكذلك لا يحتاج بالضرورة إلى سلاسل زمنية طويلة مقارنة بأسلوب التكامل المشترك غير الخطي (TAR or MTAR)، فضلاً عن مرونته في استخدام المتغيرات المتكاملة من الرتبة 0 (I) أو 1 (I)، بمعنى سواء أكانت المتغيرات مستقرة في المستوى أو الفرق الأول أو المزيج بينهما وطبعاً لا يؤخذ بالحسبان المتغيرات المستقرة من الفرق الثاني، أي ذات رتبة التكامل.

كما أن هذا الأسلوب يمكننا من الكشف عما أطلق عليه Granger and Yoon التكامل المشترك الضمني hidden cointegration، بمعنى أنه يتجنب حذف العلاقات غير الملموسة بين الظاهر والعوامل المفسرة لها بالافتراض الجزافي بخطية العلاقة بينهما، وعليه فأسلوب NARDL يمكننا من اختبار فرضية مركبة فيما إذا كانت العلاقة بين المتغيرين محل الدراسة علاقة تكامل مشترك خطية أو غير أو حتى لا توجد علاقة تكامل مشترك بينهما.

### المحور الثالث: تقدير النموذج وأهم الاختبارات التشخيصية المستخدمة

من خلال هذا العنصر سنحاول دراسة تأثير آثار التغيرات الإيجابية والتغيرات السلبية في أسعار النفط على سعر صرف الدينار الجزائري خلال الفترة (1980-2020)، حيث تبين لنا أن نموذج الانحدار غير الخطي للفجوات الزمنية المتباطئة الموزعة (Nonlinear Autoregressive Distributed Lags Model) هو المناسب للدراسة نظراً لكونه يفصل بين التغيرات الإيجابية والتغيرات السلبية في المتغير المستقل لمعرفة تأثيره على المتغير التابع، كما أنه يساعد على اختبار الحدود. وعليه سنقوم باتباع الخطوات الآتية:



## أولاً- وصف النموذج والمتغيرات المستخدمة:

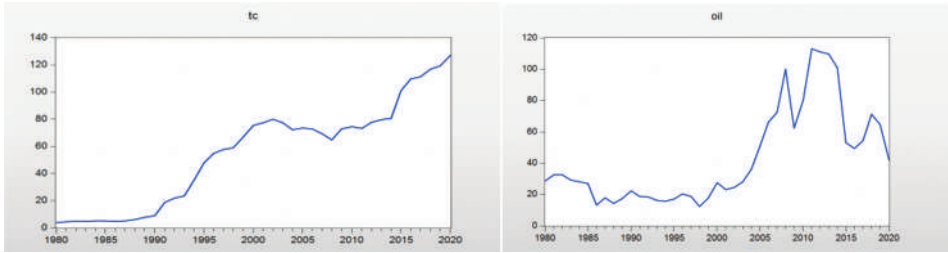
تم الاعتماد في جمع إحصائيات الدراسة على: الديوان الوطني للإحصاء، بيانات البنك الدولي، ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبتترول (أوابك)، ليتم دراسة سلوك المتغيرين وهما:

TC: سعر صرف دينار الجزائري مقابل الدولار الأمريكي (كمتغير تابع، حيث أن سعر صرف الدينار الجزائري يتأثر بتقلبات أسعار النفط).

oil: أسعار النفط في الجزائر (كمتغير مستقل، حيث أن ارتفاع أو انخفاض أسعار النفط تؤثر في زيادة أو نقصان في سعر صرف دينار الجزائر).

- التحليل الوصفي للمتغيرات: بالاستعانة ببرنامج Eviews10 تم الحصول على الرسم البياني للسلاسل الزمنية لمتغيري الدراسة ونتائج الإحصاء الوصفي لهما كالآتي:

الشكل رقم (01): يوضح تطور سعر صرف الدينار الجزائري TC، وأسعار النفط OIL من 1980-2020



المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10

من خلال الشكل السابق نلاحظ عدم استقرار في السلسلتين خلال فترة الدراسة، وذلك راجع إلى الأزمات التي شهدتها أسعار النفط في الأسواق العالمية مما قد يكون له تأثير على سعر صرف الدينار الجزائري مقابل الدولار.

الجدول رقم (01): الإحصاء الوصفي لمتغيرات الدراسة

	TC	OIL
Mean	54.79098	42.83049
Median	66.57000	28.60000
Maximum	126.7800	112.9400
Minimum	3.840000	12.30000
Std. Dev.	38.20721	30.46350
Skewness	-0.001024	1.066670
Kurtosis	1.861209	2.937062
Jarque-Bera	2.215451	7.781632
Probability	0.330309	0.020429
Sum	2246.430	1756.050
Sum Sq. Dev.	58391.64	37120.99
Observations	41	41

المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10



## ثانياً- دراسة الاستقرارية لمتغيرات الدراسة:

بعد ادخال اللوغاريتم على متغيرات الدراسة سيتم عرض نتائج اختبار السكون لمتغيري الدراسة، وهذا بالاعتماد على اختبار فيليب بيرون (PP).

لاختبار جذر الوحدة لمتغيرات الدراسة، لمعرفة مدى سكون واستقرارية متغيرات النموذج، فقد تم الاعتماد على اختبار جذر الوحدة للبيانات الأكثر استعمالاً، وهو اختبار ديكي فيليب بيرون (PP)، والشكل الآتي يوضح نتائج اختبار مستوى وخواص السلاسل الزمنية لمتغيرات النموذج وذلك بتطبيق اختبار (PP) على المتغيرين دفعة واحدة تبعاً لتقنية المطورة من طرف الباحث عماد الدين أحمد المصباح وتوصلنا إلى:

الجدول رقم (02): نتائج اختبار ديكي فيليب بيرون (PP) لمتغيرات النموذج.

UNIT ROOT TEST RESULTS TABLE (PP)			
Null Hypothesis: the variable has a unit root			
<u>At Level</u>			
With Constant	t-Statistic	0.3554	-1.5020
	Prob.	<b>0.9784</b>	<b>0.5224</b>
With Constant & Trend	t-Statistic	-1.8712	-1.8346
	Prob.	<b>0.6506</b>	<b>0.6690</b>
Without Constant & Trend	t-Statistic	2.3793	-0.7247
	Prob.	<b>0.9950</b>	<b>0.3964</b>
<u>At First Difference</u>			
With Constant	t-Statistic	d(TC) -4.2513	d(OIL) -5.7968
	Prob.	<b>0.0018</b>	<b>0.0000</b>
With Constant & Trend	t-Statistic	-4.3089	-5.7088
	Prob.	<b>0.0078</b>	<b>0.0002</b>
Without Constant & Trend	t-Statistic	-3.2990	-5.8878
	Prob.	<b>0.0016</b>	<b>0.0000</b>

**Notes:**  
a: (\*)Significant at the 10%; (\*\*)Significant at the 5%; (\*\*\*) Significant at the 1% and (no) Not Significant  
b: Lag Length based on SIC  
c: Probability based on MacKinnon (1996) one-sided p-values.

**This Result is The Out-Put of Program Has Developed By:**  
**Dr. Imadeddin AlMosabbeh**  
College of Business and Economics  
Qassim University-KSA

المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

تمثل القيم الأولى في الشكل معلمة الاختبار أي الإحصائية (Statistic)، بينما القيم الثانية تعبر عن القيمة الاحتمالية لكل معلمة اختبار، ومن خلال نتائج الجدول السابق لاختبار (PP) نتوصل إلى:

- أن كلا المتغيرين متفاضلان من الدرجة الأولى عند مستوى معنوية 5%، أي أن السلسلتين الزمئيتين ليست مستقرة عند المستوى.
- حسب shin et al يمكن استخدام نموذج الانحدار غير الخطي الذاتي للإبطاء الزمني الموزع NARDL حيث يتمثل الشرط الوحيد لتطبيق هذا النموذج واختباراته أن لا تكون السلاسل الزمنية متكاملة من الدرجة (2). I(2)

### ثالثاً- تقدير نموذج NARDL وأهم الاختبارات التشخيصية:

بالاستعانة بالبرنامج الاحصائي Eviews10 من أجل تقدير النموذج وتقديم الاختبارات التشخيصية له.

- تقدير النموذج: سيتم تقدير النموذج باستخدام NARDL والقيام بالاختبارات التشخيصية له، وقد تم إجراء الفرق الأول للسلسلة oil لتصحيح مشاكل اختبار الحدود (انظر الملحق رقم ...) واختبار Ramsey (انظر الملحق رقم ...)، وهذا يعني أن أي صدمة في سعر النفط للسنة الحالية تظهر نتائجها على سعر الصرف في السنة المقبلة. والجدول الآتي يوضح نتائج التقدير الأولي:

الجدول رقم (03): يوضح النموذج المقدر

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.*
TC(-1)	1.324895	0.142405	9.303738	0.0000
TC(-2)	-0.509304	0.229410	-2.220061	0.0341
TC(-3)	0.442750	0.230345	1.922123	0.0641
TC(-4)	-0.300451	0.139947	-2.146884	0.0400
DOIL_POS	-0.161131	0.050309	-3.202846	0.0032
DOIL_NEG	-0.181390	0.044854	-4.044009	0.0003
C	1.676390	1.283570	1.306037	0.2015

R-squared	0.990222	Mean dependent var	60.24027
Adjusted R-squared	0.988267	S.D. dependent var	36.18217
S.E. of regression	3.919249	Akaike info criterion	5.738335
Sum squared resid	460.8153	Schwarz criterion	6.043103
Log likelihood	-99.15920	Hannan-Quinn criter.	5.845780
F-statistic	505.3694	Durbin-Watson stat	1.816414
Prob(F-statistic)	0.000000		

\*Note: p-values and any subsequent tests do not account for model selection.

المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10

من نتائج الجدول السابق، لدينا معامل الارتباط R-squared=99%، وكذلك Adjusted R-squared=98% أي أن جودة تفسير النموذج عالي جداً، وعليه فإن النموذج مقبول إحصائياً.

وتكون معادل النموذج كالتالي:

$$TC = C_1TC_{-1} + C_2TC_{-2} + C_3TC_{-3} + C_4TC_{-4} + C_5DOIL\_POS + C_6DOIL\_NEG + C_7$$

حيث أن:

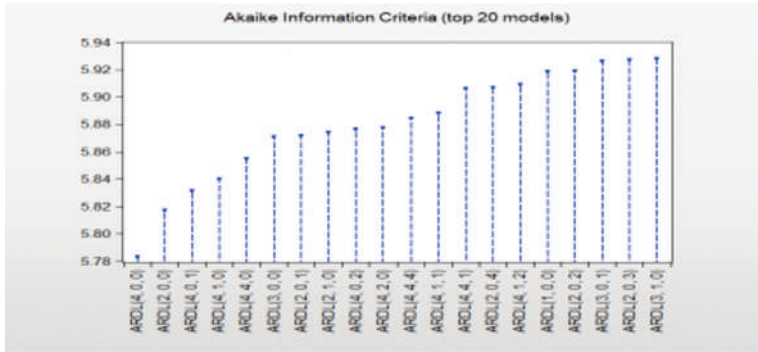
- TC تمثل المتغير التابع محل الدراسة المتمثل في سعر صرف دينار الجزائري.
- DOIL تمثل المتغير المستقل محل الدراسة المتمثل في أسعار النفط، ويتم تقسيمه إلى:
  - o DOIL\_POS تمثل التغيرات الموجبة في أسعار النفط.
  - o DOIL\_NEG تمثل التغيرات السالبة في أسعار النفط.

ومن مخرجات برنامج Eviews10، نحصل على النتائج الآتية:

$$TC = 1.32489509959*TC(-1) - 0.50930441815*TC(-2) + 0.442750482067*TC(-3) - 0.300450879778*TC(-4) - 0.161130784832*DOIL\_POS - 0.181390065323*DOIL\_NEG + 1.67639009923$$

بما أن القدرة التفسيرية للنموذج مقبولة من نتائج الجدول رقم (02)، سيتم بعد ذلك القيام بتحديد فترات الإبطاء الأمثل للنموذج ثم باختبار الحدود لمعرفة ما مدى وجود تكامل مشترك غير الخطي بين متغيرات الدراسة والشكل الآتي يوضح نتائج التقدير وتحديد فترة الإبطاء الأمثل للنموذج:

الشكل رقم (02): يوضح فترات الإبطاء للنموذج



المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

من الشكل رقم (02) يتضح أن فترة الإبطاء الأمثل هي أقل قيم لمعيار AIC وعليه نختار ARDL(4,0) كأفضل فترة إبطاء للنموذج.

## اختبار التكامل المتزامن غير الخطي (اختبار الحدود):

الجدول رقم (04): يوضح اختبار التكامل المتزامن غير الخطي (اختبار الحدود)

F-Bounds Test		Null Hypothesis: No levels relationship		
Test Statistic	Value	Signif.	I(0)	I(1)
Asymptotic: n=1000				
F-statistic	6.026159	10%	2.63	3.35
k	2	5%	3.1	3.87
		2.5%	3.55	4.38
		1%	4.13	5

المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

من خلال الجدول رقم (04) نجد أن قيمة  $F = 6.026159$  وهي أكبر تماماً للقيمة الحرجة عند مستوى دلالة 1%، مما يؤكد على وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين متغيرات النموذج.

- أهم الاختبارات التشخيصية لنموذج الدراسة:

اختبار مضروب لاغرنج للارتباط التسلسلي بين البواقي النموذج (BG): نقوم بإجراء اختبار Heteroskedasticity Test ، Breusch- Pagan-Godfrey ، بالإعتماد على برنامج Eviews 10، فنحصل على النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

الجدول رقم (05): اختبار مضروب لاغرنج للارتباط التسلسلي بين البواقي لنموذج (BG)

Heteroskedasticity Test: Breusch-Pagan-Godfrey			
F-statistic	1.420437	Prob. F(6,30)	0.2395
Obs*R-squared	8.185763	Prob. Chi-Square(6)	0.2248
Scaled explained SS	3.738235	Prob. Chi-Square(6)	0.7121

المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

من خلال النتائج المتحصل عليها نجد أن الاحتمال المقابل للقيمة الإحصائية  $Obs^* R\text{-squared}$  بلغت 0.2248 وهي أكبر من 0.05 عند مستوى معنوية 5%، وعليه يتم قبول فرضية العدم التي تنص بخلو النموذج من مشكلة الارتباط التسلسلي بين البواقي.

اختبار عدم ثبات التباين المشروط بالانحدار الذاتي (اختبار ARCH): نقوم بإجراء اختبار ARCH بالاعتماد على برنامج Eviews10، فنحصل على النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

الجدول رقم (06): اختبار عدم ثبات التباين المشروط بالانحدار الذاتي.

Heteroskedasticity Test: ARCH			
F-statistic	0.082935	Prob. F(1,34)	0.7751
Obs*R-squared	0.087600	Prob. Chi-Square(1)	0.7673

المصدر: تم إعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

من الجدول رقم (06): نلاحظ أن الاحتمال المقابل للقيمة الإحصائية  $R^2$  يساوي 0.76 وهي أكبر من 0.05 عند مستوى معنوية 5 %، وعليه نقبل فرضية العدم التي تنص بخلو النموذج من مشكلة عدم ثبات التباين.

باختبار مدى ملائمة تحديد وتصميم النموذج المقدر من حيث الشكل الدالي (اختبار Ramsey): بالاستعانة ببرنامج `views10`، تم الخروج بالنتائج الآتية:

**الجدول رقم (07): اختبار مدى ملائمة تحديد وتصميم النموذج المقدر من حيث الشكل الدالي (اختبار Ramsey)**

Ramsey RESET Test			
Equation: NARDL			
Specification: TC TC(-1) TC(-2) TC(-3) TC(-4) DOIL_POS DOIL_NEG C			
Omitted Variables: Squares of fitted values			
	Value	df	Probability
t-statistic	1.954084	29	0.0604
F-statistic	3.818445	(1, 29)	0.0604

المصدر: تم اعداده بالاستعانة ببرنامج `views10`.

نلاحظ أن:

- الاحتمال المقابل للقيمة الإحصائية F-Statistic يساوي 0.06 وهي أكبر من 0.05 عند مستوى معنوية 5 %، تم قبول فرضية العدم التي تنص بصحة الشكل الدالي للنموذج.
- وأن المقابل للإحصائية t-statistic المحسوبة هي أكبر من 0.06 عند مستوى معنوية 5 %، وعليه نقبل فرضية العدم ونرفض الفرضية البديلة وبالتالي يوجد تماثل في التأثير الطويل الأجل لأسعار النفط `oil` على سعر صرف الدينار الجزائري `tc`.

**اختبار التماثل في الأجل الطويل والأجل القصير:**

حسب مخرجات برنامج `views10`، المتحصل عليها في الآتي:

Wald Test			
Equation: LRFORM			
Test Statistic	Value	df	Probability
t-statistic	-1.018828	30	0.3164
F-statistic	1.038010	(1, 30)	0.3164
Chi-square	1.038010	1	0.3083

Null Hypothesis: -C(3)/C(2)=C(4)/C(2)		
Null Hypothesis Summary:		
Normalized Restriction (= 0)	Value	Std. Err.
-C(3)/C(2) - C(4)/C(2)	-8.134010	7.983695

Delta method computed using analytic derivatives.

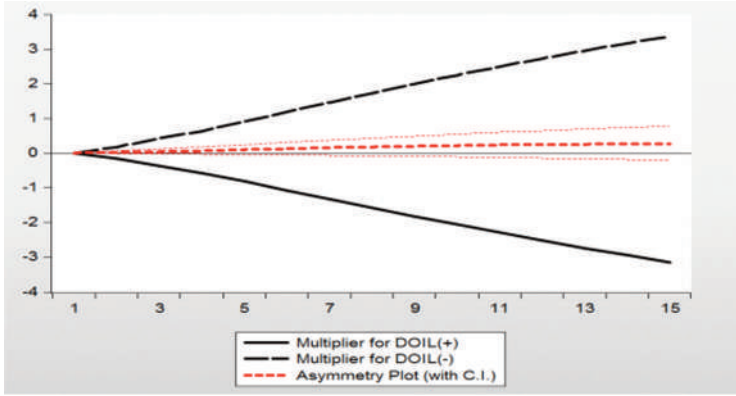
المصدر: تم اعداده بالاستعانة ببرنامج `views10`.

نلاحظ أن كل من الإحصائية:

t-statistic, Fstatistic, Chi-square المحسوبة أكبر من 0.05 عند مستوى معنوية 5%، وعليه نقبل فرضية العدم ونرفض الفرضية البديلة وبالتالي يوجد تماثل في التأثير القصير الأجل والأجل الطويل لأسعار النفط على سعر صرف الدينار الجزائري.

إختبار مضاعف التأثير التراكمي الديناميكي غير المتماثل: نقوم بإجراء إختبار NARDL Multiplier Graph وهذا بالإعتماد على برنامج 10 eviews، فنحصل على النتائج الموضحة في الشكل الآتي:

الشكل رقم (03): يوضح اختبار مضاعف التأثير التراكمي الديناميكي غير المتماثل

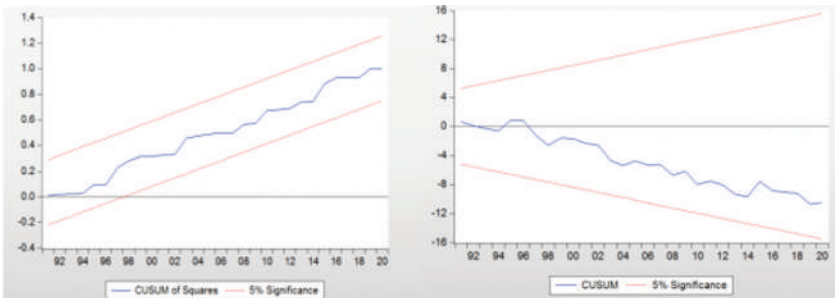


المصدر: تم اعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

من خلال المضاعفات الديناميكية لمدة 15 سنة من الشكل السابق نلاحظ أن النتائج قد أظهرت رد فعل قوي للمتغيرات الإيجابية لأسعار النفط، بينما الاستجابة للمتغيرات السلبية جاءت أقل من المتغيرات الإيجابية.

٦ اختبار الاستقرار الهيكلي لمعاملات نموذج NARDL: بالاعتماد على برنامج 10 eviews فقد تحصلنا على النتائج الآتية:

الشكل رقم (04): اختبار الاستقرار الهيكلي لمعاملات نموذج NARDL

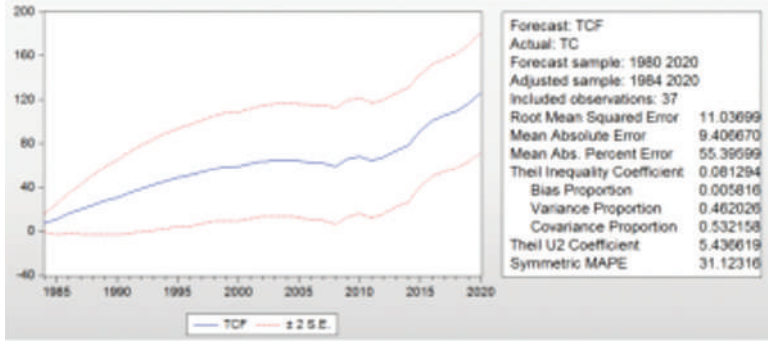


المصدر: تم اعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

ومن خلال الشكلين فان إحصائية كل من CUSUM و CUSUM of Squares تقع داخل الحدود الحرجة عند مستوى معنوية 5%، ويستدل من ذلك أن هناك استقرارا وانسجاما في النموذج بين نتائج الأجلين القصير والطويل.

٦ اختبار الأداء التنبؤي لنموذج NARDL بالاعتماد على برنامج eviews10، فنحصل على النتائج الآتية:

الشكل رقم (05): اختبار الأداء التنبؤي لنموذج NARDL



المصدر: تم اعداده بالاستعانة ببرنامج Eviews10.

من خلال الشكل السابق نلاحظ أن المعاملات bias proportion, Variance Proportion, Theil Inequality Coefficient, Covariance Proportion هو قريب من الواحد الصحيح وهذا ما يشير إلى أن النموذج ذو مقدرة تنبؤية جيدة.

### نتائج التقدير:

من خلال استخدامنا لنموذج الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية المبطئة الغير خطي NARDL من أجل دراسة طبيعة العلاقة بين صدمات أسعار النفط وسعر صرف الدينار الجزائري خلال الفترة (1980-2020)، وبالاعتماد على البرنامج الإحصائي Eviews10 لتقدير النموذج وإجراء الاختبارات التشخيصية، اتضح لنا الآتي:

1. وجود تأثير قوي لصدمات أسعار النفط الإيجابية والسلبية على سعر صرف الدينار الجزائري، وذلك لأن الاقتصاد الجزائري اعتمد على 90% من عائداته على مداخيل النفط وأي صدمة في أسعار النفط تؤثر على سعر صرف الدينار الجزائري.

2. وجود علاقة غير تناظرية بين صدمات أسعار النفط وسعر صرف الدينار الجزائري، من خلال ما تفسره معلمة تصحيح الخطأ التي بلغت -0.509304 وهي سالبة وأقل من الواحد، مما يؤكد لدينا وجود علاقة تكامل مشترك في النموذج غير خطي بين المتغيرات الموجبة والمتغيرات السالبة لأسعار النفط على سعر صرف الدينار الجزائري في المدى الطويل،



وعليه نقبل النموذج.

3. وما يفسره نموذج الدراسة الذي تم تقديره من أجل دراسة طبيعة العلاقة بين صدمات أسعار النفط على تغيرات سعر صرف الدينار الجزائري خلال الفترة (1980-2020) باستخدام نموذج NARDL هو أن: زيادة أو انخفاض أسعار النفط تؤثر بشكل مباشر على تغيرات أسعار صرف الدينار مقابل الدولار، إلا أن ارتفاع سعر صرف الدينار الجزائري مقابل الدولار أو انخفاضه لا يؤثر بشكل مباشر على أسعار النفط، نظرا لكون العملة الجزائرية لا تحظى بطلب عالمي وهي ليست من سلة العملات العالمية، وهو ما يفسر أن العلاقة غير تناظرية بين تغيرات أسعار النفط سعر صرف الدينار الجزائري.

### الخاتمة

يساهم النفط في جلب العملة الصعبة بالنسبة للدول المنتجة له ومنها الجزائر التي تعتمد على النفط كمورد رئيسي، وبالتالي فإن حدوث صدمات نفطية وانخفاض أسعاره على الساحة الدولية سوف يؤدي إلى تدهور اقتصاداتها ومن ثم يجب البحث عن الحلول المناسبة نتيجة الانخفاض الحاد لأسعار النفط بالنسبة للاقتصاد الجزائري، ومما جعل من النمو الاقتصادي تبعية لهذه السلعة.

ومن خلال ما تقدم، تم من خلال هذه الدراسة تحديد طبيعة العلاقة بين صدمات أسعار النفط وسعر صرف الدينار الجزائري خلال الفترة (1980-2020) باستخدام نموذج NARDL، والقيام بعد ذلك بالاختبارات الإحصائية التي تتناسب مع موضوع دراستنا وتحليل نتائج التقدير إحصائيا واقتصاديا، ليتم التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- نتائج التقدير أظهرت وجود علاقة غير تماثلية في المدى الطويل والمدى القصير بين ارتفاع وانخفاض أسعار النفط على تغيرات سعر صرف الدينار الجزائري.

- يتأثر سعر صرف الدينار الجزائري بشكل كبير بمدى حجم احتياطي الصرف الناتج من العوائد النفطية والتي بدورها تتأثر بارتفاع أو انخفاض أسعار النفط.



# الحرب الروسية - الأوكرانية وانعكاساتها على التعاون المناخي متعدد الأطراف: قراءة في ضوء مخرجات قمة المناخ العالمية COP27

نسبية تامة \*

د. عبد الحميد مشري\*\*

## ملخص

تسعى هذه الورقة إلى مناقشة تأثير أزمة الطاقة العالمية التي تسبب بها الغزو الروسي لأوكرانيا في شباط/ فيفري 2022 على التزام الدول الصناعية بمخرجات قمة المناخ العالمية COP-27، والتي أثارت عدداً من الأسئلة الصعبة لواقعي السياسات المناخية. فرغم الاعتراف بعواقب التغير المناخي الذي فرضه السلوك التنافسي بين اقتصادات الدول على التنمية الاقتصادية، والاتفاق على ضرورة العمل الجماعي لتدارك تبعات أزمة المناخ، وتجنب العمل الأحادي المكلف، إلا أنها أضمّرت في الغالب سلوكيات لا تعاونية تقوم على مبدأ الاعتماد على الذات self-help.

**الكلمات المفتاحية:** التعاون المناخي متعدد الأطراف، COP-27، الحرب الروسية الأوكرانية، انبعاثات الكربون، أمن الطاقة.

\* باحثة، تحضر الدكتوراه في العلاقات الدولية في كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، الجزائر.

\*\* أستاذ محاضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، الجزائر.

# The Russian-Ukrainian war and its repercussions on multilateral climate cooperation: A reading in the light of the outcomes of the COP27 World Climate Summit

Nusyiba tamma

Abdul Hamid mishri

## Abstract

This paper seeks to discuss the impact of the global energy crisis caused by the Russian invasion of Ukraine in February 2022 on the commitment of industrialized countries to the outputs of the global climate summit COP-27, which raised a number of difficult questions for climate policymakers. Despite acknowledging the consequences of climate change imposed by competitive behavior among the economies of countries on economic development, agreeing on the need for collective action to remedy the consequences of the climate crisis, and avoiding costly unilateral action, they often implied non-cooperative behaviors based on the principle of self-help.

**Keywords:** multilateral climate cooperation, COP-27, Russian-Ukrainian war, carbon emissions, energy security.

## مقدمة:

ثمة دعوات متواترة ضمن أدبيات الدراسات الأمنية إلى ضرورة التسليم بحقيقة أن تأثيرات تغير المناخ على الأمن الدولي قد تجاوزت التهديدات العالمية السابقة، مثل انتشار الأسلحة النووية، الكساد العظيم والإرهاب. على سبيل المثال، تضاعفت الأضرار الاقتصادية العالمية من الكوارث الطبيعية، حيث بلغ إجمالي الأضرار ترليونات الدولارات سنوياً على مدى العقدين الماضيين. إن مخاطر تغير المناخ التي تواجهها البلدان النامية هي أكثر خطورة من حيث الحجم، بما في ذلك التعرض للطقس القاسي، وتدهور الأمن القومي، والصحة العامة. وبشكل أكثر وضوحاً، قد يتسبب ذوبان الأنهار الجليدية إلى إغراق وديان الأنهار في كشمير ونيبال، وقد يؤدي انخفاض هطول الأمطار إلى تفاقم الأمن المائي والغذائي حتى يموت 182 مليون شخص من الأوبئة والمجاعة التي تُعزى إلى تغير المناخ. في حين أنه إذا ذابت الصفائح الجليدية في جرينلاند، فقد ترتفع مستويات سطح البحر بمقدار 6 أمتار، وهو ما يكفي لغمر جميع الدول الجزرية المنخفضة تقريباً بالإضافة إلى المناطق الساحلية من سان فرانسيسكو ونيويورك إلى أمستردام وطوكيو<sup>1</sup>.

في ظل أشد هذه التوقعات، جاءت الحرب الروسية الأوكرانية وما تبعها من اضطراب في الأسواق والجغرافيا السياسية للطاقة لتكشف عن هشاشة الأنظمة العالمية لتغير المناخ والتساؤل عن جدوى التعاون المناخي متعدد الأطراف. حيث دفعت الحرب إلى إعادة التفكير في خطط الطاقة لدى الدول، والتي يمكن أن يكون لها تأثيرات عميقة على الجهود العالمية للحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري. بدلاً من تسريع عملية التحول الأخضر وتوسيع مصادر الطاقة المتجددة، لا تزال الدول تبحث عن حلول في مجال الوقود الأحفوري الذي يشكل الأساس لمعظم استخدامات الطاقة في الدول الصناعية الكبرى. حيث سارع قادة العالم إلى البحث عن مصادر بديلة للنفط والغاز الروسي، وإعادة فتح محطات حرق الفحم، فضلاً عما تسببت به الحرب من ارتفاع استهلاك الطاقة التقليدية وانبعاثات الكربون الناجمة عن الأنشطة العسكرية. في الوقت عينه، أسفرت هذه السياسات عن تعميق الخلاف ضمن مباحثات COP27، التي أثارت عدداً من الأسئلة الصعبة لواقعي السياسات المناخية، خاصة فيما يتعلق بقضية ضرورة تحمل الدول المتقدمة فيما عرف بـ«المسؤولية التاريخية» عن انبعاثات الكربون، التي تتمثل من التزاماتها في مساعدة الدول النامية في تمويل مشاريع مستدامة وبتكلفة مع تغير المناخ التي تتطلب تمويلًا، بالإضافة إلى التقاعس عن نقل التكنولوجيا وبناء القدرات.

من الناحية المنطقية، يبدو أن للدول أهدافاً مماثلة ومصالح مشتركة للتوجه نحو العمل الجماعي لتدارك تبعات معضلة تغير المناخ. فرغم الاعتراف بعواقب تغير المناخ الذي فرضه السلوك التنافسي بين اقتصادات الدول على التنمية الاقتصادية، والاتفاق على ضرورة العمل الجماعي، وتجنب العمل الأحادي المكلف، إلا أنها أضرمت في الغالب سلوكيات لا تعاونية تقوم على مبدأ الاعتماد على الذات. self-help.

<sup>1</sup> Baum, C., & Low, S. (2023). The next climate war? Statecraft, security, and weaponization in the geopolitics of a low-carbon future. Energy Strategy Reviewe.

على ضوء ذلك، تحاول هذه المداخلة تحليل صعوبات التعاون متعدد الأطراف في قضايا السلع العامة، وتفسير المنطق الذي يوجه الدول نحو تفضيل استراتيجيات لا تعاونية، كالتخلص من الالتزامات، في ظل اشتداد أزمة الطاقة العالمية بعد الحرب الأوكرانية. وبناء عليه، تثير هذه الورقة تساؤلاً حول تعثر قيام تعاون مناخي متعدد الأطراف وتحقيق مستقبل أكثر اخضراراً واستدامة في ظل حضور هاجس ضمان أمن الطاقة؟ على هذه الخلفية، تسعى هذه الورقة إلى مناقشة مسار التعاون المناخي متعدد الأطراف في ظل أزمة الطاقة العالمية. حيث أصبحت معضلة التغير المناخي من أكبر التحديات العابرة للحدود في القرن الحالي، والتي اختبرت إرادة الدول التعاونية في التعامل مع هذه المسألة.

### المحور الأول- التعاون متعدد الأطراف: نقاش نظري

شكل التعاون المناخي متعدد الأطراف تحدياً ومجالاً لتباين القراءات التفسيرية. النيواقيعون مثلاً، لا يعتبرون التغير المناخي مسألة حيوية في السياسة الدولية، كما يعترفون بصعوبة تحقق التعاون المناخي متعدد الأطراف في ظل الشروط الفوضوية التي تميز بنية النسق الدولي. في حين يجادل النيوليبراليون أنه وبالرغم من القيود القاسية التي تفرضها بنية النسق الدولي على سلوك الدول إلا أنه يمكن التغلب على الفوضى، وأن التعاون المناخي متعدد الأطراف يمكن أن يتحقق إذا توفرت شروطه<sup>2</sup>. وعليه، وفي خضم هذا التباين التفسيري، ستستفيد الورقة من هذه النقاشات النظرية التي تعكس واقع العمل الجماعي حول أزمة المناخ.

في هذا السياق، سيكون من الخطأ أن نصّف النيوليبرالية بأنها تحتاج بسهولة إحرار التعاون لمجرد أن الاعتمادية المتبادلة قد زادت. فقد تكون بين الدول مصلحة مشتركة في السيطرة على انتشار فيروس قاتل، والأسلحة النووية، وحمائية التجارة، والتلوث البيئي والتغير المناخي. لكن مجرد وجود مصالح مشتركة في الوصول إلى حل فعال لا يقود بسهولة أو تلقائية إلى ذلك الحل. فقد تخفق الدول في التعاون في ما بينها لأنها تفتقر إلى المعلومات المتعلقة بالأولويات الحقيقية عند غيرها من الدول. وقد تخشى الدول أن تستغل دول أخرى ترتيباً تعاونياً معيناً من خلال الغش. وقد تقلق الدول أن تتركب دول أخرى مجاناً على ظهر جهدها التعاوني. وقد تعتقد الدول، باختصار، بأنه حتى لو كان ثمة احتمال بأن يكون اتفاق ما مفيداً، فإن تكاليف التعاملات، أو العواقب والعقوبات غير المعروفة المترتبة عليه، أكبر من أن تخاطر الدول ببذل جهد فيه.

على هذا الأساس، يرى النيواقيعيون أن هناك عاملين أساسيين يجعلان التعاون أمراً صعباً. أولهما هو احتمال الغش. لا ينكر كُتاب مثل وولتز Waltz وميرشايمر Mearsheimer بأن فرص التعاون بين الدول أفضل من الماضي. ولكنهم يجادلون بأن هناك حدوداً ضيقة لهذا التعاون، لأن الدول ستبقى تحت هاجس الخوف من قيام الدول الأخرى بنقض أي اتفاقية تعقد<sup>3</sup>. ويبقى قائماً أنه في بيئة الفوضى التي يكون فيها حتماً اتفاق التعاون لا مركزياً وذاتي التطبيق، فإن الدول لا تقوم دائماً

<sup>2</sup> عبد الحميد مشري، و نسبية تامة. (2022). معضلة التعاون المناخي متعدد الأطراف في ظل التنافس الصيني الأمريكي. مجلة القانون، المجتمع والسلطة.

<sup>3</sup> جون بيليس، و ستيف سميت. (2004). عولمة السياسة العالمية. دبي: مركز الخليج للأبحاث.

باحترام الاتفاقات التي توصلت إليها في بادئ الأمر، ولا متابعتها ولا تطبيقها بالكامل. وكما لاحظ جورج داونز George Downs وآخرون بأن التعاون قد يبدأ باتفاقات تتطلب قليلاً من التنفيذ، لكن يبدو أن التقدم المستمر على الأرجح يعتمد التأقلم مع بيئة يُقدم فيها التنصل فوائد كبيرة.

وثانيهما هو الاهتمام الذي تبديه الدول بما يعرف باسم المكاسب النسبية. يرى النيواقعيون أنه بدلاً من اهتمام الدول بالتعاون الذي يحقق مصالح دولتين معاً، فإن الدول تهتم بالمكاسب التي تحققها من هذا التعاون بالمقارنة مع المكاسب التي يحققها الطرف المتعاون. ولأن الدول ستستمر في محاولاتها الدائمة للحصول على الحد الأقصى من المكاسب ضمن بيئة دولية تسودها الشكوك وانعدام الثقة، فإن التعاون يبقى دائماً هدفاً يصعب تحقيقه والحفاظ عليه<sup>4</sup>. وحتى عندما يكون لدى الأطراف مصالح مشتركة وحتى في حال كان كل الأطراف ستجني فوائد من وراء التعاون، فإنها تخشى من أن يتم توظيف المكاسب الأكبر نسبياً في أغراض تنافسية<sup>5</sup>.

فإذا لم تحفز أزمة عالمية عابرة للحدود التعاون الدولي، فما الذي قد يحدث إذن؟ يذكرنا البراديغم الواقعي أنه في نظام دولي سمته الفوضى وغياب الثقة، فإن التردد في التخلي عن غريزة الاعتماد على الذات self-help والمباريات المحصلة الصفرية (zero-sum games)، هو السلوك السائد، حتى في خضم تحد عالمي مشترك. ويتجلى ذلك في استمرار هيمنة الدول والمصالح الوطنية الفردية على المصالح الجماعية في ظل غياب سلطة عليا فوق قومية تُرغم الدول على الاستجابة لمعضلة تغير المناخ. إن حالة عدم اليقين الناتجة عن فوضوية النسق الدولي، تجعل الدول حذرة بشأن الالتزام المكلف بالمؤسسات الدولية عندما تكون غير متأكدة من الفوائد التي ستجنيها، وما إذا كانت الدول الأخرى ستلتزم لعودها لتنفيذ جهود مماثلة<sup>6</sup>.

وكلما زاد عدد الأطراف المتعانة، كلما كان تحقيق التعاون والالتزام به أصعب. خاصة عندما تنخرط الدول في تعاون مرتبط بالسلع العامة public good، كمسائل المناخ والبيئة. يجادل كينيث أوي Kenneth Oye في هذا السياق، أنه كلما زاد عدد الأطراف المنخرطة في التعاون، تزداد تكاليف المعلومات ومشاكل الرقابة، كما أن ظهور بعض الدول غير المتعانة يعمل على تشجيع الاستراتيجيات اللاتعاونية الأمر الذي يقود إلى تعطيل مبدأ "العاملة بالمثل" Reciprocity. بمعنى آخر، إن التعاون المناخي متعدد الأطراف يفرض مشكلات أخرى، تتمثل في عدم وجود آلية تعاقب المنشقين عن الاتفاقيات، لأن مبدأ "العين بالعين" Tit for Tat من المرجح أن يُنهي الالتزام الجماعي، وبالتالي ينهار التعاون المناخي. علاوة على ذلك، من شأن ذلك أن يحفز ظهور الراكب المجاني free rider، أي وجود دول تستفيد من التعاون بدون أن تدفع تكاليفه<sup>7</sup>.

<sup>4</sup> جون بيليس، و ستيف سميت. (2004). عولمة السياسة العالمية. دبي: مركز الخليج للأبحاث.

<sup>5</sup> جينيفر ستيرلنغ فوكر. (2016). الليبرالية الجديدة. تأليف تيم دان، ميليا كوركي، و ستيف سميت، نظريات العلاقات الدولية التنوع والتخصص. الدوحة.

<sup>7</sup> عبد الحميد مشري، و نسبية تامة. (2022). معضلة التعاون المناخي متعدد الأطراف في ظل التنافس الصيني الأمريكي. مجلة القانون، المجتمع والسلطة.

## المحور الثاني: معضلة التغير المناخي ومخرجات قمة المناخ العالمية COP27

في تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، اجتمع رؤساء الدول في COP27 (المؤتمر السنوي للأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المعنية بتغير المناخ). وهي اتفاقية دولية دخلت حيز التنفيذ في 21 مارس/ آذار 1994، وبحلول عام 2015 صادقت عليها 195 دولة. ذكرت الأمم المتحدة أن هدف الاتفاقية هو تثبيت تركيز غازات الاحتباس الحراري عند مستوى يمنع مستويات خطيرة من تغير المناخ: الهدف النهائي للاتفاقية هو تثبيت تركيز غازات الاحتباس الحراري عند مستوى من شأنه أن يمنع التدخل البشري الخطير (الناجم عن الإنسان) في النظام المناخي. وينبغي تحقيق هذا المستوى في إطار زمني كاف للسماح للنظم الإيكولوجية بالتكيف بشكل طبيعي مع تغير المناخ، وضمان عدم تعرض إنتاج الغذاء للخطر، وتمكين التنمية الاقتصادية من المضي قدماً بطريقة مستدامة<sup>8</sup>.

في هذا السياق، جاء مؤتمر الأطراف بدورته السابعة والعشرون COP27 بالاتفاق على تأسيس صندوق "الخسائر والأضرار"، لمساعدة الدول الأكثر تضرراً من التغيرات المناخية، لتحمل التكاليف المتزايدة للأضرار الناجمة عنها، كمحاولة منها لاجتياز ثلاثين عاماً من الرفض من جانب الدول المتقدمة التي تساهم بمعظم الانبعاثات العالمية. وبناء على ذلك، تم تشكيل لجنة تعمل على وضع آلية لمتابعة التفاصيل المتعلقة بكيفية عمل الصندوق ومصادر تمويله، من أجل إقرارها خلال مؤتمر الأطراف المقبل COP28. يُذكر أنه قبل انعقاد قمة المناخ COP27 بأسابيع قليلة، كانت هناك مطالب متكررة من جانب الدول النامية بإدراج بند "الخسائر والأضرار" على جدول أعمال المؤتمر، المتعلق تمويل الأضرار الناجمة عن تغير المناخ بالدول النامية. وبالفعل، تم إدراج القضية على جدول أعمال مؤتمرات المناخ؛ وذلك لمعالجة الخسائر والأضرار والتعويضات التي تقدمها الدول المتقدمة للدول النامية والمتضررة بشكل أكبر من مخاطر التغير المناخي، والتي لم تسهم بشكل كبير في الانبعاثات الضارة التي أدت إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض<sup>9</sup>.

وعليه، يحذر علماء الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ IPCC من أن الاحترار العالمي بمقدار درجتين مئويتين سيتم تجاوزه خلال القرن الحادي والعشرين. وما لم تحدث تخفيضات سريعة وعميقة في انبعاثات ثاني أكسيد الكربون وغازات الاحتباس الحراري في العقود القادمة، فإن تحقيق أهداف اتفاق باريس 2015 سيكون بعيد المنال<sup>10</sup>.

ويشير تقييم IPCC لعام 2022 أنه إذا أُريد تحقيق هدف 1.5 درجة مئوية يجب أن تكون هناك عمليات تخفيض فورية وحادة للانبعاثات في جميع القطاعات بنسبة 43% بحلول عام 2030. وخلص تقييم IPCC إلى أن استمرار التقاعس عن تخفيض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري بحلول نهاية عام 2030 سيؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض بمقدار 3.2 درجة مئوية<sup>11</sup>.

<sup>8</sup> الأمم المتحدة. (1994). اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ. نيويورك.

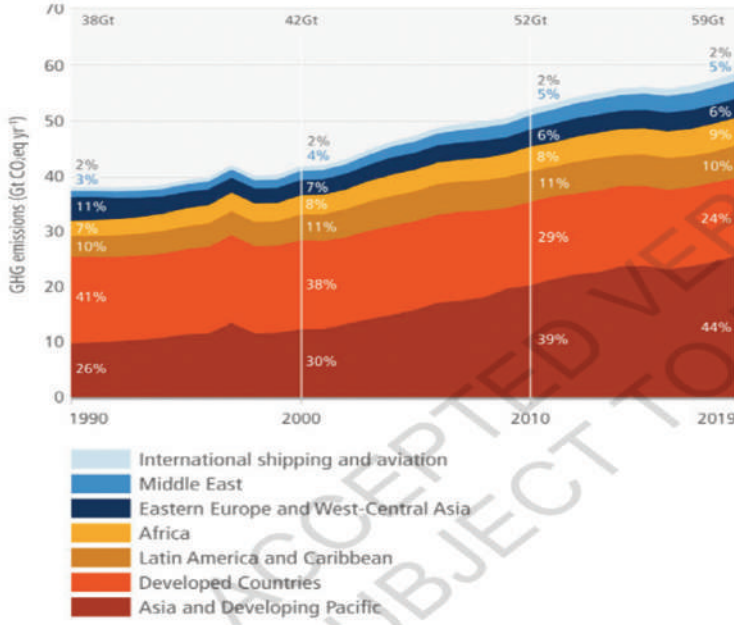
<sup>9</sup> منى لطفي. (23 نوفمبر، 2022). صندوق "الخسائر والأضرار". هل يعزز التوجه نحو العدالة المناخية؟ تاريخ الاسترداد 31 ديسمبر، 2022، من <https://marsad.ecss.com.eg/74127/>

<sup>6</sup> Keohane, R. O., & G. Victor, D. (2011). The regime complex for climate change. Perspectives on Politics.

<sup>10</sup> IPCC. (2021). Climate change widespread, rapid, and intensifying - IPCC.

<sup>11</sup> IPCC. (2022). Climate change 2022 Mitigation of Climate Change.

## الشكل 01: الاتجاهات العالمية والإقليمية لانبعاثات غازات الاحتباس الحراري<sup>12</sup>



يوضح تقييم IPCC أن منطقة المحيط الهادئ التي تضم 52% من سكان العالم، أصبحت مساهماً رئيسياً في نمو انبعاثات ثاني أكسيد الكربون المعتمد على الاستهلاك منذ عام 2000. في عام 2015 تجاوزتها الدول المتقدمة التي يبلغ عدد سكانها 16% من سكان العالم، باعتبارها أكبر مصدر لانبعاثات ثاني أكسيد الكربون القائم على الاستهلاك<sup>13</sup>.

وعلى هذا النحو، يتضح أنه لم يصل مستوى التعبئة الدولية إلى الحد المطلوب للتخفيف من آثار الاحتراق العالمي، حيث لا تزال أحدث المساهمات المحددة وطنياً لإزالة الكربون التي تم تقديمها في مؤتمر الأمم المتحدة بتغير المناخ لعام 2022 كوب 27 أقل من هدف 1.5 درجة مئوية المنصوص عليها في اتفاقية باريس للمناخ<sup>14</sup>.

ويعزى ذلك إلى التفاوت الحاد بين المساهمات التاريخية للدول في تغير المناخ وتعرضها لآثاره. وقد نتج عن ذلك تباين وجهات نظر الدول في ما يتعلق بتقاسم أعباء تغير المناخ. تواجه الدول المتقدمة، المسؤولة تاريخياً عن الجزء الأكبر من انبعاثات غازات الدفيئة والتي استفادت منها اقتصادياً، تحدياً مكلفاً للغاية يتمثل في إزالة الكربون بشكل كبير من اقتصادياتها بحلول منتصف القرن. ونتيجة لذلك، فإنهم يبحثون عن طريقة فعالة من حيث التكلفة على الصعيد العالمي للتخفيف من تغير المناخ وتقاسم تكاليف التخفيف. من ناحية أخرى، تواجه الدول النامية تحديات

<sup>12</sup> IPCC. (2022). Climate change 2022 Mitigation of Climate Change.

<sup>13</sup> IPCC. (2022). Climate change 2022 Mitigation of Climate Change.

<sup>14</sup> Nations, U. (2022). Nationally determined contributions under the Paris.

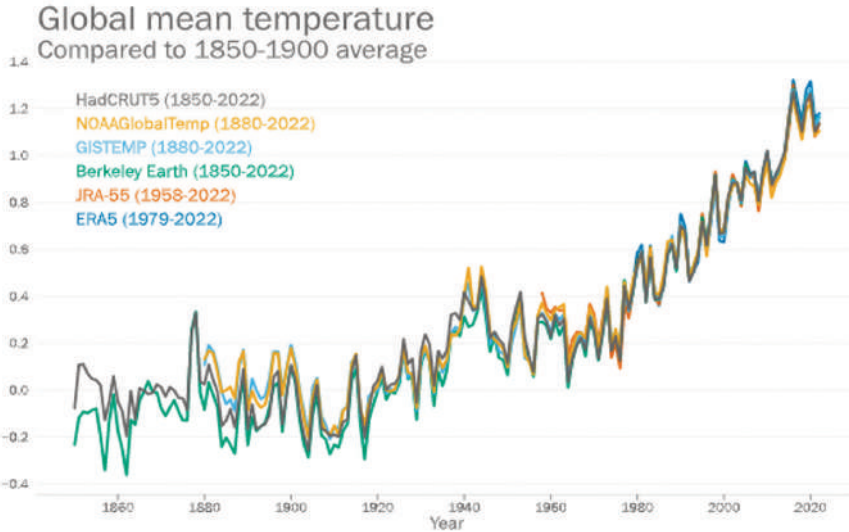


كبيرة للتكيف مع تأثيرات تغير المناخ الشديدة والتي لم تساهم فيها. بالنسبة لهم، فإن التخفيف من آثار تغير المناخ والتكيف معه يتعلقان بالحفاظ على فرص التنمية المستقبلية<sup>15</sup>.

على صعيد آخر، تنطوي على مسألة الانفكاك عن الصناعات كثيفة الكربون والتخفيف من العواقب البيئية طويلة المدى، توترات مجتمعية وجيوسياسية عميقة على المدى القصير. حيث أن إنهاء هذه الصناعات والانتقال إلى الطاقات المتجددة يمكن أن يؤدي إلى فقدان ما يصل إلى نحو 8.5 مليون وظيفة في قطاع الطاقة (حوالي 30%) في الوقود الأحفوري والطاقة النووية بحلول عام 2050. في مقابل ذلك، فإن العواقب الاقتصادية والاجتماعية للاحتار العالي غير المخفف سيؤدي إلى إغراق دول بأكملها أو اختفائها. فضلاً عن مخاطر تتعلق بشكل خاص في حرائق الغابات والجفاف والفيضانات وإزالة الغابات والتلوث<sup>16</sup>.

وعليه، فإن تشطي وجهات النظر في تناول قضية تغير المناخ، واهتمام الدول بعوائد قصيرة الأجل، عرقل مجدداً التوصل إلى اتفاق مشترك والالتزام بمبادئ تحدد مساهمات الدول في العمل المناخي المشترك. في غضون ذلك، صنف تقرير المخاطر العالمية لعام 2022 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي حالة الطقس المتطرفة والإجراءات المناخية ضمن أكبر ثلاثة تهديدات عالمية في المستقبل القريب. وأن فشل العمل المناخي يمكن اعتباره التهديد الأكثر خطورة للعالم على المدى المتوسط (2-5 سنة) والمدى الطويل (5-10 سنة)<sup>17</sup>.

**الشكل 02: متوسط الفرق السنوي في درجات الحرارة عن ظروف ما قبل الصناعة (1850-1900)<sup>18</sup>**



<sup>15</sup> Zebrowski, P., Dieckmann, U., Brännström, Å., Franklin, O., & Rovenskaya, E. (2022). Sharing the Burdens of Climate Mitigation and Adaptation: Incorporating Fairness Perspectives into Policy Optimization Models. Sustainability.

<sup>16</sup> Forum, W. E. (2022). The Global Risks Report 2022 17<sup>th</sup> Edition.

<sup>17</sup> Forum, W. E. (2022). The Global Risks Report 2022 17<sup>th</sup> Edition.

<sup>18</sup> Organization, W. M. (2022). Provisional State of the Global Climate Report 2022.



يُقدر حالياً متوسط درجة الحرارة العالمية في عام 2022، وفقاً للشكل السابق، بحوالي 1.15 درجة مئوية أعلى من متوسط 1850-1900 قبل العصر الصناعي. هذا يعني أن ظاهرة الاحترار في ارتفاع مستمر، خاصة في العشر سنوات الأخيرة بين 2013-2022<sup>19</sup>.

وفقاً لتقرير المنظمة العالمية للأرصاد الجوية المؤقت عن حالة المناخ العالمي في عام 2022 أن آثار تغير المناخ تتجه نحو وضع مأساوي. حيث تضاعف معدل ارتفاع مستوى سطح البحر منذ عام 1993. وقد ارتفع بنحو 10 ملم منذ جانفي/ كانون الثاني 2020 إلى مستوى قياسي جديد هذا العام. أيضاً، توضح المؤشرات الأولية ذوبان قياسي وخسائر فادحة في الأنهار الجليدية في جبال الألب الأوروبية. كما فقد الغطاء الجليدي في جرينلاند كتلته للعام السادس والعشرين على التوالي، بل هطلت الأمطار بدلاً من الثلوج هناك لأول مرة في سبتمبر 2022<sup>20</sup>. علاوة على ذلك، شهدت المملكة المتحدة رقماً قياسياً وطنياً، حيث تجاوزت درجة الحرارة أكثر من 40 درجة مئوية لأول مرة، ورافق ذلك جفاف مستمر وحرائق غابات، كما انخفض منسوب الأنهار الأوروبية بما في ذلك نهر الراين ولوار والدانوب إلى مستويات منخفضة للغاية<sup>21</sup>.

في سياق مغاير، توصل تقرير “فجوة الانبعاثات لعام 2022” أنه ينتج أغنى 10% من سكان العالم أعلى نسبة انبعاثات على المستوى الفردي، بينما ينتج أفقرهم أقل الانبعاثات، بالمقابل يعاني هؤلاء من أكبر عواقب تغير المناخ بسبب وضعهم الاجتماعي والاقتصادي وقدراتهم على التكيف المنخفضة. وفي عام 2021 تأثر ما يقارب من 828 مليون شخص بالجوع على مستوى العالم، ومن المتوقع أن يستمر الرقم في الزيادة مع عدم استقرار كوفيد19 والحرب في أوكرانيا<sup>22</sup>.

### المحور الثالث: التعاون المناخي بين الحرب الأوكرانية وأزمة الطاقة

لقد فرضت التوترات الجيوسياسية التي أفرزتها الحرب الروسية في أوكرانيا مشكلات أثرت على أنظمة المناخ وعرقلت مسارات التفاوض بشأن العمل المناخي المشترك. بدءاً من أزمات على أسواق الطاقة والغذاء العالمي وارتفاع مستويات الديون في الدول النامية، مما أعاق التزام الدول في خفض انبعاثات الكربون، وتآكل الثقة في الدول المتقدمة التي فشلت بالوفاء بوعودها حول مسألة تحمل التكاليف مع بلدان ذات الدخل المنخفض. ووسط هذه الانقسامات، دخلت مفاوضات المناخ مرحلة جديدة صعبة. حيث تحتاج العديد من الدول إلى بذل المزيد من الجهد لخفض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري للحفاظ على الأهداف الواردة في اتفاقية باريس للمناخ 2015<sup>23</sup>.

وفقاً لوكالة الطاقة الدولية، تعد روسيا أكبر الدول المصدرة للنفط إلى الأسواق العالمية، وغازها الطبيعي يغذي الاقتصاد الأوروبي. في هذا السياق، منذ الاجتياح الروسي لأوكرانيا، فرضت الولايات

<sup>19</sup> Organization, W. M. (2022). Provisional State of the Global Climate Report 2022.

<sup>20</sup> (Organization, 2022, p. 13)

<sup>21</sup> (Organization, 2022, p. 4)

<sup>22</sup> Programme, U. N. (2022). The Closing Window Climate crisis calls for rapid transformation of societies.

<sup>23</sup> Dworkin, A., & Engstrom, M. (2022). We'll always have Paris: How to adapt multilateral climate cooperation to new realities. European Council on Foreign Relations

المتحدة وأوروبا عقوبات اقتصادية على روسيا، وأعلنوا عن خطط لفك الارتباط عن الوقود الأحفوري الروسي، من خلال حظر استيراد النفط والغاز الروسي إلى الاتحاد الأوروبي. وهو ما أدى إلى زيادة حادة في أسعار الطاقة منذ نهاية شباط/ فيفري 2022. لقد دفعت الحرب القادة السياسيين الأوروبيين إلى إعادة التفكير في خطط الطاقة الخاصة بهم، والتي يمكن أن يكون لها تأثيرات عميقة على مجموعة قضايا، من أزمة الغذاء إلى الجهود العالمية للحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري<sup>24</sup>.

ومع ذلك، مازالت تدفقات النفط والغاز الروسي مستمرة نحو الدول الغربية رغم إدانتها للغزو الروسي على أوكرانيا، بسبب مخاوف تتعلق بضمان أمن الإمدادات. وهي ليست المرة الأولى التي يدفع فيها العدوان الروسي زعماء العالم إلى القلق بشأن أمن الطاقة. حيث ظهرت مخاوف مماثلة عندما غزت روسيا جورجيا في عام 2008، وفي عام 2014 عندما غزت ثم ضمت الأراضي الأوكرانية لشبه جزيرة القرم<sup>25</sup>.

إن هذه الأزمة أظهرت حقيقة معضلات عمل المناخ الجماعي، وتنصل الدول من الاتفاقيات التي تفرض مكاسب متكافئة. فعلى الرغم من أن نظم الطاقة تشهد تحولات مستدامة وتعهدات بتخفيض الانبعاثات المسببة للاحتراق العالمي، والتي يمكن أن تحقق مكاسب طويلة الأمد، إلا أن الوقود الأحفوري لا يزال يشكل الأساس لمعظم استخدامات الطاقة لدى الدول عامة، والأوروبية على وجه الخصوص، الذي حافظ على مستويات عالية من الاعتماد على الموارد الطبيعية الروسية<sup>26</sup>.

في هذا الصدد، يمكن القول أن أزمة الطاقة قد أثرت سلباً على أجندة المناخ الأوروبية من خلال ثلاثة جوانب: أولاً، استلزمت أزمة الغاز تحولاً هائلاً إلى الفحم. بين يناير وأغسطس 2022، قفزت واردات الفحم الحراري إلى الاتحاد الأوروبي بنسبة 35% مقارنة بعام 2021. حالياً، يأتي ثلث الكهرباء الألمانية من الفحم، بينما يصطف بعض الأشخاص في بولندا أمام المناجم حتى يتمكنوا من التخزين لفصل الشتاء. تعمل دول مثل اليونان وجمهورية تشيك على إطالة عمر محطات الطاقة التي تعمل بالفحم وعمليات التعدين. في حين يتعهد صانعو السياسة الأوروبيون بأن هذه التحولات مؤقتة، لكن التوقعات بعيدة كل البعد عن الاطمئنان. وعليه، تداخلت هذه الاتجاهات السلبية في أوروبا مع ارتفاع ملحوظ في انبعاثات غازات الاحتباس الحراري. شهد عام 2021 ثاني أكبر ذروة في إجمالي الانبعاثات، حيث سجل العالم انتعاشاً كبيراً في استخدام الفحم والنفط. فحتى بعد عقود من مفاوضات المناخ، لا يزال الوقود الأحفوري يوفر أكثر من 80% من إمدادات الطاقة الأولية في العالم. ومن المحتمل أن يفقد الاتحاد الأوروبي مصداقيته الدولية إذا أصبحت دوله تعتمد على الفحم كشریان للطاقة. كما يتوقع التقرير السنوي لوكالة الطاقة الدولية بشأن الفحم أن يرتفع استخدام الفحم العالمي بنسبة 1.2% هذا العام، متجاوزاً 8 مليار طن في عام واحد للمرة الأولى، وهو رقم قياسي سابق تم تسجيله في عام 2013.

<sup>24</sup> Tollefson, J. (2022). What the war in Ukraine means for energy, climate and food. nature.

<sup>25</sup> Tollefson, J. (2022). What the war in Ukraine means for energy, climate and food. nature.

<sup>26</sup> Kuzemko, C., Blondeel, M., Dupont, C., & Claire Brisbois, M. (2022). Russia's war on Ukraine, European energy policy responses & implications for sustainable transformations. Energy Research & Social Science.

**ثانياً،** التداعيات المالية لأزمة الطاقة كبيرة. في الأشهر الإثني عشر الماضية، فقد خصصت حكومة الاتحاد الأوروبي تمويلًا لحماية الأسر والشركات من ارتفاع نفقات الطاقة تجاوز 300 مليار يورو. حالياً، تنفق اليونان وإيطاليا 4% و3% من الناتج المحلي الإجمالي السنوي على التوالي على خطط دعم الطاقة. في موازاة ذلك، تقترب نسبة الدين الحكومي إلى الناتج المحلي الإجمالي من 100% في منطقة اليورو، بينما لا يزال التضخم في أعلى مستوياته. وهو ما يعني تباطؤ الانتقال نحو الطاقة النظيفة، وعراقيل تمويلية أخرى مترتبة على أجندة الاستدامة في الاتحاد الأوروبي. حيث قدرت المفوضية الأوروبية أن تحقيق أهداف المناخ الحالية للاتحاد الأوروبي 2030 سيتطلب استثمارات إضافية قدرها 260 مليار يورو سنوياً. ومن غير الواضح كيف ستصل الحكومات الأوروبية إلى تعهداتها لعام 2030 بالنظر إلى الآفاق الاقتصادية المتدهورة والارتفاع الهائل في أسعار الطاقة والمكونات التكنولوجية وتكاليف العمالة. ناهيك عن التأثير السلبي على القطاع الخاص وشهيته للاستثمار النظيف.<sup>27</sup>

ولعل الأهم من ذلك، أن تأثير الحرب قد يؤدي إلى تغييرات في سياسة العديد من الدول الأوروبية، وإعادة توجيه تدفقات الاستثمار في أوكرانيا بعد الحرب. على سبيل المثال، إعادة توجيه حصة كبيرة من الموارد المالية التي كانت من المقرر أنها مطلوبة لتنفيذ المساهمة المحددة وطنياً لأوكرانيا إلى إعادة الإعمار بعد الحرب. ومثل هذه السياسات تجلب آثاراً طويلة الأجل ومخاطر كبيرة من حدوث المزيد من الآثار الضارة على المناخ ونمو انبعاثات غازات الدفيئة.<sup>28</sup>

يمكن القول أن أحد الأسباب الرئيسية لأزمة الطاقة الحالية هو سنوات قلة الاستثمار في قطاع الطاقة النظيفة وبدائل الطاقة غير الأحفورية عبر الكتلة الأوروبية. في الواقع، على الرغم من التعهدات طويلة الأمد بالانتقال إلى مصادر الطاقة المتجددة بالكامل قبل منتصف القرن، فإن ألمانيا واحدة من أكثر الدول الأوروبية اعتماداً على النفط والغاز الروسي.<sup>29</sup>

يقود هذا النقاش إلى التساؤل عن جدوى محادثات المناخ السنوية في ظل الاعتراف بعواقب الاحترار العالمي والذي صوّف كتهديد وجودي. وعليه، يمكن القول أن مشاكل العمل الجماعي المرتبطة بتغير المناخ، ناتجة عن اهتمام الدول بكيفية توزيع المكاسب النسبية الناجمة عن التعاون، ولهذا السبب ترفض الدول المتقدمة تحمل العبء الاقتصادي خوفاً من إعادة توزيع المكاسب بين الدول. الأمر الذي يشكل عقبة أمام التوصل إلى اتفاق ملزم. ولذلك، فإن التعاون عملية شاقة تتجنب الدول تحمل تكلفتها، فالدول المنخرطة في اتفاق تعاوني تكيف سلوكها فقط بعد حساب التكلفة وبعد التأكد من سلوك الدول الأخرى إن كانت متعاونة أم لا. وقد جادل روبرت كيوهين

<sup>27</sup> Lilkov, D. (2022, October 4). Will the energy crisis dampen EU climate ambitions? Retrieved December 29, 2022, from LSE: <https://blogs.lse.ac.uk/europpblog/2022/10/04/will-the-energy-crisis-dampen-eu-climate-ambitions/>

<sup>28</sup> Klerk, L. d., Shmurak, A., Gassan-Zade, O., Shlapak, M., Tomliak, K., & Korhuis, A. (2022). CLIMATE DAMAGE CAUSED BY RUSSIA'S WAR IN UKRAINE. Centre for Environmental Initiatives Ecoaction.

<sup>29</sup> Shafi, N. (2022, July 27). How the Ukraine war exposed Europe's derailed energy transition and its hypocrisy toward the Middle East. Retrieved December 15, 2022, from <https://www.mei.edu/publications/how-ukraine-war-exposed-europes-derailed-energy-transition-and-its-hypocrisy-toward>

Robert Keohane بأن: "التعاون يحدث عندما تكيف الدول سلوكها وفقاً للتفضيلات الفعلية أو المتوقعة للآخرين، عبر عملية من تنسيق السياسات"<sup>30</sup>.

وبناء على ما سبق، فإن مشكلات التعاون متعدد الأطراف تزداد حينما ينخرط اللاعبون في قضايا مرتبطة "بالسلع العامة" public goods، فالمناخ بوصفه مشاعاً ولا يخضع للملكية أحد، فهو معرض للانتهاك، ويحفز ظهور اللامتعاونين. وعلى حد تعبير غاريت هاردين Garret Hardin: إن موارد الملكية المشاعية تُستنفد بسرعة، فكل فرد يستخلص أكبر قدر ممكن من هذه الموارد، ويتجاهل حقيقة أن محاكاة الآخرين لسلوكه سيؤدي إلى استنفاد واستنزاف الموارد، وهو ما يطلق عليه "مأساة المشاعات".<sup>31</sup> Tragedy of commons

سبب مهم لعدم التزام الدول هو غياب قوة مهيمنة تفرض على الدول التوجه نحو الالتزام بالاتفاقيات متعددة الأطراف. في السابق، كانت أوروبا تقود الجهود لفرض الاستراتيجيات والمساءلة، لكن بقي تأثيرها منخفضاً. حيث كانت تعتمد على سياسة "القيادة بالقدوة" والدبلوماسية والإقناع. من جهة أخرى، لا يمتلك الاتحاد الأوروبي القوة السياسية والاقتصادية لإجبار الدول على مكافحة تغير المناخ. ففي ظل تراجع هيمنة الولايات المتحدة، وتوجه النظام الدولي نحو تعددية الأقطاب، من خلال بروز قوى منافسة ذات موارد كبيرة ومتنامية، كالصين والهند وروسيا، التي سعت إلى جانب القوى التقليدية نحو تحقيق مكاسب نسبية، واعتماد مواقف عدوانية، وتشكيل تحالفات جديدة. وعليه، في ظل هذه الظروف، لقد أثرت هذه التحولات الجيوسياسية على الوزن النسبي للاتحاد الأوروبي كفاعل دولي مؤثر في إدارة أزمة المناخ العالمية. ومن ناحية أخرى، تشير الأدبيات إلى أن انخفاض تأثير الاتحاد الأوروبي في سياسة المناخ يعود إلى تقلص حصة أوروبا من الانبعاثات العالمية.<sup>32</sup>

بالإضافة إلى ما سبق، تشير الأدبيات إلى أن صعود الأحزاب/ الفصائل المشككة في أوروبا والقومية والشعبوية والانقسامات الإقليمية قد أثر على سياسة المناخ الأوروبية. حيث تبني العديد من القادة وجهات نظر معادية لسياسة مكافحة تغير المناخ، من تمويله وتنفيذه وقياسه، مما أدى إلى فجوة أكبر بين البلدان المتقدمة والنامية، وقوّد التعاون المناخي المشترك.<sup>33</sup>

يشير الوضع الحالي إلى أن سياسة الطاقة الأوروبية، عند نقطة انعطاف. بشكل عام، هناك نوعان من التحالفات: أولئك الذين يجادلون بأن استجابات السياسة الحالية ستؤدي إلى تسريع كبير في انتقال أوروبا إلى الطاقة النظيفة. بينما يثير آخرون مخاوف من أي تسريع سريع للطاقة النظيفة،

<sup>30</sup> عبد الحميد مشري، و نسبية تامة. (2022). معضلة التعاون المناخي متعدد الأطراف في ظل التنافس الصيني الأمريكي. مجلة القانون، المجتمع والسلطة.

<sup>31</sup> عبد الحميد مشري، و نسبية تامة. (2022). معضلة التعاون المناخي متعدد الأطراف في ظل التنافس الصيني الأمريكي. مجلة القانون، المجتمع والسلطة.

<sup>32</sup> Homeyer, I. v., Oberthür, S., & J. Jordan, A. (2022). EU climate and energy governance in times of crisis: towards a new agenda. JOURNAL OF EUROPEAN PUBLIC POLICY.

<sup>33</sup> Homeyer, I. v., Oberthür, S., & J. Jordan, A. (2022). EU climate and energy governance in times of crisis: towards a new agenda. JOURNAL OF EUROPEAN PUBLIC POLICY.

ولا سيما الكهرباء المتجددة، في أوروبا يمكن أن يؤدي إلى تفاقم سلاسل التوريد الصعبة وربما يؤدي إلى بروز قوى دولية جديدة عظمى.<sup>34</sup>

ومن جانب آخر، روسيا باعتبارها رابع أكبر مصدر لغازات الدفيئة، لا ترى بمشكلة تغير المناخ كمعضلة أمنية تستلزم تكثيف الجهود التعاونية. ففي كانون/ ديسمبر 2021، استخدمت روسيا حق النقض ضد قرار اقترحتة النيجر وأيرلندا لإعلان تغير المناخ "تهديداً للسلام"<sup>35</sup>.

ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للصين التي تعد أكبر مصدر للانبعاثات في العالم. ورغم تأثرها الشديد بتغير المناخ، حيث عانى 900 مليون شخص من موجات الحر حطمت الرقم القياسي في عام 2021، وإنفاق بكين ما لا يقل عن 381 مليار دولار على الطاقة النظيفة في عام 2021، وتعهد الرئيس شي جين بينغ بأن تتوقف الصين عن بناء محطات طاقة تعمل بالفحم في الخارج.<sup>36</sup>

كما تعهدت في قمة المناخ COP26 بالتزامها بتحقيق حياد الكربون قبل عام 2060. ومع ذلك، تذهب بعض الدراسات إلى أن الضرر البيئي لمشاريع مبادرة الحزام والطريق الصينية تحمل مخاطر بيئية ومناخية يصعب قياسها. علاوة على ذلك، تستهدف هذه المبادرة الصينية البلدان الأقل نمواً، والتي يفترق أغلبها إلى معايير وآليات بيئية فعالة. وعليه فإن خيارات الصين فيما يتعلق بمصادر الوقود التي تختار الاستثمار فيها والمعايير البيئية التي تفرضها على الاستثمارات الأجنبية، يعتبر عاملاً حاسماً في مدى تخطي مخاطر أزمة المناخ.<sup>37</sup>

إن هذا المشهد الجيوسياسي المعقد يوضح اهتمام الدول بحساباتها المصلحية على حساب العمل الجماعي، وهو ما يحفز ظهور الراكب المجاني. free rider حيث تستفيد دول من التعاون المناخي متعدد الأطراف دون السعي إلى دفع تكاليفه. وبالتالي، يؤدي إلى عدم التزام بقية الأطراف بالاتفاق على تخفيض الانبعاثات، في ظل حضور هاجس تهرب الدول من اتباع سياسات مناخية تعاونية. وهو ما يوضح أحد أهم أسباب صعوبات السيطرة على انبعاثات غازات الاحتباس الحراري، حيث تتطلب التخفيضات تعاوناً عالمياً، لأن الملوثات الرئيسية المسببة للاحتباس الحراري مكلفة في تنظيمها، فضلاً عن التأثير على قدرة الدول التنافسية. كما تتطلب التخفيضات اعتماد لوائح من شأنها أن تؤثر على سلوك ملايين الشركات والأفراد، وهو تحد شاق، خاصة في الدول التي لديها أنظمة إدارة ضعيفة أو فاسدة. والفوائد من هذه الجهود غير مؤكدة وتظهر في المستقبل البعيد.

<sup>34</sup> Eckert, V., & Sims, T. (2022, December 16). Energy crisis fuels coal comeback in Germany. Retrieved December 28, 2022, from <https://www.reuters.com/markets/commodities/energy-crisis-fuels-coal-comeback-germany-2022-12-16/>

<sup>35</sup> Nevitt, M. (2022, May 11). Climate Security, Energy Security, and the Russia-Ukraine War. Retrieved December 28, 2022, from <https://www.justsecurity.org/81440/climate-security-energy-security-and-the-russia-ukraine-war/>

<sup>36</sup> Dworkin, A., & Engstrom, M. (2022). We'll always have Paris: How to adapt multilateral climate cooperation to new realities. European Council on Foreign Relations

<sup>37</sup> عبد الحميد مشري، و نسبية تامة. (2022). معضلة التعاون المناخي متعدد الأطراف في ظل التنافس الصيني الأمريكي. مجلة القانون، المجتمع والسلطة.

## خاتمة

أثارت التوترات الجيوسياسية المصاحبة للحرب الروسية الأوكرانية وأزمة الطاقة مشكلات عرقلت محادثات COP27، وقوضت مجدداً التعاون العالمي للحد من انبعاثات غازات الدفيئة، والتحول الأخضر والجهود المبذولة لإبقاء الاحتباس الحراري أقل من 1.5 درجة مئوية. إن الحرب في أوكرانيا وأزمة الطاقة الناتجة عنهما قد شكلا تهديداً وجودياً لأهداف الاستدامة في الدول. حيث كان من المتوقع أن ينخفض الطلب على الفحم على المدى الطويل، غير أن إعادة تشغيل محطات الفحم شهدت انتعاشاً في أوروبا.

ورغم الاعتراف بالعواقب التي يترتب عليها تأخر الدول في خفض انبعاثاتها من غازات الاحتباس الحراري على الأمن العالمي، والاتفاق على ضرورة التعاون والتوجه إلى العمل الجماعي لتنفيذ سياسات تخفيف مشتركة. إلا أن الدول، غالباً، لن تلغي مبدأ الاعتماد على الذات. self-help فالدول لا تكتثر إلى التعاون الذي ينتج مكاسب متبادلة ومنافع جماعية، بل تميل إلى السعي لتحقيق مكاسب تحافظ من خلالها على قوتها وأمنها ومصالحها الذاتية بالاعتماد على نفسها، الأمر الذي يجعل من التعاون المناخي المستدام غير ممكن التحقيق. كما لا يوجد دولة بمفردها لديها القدرة على فرض حل على الآخرين، وهذا ما عكسته محادثات COP27 التي تزامنت مع أزمة الطاقة، وتباين مواقف الدول وتضارب مصالحها بشأن التملص من مسؤولية تخفيف الانبعاثات، مروراً بالتمويل ونقل التكنولوجيا النظيفة إلى الدول النامية.

# أثر التغيرات المناخية على العراق والتوقعات المستقبلية

د.عمر حامد شكر \*

## ملخص

يعتبر تغير المناخ أكبر تهديد يواجهه العراق على الإطلاق، حيث يعد العراق خامس دولة في العالم من حيث تأثره بالتغير المناخي. إن تغير المناخ لا يتعلق فقط بالجفاف ونقص الأمطار. بل شهد العراق أكثر من 100 يوم مغبر خلال عام 2022، ومن المتوقع أن ترتفع الأيام المغبرة في البلاد إلى 272 يومًا في السنة خلال العقدين المقبلين، لتصل إلى 300 يوم مغبر في عام 2050. لا يؤثر تغير المناخ في العراق على القطاع الزراعي فحسب، بل إنه يشكل أيضًا تهديدًا لحقوق الإنسان، ويخلق عقبات أمام التنمية، ويؤدي إلى تفاقم التحديات البيئية والأمنية والسياسية والاقتصادية التي يعاني منها العراق.

وعليه جاءت هذه الورقة البحثية لرصد تأثير التغير المناخي على العراق والتوقعات المستقبلية لهذا الخطر الذي يجتاح العراق، لمحاولة تحديد أهم النقاط التي تهدد حياتنا وحيات الأجيال القادمة، ومحاولة توفيرها بعض الحلول لمعالجة هذا الخطر.

**الكلمات المفتاحية:** تغير المناخ، الجفاف، انبعاثات الكربون، التأثيرات، العراق، التوقعات المستقبلية.

# The Impact of climate change on Iraq and its prospects

Dr. Omar Himed Shukur

## Abstract

Climate change is the biggest threat that Iraq has ever faced, as Iraq is the fifth country in the world in terms of being affected by climate change.

Climate change is not just about drought and lack of rain. Rather, Iraq witnessed more than 100 dusty days during 2022, and it is expected that dusty days in the country will rise to 272 days a year during the next two decades, to reach 300 dusty days in 2050.

Climate change in Iraq not only affects the agricultural sector, but also poses a threat to human rights, creates obstacles to development, and exacerbates the environmental, security, political, and economic challenges that Iraq suffers from.

Accordingly, this research paper came to monitor the impact of climate change on Iraq and the future expectations of this danger that is ravaging Iraq, to try to identify the most important points that threaten our lives and the lives of future generations, and try to provide some solutions to remedy this danger.

**Keywords:** Climate change, Drought, Carbon Emissions, Affects, Iraq, Future Expectations.



## مقدمة

بحسب علماء مختصين بالبيئة فإن البشر تسببوا بتغير المناخ 170 مرة أسرع من القوى الطبيعية، وأنهم وراء الاحتباس الحراري. ويشيرون إلى إن معدل انبعاثات الكربون في الغلاف الجوي هو الأعلى في 66 مليون سنة، أي منذ انقراض الديناصورات.

فقد انخفضت درجات الحرارة العالمية بمعدل 0.01 درجة مئوية لكل قرن على مدى السبعة آلاف سنة الماضية، وهو المعدل "الأساس"، لكن في الـ 45 سنة الأخيرة ارتفعت الحرارة بما يعادل 1.7 درجة مئوية لكل قرن<sup>1</sup>. ويطلق على العصر الجيولوجي المقترح الجديد الذي بدأ فيه النشاط البشري يملك تأثيراً ملموساً على البيئة اسم "الأنثروبوسين"<sup>2</sup>.

ويقول علماء مختصون بالبيئة إنه "من الواضح أن ثاني أكسيد الكربون الناتج عن احتراق الوقود الأحفوري يغير من كيمياء المحيطات بصورة أسرع من أي وقت مضى، وتحديدًا منذ الحدث الطبيعي الكارثي المعروف باسم "الموت العظيم" قبل 250 مليون سنة<sup>3</sup>.

ويعتبر تغير المناخ أكبر تهديد يواجهه العراق على الإطلاق، حيث إن العراق خامس أكثر البلدان تضرراً من أزمة تغير المناخ وفق التقرير السادس للتوقعات البيئية العالمية لمنطقة غرب آسيا.

فقد شهد العراق عام 2021 ثاني أكثر المواسم جفافاً منذ 4 عقود بسبب انخفاض هطول الأمطار. كما انخفضت تدفقات المياه من نهري الفرات ودجلة، التي توفر ما يصل إلى 98% من المياه السطحية في العراق، بنسبة 30-40%<sup>4</sup>.

وبدأت مساحات واسعة بالجفاف. كما تصاعدت درجات الحرارة في العراق، حتى بلغت نحو 54 درجة مئوية في البصرة وسجلت أعلى درجة حرارة. ومع تهديد الملوحة للزراعة فإن تغير المناخ يهدد الحياة البشرية في الكثير من مناطق العراق.

وبحسب تقرير للبنك الدولي فإن خفض إمدادات المياه في العراق بنسبة 20%، وما قد يرافقه من تغيرات سلبية في غلات المحاصيل الزراعية نتيجة للتغيرات المناخية، قد يؤدي إلى خفض إجمالي الناتج المحلي في العراق بنسبة تصل إلى 4%، أي ما يعادل 6.6 مليارات دولار أمريكي.

ولا يؤثر تغير المناخ في العراق على القطاع الزراعي فحسب بل يمثل تهديداً لحقوق الإنسان ويضع عوائق أمام التنمية ويفاقم التحديات البيئية والأمنية والسياسية والاقتصادية التي يعاني منها العراق.

<sup>1</sup> Jon Sharman, Humans are causing climate to change '170 times faster than natural forces', Sunday 12 February 2017, Independent.

<sup>2</sup> للمزيد حول هذا المصطلح أنظر الدراسة التي قام بها باحثون مختصون بعنوان (معادلة الأنثروبوسين): The Anthropocene equation, Owen Gaffney and Will Steffen, SAGE, 2017

<https://www.almendron.com/tribuna/wp-content/uploads/2017/02/The-Anthropocene-equation.pdf>

<sup>3</sup> روجر هارابن، انبعاثات ثاني أكسيد الكربون تهدد الحياة في المحيطات، 4 يوليو/ تموز 2015، بي بي سي.

[https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2015/07/150704\\_co2\\_emissions\\_threaten\\_ocean](https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2015/07/150704_co2_emissions_threaten_ocean)

<sup>4</sup> غلام إسحق زي، "تغير المناخ أكبر تهديد يواجهه العراق على الإطلاق"، موقع الأمم المتحدة، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2022.

وعليه جاءت هذه الورقة البحثية لترصد أسباب التغير المناخي وأثره على العراق والتوقعات المستقبلية لهذا الخطر الذي يدهم العراق، لمحاولة الوقوف على أهم النقاط التي تهدد حياتنا وحياة الأجيال القادمة ومحاولة تقديم بعض الحلول لتدارك هذا الخطر.

## منهجية البحث

سيتم الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي لرصد ظاهرة أسباب التغير المناخي وتحليلها لمعرفة تداعياتها على العراق ومحاولة رسم التوقعات المستقبلية على ضوء البيانات الحالية لهذه الظاهرة.

## المشكلة البحثية

تتمثل المشكلة البحثية في أن العراق من ضمن أعلى دول العالم تأثراً بتغير المناخ بحسب التقارير الدولية، فمشكلة تغير المناخ غير مقتصرة على مدة زمنية بعينها بل أن التوقعات تؤكد أن آثارها ستمتد إلى المستقبل، وبما أنها مشكلة غير محصورة بمدة زمنية إضافة إلى قلة الدراسات والتقارير من الجهات الحكومية في العراق، وعليه يحاول الباحث رصد هذه المشكلة التي تهدد حياة الإنسان في العراق.

## أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة على عدد من الأسئلة وهي:

- 1- ما هي أسباب التغير المناخي في العراق؟
- 2- ما هي تداعيات التغير المناخي على القطاع الزراعي وعلى الإنسان في العراق؟
- 3- ما هي التوقعات المستقبلية؟

هيكلية الدراسة

## المقدمة

المبحث الأول: أسباب التغير المناخي في العراق.

المبحث الثاني: تداعيات تغير المناخ في العراق.

المبحث الثالث: التوقعات المستقبلية.

الخاتمة والتوصيات

المصادر

## أولاً- أسباب تغير المناخ في العراق

### 1- انبعاثات الكربون في قطاع الطاقة (النفط والغاز الطبيعي):

منذ 160 عاماً يتم حرق الغاز خلال عملية استخراج النفط، وتساهم في إطلاق أكثر من 350 مليون طن سنوياً من معدل انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون<sup>5</sup>، إلى جانب انبعاثات غاز الميثان الخام

<sup>5</sup> غاز ثاني أكسيد الكربون (أو غاز CO2) غاز عديم اللون والرائحة في درجة حرارة الغرفة (حوالي 20 درجة مئوية). ويساهم تزايد كميات هذا الغاز في غلاف الكرة الأرضية الجوي في استفحال ظاهرة الاحتباس الحراري.

والكربون الأسود. ما يتسبب بزيادة تركيز الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي، ويبدد إحراق الغاز مورداً طبيعياً ثميناً يمكن أن يوفر الطاقة لملايين البشر في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل. وهذه العادة مستمرة بسبب القيود الفنية والتنظيمية والاقتصادية<sup>6</sup>.

ويعد غاز الميثان أحد الغازات الدفيئة الأقوى من ثاني أكسيد الكربون. فانطلاق كغم واحد من الميثان في الغلاف الجوي يحبس كميات من الحرارة تعادل 25 ضعف ما يحبسه انطلاق كغم واحد من ثاني أكسيد الكربون<sup>7</sup>. ويحبس غاز الميثان الحرارة في الغلاف الجوي، مما يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة كوكب الأرض بسرعة 80 مرة أعلى من تلك التي تتسبب فيها الكمية نفسها من غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي، كما تُعتبر انبعاثات غاز الميثان مسؤولة عن ربع الاحترار العالمي الحالي<sup>8</sup>.

وتعد تكاليف إنتاج النفط في العراق متدنية مقارنة بالمنتجين الكبار الآخرين، إذ تبلغ نحو 10.60 دولارات للبرميل، إلا أن كثافة الكربون في النفط العراقي تصل إلى 31 كغم من ثاني أكسيد الكربون لكل برميل، وهذه النسبة تتجاوز المتوسط العالمي البالغ 18 كغم.

وقد وصل إنتاج العراق من النفط إلى ذروته في عام 2019 وبلغ نحو 4.8 ملايين برميل يومياً، وكانت حصة العراق من إنتاج النفط نحو 13.2% من حصة أوبك من الإنتاج العالمي الذي بلغ نحو 35.2% عام 2020.

وفي العقد الماضي شهد العراق نمواً سريعاً في إنتاج الغاز الطبيعي للمصاحب لزيادة إنتاج النفط، فقد أنتج العراق 1.7 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، وفي عام 2016 وصل الإنتاج إلى 2.8 مليار متر مكعب، ومع ذلك لا يزال إنتاج الغاز الطبيعي منخفضاً بالنظر إلى حجم احتياطات العراق المؤكدة منه (125.1 تريليون متر مكعب)، وهو ما يعادل 336 عامًا من الاستهلاك وفقاً لمعدلات الاستهلاك الحالي.

ويشار إلى أن العراق ثاني أسوأ دولة في العالم من حيث حرق الغاز بعد روسيا وفقاً لتقارير البنك الدولي<sup>9</sup>، فعلى مدى العقد الماضي، ازداد معدل حرق الغاز في العراق بشكل مطرد، وارتفع من 13 مليار متر مكعب في عام 2012 إلى ما يقرب من 18 مليار متر مكعب في عام 2021 والتي مثلت نحو 12% من إجمالي الاحتراق العالمي، ويعادل 35.8 مليون طن متري من ثاني أكسيد الكربون سنوياً، ما يعني ارتفاعاً في معدلات التلوث والتي بدورها تؤدي إلى زيادة الأمراض السرطانية والتهابات الصدر وضيق التنفس، وكذلك يتسبب بتفاقم تغير المناخ الواقع أصلاً في العراق.

<sup>6</sup> ZUBIN BAMJI, Global gas flaring inches higher for the first time in five years, Published on Data Blog, World Bank, JUNE 14, 2019. <https://blogs.worldbank.org/opendata/global-gas-flaring-inches-higher-first-time-five-years>

<sup>7</sup> 2022 Global Gas Flaring Tracker Report, , Global Gas Flaring Reduction Partnership (GGFR), International Bank for Reconstruction, The World Bank, MAY 5, 2022,p15.

<sup>8</sup> SARAH VOGEL and MARCELO MENA, The Global Methane Imperative, Project syndicate, Apr 20,2022.

<sup>9</sup> 2022 Global Gas Flaring Tracker Report, Global Gas Flaring Reduction Partnership (GGFR), p6.

وتبلغ قيمة الغاز المحترق في العراق نحو 2.5 مليار دولار أمريكي سنوياً، وهو يكفي لإنتاج 10 جيجاوات من الكهرباء، والعراق بأمس الحاجة لها، وفي نفس الوقت استورد العراق الغاز الطبيعي من إيران بنحو 10 مليار متر مكعب في عام 2020<sup>10</sup>.

وحول غاز الميثان تشير تقديرات وكالة الطاقة الدولية إلى أن عمليات قطاع النفط والغاز في العراق أنتجت ما يزيد على 28 مليون طن من انبعاثات الميثان عام 2020، أي ما يعادل 84 طناً مترياً من مكافئ ثاني أكسيد الكربون، والتي يأتي 95% منها من إنتاج النفط، ويمثل غاز الميثان المنفث 55% من إجمالي انبعاثات الميثان، بينما يمثل الاحتراق غير الكامل للغاز الطبيعي أكثر من 38% من مجمل الانبعاثات، وتوازيها الانبعاثات المتسربة ومصادر أخرى أصغر.

## 2- انبعاثات الكربون في قطاع (الكهرباء):

يؤدي اعتماد العراق في إنتاج الطاقة (الكهرباء) على النفط والغاز إلى استحوذ هذا القطاع على نصف انبعاثات ثاني أكسيد الكربون. فقد أنتج العراق أكثر من 98% من الكهرباء في عام 2019 من الوقود الأحفوري (55% من الغاز الطبيعي و43% من النفط)<sup>11</sup>. ويتسم قطاع الطاقة العراقي بأوجه قصور لافتة وهي (حرق الغاز، الاستخدام العالي للوقود السائل، الخسائر الكبيرة على الشبكة، كلفة الاسترداد المنخفضة).

وقد أشار تقرير وكالة الطاقة الدولية في أبريل 2019، إلى أن قدرة العراق الإنتاجية من الطاقة الكهربائية تبلغ حوالي 32 ألف ميغاواط، ولكنه غير قادر على توليد سوى نصفها بسبب شبكة النقل غير الفعالة التي يمتلكها. ويضيف التقرير أن من بين الـ 16 ألف ميغاواط التي ينتجها العراق، يتم فقدان نحو 40% أثناء التوزيع. وتجدر الإشارة إلى العراقيين دفعوا نحو 4 مليارات دولار في 2018 لمشغلي المولدات الأهلية، بحسب تقرير لوكالة الطاقة الدولية.

## 3- قطاع النقل:

احتل العراق المرتبة التاسعة عالمياً بتلوث الهواء بين عامي 2018 و2021، بحسب مؤشر آي كيو آير<sup>12</sup>. IQAIR ويحصل تلوث الهواء نتيجة عوادم السيارات، ومخلفات الحرب، واستخدام مولدات الطاقة الكهربائية العاملة بالديزل، والحرائق المستمرة للغاز للمصاحب من حقول النفط والمصافي.

ويتسبب قطاع النقل في العراق بنحو 13% من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري، وهو أكبر مصدر لتلوث الهواء في البلاد، ولقد زاد انبعاثات هذا القطاع بنسبة 80% على مدى العقد الماضي في العراق. وارتفع عدد المركبات أكثر من 4 مرات بين عامي 2007 و2013، لقد أدى هذا النمو الكبير بعدد السيارات إلى زيادة كميات انبعاث أول أكسيد الكربون من 364 إلى 1571 طناً في اليوم، وبالمثل ارتفعت انبعاثات أكسيد النيتروجين من 28 إلى 127، والجسيمات الكتلية من 5 إلى 24 ميكروغراماً لكل متر مكعب، وثاني أكسيد الكربون من 6.068 إلى 27.382 طناً خلال الفترة نفسها.

<sup>10</sup> 2022 Global Gas Flaring Tracker Report, p13.

<sup>11</sup> العراق تقرير المناخ والتنمية، مصدر سابق، ص 40.

<sup>12</sup> للمزيد انظر للموقع الرسمي للمؤشر: <https://www.iqair.com/world-most-polluted-countries>

حيث ارتفع استخدام السيارات مع التوسع الحضري السريع من 5.66 ملايين إلى 6.44 ملايين سيارة بين عامي 2005 و2020. وقد زادت عدد المركبات في بغداد بأكثر من ستة أضعاف بين عامي 2007 و2020، وبات يشكل نحو 30% من أسطول المركبات في البلاد<sup>13</sup>.

#### 4- النفايات:

تصل كميات النفايات الإجمالية في العراق إلى 20 مليون طن يومياً<sup>14</sup>، ويفتقد العراق إلى بنية تحتية مؤهلة للتعامل مع هذا الكم الهائل من النفايات، حيث يتم التخلص من معظم النفايات في مدافن قمامة غير منظمة. وتساهم هذه الطريقة في انبعاثات غازات الاحتباس الحراري إضافة إلى تلوث التربة والمياه الذي تتسبب به النفايات بشكل مباشر<sup>15</sup>.

لقد شكلت زيادة الاستيراد بشكل عشوائي بعد العام 2003 إلى ارتفاع النفايات المعدنية والبلاستيكية والمواد الإنشائية وبقايا الأطعمة، التي تبدأ بالتحلل والتخمر ما ينتج عنها أحياء مجهرية ضارة على البيئة وناقلة للذوبئة، كما أنها تعتبر أحد مصادر انبعاث غازات ثاني أكسيد الكربون وأول أكسيد الكبريت والميثان، وهي الغازات التي تسبب الاحتباس الحراري، وارتفاع درجات الحرارة، وسرعة التبخر السطحي لمياه الأنهار ومياه السدود والخزير الاستراتيجي، وتعمل على هلاك الحيوانات والأشجار.

#### ثانيا- تداعيات تغير المناخ في العراق

##### 1- الجفاف وتداعياته على الزراعة والأمن الغذائي:

تعرف وحدة خدمات الطقس الوطنية الأمريكية (NWS) الجفاف على انه الظاهرة الناجمة عن هطول الأمطار بنسب أقل من المتوقع أو أقل من المعتاد على فترة زمنية طويلة من الزمن، الأمر الذي يؤثر على وفرة المياه اللازمة لبعض الأنشطة أو القطاعات البيئية<sup>16</sup>.

وتعتبر كل من محافظات كربلاء و بابل والنجف والمثنى من أدنى معدلات هطول الأمطار بينما احتلت السليمانية ودهوك أعلاها، وعلى الرغم من وجود تباين في اتجاهات هطول الأمطار إلا أن جميع المحافظات العراقية عانت من جفاف الأمطار طوال العقد الماضي مما أثر على العراق بأكمله، وبقياس مؤشر الهطول المعياري فأن شدة الجفاف في العراق قد ساءت بشكل كبير منذ عام 2000، حتى أصبحت بعض المحافظات العراقية تعاني من الجفاف بينما المحافظات الأخرى معرضة للجفاف<sup>17</sup>.

<sup>13</sup> H. M. Jassim, F H. Ibraheem, B. F A. Zangana, Environmental Issues Caused By The Increasing Number Of Vehicles In Iraq, WIT Transactions on Ecology and The Environment, Vol 186, UK, pp341-352.

<sup>14</sup> العراق: 20 مليون طن من النفايات يومياً والمكبات تخنق السكان، صحيفة العربي الجديد، 15 فبراير 2023.

<sup>15</sup> تدوير النفايات الصلبة، مشاريع عراقية باتجاه بيئة نظيفة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 31 مايو 2022.

<sup>16</sup> <https://www.weather.gov/safety/drought>

<sup>17</sup> لإطار الوطني للإدارة التكاملية لمخاطر الجفاف في العراق (دراسة تحليلية)، مصدر تم ذكره سابقاً، ص 12.

لقد شهد العراق خلال سنوات 2000\_2009، مواسم للجفاف، حيث أن 12 محافظة عراقية من أصل 18 محافظة كانت قد تعرضت للجفاف، وكانت أشدها في (نينوى وكركوك والبصرة وبابل وديالى)<sup>18</sup>.

وتتسع الفجوة بين إمدادات المياه والطلب عليها في ظل عدم اتخاذ أي إجراء سياسي، تنقذ المياه في العراق بسرعة، حيث من المتوقع أن تصل إلى نحو 10.9 مليار متر مكعب عام 2035<sup>19</sup>.

### ويمكن القول إن أسباب ندرة المياه في العراق يعود إلى:

(1) النمو السكاني، قفز من 7 ملايين عام 1960 إلى أكثر من 42 مليون نسمة، بحسب أرقام وزارة التخطيط العراقية، بمعدل زيادة سنوية بلغت 2.5%. ما يعني زيادة الطلب على المياه.

(2) زيادة استهلاك المياه وكثرة السدود في بلد منبع نهري دجلة والفرات (تركيا)، وفي بلد ممر الفرات (سوريا)، وقيام إيران بقطع روافد نهر دجلة عن الأراضي العراقية، في ظل غياب اتفاقيات لتقاسم المياه مع هذه البلدان، من أهم أسباب تراجع منسوب المياه الواردة للعراق من خلال نهري دجلة والفرات بأكثر من 60% على مدى العشرين سنة الماضية، فضلاً عن تدهور جودة المياه. حيث يواجه الأمن المائي في العراق مزيداً من التحديات بسبب اعتماده على تدفق المياه عبر الحدود من البلدان المجاورة، التي تواجه هي الأخرى ضغوطاً مائية متزايدة بسبب تغير المناخ.

(3) تغيير المناخ، من المقدر أن تؤدي التأثيرات المجمع لزيادة حرارة الأرض بدرجة مئوية واحدة وانخفاض هطول الأمطار بنسبة 10% إلى انخفاض المياه العذبة المتاحة بنحو 20%.

ويشكل هذا الانخفاض الكبير في توفر المياه تهديداً للتنوع الاقتصادي للبلاد والنمو الأخضر كونه سيحرم نحو ثلث الأراضي المروية في العراق من المياه في سيناريو الوضع المعتاد.

وبحسب أرقام وزارة الموارد المائية العراقية، فإن مستويات المياه الواردة للعراق انخفضت عام 2022 بنسبة 60% مقارنة بعام 2021. حيث تعتبر السياسات المائية لدول جوار العراق، وسوء إدارة الموارد المائية في العراق، من أهم العوامل التي أدت إلى جفاف الكثير من الأنهار والبحيرات العراقية، وإلى توجه العراق نحو التصحر.

وقد شهدت المياه الجوفية أيضاً انخفاضاً في الكمية وزيادة في نسبة الملوحة، حيث تشير البيانات إلى وجود تذبذب موسمي في مخزون المياه المستمر في التناقص، ويوحى بأن كميات المياه الجوفية المستخدمة تفوق كميات المياه الجوفية المتجددة، حيث من المتوقع انخفاض مستويات المياه الجوفية.

أما الأضرار الواقعة جنوبي العراق فيعتمد مستقبلها وسكانها بشكل كبير وأساسي على وفرة المياه، حيث أدى الجفاف الذي شهدته في العقد الماضي إلى تراجع مساحة الأهوار إلى نفس المساحة التي كانت عليها عام 2003، مما أدى إلى تحييد الجهود المبذولة لاستعادة الأهوار لـ 75% من مساحتها الأصلية<sup>20</sup>.

<sup>18</sup> نفس المصدر، ص 12.

<sup>19</sup> العراق تقرير المناخ والتنمية، مصدر سابق، ص 31.

<sup>20</sup> العراق قلق على حصته المائية ويبلغ تركيا رفضه إنشاءها سد "الجزرة"، صحيفة العربي الجديد، 17 نوفمبر 2021.

ومن مظاهر الجفاف في العراق فقد اختفت بحيرة (ساوة) الطبيعية والشهيرة بمحافظة المثنى جنوبي العراق في أبريل/نيسان 2022، وبحسب مدير بيئة المحافظة (يوسف سوادي)، فإن "هناك 3 عوامل رئيسة وراء جفاف بحيرة ساوة، منها التغير المناخي، وتغير الصفائح الزلزالية التي غيرت المجرى الطبيعي لها تحت الأرض، فضلا عن قيام العشرات من الفلاحين وأصحاب المصانع والمعامل بإنشاء الآبار الارتوازية التي أسرفت في استخدام المياه الجوفية، مما أسهم في انخفاض الكميات الواصلة إليها بشكل كبير جدا".<sup>21</sup>

ويواجه العراق تحدي تدهور نوعية المياه، حيث تعتبر ملوحة المياه والتلوث المرتبط بالأنشطة البلدية والصناعية والزراعية من المخاوف الرئيسية في العراق، حيث ترتفع الملوحة في وسط وجنوب العراق بسبب استخدام مياه الري شديدة الملوحة في الأراضي الزراعية. وفيما يتعلق بالتلوث، فإن 10 محافظات عراقية فقط من أصل 18 محافظة تمتلك مرافق لمعالجة مياه الصرف الصحي.<sup>22</sup>

## 2- تداعيات التغير المناخي على الزراعة في العراق:

تبلغ مساحة الأراضي الزراعية المستغلة في العراق 18 مليون دونم من أصل 32 مليون دونم، بعد أن كانت تستغل كلها في عهد النظام السابق.<sup>23</sup>

وقد بلغت حصة قطاع الزراعة نحو 5.9% من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2020، وهو يوظف نحو 9% من اليد العاملة. ومع ذلك يتم اتباع ممارسات تقليدية في مزارع صغيرة، مما يقلل من قدرتها على التكيف مع الصدمات المرتبطة بالمناخ وغيرها من الصدمات.

إن انخفاض خصوبة التربة وارتفاع ملوحتها وتآكلها وتمدد الكثبان الرملية نحو الأراضي الزراعية هي من المشكلات في قطاع الزراعة العراقي، حيث يخسر العراق حالياً نحو 100 ألف دونم سنوياً من الأراضي الزراعية بسبب التصحر وارتفاع ملوحة التربة، وبحسب تقديرات وزارة الزراعة العراقية فإن 40\_50% من أراضي عام 1970 الزراعية عرضة للتصحر، والتي أجبرت العديد من العراقيين على ترك أراضيهم الزراعية.

ويؤثر التصحر على 39% من مساحة البلد، و54% من الأرض الخصبة مُعرضة لخطر فقدانها زراعياً بسبب الملوحة الناتجة عن تراجع مناسيب دجلة والفرات. ما أدى إلى تضرر 7 ملايين عراقي بسبب الجفاف والتغير المناخي والنزوح الاضطراري.

يلعب نظام الري دوراً مهماً في إنتاج المحاصيل الزراعية في العراق، وبالتالي أي انخفاض كبير في إمدادات المياه سيضر بالإنتاج الزراعي، وتستحوذ الزراعة في العراق على 79% من المياه العذبة المسحوبة سنوياً، ويأتي ذلك بالتوازي مع تفاقم مشكلة ندرة المياه بسبب زيادة الطلب عليها، وانخفاض الجريان السطحي، وانخفاض تدفقات المياه عبر الحدود.

<sup>21</sup> جفاف بحيرة ساوة الأسطورية يشعل الشارع العراقي ودعوات لتدخل دولي لإنقاذها، الجزيرة نت، 2022/4/18.

<sup>22</sup> العراق تقرير للمناخ والتنمية، مصدر سابق، ص31.

<sup>23</sup> تجريف للبساتين وهجرة إلى المدن.. هل يشهد العراق نهاية حقبة الزراعة؟، الجزيرة نت، 2022/3/5.



ومع تأثيرات التغير المناخي على العراق، فإنّ الجفاف وضع البلاد أمام أزمة جفاف غير مسبوق، أدت إلى تقليص المساحات الزراعية إلى النصف، وحرمان محافظات عدة من الزراعة بشكل كامل، وفقاً للخطة الزراعية الموسمية التي تصدر بحسب وفرة المياه.

وبحسب تقارير وزارة الزراعة العراقية فإنّ "انحسار الأمطار للموسم الشتوي 2021، وانخفاض اطلاقات المياه من دول المنبع، أدى إلى تقليل الخطة الزراعية، ما أدى إلى تصحر الأراضي في البلد بسبب انعدام إنتاجيتها"، حيث بلغت مساحة الأراضي المتصحرة في العراق نحو 27 مليون دونم، أي ما يعادل تقريباً 15% من مساحة البلد، ونحو 55% من مساحة العراق المهتدة بالتصحّر خلال الفترة المقبلة.

ولا يقف ملف التصحر في المناطق الزراعية في العراق على التغير المناخي فحسب بل إن الملف المالي والفساد يؤثر عليه بشكل مباشر، وفي هذا الصدد يشير عضو الجمعيات الفلاحية بمحافظة واسط، "بدر الخزاعي" إلى أنّ "الفساد الذي نخر مؤسسات الدولة له أيضاً تأثيرات كبيرة على الملف، من خلال تقليل التخصيصات المالية للوزارات، ومنها وزارة الزراعة".

وبسبب الجفاف وقلة الدعم الحكومي للمزارعين، فإن أكثر من 50% من العاملين في قطاع الزراعة العراقي يعيشون تحت مستوى خط الفقر، وأن أكثر من 40% منهم هجروا مهنة الزراعة، وبدأوا البحث عن مصادر عيش جديدة تؤمّن لهم دخلهم اليومي<sup>24</sup>.

وشهدت السنوات الخمس الماضية تخلي العديد من العائلات عن الزراعة، منهم 4% في البصرة، 12% في ذي قار، 8% في ميسان، كما أنّ 20% من الأسر جنوبي العراق تخلت عن الزراعة بعد أن نزح أحد أفرادها، بينما يفكر 30% من المزارعين بالنزوح عن أراضيهم<sup>25</sup>.

ومن تداعيات تراجع الزراعة في العراق، الاعتماد على استيراد المنتجات الزراعية من الخارج، حيث احتل العراق المرتبة الأولى من بين الدول المستوردة للمنتجات الزراعية التركية خلال الأشهر التسعة الأولى من عام 2022، بقيمة 1.7 مليار دولار، بحسب بيانات جمعية المصدرين الأتراك "TIM".

وبين أعوام 2016 و2020، صدرت إيران ما قيمته 11 مليار دولار من المنتجات الزراعية والغذائية إلى العراق، منها 3.7 مليار دولار قيمة تصدير الفاكهة الطازجة<sup>26</sup>.

وجدير بالذكر فإن تقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، حول حالة الأمن الغذائي والتغذية لعام 2022، أدرج العراق من ضمن 63 دولة تعاني من نقص غذائي.

<sup>24</sup> الفقر يطارّد مزارعي العراق.. و40% هجروا المهنة، صحيفة العربي الجديد، 2022/10/24.

<sup>25</sup> التغيّرات المناخية تجبر العراقيين على هجر الزراعة، صحيفة الراية القطرية، 10 أغسطس 2022.

<sup>26</sup> Iran export value of products to Iraq hits \$11bn in five yrs, MERR NEWS AGENCY, Jun 1, 2021.

<https://en.mehrnews.com/news/174254/Iran-export-value-of-products-to-Iraq-hits-11bn-in-five-yrs>



### 3. التداعيات على الأمن الإنساني في العراق:

#### 1. تلوث المياه:

إن تغير المناخ ساهم في مضاعفة تهديدات الأمن الإنساني، حيث يشكل تغير المناخ أكبر تهديد للصحة يواجه البشرية، وعلى سبيل المثال لا الحصر ومن تداعيات تلوث المياه في العراق، بيتت دراسة علمية قامت بها جامعات ومراكز بحوث علمية في محافظة البصرة، الأسباب التي تقف وراء إصابة أكثر من 140 ألف مواطن بحالات تسمم وإسهال خلال الربع الأخير من عام 2018، أظهرت ارتفاعاً في نسب عنصر "الكادميوم" بشكل خطير في مياه شط العرب، معتبرة أنه السبب الرئيس في إصابات التسمم والإسهال التي تعرض لها عشرات آلاف المواطنين.

وتوصلت الدراسة إلى أن الفحوصات والتحليلات أظهرت أن "مياه شط العرب ملوثة بعدة أنواع من البكتيريا وبقايا الأسمدة والمبيدات الحشرية والمخلفات الكيماوية الصناعية والنفطية، وارتفاع مستويات النترات والكبريتات والإشعاع عن المستوى الطبيعي، لكن الملوث الأخطر هو عنصر "الكادميوم"، حيث بلغت مستويات التلوث أكثر من 53 ضعفاً عن الحد المسموح، فيما كانت نسبة الرصاص أعلى بعشرة أضعاف، وأكدت الدراسة أن "نسبة التلوث تزداد خطورة في المناطق المشتركة من شط العرب بين العراق وإيران"<sup>27</sup>.

واعتبرت الدراسة أن "الأعراض التي عانى منها المواطنون في البصرة تتطابق مع أعراض التسمم الحاد بعنصر "الكادميوم"، الذي قد يسبب السرطان وهشاشة العظام والفشل الكلوي في حال التعرض له لمدة طويلة ولو بتركيز قليلة.

وتعتمد البصرة في الغالب على مياه شط العرب لتغذية مشاريع المعالجة، إلا أن نسبة الأملاح الذائبة في المياه بلغت مؤخراً (7500 وحدة)، حسب وزارة الموارد المائية، في حين تقول منظمة الصحة العالمية إن النسبة تصبح غير مقبولة إذا تجاوزت (1200) وحدة.

ولم تتوقف تداعيات هذه الأزمة على تسمم مواطنين فحسب، بل كان لها تداعيات أمنية، حيث كانت من بين الأسباب الرئيسة لزيادة النقمة الشعبية على السلطات المحلية، والخروج عليها بموجة احتجاجات غاضبة.

وعلى أثر هذه الاحتجاجات قامت قوات من الجيش والشرطة بتطويق منطقة الهوير في قضاء المدينة شمال البصرة بحثاً عن مطلوبين شاركوا في المظاهرات أمام حقل القرنة النفطي في تلك الفترة.

حيث تصاعدت وتيرة الاحتجاجات الشعبية في سبتمبر عام 2018، وخلفت قتلى وجرحى فضلاً عن إحراق مكاتب حكومية وحزبية ومقر القنصلية الإيرانية في المحافظة<sup>28</sup>. كما ولدت ضغطاً مالياً على الحكومة، حيث اضطرت الحكومة العراقية في يوليو/تموز 2018، لتخصيص خطة طوارئ

<sup>27</sup> فاضل النشمي، دراسة علمية: ارتفاع نسبة «الكادميوم» في مياه البصرة وراء حالات التسمم، جريدة الشرق الأوسط، 10 ديسمبر 2018، العدد 14622.

<sup>28</sup> مياه البصرة تسمم أكثر من مئة ألف شخص، الجزيرة نت، 2018/10/14.

ومليارات الدولارات لتحسين أوضاع مناطق الجنوب العراقي، التي تعاني نقصاً حاداً في الخدمات والبنى التحتية.

## 2. ارتفاع معدلات الإصابة بالسرطان:

ترتفع نسب الإصابة بمرض السرطان في المناطق السكنية القريبة من آبار استخراج النفط، حيث يحرق الغاز، معرضة لخطر الإصابة بسرطان الدم.

ويؤكد مختصون في العراق، إن حالات الإصابة بالسرطان والتشوهات بين المواليد والمشاكل الصحية الأخرى زادت بحدّة، ويشتهه الكثيرون في أن يكون التلوث البيئي الواسع الناجم عن استخدام الأسلحة على مدار سنوات من الحرب سبباً لذلك.

ويشير تقرير لوزارة الصحة العراقية، أن تلوث الهواء مسؤول عن ارتفاع الإصابة بأمراض السرطان بنسبة تصل إلى 20% في البصرة وذلك بين عامي 2015 و 2018<sup>29</sup>.

وبحسب أرقام وزارة الصحة العراقية، فإن المعدل السنوي للإصابة بمرض السرطان في العراق يبلغ 2500 حالة إصابة، بينها 20% إصابات بسرطان الثدي، وجاءت البصرة كأعلى نسب الإصابة بالسرطان بين عامي 2015 و2017، فقد تراوح بين 400 و500 إصابة شهرياً، لكنه ارتفع بنسبة تصل إلى 200% تقريباً خلال 2018<sup>30</sup>.

وترجع أسباب الزيادة الحاصلة في انتشار مرض السرطان المستعصي في البصرة إلى تصاعد نسبة التلوث البيئي، بسبب رمي المخلفات وتفريغ مياه الصرف الصحي لقرباً 15 مستشفى في البصرة بالأشهر الداخلية، وذلك لعدم وجود محطات بيولوجية خاصة بتلك المستشفيات. حيث إن أغلب تلك المستشفيات لا تلتزم بمعايير البيئة.

وتؤكد مفوضية حقوق الإنسان بالبصرة أن "أكثر من 90% من المصابين بالسرطان بالبصرة يتوقون لشدة المواد الكيماوية في المحافظة بسبب الحروب. ولكن تحاول أحزاب سياسية حكومية إخفاء الحقيقة. علماً أنه سابقاً كانت الحكومة ترفض الحديث عن مرض السرطان ونسبه، لكن اليوم لا مجال لإخفاء هذه الكارثة".

وتؤكد المفوضية أن الإصابات بالبصرة تصل إلى 24 ألف مصاب، محملة الشركات النفطية العاملة بالمحافظة المسؤولية وأن على الدولة التحرك لتراقب تلك الشركات.

وفي هذا الصدد تعتبر الأمم المتحدة أماكن استخراج النفط بالقرب من الأحياء السكنية في العراق "مناطق لتقديم القرابين (البشرية)" حيث تعطى الأولوية فيها للريح بدلاً من احترام حقوق الإنسان.

<sup>29</sup> جيس كيلي وأوين بينيل وإيسمي ستالارد، حقول نفط في العراق نشرت السرطان كالانفلونزا، بي بي سي عربي، 4 أكتوبر/تشرين الأول 2022.  
<https://www.bbc.com/arabic/in-depth-63136485>

<sup>30</sup> السرطان يفتك بالبصرة، موقع تي آر تي عربي، 2 فبراير 2021.  
<https://www.trtarabi.com/issues/4324789-العراقية-البصرة-يفتك-السرطان>

### 3. تلوث الجو:

شهد العراق 100 يوم مغبرة خلال 2022، ويشهد العراق هبوب عواصف ترابية بشكل غير مسبوق، من جزاء التغير المناخي وقلّة تساقط الأمطار والتصحر. وأدت معظم هذه العواصف إلى خسائر بشرية ومادية، حيث تسبب بوفاة العديد من العراقيين وإصابة آلاف الأشخاص بحالات اختناق، كما تأثرت جميع القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والزراعية والتعليمية بالعواصف الرملية والترابية، حيث أغلقت المطارات والموانئ والمدارس والمحلات التجارية لأيام أحياناً، جراء فقدان الرؤيا والهواء النظيف.

وتصف وزارة البيئة ان تواتر وزيادة شدة العواصف الرملية يرتبط بازدياد معدلات التصحر وتقلص الأراضي الزراعية وشح المياه والاعتداءات الجائرة على المناطق الخضراء في البلاد، وأن هذه العواصف سببتها عوامل الجفاف والتراجع الكبير في كميات هطول الأمطار وقلّة الإيرادات المائية (القادمة من نهري دجلة والفرات) في ظل تغير المناخ<sup>31</sup>.

وفي سياق الأسباب لارتفاع الأيام المغبرة وتلوث الجو، تتهم وزارة البيئة ما أسمته "المافيات" بقيامها «باعتداءاتٍ جائرة» على الأحزمة الخضراء في المدن، منها الحزام الأخضر في العاصمة بغداد، وتحديدًا في حي الدورة، وتؤكد أن "الأحزمة الخضراء في المدن تراجعت وبعضها اختفى بسبب تلك "المافيات" التي تعتمد إلى قطع الأشجار والاعتداء على البساتين وتحويل الأراضي الزراعية والأحزمة الخضراء إلى أحياء سكنية بعدما كانت تمثل رئة مهمة للمدينة، وتعد عاملاً أساسياً في تنقية الهواء والحد من العواصف".

### ثالثاً- التوقعات المستقبلية:

إن تغير المناخ سيكون له آثار سلبية على جميع القطاعات الإنتاجية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وتتوقع التقارير الدولية وعلى رأسها توقعات الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، أن العراق سوف يتعرض لموجات جفاف متكررة في المستقبل مما سيؤثر على البنية التحتية للحكومة وعلى مدى توفير الخدمات الأساسية.

ويمكن تقسيم التوقعات المستقبلية حول اثر تغير المناخ على العراق إلى توقعات على المدى القريب والمتوسط وتوقعات على المدى البعيد وسيناريوهات سلبية ومتفائلة وكالاتي:

1. بحسب توقعات الأمم المتحدة، سيشهد العراق موجة جفاف متوسط إلى شديدة في بعض المواقع من 2017 وحتى 2026، ويبين مؤشر الهطول المعياري أنه من غير المتوقع أن يواجه إقليم كردستان العراق جفافاً ملحوظاً. كما سيواجه العراق عجزاً مائياً يقدر بأكثر من 10 مليارات متر مكعب بحلول عام 2035، بسبب تراجع منسوبي دجلة والفرات والتبخّر في مياه السدود وعدم تحديث طرق الري<sup>32</sup>.

<sup>31</sup> العراق: أكثر من 100 يوم مغبر في العام بسبب تغير المناخ، صحيفة العربي الجديد، 10 مايو 2022.

<sup>32</sup> صالح: العراق سيواجه عجزاً في المياه بحلول عام 2035 يقدر بأكثر من 10 مليارات متر مكعب، وكالة الأناضول، 2022/4/27.

2. من المتوقع أن تنخفض 20% من الموارد المائية للعراق بحلول عام 2050. كما سيتعرض العراق لعدم الاستقرار الجيوسياسي، بسبب تغير المناخ، بحسب تقرير صادر عن المخابرات الأمريكية<sup>33</sup>.
3. من المتوقع أن معظم البلدان التي تعتمد على صادرات الوقود الأحفوري لدعم ميزانياتها، ومنها العراق ستستمر في مقاومة الانتقال السريع إلى عالم خالٍ من الكربون، لأنهم يخشون التكاليف الاقتصادية والسياسية والجيوسياسية للقيام بذلك.
4. سيؤدي انخفاض عائدات الوقود الأحفوري بعد عام 2040، إلى زيادة الضغط على العراق ودول الشرق الأوسط التي من المتوقع أن تواجه المزيد من التأثيرات المناخية الشديدة، حيث ستقلل من توافر الموارد اللازمة للتكيف أو بناء بنية تحتية أكثر مرونة، وبالتالي تهديداً للطاقة والغذاء والأمن الصحي.
5. من المتوقع حدوث نزاع مسلح، بين الدول المتقاسمة للمياه ومنها العراق، يتسبب بارتفاع أعداد الهجرة، سيما بعد عام 2030.
6. يتوقع تقرير "الهجرة والبيئة وتغير المناخ في العراق" الصادر عن الأمم المتحدة، حدوث فيضانات ناتجة عن ارتفاع مستوى سطح البحر عام 2050، تشمل المناطق الواقعة في أقصى جنوب العراق، يؤدي إلى تسرب المياه المالحة إلى خزانات المياه الجوفية، ويتسبب بزيادة تعطيل أنشطة الري والزراعة، والتسبب في تشريد السكان.
7. من المحتمل أن يؤدي تغير المناخ إلى تسريع الخسارة في التنوع البيولوجي في العراق، ما يتسبب بمزيد من انقراضات النباتات والحيوانات التي لم تعد قادرة على البقاء على قيد الحياة.
8. من المتوقع أن يفتقر العراق إلى الموارد المالية أو القدرة على التكيف مع آثار تغير المناخ، مما يزيد من مخاطر الهجرة والنزوح الناجم عن عدم الاستقرار.
9. تتوقع وزارة البيئة العراقية، أن ترتفع الأيام المغبرة في العراق إلى 272 يوماً في العام خلال العقدين المقبلين، وأن تصل إلى 300 يوم مغبر عام 2050، بسبب، "شح المياه والتصحر والجفاف وقلة الغطاء النباتي"<sup>34</sup>.

<sup>33</sup> للمزيد حول تقرير المخابرات الأمريكية تابعه كاملة على:

Climate Change and International Responses Increasing Challenges to US National Security Through 2040, 2021.  
[https://www.dni.gov/files/ODNI/documents/assessments/NIE\\_Climate\\_Change\\_and\\_National\\_Security.pdf](https://www.dni.gov/files/ODNI/documents/assessments/NIE_Climate_Change_and_National_Security.pdf)

<sup>34</sup> البيئة تحدد 4 أسباب وراء استمرار تأثيرات التغير المناخي في العراق، وكالة الأنباء العراقية، 2022/10/29.

البيئة-تحدد-4-أسباب-وراء-استمرار-تأثير/ <https://imn.iq/>

يمكن استشراف السيناريوهات المستقبلية لآثار التغيرات المناخية في العراق، بالآتي:

### أولاً- سيناريوهات سلبية:

1. سيناريو انخفاض إمدادات المياه بنسبة 20% في 2050، بسبب تغير المناخ، فمع استمرار عمليات الري التقليدية القائمة على الإفراط بالمياه والمياه الجوفية، سيؤدي إلى تراجع كميات المياه وتراجع المنتجات الزراعية.

2. سيناريو تأثير ارتفاع درجات الحرارة على المحاصيل، حيث ستؤثر بشكل سلبي على المحاصيل في الشرق الأوسط، والعراق الأكثر تضرراً بسبب تسجيله لدرجات حرارة هي الأعلى، حيث إن ارتفاع درجات الحرارة يؤثر سلبيًا على بعض المحاصيل وخصوصاً القمح، والحبوب الخشنة.

وعليه وبحسب هذه السيناريوهات فستؤدي إلى ارتفاع الأسعار وزيادة تكلفة الإنتاج في المحاصيل والثروة الحيوانية ومنتجاتها وأغلافها، حيث سيكون الفقراء الأكثر تضرراً، لأنهم ينفقون الحصة الأكبر من ميزانيتهم على الغذاء، ولأنهم الأكثر عرضة لخطر انعدام الأمن الغذائي، وتشير التقديرات إلى أن زيادة أسعار المواد الغذائية بنسبة 10 و20% ستؤدي إلى زيادة الفقر بنحو 1.6 إلى 4.4 نقاط مئوية.

وسيؤدي هذا إلى زيادة في معدلات الاستيراد لسد الفجوة الأخذة في الاتساع بين الإنتاج والاستهلاك، ونظراً لأن العراق مستورد صاف للمنتجات الزراعية والغذائية فإن زيادة الواردات ستؤدي إلى تأثير سلبي على معدلات التبادل التجاري.

ولو افترضنا أن العراق سيبقى يخسر سنويا 100 ألف دونم من الأراضي الزراعية بسبب الجفاف، من مجموع 6.27 مليون دونم مستغلة حالياً للزراعة، فإنه بعد 65 سنة تقريباً سيفقد العراق زراعته.

3. سيناريو استمرار تراجع هطول الأمطار وما يصاحبه من ندرة في المياه، حيث يؤدي إلى تراجع إنتاج الطاقة الكهرومائية في العراق خلال السنوات القادمة، والاستمرار بإنتاج الكهرباء على النفط والغاز لسد عجز محطات الطاقة الكهرومائية، مما سيؤدي إلى ارتفاع نسب ثاني أكسيد الكربون في الجو خلال، مما يعني ارتفاع معدلات التلوث البيئي والتغير المناخي.

4. يمتلك العراق 145 مليار برميل من النفط المؤكد، والتي تضعه في المرتبة الخامسة عالمياً، وهو ما يعادل 96 عاماً من الإنتاج بالمعدلات الحالية. وتشير بيانات الحكومة العراقية إلى عزمها زيادة الإنتاج والتي قد يصل إلى 8 ملايين برميل في اليوم عام 2027<sup>35</sup>. كما تشير التوقعات إلى أن الطلب العالمي سيصل إلى ذروته بنحو 106 ملايين برميل في اليوم بحلول عام 2040 قبل أن ينخفض بعدها. ما يعني سيناريو استمرار زيادة ارتفاع انبعاثات ثاني أكسيد الكربون.

<sup>35</sup> العراق يسعى لرفع طاقته الإنتاجية للنفط إلى 8 ملايين برميل يومياً، الجزيرة نت، 2022/5/28. للمزيد أنظر موقع وزارة النفط العراقية: <https://oil.gov.iq/>

## ثانياً- سيناريوهات متفائلة:

1. سيناريو تحسين فعالية استخدام المياه، فمن خلال هذه الطريقة سيتم تعويض بعض الخسائر في الناتج المحلي الإجمالي، ويساعد على التخفيف من الآثار السلبية لتغير المناخ. فمن المتوقع أن ينخفض الناتج المحلي الإجمالي للعراق بنسبة 3.5% في ظل انخفاض 20% من إمدادات المياه، وبنسبة 3.9% عند ارتفاع درجات الحرارة، وفي حال حصول تحسينات في استخدام المياه، فإن الانخفاض في الناتج المحلي الإجمالي سيتقلص إلى 2.4%.
2. سيناريو التزام العراق بمبادرة البنك الدولي للوصول إلى الوقف التام لحرق الغاز بحلول 2030، فمن المفترض أن تنخفض كمية الغاز المحروق من 1.7 مليار متر مكعب عام 2021 إلى 0.1 مليار مكعب في عام 2030. وبالتالي ستخفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون المصاحبة من 36.5 مليون طن متري عام 2021 إلى 2.1 مليون طن متري عام 2030.
3. سيناريو إنشاء مساحات خضراء حول المدن وتعويض ما تم تجريفه من البساتين، فإن ذلك سيشكل عاملاً في خفض الأيام المغبرة، وتحسين حالة الجو المتدهورة.
4. سيناريو التوجه نحو الطاقة البديلة في إنتاج الكهرباء، والذي بدوره سيعمل على خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، وخفض مخاطر تغير المناخ.

## الخاتمة

من خلال النقاش السابق يمكن القول إن تَغْيِر المناخ، لاسيما تفاقم شح المياه، وتلوث الجو، يهدد الاستقرار الاجتماعي في العراق، في ظل نموذج للنمو يعتمد بدرجة أساسية على النفط، وهذه حالة منتجة للتقلبات الاقتصادية. ويمكن القول إن تغير المناخ في العراق يؤدي إلى عدة نتائج سلبية على الأجيال الحالية والقادمة في العراق، ومنها:

1. استمرار تدهور نوعية المياه، وتقلص المساحات الزراعية، وتراجع الثروة السمكية والحيوانية.
2. ارتفاع معدلات خطر الإصابة بالأمراض المنقولة عن طريق المياه كالإسهال والكوليرا والتيفوئيد وأشكال التهاب الكبد المختلفة، وأمراض السرطانات.
3. خريطة سكانية جديدة وتغير ديمغرافي في العراق، بسبب هجرة المزارعين من الريف إلى المدينة، مما يشكل ارتفاعاً في معدلات الفقر والبطالة، وفي أزمة السكن والزحام واتساع رقعة المناطق العشوائية، وهذا بدوره يزيد من مخاطر تلوث البيئة في المدن.
4. تهديدات أمنية سيفرضها التغير المناخي، منها صراع إقليمي وداخلي على المياه، وارتفاع معدلات الجريمة مع ارتفاع معدل الأيام المغبرة.

## التوصيات:

**أولاً-** يوصي الباحث الجهات الحكومية في العراق دعم البحث العلمي في مجال تغير المناخ من خلال تخصيص مركز بحثي تشترك فيه كل من وزارة الموارد المائية والزراعة والبيئة وبالتعاون مع المنظمات الدولية المعنية بالمناخ والباحثين المختصين من أجل توفير المعلومات الدقيقة والكافية حول التغير المناخي في العراق والجفاف والرصد الجوي وكميات هطول الأمطار لكي تتمكن الحكومة أولاً من وضع خطة إستراتيجية تنطلق من الأرقام والتقارير الدقيقة، من أجل معالجة مخاطر التغير المناخي والجفاف، وثانياً لكي تستطيع الحكومة إقناع الجهات والمنظمات الدولية لتقديم يد العون في التقليل من مخاطر الجفاف بشكل خاص والتغير المناخي بشكل عام في العراق.

**ثانياً-** تكثيف العمل على الاعتماد على مصادر الطاقة البديلة كالطاقة الشمسية، لما له من أثر في تقليل انبعاثات الكربون في عمليات استخراج الوقود الأحفوري، وتقليل المخاطر المتوقعة من انخفاض الطلب العالمي على النفط في المستقبل والتي بدورها تهدد واردات العراق المالية. وفي هذا الصدد اقترحت الوكالة الدولية للطاقة على العراق رفع حصة مصادر الطاقة المتجددة إلى 30% من إمدادات الكهرباء بحلول عام 2030، سيحقق للعراق مكاسب بيئية، بالإضافة إلى أنها ستوفر نحو 9 مليارات متر مكعب من الغاز، يمكن استغلالها في استخدامات أخرى<sup>36</sup>.

**ثالثاً-** العمل على توقيع اتفاقيات مع دول جوار العراق المتشاطئة معه بحوضي دجلة والفرات من أجل ضمان تدفق حصص العراق للمائية.

**رابعاً-** العمل على تعويض المساحات الخضراء التي جرفت من أجل توسيع المساحات السكنية، لما لها من أثر إيجابي في تحسين جودة الأوكسجين والتقليل من العواصف الترابية. وزراعة الأحزمة الخضراء حول المدن لحماية التربة والحد من زحف الرمال والعواصف الترابية

**خامساً-** نشر الوعي من قبل وزارة البيئة العراقية فيما يخص تعير المناخ في العراق وأثره على حياة الإنسان ومستقبل الأجيال القادمة في صفوف المواطنين العراقيين وخاصة بالمدارس والجامعات بالتعاون مع وزارتي التربية والتعليم العالي.

<sup>36</sup> World Energy Outlook 2020, INTERNATIONAL ENERGY AGENCY(IEA).  
<https://iea.blob.core.windows.net/assets/a72d8abf-de08-4385-8711-b8a062d6124a/WEO2020.pdf>





# الأمن الغذائي في العراق: بين إهمال قانون الموازنة العامة وتشريع قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي والتنمية رقم 2 لسنة 2022

أحمد جابر حميد \*

## ملخص

لا يزال الأمن الغذائي أحد أهم التحديات التي تواجه الدول خصوصاً في الشرق الأوسط، لذلك يعد أحد أهم عوامل استقرارها، ومن الواجب عليها توفير مستلزمات الغذاء الأساسية من خلال السعي لدعم القطاع الزراعي والصناعي، من أجل الوصول إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي تجنباً لحصول مجاعة، لأنها لو حصلت فستكون لها تداعيات خطيرة على الصعيد الأمني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، لذلك أكدت قمة الغذاء العالمي في مؤتمرها الذي عُقد عام 1996، على عدم استخدام الغذاء كأداة للضغط السياسي على الدول، وتعتبر السياسة المالية إحدى المجالات التي يمكن أن تستعين بها الدول من أجل تحقيق الأمن الغذائي، وقد سلطنا الضوء في هذا البحث على مسألة إهمال قانون الموازنة العامة في العراق، وما لهذه المسألة من آثار على النفقات والإيرادات العامة والرقابة بنوعها المستقلة والتشريعية، إضافة إلى تحليل قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي والتنمية رقم 2 لسنة 2022 وتوضيح انعكاساته على النظام المالي والأمن الغذائي في العراق.

**الكلمات المفتاحية:** الأمن الغذائي، الشرق الأوسط، الاكتفاء الذاتي، السياسة المالية.

\* باحث وأكاديمي، كلية الحقوق بجامعة تكريت، العراق.

# Food security in Iraq : Between neglect of general budget law and legislation of emergency support law for food security and development No. 2 of 2022

Ahmed Hameed

## Abstract

Food security remains one of the most important challenges facing countries, especially in the Middle East, therefore, one of the most important factors in the stability of those States is that they must provide basic food supplies by seeking to support the agricultural and industrial sector in order to achieve self-sufficiency in order to avoid starvation because if it happens, it would have serious security, social, political and economic repercussions. The World Food Summit, at its 1996 Conference emphasized that food should not be used as a tool for political pressure on States and fiscal policy is one of the areas that countries can use to achieve food security. We have highlighted in this research the issue of the neglect of Iraq's General Budget Law in Iraq and the resulting effects on public expenditures, public revenues and independent and legislative oversight, as well as the analysis of the Emergency Support Law for Food Security and Development No. 2 of 2022 and the clarification of its implications for the financial system and food security.

**Keywords:** Food security, the Middle East, self-sufficiency, fiscal policy

## مقدمة

لا تزال مسألة الأمن الغذائي من المسائل المهمة على الصعيد الدولي والمحلي لما لها من مساس بحياة الإنسان، وهو ما دفع الأمم المتحدة إلى تأسيس برنامج خاص للغذاء (WFP) لمساعدة الإنسان في جميع أنحاء العالم عند الحاجة إلى ذلك، إلا أن ذلك الاهتمام ازداد بشكل كبير مؤخراً بسبب الاضطرابات الأخيرة التي عصفت بالعالم، والتي كان أولها انتشار جائحة كورونا حيث أدت إلى تقطيع العالم إلى أوصال متفرقة للحيلولة دون انتشار الوباء بالاختلاط، والذي أدى بدوره إلى التأثير على سوق الطاقة بشكل مباشر حيث تراجعت أسعار النفط إلى أدنى المستويات، حتى أن سعر البرميل لم يعد يغطي نفقات استخراجهِ، وما زاد الطين بلّةً هو قيام روسيا بشن حملتها العسكرية على أوكرانيا والتي انعكست بشكل كبير على الطاقة والغذاء في آنٍ واحد، فكان انعكاسها على الطاقة أنها رفعت أسعارها بشكل ملحوظ بسبب مقاطعة أوروبا للنفط والغاز الروسي نتيجة الحرب، اعتقاداً منها أن ذلك قد يضعف روسيا وقد يجبرها على التراجع وإطفاء فتيل الأزمة، إلا أن ذلك انعكس إيجاباً على دول الشرق الأوسط المصدرة للنفط.

أما فيما يخص آثار تلك الحرب على الغذاء فقد أثّرت بشكل كبير، كون أن روسيا وأوكرانيا يُعدان المصدران الرئيسيان للقمح في العالم والذي يمثل الغذاء الأساسي لجميع الدول، وأن تلك الاضطرابات دفعت الكثير من الدول إلى اتخاذ سياسات عاجلة لمواجهة أزمة الطاقة وأزمة الغذاء، فالدول المصدرة للنفط سارعت إلى البحث عن مصادر للغذاء، في حين أن الدول التي لديها شح في الطاقة بدأت بالبحث عن مصادر بديلة لها، ومعلوم أن ذلك يتطلب الإسراع بتشريع قوانين عاجلة أو الإسراع بتضمين قانون الموازنة تخصيصات تُلبي الاحتياجات وتتناسب مع المرحلة، عملاً بالأطر القانونية والدستورية.

إلا أن الأمر في العراق بات مختلفاً تماماً في ظل وجود حكومة تصريف أعمال آنذاك، ووجود برلمان منتخب مضى على انتخابه قُرابة السنة، حتى تشكلت حكومة جديدة لتحتمل مسؤولية تشريع القانون لعام، 2023 علماً أنه لمدة عامين 2020 و2022 لم يتم تشريع قانون موازنة بسبب الخلافات السياسية والأزمة المالية والأزمة الصحية سابقة الذكر، وبهذا تكون الحكومة قد أهملت قانون الموازنة العامة وشرعت بتشريع قانون الأمن الغذائي بحجة تحقيق الأمن الغذائي والتخفيف من حدة الفقر وتحقيق الاستقرار المالي والارتقاء بالمستوى المعاشي للأفراد، إن هذا التساؤل دفعنا للبحث في الآثار السلبية الناتجة عن عدم إقرار قانون الموازنة العامة على النظام المالي، فضلاً عن الآثار الناتجة عن تشريع قانون الدعم الغذائي، وهل أن القانون المذكور حقق الأمن الغذائي؟ هذا ما سنجيب عليه في بحثنا هذا.

## أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في وضع الأمن الغذائي في العراق بعد الإهمال الواضح لقانون الموازنة العامة، وما يتبعه من آثار خطيرة تنعكس على النفقات والإيرادات والرقابة والأمن الغذائي، فضلاً عن أن تشريع قوانين مالية أخرى بديلة لقانون الموازنة، لها آثار خطيرة على السياسة المالية في ظل تبدل الحكومات وعدم الاستقرار السياسي وضعف الرقابة بجميع أشكالها.

## مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في أن الأمن الغذائي لا يمكن تحقيقه بتشريع قانون، وإنما تكون هناك استراتيجية تتبناها الدولة لفترة طويلة من الزمن من خلال دعم القطاعات التي ترتبط بالغذاء كالزراعة والصناعة، وأن تكون تلك الخطة ضمن الموازنة العامة لا أن يتم استخدام عنوان الأمن الغذائي كشعار من أجل تشريع قانون يتضمن نفقات كبيرة وأغلبها ليست لها علاقة بالأمن الغذائي.

## فرضية البحث

يفترض هذا البحث أن الموازنة العامة لها أهمية كبيرة في توجيه سياسة الدولة، وإن إهمالها وعدم تمريرها لمرات متعددة يندر بأخطار كبيرة، فلا يُعقل أنه خلال عقد من الزمن تهمل الموازنة العامة لثلاث سنوات، كما أن تحقيق الأمن الغذائي يجب أن يكون ضمن خطة متسلسلة وضمن إطار قانون الموازنة العامة.

## منهجية البحث

سنعتمد في بحثنا المنهج الاستنباطي التحليلي للآثار الناتجة عن عدم إقرار قانون الموازنة العامة على النفقات والإيرادات والأمن الغذائي وأثر ذلك على الرقابة، إضافة إلى تحليل وانعكاس قانون الأمن الغذائي على النظام المالي والأمن الغذائي في العراق.

## هيكلية البحث

تتمحور هيكلية الدراسة حول إعمال قانون الموازنة العامة على النظام المالي والأمن الغذائي وسنقسم هذا البحث إلى مبحثين، نتكلم في الأول عن أثر عدم إقرار قانون الموازنة العامة على النفقات العامة والإيرادات العامة والرقابة، فيما نخصص الثاني لتحليل قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي والتنمية رقم 2 لسنة 2022، ثم نختم هذا البحث بطرح مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات.

## المحور الأول: أثر تأخير إقرار قانون الموازنة العامة على النفقات العامة والإيرادات العامة والرقابة

لا شك أن الموازنة العامة تعطي صورة واضحة وشفافة عن السياسة المالية للبلد من خلال إطلاع أعضاء السلطة التشريعية عليها وقراءتها لأكثر من مرة، ثم تأتي الرقابة على الموازنة خلال فترة التنفيذ وبعد انتهاء السنة المالية، وهذه الفرصة تعطي لمثلي الشعب فرصة التفكير في إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل التي يعاني منها الأفراد لغرض توفير تخصيصات للمجالات الضرورية، التي قد تكون الحكومة قد غفلت عنها عند إعداد مشروع القانون، إضافة إلى البحث عن مصادر للإيرادات: كالقروض التي تتطلب إصدار قانون، وكذلك إثارة النقاش مع الحكومة حول توزيع النفقات بين الجانب التشغيلي والجانب الاستثماري والعمل بالأولوية، كما أن ذلك يعطي فرصة لإطلاع الشعب على الوضع المالي للبلد بشكل مباشر، مما قد يدفع المكلفين إلى الالتزام بدفع القروض المالية عندما يجدون أن تلك الأموال يتم إنفاقها لتغطية الأعباء العامة، من أجل تقديم الخدمات لهم بشكل واضح وشفاف والعكس صحيح، وفي حال تبين أن هناك شبهات فساد فأن الرأي العام سوف يحرك

الادعاء العام والجهات ذات العلاقة للوقوف بوجه الفاسدين، فضلاً عن أن تكرار الموازنة في كل عام هو بسبب المتغيرات وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط، فالمتغيرات طارئة وكثيرة وغير متوقعة نتيجة عدم الاستقرار السياسي والأمني في تلك الدول، وبعد ذكر أهمية قانون الموازنة العامة فإن إهمالها سوف يترك آثاراً خطيرة على القطاع المالي والاقتصادي والاجتماعي والغذائي، وسوف نقسم هذا المحور إلى قسمين، نتكلم في الأول عن آثار عدم إقرار قانون الموازنة على النفقات والإيرادات، فيما نخصص الثاني للحديث عن آثار عدم إقرار قانون الموازنة العامة على الرقابة.

## أولاً- أثر عدم إقرار قانون الموازنة العامة على النفقات والإيرادات العامة

عندما كان دور الدولة يقتصر على توفير الأمن والدفاع والعدالة، كان الأمر لا يتطلب سوى الشيء البسيط من النفقات والإيرادات، بحيث يكون دور الموازنة هامشياً لا يعترضه شيء من التعقيد، لا سيما إذا ما علمنا أنهم كانوا يؤكدون على توازن الموازنة، أي أن تكون خالية من العجز أو الفائض، في الوقت الذي كانت الدولة تعتمد على إيراد واحد وهو الضرائب، أما اليوم وبعد تطور دور الدولة من الحراسة إلى التدخل والإنتاج وأصبح من صلب واجباتها توفير كافة الخدمات للأفراد، كالأمن بجميع أشكاله الغذائي والصحي والاجتماعي والتعليم، فإن هذه الأمور تتطلب نفقات كبيرة، مما يوجب عليها البحث عن إيرادات كبيرة تتناسب مع تلك النفقات مما سيخلق عجزاً مالياً، لا سيما إذا ما علمنا أن الموازنة العامة لم تعد محور تنظيم للإيرادات والنفقات فحسب، بل أصبحت خطة شاملة تتضمن تحقيق أهداف مالية واقتصادية واجتماعية وسياسية، وتكون تلك الخطط متواترة سنة بعد أخرى، لا بل أن بعض الدول انتهجت وضع موازنات لفترات طويلة قد تمتد إلى خمس أو عشر سنوات، وهذا ما يعتبره البعض استثناءً على قاعدة سنوية الموازنة العامة، فيما يرى آخرون أن ذلك تكريسا لسنوية الموازنة العامة على اعتبار أن كل سنة مستقلة عن السنة الأخرى وهي مكملة لها<sup>1</sup>، حرصاً على استكمال خططها والتي تكون التنمية الاقتصادية من أهمها، ففي حال تأخر تمرير الموازنة أوجد المشرع تديراً استثنائياً مؤقتاً، وهو العمل بالقاعدة الاثني عشرية، فما هو الحال لو لم يتم إقرار الموازنة فإن نتائجها ستكون بالية على النفقات العامة والإيرادات العامة، وهذا ما سنوضحه في الفرعين الأول والثاني من هذا المطلب وكما يأتي:

### 1. أثر عدم إقرار الموازنة العامة على النفقات العامة

إن التزام الدولة بالموازنة لم يأت من فراغ، وإنما حرصاً على عدم التبذير والإسراف بالأموال العامة فاخترت تجارب الأنظمة السياسية السلطة التشريعية كجهة مختصة، لدراسة قانون الموازنة العامة والتصويت عليه وتطبيق جميع الإجراءات التي يتطلبها أي قانون عند تشريعه، ابتداءً من الاقتراح إلى الدراسة والتصويت والمصادقة والنشر، ناهيك عن شمولها بخصائص القاعدة القانونية من عمومية وتجريد وإلزام، وتعد خاصية الإلزام من أهم الخصائص كونها تحافظ على الأموال العامة من إسراف السلطة وتعتها وفسادها، بحيث لا يمكن لأي موظف مهما كانت درجته أن يقوم بصرف أي مبلغ ما لم يكن له اعتماد مالي في الموازنة ويكون ضمن الباب المخصص له، وإلا يعد تصرفه هذا مخالفاً للقانون ويوقعه تحت طائلة المسؤولية.

<sup>1</sup> د. احمد خلف حسين الدخيل، المالية العامة من منظور قانوني، ط1، مطبعة جامعة تكريت، تكريت، 2013، ص201.

إن مسألة الالتزام بقانون الموازنة كانت بدايتها عندما حقق الشعب البريطاني الممثل في البرلمان خلال فترة 1688 - 1866 انتصاراً في جعل الشعب هو صاحب السلطة، وإنه لا يمكن أن يتم صرف نفقة إلا بعد أن يوافق الشعب من خلال ممثليه، وقد ترسخت هذه الفكرة شيئاً فشيئاً ثم تحولت إلى إنشاء لجان نيابية، ليصبح البرلمان هو من يصوت على الموازنة ويقيد السلطة التنفيذية ويراقب عملها ونفقاتها الفعلية.<sup>2</sup>

إن أهمية الموازنة لا تقتصر على مسألة التنظيم المالي والرقابة على الإنفاق والإيراد فحسب، بل إن الأمر أبعد من ذلك وهو خلق تداخل بين الجانب المالي والجانب السياسي، يبدأ بموافقة السلطة التشريعية على كل بند من بنودها سواء أكان نفقةً أو إيراداً وتحديد المقدار والنوع، ثم يتاح لأعضاء السلطة التشريعية مراقبة عمل الحكومة للتأكد من الالتزام بمضمون قانون الموازنة من عدمه<sup>3</sup>، حيث تكون تلك المهمة فرصة لإطلاع تلك السلطة على وضع السياسة المالية بشكل عام، ثم بعد ذلك تقوم باستجواب المخالف واستخدام الصلاحيات المتاحة لها بموجب الدستور، وهذا يؤكد حقيقة أن طبيعة الموازنة لا تقتصر على أنها عمل قانوني أو إداري فحسب، بل يمكن أن يكون عملاً سياسياً كونها صدرت بعد تصويت أعضاء السلطة التشريعية الذين يحملون الصفة السياسية، ناهيك عن التوافقات السياسية التي في الغالب تكون مؤثرة في تمرير الموازنة من عدمه، فإذا أردنا أن نلاحظ الأسباب التي تدعو إلى عدم تمرير الموازنة العامة، نجد أن الخلافات السياسية كانت أولى تلك الأسباب، وهذا ما حصل في عام 2014 عندما كانت الكتلة الأكثر عدداً غير متوافقة مع الحكومة، وقد تزامن التصويت على الموازنة مع إجراء الانتخابات النيابية، فقد ساهمت الكتل السياسية بتعطيل الموازنة من أجل عدم استخدامها سياسياً ومالياً من قبل أعضاء الحكومة في الانتخابات، وهو ما أدى إلى عدم تشريعها، وهو ما حصل أيضاً خلال عام 2020، والتي أضيفت لها الاحتجاجات الشعبية ضد الحكومة والتي لا تخلو من لمسة سياسية<sup>4</sup>، ثم انتهى الأمر إلى اختيار حكومة غير منبثقة عن الانتخابات ولا تملك كتلة كبيرة في البرلمان، وهنا لا ننكر الأسباب الصحية والمالية التي أدت إلى عدم تشريع قانون الموازنة العامة، ثم تكرر الأمر عام 2022 عندما كانت الحكومة حكومة تصريف أعمال وتأخر تشكيل الحكومة الجديدة مع قرب نهاية العام المذكور ولم تُشرع الموازنة، وبالرغم من الكثير من العقبات إلا أن الخلافات السياسية كانت أحد أهم المعوقات التي أدت إلى عدم تمرير قانون الموازنة العامة.

إن مسألة الأمن الغذائي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموازنة لكونها تعد خطة مالية واقتصادية واجتماعية وأمنية، بل إن الأمن الغذائي يرتبط بالجانب السياسي على اعتبار أن الكتل السياسية تسعى لاستمالة مشاعر الجماهير سياسياً من خلال توفير أفضل أنواع المواد الغذائية المدعومة، وحتى أن هذه المسألة أصبحت تثير سخرية المراقبين على مواقع التواصل، إذ أن المرشحين يسعون خلال بث الدعايات الانتخابية إلى توزيع السلات الغذائية، وقد وصل بهم الأمر إلى أن يتم لصق اسم

<sup>2</sup> د. سعد العطية، الرقابة على الإنفاق العام في العقود الحكومية، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2016 ص 123.

<sup>3</sup> محمد شاكر عصفور، أصول الموازنة العامة، ط5، دار المسيرة للنشر، عمان، 2013، ص 158.

<sup>4</sup> أحمد جابر حميد، الأزمة المالية العراقية 2020 الأسباب والحلول، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للحقوق، مجلد 5، ع 4، 2021، ص 317-318.

المرشح ورقمه الانتخابي وقائمه على أكياس المواد الغذائية، إن هذا الأمر بالرغم مما فيه من سخرية إلا أنه في الواقع له تأثير كبير في توجيه مشاعر الأفراد، خصوصا خلال أيام الكوارث الطبيعية أو الحروب، وهذا ما حذرت منه وزارة الهجرة والمهجرين في بيان لها خلال فترة النزوح في المخيمات<sup>5</sup>.

إن الأمن الغذائي يتأثر أيضا بعدم تمرير قانون الموازنة العامة، حيث إن الحل المعمول به بعد انتهاء السنة المالية دون تمرير الموازنة، هو الاستمرار بالعمل على قاعدة 12/1<sup>6</sup> يعني عدم إمكانية زيادة النفقات العامة والاكْتفاء بالنفقات الدورية الضرورية كالرواتب والأجور، وهذا ما يؤخر وصول المواد الغذائية عن طريق البطاقة التموينية التي تتطلب نفقات عالية تجعلها ضمن مجال الإنفاق الاستثماري، إذ لا يمكن بموجب القانون تكرارها بناءً على قاعدة 12/1، ناهيك عن الإجراءات التي تتبعها وزارة التجارة في إجراءات البطاقة التموينية للمتزوجين وإضافة الأطفال إلى البطاقة، إذ لا يُسمح بفتح أبواب تعديل البطاقة التموينية لإضافة الأطفال أو لإنشاء بطاقة لعائلة تكونت حديثاً، إلا خلال فترة محدودة من السنة، وهذا ما قد يجعل الأفراد منشغليْن عنه أو أنهم على غير دراية، مما يفوت عليهم فرصة الحصول مفردات تلك البطاقة، وبالرغم مما تتعرض له البطاقة التموينية من إهمال خلال الفترات الاخيرة، إلا أنها عالجت الكثير من مشاكل المواطنين الغذائية خلال فترات الحصار الجائر الذي استمر لأكثر من 13 سنة<sup>7</sup>، وحتى بعد تغيير النظام السياسي ورفع الحصار بقيت تحقق الكثير من الإيجابيات على المستوى الغذائي للفرد العراقي.

إن عدم تمرير الموازنة العامة أو تعطيلها يؤدي إلى استحالة تعيين أي شخص على ملاك الوظيفة العامة، لكن من دون أن يتم صرف راتب له وهذا ما حصل في أغلب الوزارات، وهذا غير ممكن من الناحية الإنسانية ولم يقتصر ذلك على التعيينات، بل حتى إضافة الشهادات حيث أصبح غير ممكن، فبالرغم من أن الموظف قد تحمل لعدة سنوات انقطاع جزء من راتبه بسبب الإجازة الدراسية أو أجور الدراسة كونه درس على نفقته الخاصة، ولكن عند الوصول إلى كطف ثمار ذلك تعتبر الإدارة بأن هذا غير ممكن بسبب عدم إقرار الموازنة، فما ذنب ذلك الموظف بعدم تمرير الموازنة؟، وبذكر أن مسائل الترفيع والترقيات بل وحتى العلاوة السنوية أصبحت مقتصرة على أساس تمرير الموازنة، فإن ذلك انعكس بشكل سلبي على شريحة الموظفين مما جعلهم يتخلون عن أغلب الاحتياجات الغذائية الأساسية، ناهيك عن أن أسعار تلك المواد لا تزال في تصاعد مستمر خصوصا بعد صدور قرار يقضي بزيادة سعر صرف الدولار، والذي لجأت إليه الحكومة خلال عام 2020<sup>8</sup> لغرض زيادة قيمة الإيرادات، كونها تكون بالعملة الصعبة وتوفير نفقات أكثر لكونها بالعملة الوطنية، إن مثل هكذا قرارات يجب أن تكون مدروسة وتكون خاضعة لمسائل العرض والطلب، وليس لاجتهاد بعض الساسة، كما أن المشرع العراقي أخذ بحجب مفردات البطاقة التموينية عن العائلة التي يزيد دخلها

<sup>5</sup> بيان صادر عن وزارة الهجرة والمهجرين/ شبكة موازين نيوز، منشور على الرابط (<https://www.mawazin.net/Details.aspx?Ji=139923>) تاريخ الزيارة 31/1/2021.

<sup>6</sup> د. خالد شحادة الخطيب، د. احمد زهير شامية، أسس المالية العامة، ط2، دار وائل للنشر، 2005، عمان، ص 284.

<sup>7</sup> سهام كامل محمد و وصال عبدالله حسين وحسام موفق صبري، واقع البطاقة التموينية وتأثيرها في الأمن الغذائي للمستهلك، بحث منشور في المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية السوق، مجلد6، ع2، 2014، ص 93.

<sup>8</sup> المادة 1/ ب قانون الموازنة العامة رقم (23) لعام 2021، المنشور في جريدة الوقائع، ع 4625.



عن مليون ونصف بحجة أنها غير محتاجة لتلك المفردات، وكان ذلك جزء من إجراءات تقليل الإنفاق بسبب زيادة العجز المالي في الموازنة العامة<sup>9</sup>، ويذكر أن رئيس الحكومة الجديدة أعلن أنه إذا ما تم تكليفه سوف يسعى إلى إعادة سعر صرف الدولار إلى وضعه الطبيعي، ولكن يبدو أنه تخلى عن ذلك فيما بعد، ولا شك أن هذا القرار كان له الأثر السلبي على أسعار المواد الغذائية بشكل كبير، حيث ارتفعت أسعارها إلى النصف كون العراق لا يزال بلداً مستهلكاً.

إذا كان هذا حال في الشرائح العاملة في القطاع العام، فما بالك بالباة للمتجولين والفئات الهشة كيف سيكون أمنهم الغذائي إن تأخر تشريع قانون الموازنة؟، لا بد أنه سيؤثر بشكل أو بآخر عليهم بسبب قلة السيولة النقدية وشل الحركة الاقتصادية عند تأخر رواتب الموظفين أو تعطيل تخصيصاتهم المالية، ناهيك عن أن البطاقة التموينية أصبح لها أثر معنوي بنفس الفرد العراقي، وأن عقودها تتطلب نفقات عالية جداً، فهي الأخرى أيضاً تتأخر في الوصول إلى المواطن بسبب تعقيد الإجراءات.

## 2. أثر عدم إقرار الموازنة على الإيرادات العامة

في العادة يكون اهتمام الأفراد بالنفقات أكثر بكثير من الإيرادات، حتى أن البعض لا يتصور أن الإيرادات تدخل بكافة تفاصيلها في الموازنة، وذلك لأن العراق يمتلك إيرادات ريعية أوجدتها الطبيعة، وبالتالي قد لا يكون الأفراد على تماس مباشر بالإيرادات كما هو الحال بالنسبة للإيرادات الجبائية، فحتى الشخص الذي يسافر إلى البلدان الأخرى يتعجب من الخدمات الصحية والتعليمية والبلدية التي تقدمها تلك الدول، إلا أنه يذكر في مقدمة الأمور السلبية كثرة الضرائب التي تفرضها الحكومات على المكلفين هناك، وهذا قد لا يشعر به المواطن البسيط في العراق، فمسألة الجباية فيها جانب من التساهل من قبل الدولة، ويعود ذلك إما لفساد أو تواطؤ الدوائر الضريبية والمحاسبين، أو أن الخدمات التي تقدمها الدولة لا ترتقي إلى مستوى إجبار المكلفين على دفع الضرائب التي تقع على عاتقهم، فنجد الكثير من المحال التجارية لا تستخدم وصولات القبض وذلك من أجل عدم وصولها إلى دائرة الضريبة، فضلاً عن عدم وجود نظام الكتروني كي يكون الأمر خارج تدخل الإنسان، وهو ما قد يجبر الأفراد على الالتزام، فجباية مبالغ الكهرباء نجد الكثير من الأفراد يتهاونون في دفعها ونجد هناك ضعفاً في عنصر الإجماع من قبل الحكومة، ويعود ذلك لضعف خدمات الكهرباء التي تقدمها الدولة، وعلى أية حال نجد أن العراق كبلد نفطي إيراداته عندما ترتفع الأسعار تضعف الجباية والعكس صحيح.

إن الموازنة العامة يجب أن تتضمن الإعزاز بالجباية أو كما يطلق عليها "الإذن بالتحصيل" و«الإذن بالإنفاق»<sup>10</sup>، أي أن قيام الدولة بالجباية يتطلب نصاً قانونياً، فالإيرادات سواء كانت ريعية أو جبائية لها قوانين ثابتة تنظم إدارتها، كما هو قانون ضريبة الدخل رقم 113 لسنة 1982، وعليه فإن تلك القوانين نافذة ما لم يتم تعديلها أو إلغائها، فهي تعتبر إجازة بالجباية يؤيدها قانون الموازنة، وإن

<sup>9</sup> المادة (42) من قانون الموازنة العامة رقم (23) لعام 2021، المنشور بالعدد 4625.

<sup>10</sup> د. رائد ناجي احمد، علم المالية العامة والتشريع المالي في العراق، ط3، دار السنهوري، بيروت، 2018، ص 129.



عدم تشريع الأخير قد يعطل العمل بتلك القوانين، وهناك من يرى أن تلك القوانين لا تتأثر بقانون الموازنة سواء تم إقراره أم لا، على اعتبار أن الإجازة هي موافقة السلطة التشريعية على تشريع القانون الإيرادي، وهو بالأساس قد تضمن موافقة السلطة التشريعية، كما أن الموازنة لا تتضمن جميع الإيرادات وإنما تدخل الإيرادات إلى الخزينة العامة ويتم تخصيصها من قبل السلطة التشريعية بالتفصيل في قانون الموازنة، وقد تقوم بتضمين الموازنة العامة بعض الإيرادات التي تكون الدولة بحاجة لها سواء كانت رسوماً أو ضرائب، وهذا ما حصل في قانون الموازنة العامة لعام 2017 عندما تم فرض ضريبة على كارتات الهاتف النقال وكذلك على تذاكر السفر في قانون الموازنة العامة<sup>11</sup>، إذ تستغل الدولة قانون الموازنة لإدخال بعض النصوص التي تتضمن جباية أموال، تجنباً للاعتراضات الشعبية المتدمرة من تلك التشريعات في حال تشريعها بقوانين مستقلة، ويُذكر أن الحكومة ألغت تلك الضريبة على بطاقات الشحن اعتباراً من بداية كانون الأول عام 2022<sup>12</sup>، ويرى خبراء أن هذا القرار سيكون تأثيره سلبياً على خزينة الدولة، كما أنه لن يكون في مصلحة الفقراء إنما من مصلحة الأغنياء، ولا نعرف ما هي الدوافع وراء تقليل الإيرادات غير النفطية في الوقت الذي تكون خزينة الدولة بأمس الحاجة إليها.

هناك من يقر بعدم إمكانية تطبيق العمل بقاعدة 1/12 على الإيرادات وهذا ما حدده المشرع، فقد نص على ذلك في المادة (6/ب) من قانون الموازنة العامة رقم 23 لسنة 2021، حيث أوجب أن تُقيد الإيرادات لغاية 2021/12/31، وأن ما يتم تقديره بعد نهاية العام فيتم تقديره لحساب موازنة عام 2022، على كل حال فبالرغم من كل ما قيل ويقال عن علاقة الموازنة العامة بالإجازة بجباية الإيرادات، إلا أن الرأي الراجح أن الموازنة العامة تتمتع بصفة الإجازة للسلطة التنفيذية بالمباشرة بجباية الإيرادات، لكن الحكومة غير ملزمة بعدم تجاوزها المبلغ المطلوب، فقد تتجاوز الإيرادات المبلغ المتوقع في الموازنة العامة، وإنها قد تعجز عن تحصيل الحد الأعلى المحدد في قانون الموازنة العامة<sup>13</sup>، وبالرغم من أن الإيرادات الجبائية تكون مقدرة في الموازنة، وأن سندها هو موافقة السلطة التشريعية على الموازنة إلا أن الواقع في العراق مغاير لذلك، فوزارة المالية وباقي المؤسسات تكون معتمدة على القوانين الثابتة الخاصة بالضرائب والرسوم، وتباشر الجباية حتى وإن لم يتم إقرار الموازنة، على اعتبار أن تلك الأموال تدخل إلى الخزينة العامة، وأن الموازنة مجرد تقدير لإمكانية ما تقوم بجبايته فهي سوف تعود إلى صافي الخزينة من أموال.

بالرغم من ارتباط ملف الأمن الغذائي بالنفقات، فبدوره يرتبط بالإيرادات أيضاً لأن النفقات هي نتائج الإيرادات، لذلك نجد أن ضعف الإيرادات سوف ينعكس على النفقات العامة كالرواتب والأجور والمبالغ المخصصة للبطاقة التموينية وأجور الفلاحين، التي في الغالب ما يتم تأخيرها بسبب عدم تمرير الموازنة، وهو ما دفع الحكومة العراقية لوضع مشروع قانون الأمن والدعم الغذائي الذي تم تشريعه مؤخراً بعد إهمال قانون الموازنة العامة، وهذا ما سنطرحه في سياق هذا البحث.

<sup>11</sup> المادة (23/أولاً، ثانياً) من قانون الموازنة العامة لعام 2017 المنشور بالعدد 4430.

<sup>12</sup> قرار مجلس الوزراء رقم (306) لسنة 2022.

<sup>13</sup> د. احمد سامي منقارة، المفاهيم التقليدية والحديثة في الأموال العمومية والموازنة العامة، ط2، دار البلاد، لبنان، 2014 ص 227.

## ثانياً: أثر عدم إقرار قانون الموازنة العامة على الرقابة

إن أهمية قانون الموازنة العامة تبدأ من أنه يُنظّم عمليات تدوّل الإنفاق والإيراد حرصاً على عدم إسرافها وتبذيرها، كونها أموال عامة ومن واجب الدولة الحرص عليها لزيادة قناعة الأفراد أن تلك الأموال تُؤخذ منهم وتعود إليهم على شكل خدمات كي يكونوا أكثر استعداداً لدفع الضرائب. كما أن السلطة التشريعية التي تكون ممثلة للشعب لا بد لها من التأكد من أن الموازنة التي تم إقرارها قد حققت ما شُرعت من أجله، إضافة إلى معرفتها بالموقف المالي للبلد وهنا تكون الرقابة على نوعين: الأولى الرقابة التشريعية، والثانية الرقابة المستقلة على عمل الحكومة، وسوف نقسم هذا الموضوع إلى فرعين للحديث عنهما وكما يأتي:-

### 1. أثر عدم إقرار قانون الموازنة العامة على الرقابة التشريعية

تقوم العلاقة بين السلطات على أساس مبدأ دستوري أخرجه الفقيه الفرنسي مونتسكيو في كتابه (روح القوانين) بعد أن اقتبس من أفكار من سبقوه أرسطو ولوك وهو "الفصل بين السلطات"<sup>14</sup>، إلا أن هذا الفصل ليس مطلقاً فهو يختلف من نظام سياسي إلى آخر، ففي النظام الرئاسي يكون الفصل متطرفاً، حيث لا تكون هناك علاقة بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية وهناك من يعزو ذلك إلى أن السلطة التشريعية منتخبة من قبل الشعب، وإن الحكومة وضعها الرئيس الذي هو أيضاً منتخب من قبل الشعب والشعب هو مصدر السلطات، إلا أن الأمر يختلف بالنسبة للنظام البرلماني حيث إن مبدأ الفصل يقوم على التعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، على اعتبار أن الحكومة ناتجة عن السلطة التشريعية وهي من صوتت عليها ومنحتها الثقة ولا بد أن يكون بينهما تعاون.

ولكون السلطة التشريعية هي الممثلة للشعب وهي من صوتت على قانون الموازنة العامة، لا بد لها أن تراقب عمل السلطة التنفيذية للتأكد من أن السلطة التنفيذية حققت المنفعة العامة التي شُرعت من أجلها النفقة العامة، وهل أن الإيرادات العامة التي تمت جبايتها وفق القوانين الضريبية أم لا؟، وكذلك البحث عن فائض في الموازنة أم عجز بعد التأكد من الإنفاق الفعلي، وهذه التفاصيل يتم على أساسها قيام السلطة التشريعية بمجموعة من الإجراءات إذا ثبت وجود مخالفات قانونية تبدأ بالسؤال ثم الاستجواب ثم التحقيق<sup>15</sup>.

هناك من يعزو أساس نشأة السلطة التشريعية لغرض الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية وبالتحديد في المسائل المالية والضرائب على وجه الخصوص، فضلاً عن أن رقابتها هي رقابة وقائية خشية تعسف السلطة التنفيذية وحرصاً على عدم إصدار تشريعات تخالف الدستور، كما أن هناك من يصفها بأنها رقابة رادعة وكاشفة كونها تكشف أخطاء السلطة التنفيذية وتكون هذه الرقابة أثناء التنفيذ أو لاحقة للتنفيذ<sup>16</sup>، وهناك من يصف الرقابة التشريعية بالرقابة السياسية على اعتبار أن

<sup>14</sup> د. حميد حنون خالد، الأنظمة السياسية، ط2، دار السنهوري، بغداد، 2015، ص 80-81.

<sup>15</sup> كودار عبيد محمد صالح، الرقابة السابقة واللاحقة على تنفيذ الموازنة العامة، ط1، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، 2017، ص 208.

<sup>16</sup> كوادر عبيد محمد صالح، مصدر سابق ص167-177.

صفة أعضاء مجلس النواب هي صفة سياسية، وأن صفتهم كسلطة تشريعية أتاحت لهم مراقبة أعمال السلطة التنفيذية، وبما أن السلطة التشريعية هي من صادقت على الموازنة فهي الأولى والأعراف بالموازنة، لذلك فهي تتولى مراقبة السلطة التنفيذية وسؤالها عن الأرقام الفعلية التي تم إنفاقها والتي تم إيرادها، وهل أن هذه النفقات حققت الغايات المرجوة منها والتي دفعت الدولة إلى إقرارها وإنفاقها؟ وتكون هذه الرقابة إما أثناء تنفيذ الموازنة أو تكون لاحقاً لها من خلال قطع الحساب<sup>17</sup>.

إن السؤال هو كيف يمكن أن تتحقق هذه الرقابة إذا لم يتم تشريع قانون الموازنة العامة؟، وما هي الآثار التي تنتج عن عدم تشريع ذلك القانون؟، وهذا ما حصل في العراق خلال العام 2014 و عام 2020 و عام 2022، وهو بحد ذاته مؤثر خطير على السياسة المالية، ففي عام 2014 لم يستطع البرلمان إقرار الموازنة العامة ولأسباب عديدة سبق ذكرها، إلا أن الآثار الناتجة عن ذلك كانت كثيرة وخصوصاً ما يتعلق بالرقابة التشريعية.

إن أول آثار عدم إقرار الموازنة العامة هي إهمال النصوص الدستورية والقانونية، فقد ألزمت المادة (62/أولاً) من الدستور مجلس الوزراء على تقديم الموازنة العامة إلى مجلس النواب، وكذلك نصت المادة (2/ ثانياً) من النظام الداخلي لمجلس الوزراء رقم (8) لسنة 2014 وكذلك إهمال المدد القانونية المنصوص عليها في قانون الإدارة المالية رقم (6) لسنة 2019<sup>18</sup>، إن هذا الاهتمام التشريعي سواء على الصعيد الدستوري أو القانوني لم يأت من فراغ، وإنما جاء من شعور المشرع بأهمية الموازنة العامة، والتي يجب أن يتم إقرارها كل عام حرصاً على إطلاع المؤسسة التشريعية والجهات الرقابية على وضع السياسة المالية للبلد، أو لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية مخطط لها وتسعى الدولة لتنفيذها خلال سنة قادمة، وهذا يُعتبر أحد أهم الطرق إلى بناء تنمية اقتصادية تخدم المجتمع بشكل عام والفرد بشكل خاص، إلا أن عدم إقرار الموازنة العامة يعني لا وجود لخطة تنمية<sup>19</sup>، وربما لو أن المشرع قد وضع جزاء لذلك الإهمال الذي قد يكون مُتعمداً، لحاولت الحكومات المتعاقبة تجنب إهمال النصوص القانونية.

## 2. أثر عدم إقرار قانون الموازنة العامة على الرقابة المستقلة

قد يسأل سائل ما هو الفرق بين الرقابة التشريعية والرقابة المستقلة إذا كانت الجهة التي تمارس الرقابة المستقلة في الغالب تقدم تقاريرها إلى السلطة التشريعية، وكذلك أنها ترتبط بالسلطة التشريعية مالياً وإدارياً، إن الإجابة على ذلك يكون: (صحيح أن الرقابة التشريعية تمارسها السلطة التشريعية على الحكومة، إلا أن السلطة التشريعية لا تملك الفرق الجواله والمدققين والمحاسبين والخبراء المُوزعين في أرجاء البلاد ويستطيعون مراجعة جميع مراحل الإنفاق والإيراد، في حين أن الرقابة التشريعية يمارسها عضو السلطة التشريعية، وتكون في العادة على قضايا واضحة للعيان

<sup>17</sup> د.قيس حسن عواد البدراني، المالية العامة والتشريع المالي، مكتب زينب، الموصل، ص 179-180.

<sup>18</sup> د. ضياء عباس علي، أثر تأخر إقرار الموازنة العامة على مؤسسات الدولة وموظفيها، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للحقوق، مجلد 6، ع 1، 2021، ص 395.

<sup>19</sup> د. ضياء عباس علي، المصدر السابق، ص 391.

وذات أبعاد ترتبط بالرأي العام ولها أبعاد سياسية). إن أهمية الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية تكمن في الخشية من تعسفها في استعمال الأموال العامة من خلال الإسراف والتبذير، وقد يصل الأمر إلى الاختلاس والاستيلاء واستخدام الأموال العامة لمصالح ذاتية، وهذا العمل إذا ما استمر فسوف ينعكس على الموازنة القادمة ويتكرر التخصيص في كل عام، أما إذا تم إرفاق تقارير جهة الرقابة المستقلة والذي يتضمن مواطن الفساد إلى السلطة التشريعية حول الإنفاق المعتمد والإنفاق الفعلي فضلاً عن المخالفات القانونية فلن يتكرر ذلك في المستقبل، وهذا ما سيعيد أموالاً كبيرة إلى خزينة الدولة، فإذا كانت الرقابة غير موجودة أو أنها ضعيفة أو أن الحكومة لم تقم بتقديم الحسابات الختامية مع مشروع قانون الموازنة العامة، فإن الأمر سيكون في غاية الخطورة، فما بالك إذا كان قانون الموازنة غير موجود أصلاً وهو ما يجعل مسلسل الفساد مستمرا في كل عام دون رقيب أو رادع.

لقد أخذ العراق بالرقابة المستقلة على أعمال السلطة التنفيذية كي تكون الأكثر حيادية وحرماً في مواجهة الهدر وعدم الالتزام بقانون الموازنة العامة من قبل الحكومة، ومن أهم الأجهزة التي تولت تلك الرقابة هو ديوان الرقابة المالية حيث كانت أهداف هذا الديوان هي الحفاظ على المال العام ودعم المساءلة وتعزيز الاقتصاد الوطني<sup>20</sup>، لقد نص الدستور العراقي لعام 2005 في المادة (103/ أولاً وثانياً) على اعتبار هذا الديوان هيئة مستقلة مرتبطة بمجلس النواب، على أن يتم تنظيم ذلك بقانون، مما جعل ديوان الرقابة المالية يحصل على استقلالية أكثر وصلاحيات أوسع بعد إقرار دستور 2005، إذ أن ارتباطه بمجلس النواب إدارياً ومالياً أعطاه الحرية الأكثر في التعامل مع ملفات الرقابة المالية دون تأثير الحكومة على أدائه، حيث أن خلايا المحاسبين والمراقبين الماليين لهذا الديوان تعمل في أغلب مؤسسات الدولة لغرض معرفة الإيراد والإنفاق بالتفاصيل الدقيقة، وتدوين ذلك بتقارير تتضمن متابعة تنفيذ قانون الموازنة في كل مؤسسات الدولة، والتأكد من الالتزام بذلك القانون وتأشير نقاط الخلل وبيان الإنفاق والإيراد الفعليين، على اعتبار أن ما جاءت به الموازنة هي توقعات مستقبلية وليست أرقاماً حقيقية.

أوجب الدستور العراقي بنص المادة (62) على تقديم الحسابات الختامية مع مشروع قانون الموازنة العامة وفق المدد الزمنية التي حددها قانون الإدارة المالية، وقد أحسن المشرع الدستوري في وضع هذا التزامن، حيث أن السلطة التشريعية لا بد لها من معرفة النفقات والإيرادات الفعلية عند القيام بتقدير ودراسة مشروع قانون الموازنة الجديد، وذلك لوضع التقديرات للسنة الجديدة على أساس ما تم صرفه وإيراده في العام الماضي، إلا أن ما يثير الاستغراب هو تأخر استكمال الحسابات الختامية وعدم إرسالها مع قانون الموازنة، هذا إذا كانت هنالك موازنة، فكيف يكون الأمر إذا لم يكن هناك قانون للموازنة؟، ويرى مختصون إن عدم تقديم الحسابات الختامية في وقتها المحدد يُنذر بهدر أموال طائلة، وخير دليل ما حصل في عام 2014 عند عدم إقرار الموازنة العامة حيث تم ضياع عشرات المليارات من خزينة الدولة دون حساب أو رقيب، وهذا ما سيتكرر في أغلب الأعوام التي لم يتم فيها

<sup>20</sup> سيروان عدنان ميزرا الزهاوي، الرقابة المالية على تنفيذ الموازنة العامة في القانون العراقي، ط2، مجلس النواب العراق، الدائرة الإعلامية، بغداد، 2014 ص 138.

تشريع قانون الموازنة العامة. إن الإدارة السياسية والخلافات بين الكتل كانت هي السبب في عدم تمرير الموازنة وكذلك في تعطيل إنجاز الحسابات الختامية حرصاً على بقاء تلك المعلومات مبهمة وعدم إيضاحها للرأي العام، بالرغم من أن نظام العراق الجديد يؤكد على الشفافية والوضوح، إلا أن الإشكال يكمن في عدم وجود تدابير قانونية زاجرة سواء للحكومة أو للبرلمان عند عدم الالتزام بالمدّة القانونية، وكذلك عدم التزام الحكومة في تقديم الحسابات الختامية إلى ديوان الرقابة المالية في الوقت المناسب، بحجة أن المعلومات ورقية وغير مكتملة، ويُذكر أنه في أحد الأعوام امتنع مجلس النواب عن تمرير الموازنة إلا بعد تقديم الحسابات الختامية، حيث قامت الحكومة بإرسال أطنان من الورق مما منع مجلس النواب من إمكانية الاطلاع عليها بالكامل<sup>21</sup>.

لقد اخترنا ديوان الرقابة المالية كجهاز للرقابة المستقلة في العراق يملك باعاً طويلاً في مجال الرقابة المستقلة، وبالرغم من عدم امتلاكه لسلطة قضائية إلا أنه لا يزال الأرحح للقيام بهذا الدور، ويكمن دوره في دراسة الحسابات الختامية المعدة من قبل الحكومة وتدقيقها مع التفاصيل التي جمعها محاسبو الديوان، وتقديم تقرير مفصل إلى الحكومة عن الخروقات من أجل تقديمها مع مشروع قانون الموازنة العامة إلى مجلس النواب، ويمكن لمجلس النواب رفض قانون الموازنة في حال عدم تقديم الحسابات الختامية، ولكن لرجاحة العامل السياسي الذي في الغالب يجعل للحكومة كتلة كبيرة في مجلس النواب، لا بل قد يكون أعضاء مجلس النواب لديهم شركات ومشاريع من الحكومة، أو أن جمهورهم يضغط عليهم لغرض تمرير الموازنة فيكونوا أكثر اندفاعاً لتميرها، ويُذكر أن دستور 2005 والقوانين النافذة لم يتضمنوا نصاً يتعلق بمسألة رفض مشروع قانون الموازنة العامة<sup>22</sup>.

ويرى بعض الفقهاء أن إطلاع مجلس النواب على الحسابات الختامية لا يتوقف على معرفة الإنفاق الفعلي فحسب، وإنما لمعرفة فائض الموازنة، إلا أنه ولغاية الآن لم تنجز الموازنة أكثر من 80%، فأين تذهب المبالغ المدورة بالرغم من أنها أرقام مخيفة؟ فضلاً عن إطلاع مجلس النواب على أعداد المشاريع المتلكئة التي تم صرف مبالغ كبيرة عليها في السابق وُتركت، ومن خلال ذلك يمكن معرفة مصيرها ومن المُقصر في عدم إنجازها ليتم محاسبته أو من المُعرقل لها بحيث يمكن معالجة الخلل وإنجازها ليستفاد منها المواطن<sup>23</sup>.

إن ما يثير الاستغراب أن مجلس النواب منذ نفاذ دستور 2005 لغاية الآن، أنه لم يُصادق أو يناقش إلا القليل من قوانين الحسابات الختامية بشكل فعلي، ولم نلاحظ وجود إجراءات اتخذت بحق أحد بناءً على ذلك، كما إن الحكومة لم تقدم تلك الحسابات بشكلها المطلوب حيث تتحجج بحجج غير قانونية، وهي بذلك تخالف الدستور الذي يُوجب مصادقة مجلس النواب على الحسابات

<sup>21</sup> القاضي رحيم العكيلي رئيس هيئة النزاهة سابقاً، لقاء متلفز على قناة الحرة الإخبارية منشور على الرابط الإلكتروني <https://www.youtube.com/watch?v=ZnP6kR4Xk80> تاريخ الزيارة 1/20/2023.

<sup>22</sup> كوادر عبید محمد صالح، مصدر سابق، ص 217.

<sup>23</sup> د. احمد الصفار، مقرر اللجنة المالية سابقاً، لقاء متلفز على قناة الحرة الإخبارية منشور على الرابط الإلكتروني <https://www.youtube.com/watch?v=ZnP6kR4Xk80> تاريخ الزيارة 1/20/2023.

الختامية، وأن ما يُثير الاستغراب أكثر هو عدم مبادرة مجلس النواب لمساءلة الحكومة عن تلك المخالفات<sup>24</sup>.

## المحور الثاني: تحليل قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي رقم 2 لسنة 2022 وانعكاسه على النظام المالي والأمن الغذائي

تكون القوانين المالية في الدول المستقرة إما مستقلة أو دورية، فالقوانين الجبائية تكون قوانين مستقلة، فيما يكون قانون الموازنة العامة دورياً ويتضمن قواعد عامة وجداول متعارفا عليها في كل عام سواء على مستوى الإيرادات العامة أم على مستوى النفقات العامة، وقد يتم تشريع قوانين طارئة عند حصول أزمات تتضمن عقد قروض مالية لعبور أزمة مالية معينة، وهذا ما حصل عام 2020 في العراق عندما تم تشريع قانوني الافتراض في العام المذكور، أو أن الإعلانات والمواثيق الدولية والمعاهدات تفرض على الدول بعض الأمور كأن تكون القيام ببعض الأعمال البروتوكولية أو حماية حقوق الإنسان خصوصاً بعد تنامي مبادئ حقوق الإنسان، أو مواكبة التطور في الخدمات التي تقدمها الدول للأفراد، ومنها توفير الأمن الاقتصادي والاجتماعي والغذائي والصحي، وهذا يُعد من مسؤولية الدولة كون أن توفير هذه الأمور يعزز من استقرارها ويقلل من المجاعة والبطالة والجريمة المنظمة.

أما بالنسبة للوضع في العراق فلا تزال الدولة تعاني من عدة أزمات أثرت بشكل كبير على تحقيق الأمن الصحي والغذائي، إذ أن الزراعة والصناعة يمثلان عصب الأمن الغذائي في العراق، وبذكر إن هذين القطاعين شهدا تدهوراً كبيراً وصدّات عديدة أدت إلى تحطيم البنى التحتية فيهما، وأن ازدهار هذين القطاعين سيساعد بشكل كبير على تحقيق نسب عالية من الاكتفاء الذاتي الذي يساهم بشكل كبير في تحقيق الأمن الغذائي، إلا أن الظروف التي مر بها العراق خلال نهاية العقد الأخير من القرن الماضي بسبب العزلة الدولية التي فرضها المجتمع الدولي على العراق، والتي أدت إلى انقطاع العراق عن العالم وما لحقها بعد الاحتلال من تدمير للبنى التحتية ومنها تدمير الشركات المنتجة والتي لا تقل عن 250 شركة، إضافة إلى فتح الحدود وجعل البلد ساحة لتصريف البضائع الأجنبية<sup>25</sup>، فلم يعد بإمكان العراق الاستعانة بالتقنيات الحديثة في الزراعة والصناعة والتكنولوجيا، وبالرغم من تلك العزلة فقد سعى المزارعون والحرفيون إلى بذل قصارى جهدهم في تشغيل المصانع بالإمكانات المتوفرة بالرغم من ضعف الرواتب وضعف قيمة العملة العراقية قياساً بالعملية الصعبة، إلا أنه ما إن تغير النظام بعد عام 2003 حتى بدأت الحكومات بدفع الرواتب وفتح أبواب التعيينات على ملاكات القطاع العام، فأدى ذلك إلى هجرة الفلاحين والمزارعين إلى المدن والانخراط بالعمل الوظيفي وترك الزراعة بسبب قلة الإمكانات المتاحة، ليستمر فتح الحدود على مصراعيها للبضائع الأجنبية، والذي كان أحد أسباب ترك الزراعة، ناهيك عن تدهور الأوضاع الأمنية وقلة المياه السطحية والجوفية في المناطق الزراعية، و ضعف الدعم الحكومي لقطاع الزراعة بسبب غلاء الأسمدة والبذور

<sup>24</sup> كوادر عبيد محمد صالح، مصدر سابق، ص 217.

<sup>25</sup> د. سناء محمد سدخان، دور الموازنة العامة في مواجهة تحديات الأمن الغذائي 2003 - 2012، بحث منشور في مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، مجلد 18، ع 36، 2019، ص 229.



وقلة تجهيز ساعات الكهرباء، فضلاً عن شراء الدولة لنوعيات محدودة من المحاصيل كالحنطة والذرة والرز من إنتاج المزارعين وإهمال العديد من المحاصيل الأخرى نتيجة عدم توفير مصانع للتعليب، إلا أن ما يثير الإشكال هو تأخير صرف مستحقات المزارعين كل عام خصوصاً بعد عام 2014، وقد وصلت في بعض السنوات إلى تأخيرها لمدة سنة، وهذا ما أضعف همة الفلاحين ودفعتهم إلى ترك الزراعة، وما أن اشتعلت شرارة الحرب الروسية الأوكرانية واللذان تمثلان أهم الدول المصدرة للقمح في العالم، حيث إن العراق يعتبر إحدى الدول المستوردة منهما، وخشية من عدم إمكانية توفير ذلك المحصول مستقبلاً اتخذت الدولة عدة تدابير كان من أهمها هو تشريع قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي رقم (2) لعام 2022، وسوف نقوم بتحليل قانون الدعم الغذائي رقم (2) لسنة 2022 في فقرة، فيما نخصص الفقرة الثانية للحديث عن الانعكاسات الناتجة عن تشريع ذلك القانون على النظام المالي والأمن الغذائي وكما يأتي:

### أولاً: تحليل قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي والتنمية رقم 2 لسنة 2022

سبق وأن بينا سابقاً آثار تأخر تشريع قانون الموازنة أو عدم تشريعه على جوانب عديدة، وسلطنا الضوء على جانب الأمن الغذائي سواء على المستوى الفردي أو الجماعي كون العراق لا يزال نظامه متأثراً بالطابع الاشتراكي، بالرغم من تعيّر سياسة النظام السياسي وهذا ما خلق شيئاً من التخبط حول طبيعة النظام الاقتصادي، هل هو نظام اقتصادي اشتراكي أم أنه نظام رأسمالي حر؟ وحيث أن السمة الاشتراكية يمكن أن نلاحظها من خلال برنامج البطاقة التموينية الذي حاولت الحكومات بعد عام 2003 التخلص منه، إلا أنها جوبهت برفض شعبي كبير ولا يزال هذا البرنامج يعاني من الإهمال بالرغم من النفقات الكبيرة المخصصة له من حيث نوعية المواد المستوردة وعدد مفرداتها.

لقد لجأت السلطة التشريعية لتشريع قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي وكان يفترض بها أن تسعى إلى تشريع قانون الموازنة، كون أن القانون لم يقتصر على مبادرة تتعلق بالأمن الغذائي فحسب، وإنما تضمن نفقات عالية تتعلق بالرواتب وبعض النفقات الاستثمارية، فما هو الداعي إلى إهمال الموازنة على الرغم من أن الإيرادات في الخزينة جيدة بسبب ارتفاع أسعار النفط التي ساعدت على رفع حتى الاحتياطي النقدي؟.

لقد ورد في بداية القانون أنه (جاء للدعم الغذائي وتخفيف الفقر) حيث كان السقف الأعلى لتمويله 25,000,000,000 ترليون دينار، وهذا يؤكد أن المبلغ المالي المخصص لهذا القانون كبير جداً على أن يتم تمويله من حسابات وزارة المالية الفائضة، ويكون ذلك عملاً بأحكام المادة (13) من قانون الإدارة المالية رقم (6) لسنة 2019 الفاضية أنه في حال تأخر إقرار الموازنة العامة فيتم العمل بقاعدة (12/1) وتستبعد المصروفات غير المتكررة، وإن العمل بهذه القاعدة يوجب على الحكومة الالتزام بالنفقات العادية دون إضافة نفقات أخرى، أي أن تكون نفقات شهر كانون الأول هي القياس ويتم الصرف على أساسها بداية العام القادم<sup>26</sup>، حيث إن حرص المشروع جاء هنا لمنع الحكومة من زيادة الإنفاق دون ضابط، وخشية استخدامها لأغراض سياسية أو لعمليات فساد، وقد أضافت المادة

<sup>26</sup> المادة (13) من قانون الإدارة المالية الاتحادية العراقي رقم (6) لسنة 2019 المعدل، منشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد: 4550.

المذكورة على أنه بالإمكان الاستمرار بالعمل بتلك القاعدة إذا ما تعطلت الموازنة ولم يتم إقرارها، وتعد البيانات المالية النهائية للسنة السابقة أساساً للبيانات المالية للسنة الجديدة، ويتم تقديمها إلى مجلس النواب على ذلك الأساس، إن مسألة إقرار الموازنة ليست لغرض تنظيم عمليات الإيراد والإنفاق فحسب، وإنما إيضاح مخطط الحكومة الذي تنوي القيام به، وإن الأهم من ذلك هو وضع تقرير شفاف للعمليات المالية يكون بمثابة صورة واضحة للقوى السياسية والشعب والرأي العام بشكل عام، كي تكون الحكومة خالية المسؤولية أمام الجمهور، لذلك فإن تكرار مسألة عدم إقرار الموازنة وتشريع قوانين تتضمن نفقات عالية بحجة ضرورات غذائية أو أمنية احترازية، فهي بحد ذاتها تشير وجود شبهات فساد لدى الجمهور.

لقد تضمن قانون الأمن الغذائي تخصيص مبلغ قدره ثمانية تريليونات دينار من تخصيصات القانون لغرض إعمار وتنمية مشاريع المحافظات غير المنتظمة بإقليم، يتم توزيعها بحسب النسب السكانية وخط الفقر ويتولى المحافظ تنفيذها، فعند مطالعنا لهذا النص لا نجد ما يربطه بمسألة الأمن الغذائي، فمن ناحية تضمن إعمار وتنمية ولم يوضح المشرع ما هي المشاريع، فهل هي مشاريع تتعلق بالزراعة أم بالصناعة أم بتنمية إحدى الموارد الطبيعية؟، أم إنها تساعد على تشغيل الأيدي العاملة؟، فلم نرى مشاريع تنموية تم الإنفاق عليها من خلال هذا القانون، وإنما أغلب المشاريع كانت عبارة عن تعبيد طرق وحدائق وقضايا ليس لها علاقة بالأمن الغذائي.

ورد في نص المادة (11) من القانون بأنه يتم تخصيص نسبة 50% من إيرادات المنافذ الحدودية إلى المحافظات التي توجد فيها تلك المنافذ بما في ذلك إقليم كردستان، وذلك لإنجاز مشاريع استثمارية أو تشغيلية أو تمويل لمشاريع مستمرة في المحافظة أو لغرض إعمار تلك المنافذ، إن هذه المادة يمكن أن تخالف المبدأ القانوني الخاص بعدم تخصيص الإيرادات العامة<sup>27</sup>، وإن تلك الإيرادات تدخل إلى خزينة الدولة ويتم تخصيصها بشكل عام على ميادين الإنفاق، فضلا عن أن هذا يخالف مبادئ العدالة والمساواة في إنفاق الأموال العامة على الأفراد.

لقد جاء في نص المادة (13/أولا) قانون الأمن الغذائي أيضا تأجيل استيفاء الديون الحكومية المترتبة بذمة الفلاحين والمزارعين الراغبين بتأجيل تسديد القروض المستحقة للدولة، على أن لا تزيد قيمة قرضهم عن 400,000,000 أربعمائة مليون دينار، فضلا عن عدم تحميلهم للفوائد عن ذلك التأجيل حيث يمكن اعتبار هذه المادة من المواد الداعمة لمسألة الأمن الغذائي، إذ أن ذلك التأجيل يمكن أن يعطي فرصة للمزارعين لغرض تطوير زراعتهم، هذا إذا تم استخدام القروض لأغراض تطوير الزراعة ولم تكن القروض مجرد صورية الغاية منها سحب اقتراض مبالغ مالية بحجة تطوير القطاع الزراعي، ونتيجة عدم المتابعة المستمرة من قبل الدولة سعى أغلب المزارعين لاستخدام الأموال لأغراض أخرى خارج إطار القطاع الزراعي، سيما وأن الغاية من منح فرصة الاقتراض ليست الفائدة على القرض، وإنما دعم القطاع الزراعي لأجل تحقيق الأمن الغذائي وكذلك الحال بالنسبة لقروض الحماية الاجتماعية، فهل ان تلك القروض تم استخدامها لإنشاء مشاريع صغيرة لدعم الفئات الضعيفة؟ أم أنه تم صرفها دون متابعة وتم استخدامها لغرض الاستهلاك؟.

<sup>27</sup> د. قيس حسن عواد البدراني، مصدر سابق، ص 157.



جاء في المادة (14) من القانون ضرورة قيام ديوان الرقابة المالية بتقديم تقرير فصلي حول الإنفاق وفق هذا القانون إلى مجلس النواب، وحسناً فعل المشروع بتضمين القانون لهذا النص لكن الأفضل لو أنه نص على إلزام الحكومة بتقديم الحسابات الختامية خلال مدة زمنية إلى مجلس النواب وإلى ديوان الرقابة المالية، وذلك لأن مجلس النواب وديوان الرقابة المالية عجزت عن مسألة الرقابة، نتيجة تحجج الحكومة بعد إمكانية إنجاز تلك الحسابات خلال فترة قياسية.

أيضاً نص قانون الأمن الغذائي في المادة (15) على التعاقد مع حملة شهادة البكالوريوس وبكافة الاختصاصات في دوائر المحافظات بواقع (1000) متعاقد في كل محافظة براتب شهري (300,000) ثلاثمائة ألف دينار شهرياً لكل متعاقد لمدة ثلاث سنوات لأغراض التدريب. إن استمرار الحكومة بالتعاقد والتعيين على القطاع العام والموازنة التشغيلية أثقل كاهل الدولة، حيث كان الأجدر إما منح هذه الأموال على شكل مشاريع صغيرة من أجل تنمية هذه الأموال وتشغيل أكثر عدد من الأيدي العاملة وخصوصاً في المجالات التي تدعم مسألة الأمن الغذائي، مما يحقق ديمومة ونجاح تلك المشاريع، فضلاً عن إن القانون لم يحدد اختصاصات محددة بذاتها أي أن تكون لها علاقة بالتنمية أو الاقتصاد أو الزراعة أو الصناعة... الخ.

تضمن القانون جدولين (أ، ب) حيث تم تقسيم مجمل مبالغ القانون التي سبق ذكرها إلى عدة مجالات ما يتعلق منها بالأمن الغذائي، هو تخصيص خمسة تريليونات لتغطية نفقات البطاقة التموينية واستيراد محصول الحنطة المحلية ثم المستوردة والشلب والخزين الاستراتيجي واستحقاق الفلاحين للسنوات السابقة.

وخلاصة القول إن أغلب النفقات التي تضمنها هذا القانون كانت لأغراض تشغيلية واستهلاكية لا تمت بأي صلة إلى تحقيق الأمن الغذائي، لا بل أنها حَمَلت الدولة أعباء جديدة شملت التعاقد مع المحاضرين وعقود الكهرباء... الخ.

## **ثانياً. انعكاسات قانون الدعم الطارئ للأمن الغذائي والتنمية رقم 2 لسنة 2022 على النظام المالي والأمن الغذائي**

سبق وأن رأينا العديد من الملاحظات على قانون الأمن الغذائي الذي تم تشريعه من قبل مجلس النواب العراقي، والذي أصبح واقعاً بديلاً لقانون الموازنة العامة مما استدعى البحث في الآثار السلبية لتشريع ذلك القانون على النظام المالي وكما يأتي :-

1. إن اختيار السلطة التشريعية أو الحكومة التي أعدت القانون لعناوين رنانة بغية خلق انطباعات إيجابية لدى الرأي العام وجذب مشاعر الأفراد، مع العلم أن باطن القانون قد لا يكون كذلك، كما أن القانون كان مخصصاً للمحافظات غير المنتظمة، وهذه دلالة على أن إقليم كردستان مستثنى من الإنفاق الوارد في هذا القانون وهذا قد يتنافى مع قاعدة العدالة في توزيع النفقات العامة<sup>28</sup>، فإذا كان الإقليم يأخذ نسبة معينة من الموازنة، ففي هذه الحالة لا توجد موازنة

<sup>28</sup> د. رائد ناجي احمد، مصدر سابق، ص 23.

فكان الأجدر بالقانون أن يشمل جميع المحافظات، وإن كان السبب في ذلك هو أن الإقليم يقوم بتصدير النفط دون الرجوع إلى الحكومة الاتحادية، فهذا يعني أن هناك تخبطا في إدارة وتوزيع الإيرادات النفطية ناتج عن عدم الاتفاق السياسي لتشريع قانون النفط والغاز الاتحادي ليدفع ثمن ذلك الأفراد.

2. إن اعتبار هذا القانون بديل لقانون الموازنة غير معقول، لأن الإنفاق جاء في هذا القانون بمبلغ كبير جداً وعلى الجانب التشغيلي والاستثماري، وهذه المشكلة يعاني منها النظام المالي العراقي بسبب الإيرادات الريعية والتي تدعم الإنفاق التشغيلي على حساب إنشاء مشاريع استثمارية كبيرة، تكون لها مردودات مالية على الصعيد المالي والاقتصادي والاجتماعي والغذائي، لذلك نجد أن العراق منذ أكثر من عشرين سنة يصدر كميات كبيرة من النفط ولكن يتم استغلالها لدفع الرواتب والأجور لا بل ويقترض أيضا.

3. إن تشريع قوانين مالية بهذا الشكل قد يؤدي إلى خلق فوضى قانونية، كون أن قوانين الموازنة تكون متواترة ومنظمة وهذا منافٍ للمبادئ التي جاء بها النظام السياسي الجديد، وهي الشفافية المالية العامة وإطلاع الشعب وممثليه على الوضع المالي، فلا نجد في هذا القانون مجموع الإيرادات ومجموع النفقات، بل وجدنا مجالات لتمويل القانون بالأموال.

4. إن هذا القانون لم يتضمن خطة واضحة يكون لها مردود إيجابي على النظام المالي، كما أنه أثار الكثير من شبهات الفساد بسبب حجم النفقات التي تضمنها، والتي كان الكثير منها لمشاريع استهلاكية سريعة التنفيذ فضلاً عن خلوه من المشاريع الاستثمارية المتعلقة بالأمن الغذائي، سواء على صعيد الزراعة أو الصناعة أو تشجيع الصناعات الوطنية... الخ

5. كان الأجدر أن يحدد المشرع في القانون نسبة عالية من الذين يتم التعاقد معهم من خريجي كليات الزراعة نتيجة إهمال هذا الاختصاص، مما خلق حالة عزوف لدى الطلبة عن الدخول إلى كليات الزراعة بحيث أن بعض الجامعات بدأت تفكر بغلق تلك الكلية بسبب العزوف الناتج عن قلة فرص العمل.

6. إن هذا القانون لا يمكن أن يكون بديلاً لقانون الموازنة العامة فهو لا يتضمن خطة متكاملة ومدروسة تمكنه من تحقيق نتائج نهاية العام، لا بل أنه أنفق عليه مبالغ كثيرة وقد شاب تشريعه العديد من شبهات الفساد التي طرحها العديد من النواب أنفسهم نتيجة السرعة في التشريع، ولكن ما غطى على ذلك هو تضمينه لعقود المحاضرين وكذلك التعاقد مع موظفي الثلاثة أشهر نتيجة انعدام القطاع الخاص، مما جعل الأفراد يفكرون فقط بالتعيين أو التعاقد على ملاك القطاع العام.

## الخاتمة

توصل هذا البحث إلى الاستنتاجات والتوصيات الآتية:

### أولاً: الاستنتاجات

1. ان قانون الموازنة العامة يعتبر الصورة الواضحة للنظام المالي بالنسبة للسلطة التنفيذية والتشريعية والجهات الرقابية والرأي العام، وعليه فإن إهمالها يشوه هذه الصورة بالكامل، فكلما كانت الصورة واضحة كان الالتزام أكبر والخلل أقل.
2. كلما كانت الدولة أكثر تدخلاً في الحياة الاقتصادية كانت الموازنة العامة أكثر ضخامة وأكثر تعقيداً وعجزاً.
3. إن وجود قانون الموازنة يجعل الجميع سواسية أمام القانون من الرئاسات الثلاثة إلى أصغر موظف من حيث احترام الأموال العامة، وعدم صرف أي نفقة إلا بعد التأكد من الاعتماد واختصاص المنفق واستكمال الإجراءات القانونية.
4. التأثيرات السياسية في العراق لها دور كبير في الموازنة بدءاً من الإعداد إلى النشر.
5. للأمن الغذائي علاقة وثيقة بالموازنة العامة كونها الميدان الذي من خلاله يمكن أن يتحقق.
6. للرقابة التشريعية والمستقلة أهمية كبرى، كونهما يكونان خارج السلطة التنفيذية ويمكن أن يحققا نتائج إيجابية في حال تجنب التأثيرات السياسية.
7. إن عدم إقرار قانون الموازنة العامة والمصادقة على الحسابات الختامية يؤدي إلى هدر كبير في الأموال العامة.
8. الرقابة المستقلة أكثر دقة من الرقابة التشريعية والأخيرة أكثر قوة من الأولى.
9. الأمن الغذائي يجب أن يضمنه الدستور ويكون من مسؤوليات الحكومة.
10. قانون الأمن الغذائي لا يتضمن سوى مواد قليلة تتعلق بالأمن الغذائي.

### ثانياً: التوصيات

1. فرض تدابير قانونية زاجرة بحق المؤسسة التي تعرقل إقرار الموازنة العامة أو الحسابات الختامية من خلال الالتزام بالمدد والإجراءات القانونية.
2. أن تكون الموازنة العامة هي ميدان تحقيق الأمن الغذائي، وأن يتم تخصيص جزء من الإيرادات العامة لتنفيذ خطط الأمن الغذائي.
3. فرض تدابير قانونية تحد من التأثيرات السياسية على الرقابة المالية.
4. تأسيس نظام الكتروني رصين يكشف عمليات التداول في الإنفاق والإيراد لمعرفة مواطن الخلل.
5. دعم كليات الزراعة وتوفير فرص عمل للخريجين في القطاع المختلط أو الخاص إن تعذر ذلك في القطاع العام.
6. إعادة تأهيل المصانع الحكومية بتقنيات جديدة لتكون مجالاً لإنتاج بعض المواد الغذائية.
7. شراء المحاصيل من قبل الدولة ويكون دفع مستحقات الفلاحين مباشراً.



# السودان سلة غذاء الوطن العربي: الواقع والتحديات

د. عواطف سيد أحمد حمزة \*

## ملخص

تقع دولة السودان جغرافياً في الركن الشرقي من قارة أفريقيا ومن أكبر الدول العربية والأفريقية مساحة، حيث تبلغ مساحة هذا البلد حوالي 1,882,000 كلم مربع ويتنوع مناخه بين صحراوي إلى شبه صحراوي، مما جعله يتميز بإنتاج محاصيل متنوعة ومهمة، حيث يزخر السودان بموارد طبيعية وثروات كبيرة ومتنوعة تجعله مؤهلاً لأن يكون أول الدول التي توفر الأمن الغذائي العربي ومن ثم تحقيق الأمن الغذائي العالمي.

إن وفرة الثروات الطبيعية -الحيوانية والمعدنية- إذا ما استغلت استغلالاً صحيحاً، يمكنها أن تساهم في تقدم الاقتصاد السوداني بالتركيز على الزراعة التي تمثل الجزء الأكبر والمؤثر في الاقتصاد، حيث تبلغ الأراضي الزراعية حوالي 200 مليون فدان يزرع منها أقل من 48 مليون فدان فقط، وتقدر مساحة حوض نهر النيل بحوالي 67% وهي أراضي ذات خصوبة عالية بطمي النيل، وتتوفر المياه من نهر النيل بحوالي 18.5 مليار متر مكعب في العام حسب اتفاقية مياه النيل للعام 1959، والتي يستغل السودان منها حالياً 12.2 مليار متراً مكعباً في العام، بالإضافة للأُنهار الأخرى، وتوجد المياه الجوفية في 50% من مساحة السودان، ويقدر مخزونها بـ 15.200 مليار متر مكعب، وتشكل الثروة الحيوانية 103 مليون رأس من الماشية إضافة للثروة السمكية التي يستفاد منها بالصيد الداخلي 100 ألف طن و10 ألف طن للمصائد البحرية بجانب 45 مليون من الدواجن والطيور. وبناء على ما تقدم ذكره تكمن أهمية هذا البحث في تناوله للمعطيات التي جعلت من السودان مرشحاً لتحقيق الأمن الغذائي عربياً ومن ثم عالمياً، ولكن توجد معوقات تتمثل في عدم وجود الإدارة الرشيدة والمشاكل الداخلية وعدم الاستقرار السياسي والحروب والتدخلات الخارجية التي تحول دون الاستفادة من تلك الموارد، ومن ثم تحقيق الأمن الغذائي على مستوى الداخل وعلى مستوى الشرق الأوسط والعالم.

**الكلمات المفتاحية:** السودان، الزراعة، الغذاء، الأمن الغذائي.

\* باحثة من السودان، تعمل في خلية جهاز تنظيم شؤون السودانيين بالخارج في مجلس الوزراء السوداني، السودان.

# Sudan, the food basket of the Arab world: Reality and Challenges

Dr. Awatif Hamzah

## Abstract

The State of Sudan is located geographically in the eastern corner of the continent of Africa and one of the largest Arab and African countries in area, with an area of about 1,882,000 square kilometers and its climate varies from desert to semi-desert, which made it characterized by the production of various and important crops, as Sudan abounds with natural resources and large and varied wealth that make it qualified To be the first country to provide Arab food security and then achieve global food security.

The abundance of natural resources - animal and mineral - if exploited correctly, can contribute to the progress of the Sudanese economy by focusing on agriculture, which represents the largest and influential part of the economy, as agricultural lands amount to about 200 million acres, of which less than 48 million acres are cultivated only, and it is estimated The area of the Nile River basin is about 67%, which is highly fertile land with Nile silt. Water is available from the Nile River at about 18.5 billion cubic meters per year according to the Nile Water Agreement of 1959, from which Sudan currently exploits 12.2 billion cubic meters per year, in addition to other rivers. Groundwater is found in 50% of the area of Sudan, and its stock is estimated at 15.200 billion cubic meters. Based on the aforementioned, the importance of this research lies in its handling of the data that made Sudan a candidate for achieving food security in the Arab world and then globally, but there are obstacles represented in the lack of good governance, internal problems, political instability, wars and external interventions that prevent the benefit from these resources. And then achieve food security at the domestic level and at the level of the Middle East and the world.

**Keywords:** Sudan, agriculture, food, food security

## مقدمة

يعرف مفهوم الأمن الغذائي على أنه (حصول كل الناس في كل الأوقات على غذاء كافٍ لحياة نشطة وسليمة) وهذا التعريف أيضاً يتضمن ثلاثة عناصر أساسية: توافر الإمدادات الغذائية، واستقرارها، وإمكانية الحصول عليها. ومن ثم فإن الأمن الغذائي هو الإفتقار إلى القدرة على تحصيل الغذاء.

ولا شك أن الأمن الغذائي أحد مكونات الأمن القومي العربي، ويمثل العالم العربي أكبر مستورد للمنتجات الزراعية بالرغم من وفرة المساحات الزراعية الشاسعة، حيث بلغ العجز في الميزان الغذائي خلال العقد الأخير ما قيمته 180 مليار دولار. وحسب تقارير المنظمة العربية للتنمية الزراعية، فإن العالم العربي يعاني نقصاً في جميع المنتجات الزراعية بما فيها القمح، ويعزى ذلك إلى الزيادة في عدد السكان وشح الموارد وضعف الاستثمار في الأراضي الخصبة وغياب التخطيط السليم وعدم استغلال التقنيات الحديثة في الزراعة وعدم التنسيق العربي، مما زاد في حجم الفجوة.

ومن هذا المنطلق وإيماناً من الدول العربية بأن السودان هو المنقذ الوحيد للدول العربية والأفريقية على حد سواء لتحقيق الأمن الغذائي، وأن السودان أحد أهم أركان الأمن الغذائي العربي، أعلن الرئيس السابق للسودان المشير عمر البشير في القمة العربية الاقتصادية الثالثة بالرياض 2017م عن مبادرة سودانية للأمن الغذائي، يقوم السودان من خلالها بتوفير الأراضي الصالحة للاستثمار في مجالات الزراعة والثروة الحيوانية<sup>1</sup>.

بناء على ما تقدم ذكره تكمن أهمية هذا البحث في تناوله للمعطيات التي جعلت من السودان مرشحاً لتحقيق الأمن الغذائي العربي، وبذلك تأتي أهمية تقديم دراسات علمية تبين الواقع من حيث الفرص والتحديات وإيجاد الحلول لتحقيق الأمن الغذائي المنشود.

## أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف:

1. التعرف على إمكانيات السودان التي تجعله مؤهلاً لتحقيق الأمن الغذائي العربي.
2. محاولة التعرف على الواقع الآتي في السودان.
3. التعرف على الأسباب والتحديات التي تحول دون أن يحقق السودان الأمن الغذائي العربي.
4. الجهود المبذولة من الحكومات السودانية المتعاقبة في تحقيق الأمن الغذائي العربي.
5. الجهود المطلوبة من الحكومات العربية لمساعدة السودان في تحقيق الأمن الغذائي العربي.
6. الرؤية المستقبلية لتمكين السودان من تحقيق الأمن الغذائي العربي.

<sup>1</sup> ورشة العمل حول رؤية مستقبلية لمبادرة السودان للأمن الغذائي العربي، الخرطوم، 30 أبريل - 1 مايو 2018م.

## مشكلة البحث

تكمن المشكلة التي سوف يتناولها البحث في أن السودان تتوفر فيه الموارد الطبيعية من أراضٍ صالحة وموارد مائية، تمكنه من أن يكون سلة غذاء الوطن العربي، ولكن توجد معوقات تتمثل في عدم وجود الإدارة الرشيدة والمشاكل الداخلية وعدم الاستقرار السياسي والحروب والتدخلات الخارجية، التي تحول دون الاستفادة من تلك الموارد ومن ثم تحقيق الأمن الغذائي على مستوى الداخل ناهيك عن الوطن العربي. وعليه فإن مشكلة البحث تتلخص في سؤال أساسي: **إلى أي مدى أثر عدم الاستقرار السياسي والحروب والصراع حول الموارد والتدخلات الخارجية في السودان في عدم الاستفادة من تلك الموارد الطبيعية على مستوى الداخل ومن ثم تحقيق الأمن الغذائي العربي؟**

## فرضية ومنهج البحث

تتلخص فرضية البحث في **إن هناك تحديات سياسية واقتصادية وأمنية تحول أن يحقق السودان الأمن الغذائي العربي**. وسيتم اتباع المناهج: (التاريخي/الوصفي/دراسة الحالة/التحليلي)

## المحور الأول: السودان الموقع الجيوسياسي

السودان دولة تقع جغرافيا في الركن الشرقي من قارة أفريقيا، ومن أكبر الدول العربية والأفريقية مساحة، حيث تبلغ مساحتها حوالي 1.882.000 كلم مربع، ويتنوع مناخه بين صحراوي إلى شبه صحراوي، مما جعله يتميز بإنتاج محاصيل متنوعة ومهمة، حيث يزخر السودان بموارد طبيعية وثروات كبيرة ومتنوعة، تجعله مؤهلاً لأن يكون أول الدول التي توفر الأمن الغذائي العربي ومن ثم تحقيق الأمن الغذائي العالمي<sup>2</sup>.

إذا استغلّت وفرة الثروات الطبيعية والحيوانية والمعدنية استغلالاً صحيحاً، يمكنها أن تساهم في تقدم الاقتصاد السوداني بالتركيز على الزراعة التي تمثل الجزء الأكبر والمؤثر في الاقتصاد، حيث تبلغ الأراضي الزراعية حوالي 200 مليون فدان يُزرع منها أقل من 48 مليون فدان فقط، وتقدر مساحة حوض نهر النيل بحوالي 67% وهي أراضٍ ذات خصوبة عالية بطمي النيل، وتتوفر المياه من نهر النيل بحوالي 18.5 مليار متر مكعب في العام حسب اتفاقية مياه النيل للعام 1959، والتي يستغل السودان منها حالياً 12.2 مليار متر مكعباً في العام بالإضافة إلى الأنهار الأخرى، وتوجد المياه الجوفية في 50% من مساحة السودان ويقدر مخزونها بـ 15.200 مليار متر مكعب، وتشكل الثروة الحيوانية 103 مليون رأس من الماشية إضافة للثروة السمكية التي يستفاد منها بالصيد الداخلي 100 ألف طن و10 ألف طن للمصائد البحرية، بجانب 45 مليون من الدواجن والطيور.

يمتاز السودان بامتلاكه لمصدرين أساسيين لتحقيق الأمن الغذائي وهما: وفرة المياه الصالحة للشرب وتعدد مصادرها، والثاني هو اتساع الرقعات القابلة للزراعة، وبين هاتين الخاصيتين يوجد المناخ المناسب للزراعة طوال العام والملائم لزراعة جميع المحاصيل الزراعية، إضافة إلى الخبرات المتراكمة من العلماء والباحثين في الإنتاج الزراعي، بجانب وفرة مصادر الطاقة القديمة والمتجددة النظيفة منها.

<sup>2</sup> إيمان الحباري، السودان سلة غذاء العالم، تاريخ تحديث النشر 2019/6/26، <https://mawdoos.com>



يعتقد الخبراء أن الوقت مناسب الآن لينهض السودان مجدداً كواحد من الحلول العملية لمشكلة الغذاء ليس عربياً فقط، بل وعالمياً في ظل ظروف ومتغيرات دولية وإقليمية كالصراع الدائر الآن بين روسيا وأوكرانيا، مما أثر على عمليات إنتاج وتوفير ونقل القمح للمنطقة العربية. ووفقاً لمنظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، فإن الحرب في أوكرانيا فاقمت الوضع الصعب بالفعل، إذ نتج عنها زيادة السكان الذين يعانون من نقص الغذاء المزمع بحوالي 13 مليون هذا العام<sup>3</sup>.

## المحور الثاني: السودان والموقع الجيو اقتصادي

يتميز السودان بإمكانيات وموارد طبيعية متنوعة في باطن الأرض وظاهرها، وهي الموارد (الزراعية، الحيوانية والرعوية، المائية، البشرية، الغابات والأخشاب، وموارد الطاقة التعدين).

### أولاً: الموارد الزراعية

تبلغ مساحة الأراضي المزروعة في السودان بنحو 21 مليون هكتار، تمثل نحو 30.7% من مساحة الأراضي المزروعة بالوطن العربي عام 2011م، وتتضمن هذه المساحة المشروعات الزراعية المروية والمطرية، والتي تمثل فرصاً استثمارية واسعة لتحسين نظم إنتاجيتها، مع الأخذ بعين الاعتبار وجود مساحات إضافية شاسعة صالحة للزراعة لم تستغل بعد.

يعتبر القطاع الزراعي الاقتصادي الأهم في السودان كما توضح ذلك تقارير الجهاز المركزي للإحصاء، والتي تشير إلى أن القطاع الزراعي ساهم في الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 34% في المتوسط بين الفترة 2009-2013، ويوفر القطاع الزراعي فرص العمل لنحو 70% من القوى العاملة بالسودان، كما يوفر المواد الخام لعدد كبير من الصناعات التحويلية مثل الذرة والدخن ومنتجات القمح وزيت الطعام ومنتجات الألبان والأعلاف والجلود والسكر وغيرها.

يعتمد القطاع الصناعي على القطاع الزراعي، إذ يحصل على نحو 60% من المواد الخام من الزراعة، وتشير الدراسات إلى أن الصناعات القائمة على الزراعة شكلت 72% من القيمة المضافة في الصناعة، حيث ساهمت المنتجات الغذائية والعصائر بـ 65% من القيمة المضافة.

هناك نوعان من الزراعة في السودان، وهي زراعة مروية وزراعة مطرية، ويعتمد السودان على الزراعة بنسبة 80% من نشاط السكان، حيث تبلغ مساحة الأراضي الزراعية أكثر من 200 مليون فدان، ويتميز عن الدول العربية بخاصية تعدد المناخ والتربة، فنجد الزراعة المروية في مشاريع الجزيرة، السوكي، الرهد وحلفا<sup>4</sup>. ويعتبر مشروع الجزيرة من أكبر المشاريع الزراعية المروية في أفريقيا وله تأثير على الاقتصاد الوطني، ويعتبر بمثابة الوريد للاقتصاد حيث يقع المشروع في وسط السودان بين النيلين الأبيض والأزرق في السهل الطيني الممتد من مدينة سنار إلى جنوب الخرطوم، وتبلغ مساحته 2200 فدان، وقد أنشأته في العام 1925م الدولة المستعمرة آنذاك بريطانيا لمصانعها بخام القطن، واعتبر العمود الفقري لاقتصاد السودان بعد نيله استقلاله، وقد ساهم بـ 65% من الإنتاج

<sup>3</sup> تقارير وزارة الزراعة السودانية للعام 2018م.

<sup>4</sup> أحمد مخيمر، متى يكون السودان سلة غذاء العالم؟، مقال منشور بتاريخ 2017/8/9م.

الزراعي بالسودان، وكان يشكل قبل دخول النفط 45% من الصادرات، ولكنه شهد تدهوراً كبيراً في ثمانينات القرن الماضي بسبب السياسات الحكومية الخاطئة، وتراجع إنتاج محصول القطن في التسعينيات بسبب الحظر الاقتصادي الأمريكي على السودان.

### يتميز السودان بأراضٍ زراعية خصبة موزعة كالتالي:

1. الأراضي الصحراوية: وتقدر مساحتها بـ168 ألف كلم مربع، وتتكون من تلال وسهول في المناطق المحاذية للنيل.
2. الأراضي شبه الصحراوية: تبلغ مساحتها 289 ألف كلم مربع، ويزرع فيها محصول الدخن المعروف بمقاومته للجفاف.
3. الأراضي الساحلية: 68 ألف كلم مربع.
4. أراضي القوز: 240 ألف كلم مربع.
5. السهول الطينية الوسطى: 119.500 كلم مربع، وتجمع ما بين الزراعة المطرية والمروية.
6. الأراضي الجبلية: وتضم: أراضي جبل مرة والذي يرتفع 1000 متر فوق سطح البحر، وتبلغ مساحته 1000 كلم مربع، وتتميز عن مناطق السودان الأخرى بإنتاج محاصيل لا يمكن زراعتها في مناطق السودان الأخرى كالفراولة والتفاح. أما أراضي جبال النوبة فتبلغ مساحتها 65 ألف كلم مربع<sup>5</sup>.

ينتج السودان مجموعة من المحاصيل النقدية في الأراضي المطرية والمروية، منها القمح والقطن والبقول السوداني وقصب السكر والذرة الشامية وزهرة عباد الشمس والدخن والكردي والفاكهة والخضروات وأزهار القطف. كما ينتج السمسم 318.000 ويعتبر ثالث دولة بعد الهند والصين في الإنتاج عالمياً، وتبلغ إنتاجيته من قصب السكر 5.950.000. يعتبر السودان الأول عربياً في إنتاج الصمغ، وتشير إحصائيات البنك الدولي 2013م إلى أن الأراضي المستخدمة لزراعة الحبوب تمثل 10.088.402 من الهكتارات.

### ثانياً: الموارد الحيوانية والرعية

يعتمد السودان على الثروة الحيوانية التي تأتي في المرتبة الثانية بعد الزراعة، وتشمل الثروة الحيوانية (الماشية والثروة السمكية والحيوانات البرية والطيور)، وتقدر مساحة المراعي بنحو 117.2 مليون هكتار، وتبلغ نحو 23.7% من مساحة المراعي بالوطن العربي، ويعتبر السودان الأول من بين الدول العربية والأفريقية في إنتاج الماشية بحوالي 103 مليون رأس و45 مليون من الدواجن و110 ألف طن من الثروة السمكية بالإضافة للحيوانات البرية<sup>6</sup>.

<sup>5</sup> السودان سلة غذاء العرب يتضور جوعاً ويتوق للحرية، 28 ديسمبر 2018م <https://mubasher.aljazeera.net>

<sup>6</sup> تقارير الهيئة العربية للتنمية الزراعية، الخرطوم، السودان.

### ثالثاً: الموارد المائية

يملك السودان موارد مائية لا تتوفر عند دولة أخرى، حيث يمر في الأراضي السودانية أطول الأنهار في العالم وهو نهر النيل، بتغذية 15 رافداً فرعياً "النيلين الأزرق والأبيض وروافدهما في الدندر والرهد وأعالى عطبرة". وتهطل فيه أمطار غزيرة تقدر بمليار متر مكعب سنوياً، بالإضافة إلى المخزون من المياه الجوفية التي تقدر بـ40 مليار متر مكعب بتغذية سنوية تفوق أربعة مليارات متر مكعباً، والتي يتراوح معدل هطولها بين 50 ملمتر في الشمال إلى 300 ملمتر في أقاصي ولايات جنوب النيل الأزرق وجنوب كردفان وجنوب دارفور. كما تزخر مناطق شمال وغرب السودان بمخزون حوضي هائل المتمثل في حوض الحجر الرملي النوبي الذي تقدر مياهه المتجددة السنوية بحوالي 1000 مليار متر مكعب.

أُنشأت تعليية خزان الروصيرص نحو 3 مليار متر مكعب تكفي لري حوالي مليون فدان، وأنشأت الحكومة السودانية خزاني ستيت وأعالى عطبرة بطاقة استيعابية تصل إلى 2.7 مليار متر مكعب، تكفي لري نحو مليون فدان في منطقتي نهر عطبرة وخشم القربة، فضلاً عن المساهمة في ري مشروع حلفا الجديدة الزراعي 300 ألف فدان، كما توجد السدود التي تستخدم في الري والتوليد الكهربائي، وهم سد الرصيرص وخزان سنار وسد مروى وخزان خشم القربة وسد ستيت بأعالى نهر عطبرة، بالإضافة إلى سدود مقترحة كسدي الشريك وكجبار بولايتي نهر النيل والشمالية، وتمت إضافة مليون فدان أراضي صالحة للزراعة في ولايتي كسلا والقضارف، إضافة إلى توليد طاقة كهربائية تقدر بحوالي 320 ميغا واط، كما نجد أن سد النهضة الأثيوبي يحقق فوائد مستقبلية للسودان بتوفيره مياه للري والكهرباء.<sup>7</sup>

### رابعاً: الموارد البشرية

يبلغ عدد سكان السودان حسب آخر إحصائية حوالي 39.350.484 ويعمل 44.60% من العمالة في الإنتاج الزراعي حسب إحصائية البنك الدولي لعام 2013م.

### خامساً: الصناعات التحويلية المتعلقة بالإنتاج الزراعي والحيواني

ينتج السودان في الصناعات التحويلية النسيج والسكر والزيوت، وينتج حوالي 3 مليون طن من زيوت بذرة القطن والسمن وعباد الشمس وال فول السوداني، بالإضافة إلى الصناعات الأخرى مثل صناعة الإيثانول بمصنع سكر كنانة، ويعتبر السودان في المرتبة الثانية في إنتاج الإيثانول بعد جنوب أفريقيا.<sup>8</sup>

### سادساً: الموارد الغابية والأخشاب

يوجد في السودان ثروة غابية كبيرة حيث تغطي الغابات حوالي 29.6% من مساحة السودان، أي حوالي 74.1 مليون هكتار وتبلغ 37.1 من مساحة الغابات بالوطن العربي. وتساهم الغابات بنسبة

<sup>7</sup> السودان الارض الوارد والسكان، بحث منشور في مجلة "دراسات افريقية" العدد 36.

<sup>8</sup> إيمان الحباري، المصدر السابق.

3.3% من إجمالي الناتج القومي وتوفر 71% من الطاقة الكلية المستهلكة بالبلاد، كما ظلت تساهم بأكثر من 12% من عائدات العمالة الحرة، وتساهم بغالبية احتياجات البلاد من الأخشاب المنشورة ومواد البناء والأعلاف للثروة الحيوانية القومية التي تصل في موسم الصيف إلى 70%، إضافة إلى توفيرها حوالي 15% من العمالة الريفية<sup>9</sup>.

### سابعاً: موارد الطاقة والتعدين

يملك السودان العديد من الموارد الطبيعية كالذهب والبتروول والنحاس والحديد واليورانيوم وغيره، وحسب تقارير سابقة لإدارة البترول فقد بلغ إنتاجه في السودان في العام 2010م حوالي 86.6% في الجنوب و14.32%، مما أدى إلى زيادة الإنتاج الزراعي، أما إنتاج الذهب فيقدر في السودان بـ 34 إلى 37 طناً سنوياً، والحديد 500 ألف طن سنوياً، بالإضافة إلى بعض المعادن الأخرى.

يعد السودان بلداً مؤهلاً كي يكون حاضنة للاستثمار الزراعي العربي، وهو يصلح لإنتاج سلع غذائية أساسية كالحبوب والسكر والذرة الزيتية واللحوم والألبان، وهذه المنتجات تشكل نسبة كبيرة من قيمة الفجوة الغذائية العربية. ومع تزايد أزمة الغذاء العالمي وانعكاساتها على المنطقة العربية، تزايد الاهتمام بالاستثمار الزراعي في السودان وتزايدت أهمية السودان كسلة للغذاء العربي، فبدأ المستثمرون العرب بالتوجه نحو السودان بحثاً عن فرص الاستثمار الزراعي.

### المحور الثالث: واقع السودان والوطن العربي من الفجوة الغذائية العربية

#### أولاً: جهود السودان تجاه الفجوة الغذائية العربية

اهتم السودان بتحقيق الأمن الغذائي العربي بتقديمه مجموعة من المبادرات للدول العربية لتساهم في سد فجوة الغذاء في الوطن العربي، وأطلق الرئيس السوداني السابق عمر البشير أثناء انعقاد القمة العربية الاقتصادية في مارس 2017م في دورتها الثالثة في الرياض، مبادرة لتحقيق الأمن الغذائي العربي وذلك من خلال نشوء استثمارات زراعية كبيرة تساهم بفاعلية في تقليص الفجوة الغذائية في المنطقة العربية، وتعزز من أوضاع الأمن الغذائي في كافة دول المنطقة، حيث قدم السودان 220 مشروعاً استثمارياً للدول العربية، لتحقيق الأمن الغذائي العربي عبر وزارة الاستثمار السودانية.

يخطط السودان لقيام مشروع زراعي عملاق في وادي الهواد، وهو أحد أكبر الوديان التي تشق سهل البطانة من الشرق إلى الغرب في أواسط شرق السودان، وينتهي مصبه عند مجرى النيل الرئيس، وحال نجاح المشروع فإنه سيتجاوز مساحة مشروع الجزيرة الذي يعتبر أكبر مزرعة مروية في أفريقيا تحت إدارة واحدة. ويعد وادي الهواد من المشاريع التي يمكن أن تساهم بصورة كبيرة في تحقيق الأمن الغذائي، إذ تبلغ مساحته 2.4 مليون فدان وهو مشروع زراعي يمتاز بأراضٍ عالية الخصوبة والمناسبة للزراعة خاصة لمنتوج الذرة<sup>10</sup>.

<sup>9</sup> تقارير وزارة الزراعة السودانية، المصدر السابق.

<sup>10</sup> الثروة الغابية في السودان، مقال منشور على موقع الرابطة السودانية لحماية وتنمية البيئة، بتاريخ 2012/2/8م.

## ثانياً: العالم العربي والفجوة الغذائية

يعتبر الأمن الغذائي وسد الفجوة الغذائية من المشاكل التي تحتل الصدارة على مستوى بلدان العالم العربي، خاصة بعد الزيادة المطردة للسكان، وقد ظل يستورد نصف الغذاء من الخارج، وبلغ عجز الميزان الغذائي ما قيمته 180 مليار دولار سنوياً بالرغم من توفر المقومات الزراعية، ويعد ذلك استنزافاً كبيراً لثرواته الوطنية. حيث تشير الدراسات إلى أن سكان الوطن العربي في زيادة مطردة وصلت إلى 123 مليون في العام 1970، ومتوقع أن يصل إلى 503 مليون نسمة بحلول 2030م، وأن الفجوة الغذائية "الاحتياج والإنتاج" في العقدين القادمين 2030م، سوف تتفاقم في توالي عدي، حيث أن الفجوة الغذائية في الحبوب "القمح كغذاء رئيسي" حوالي 42 مليون متر طن، ومن المتوقع أن تصل إلى 60 مليون متر طن، وفي محصول السكر بلغت الفجوة الغذائية 8.0 مليون متر، ومن المتوقع أن تصل إلى 10.5 مليون متر طن، وفي محاصيل الزيوت بلغت الفجوة الغذائية الحالية 2.4 مليون متر طن، والمتوقع أن تصل إلى 2.20 مليون متر طن. وأيضاً ذكر أن الفجوة الغذائية الحالية في اللحوم الحمراء والبيضاء والألبان، بلغت 0.7 و3.0 و9.1 مليون متر طن على التوالي، ومن المتوقع أن تصل إلى 0.8 مليون متر طن للحوم الحمراء و5.0 مليون متر طن للحوم البيضاء و9.0 مليون متر طن للألبان، وأيضاً تشير التنبؤات المناخية إلى أن المنطقة العربية سوف تتأثر بزيادة درجة الحرارة وقلة الأمطار خلال القرن الحالي، في ظل الزيادة في عدد السكان وشح المياه وضعف الإنتاج الزراعي وتقلبات الإنتاج، وتدهور البيئة ونسبة فقدان ما بعد الإنتاج وغياب التخطيط السليم والتنسيق العربي وعدم استخدام التقنيات الحديثة، مما يؤدي إلى تزايد الفجوة الغذائية<sup>11</sup>.

بذلت الدول جهوداً عبر جامعة الدول العربية ومجلسها الاقتصادي والاجتماعي، واعتمدت آلية لتنفيذ مبادرة الأمن الغذائي العربي المقدمة من قبل حكومة السودان، وتتكون الآلية من عضوية حكومة السودان والأمانة العامة للجامعة، واعتمد أيضاً آلية لتنفيذ مبادرة الأمن الغذائي العربي، بالإضافة إلى صناديق ومؤسسات التمويل العربية والمنظمة العربية للتنمية الزراعية والشركات ذات الصلة<sup>12</sup>.

هذا وقد بذلت المنظمة العربية للتنمية الزراعية كبيت خبرة عربي وخاصة في المجال الزراعي، مجهوداً وإسهاماً كبيراً منذ سبعينيات القرن الماضي، حيث تبنت الهيئة إدخال كل ما هو جديد ومفيد لتطوير الزراعة على أسس علمية رصينة، مستهدفة بذلك زيادة الإنتاج والإنتاجية وتقليل التكلفة وفق الآتي:

1. نشر زراعة وتوطين محاصيل الخضر، وإدخال ونشر الري الحديث "الري بالتنقيط والري المحوري وغيرها"، والزراعات المحمية، إدخال محاصيل جديدة لتأمين الغذاء وأصناف محسنة.

<sup>11</sup> تقرير وكالة سونا للانباء الخرطوم، في 9-11-2020 <https://www.suna-sd.ne>

<sup>12</sup> مقال منشور على موقع العربي الجديد، بتاريخ 3 سبتمبر 2016، <https://www.alaraby.co.u>

2. اهتمت بعقد المؤتمرات الهادفة إلى جذب المستثمرين من مختلف الدول العربية لإقامة مشاريع جديدة، وأهمها المؤتمر العربي للاستثمار الزراعي الذي عقدته الهيئة في فبراير 2017م بالخرطوم، والمشاركات في الورش والمعارض الزراعية إقليمياً وعالمياً.

أما فيما يتعلق بجهود الهيئة العربية للتنمية الزراعية في مبادرة السودان للأمن الغذائي العربي، فكانت كالآتي:

1. إعداد الدراسات التفصيلية لمشروعات المبادرة بدون أرباح "فقط في حدود التكلفة الفعلية للدراسة".
2. تنفيذ برامج تدريبية متخصصة داخل السودان وفي المنطقة العربية للكوادر المرتبطة بتنفيذ المبادرة "بحسب التكلفة الفعلية".

استند تصور المنظمة العربية للتنمية الزراعية في تنفيذ المبادرة على إقامة المشروعات على المساحات التي صدقها السودان وأصدر شهادات بحثها، والتي تقدر بحوالي 1580570 فدان، وباقتراح 70% من هذه المساحات سوف تستغل فعلياً في الزراعة، وأن كميات المياه اللازمة للري في السنة النهائية للمرحلة الثانية من المبادرة في عام 2021م، تقدر بحوالي 8.24 مليار متر مكعب تقريباً على أقل تقدير عند زراعتها بالسلع الواردة في الإطار السلعي من قبل المنظمة والمتمثل في البرسيم والفول السوداني وزهرة الشمس والذرة الرفيعة. ولتعظيم العائد على وفرة المياه المستخدمة، يفترض تصور المنظمة تنفيذ مشروعات للاستزراع السمكي متكاملة مع مشروعات الإنتاج النباتي، بحيث تمر المياه على أحواض الأسماك قبل استخدامها للري<sup>13</sup>.

### المحور الرابع: السودان وتحديات الأمن الغذائي العربي

هناك عقبات جوهرية تحول دون الانطلاق الاقتصادي للسودان لتأمين الغذاء، رغم كل الإمكانيات والمؤشرات التي تجعل منه دولة رائدة في توفير الغذاء لكل الشعوب العربية وغيرها، ومن أبرز تلك العقبات:

- 1- رأس المال: واجه السودان حرماناً من رأس المال من المانحين والقروض ومنع التعامل مع المؤسسات المالية، بسبب الحظر الاقتصادي الأحادي من قبل الإدارة الأمريكية.
- 2- الحروب والنزاعات الداخلية والإقليمية.
- 3- الحراك الثوري وعدم الاستقرار السياسي في السودان منذ العام 2019م وحتى الآن.
- 4- الحروب وأطولها حرب الجنوب من العام 1955م-2011م وذهاب كل الميزاتيات للحرب، بدلا من أن تذهب للتنمية والإنتاج الزراعي، وأعقبها حروب دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان، حيث بلغت إحصائيات الحركات المسلحة 85 حركة مسلحة.

<sup>13</sup> نازك شمام، السودان سلة غذاء العالم العربي.. متى ترى النور؟

5- الصرف على الأمن والتسلح والحروب أدى إلى زعزعة الأمن وأثر على دخول المستثمرين وفقدان العمالة المحلية والمانحين والقروض والمستثمرين، حيث فرضت الإدارة الأمريكية عقوبات على السودان منذ العام 1997، وإبقائه في قائمة الدول الراعية للإرهاب، إلى جانب عقوبات عسكرية أخرى وصدور الأوامر الأمريكية للمؤسسات المالية الدولية بعدم التعامل مع السودان، بذريعة أنه من الدول الراعية للإرهاب، مما أدى إلى تخوف البنوك العالمية من التعامل مع البنوك السودانية، فأحجمت المؤسسات المالية العالمية من أي معاملات تجارية خوفاً من تعرضها لغرامات، ومثال ذلك غرامة بنك (بي.إن.بي.باريبا) بعد تعامله مع السودان وكوبا وإيران، حيث فرضت عليه الولايات المتحدة غرامة قدرها 9 مليار دولار.

6- انهيار الاقتصاد السوداني وتدمير الإنتاج ودخول السودان كمستورد.

7- انهيار العملة النقدية وارتفاع معدل التضخم وانخفاض معدل النمو.

8- الاستهداف الإقليمي والدولي للسودان عبر تكتلات محددة ومعروفة، وأصبح مشدود الأطراف الإقليمية والدولية.

9- صراعات السودان الحدودية فيما يتعلق بالأمن الغذائي مثل الصراع مع أثيوبيا في أراضي الفشقة على أراضٍ زراعية تقدر بحوالي 250 ألف فدان، والمعروفة بزراعة السمسم وعباد الشمس، والصراعات الحدودية مع مصر في حلايب وشلاتين والمناطق الخمسة مع جنوب السودان بعد الانفصال، أهمها أبيي والتي خصمت من السودان عناصر قوة دولة شاملة (الزراعية والصناعية والثقافية والاجتماعية والأمنية والعسكرية).

10- انفصال الجنوب في 2011، وذهاب 75% من إنتاج البلاد من النفط المصدر الرئيسي للعملة الصعبة، بالإضافة لذهاب مساحات زراعية كبيرة تقدر بالآلاف الكيلومترات.

11- انهيار البنيات التحتية كالنقل البري والبحري والجوي، وانهيار بنية المشاريع الزراعية الكبيرة كمشروع الجزيرة وكنانة والرهد وانهيار سكة الحديد.

12- هجرة العقول والكوادر السودانية والخبرات.

13- ضعف الربط الكهربائي الذي لا يكفي للتصنيع والزراعة، بمقابل ضعف موارد الطاقة الأخرى كالبترو، وذهاب معظمه بعد انفصال الجنوب وضعف استغلال الطاقة الشمسية<sup>14</sup>.

## الخاتمة

يعيش العالم العربي فجوة غذائية متلاحقة لمسببات كثيرة من أهمها، الظروف البيئية والزيادة المطردة في عدد السكان والمتغيرات الإقليمية والدولية وغيرها. ومن خلال ما ورد سابقاً يعتبر السودان من الدول المهمة والأكثر تأهيلاً لتغطية الفجوة الغذائية العربية نسبة للإمكانات الكبيرة من أراضٍ

<sup>14</sup> موقع وكالة الاناضول، بتاريخ 2017/3/29م <https://www.aa.com.tr>

زراعية بكر وعالية الخصوبة وامتداد مناخي متعدد، مما يمكن الإنتاج الزراعي للعديد من المحاصيل الغذائية، مع توفر المياه الطبيعية من أنهار وبحيرات وأمطار ومياه جوفية وغيرها، بالإضافة إلى الإنتاج الكبير من الثروة الحيوانية والأسماك والطيور وغيرها.

وقع السودان ضحية سياسات شد الأطراف من المحاور الإقليمية والدولية والتي أقعدت السودان عن النهوض والحفاظ على دوره الإقليمي والقيام بواجبات ومتطلبات الأمن الغذائي العربي، أيضاً العقوبات الاقتصادية وضم السودان إلى قائمة الدول الراعية للإرهاب والحروب والنزاعات الداخلية المفتعلة والتدخلات الخارجية فيه، جعلت من السودان غير جاذب للمستثمرين، إضافة إلى عدم الوصول إلى نظام سياسي محدد خاصة بعد ثورة 19 ديسمبر 2019م الأمر الذي سيؤخر من إمكانية التحول الاقتصادي والتكيف الهيكلي لسنوات.

لكي يؤدي السودان دوره في سد الفجوة الغذائية على المستويين الداخلي والإقليمي العربي، خاصة وأن مقدرات السودان الكبيرة والتميزة من الموارد الطبيعية الزراعية والحيوانية في باطن الأرض من المعادن والطاقة والطاقة الشمسية، تجعل السودان ينطلق باقتصاده ويحقق معدلات هائلة تمكنه من تحقيق الأمن الغذائي العربي وتطبيق المقولة المشهورة "السودان سلة غذاء الوطن العربي ومن ثم العالم"، ذلك الطموح يتطلب الآتي:

- العمل على إحلال السلام والأمن والاستقرار في البلاد لتحفيز دخول المستثمرين، إضافة إلى الإدارة الجيدة لموارد البلاد الطبيعية ووضع استراتيجيات طويلة المدى لتنفيذها.
- الإسراع في إنفاذ مبادرة السودان لتحقيق الأمن الغذائي العربي.
- الاهتمام بالإرشاد الزراعي والحيواني وأهمية التعليم الزراعي والهندسة الزراعية.
- الاهتمام بالبنية التحتية من شبكات الطرق والمواصلات الرئيسية والفرعية وسن التشريعات والقوانين التي تحفظ للدولة والمستثمرين حقوقهم.



# جغرافية المياه الجوفية في شمال غرب الصحراء الكبرى (الجزائر-تونس- ليبيا) ومشكلات الاستغلال

شربة كلاء \*

## ملخص

تعالج هذه الدراسة موضوع جغرافية المياه الجوفية المشتركة الواقعة شمال غرب الصحراء الكبرى (الجزائر، تونس، ليبيا) ومشكلات الاستغلال، حيث أدت ضرورات الأمن المائي في هذه المنطقة التي تعاني من ندرة المياه خاصة في السنوات الأخيرة إلى الاستفادة من المياه الجوفية لتعويض النقص في المياه السطحية، وهو ما أدى إلى سحب مفرط لهذه المياه، والذي انعكس سلبا على ملوحتها وتلوثها، لذلك سيتم التطرق في هذه الدراسة إلى واقع تواجد المياه الجوفية المشتركة ومشكلات استغلالها، وكذا سبل الاستغلال وفرص الاستفادة التنموية منها، وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن هناك عدم فاعلية في التنسيق المشترك بين الدول الثلاث فيما يخص كميات السحب التي تخص كل دولة على حدة، وهو ما أثر على جودة هذه المياه وعدم استغلالها بشكل جيد ومستدام.

**الكلمات المفتاحية:** مصادر المياه الجوفية، مشاكل المياه الجوفية، المناطق الحدودية، ليبيا، تونس، الجزائر.

\* باحثة وأكاديمية من الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة الجزائر3.

# Groundwater Geography in Northwest Sahara Desert (Algeria - Tunisia - Libya): Exploitation Problems

Cherifa Klaa

## Abstract

This study deals with the issue of the geography of the common groundwater located northwest of the Sahara Desert (Algeria, Tunisia, Libya) and the problems of exploitation. Dual regional concerns; achieving water security with water scarcity, led to the use of groundwater as a compensation. Side effects, such, excessive usage, salinity and pollution among others. This work is exposing common groundwater exploitation problems linked to development opportunities. The results indicate ineffectiveness in the joint coordination between the three countries, which affected water quality, effective exploitation and sustainability.

**KeyWords:** Groundwater sources, groundwater problems, border areas, Libya, Tunisia, Algeria.

## مقدمة

تعتبر شبكة المياه الجوفية الممتدة في الأراضي الليبية والجزائرية والتونسية من أكبر الخزانات في العالم والتي تمتد على مساحة أكثر من مليون كم<sup>2</sup>، حيث تعد أكبر احتياطي في شمال إفريقيا، وهي واقعة في مناطق صحراوية قاحلة يجعل من أمر الاستفادة منها واستغلالها أمرا شائكا إضافة لكون هذه المياه تعتبر خزانا جوفيا وأحواضا مشتركة بين ثلاثة دول وهي الجزائر، ليبيا، وتونس، ونظرا لأهمية تلك الكميات الضخمة من المياه الجوفية لجأت هذه الدول منذ سبعينيات القرن العشرين إلى تطوير التعاون في مجال تبادل المعلومات والمشاورات التي تسلط الضوء على إدارة طبقة المياه الجوفية المشتركة، والتي أصبحت في السنوات الأخيرة معرضة للخطر بشكل طبيعي بسبب التغذية الطبيعية المنخفضة، الأمر الذي جعل حكومات الدول الثلاث تُنشأ لجنة لمراقبة طبقات المياه الجوفية، كما وافقت على التعاون في إدارتها لتقليل الآثار العابرة للحدود، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الاتفاقية تعد واحدة من اتفاقيتين فقط من هذا النوع في العالم، ما يجعل من باب الضرورة العمل على استغلال هذه المياه الجوفية خاصة تلك الحدودية بما يعود بالنفع على الدول الثلاث.

## أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى معالجة موضوع جغرافية أماكن تواجد المياه الجوفية في كل من ليبيا وتونس والجزائر خاصة وأن هذه الدول الثلاث تشترك في نفس الحوض المائي الجوفي، وكذا التطرق إلى مشكلات استغلالها، وفرص الاستفادة التنموية منها بما يعود عليهم بالنفع، خاصة وأن هذه الدول تعاني من الجفاف في السنوات الأخيرة ومن مشكلة الأمن المائي والغذائي معا.

## إشكالية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في الإجابة عن الإشكالية التالية: فيما تكمن مشكلات استغلال المياه الجوفية الواقعة شمال إفريقيا بين ليبيا وتونس والجزائر خاصة تلك الواقعة بين الحدود وكيف بالإمكان الاستفادة منها؟

**عناصر البحث:** سيتم خلال هذا البحث معالجة موضوع: "جغرافية المياه الجوفية في شمال غرب الصحراء الكبرى (الجزائر - تونس - ليبيا) ومشكلات الاستغلال" وذلك بالاعتماد على المحاور التالية:

**الأول-** واقع تواجد المياه الجوفية المشتركة الواقعة شمال غرب الصحراء الكبرى (ليبيا، تونس، الجزائر).

**الثاني -** مشكلات استغلال المياه الجوفية المشتركة.

**الثالث -** سبل الاستغلال وفرص الاستفادة التنموية.

## المحور الأول: واقع تواجد المياه الجوفية المشتركة الواقعة شمال غرب الصحراء الكبرى (ليبيا، تونس، الجزائر):

بداية وجب التطرق إلى معنى المياه الجوفية، والتي تعني تلك المياه التي تأتي من تسرب من سطح الأرض عبر القشرة الأرضية لتكوّن المياه الجوفية، وهناك أنواع لهذه المياه الجوفية فقد تكون حرة وقد تتكون من مياه التسرب أو قد تكون محبوسة، وفي هذه الحالة تفصلها عن سطح الأرض قشرة الصخور الأساسية وتكون هذه المياه عميقة جدا، كما أن لهذه المياه الجوفية حالة خاصة والتي تتكون تحت سطح المياه الجارية فتكون مرتبطة مباشرة بهذه المياه وتتبعها في التركيب والمعنويات، وتتأثر محتويات هذه المياه بنوعية التربة والقشرة الأرضية التي تقطعها أثناء التسرب أو أثناء النبع، فالمعروف عن هذه المياه أنها صافية على عكس المياه السطحية، وتمثل عكازتها أدنى حد ممكن كما تمتاز كذلك بعدم احتوائها على غازات مثل الأوكسجين ولها تركيب كيميائي ثابت، حيث تستجيب هذه المياه طبيعيا لخصائص ومواصفات مياه الشرب اليومية، كون أن هذه المياه الجوفية أنقى وأعذب من المياه السطحية<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى المياه الجوفية الواقعة شمال غرب الصحراء الكبرى، نجد أن هذه المنطقة من الصحراء الممتدة بين الجزائر وتونس وليبيا تضم أكبر خزان للمياه الجوفية في العالم، حيث تعادل مساحته ضعف مساحة فرنسا<sup>2</sup>، وتعتبر مصدر مياه غير متجددة، إذ أن معظم المنطقة لا يوجد بها ترسيب تقريبا ولا يوجد خلط كبير بين المياه السطحية والجوفية<sup>3</sup>، ويعد هذا الخزان المائي الذي يمتد بين الدول الثلاث بشكل متواصل، غير منفصل من الأطلس الصحراوي شمالا إلى منطقة الطاسيلي<sup>4</sup>، وتمتد على أكثر من مليون كيلومتر مربع في بيئة صحراوية قاحلة<sup>5</sup>، منها 700.000 كم<sup>2</sup> في الجزائر و80.000 كم<sup>2</sup> في تونس و250.000 كم في ليبيا، ويشمل اثنتين من طبقات المياه الجوفية الرئيسية في المنطقة: حوض المتداخل القاري وحوض المركب النهائي، وقد عملت البلدان الثلاثة التي تشترك في هذا الحوض بتعاون مشترك لتقييم مواردها المائية والسماح بإدارتها واستغلالها بشكل فعال ومستدام، مما أدى خلال سنة 2002 إلى توقيع الدول الثلاثة اتفاقا رسميا كان أحد أهدافه الرئيسية تنفيذ آلية تشاور دائمة لتشجيع الإدارة المتجانسة لهذا المورد المشترك<sup>6</sup>، حيث وقعت الاتفاقية وفق اتفاقيات دولية، كما أن ملف الاستغلال المشترك يوجد على مستوى جميع هيئات الأمم المتحدة التي صادقت عليها، ويقضي الاتفاق بين الجزائر وتونس وليبيا بتقاسم المياه الجوفية لتكون حصة الجزائر بنحو 600 مليون متر مكعب فيما تحصل تونس على 500 مليون متر مكعب وليبيا 350 مليون متر مكعب، وذلك وفق توزيع هذه المياه في باطن الأرض<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> بيان محمد الكايد، النظام المائي: المصادر، المقاييس، المعالجة، (عمان: دار الراجحة للنشر والتوزيع، 2013)، ص. 59.

<sup>2</sup> "لحماية خزان المياه الجوفية: لجنة أممية تدعو تونس والجزائر وليبيا إلى تنسيق استراتيجي"، 30 سبتمبر 2020، تاريخ الاطلاع: (2022/12/21)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3ZPy6dc>

<sup>4</sup> لحماية خزان المياه الجوفية: لجنة أممية تدعو تونس والجزائر وليبيا إلى تنسيق استراتيجي، مرجع سابق.

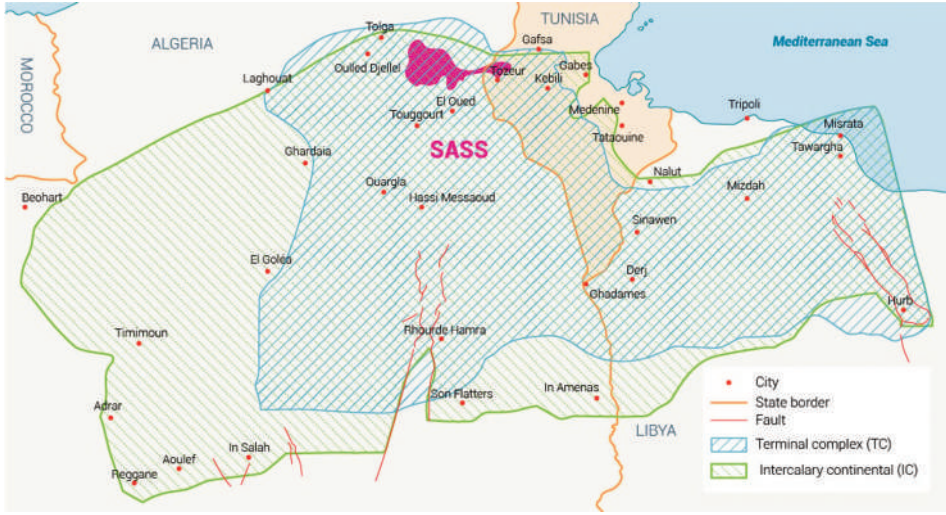
<sup>5</sup> "تدابير عاجلة لحماية المياه الجوفية بين ليبيا وتونس والجزائر تدعو لها الأمم المتحدة"، 05 أكتوبر 2020، تاريخ الاطلاع: (2022/12/21)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3J212sz>

<sup>6</sup> "الموارد المائية المشتركة في تونس"، 04 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: (2022/12/25)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3XrY0LJ>

<sup>7</sup> مراد محامد، "السلطة الانتقالية في ليبيا تريد مفاوضة الجزائر حول ملف المياه الجوفية"، 16 ديسمبر 2011، تاريخ الاطلاع: (2023/01/24)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3XAF5VK>

وتحتوي المياه الأحفورية لطبقة المياه الجوفية العميقة، والمعروفة باسم (نظام طبقات المياه الجوفية في شمال غرب الصحراء الكبرى)، على طبقتين رئيسيتين من طبقات المياه الجوفية العميقة: حوض المتداخل القاري وحوض المركب النهائي<sup>8</sup>، وهو ما تبينه الخريطة رقم (01).

الخريطة رقم (01): الحدود الطبيعية لحوض المياه الجوفية المشتركة شمال غرب الصحراء الكبرى (ليبيا، تونس، الجزائر)



تحتوي طبقة المياه الجوفية في الحوض المشترك بين الجزائر، تونس وليبيا على احتياطي مياه يقدر بحسب الدراسات الحديثة بـ 40.000 مليار متر مكعب، وهي مياه توجد في طبقة عميقة من الأرض يتم استغلالها حاليا منذ عام 1991 من قبل ليبيا، ففي سنة 1984 كانت الدولة قد أطلقت مشروعا طموحا لبناء نهر صناعي كبير لنقل المياه من هذا الرواسب إلى المناطق الشمالية<sup>10</sup>، وتجدر الإشارة إلى أن المياه الجوفية شمال غرب الصحراء الكبرى هي إلى حد كبير غير متجددة، ويزداد الطلب على المياه من الخزان الجوفي المشترك لأغراض الشرب والري على وجه الخصوص، بالإضافة إلى الانخفاض التدريجي في منسوب المياه الجوفية مع النضوب، هناك مخاطر مرتبطة بكمية المياه الجوفية وجودتها بسبب أوجه القصور في إدارة مياه الصرف الصحي ومياه تصريف الري وكذلك التنقيب عن النفط والغاز بالمنطقة<sup>11</sup>.

<sup>8</sup> "الموارد المائية المشتركة في ليبيا"، 19 أوت 2020، تاريخ الاطلاع: (2023/01/23)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3H7Xpyr>

<sup>9</sup> "الموارد المائية المشتركة في تونس"، 04 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: (2022/12/25)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3XrY0LJ>

<sup>3</sup> Alan Fox, "Evaluating international support for Transboundary aquifer management programmes", in: Evaluating Environment in International Development, (Edited: Juha I. Uitto), (New York: Routledge, Second edition, 2021), p. 270.

<sup>10</sup> Sofiane M, "40.000 milliards de m3 de réserves en eau dans le Sahara", 30 janvier 2006, Le Quotidien d'Oran, (28/01/2023), see: <https://bit.ly/3DGKBhO>

<sup>11</sup> "Assessment launched to reinforce cooperation between Algeria, Libya and Tunisia in managing shared groundwater resources", 19 July 2017, (28/01/2023), United Nations Economic Commission for Europe, see the link: <https://bit.ly/3Y7sYje>

## المحور الثاني: مشكلات استغلال المياه الجوفية المشتركة:

على مدى العقود الخمسة الماضية، تم استخراج ما بين 0.6 إلى 2.5 مليار متر مكعب من مياه طبقات المياه الجوفية في شمال غرب الصحراء الكبرى سنويا، وقد أدى ارتفاع معدل السحب إلى فقدان الحالة الارتوازية والتملح وتجفيف المنافذ وتزايد الصراعات بين الدول الثلاث<sup>12</sup>، ويمتلك الحوضين (حوض المركب النهائي وحوض المتداخل القاري) الذين يشملهما الحوض المشترك من المياه الجوفية كما هو مبين في الخريطة رقم (01)، قدرة إنتاج تبلغ 5 مليار متر مكعب في السنة، إلا أنه يتم استغلال 1.7 مليار متر مكعب في السنة منهما فقط<sup>13</sup> في الوقت الراهن.

لقد ظل ملف المياه الجوفية المشتركة بين الدول المغاربية الثلاث جاثما على الصراع بين دول المغرب الكبير طيلة السنوات الماضية، وكاد أن يأخذ أبعادا أخرى وحتى الاستنجد بالقضاء الدولي، خاصة بعد أن قرر نظام معمر القذافي حفر عدد كبير من الآبار الارتوازية لضخ المياه الجوفية الموجودة على الحدود المشتركة بين الدول الثلاث ونقلها عبر خطوط الأنابيب من واحات غدامس بالجنوب الغربي نحو الجماهيرية الليبية، وقد رفضت الجزائر هذا الأمر باعتبار أنها تملك أكبر مساحة توجد بها هذه المياه باحتياطي قدر بـ 40.000 مليار متر مكعب، إذ تهدف الجزائر إلى الحفاظ على المخزون المائي الجوفي، خوفا من ضياعه نهائيا وعدم تجددده، وتشير الدراسة التقنية الأولية التي أنجزتها اللجان المشتركة للدول الثلاثة إلى أن مياه الحوض الجوفي المشترك يمكن أن تنفذ في مدة لا تتجاوز 50 سنة، في حال واصلت ليبيا ضخها للمياه، إذ تريد الجزائر التي تعرف في كثير من الأوقات عجزا في التزود بالمياه بسبب التقلبات الجوية ضمان أمنها المائي، وهو ما يجعلها تتمسك بمبدأ الحفاظ على الثروة المائية المخزنة باطن الأرض، علما أن الجزائر قد انتهت من مشروع ضخيم يتمثل في نقل المياه من مدينة "عين صالح" إلى مدينة "تمنراست" وهو المشروع الذي دشنته رئيس الجمهورية الجزائري السابق "عبد العزيز بوتفليقة" خلال سنة 2011<sup>14</sup>، وتجدر الإشارة إلى أن النهر الصناعي الليبي حسب عضو اللجنة الإدارية بجهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي "عبد الله بن إدريس" قد صمم لضخ 6.4 مليون متر مكعب يوميا، وهذه الكميات خصص منها في الأساس 70% لاستهلاك الزراعة، و28% للاستهلاك الحضري، و2% للاستهلاك الصناعي<sup>15</sup>، ويتألف النهر الصناعي الذي تم تأسيسه سنة 1983 بهدف نقل المياه الجوفية من الجنوب الليبي إلى الساحل، نحو 3500 كم من الأنابيب تصل مياهه إلى ثلثي المدن الليبية<sup>16</sup>، ويبدو مما سبق أن هناك إدارة غير منسقة حسب تقرير لمنظمة مرصد الصحراء والساحل "OSS() Sahara and Sahel Observatory بين الدول الثلاث المشتركة في حوض المياه الجوفية<sup>17</sup>.

<sup>12</sup> الموارد المائية المشتركة في ليبيا، مرجع سابق.

<sup>13</sup> "الموارد المائية المشتركة في الجزائر"، 30 جويلية 2019، تاريخ الاطلاع: (2023/01/23)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3H8PnWj>

<sup>14</sup> مراد محامد، مرجع سابق.

<sup>15</sup> محمد إبراهيم، "ليبيا تمتلك مخزونا من المياه الجوفية يكفي 4 آلاف و800 سنة تقريبا"، 10 سبتمبر 2022، تاريخ الاطلاع: (2023/01/24)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3iZln75>

<sup>16</sup> محمد المجبري وآخرون، إمدادات المياه في ليبيا تقرب من مستوى الانهيار، دعوة إلى التحرك، مؤسسة فريدريش إيبيرت شتيفتونغ، ألمانيا، مارس 2022، ص. 4.

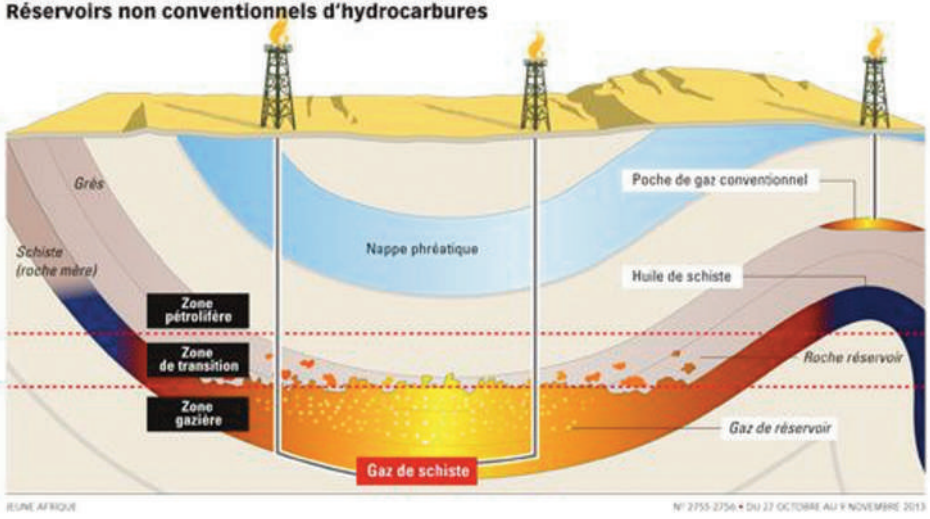
<sup>17</sup> "الإدارة المنسقة للخرانات المائية المشتركة بالأحواض الكبرى: المنظومة المائية لحوض الصحراء الشمالية"، مرصد الصحراء والساحل، إدارة الندرة المائية في منطقتي الشرق الأوسط وإفريقيا الشمالية، 18 و19 فيفري 2004، إيفادر، روما، إيطاليا، ص. 4.

ويعد موقع الحوض المشترك بين كل من الجزائر، تونس وليبيا كواحة صحراوية تحتوي على طبقة مياه جوفية حساسة، وذلك لأنها تتداخل مع أربعة حقول غاز صخري مكثفة<sup>18</sup>، فمن بين أحد المشاكل التي تُورق استغلال المياه الجوفية؛ مشكلة محاولات استخراج الغاز الصخري من الطبقات الجوفية، إذ يعتبر الغاز الصخري أو غاز "الشيست"، غازا عاديا مثله مثل الغاز الذي يتم استخراجها بالطرق التقليدية، إلا أنه وبدلا من أن نجده في جيوب أو فراغات جيولوجية كبيرة وواسعة، يكفي الحفر العمودي التقليدي لاستخراج محتوياتها الكربوهيدراتية، أي يتواجد في المسامات الصغيرة لطبقة من الصخور التي توجد على عمق حوالي 3000 متر (3 كيلومتر) من سطح الأرض، وهذه الصخور إضافة لاحتوائها على الغاز فإنها كذلك قد تحتوي على البترول، ومن ثم فإن الإشكال الكبير مع هذه المحروقات المتواجدة في مسامات صخور "الشيست"، هو طريقة استخراجها الغير التقليدية، فبدل الاكتفاء بالحفر العمودي والاستخراج العادي والتقليدي، يجب أن يكون هناك حفر أفقي من خلالها لعدة كيلومترات، وبعد ذلك يتم ضخ كميات هائلة من الماء والمواد الكيميائية المختلفة، منها العادية والطبيعية ومنها السامة والمسببة للسرطان، وذلك من أجل خلق الظروف الفيزيائية والكيميائية الضرورية لتكسير وتفجير الصخور إلى حدود التفتيت، حتى يتحرر الغاز أو المحروقات التي بداخلها، وهذا ما يسمى بالتكسير الهيدروليكي، الذي قد يتسبب أيضا في اختلال التوازن الجيولوجي لمختلف طبقات قشرة الأرض ويسبب بذلك هزات أرضية، فبجانب كل بئر للغاز الصخري يجب حفر آبار للمياه الجوفية لاستعمال مائها في تكسير الصخور بعد إضافة المواد الكيميائية والتي منها المشعة والمسرطنة، ومن أجل إنتاج 1 مليار متر مكعب من الغاز يجب حفر 600 بئر للغاز، واستعمال 1 مليون متر مكعب من الماء وبالضرورة حفر ما يقابلها من آبار الماء بجانب آبار الغاز، أي تكون تقنية التكسير الهيدروليكي عشوائية، ولا يمكن لأحد أن يتحكم فيها في الوقت الحالي، وما دامت طبقة الصخور المستهدفة متواجدة تحت خزان المياه الجوفية أو قريبة منه، فإن أي تكسير قد يصل ماؤه الملوث بالمواد الخطيرة المذكورة سابقا عبر الشقوق إلى الطبقات المجاورة فيلوث المياه الجوفية، كما يمكن للغاز وبقية المحروقات كالبترول النفاذ إلى هذه المياه النقية فيلوثها لتصبح غير قابلة للاستعمال والاستغلال الفلاحي، خاصة وأن الصحراء هي خزائن الخيرات الحالية والمستقبلية لفترة ما بعد المحروقات خاصة في ليبيا والجزائر<sup>19</sup>.

<sup>18</sup> Alexander Reid Ross, "Algeria: fracking and the Ain Salah uprising", 14 March 2015, ecologist, (22/01/2023), see the link: <https://bit.ly/3D6Mrbl>

<sup>19</sup> "هذه هي مخاطر استخراج الغاز الصخري"، 9 مارس 2015، تاريخ الاطلاع: (2023/01/22)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3J1pWbM>



الشكل رقم (01)<sup>20</sup>: طبقة المياه الجوفية العابرة للصحراء وموقع الغاز الصخري منها

إن الغاز الصخري في منطقة شمال غرب الصحراء الكبرى محتجز في طبقات صخرية عميقة جدا، أي أنها أعمق من طبقة المياه الجوفية مقارنة بالغاز الطبيعي والبتترول التي تكون قريبة منها وتشكل آبارها خطرا أكبر<sup>21</sup>، ففي الوقت الحالي تستخدم تقنيات متعددة لاستخراجه، منها تقنية تحطيم الحجارة بواسطة الماء القوي المضغوط، وتسمى هذه الطريقة بالطريقة الهيدروليكية، حيث يعمل الماء على إحداث شقوق بالحجارة من أجل استخراجه، وبعد الوصول للصخور في الحفر العادي الطولي، يبدأ الحفر الأفقي لمسافة لا تقل عن 3000 متر أفقيا من أجل ملامسة أكبر لسطح الصخور وحفر آبار كثيرة لاستخراجه في الحقل الواحد، عندها يبدأ الرمل والماء المضغوط وبعض المواد الكيميائية من أجل عمل شقوق كبيرة وكثيرة حتى تساعد على استخراج الغاز من تلك الحجارة والصخور<sup>22</sup>، وهذا الأمر كله يتم عبر العبور على طبقة المياه الجوفية الموجودة في الطبقة الأعلى.

إن عددا من حقول الوقود الصخري في الصحراء الجزائرية تنام على طبقات المياه الجوفية، إذ أعلنت الوكالة الدولية للطاقة في سنة 2011 عن وجود كميات في حدود 6440 مليار متر مكعب من الغاز الصخري في الجزائر، ومع صعود الغاز والسوائل المستعملة لتكسير الصخور من المرجح جدا أن يصل كل هذا إلى المياه الجوفية ويختلط بها، ما يجعلها غير صالحة للاستهلاك، ونظرا لوجود

<sup>20</sup> Karim Tedjani, La Nappe de L'albien (Aquifère continental intercalaire du Sahara), 18 Janvier 2015, le portail Over blog, (21/01/2023), voir: <https://bit.ly/3kxgDGI>

<sup>21</sup> سفيان خوجة وفايزة مدافر، "استغلال الغاز الصخري بين الدواعي الاقتصادية والمستلزمات البيئية"، مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، م. 35، ع. 2، (جوان 2021)، ص. 137.

<sup>22</sup> سفيان خوجة وفايزة مدافر، مرجع سابق، ص. 125.



أحواض مائية جوفية مشتركة بين الجزائر وليبيا وتونس، فإن تلوث طبقات المياه الجوفية يمكن أن يمتد إلى تلك البلدان المجاورة، وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر تمتلك مصادر مياه جوفية تقدر بـ 4.000 مليار متر مكعب، ويتم حالياً استخراج 1.7 مليار متر مكعب من المياه الجوفية سنوياً<sup>23</sup>.

ومن ثم فإن مشكلات استغلال المياه الجوفية تكمن في وجود آثار بيئية لاستغلال الغاز الصخري، وذلك من خلال تلويث المياه التي تحدث في حالة وجود خلل في عزل المياه عن البئر (العزل يتم بعدة أنابيب فولاذية واسمنت)<sup>24</sup>، أو في حالة الشقوق المُحدثة في الصخور أثناء عملية التكسير الهيدروليكي أو الجاف ووصولها إلى غاية المادة المائية<sup>25</sup>، حيث أن عملية الحفر والتكسير تتطلب الجمع بين تقنيتي الحفر الأفقي والتصدع المائي، أي يتم ضخ الكثير من المياه المضغوطة المخلوطة بمواد كيميائية لإحداث الصدوع والتشققات التي تمكّن الغاز من التدفق، فضخ المياه بكميات كبيرة والتي تكون مشبعة بالمواد الكيميائية يشكل خطورة على الطبقة الجوفية للمياه بتلويثها، عبر إمكانية انسكابها أثناء النقل أو التخزين أو المعالجة أو بتسربها أثناء الضخ والذي يؤثر على التربة<sup>26</sup> ومصادر المياه الجوفية، يضاف إلى ذلك أن استخدام المياه الممزوجة بالكيمائيات في عمليات الحفر ينتج عنه مياه صرف صناعي ملوثة بكيمائيات مذابة فيها، ما يجعل تلك المياه غير قابلة لإعادة تدويرها مرة أخرى قبل معالجتها، الأمر الذي يترتب عليه ارتفاع فاتورة التكاليف<sup>27</sup>.

<sup>23</sup> رفيقة معريش، "يفعل المنطقة المشتركة بين البلدان الثلاثة: الغاز الصخري بالجزائر يهدد المياه الجوفية لتونس وليبيا"، 9 أكتوبر 2017، تاريخ الاطلاع: (2023/01/22)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3WJM2CZ>

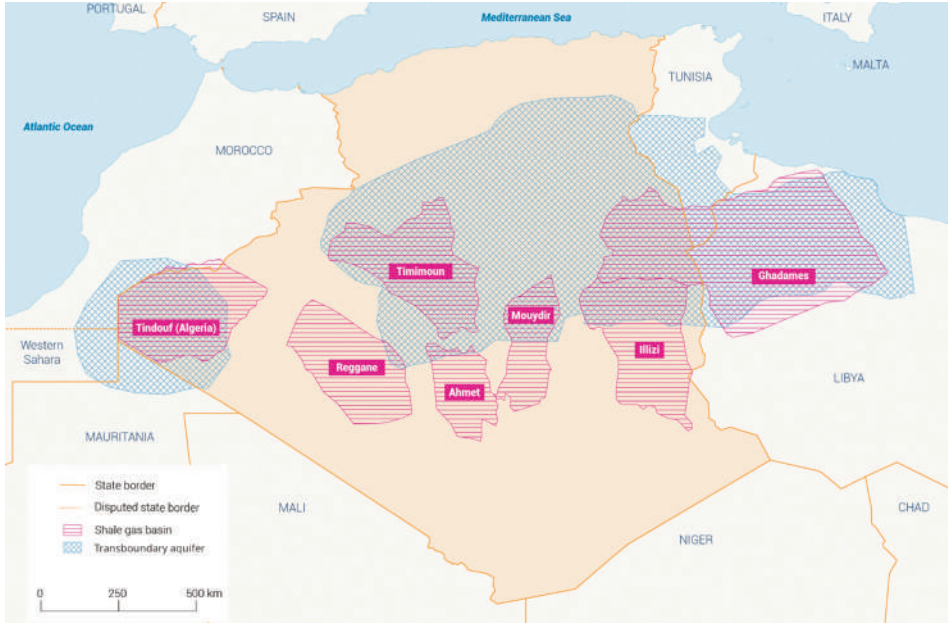
<sup>24</sup> نبيل بن مرزوق والصادق زوين وصالح سراي، "الاستثمار في الغاز الصخري في الجزائر بين المنافع الاقتصادية والأضرار البيئية"، مجلة الاقتصاد الدولي والعولمة، م. 3، ع. 4، (2020)، ص. 79.

<sup>25</sup> اسمهان خاطر وطارق خاطر، "الغاز الصخري في الجزائر بين المنافع والأضرار"، مجلة دراسات وأبحاث اقتصادية في الطاقات المتجددة، م. 3، ع. 1، (جوان 2016)، ص. 130.

<sup>26</sup> ليلي مداني، "الغاز الصخري: مقارنة مقارنة بين جدوى الاستثمار وتحديات الاستدامة البيئية"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م. 13، ع. 2، (2021)، ص ص. 48-49.

<sup>27</sup> نسيم سابق، "الأمن الطاقوي في الجزائر: ثنائية الغاز الصخري والهواجس البيئية"، مجلة دراسات وأبحاث، م. 12، ع. 4، (أكتوبر 2020)، ص. 861.

## خريطة رقم (02)<sup>28</sup>: أماكن تواجد الغاز الصخري وطبقة المياه الجوفية المشتركة العابرة للحدود



كما أن الاستغلال المفرط للمياه الجوفية قد خلق ظاهرة التشقق الأرضي، فمن نتائج الهبوط المفرط في مناسيب الخزانات الجوفية حدوث ما يعرف بالتشقق أو التصدع لسطح الأرض، وهو ما يؤثر على القشرة الأرضية ويكون له خطر كبير على المناطق التي بها إنشاءات مدنية من طرق وأنابيب<sup>29</sup> وغيرها كما هو موضح في الشكل رقم (02)، الذي يبين أحد المشاريع الليبية في سحب المياه الجوفية بشكل مفرط مما أدى إلى تلك التشققات الأرضية، كما تتم عمليات السحب بشكل عشوائي من طرف المواطنين الذي يحفرون آبارا للمياه الجوفية أي يتم استهلاكها بشكل منفرد، حيث شكل اعتماد العديد من الأسر الليبية على المياه الجوفية من خلال المياه الجوفية الضحلة خطرا كبيرا على الأمن المائي، إذ أدى الاستهلاك المفرط للمياه الجوفية الذي وصل إلى حالة التبذير في المناطق الساحلية وهي مناطق تقع فوق الحوض المشترك بين الدول الثلاث، إلى خفض مستويات المياه الجوفية بشكل كبير على جودة الغطاء النباتي والإنتاج الزراعي، إذ أصبح الوصول إلى المياه العذبة أكثر تكلفة وصعوبة، إضافة إلى زيادة نسبة الملوحة في التربة، ما يجعلها أقل قابلية للزراعة، فعندما تنخفض المياه الجوفية إلى دون مستوى معين، تتسلل مياه البحر إلى طبقات المياه الجوفية العذبة، ما يتسبب في زيادة ملوحة المياه الجوفية في المناطق الساحلية<sup>30</sup>، ونتيجة لذلك أدى خروج المياه الجوفية عن حدود المواصفات القياسية الليبية لمياه الشرب في معظم سهل الجفارة إلى ارتفاع تركيز الأملاح الذائبة

<sup>28</sup> Walid Moulahoum, "Algeria's Groundwater Resources: A Victim to the Exploitation of Unconventional Energy Resources", 11 December 11 2022, (24/01/2023), see the link: <https://bit.ly/3kGpT11>

<sup>29</sup> الوضع المائي بالجمهورية العظمى، (طرابلس: الهيئة العامة للمياه، اللجنة الشعبية العامة للزراعة والثروة الحيوانية والمائية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ديسمبر 2006)، ص. 62.

<sup>30</sup> محمد المجبري وآخرون، مرجع سابق، ص. 6.

الكلية<sup>31</sup> التي فاقت الحد الأقصى المسموح به (ppm1000)، وهو ما يؤدي إلى الحد من إمكانية استغلال هذه المياه في الكثير من أوجه الحياة مثل الزراعة والصناعة<sup>32</sup>.

### الشكل رقم (02):<sup>33</sup>

#### التشققات الأرضية الناتجة عن الاستغلال المفرط والعشوائيات للمياه الجوفية (مشروع السرير الإنتاجي بليبيا الموجود بأحد الأحواض الجوفية)



إن الضخ (السحب) الزائد للمياه الجوفية أكثر من الكمية التي تهطل خلال فصل الشتاء يؤدي إلى زيادة ملوحة المياه وعدم صلاحيتها للاستعمال<sup>34</sup>، وتشير عمليات سحب المياه السنوية في الفترة ما بين (1972 - 2017) إلى أن معدلات السحب تزيد عن 100% في ليبيا، وهذا يعني أنها إما تستخرج بشكل غير مستدام من مصادر طبقات المياه الجوفية الحالية، أو أنها تنتج حصة كبيرة من المياه من محطات تحلية المياه، وهو ما يؤدي إلى مستويات عالية جدا من الإجهاد المائي، وفي هذا الإطار يصنف معهد الموارد العالمية الإجهاد المائي أنه يكون بالطرق التالية: إذا كانت عمليات السحب أقل من 10% من الموارد، فإن البلد يعاني من إجهاد مائي منخفض، وإذا كان ما بين 10% - 20% هو الإجهاد المنخفض إلى المتوسط، وما بين 20% - 40% فهي متوسطة إلى عالية؛ ومن 40% - 80% هو من الإجهاد العالي، وأكثر من 80% هو الإجهاد العالي جدا، وفيما يلي رسم بياني يبين كميات السحب للمياه الجوفية لكل من ليبيا والجزائر وتونس:

<sup>31</sup> إبراهيم مصباح الريتمي، "الخصائص المكانية للطبقات المائية بمنطقة سهل الجفارة"، مجلة القرطاس، ع. 6، (نوفمبر 2019)، ص. 191.  
<sup>32</sup> الهادي أحمد عبد الله الشكل، "دراسة ظاهرة تداخل مياه البحر في المياه الجوفية بمنطقة شمال غرب حوض سهل الجفارة الجوفي بليبيا"، المجلة الدولية للعلوم والتقنية، ع. 12، (ديسمبر 2017)، ص. 88 - 89.

<sup>33</sup> الوضع المائي بالجمهورية العظمى، (طرابلس: الهيئة العامة للمياه، اللجنة الشعبية العامة للزراعة والثروة الحيوانية والمائية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ديسمبر 2006)، ص. 62.

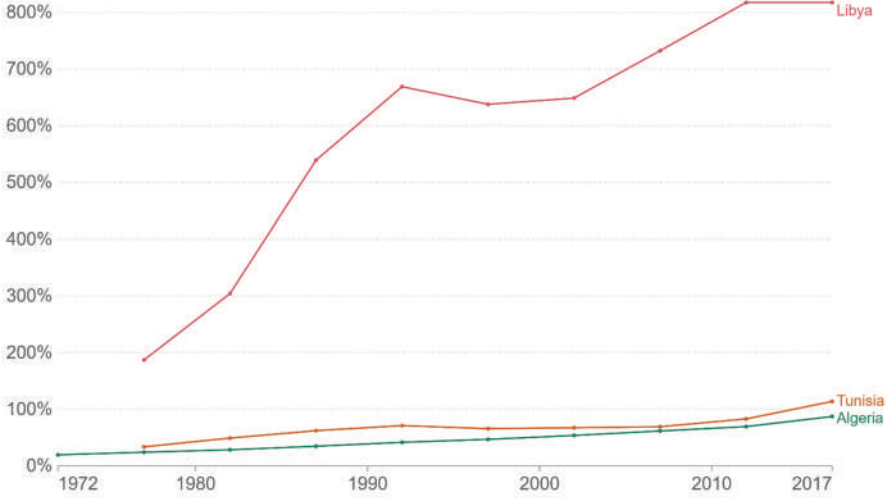
<sup>34</sup> بيان محمد الكايد، مرجع سابق، ص. 76.

الشكل (03):<sup>35</sup>

## عمليات سحب المياه الجوفية لكل من ليبيا، الجزائر وتونس في الفترة (1972 - 2017)

## Freshwater withdrawals as a share of internal resources, 1972 to 2017

Annual freshwater withdrawals refer to total water withdrawals from agriculture, industry and municipal/domestic uses. Withdrawals can exceed 100% of total renewable resources where extraction from nonrenewable aquifers or desalination plants is considerable.



Source: Food and Agriculture Organization of the United Nations

OurWorldInData.org/water-use-stress • CC BY

ويمكن توضيح الشكل رقم (03) أعلاه الخاص بكميات السحب الخاصة بالمياه لكل من ليبيا، الجزائر وتونس خلال الفترة (1972 - 2017) وفق الإحصائيات الموجودة في الجداول التالية المنقولة من نفس المصدر:

## 1 - بالنسبة للجزائر:

السنة	1972	1977	1982	1987	1992	1997	2002	2007	2012	2017
نسبة السحب السنوية للمياه من الموارد الداخلية	19.55%	24%	28.44%	34.66%	41.55%	46.87%	53.72%	61.57%	69.33%	87.12%

<sup>35</sup> Hannah Ritchie and Max Roser, "Water Use and Stress", What share of freshwater resources do we use? Freshwater withdrawals as a share of internal resources, 1977 to 2017, Our World in Data, (28/01/2023), see: <https://bit.ly/3DA76F9>

## 2 - بالنسبة لتونس:

السنة	1972	1977	1982	1987	1992	1997	2002	2007	2012	2017
نسبة السحب السنوية للمياه من الموارد الداخلية	-	%33.42	%49.10	%62.21	%71.03	%65.79	%67.31	%69.10	%82.84	%113.65

## 3- بالنسبة لليبيا:

السنة	1972	1977	1982	1987	1992	1997	2002	2007	2012	2017
نسبة السحب السنوية للمياه من الموارد الداخلية	%186.85	%304	%49.10	%539	%668.57	%637.54	%648.48	%732.09	%817.14	%817.14

ومن المشاكل التي أصبحت تؤثر على عملية استخراج واستغلال المياه الجوفية في ليبيا، والتي أدت إلى انخفاض إمدادات المياه في غرب ليبيا من 1.2 مليون متر مكعب في اليوم إلى نحو 800 ألف متر مكعب، هو عامل التخريب وعدم الصيانة، حيث تعرضت شبكة خطوط أنابيب النهر الصناعي للعديد من الهجمات والتخريب المتعمد منذ سنة 2011 الذي تسبب في عدم قدرته على العمل بكامل طاقته بسبب انقطاع خطوط الأنابيب أو إغلاقها، وفي هذا الإطار صرح "صلاح السعدي" المتحدث باسم مشروع النهر الصناعي في شهر جويلية 2021 بأن: "الهجمات المستمرة على أصول المشروع قد تتسبب في إيقاف العمليات وتدفق المياه، وهو وضع قد تكون له آثار كارثية على الأمن المائي في ليبيا"<sup>36</sup>.

وفي تونس أهم مشكل تعاني منه طبقة المياه الجوفية، هو ارتفاع ملوحة المياه الجوفية، حيث تم تحديد أن ملوحة تلك المياه هي إحدى المتسببين الرئيسيين في تدهور الموارد المائية في تونس، ومن المتوقع أن يتفاقم هذا بسبب الاستخدام المكثف والاستغلال المفرط للمياه الجوفية الضحلة والعميقة معا، وتتجاوز ملوحة العديد من طبقات المياه الجوفية الضحلة، والتي تشكل 60% من إجمالي موارد المياه الجوفية ما مقداره 3 غرام في اللتر الواحد، كما تتراوح ملوحة حوالي ثلث (32%) من طبقات المياه الجوفية الضحلة ما بين 1.5 إلى 3 غرام في اللتر، وبالتالي، فإن ما نسبته 8% فقط من الموارد ذات نوعية جيدة بملوحة أقل من 1.5 غرام في اللتر، وفيما يتعلق بطبقات المياه الجوفية العميقة، فإن ما نسبته حوالي 57% تتراوح ملوحتها بين 1.5 إلى 3 غرام في اللتر، في حين أن حوالي 23% نسبة ملوحتها أعلى من 3 غرام في اللتر، وحوالي 20% تبلغ ملوحتها أقل من 1.5 غرام في اللتر، وتجدر

<sup>36</sup> محمد المجبري وآخرون، مرجع سابق، ص. 5.

الإشارة إلى أن مراقبة جودة المياه الجوفية في تونس تتم مرتين في السنة من قبل الإدارة العامة للموارد المائية بأكثر من 1214 نقطة: 736 بئرا في طبقات المياه الجوفية الضحلة و478 بئرا في طبقات المياه الجوفية العميقة<sup>37</sup>.

**الجدول رقم (01)38: ملوحة المياه الجوفية في تونس بالنسبة إلى إجمالي موارد المياه (مليون متر مكعب)**

الملوحة	< 1.5 غرام لكل لتر	> 1.5 إلى < 3 غرام لكل لتر	> 3 غرام لكل لتر	الإجمالي (مليون متر مكعب)
المياه السطحية	1.944 (72%)	594 (22%)	162 (6%)	2.700
المياه الجوفية - طبقات المياه الجوفية الضحلة	58 (8%)	230 (32%)	431 (60%)	719
المياه الجوفية - طبقات المياه الجوفية العميقة	283 (20%)	808 (57%)	326 (23%)	1.417

لقد كان للاستغلال المفرط لموارد المياه الجوفية في تونس تأثير سلبي على البيئة المحيطة من حيث انخفاض كمية المياه الجوفية وجودتها، وتسرب مياه البحر في طبقات المياه الجوفية، فقد ارتفع مؤشر الموارد المائية القابلة للاستغلال، والذي يقيس عمليات سحب موارد المياه العذبة التقليدية (المياه السطحية والجوفية) بالنسبة إلى إجمالي الموارد المتجددة، من 14% في عام 2014 إلى 19% في عام 2015 و33% في عام 2016، كما أن حوالي 47% من هذه الموارد تعتبر غير قابلة للتجديد<sup>39</sup>.

### المحور الثالث: سبل الاستغلال وفرص الاستفادة التنموية:

يعود التعاون في إدارة طبقات المياه الجوفية المشتركة بين ليبيا وتونس والجزائر إلى سبعينيات القرن العشرين على شكل اجتماعات دورية للجان ثنائية وثلاثية الأطراف، مخصصة لمناقشة وتبادل المعلومات حول حالة الخزانات المشتركة للمياه الجوفية، وقد تم تنفيذ المشروع الدراسي لنظام طبقات المياه الجوفية المشتركة شمال غرب الصحراء الكبرى على مرحلتين وهما<sup>40</sup>:

أ - مشروع نظام المياه الجوفية شمال الصحراء: وهو المرحلة الأولى؛ وقد بدأ المشروع المعروف باسم "نظام مستودعات المياه الجوفية بشمال الصحراء" (Système Aquifère) du Sahara Septentrional في شهر جويلية 1999، وتم تمويله في البداية من قبل الصندوق الدولي للتنمية الزراعية، وقد حددت المعلومات التقنية للحوض وأنشأت

<sup>37</sup> "جودة المياه في تونس"، 4 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: (2023/01/30)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3x3n1Im>

<sup>38</sup> جودة المياه في تونس"، 4 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: (2023/01/30)، نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3x3n1Im>

<sup>39</sup> جودة المياه في تونس، مرجع سابق.

<sup>40</sup> Omar Salem, "Transboundary aquifer resources management General overview and objectives of the Conference", Third International Conference on Managing Shared Aquifer Resources in African Tripoli, liby, 25-27 May 2008, p p. 41 - 42.

قاعدة بيانات خاضعة للرقابة من خلال نظام المعلومات الجغرافية، كما تم تطوير نموذج رياضي لمحاكاة استجابة الخزان الجوفي لمخططات التنمية المقترحة لاستخدامه أيضا كأداة إدارة مستقبلية للحوض في نهاية المرحلة الأولى، وبمساعدة منظمة الأغذية والزراعة، حيث تمت الموافقة على اتفاقية لإنشاء آلية استشارية في عام 2002<sup>41</sup>، وفي شهر أفريل 2005 قررت كل الجزائر، تونس وليبيا إنشاء وتشكيل آلية إدارة منسقة لموارد المياه العميقة في إطار مشروع من قبل مرصد الصحراء والساحل (Sahara and Sahel Observatory) وهي منظمة دولية تعمل في سياق مكافحة التصحر والفقر في إفريقيا<sup>42</sup> الكائن مقرها في تونس وبدعم مالي من الدول الأعضاء للقيام بالوظائف التالية<sup>43</sup>:

- إدارة الأدوات التي تم تطويرها في إطار مشروع "نظام مستودعات المياه الجوفية بشمال الصحراء" (SASS) التي هي عبارة عن قاعدة للبيانات الهيدروجيولوجية ونموذجاً للمحاكاة.
- التطوير والمتابعة.
- الوصول إلى شبكة مراقبة مرجعية.
- معالجة وتحليل والتحقق من صحة البيانات المتعلقة بمعرفة المورد.
- تطوير قواعد بيانات حول الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، فيما يتعلق باستخدامات المياه.
- تطوير ونشر مؤشرات حول المصادر واستخداماتها في البلدان الثلاثة.
- تعزيز وتسهيل إجراء الدراسات والبحوث المنسقة المشتركة من قبل الخبراء من البلدان الثلاثة.
- صياغة وتنفيذ برامج التدريب.
- تحديث نموذج "نظام مستودعات المياه الجوفية بشمال الصحراء" (SASS) على أساس منتظم.
- ابتكار وصياغة المقترحات المتعلقة بالتطور والأداء آلية التشاور وتشغيلها خلال المرحلة الثانية.

**ب - مشروع شبكة المياه الجوفية شمال الصحراء:** وهي المرحلة الثانية؛ تم الانتهاء من الدراسة الاجتماعية والاقتصادية في إطار هذه المرحلة، حيث أجريت دراسات تكميلية تشمل المكونات الهيدروجيولوجية ذات الصلة، وهي<sup>44</sup>:

<sup>41</sup> Omar Salem, Op. cit, p. 41.

<sup>42</sup> Sofiane M, Op. cit.

<sup>43</sup> Omar Salem, Op. cit, p. 41.

<sup>44</sup> Omar Salem, Op. cit, p. 42.



- حوض الجفارة الليبي - التونسي.
- الشوط الجزائري والتونسي.
- العرق الغربي في الجزائر.

لقد عملت الدول الثلاثة التي تشترك في النظام بشكل مشترك لتقييم مواردها المائية والسماح بإدارتها واستغلالها بشكل فعال ومستدام، وتجدر الإشارة إلى أن التعاون السابق المذكور أعلاه، والذي شارك فيه فريق دولي، قد حقق تقدماً هاماً منذ سنة 1999 في تطوير المكونات المختلفة لطبقة المياه الجوفية: الأنظمة الهيدروليكية، والاجتماعية والاقتصادية، والبيئية ونظم المعلومات، والذي كانت نتائجه أنه وفي عام 2002، قد تم توقيع الدول الثلاثة اتفاقاً رسمياً، كان أحد أهدافه الرئيسية تنفيذ آلية تشاور دائمة لتشجيع الإدارة المتجانسة لهذا المورد المشترك<sup>45</sup>، والتي تم إنشاؤها سنة 2005، وتجدر الإشارة إلى أنه منذ سنة 2003 إلى غاية سنة 2006، نفذت الدول الثلاثة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة مشروع مرفق البيئة العالمية باعتباره ثاني مشروع من المرحلتين، باستخدام 600.000 دولار في تمويل مرفق البيئة العالمية و816.000 دولار إضافية في التمويل المشترك، تضمن تصميم المشروع؛ التوسع في استخدام نموذج حسابي متعدد الطبقات تم تطويره سابقاً لنظام طبقة المياه الجوفية من أجل تحديد توازن المياه وتحديد المخاطر التي تتعرض لها طبقة المياه الجوفية، على سبيل المثال: ضخ المياه بشكل مفرط، وتجفيف المنفذ التونسي ونسبة التملح، كما دعا المشروع إلى تطوير شبكة مراقبة جودة المياه وإجراء دراسات لتحديد الطلب على المياه وإجراء تحليل لتكلفة المياه، ولقد تم إجراء تقييم للمشروع في شهر مارس 2007 تضمن وجهات النظر المتداخلة والزيارات الميدانية ومراجعة الوثائق، ووفقاً للتقييم كانت هناك تأخيرات كبيرة في بدء المشروع وواجه صعوبات في تحقيق النتائج المخطط لها، وكذا مراقبة جودة المياه المخطط لها، كما لم يتم إجراء تحليل لتكلفة المياه، إلا أنه قد تم إجراء توليفة من التأثيرات البيئية المرتبطة باستغلال الخزان الجوفي وتم اقتراح خطة عمل، وعلاوة على ذلك، قام المشروع بجرد الأراضي الرطبة ووضع تقارير عن أسباب ملوحة التربة وكذا أمكنة تواجدها، وهو ما أدى إلى وضع آلية تشاور دائمة، وقعتها وزراء المياه في الدول الثلاث<sup>46</sup>، ونتاجاً لذلك تم إنشاء وحدة التنسيق التابعة لآلية التشاور (NWSAS-CM) خلال سنة 2007، ومنذ إنشائها بذلت جهوداً من أجل نشر المعلومات بشكل أفضل وكذا تعزيز الحوار مع صانعي القرار في الدول الثلاث بشأن برامج وفرص التنمية<sup>47</sup>.

وعلى الرغم من أنه تم تأمين الدعم السياسي للمؤسسات المشتركة في البداية لعمل سير التعاون في إدارة طبقات المياه الجوفية المشتركة بين ليبيا وتونس والجزائر، إلا أن هناك حاجة إلى جهود إضافية لتعزيز دورها الفني في تكامل سياسات إدارة موارد المياه الجوفية في المنطقة، حيث

<sup>45</sup> الموارد المائية المشتركة في تونس، 4 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: (2023/01/23)، نقلا عن: <https://bit.ly/3XPhmRy>

<sup>46</sup> Alan Fox, Op. cit, p p. 270 - 271.

<sup>47</sup> "nwsas consultation mechanism", national information workshop on the north western Sahara aquifer system Tunis, 31 may 2022, Sahara and Sahel Observatory, (29/01/2023), see the link: <https://bit.ly/3RyREyG>



تم تقييد هذه الجهود بشكل أساسي فيما يخص ما يلي<sup>48</sup>:

1. الدعم المالي.
2. برامج أنشطة محددة جيدا.
3. قواعد البيانات النشطة.
4. التحديث الدوري للنماذج لمواكبتها مع تغيرات في نمط ومغناطيس استخراج المياه الجوفية.
5. مواومة التشريعات والسياسات لتطوير وحماية طبقات المياه الجوفية المشتركة.

وفي وقت لاحق تم تنفيذ مشروع متابعة لنظام المياه الجوفية شمال غرب الصحراء بعنوان: الحد من المخاطر على الإدارة المستدامة لنظام المياه الجوفية شمال غرب الصحراء الكبرى (NWSAS)، أي تمت الموافقة على المشروع سنة 2009 وأغلق في سنة 2018، وقد سعى إلى معالجة المخاطر المرتبطة بالاستغلال غير المستدام وإدارة موارد المياه الجوفية في شبكة المياه الجوفية شمال غرب الصحراء الكبرى، لصياغة مجموعة من الإجراءات وتنفيذها مبدئيا، مع التركيز على الممارسات الزراعية المستدامة والإدارة البيئية، تم تنظيم المشروع حول خمسة مكونات مرتبطة بكل من: المسوحات الاجتماعية - الاقتصادية، المشاريع الإيضاحية التجريبية، تطوير قواعد البيانات ونظم المعلومات الجغرافية، دعم آلية التشاور الإقليمية، وإدارة المشروع، وقد تم تقديم تقييم نهائي للمشروع في سنة 2015، ويشير إلى أن المسوحات الاجتماعية والاقتصادية المخطط لها، وقواعد البيانات والمشاريع الإيضاحية التجريبية قد تم تنفيذها على النحو المنشود، مع نقل مشروع تجريبي واحد من ليبيا إلى تونس بسبب عدم الاستقرار السياسي، وقد خلص التقييم إلى توقعات آلية التشاور الإقليمية أنها كانت أقل نجاحا، مع وجود نقاط ضعف في الإنشاء والدعم المقدم لهذه الآلية، كما أشار التقييم إلى أن احتمالية تحقيق الأثر على المدى الطويل ليست عالية جدا، بسبب المناخ السياسي في الجزائر وتونس وليبيا، حيث لا تحتل قضايا إدارة الموارد المائية مكانة عالية في دفتر الحسابات للأولويات الوطنية<sup>49</sup>.

كما كانت تحديات ضمان الاستخدام لموارد المياه بين الدول الثلاث المشتركة في طبقات المياه الجوفية في الجزائر، تونس وليبيا، محور ورشة عمل نظمتها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوروبا (United Nations Economic Commission for Europe) شهر جويلية 2017، مع كل من الشراكة العالمية للمياه المتوسطة (Global Water Partnership Mediterranean) ومرصد الصحراء والساحل، مع المشاركة الفعالة لآلية التنسيق في شبكة طبقات المياه الجوفية في شمال غرب الصحراء الكبرى (NWSAS)، هذه الورشة تعتبر جزء من عملية مستمرة لتعزيز التعاون عبر الحدود

<sup>48</sup> Omar Salem, Op. cit, p. 42.

<sup>49</sup> Alan Fox, Op. cit, p. 271.

لإدارة (NWSAS) وتعزيز القدرات ذات الصلة، إذ اجتمع أكثر من 50 مشاركا من الدول الثلاثة (الجزائر - تونس - ليبيا) يمثلون قطاعي الطاقة والزراعة وسلطات المياه والمرافق، فضلا عن منظمات حماية البيئة، في الجزائر العاصمة لمدة يومين، وقد أتاحت حلقة العمل هذه؛ فرصة مناسبة لتقييم الإدارة الحالية والمستقبلية لطبقة المياه الجوفية على المستويين الوطني وعبر الحدود، بما في ذلك السياسات القطاعية في الدول الثلاثة، وحدد المشاركون الصلات المتداخلة بين الاستراتيجيات والخطط، ووضع الأساس لتعزيز التعاون من خلال تحديد مجموعة من الإجراءات المفيدة المتعلقة بالإدارة والسياسات والبنية التحتية التي يمكن اتخاذها<sup>50</sup>.

ورغم المشروع التنسيقي بين الدول الثلاث المشتركة في حوض المياه الجوفية، إلا أن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوروبا قد أكدت في اجتماعها بجنيف بتاريخ 9 أكتوبر 2022 (بتقنية عن بعد نظرا لظروف جائحة كورونا)، على ضرورة الملحة لاتخاذ تدابير عاجلة للحدود لمواجهة التهديدات التي تؤدي إلى تدهور شبكة المياه الجوفية التي تتقاسمها كل من ليبيا والجزائر وتونس، ففي تقرير لها أكدت على أن شبكة المياه الجوفية التي تشترك فيها الجزائر وليبيا وتونس تعد أكبر احتياطي في شمال إفريقيا والذي يمثل ضعف ما تمتلكه فرنسا من هذه الثروة، ومعرضة للخطر بشكل طبيعي بسبب التغذية الطبيعية المنخفضة<sup>51</sup>، وفيما يلي يمكن الإشارة إلى سبل استغلال وترشيد المياه الجوفية في الحوض المشترك وذلك عن طريق:

- 1 - ضرورة التعاون بين الأطراف الثلاثة في مجال تبادل المعلومات والمشاورات التي تسلط الضوء على إدارة طبقة المياه الجوفية المشتركة بينهم<sup>52</sup>، واتخاذ إجراءات عاجلة لإيقاف تضرر الخزان المائي الجوفي المشترك في منطقة الصحراء الحدودية للدول الثلاثة.
- 2 - استكمال الدراسات الهيدروجيولوجية والجيوفيزيائية للتعرف بدقة على حدود وأعماق وكميات المياه ونوعيتها<sup>53</sup> في الأحواض الجوفية المشتركة بين الدول الثلاث.
- 3 - العمل على إقامة إدارة مشتركة مسؤولة لاستيعاب المعلومات المتوفرة، وتبادل الخبرة التقنية والعلمية والتشاور الدوري المتواصل<sup>54</sup>.
- 4 - إقامة آلية تبادل المعلومات ومتابعة شبكات المراقبة وذلك عبر<sup>55</sup>:
  - تحيين دوري لمتابعة منسوب المياه وكمية السحب ونوعية المياه.
  - تحيين دوري لاستعمال النماذج في محاكاة وضعيات برمجة الاستغلال.

<sup>50</sup> Assessment launched to reinforce cooperation between Algeria, Libya and Tunisia in managing shared ground-water resources, Op. cit.

<sup>51</sup> المياه الجوفية التي تتقاسمها ليبيا والجزائر وتونس أكبر احتياطي في شمال إفريقيا، 9 أكتوبر 2020، وكالة الأنباء الليبية، تاريخ الاطلاع: <https://bit.ly/3XXWFTH>، نقلا عن الرابط التالي: (2023/01/23)

<sup>52</sup> المياه الجوفية التي تتقاسمها ليبيا والجزائر وتونس أكبر احتياطي في شمال إفريقيا، مرجع سابق.

<sup>53</sup> الوضع المائي بالجمهورية العظمى، مرجع سابق، ص. 73.

<sup>54</sup> الإدارة المنسقة للخزانات المائية المشتركة بالأحواض الكبرى: المنظومة المائية لحوض الصحراء الشمالية، مرجع سابق، ص. 5.

<sup>55</sup> الإدارة المنسقة للخزانات المائية المشتركة بالأحواض الكبرى: المنظومة المائية لحوض الصحراء الشمالية، مرجع سابق، ص. 57.

5 - تصنيف مستخدمي المياه الجوفية في الدول الثلاث، بهذه الطريقة يمكن أن تتفهم الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للمياه الجوفية، ومن ثم تقدير المخاطر التي يمكن أن تحدث، إذا لم يتم التحرك بالنسبة لتنظيم الموارد وضبط التلوث.

6 - اختيار مناطق تجريبية لمحاولة تطبيق برنامج مشاركة لإدارة مورد المياه الجوفية وحماية نوعيته، وبالتالي مناطق إدارة الخزان الجوفي يجب أن تعرف عادة على نظم سريان المياه الجوفية مع احتياجات إدارية محددة<sup>56</sup>.

7 - إجراء البحوث في مجال التوسيع في استخدام تقنيات حصاد المياه لزيادة المياه الجوفية<sup>57</sup>.

8 - ترشيد عمليات سحب المياه في الدول الثلاث وكل ما يتعلق بأمر استخدامها، حتى لا يتأثر الأمن الغذائي بمشاكل المياه الجوفية.

## الخاتمة

لقد أدى الاستغلال المفرط للمياه الجوفية في منطقة شمال غرب الصحراء الكبرى إلى تسرب المياه المالحة إلى طبقة المياه الجوفية، فضلا عن انفراد أحد الأطراف من الدول الثلاث (الجزائر، تونس وليبيا) المشتركة في الحوض المشترك من المياه الجوفية إلى سحب كميات أكبر منه دون مراعاة لحصة كل واحدة من تلك الدول، وهو ما خلق مشكلات في الاستغلال الأمثل لهذه المياه، وأوجب أيضا إدارة هذه المياه وحمايتها حتى لا يؤثر استغلالها على الأمن المائي في هذه المنطقة، وبما لا يخلق مشاكل سياسية بين الدول الثلاث التي تشترك في نفس الحوض، وقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

1 - ضعف الاهتمام والتنسيق المشترك بين الدول الثلاث التي تشترك في الحوض المشترك للمياه الجوفية الواقعة شمال غرب الصحراء الكبرى، والذي أدى استنزاف تلك المياه بطريقة عشوائية غير مدروسة، أدت إلى أضرار بيئية تأثرت بها طبقة المياه الجوفية.

2 - إن سحب كميات كبيرة من الحوض المشترك قد يؤدي إلى زيادة كبيرة في ملوحة المياه في المستقبل القريب إذا لم يتم بذل الجهود للحد منه سواء كانت جهودا فردية أو جماعية تخص الدول الثلاث (الجزائر، تونس، وليبيا).

3 - سحب كميات كبيرة من الحوض المشترك للمياه الجوفية دون مراعاة، النسبة التي لا يحق للطرف الآخر من الدول الثلاث أن يزيد عليها وهو ما سجل في ليبيا، كما أن سحب كميات كبيرة في الدول الثلاث قد أدى إلى ملوحة المياه وأصبحت غير صالحة لا للشرب ولا للسخي، وهو ما يؤدي في النهاية إلى مشكل الأمن المائي في هذه الدول ومن ثم لإثارة مشكل الأمن الغذائي.

<sup>56</sup> بيان محمد الكايد، مرجع سابق، ص. 140.

<sup>57</sup> بيان محمد الكايد، مرجع سابق، ص. 281.



# أزمة المياه في الشرق الأوسط وأفريقيا: الواقع والحلول

أ.د. عمران كروسه\*

د. زوال سهام\*\*

## ملخص

تعتبر أزمة المياه في الشرق الأوسط وأفريقيا من أعقد الازمات التي تعرفها المنطقتين، نظرا لخطورة توظيفها في إدارة النزاعات وإثارة الفتن من خلال توظيف مسألة المياه توظيفا أمنيا وتسييسها لدرجة صعوبة الوصول إلى حل بالطرق التوافقية.

تهدف مداخلتنا إلى تشخيص واقع أزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا بمحاولة رصدنا لأهم التداعيات السلبية الناجمة عن مختلف مظاهر العجز والإجهاد المائي وتداعياته الكارثية على البيئة والإنسان والحيوان. وفي الأخير حاولنا الإشارة إلى بعض الحلول البعيد عن التسييس والأمننة بتوجه بعض الدول للحلول التقنية المثلثة في تحلية مياه البحر، وقد ركزنا على التجربة الجزائرية في إنجاز محطات تحلية مياه البحر على طول شريطها الساحلي بهدف مواجهة أزمة ندرة المياه التي تضرب العالم.

الكلمات المفتاحية: المياه، الشرق الأوسط، الإجهاد المائي، الجزائر.

\* أستاذ في جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر.

\*\* أستاذة في جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر

# The Water Crisis in the Middle East and Africa: Reality and Solutions

Prof.Dr. Amrani Kerboussa

Dr. Zeroual Seham

## Abstract

The water crisis in the Middle East and Africa is one of the most complex crises in the two regions, due to the danger of employing it in managing conflicts and stirring up strife by employing the issue of water in a security way and politicizing it to the point of difficulty solving by consensual means.

Our intervention aims to diagnose the reality of the water crisis in the Middle East and Africa by trying to monitor the most important negative repercussions resulting from various manifestations of water deficit and stress and its catastrophic repercussions on the environment, humans, and animals. Finally, we tried to refer to some solutions far from politicization and securitization by the orientation of some countries to technical solutions represented in seawater desalination, and we focused on the Algerian experience in completing seawater desalination plants along its coastal strip to face the scarcity crisis Water scarcity that hits the world.

**Keywords:** water, Middle East, water stress, Algeria.

## مقدمة

لقد كانت الحضارات القديمة تبنى وتتطور على ضفاف الأنهار نظرا لأهمية المياه في نمو وازدهار تلك الحضارات على غرار حضارة بلاد الرافدين في العراق، التي ازدهرت بفضل مياه نهري دجلة والفرات والحضارة الرومانية واليونانية حول نهري الراين والدانوب.

وبدأت ملامح الصراع حول المياه لاعتبارات عدة مرتبطة بالنمو الديمغرافي تارة ولاعتبارات التوسع وفرض منطق الهيمنة والسيطرة تارة أخرى. ومن هنا ظهرت الحروب بين الدول عبر التاريخ وتعمقت خاصة مع الحقبة الاستعمارية أين عملت الدول الكبرى على استعمار الدول ومن بين أهدافها السيطرة على ثرواتها ومنها الثروة المائية وتعتبر الدول الإفريقية أكثر الدول تضررا من الاستعمار؛ نظرا للمخلفات التي تركها هذا الأخير ماض وحاضرا ومستقبلا على هذه الشعوب.

إن أزمة المياه تزداد تعقيدا وجدلا عندما تراها بعض الدول الكبرى سلعة ينبغي أن تحقق أرباحا، في حين تراها دول أخرى موردا مشتركا للإنسانية، وطرف ثالث يرى ضرورة أن تكون للدول الضعيفة حقاها في هذا المورد الأساسي، خاصة في ظل تنامي الصراعات والحروب الدولية والإقليمية ولجوء الدول الكبرى لاحتكار هذا المورد لتوظيفه في إدارة تلك الحروب والصراعات. فحسب تقارير البنك الدولي يعتبر أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أكثر المناطق توترا في العالم فيما يتعلق بالاستخدام غير المستدام للمياه؛ إذ أن حوالي 28% من المياه بتلك المنطقة لا يستفاد منها بالشكل اللازم. كما تعتبر أزمة المياه من الأزمات الدولية المستعصية في الوقت الراهن حسب الخبيرين جوسين ستار ودانييل ستول؛ "فمنذ عام 2000 أصبحت المياه وليس النفط الموضوع الرئيس الذي يتصدر قضايا المصادر الطبيعية في الشرق الأوسط، وهو ما ذهب إليه معهد World Watch Institute؛ أنه بالرغم من التكنولوجيا المتقدمة والمبتكرات الهندسية الفذة؛ إلا أن ضمان مستقبل المياه يبقى أمرا مستعصيا بالنسبة لغالبية بلدان العالم، فإن التحليلات تنظر بالخطر بالنسبة لكل من مصر سوريا، الأردن إسرائيل العراق". وتأتي اشكالية المداخلة على النحو التالي:

ما هو واقع أزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا، وماهي الحلول الكفيلة لتجاوز أزمة ندرة المياه بعيداً عن التسييس والأمننة من خلال تسليط الأضواء على التجربة الجزائرية في تحلية مياه البحر؟

### التساؤلات الفرعية:

- كيف يمكن تفكيك وفحص واقع أزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا.
- ما هي الإجراءات التي سخرتها الدولة الجزائرية لمواجهة أزمة ندرة المياه، وهل تكنولوجية تحلية مياه البحر كفيلة لمعالجة الازمة بصفة نهائية ام هناك إجراءات تديرية أخرى؟

### فرضيات المداخلة:

- كلما تم تسييس أزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا، كلما زاد من تعميق الصراعات والنزاعات بين الدول

- الإجراءات التكنولوجية والتقنية عبر تحلية مياه البحر كقيلة بالتقليل من حدة أزمة ندرة المياه.

محاور المداخلة:

أولاً- أزمة المياه بين الأمنة والدبلوماسية المائية.

ثانياً- واقع أزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا.

ثالثاً- الحلول المقترحة لمعالجة أزمة ندرة المياه: تجربة الجزائر في تحلية مياه البحر إنموذجاً.

رابعاً- الخاتمة

### أولاً- أزمة المياه بين الأمنة والدبلوماسية المائية

تعرف الأمنة Securitization وفقاً للمعهد الدنماركي لأبحاث السلام كعملية يشير فيها الفاعل الرئيس إلى قضية على أنها تهديد وجودي، ويحاول إقناع الجمهور بضرورة اتخاذ إجراءات استثنائية لاحتواء المشكلة، إن تسمية حالة ما بقضية أمنية وتعبئة السكان وراء التهديد الوجودي هو عمل متعمد، إنها طريقة متعمدة لإخفاء الدوافع السياسية التي يمكن التعبير عنها بشكل صريح. إن قبول هذا التهديد المركب من قبل الجمهور أمر أساسي ولا يزال ضرورياً لنجاح مفهوم الأمنة. فهل يمكن القول أن نزع الطابع الأمني عن قضايا المياه وتحويلها إلى مصدر من مصادر التعاون بدلاً من الصراع؟<sup>1</sup> فالأمنة في حقل العلاقات الدولية تعني قيام الفاعلين في الدولة بعملية تحويل مختلف القضايا إلى مسائل أمنية وتعني نسخة معقدة من التسييس Politicisation تسمح باستخدام معاني إستثنائية بإسم الأمن.

ومنه يمكن اعتبار أن أمنة المياه تعني اطفاء الطابع الأمني وتحميلها مضامين سياسية واستراتيجية تكون عاملاً لصناعة التوتر والصراع بين الدول؛ حين تحاول الدول الكبرى خاصة توظيف هذا المورد الاستراتيجي وتحويله من مسألة إيكولوجية بيئية إلى مسألة جيواستراتيجية والعمل على الدعاية المغرضة واثارة الرأي العام بأهميتها في حلبة الصراع الدولي، الأمر الذي يزيد من شحن مختلف الفواعل الدولية على استخدامها كوسيلة لإدارة واثارة النزاعات؛ “فمن يتحكم في هذا المورد الاستراتيجي يتحكم في ادارة النزاع”. وهذا ما تؤكدته التقارير الإستخباراتية بأن الحروب القادمة ستكون حول “الذهب الأزرق” نظراً لأهميته في تحقيق الأمن الغذائي وتعزيز الأمن القومي للدول.

أما الدبلوماسية المائية فهي المقابل لأمنة المياه، وتتمثل في مختلف الجهود والمبادرات بين الدول من أجل إيجاد حلول تجنب الوقوع في أزمات خلافية حول الحدود المائية المشتركة بينها. أو هي مجموعة من الاتفاقيات الثنائية والمتعددة الاطراف بشأن مجاري المياه المشتركة، وتتبنى عدة دول ومنظمات دولية واقليمية نهج الدبلوماسية المائية من أجل منع أو التخفيف من حدة النزاعات

<sup>1</sup> حمدي عبد الرحمان، دبلوماسية “الذهب الأزرق”: اتجاهات نزع الأمنة عن قضايا المياه في إفريقيا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة على الرابط: /دبلوماسية-الذهب-الأزرق-اتجاهات-نزع- http://ciaes.net



المتعلقة بالمياه وإدارتها وحلها. يجب أن يكون التعاون بدلا من الصراع السمة الرئيسية للسياسة المائية في الشرق الأوسط وإفريقيا. ويمكن الإشارة هنا إلى نهجين من دبلوماسية المياه هما:<sup>2</sup>

النهج الأول- دبلوماسية الأنهار بين الدول المتشاطئة: وهي تركز على موارد المياه العذبة العابرة للحدود مثل البحيرات والأنهار وأحواض المياه الجوفية. وهي تمارس بثلاثة مستويات، هي:

المستوى الأول- النطاق الجغرافي: حيث يكون التفاوض ثنائيا أو على مستوى دول الحوض مثل مبادرة حوض النيل وبحيرة تشاد.

المستوى الثاني- الإقليمي: التوجهات المائية للجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا.

المستوى الثالث- المستوى العالمي: اتفاقية الأمم المتحدة لقانون المجاري المائية.

النهج الثاني- دبلوماسية المياه من منظور الطرف الثالث: وهي تركز على مساعدة أو إقناع الدول المتشاطئة كجزء من المصلحة الوطنية للبلدان، مثل مصر، والسودان، وإثيوبيا، أو المنظمات الدولية مثل الاتحاد الإفريقي.

وتختلف الأدوار التي تقوم بها الدول والمنظمات الدولية في الدبلوماسية المائية باختلاف النطاق الجغرافي وطبيعة النزاع ودرجة الانخراط في العملية التفاوضية.

وعليه نرى أن الدبلوماسية المائية من الحلول الفعالة في إدارة وحل مختلف الصراعات الناجمة عن أزمات المياه، فقط تحتاج ثقل دبلوماسي متوازن غير متحيز لأحد طرفي الصراع، ويعمل على إدارة المفاوضات وفق الاتفاقيات والمعاهدات المخصصة لتقسيم حصص المياه المتفق عليها سابقا. وكذا قواعد وبروتوكولات القانون الدولي المتعلقة بالمياه.

## ثانيا- واقع أزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا

على مدار خمسين سنة تقريبا أحصى برنامج الأمم المتحدة من اجل التنمية PNUD ما يعادل 37 حالة عنف متعلقة بالمياه، 30 منها تركزت في منطقة الشرق الأوسط، وهناك احتمال - ولو ضعيف - لنشوب نزاعات، خاصة وان أغلب الأنهار تتقاسمها عدة دول؛ إذ نجد نهر الدانوب يمر عبر 8 دول أوروبية، ونهر النيل عبر 9 دول والميكونغ عبر 6 دول من ضمنها الصين، كما يوجد حوالي 200 حوض نهري من هذا النوع عبر العالم، لكن ثلث هذه الأنهار تحكمها اتفاقيات ومعاهدات، والبعض منها لديها وضع دولي مثل نهر الدانوب. في حين نجد الوضع متأزما بين تركيا سوريا والعراق بسبب نهر الفرات، خاصة بعد أن انشأت تركيا سدودا في إطار مشروع GAP أدت إلى تناقص مستوى المياه لدى دول المصب. ورغم اتفاقيات أوصلو التي تعترف بحق الفلسطينيين في المياه، إلا أن 90 بالمئة من مياه الضفة الغربية تذهب إلى إسرائيل، وهذا على الرغم أن هذه الأخيرة هي المصب وليس المنبع سواء لنهر الاردن أو بحيرة طبرية حسب المادة الأولى من بروتوكول التعاون الاسرائيلي الفلسطيني في البرامج

<sup>2</sup> المرجع نفسه.

الاقتصادية والتنمية:» تعاون في حقل الماء يشمل برنامجا لتنمية الموارد المائية بعده خبراء من كلا الجانبين ويحدد أيضا إجراءات التعاون في إدارة الموارد المائية في الضفة الغربية وقطاع غزة ويتضمن مقترحات لإجراء دراسات وخطط حول حقوق كل جانب في المياه اضافة إلى استخدام عادل للموارد المائية على أن يطبق في المرحلة الانتقالية وما بعدها»<sup>3</sup>

وهناك ثلاث أسباب محورية لأزمة المياه في الشرق الأوسط وإفريقيا تتمثل في:

- ارتفاع منسوب استهلاك المياه المرتبط بالنمو السكاني وكذا التوسع في الصناعة والزراعة فضلا عن اتساع المناطق السكانية.
  - هشاشة وضعف البنية المائية في عديد الدول وغياب آليات الصيانة والتشغيل غير السليم لمختلف المرافق المائية.
  - غياب التعاون والتنسيق بين الدول التي تشترك في مصادر المياه<sup>4</sup>.
- فضلا عن أسباب أخرى منها:

- ضعف المنظومة القانونية والإجرائية وغياب الردع في عديد الدول الإفريقية خاصة التي تشهد نهب وتبذير للموارد المائية بسبب النزاعات العرقية وتفشي مظاهر العصبية والقبلية تجعل دور الدولة يتضاءل مما يفتح مجالا لنهب والاستغلال غير العقلاني لهذا المورد الحيوي.

- الاختراق والتغلغل الغربي لمعظم الدول الإفريقية وبعض الدول الشرق الأوسطية وتدخلها في سياستها الداخلية بما ينعكس سلبا على إستراتيجيتها في إدارة ملفها المائي.

وتعد الدول العربية من بين أكثر التي تعاني من ندرة المياه؛ إذ يعيش ما يقرب من 362 مليون شخص في المنطقة في ظل ندرة مائية إلى ندرة مطلقة. في عام 2015 افتقر ما يزيد عن 51 مليون شخص في المنطقة العربية إلى خدمات مياه الشرب الأساسية، وكان ما يزيد عن 74 مليون شخص محرومين من خدمات الصرف الصحي الأساسية حسب إحصائيات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا سنة 2019 في تقريرها التوجه نحو الأمن المائي في المنطقة العربية.<sup>5</sup>

ويشير الخبير الجزائري رايح زغوني إلى تحوّل العجز المائي في الدول العربية الشرق اوسطية إلى مسألة مسببة بشكل كبير لارتباطها بالمسائل الأمنية وهذا الترابط يظهر في صورتين التفاعل الموجود بين الصراع في الشرق الأوسط والتدهور البيئي في المنطقة، والصراعات الناشئة بفعل المسائل البيئية،

<sup>3</sup> اسامة افراح، سيناريوهات ندرة المياه في العالم وتداعياتها على السياسات المائية للجزائر، المجلة الجزائرية للسياسات العامة العدد 03 فيفري 2014، ص ص 09, 10.

<sup>4</sup> جوسين آر.ستار، دانييل سي. ستول، السياسة الامريكية تجاه مصادر المياه في الشرق الأوسط، ترجمة محمد الفقير بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995. ص 18؛ محمد العربي بوقرة، معارك المياه من أجل مورد مشترك للانسانية، ترجمة غازي برو، لبنان: دار الفارابي 2006.

<sup>5</sup> ام السعد شافعي، ندرة المياه محدد اساسي للأمن المائي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 01 السنة 2022، ص 528.

خاصة أن الموارد المائية السطحية فيه تنبع من الخارج ( نهر النيل ، نهري دجلة والفرات ونهر الاردن)، مما ينتقل بآثار العجز المائي من كونها قضية تقنية بيئية إلى اعتبارها قضية أمن قومي كما تظهره مسألة العجز المائي في الحالة المصرية؛ حيث يمثل حوض النيل مند عقدين نموذجا واضحا لتنازع المصالح القومية على أساس أن مصر كانت تمتلك الحق في حوالي 55 الف مليار متر مكعب من مياه النيل سنويا. لكن مع تزايد عدد السكان لم تعد هذه النسبة كافية لتغطية احتياجاتها، ومع توقيع بعض دول حوض النيل اتفاقية مبادرة حوض النيل بمدينة عنتيبي الاوغندية سنة 2010 لإعادة تقاسم مياه النيل وفقا لما يخدم مصالحها في غياب مصر والسودان كدولتي مصب؛ وهذا بحجة مراجعة الاتفاقيات الموروثة عن الفترة الاستعمارية، مما زاد الامر تعقيدا خاصة مع شروع اثيوبيا في بناء سد النهضة وهو ما يهدد بشكل مباشر الأمن المائي المصري.<sup>6</sup>

يؤكد البنك الدولي في تقريره حول إدارة المياه في الدول الهشة: « أن منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا من أكثر المناطق في العالم توترا فيما يخص الاستخدام غير المستدام للمياه بحوالي 82 بالمئة بتلك المنطقة لا يستفاد منها بالشكل الفعال. كما تشهد المنطقة أكبر الخسائر الاقتصادية المتوقعة من ندرة المياه المرتبط بالمناخ، والتي تقدر بحوالي 14 بالمئة من اجمالي الناتج المحلي بحلول 2050 وهي النسبة الاعلى في العالم».<sup>7</sup>

كما يهدد المنطقة أزمات الفيضانات والجفاف خاصة في مناطق الشمال الافريقي نظرا لندرة المياه بها علاوة أنه يعيش سكان المنطقة (60 بالمئة منهم) في مناطق الإجهاد المائي؛ حيث تفاقمت الازمة المياه في السنوات الأخيرة شهدت هبوط في نسبة وفرة المياه بمقدار 25 بالمئة ومن المحتمل يتخطى نصيب الفرد في المياه بالكاد فوق 500 متر مكعب بحلول 2025. ومن بين 17 دولة تعاني من الإجهاد المائي في العالم، يوجد 11 دولة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حيث يعيش حوالي ثلثي سكان المنطقة في مناطق تفتقر إلى موارد مياه متجددة كافية. كما أنه من بين 9 من كل 10 أطفال في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يعيشون في مناطق تعاني من إجهاد مائي شديد أو شديد للغاية. لكن الأخطر من هذا؛ هو أن هذه المشكلة تزداد سوءا مع الوقت وتواجه مدن مثل البصرة في العراق تهديدا حقيقيا بالوصول إلى "اليوم صفر" حسب تقرير جديد للبنك الدولي.<sup>8</sup>

كما أن التقرير الصادر عن البنك الدولي بتاريخ 27 نيسان 2023 والموسوم ب«اقتصاديات شح المياه في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. حلول مؤسسية» أشار إلى: «... بنهاية العقد الحالي، ستنخفض كمية المياه المتاحة للفرد سنويا عن الحد المطلق لشح المياه والبالغ 500 متر مكعب للفرد سنويا». ووفق التقديرات الواردة في التقرير، فإنه بحلول عام 2050، ستكون هناك حاجة إلى 25 مليار

<sup>6</sup> رايح زغوني، ندرة المياه والأمن القوم في العالم العربي: الأمن المائي المصري نموذجا، مجلة الناقد للدراسات السياسية، العدد 01 المجلد 06، 2022، ص ص 51-52.

<sup>7</sup> البنك الدولي، ادارة المياه في النظم الهشة: بناء القدرة على مواجهة الصدمات والازمات التي طال امدها في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، على الرابط

<https://www.albankaldawli.org/ar/topic/water/publication/water-management-in-fragile-systems>

<sup>8</sup> عمرو سليم، أزمة المياه في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: تجنب حروب المياه المحتملة، على الرابط

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/azmt-almayah-fy-mntqt-alshrq-alawst-wshmal-afryqya-tjnb-hrwb-almayah-almhtmlt>

متر مكعب إضافية من المياه سنويا، لتلبية احتياجات المنطقة. ويعادل ذلك إنشاء 65 محطة أخرى لتحلية المياه، بحجم محطة رأس الخير في المملكة العربية السعودية، وهي الأكبر في العالم في الوقت الحالي.<sup>9</sup>

في حين يرى "بسكال ستيدو تو" منسق البرامج الاستراتيجية الإقليمية في مكتب الشرق الأدنى وشمال أفريقيا لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة «:FAO أن الخسائر الاقتصادية تعني ارتفاع معدلات البطالة يفاقمها تأثير ندرة المياه، والنتيجة هي انعدام الأمن الغذائي واضطرار الناس للهجرة، إلى جانب تزايد العيش التقليدي مثل الزراعة والاحباط من الحكومات غير القادرة على ضمان الخدمات الأساسية، وهو ما قد يصبح محركاً آخر لعدم الاستقرار الواسع في المنطقة.<sup>10</sup>

تعتبر اليمن واحدة من أكثر البلدان التي تعاني من ندرة المياه على مستوى العالم. حيث أن سنوات النزاع الخمس دمّرت شبكات المياه أكثر وتركت القطاع الصحي على حافة الانهيار؛ ما أدى إلى تفشي الأمراض بما في ذلك الكوليرا. يُقدر أن هناك ما يصل إلى 70 في المئة من اليمنيين يفتقرون حالياً إلى الصابون الضروري لغسل اليدين والنظافة الشخصية. كما أن زهاء 11,2 مليون لا يحصلون على إمدادات المياه الأساسية التي يحتاجونها للبقاء على قيد الحياة.<sup>11</sup> كما تواجه اليمن كذلك أزمة تمويل بالمياه؛ إذ تشير منظمة حماية الطفولة في الأمم المتحدة يونيسيف UNICEF إلى أنه: «تم تلبية 4 في المئة فقط من متطلباتنا. وبدون توفر الموارد الكافية بحلول نهاية يونيو الحالي، سوف نضطر لقطع خدماتنا التي تقدم لما يقرب من 6 ملايين شخص - نصفهم تقريباً من الأطفال - والمتمثلة بتوفير إمدادات المياه النظيفة التي يحتاجونها للبقاء على قيد الحياة. وإذا ما استمر نقص التمويل، فسوف يتأثر 6,3 مليون شخص. حيث ستضطر فرق الاستجابة السريعة التي تساعد في منع انتشار المرض للتوقف عن العمل وبالمثل خدمات المياه التي نقدمها للنازحين بسبب النزاع».<sup>12</sup> ويضيف تقرير اليونيسيف الخاص بأوضاع اليمن: «... نحن نواجه احتمالية مفرجة... ففي خضم الجائحة العالمية الحالية والأهمية القصوى لنظافة اليدين للحماية من الأمراض، سيتعين علينا إيقاف عصب الحياة لمن هم في أمس الحاجة إليه، وعليه فإننا ندق ناقوس الخطر من أن استجابة الصحة العامة لوباء كوفيد-19، وهي استجابة تعالج أيضاً حالات الكوليرا وسوء التغذية والمخاطر المرتبطة بانتشار شلل الأطفال، ستصبح مستحيلة لأن الوصول إلى المياه النظيفة والصابون من جانب الأسر الضعيفة المحتاجة لن يكون ممكناً. كما لا يخفى علينا أيضاً أن كوفيد-19 تسبب في فوضى عالمية وحول الأولويات بالنسبة للعديد من

<sup>9</sup> البنك الدولي، تقرير حول إجراءات جريئة للتصدي لشح المياه في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، على الرابط [www.albankaldawli.org/ar/news/press-release/2023/04/27/water-scarcity-in-mena-requires-bold-actions-says-world-bank-report](http://www.albankaldawli.org/ar/news/press-release/2023/04/27/water-scarcity-in-mena-requires-bold-actions-says-world-bank-report)

<sup>10</sup> منظمة الأغذية والزراعة في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا، الإدارة الفعالة للموارد المائية في العالم العربي مفتاح النمو المستقبلي والاستقرار، على الرابط:

<https://www.fao.org/neareast/news/view/ar/c/1150771/>

<sup>11</sup> منظمة اليونيسيف، رسالة مشتركة من الجهات العاملة في مجال المياه والاصحاح البيئي في اليمن، على الرابط: <https://www.unicef.org/yemen/ar>

<sup>12</sup> المرجع نفسه.

البلدان نحو تحديات جديدة في مجال الصحة العامة، لكننا بحاجة إلى المجتمع الدولي أن يعرف بأن اليمن على حافة الكارثة.<sup>13</sup>

العراق بدوره يعاني من ارتفاع معدل الإجهاد المائي، وصل إلى درجة دق ناقوس الخطر؛ حيث أضحى هذه الدولة تصنّف في سلم “الخطورة المائية” فيما يتعلق بندرة المياه، حيث توقع المؤشر العالمي أنه مع حلول 2040 سيخف نهر دجلة والفرات تماما. وهذا ما أكدّه مؤشر الإجهاد المائي، وبالتالي ستعاني العراق من أزمة الجفاف والعطش.<sup>14</sup>

القارة الإفريقية يعتبرها المراقبين هي قلب الأزمات المائية في العالم؛ أزمة معقدة منذ الحقبة الاستعمارية وذلك عندما شرعت القوى الأوروبية منذ 1885 في تنفيذ مخططاتها القاضية بتقسيم خيرات القارة السمراء بما في ذلك حول حدود المستعمرات الجديدة والتي كانت في العموم تتمحور حول حيازة الأنهار والبحيرات. وهناك 17 نهرا كبيرا تتزود به الدول الإفريقية، وكثيرا ما تكون تلك الأنهار الحدود الطبيعية بين الدول شأنها في ذلك نهر النيل الذي يفصل بين 11 دولة ويعد مصدرا لعدم الاستقرار الحدودي بين الدول. إضافة إلى 160 بحيرة من بينها البحيرات العظمى الإفريقية التي تعد بحق أغنى مناطق إفريقيا بالماء، وهي خزان مائي ضخم وهي منبع النيل، مما زاد في تنامي النزاعات العرقية والحدودية.<sup>15</sup>

وتسهم المياه في هندسة القارة الإفريقية من الناحية الجيوسياسية إلى عدة مناطق أمنية؛ حيث باستثناء منطقة شمال إفريقيا التي غالبًا ما يتم ربطها بالشرق الأوسط سيما أنها تنفصل عن باقي القارة بالصحراء الكبرى، تشكل هذه الأخيرة مع ما تحتها منطقة الساحل والصحراء. وفي وسط إفريقيا، توجد أربعة أنظمة أمنية إقليمية: منطقة خليج غينيا إلى الغرب، ومنطقة حوض بحيرة تشاد إلى الغرب الأوسط، ثم منطقة البحيرات الكبرى في الوسط، ثم شرق إفريقيا التي تحتوي على المنطقة الفرعية المعروفة باسم القرن الإفريقي، وأخيرا هناك نظام الأمن جنوب الإفريقي، إذ تشكل كل منطقة نظاما أو مجمع أمن إقليمي يمكن تعريفه بأنه “مجموعة من الدول المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن حسابان الاعتبارات الأمنية للأنظمة المختلفة بمعزل عن بعضها البعض.”<sup>16</sup>

### ثالثا- الحلول المقترحة لمعالجة أزمة ندرة المياه: تجربة الجزائر في تحلية مياه البحر إنموذجا

قبل الإشارة إلى الحلول التي لجأت إليها الجزائر لمواجهة ندرة المياه يمكن اعتبار أن المناخ الصحراوي هو الغالب في البلاد وأن معدلات التساقط حسب الطبيعة الجغرافية، إذ يبلغ 400 إلى 1200 مم في شمال البلاد وهي الشريط الساحلي يتراوح بين 100 و150 كلم بموازاة البحر، يعيش بها 65 بالمئة من السكان، أما الهضاب العليا فتتمتد على شريط بين 300 و350 كلم ما يشغل 09 بالمئة من

<sup>13</sup> المرجع نفسه.

<sup>14</sup> نظير الانتصاري، مخاطر الأزمة المائية في العراق وسبل المعالجة، على الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2018/05/180528080122682.html>

<sup>15</sup> نبيل زكاوي، معضلة الأمن في إفريقيا: هياكل الأزمة وفرص الإصلاح، على الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5164>

<sup>16</sup> المرجع نفسه.

اجمالي المساحة يعيش بها 25 بالمئة من السكان, في حين يتراوح معدل التساقط بين 250 و400 مم, في حين تقدر المساحة المتبقية للبلاد بحوالي 87 بالمئة يشكل المناطق الصحراوية بعدد سكاني 10 بالمئة ومعدل تساقط ضعيف في حدود 100مم.<sup>17</sup>

في السياق ذاته تشير الاحصائيات إلى تزايد حدة الجفاف في البلاد من سنة إلى أخرى بسبب عوامل عدة منها التصحر، انخفاض نسبة تساقط الامطار، الحرائق التي تضرب البلاد في سنوات الأخيرة أتت على نسبة كبيرة من الغطاء النباتي، مما أثر سلبا على الموارد المائية في شمال البلاد خاصة، إذ عرفت السبعينات معدل تساقط 13.5 مليار متر مكعب من المياه سنويا في حين انخفضت إلى 12 مليار متر مكعب سنويا في الثمانينات، لتشهد انخفاضا آخر 10 مليار متر مكعب في بداية 2000.<sup>18</sup>

فهذه العوامل وغيرها جعلت السلطات العليا في البلاد تفكر جليا في حلول جذرية لأزمة المياه ومن أهم هذه الحلول مقارنة تحلية مياه البحر. إن أهم عوامل لتجاوز مسألة أمنة المياه وتسيبها هو إخراج قضية المياه من بعدها السياسي الأمني إلى بعدها التقني التكنولوجي، أي تركها إلى المختصين والخبراء والمهندسين وأهل الاختصاص من خلال:

- إشراك مختلف الفاعلين التقنيين من العلماء والمهندسين الهيدرولوجيا والاقتصاديين في عملية التفاوض بغرض الحصول على إطار علمي لمصادر المياه المتنازع عليها، يمكن أن يعمل هذه النقطة للتفاوض بعد ذلك يأتي دور السياسيين والدبلوماسيين وخبراء القانون الولي للتوصل إلى حل توافقي حول المسائل الخلافية.

- الاهتمام بالحلول التقنية لحل هذه الأزمة، مثل استغلال رطوبة الهواء وتحويلها إلى ماء صالح للشرب، وهو ما قامت به شركة "إشارة كاييتال" التي مقرها ابو ظبي "وشركة فيراغون لحلول المياه"، من خلال اطلاقها نظاما يحوّل الهواء إلى ماء، وذلك عن طريق جمع الرطوبة من الهواء.

- تحلية مياه البحر: وجعلها مياه صالحة للشرب، وهو ما نجحت فيه الجزائر من أجل تجاوز مشكلة نقص المياه الصالحة للشرب خاصة في المدن الساحلية الكبرى، حيث قامت الشركة العمومية الجزائرية الكبرى لاستغلال الموارد البترولية "سونطراك" أولى الاختبارات لتشغيل واحدة من أكبر محطات البحر التي تعول عليها الجزائر للمساهمة في القضاء على شح وندرة المياه.

حيث أعلنت الشركة في بيان لها: «أن مشروع محطة تحلية مياه البحر "بالكمسي" يعد من أحد المشاريع الاستراتيجية والحيوية، التي تهدف لوضع اللبنة الصلبة لتحقيق استراتيجية صناعية حقيقية خاصة بتحلية مياه البحر في الجزائر». <sup>19</sup> كما تسعى عبر هذه المحطة لتوفير 12 الف متر مكعب

<sup>17</sup> اسامة افراح، سيناريوهات ندرة المياه في العالم وتداعياتها على السياسات المائية للجزائر، المرجع السابق، ص 16.

<sup>18</sup> المرجع نفسه.

<sup>19</sup> محمد علاء، سونطراك الجزائرية تطلق مشاريع لتحلية مياه البحر، على الرابط:

<https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1563552->

يوميًا كمرحلة أولية لتصل إلى 60 ألف متر مكعب في مرحلة نهائية. إذ تم وضع استراتيجية متوسطة المدى العام 2027 في سياق مخطط استعجالي لمواجهة شبح ندرة المياه؛ عن طريق إنشاء عدة مشاريع خاصة بتحلية مياه البحر بقدرة إجمالية تتجاوز 300 ألف متر مكعب يوميًا بحلول 2027. وذلك عبر تشييد عدة محطات من أجل توفير طاقة إنتاجية بسعة 150 ألف متر مكعب، تضاف إلى 280 ألف متر مكعب يوميًا التي تنتج على مستوى 222 بئرًا. سيتم توسيع نطاق الاستثمار في محطات تحلية مياه البحر على مستوى 14 ولاية ساحلية (وهران، مستغانم، سكيكدة، بجاية، تيزي وزو، الخ).<sup>20</sup>

وهذا ما أكدّه المهندس الجزائري المتخصص في تكنولوجيا معالجة مياه، يازيد لعلام، إذ قال: «أن برنامج تحلية مياه البحر تندرج ضمن مخططات التنمية المستدامة التي يسعى العالم لتحقيقها بحلول 2023». وأضاف كذلك: «أن جهود الدولة الجزائرية واضحة لحل أزمة المياه، حيث تقوم بفرض غرامات مالية كبيرة على الشركات المبدرة للمياه»<sup>21</sup>

كما ذهب في نفس السياق المهندس زكرياء داردار من شركة امنهيد، حيث ذكر: «أن جهود معالجة أزمة المياه في الجزائر تشمل عدة مستويات: هنالك مستوى خاص بالمنشآت التي تستعمل المياه في التصنيع. وكذلك هنالك مستوى يتعلق بتوفير مياه الشرب ومواجهة مشكلة الاحتباس الحراري من خلال تنقية أو إعادة تنقية المياه». مضيفًا في هذا السياق: «أن الجزائر تقوم بتطوير الحلول الخاصة بالمياه عن طريق مواكبة التقنيات الحديثة في هذا المجال، ونحن ملزمون بخوض هذه المعركة بأحدث الأجهزة التكنولوجية»<sup>22</sup>

في نفس الطرح أشار المهندس محمد حماس مسير، من «شركة المياه الذكية»: «أن المعالجة الذكية للمياه أصبحت ضرورة حتمية في هذا العصر الذي يشهد ارتفاعًا في درجات الحرارة المؤدية إلى موجات جفاف وما ينعكس من ذلك على انخفاض كبير في مياه السدود الممولة الرئيسة للمياه للمواطنين. بحيث تشير الدراسات المناخية أن السنوات القادمة 2023-2050 ستشهد انخفاضًا حادًا في نسبة الأمطار الموسمية لتصل إلى أقل من 30 بالمئة، الأمر الذي يجعلنا نعيش ندرة كبيرة للمياه في العالم وما قد تشكله من تهديد للأمن القومي للدول»<sup>23</sup> وعليه نجد أنه لا خيار أمام العالم إلا؛ الوقاية والتوعية وترشيده الاستهلاك بهدف مواكبة التكنولوجيا الحديثة في تحلية مياه البحر.

وفي اجتماع مجلس الوزراء الجزائري المنعقد في نيسان 2023 أمر رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون بوضع مخطط لتعميم محطات تحلية مياه البحر عبر كامل الشريط الساحلي للبلاد، من أجل تجنب التداخيات المناخية الصعبة التي يمر بها العالم. كما أصدر الرئيس تبون تعليمات لاستنفاة وزارات الداخلية والموارد المائية والفلاحة والصناعة والبيئة على أوسع نطاق، لإنشاء مخطط استعجالي، يهدف إلى وضع سياسة جديدة لاقتصاد المياه وطنيا، وإعادة بعث وتحريك كل المشاريع المتوقفة لمحطات

<sup>20</sup> المرجع نفسه.

<sup>21</sup> المرجع نفسه.

<sup>22</sup> المرجع نفسه.

<sup>23</sup> المرجع نفسه.



تصفية المياه، في كل الولايات، وإنجازها وإعادة العمل بها لاستخدامها في الري والفلاحة، عوض عن المياه الجوفية التي تعتبر المخزون الاستراتيجي للدولة.<sup>24</sup>

كما شدّد الرئيس الجزائري على المتابعة الصارمة لترخيص استغلال المياه الجوفية لسقى المساحات المزروعة، مع تسليط أقصى العقوبات ضد أعمال الحفر العشوائي وغير المرخص للآبار العشوائي، علاوة على ذلك العمل على انجاز دراسات علمية عاجلة تهدف إلى تحديد دقيق لوضعية معدل المياه التي تحوز عليها الجزائر جوفيا. وفي السياق ذاته أقر الرئيس تبون على ضرورة تفعيل شرطة المياه في مراقبة مجالات استعمال المياه في كل المجالات ومحاربة ظاهرة التبذير. وفي ذات الاجتماع أشار الرئيس تبون إلى الجهود المبذولة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية ووزارة التكوين المهني في مجال تحقيق الأمن المائي، من خلال عقد شراكات مع معاهد ذات سمعة دولية لتبادل الخبرات في مجال تحلية مياه البحر، علاوة عن مواصلة تكوين وتطوير نوعية البحوث والدراسات وربطها بمشكلات وتحديات التي تواجه المؤسسات المائية، والعمل على حلحلة تلك المشاكل عبر دراسات جامعية أو عبر المشاريع التي تقدمها مراكز التكوين المهني المتخصصة.

كما أطلقت الجزائر عبر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مشاريع البحث الموضوعاتية الخاصة بتحلية مياه البحر وهذا بعد زيارة وزير التعليم العالي كمال بداري لمركز الطاقات المتجددة في “بوسماعيل تيبازة” يوم 2022/11/23، علاوة عن ذلك تم استحداث تخصص جامعي جديد في ميدان تحلية مياه البحر، لإعداد طلبة وكوادر جزائرية متخصصة في مجال إدارة الموارد المائية. وهو الأمر الذي ذهبت إليه وزارة التكوين المهني من خلال إطلاق مسارات مهنية جديدة لتدعيم الكادر البشري المتخصصة في هذا المجال.<sup>25</sup>

في الإطار ذاته، أشار “محمد بوطبة” المدير العام للشركة الجزائرية للطاقة، وهي إحدى فروع مجمع سوناطراك (AEC)، التي أوكل لها تجسيد البرنامج الوطني لتحلية مياه البحر، إلى: “ضرورة توطین إنتاج عدد من تجهيزات محطات التحلية في الجزائر والرّفْع من نسبة الإدماج الوطني في هذا المجال، بهدف بلوغ نسبة 60 بالمئة من مساهمة نشاط التحلية في تأمين احتياجات مياه الشرب عبر الوطن في أفق 2030” وذكر بوطبة أن ذلك سيتم من خلال “استقطاب الشركات المختصة في التكنولوجيا و تجهيزات محطات تحلية مياه البحر لاسيما الأغشية نصف النفاثة Membranes d'os mose inverse وتوطین إنتاجها في الجزائر عن طريق عقود شراكة وتعاون، مع العمل على إدماج الأداة الوطنية للإنتاج ضمن هذه المشاريع الجارية أو المستقبلية”.<sup>26</sup> واعتبر بوطبة أنه ولأول مرة تطلق الجزائر خمس مشاريع كبرى لتحلية مياه البحر في وقت واحد بمدة انجاز لا تتعدى 25 شهرا وبطاقة تقدر ب 300 الف 3م يوميا لكل منشأة، وهذا “بالاعتماد الكلي” على شركات جزائرية أغلبها فروع لمجمع سوناطراك، مساهمة في تعزيز الأمن المائي للبلاد من خلال مصادر المياه غير التقليدية. وتقع

<sup>24</sup> النص الكامل لمجلس الوزراء، الاذاعة الوطنية الجزائرية، على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/algerie/142405-2023-04-16-17-24->

48

<sup>25</sup> المرجع نفسه

<sup>26</sup> وكالة الأنباء الجزائرية، الشركة الجزائرية للطاقة: نحو إنتاج تجهيزات محطات تحلية مياه البحر محليا، على الرابط:

<https://www.aps.dz/ar/economie/142806-2023-04-26-15-06-18>



هذه المشاريع، التي أدرجت في إطار برنامج تكميلي وانطلقت بها الأشغال منتصف 2022، بكل من ولايات تيبازة (فوكة2)، وهران (الرأس الأبيض)، بجاية (توجة)، بومرداس (رأس جنات) والطارف (كدية دراوش).<sup>27</sup>

## الخاتمة

تعاني منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا من معضلة التسييس في قضايا المياه؛ ونؤكد صحة الفرضية التي انطلقنا منها؛ أنه كلما تم تسييس المياه كلما زاد من تعميق الصراعات بين الدول، كما تسييسها يعتبر مؤشر خطير قد يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة في حالة تأجج الأوضاع وتعقدتها بتدخل مختلف الأطراف الدولية والتفافها وتخذيقها لجانب طرف على آخر. فقارة إفريقيا تعتبر أكثر مناطق العالم معاناة من العجز والإجهاد المائي وهذا رغم امتلاكها مخزوناً هائلاً من المياه الجوفية والأنهار والبحيرات؛ إلا أنها تحولت من نعمة إلى نقمة؛ نقمة التطاحن العرقي والطائفي والدولتي، ونقمة التدخلات الخارجية وتغذيتها لأطراف الصراع بما يخدم مصالح الأطراف الخارجية، أكثر مما يخدم مصلحة الدول المتضررة من أزمة المياه؛ ولعل أزمة سد النهضة بين إثيوبيا ومصر أكبر دليل على ذلك. ومن ذلك نستنتج أن:

- أن الحوار الدبلوماسي والمفاوضات الثنائية والمشاركة بين الدول المشاركة حول موارد المياه هو السبيل الأمثل للمضي قدماً في بناء الثقة والتعاون بين مختلف أطراف الصراع، وهذا من أجل مستقبل مستدام للموارد الطبيعية للدول من جهة وضمان الأمن المائي واستقرار الأسرة الدولية من جهة ثانية.
- تستطيع دبلوماسية المياه من نزع الطابع الأمني (الأمنية) والتخلص من الخطاب الشعبي؛ وأن تحول المياه من مصدر للصراع إلى قوة دافعة للسلام والتعاون والتنمية بين الدول والشعوب.
- أن أهم الشروط اللازمة لمواجهة أزمة المياه وتجنب تسييسها وأمنيتها، هي إخراج مسألة المياه من بعدها السياسي الأمني إلى بعدها التقني التكنولوجي، أي ترك مسألة المياه إلى المختصين والخبراء من أهل الاختصاص.

إن تجربة الجزائر في مواجهة ندرة المياه بتطوير تقنيات تكنولوجية ممثلة بإنجاز محطات تحلية مياه البحر عبر كامل الشريط الساحلي للبلاد؛ تعتبر تجربة رائدة في إفريقيا والشرق الأوسط لما حققته من نتائج على أرض الواقع. وهذا وفق وضعها لاستراتيجيات متوسطة وبعيدة المدى ومخططات التنمية المستدامة في سياق مخطط استعجالي لمواجهة شح المياه، نظراً لإدراك السلطات العليا في البلاد أنه لا أمن ولا استقرار ولا قرار سيادي للبلاد دون ضمان أمنها المائي، وهذا ما يعزز أمنها القومي ومكانتها الجيوسياسية بين دول العالم.

<sup>27</sup> المرجع نفسه.



# نهر النيل والأمن المائي والغذائي لمصر والسودان

سدر زكي \*

## ملخص

حين تسعى دولة من دول العالم لتحقيق الأمن المائي والغذائي لها فإنها لا تنظر فقط إلى مساحتها الجغرافية بل تنظر إلى منبع ومركز مصادرها الأمنية، فلا يمكن أن يتحقق الأمن المائي والغذائي لدولة المصب مصر وكذلك السودان إذا لم تتمكن من تأمين دول المنبع إثيوبيا وأوغندا، لذلك حرصت دول الاحتلال في صناعة صراع حقيقي وممتد منذ سنوات بين دول حوض النيل، وأدى ذلك في نهاية الأمر إلى إقامة سد النهضة في أرض سودانية محتلة متنازع عليها بين إثيوبيا والسودان مما قد يؤدي إلى شح مائي لمصر والتي تعتمد في مياهها على مياه نهر النيل لقلة سقوط الأمطار بها.

وعندما تتحكم الدول الكبرى في القرارات السياسية والإقتصادية لدولة ما فإنها بلا شك تسعى فقط لتحقيق مصالحها والتي تعتمد اعتمادا كليا على استمرار النزاع بين دول الجوار حتى تتمكن من إحكام السيطرة على الدولة بالإضافة إلى المكاسب الناتجة عن بيع السلاح لطرفي الصراع، والمنطقة العربية هي نموذج لسيطرة الدول العظمى على القرار السياسي لدوله.

ولكي تتخلص المنطقة العربية من هذا النفوذ الغربي يجب أن يكون هناك القدر الكافي من التعاون بين دول المنطقة في كل المجالات بما يحقق لها القوة اللازمة لإتخاذ قرارات لتحقيق مصالحها المشتركة، خاصة في مجال الأمن المائي والغذائي.

ما هي أسباب الصراع بين دول المنطقة وكيف يمكن ضمان تحقيق الأمن المائي والغذائي لمصر والسودان لاستمرار تدفق حصة البلدين من مياه النيل بل وزيادة تلك الحصة بما يناسب النمو السكاني في البلدين والذي يمثل 10% من سكان القارة السمراء (150 مليون نسمة)، هذا ما سنتعرض له في هذا البحث.

**الكلمات المفتاحية:** دول حوض النيل، الأمن الغذائي، مصر، السودان.

\* باحثة من مصر، حاصلة على بكالوريوس هندسة اتصالات والكرونيات من كلية الهندسة بجامعة القاهرة.

# Nile River, water and food security for Egypt and Sudan

Sahar Zaki

## Abstract

When a country in the world seeks to achieve water and food security, it does not only look at its geographical area but rather looks at the source and center of its security sources. Water and food security cannot be achieved for the downstream countries, Egypt and Sudan if they cannot secure the upstream countries, Ethiopia and Uganda. Therefore, countries have been keen The occupation created a real and prolonged conflict for years between the Nile Basin countries, and this eventually led to the construction of the Renaissance Dam in an occupied Sudanese land disputed between Ethiopia and Sudan, which may lead to water scarcity for the downstream countries, which depend for their water on the waters of the Nile River, especially Egypt for its lack It rains.

When the major powers control the political and economic decisions of a country, they undoubtedly seek only to achieve their interests, which depend entirely on the continuation of the conflict between the neighboring countries so that they can tighten control over the state in addition to the gains resulting from the sale of arms to the two parties to the conflict, and the Arab region is a model for the control of states Great on the political decision of his country.

For the Arab region to get rid of this Western influence, there must be a sufficient level of cooperation between the countries of the region in all fields, to achieve the necessary strength for them to take decisions to achieve their common interests, especially in the field of water and food security.

What are the causes of the conflict between the countries of the region and how can water and food security be achieved for the downstream countries to continue the flow of Egypt and Sudan's share of the Nile water, and even increase that share to suit the population growth in the two countries, which represents 34% of the population of Arab countries (147 million people), this What we will be exposed to in this research.

**Keywords:** Nile Basin countries - food security - Egypt - Sudan

## مدخل تاريخي

نهر النيل هو أطول أنهار الكرة الأرضية، ويقع في قارة أفريقيا ومساره من الجنوب إلى الشمال، له رافدين رئيسيين هما النيل الأبيض والنيل الأزرق، ينبع النيل الأبيض من بحيرة فيكتوريا في أوغندا، أما النيل الأزرق فيبدأ رحلته من بحيرة تانا في إثيوبيا إلى السودان ثم يجتمع النهران في العاصمة السودانية الخرطوم ليواصل نهر النيل رحلته بطول الأراضي المصرية حتى يصل إلى مصبه في البحر المتوسط.

تستقطب المرتفعات الأثيوبية 40% من حجم الهطول المطري على حوض النيل (660 مليار متر مكعب) سنويا من إجمالي الهطول الذي يصل إلى 1660 مليار متر مكعب من المياه، وتأتي نسبة 85% من مياه نهر النيل من بحيرة تانا عبر النيل الأزرق وتصل قيمتها إلى 70 مليار متر مكعب من إجمالي مياه النيل التي تصل إلى 84 مليار متر مكعب، وهذا يعني أن مصر والسودان يحصلان من مياه الأمطار فوق الهضبة الأثيوبية على نسبة 10% فقط، وتستفيد إثيوبيا من باقي مياه الأمطار بالإضافة إلى وجود مياه سطحية متجددة حوالي 122 مليار متر مكعب من 16 حوض نهري في إثيوبيا.

نتيجة للإمكانات الهائلة التي يوفرها نهر النيل، فقد كان مطمعا للقوي الاستعمارية في القرن التاسع عشر، حيث احتلت الدول الأوروبية دول القارة الأفريقية في تلك الفترة، احتلت بريطانيا مصر والسودان وأوغندا وكينيا، واحتلت ألمانيا تنزانيا ورواندا وبوروندي، في نفس الوقت قامت بلجيكا بالسيطرة على الكونغو الديمقراطية (زائير).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى قُسمت الإمبراطورية الألمانية بين كل من بريطانيا وبلجيكا، فحصلت إنجلترا على تنزانيا، بينما حصلت بلجيكا على رواندا وبوروندي، ومع انتهاء السيطرة البريطانية على مصر والسودان في الخمسينات من القرن العشرين، تم توقيع اتفاقية نهر النيل عام 1959 لتقسيم مياه النيل، وترفض أغلبية دول حوض النيل هذا التقسيم ويعتبرونه جائرا من أيام التوسع الاستعماري.

يحمل النيل حوالي 110 مليون طن من الطمي سنوياً، يأتي معظمها من الهضبة الحبشية، ولكميات الطمي هذه أثر كبير على دول الحوض حيث تجدد خصوبة التربة على الضفتين في بعض المناطق وتقلل من السعة التخزينية للخزانات والسدود على مسار النيل، فعلى سبيل المثال فقد خزان سنار 50% من سعته التخزينية بحلول عام 1975، وبسبب الطمي يتعذر إغلاق أبواب الخزانات في فترة الفيضان لتقليل الترسبات وتجنب ردم البحيرات بفعل الطمي.

## الاتفاقيات المائية بين دول حوض النيل

اتفاقية 1891: أبرمت بريطانيا باسم مصر والسودان اتفاقاً مع إيطاليا -التي كانت توقع باسم أرتيريا- يقضي بالامتناع عن إقامة أية أعمال أو منشآت على نهر عطبرة يكون من شأنها التأثير بدرجة ملحوظة على مياه نهر النيل.

اتفاقية 1902: أبرمت بريطانيا نيابة عن مصر والسودان اتفاقاً مع إثيوبيا تعهد بمقتضاه بعدم القيام بأعمال على النيل الأزرق أو بحيرة تانا قد تؤدي إلى التأثير في مياه النيل إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية.

اتفاقية 1925: اتفاق بين إيطاليا وبريطانيا ويكفل اعتراف إيطاليا بالحق المسبق لمصر والسودان في مياه النيل الأزرق والأبيض، وتعهدتها بعدم إقامة أي إنشاءات من شأنها أن تؤثر تأثيراً ملحوظاً في المياه التي تصل إلى النهر الرئيسي.

اتفاقية 1929: أهم الاتفاقات المرتبطة بحوض النيل، هي اتفاقية أبرمتها الحكومة البريطانية -بصفتها الاستعمارية- نيابة عن عدد من دول حوض النيل، أوغندا وكينيا وتنزانيا، تتضمن إقرار دول الحوض بحصة مصر المكتسبة من مياه النيل، كما ينحصر حق الاعتراض حال إنشاء هذه الدول لمشروعات على فروع النيل قد ترى مصر أنها تهدد أمنها المائي، كما تنص على تقديم جميع التسهيلات للحكومة المصرية لعمل الدراسات والبحوث المائية لنهر النيل في السودان ويمكنها إقامة أعمال هناك لزيادة مياه النيل لمصلحة مصر بالاتفاق مع السلطات المحلية.

كما أبرمت مصر اتفاقاً مع بريطانيا نيابة عن أوغندا بخصوص إنشاء سد على شلالات "أوين" لتوليد الطاقة ورفع مستوى المياه في بحيرة فيكتوريا، لكي تتمكن مصر من الاستفادة منها وقت التحريك (الذي ينخفض فيه منسوب النيل بشدة)، على أن تدفع النفقات اللازمة وتعويض الأضرار التي تصيب أوغندا من جراء ارتفاع منسوب المياه في البحيرة.

اتفاقية 1959: تعتبر استكمالاً لاتفاقية عام 1929، وتمت عقب استقلال السودان عن بريطانيا، وفيها تم توزيع حصص المياه بين البلدين والبالغة 84 مليار متر مكعب تخصص منها 55 ملياراً و500 مليون متر مكعب لمصر، و18 ملياراً و500 مليون متر مكعب للسودان، ولكن دول المنبع الثماني رفضت الاتفاقية واعتبرتها غير عادلة.

اتفاقية عنتيبي: في يوليو من عام 2009 اجتمع المجلس الوزاري الـ 17 لدول حوض النيل في الإسكندرية، حيث سعت دول المنبع إلى فرض إقامة مفوضية لحوض النيل، بغض النظر عن مشاركة مصر والسودان، عوضاً عن الاتفاقيات القديمة لتوزيع المياه، ويمكن اعتبار مايو 2010 هو نقطة البداية لتفاقم أزمة دول حوض النيل، حيث قررت ست من دول منابع النهر هي إثيوبيا وأوغندا وكينيا وتنزانيا ورواندا وبوروندي التوقيع في مدينة عنتيبي الأوغندية على معاهدة جديدة لاقتسام موارده، تنتهي بموجبها الحصص التاريخية لمصر والسودان وفقاً لاتفاقيات 1929 و1959.

وقد رفضت كل من القاهرة والخرطوم الاتفاقية باعتبارها مخالفة لكل الاتفاقيات الدولية، وأعلنت أنها ستخاطب الدول المانحة للتنبيه على عدم قانونية تمويل أي مشروعات مائية، سواء على مجرى النيل أو منابعه، وطبقاً للقانون الدولي فإن النهر الدولي هو النهر الذي يشترك في نشاطه أكثر من دولة، وبالتالي لا يجوز لأي دولة إنشاء أي مشروع على النهر إلا بعد موافقة الدول الأخرى، خاصة إذا كان المشروع من شأنه تقليل إيراد النهر أو تغيير مواعيد وصول المياه للدول الأخرى.

## الاحتياجات المائية لدول حوض النيل

تنقسم دول حوض النيل إلى قسمين:

- دول المجرى والمصب: وهما مصر والسودان.
- دول المنبع: إثيوبيا حيث تقع بحيرة تانا وهي منبع النيل الأزرق، وأوغندا حيث تقع بحيرة فيكتوريا منبع النيل الأبيض.

مصر: بلد صحراوي تتراوح قيمة تساقط المياه بها في معظم أراضيها الصحراوية بين 5 إلى 10مم سنويا، وتعتمد في احتياجاتها المائية بنسبة 95% على مياه نهر النيل في الزراعة وكمصدر لمياه الشرب، وذلك لأن طبيعة الأرض المصرية لا ترتفع كثيرا عن سطح البحر في معظم مساحتها وهذا يجعل استفادتها من مياه نهر النيل غير مكلف على الإطلاق.

كما أن بناء السد العالي لم يؤثر سلبا على أي دولة من دول حوض النيل باعتبارها دولة مصب ويصل في نهايته إلى شمال مصر حيث يصب في البحر المتوسط، وبالتالي لا تعرض أي دولة من دول النيل لأي نوع من الأخطار، ورغم أن السد العالي لا يمثل سوى نسبة ضئيلة جدا من احتياجات مصر الكهربائية إلا أن أثره السلبي ظهر على التربة حيث حجب كميات كبيرة من الطمي التي تجدد خصوبة الأرض الزراعية.

والأمن المائي يعني احتياجات الفرد من الماء على مدار العام ويعرف بحد الأمن المائي، ويبلغ متوسط استهلاك الفرد من المياه عالميا 1000متر مكعب طبقا لتقرير البنك الدولي لعام 1992، وهذا يعني أن احتياجات الشعب المصري من المياه 105 مليار متر مكعب سنويا، بينما يحصل فعليا من حصته في مياه النيل على 48 مليار متر مكعب، لذلك يجب أن تزيد حصة مصر من مياه النيل. (عدد سكان مصر 105 مليون نسمة).

السودان: تعد السودان أفضل حالا من مصر بالنسبة لتساقط الأمطار خاصة في الجنوب المرتفع كثيرا عن سطح البحر وبالتالي فالزراعة في المناطق المرتفعة تعتمد على مياه الأمطار بينما المناطق الشمالية والتي تشبه الأراضي المصرية تروى من مياه النيل، وبالتالي فمصادر المياه في السودان متنوعة ما بين الأمطار والأنهار، بالإضافة إلى أن عدد سكان السودان 45 مليون نسمة وتصل احتياجاتهم المائية 45 مليار متر مكعب سنويا.

وتصل معدلات التساقط في السودان من 600 إلى 1000مم بينما في أغلب الأراضي المصرية لا يزيد عن 10مم سنويا، والمشكلة المائية التي قد تتعرض لها مصر والسودان أيضا نتيجة فصل جنوب السودان عن شماله هو سيطرة إسرائيل وإثيوبيا على دولة الجنوب للتحكم في مياه النيل الأبيض الذي يمد نهر النيل بنسبة 15 إلى 20% من مياهه، والذي يأتي من أوغندا، وهذه هي خطة الدول الإستعمارية التي سعت لفصل جنوب السودان عن شماله، للسيطرة على مصر والسودان.

إثيوبيا: عبارة عن هضبة مرتفعة كثيرا عن سطح البحر ما بين 1500 إلى 4000 متر، وتساقط

الأمطار بها بنسب كبيرة حيث يصل معدل التساقط من 1000 إلى 2300 مم سنويا، بينما يصل معدل التساقط في معظم الأراضي المصرية من 5 إلى 10 مم، ولذلك تعتمد إثيوبيا في زراعتها على مياه الأمطار أكثر من اعتمادها على مياه نهر النيل لعدة أسباب:

- أولا: يمكنها الاستفادة من مياه بحيرة تانا من خلال أنهار أخرى غير النيل الأزرق لأنها بهذا توفر تكلفة رفع مياه السد إلى الأراضي الإثيوبية التي تصل إلى 4000 متر .

- ثانيا: مياه الأمطار الساقطة على الهضبة الأثيوبية تصل إلى 660 مليار متر مكعب سنويا تصل منها 70 مليار إلى النيل الأزرق، وبالتالي يمكن لإثيوبيا الاستفادة من هذه الأمطار الغزيرة بعيدا عن حصة مياه النيل.

- ثالثا: يتواجد في إثيوبيا مياه سطحية متجددة تصل إلى 166 مليار متر مكعب من 16 حوض نهري، وهذه الكمية وحدها تفوق الاحتياجات المائية للشعب الأثيوبي البالغ تعدادها 123 مليون نسمة، وطبقا لحد الأمان المائي تحتاج إثيوبيا إلى 123 مليار متر مكعب من المياه، وهي متوفرة من مياه الأمطار بالإضافة إلى الأنهار الأخرى.

- رابعا: تحتاج إثيوبيا إلى تكلفة عالية جدا لنقل الطاقة إلى الأراضي المرتفعة تفوق تكلفة السد نفسه، وكان الأفضل من ذلك هو بناء سدود صغيرة ذات جدوى اقتصادية وقريبة من المناطق السكنية ومنخفضة التكلفة.

- خامسا: يقع سد النهضة على ارتفاع 600 متر من سطح البحر فإذا أرادت إثيوبيا الاستفادة من المياه المخزنة في بحيرة السد فهذا يعني حاجتها إلى إنشاء شبكة ري تتكلف مليارات الدولارات لنقل المياه إلى الأراضي الأثيوبية من 600 متر موقع السد إلى 2000 أو 3000 متر ، وبالتالي لن يكون الاستفادة من مياه بحيرة السد ذات جدوى اقتصادية.

أوغندا: تقع أوغندا على خط الاستواء والذي تسقط فيه الأمطار كثيرا، حيث يتراوح التساقط بين 1300 إلى 1700 مم سنويا، وتقع البحيرات العظمى جنوب أوغندا، وتمتليء أراضي أوغندا بالعديد من البحيرات منها بحيرة فيكتوريا منبع النيل الأبيض، فهي ليست في حاجة إلى مياه النيل الأبيض لأنه يقع على الحدود الشمالية لأوغندا التي تتواجد بها الكثير من البحيرات الأخرى والتي يمكن الاستفادة من مياهها بطرق أقل تكلفة.

جنوب السودان: أحد أهم المؤامرات التي وُجّهت لمصر والسودان هو إعلان فصل جنوب السودان عن شماله في 9 يوليو 2011، حيث تتحكم جنوب السودان في 15 إلى 20% من مياه النيل التي تصل من النيل الأبيض في أوغندا عبر جنوب السودان حتى يصل إلى الخرطوم، وبها 80% من مصادر الثروة النفطية للسودان، بالإضافة إلى تقلص التنوع البيولوجي والغابات للسودان بعد فصل الجنوب، بالإضافة إلى حرمان السودان من كمية هائلة من مياه الأمطار تصل إلى 500 مليار متر مكعب سنويا.



والتحالف الأثيوبي الإسرائيلي مع جنوب السودان يوضح هدف الدول الكبرى من فصل جنوب السودان عن شماله، حيث تسيطر إثيوبيا على النيل الأزرق من خلال سد النهضة وتسيطر جنوب السودان على النيل الأبيض، وبالتالي تحرم مصر والسودان من مياه النيل، خاصة أن إثيوبيا وجنوب السودان ليسا في حاجة إلى مياه نهر النيل لما لديهم من فائض مياه من الأمطار والمياه السطحية من أنهار أخرى، وهذا بمثابة إعلان حرب.

### النزاعات بين دول حوض النيل

يقام سد النهضة الأثيوبي في منطقة متنازع عليها هي إقليم بني شنقول أو بلاد الذهب، ويتحدث سكانها العربية، وكانت تابعة للسودان ثم لمصر ثم قام الاحتلال البريطاني بضمها إلى إثيوبيا، وفي عهد أسرة محمد علي أرسل جيوشه حتى وصل إلى بني شنقول وضمها إلى مصر في عام 1868، ومع سقوط مصر والسودان تحت الاحتلال البريطاني دخلت القوات الأثيوبية إقليم بني شنقول، وفي عام 1902 اتفقت الحكومة الأثيوبية مع الاحتلال البريطاني على استئجار الإقليم.

وبحسب القوانين الدولية فإن بني شنقول ملكا لمصر وإن كانت السيادة للسودان، ولكن عدم مطالبة السودان بهذا الإقليم رسخ السيادة لإثيوبيا، وبدأت مقاومة بني شنقول للاحتلال منذ عام 1931 وحتى الآن، ومع الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا قامت إنجلترا بتسليح فيلق عسكري من شباب بني شنقول لمقاومة الاحتلال الإيطالي، وضمن خطة السيطرة على بني شنقول وتكريس الاحتلال الأثيوبي لها هو تهجير 30 ألف من مواطنيها تحت ذريعة إنشاء السد.

زادت رغبة إثيوبيا التوسعية بعد أن سلمها الاحتلال البريطاني إقليم أوجادين الصومالي عام 1954 بموجب الإتفاقية التي وقعتها بريطانيا مع إثيوبيا عام 1897، وبذلك وضعت بريطانيا دول المنطقة في صراعات حدودية قبل أن تفقد نفوذها وهيمنتها في دول القارة.

وسيطرة إثيوبيا على إقليم أوجادين يعني سيطرتها على منابع الأنهار التي تصل إلى كينيا والصومال، حيث أقامت سد على نهر أومو الواصل إلى كينيا مما تسبب لها في نقص حصتها المائية من هذا النهر، وتسعى إلى إقامة سد آخر على نهري شبيلي وجوبا اللذان يصبان في المحيط الهندي عبر الأراضي الصومالية.

من كل ما سبق نجد أن الفيدرالية الأثيوبية قابلة للتفكك مع كل هذه الصراعات مع جيرانها، وهي تشبه في دورها في المنطقة الأفريقية الدور الإيراني في آسيا، فكلاهما يسعى للتمدد على حساب دول الجوار بدعم من الدول الكبرى، وفي نفس التوقيت تحاصر هذه الدول الكبرى كلا الدولتين إيران وإثيوبيا حتى لا تكون قوى منافسة لها، فقد تم حصار إيران بدول مجاورة معادية لها، وكذلك حصار إثيوبيا بدول معادية لها، ليستمر الصراع وتستمر هيمنة الدول الكبرى على جميع الأطراف.

والصراع الحقيقي هو صراع بين الدول الكبرى، فبعد تحرر أرتيريا من الاحتلال الإيطالي بعد الحرب العالمية الثانية انضمت إلى إثيوبيا بدعم من الأمم المتحدة عام 1950، وظل التنافس قائما

بين روسيا وأمريكا ليكونا بديلا عن الاحتلال الأوروبي، فقد حاولت روسيا الانقلاب على الرئيس السوداني النميري عام 1971 فرفض الرئيس السادات الانقلاب الروسي ولم يسمح بوجود حكم شيوعي على حدوده الجنوبية في السودان، لكنها نجحت في تغيير الحكم في إثيوبيا عام 1974.

وعندما قامت جبهة تحرير الصومال بالحرب ضد إثيوبيا لتحرير أوجادين في عام 1977 قامت روسيا وكوبا بدعم إثيوبيا لإعادة احتلال الإقليم والسيطرة عليه في عام 1978، وظلت أرتيريا وأوجادين وبني شنقول تحت الاحتلال الإثيوبي حتى عام 1991 حيث تفكك الإتحاد السوفيتي وقررت أمريكا إسقاط أنظمة الحكم المعادية لها، وكانت النتيجة اشتعال الحرب بين أرتيريا وإثيوبيا حتى تم استقلال أرتيريا في 25 أبريل 1993.

وبعد استقلال كل من جيبوتي عن فرنسا عام 1977، واستقلال أرتيريا عن إثيوبيا 1993 أصبحت إثيوبيا دولة حبيسة ليس لها منفذ بحري، وما زالت تهدد دول الجوار في الصومال وكينيا وأرتيريا والسودان ومصر في أمنها المائي وتكون تحالفا مع أمريكا واسرائيل وجنوب السودان ودول أفريقية أخرى بحجة التقسيم العادل لمياه النيل، والهدف هو سيطرة الشركات الأمريكية والأوروبية والصينية على مشاريع الري في دول القارة.

لماذا لا أتحدث عن باقي الدول العشر التي أطلقوا عليها دول حوض النيل، ببساطة لأنه لا علاقة لها بالنيل، فلا علاقة لكينيا أو تنزانيا أو رواندا أو بوروندي أو الكونغو الديمقراطية بمياه النيل، فالبحيرات العظمى عدة بحيرات منها بحيرة فيكتوريا التي تقع بكاملها في الأراضي الأوغندية، كما أن بحيرة تانا تقع بكاملها في الأراضي الأثيوبية والتي ينبع منها النيل الأزرق مارا بالسودان ثم مصر، وبالتالي فلا علاقة لباقي الدول العشر بالنيل الأزرق من قريب أو بعيد.

هذا لا يعني أنه ليس هناك صراعا مائيا بين إثيوبيا ودول أخرى خاصة مع كينيا والصومال، لأن هناك أنهارا مشتركة بين تلك الدول، فنهر شيلي وجوبا اللذان ينبعان من أوجادين الصومالية والتي تحتلها إثيوبيا يصلان إلى مصبهما في المحيط الهندي عبر الصومال، وكذلك نهر أومو الذي يمر عبر كينيا حيث أقامت إثيوبيا أيضا سدا على هذا النهر تهديدا لدولة كينيا، وبالتالي أصبحت إثيوبيا بمثابة مخلب لدول الاحتلال للسيطرة على دول القارة من خلال التحكم في مصادر المياه للدول المجاورة لها خاصة مصر والسودان بالنسبة للنيل الأزرق، وكينيا والصومال بالنسبة لنهر جوبا وشيلي ونهر أومو.

ولأن من وضع الاتفاقيات يسعى إلى استمرار الهيمنة على دول المنطقة فقد جعل الإتفاقيات المائية بين عشر دول ليتمكن من التحكم في هذه الدول والضغط عليها لتنفيذ أجندته ومصالحه، وأحد مصالحه في المنطقة استمرار الهيمنة عليها، وكذلك استمرار الصراع بين تلك الدول حتى تكون سوقا رائجة لسلاحه.

كذلك تمتلك القارة الأفريقية الممرات العالمية لنقل الطاقة والسفن التجارية عبر البحر الأحمر والمتوسط فإن كل القوى الإستعمارية تسعى لمزيد من السيطرة عليها وعلى دولها من خلال

الصراعات بين دول القارة، خاصة الدول التي تمر من خلالها هذه الممرات مثل الدول المطلة على خليج عدن والبحر الأحمر والمتوسط، وكان نهر النيل هو أقوى مصدر يمكن استخدامه لإضعاف والتحكم في كثير من دول القارة السمراء، وأهم إجراء تم اتخاذه لتحقيق هذا الهدف هو فصل جنوب السودان عن شماله للتحكم في النيل الأبيض، وسد النهضة للتحكم في النيل الأزرق.

وكذلك الحال بالنسبة لكينيا والصومال، وبالتالي أصبحت إثيوبيا مصدر تهديد لكل دول الجوار والتي تجد مساندة ودعم من الدول الكبرى، وإثيوبيا نفسها أصبحت تحت تهديد مباشر من دول الجوار خاصة أنها دولة حبيسة ليس لها منفذ على البحر وبالتالي هي أيضا تم السيطرة عليها من خلال الدول الكبرى.

وما يؤكد رغبة إثيوبيا في الهيمنة والضغط على دول الجوار هو إنشاء عدة سدود على حوض النيل الأزرق منذ عام 1973، منها سد بشارا بشارا، سد فينشاش، سد تانا-بيليس، سد تاكيزي-عطبرة، وقد عدلت إثيوبيا من المواصفات الفنية لتلك السدود من 50 مليار متر مكعب لتصبح سعتها التخزينية 200 مليار متر مكعب، وهو ما يكفي الشعب الأثيوبي ويزيد، وبالتالي لا تحتاج إلى مزيد من السدود لتخزين مياه النيل الأزرق ومنع وصوله إلى مساره الطبيعي لنهر النيل.

### سد النهضة وطبيعة علاقات إثيوبيا مع مصر والسودان

أوضح العالم المصري الدكتور مهندس محمد حافظ أستاذ هندسة الموانئ والسواحل بجامعة Uniten الماليزية، أن الفكرة الأولى لسد النهضة انطلقت عام 1964، و كان من المقرر أن يكون السد بسعة تخزين 11 مليار متر مكعب وإنتاج طاقة كهربائية 1400 ميغاوات، وارتفاع خرساني 85 مترا، وارتفاع عمود المياه أمام السد 70 مترا، وهذا التصميم هو الأفضل لضمان تأمين معامل أمان مقبول للسد ضد عامل الإنزلاق خاصة في حالة تزامن حمل الفيضان مع أحمال الزلزال.

وارتفاع مخزون السد من 11 مليار إلى 74 مليار متر مكعب يتطلب زيادة ارتفاع البنيان الخرساني من 85 متر إلى 170 متر، وحتى يتم رفع سعة الخزان سيتم بناء سد ركامي بطول 5000 متر وارتفاع يصل إلى 60 مترا فوق الحدود المنخفضة لخزان البحيرة، مع العلم أن أكبر السدود الركامية حول العالم لم يزد عن 300 متر، وأن مضاعفة السد الركامي الأثيوبي 15 ضعف أحد الوسائل لمنع انهيار السد.

يصل ارتفاع السد الخرساني إلى 170 متر منها 145 ارتفاع عمود الماء الدائم المطلوب توافره لمدة 24 ساعة لمدة 365 يوم في العام، في حين تركت 25 متر كمسافة احتياطية لاستيعاب الفيضان، كما أن فتحات سد النهضة لا تقع في أسفل السد مثل باقي سدود العالم بل تقع في أعلاه عند منسوب أقل من المنسوب الأقصى للمياه بقرابة 3 متر فقط، وهذا يعني أن فتحات السد لن تأخذ من قاع بحيرة التخزين بل ستأخذ من مياه السطح مثلها مثل فتحات الفيض، وبذلك لن يكون به مخرج لمياه النيل الأزرق من سد النهضة إلا بعد أن يصل عمود المياه فوق قاع البحيرة إلى 142 متر، بينما في حالة الفيضان الأعلى سيصل عمود المياه أمام السد 145 متر.

متى سيصل ارتفاع عمود المياه أمام السد إلى 142 متر أو حتى 145 كأقصى ارتفاع؟ في حالة حدوث فيضان خلال شهري يوليو وأغسطس فقط، فكمية تدفق المياه لنهر النيل الأزرق عند موقع سد النهضة خلال باقي السنة لا تكفي للوصول إلى عمود المياه بطول 145 متر فهي كمية تدفق بسيطة تكفي لتوليد طاقة بشكل مستمر تعادل أقل من 2000 ميجاوات، وليس 6000 ميجاوات.

بدأت إثيوبيا مشاريعها (Gilgel Gibe 1, 2, 3) في 2004، فقد دخلت السدود الثلاثة ضمن أهم مشاريع إثيوبيا الجديدة لتوليد الطاقة، بسعة (184 ميغا وات) للأول و(428 ميغا وات) للثاني، والثالث (1870 ميغا وات)، و انطلقت هذه المشاريع بتمويل من البنك الدولي والحكومة الإيطالية والصينية، وبنك الاستثمار الأوروبي وبنك التنمية الأفريقي، وبالتعاقد مع شركة البناء الإيطالية سالييني امبرجيلو.

وفرضت إثيوبيا السرية حول أعمال السد، بداية من سرية الدراسات الخاصة به وخطط بنائه، ومرورا بمنع الخبراء الدوليين والصحفيين من الوصول إلى السد، وإعلان المنطقة المحيطة به منطقة حظر طيران وأقامت قاعدة جوية للجيش بالقرب منه لحمايته من أية هجمات عدائية مُحتملة، وذلك لأن شركة المعادن والهندسة الإثيوبية التابعة للجيش ميتيك (METEC) هي واحدة من شركتين فقط مسؤولتين عن أعمال المشروع، والثانية الشركة الإيطالية سالييني امبرجيلو.

بوصول رئيس الوزراء أبي أحمد للحكم في إبريل 2018 قام ببعض الإصلاحات السياسية والاقتصادية شملت الإطاحة بشركة ميتيك من أعمال السد وتوجيه تهم الفساد لعدد من مسؤوليها، ولم تكن ميتيك الوحيدة هي موضع الشكوك في قضايا الفساد، فقد كانت سالييني الإيطالية أيضا موضع شكوك.

تسببت تلك القضايا بتأخر أعمال السد، آخرها كان عام 2019 لاستبدال بعض أعمال البناء التي كانت قد قامت بها شركة ميتيك في أساسات السد، ووصفتها الحكومة الإثيوبية بأنها دون المستوى ووجب تعديلها، وبما أضاف إلى تكلفة السد المُقدَّرة بالأساس بخمسة مليارات دولار كانت إثيوبيا قد قرَّرت جمعها ذاتيا ودون طلب قرض أو مساهمة دولية مع رفض مصر والسودان وجود السد، وامتناع المؤسسات المالية والشركات الدولية عن إقحام نفسها في النزاع بين الدولتين، وهو الأمر الذي استمر حتى توقيع إعلان المبادئ بين الدول الثلاثة في 2015 الذي مهَّد الطريق لتدفق الشركات العالمية الصينية والأوروبية لنيل قطعة من كعكة إثيوبيا التنموية ومشاريعها العملاقة.

تورَّط كلتا الشركتين المسؤولتين عن سد النهضة في أعمال فساد وسوء إدارة؛ كل هذا يدع احتمالية كبيرة قائمة لتصدُّع أو انهيار السد نفسه عند التوجُّه نحو ملء خزانه، وهو ما يُشكِّل خطرا مُحتملا على الدول الثلاثة إذا ما حدث، بالإضافة إلى النقص المُحتمل لحصة مصر من المياه لغياب التنسيق بينها وبين إثيوبيا.

كانت محاولة الاغتيال الشهيرة التي تعرض لها الرئيس المصري مبارك في أديس أبابا عام 1995، سببا في قطع القاهرة علاقاتها الدبلوماسية كافة مع أديس أبابا (1995 - 2011)، تاركة لإثيوبيا مجالا مفتوحا لتنفيذ مشروعاتها على النهر وسواه دون التفكير في العودة إلى القاهرة، وعندما تم فصل

مصر عن القارة الأفريقية تحالفت إثيوبيا مع باقي دول حوض النيل، وليس لهذه الدول علاقة بصراع إثيوبيا على المياه مع مصر والسودان.

كذلك فصل جنوب السودان في عام 2011 أدى إلى قيام تحالف آخر بين أمريكا وإثيوبيا واسرائيل وجنوب السودان مما يجعل السودان ومصر تحت تهديد إقامة سدود على النيل الأبيض الذي يمد نهر النيل بنسبة من 15 إلى 20% من المياه التي تصل إليه.

ويعد اتفاق إعلان المبادئ مارس 2015 أول اعتراف مصري بحق إثيوبيا في بناء سد النهضة على نهر النيل، كما أكدت وثيقة الخرطوم 29 ديسمبر 2015 إعلان المبادئ ووضعت الخطوط العريضة لاستكمال الدراسات بشأن السد ما أدى بعد ذلك إلى تواجد الشركات العالمية الصينية والأوروبية لتشارك في مشروعات إثيوبيا التنموية.

وفي محاولة لحل أزمة سد النهضة تم استدعاء روسيا لحل النزاع بين إثيوبيا ومصر والسودان، ولما فشلت في مهمتها ثم استدعاء الولايات المتحدة إلى النقاش في واشنطن حول السد، وتطلب الأمر أربعة أشهر من المفاوضات برعاية واشنطن، وجولات مكوكية من سفر وزراء الخارجية ووزراء المياه والري للدول الثلاث ما بين القاهرة والخرطوم وأديس أبابا وواشنطن للوصول إلى نسخة نهائية من مسودة اتفاق كان من المفترض أن يُوقَّع عليها نهاية فبراير 2020، قبل أن تُفاجئ إثيوبيا الجميع بالانسحاب قبل التوقيع بحجة الانحياز الأمريكي لمصر في المفاوضات التي عادت مرة أخرى إلى مظلة الاتحاد الأفريقي في جولات تفاوضية قصيرة وغير مُجدية.

### كفاءة سد النهضة والأهداف السياسية من انشائه

في دراسة للخبير الإثيوبي التخصص في مجال إنتاج الطاقة الكهربائية، ميهاري بين، تحت عنوان: ما هي كفاءة سد النهضة أثبت أن كفاءة سد النهضة في توليد الكهرباء لن تزيد عن 33% فقط، وأن الكهرباء التي سيتم توليدها من السد تعادل الطاقة المنتجة من سد طاقته 2872 ميغاوات ويعمل بكفاءة مقدارها 60%، وبالتالي يمكن تخفيض إجمالي نفقات السد بنسبة 40-45% على الأقل من خلال بناء سد أصغر وبكفاءة توليد أعلى للطاقة.

دراسة أخرى للخبير الإثيوبي، أصفوا بين، ويعمل أستاذا في الهندسة الميكانيكية ويدير مركز الطاقة المتجددة وكفاءة الطاقة في جامعة ولاية سان دييغو الأمريكية، نشرت في 14 يونيو سنة 2013، قال فيها إن الحكومة تفرض سرية حول الكفاءة الكهرومائية لسد النهضة، وإن القدرة التي تعلنها هي محل شك، حيث تم تصميم السد لإنتاج 6000 ميغاوات من الكهرباء، رفعت بعد ذلك إلى 6450 ميغاوات، وحسب معدل تدفق مياه النهر فإن معدل الإنتاج سيكون 2800 ميغاوات، وبهذا يفقد السد جدواه في هذه الحالة ويفشل المشروع في تغطية نفقات التشغيل والصيانة، فضلاً عن تحقيق أرباح للمساهمين.

بينت منظمة الأنهار الدولية في تقرير نشرته على موقعها في يناير سنة 2018 أن التقديرات المالية الأولية التي أجرتها توضح أن صافي القيمة الربحية للمشروع خلال 50 سنة لا تتجاوز 640 مليون

دولار، بينما تبلغ تكلفة المشروع 4 مليارات و800 مليون دولار، ووصفت المنظمة السد بأنه مضيعة للوقت والمال ومسيب حيث يتم بناؤه لدوافع سياسية.

عند الإعلان عن بناء السد في أبريل سنة 2011، خالف زيناوي للمعاهدات والاتفاقيات الدولية المنظمة للحقوق المائية في نهر النيل، وكذلك القوانين الدولية المنظمة لاستخدامات الأنهار الدولية في الأغراض غير الملاحة، لأنه كان إعلاناً أحادي الجانب، ودون إخطار مسبق أو تشاور مع مصر والسودان، ما يكشف عن نية مسبقة للانفراد بالتصرف والتحكم في مجرى النيل الأزرق دون تنسيق مع البلدين.

إن اقتراح بناء السد في آخر حدود إثيوبيا وبالقرب من الحدود السودانية يعني التحكم الكامل في المياه كلها النابعة من حوض النيل الأزرق، على النحو الذي وقع مع كينيا، حيث أقامت سدا على نهر أومو المشترك مع كينيا رغم وعودها بعدم المساس بحصتها المائية.

كتب ديفيد هيرست، الكاتب البريطاني، في 4 أغسطس سنة 2020 مقالاً في موقع ميدل إيست آي تحت عنوان، كيف أصبح سد النهضة الإثيوبي نكبة مصر؟ قال فيه إن سد النهضة بالنسبة لإثيوبيا هو تحقيق حلم يعود إلى عهد الإمبراطور هيلا سيلاسي في الستينيات.

وفي 15 يوليو 2020، أذاع التلفزيون الإثيوبي الوطني خبر بداية الملء الأول لسد النهضة، ثم تراجعت الحكومة الإثيوبية واعتذرت عن إذاعة الخبر، وزعم وزير المياه والري والطاقة الإثيوبي، أن الصور التي نشرتها رويترز من الأمطار الغزيرة فقط وليست بسبب بدء الملء، ولكن بعد أن أكد السودان خروج العديد من محطات مياه الشرب عن الخدمة بسبب التناقص المفاجئ في مياه النهر، اضطرت إثيوبيا إلى إطلاق المياه وأعلن رئيس الوزراء الإثيوبي عن انتهاء الملء.

يقول هيرست، أن وزير الخارجية الأثيوبي قال: "مبروك لقد كان نهر النيل وأصبح النهر بحيرة لن يتدفق بعد الآن إلى النهر، سيكون لدى إثيوبيا كل التنمية التي تريدها منه، في الواقع، النيل لنا"، وأضاف "إن ما قمنا به من بناء سد النهضة هو بمثابة تغيير الرؤية والأهداف وأحدثنا تغييراً في التاريخ والجغرافية السياسية للمنطقة".

وفي 31 مايو 2021، أعلن رئيس الوزراء الإثيوبي، أبي أحمد، عن أن بلاده ستبني أكثر من 100 سد، وكشف عن الهدف من بناء السدود المائة، وهو استخدامها في قطع المياه عن دول بعينها بقوله، إن بناء السدود هو السبيل الوحيد لمقاومة أي قوى معارضة لإثيوبيا، وذلك وفق ما نقلته وكالة الأنباء الإثيوبية الرسمية، ما يؤكد أن أحد أهداف إثيوبيا من بناء سد النهضة على النيل الأزرق هو السيطرة والتحكم في مصر والسودان.

إن خزان سد النهضة سوف يغطي مساحة 1874 كيلومتراً مربعاً، ويمتد طوله إلى مسافة 264 كيلومتراً، وهي مساحة كبيرة تزيد من فرص إنشاء مشاريع زراعية وصناعية حول بحيرة السد وتستمد منها المياه اللازمة المقطعة من الحصة المائية لمصر والسودان.

ما يثير الشكوك أيضاً، أن إثيوبيا دعت إلى استثمار دولي في القطاع الزراعي على أكثر من 3 ملايين هكتار، كما روجت إلى زراعة قصب السكر وخاصة في حوض النيل الأزرق، ودعت المستثمرين لإنشاء 10 مصانع لإنتاج السكر، وهذه المشاريع سوف تستهلك مليارات الأمتار المكعبة من المياه على حساب حصتي مصر والسودان المائية.

في منتصف سنة 2016، زار رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، إثيوبيا وقال في كلمة مقتضبة ألقاها في مجلس نواب الشعب الإثيوبي إن "إسرائيل ستدعم أديس أبابا، لتمكن إثيوبيا من الاستفادة من مواردها المائية وستدعمها بكافة أنواع التكنولوجيا الحديثة وفق استراتيجية إسرائيل"، ما يذكر بأطماع إسرائيل القديمة في مياه النيل.

في اعتراف إثيوبي صريح بالتخطيط لبيع المياه لمصر، وبعد إعلان إثيوبيا في فبراير سنة 2021 عن التعبئة الثانية لسد النهضة دون التقييد بالمفاوضات، أكد المتحدث باسم الخارجية الإثيوبية أحقية بلاده في بيع المياه الفائضة عن حاجتها، وقال على شاشة الجزيرة مباشر في 3 أبريل سنة 2021، أنه لا توجد مشكلة على الإطلاق في بيع حصة بلاده من مياه السد.

محاولة إثيوبيا بناء سد النهضة والتحكم في مسار النيل الأزرق بهدف السيطرة والتحكم في الأمن القومي والقرار السياسي المصري، أو بيع المياه لمصر، أو توصيل المياه لإسرائيل، أو استخدام جزء من حصة مصر المائية في الزراعة حول بحيرة السد، كل ذلك من شأنه أن يهدد السلم والأمن في إقليم حوض النيل، وقد تنشبت تلك الحرب بمجرد نفاذ مخزون المياه من بحيرة السد العالي.

### مخاطر سد النهضة

- بسبب الطبيعة الجيولوجية والطبوغرافية لإثيوبيا فإن تكلفة سد النهضة عالية جدا قد تصل إلى 8 مليار دولار.
- منطقة السد منطقة متنازع عليها بين إثيوبيا ومصر والسودان وقد تشتعل حرب بين هذه الدول ما قد يؤدي إلى تدمير السد.
- تهجير 20 إلى 30 ألف مواطن من منطقة بني شنقول لبناء السد.
- قصر عمر السد الذي يتراوح بين 20 إلى 50 عاما على الأكثر نظرا لتواجده في منطقة صخور بازلت معرضة للانهييار بفعل وزن السد وحجم مياه بحيرة السد التي تصل إلى 74 مليار متر مكعب، وكذلك الإطماء الشديد خلف السد ما يشكل خطرا على توريينات التوليد وبالتالي تناقص كفاءته.
- في حال حدوث انهيار أو تدمير للسد سيؤدي اندفاع مياه بحيرة السد من ارتفاع 600 متر إلى تدمير سد الروصيرص السوداني، كما سيؤدي إلى غرق مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية. كانت حجة إثيوبيا في معارضة الاتفاقيات المائية بين دول حوض النيل أنها وُضعت في فترة الاحتلال، وبما لم يَمْنَحْ دَوْلُ المَبْعِ الحَقَّ في توزيع عادل للمياه، فضلا عن إقامة المشاريع الخاصة بها على النهر، في وقت يُسْمَح فيه لمصر القيام بما تريده من مشاريع تنموية دون العودة لدول المَبْعِ.



إن الاتفاقيات الخاصة بدول حوض النيل تمثل جزءا من خلط الأوراق التي تتعمدها وتتعهدها دول الاحتلال للقارة الأفريقية، فعلى حين 80 إلى 85% من نهر النيل يأتي من بحيرة تانا في إثيوبيا إلى السودان ومصر، ويأتي 15 إلى 20% من بحيرة فيكتوريا، فإن الاتفاقيات المائية ضمت الدول العشر رغم أن الاتفاقيات المائية يجب أن تنقسم إلى اتفاقيتين:

- الإتفاقية الأولى بين مصر والسودان وإثيوبيا، فلا دخل لباقي الدول في هذه الإتفاقية باعتبار أن النيل الأزرق يأتي من بحيرة تانا إلى الخرطوم في السودان ثم إلى مصر ليصب في البحر المتوسط.

- الإتفاقية الثانية بين أوغندا والسودان ومصر ولا دخل لإثيوبيا في هذه الإتفاقية على اعتبار أن النيل الأبيض يمر من أقصى شمال أوغندا إلى السودان ثم إلى مصر، ويوجد في أوغندا عدة بحيرات أخرى يمكن أن يتم عقد اتفاقية أخرى منفصلة بين أوغندا والدول المجاورة لها.

وكما وضحنا من قبل أن مصادر المياه لدول المنبع متنوعة بحكم الطبيعة الجغرافية لهذه الدول إثيوبيا وأوغندا وجنوب السودان تكفي احتياجاتها المائية دون الحاجة إلى مياه النيل، وكذلك الاستفادة من المياه أو الطاقة المولدة من سد النهضة لن يستفيد منها الشعب الإثيوبي نظرا لتكلفة نقل الطاقة إلى المرتفعات التي يعيش فيها معظم الشعب، وكذلك الحال بالنسبة للأراضي الزراعية حول السد ستكون معرضة للغرق في حال حدوث فيضان.

وعندما تكون فتحات السد إلى النهر على ارتفاع 142 متر فهذا يعني أن المياه لن تمر إلى النهر إلا في حال ارتفاع الماء في بحيرة السد عن 142متر، وبالتالي تم تجميع مياه النهر في بحيرة سد النهضة لعدم وصول المياه إلى مصر والسودان، وهذا يعني إعلان حرب عليهما من قبل إثيوبيا.

وقد تشتعل المنطقة بكاملها إذا قررت جنوب السودان إقامة سدود في حوض النيل الأبيض لحرمان مصر وشمال السودان من مياهه، وهذا صراع آخر يوضح لماذا قررت أمريكا فصل جنوب السودان عن شمالها ولماذا تمت محاولة اغتيال الرئيس المصري مبارك في إثيوبيا والذي قرر قطع علاقة مصر بالقارة الأفريقية بعد محاولة اغتياله في أديس أبابا عام 1995، وبقيت العلاقات مقطوعة بين البلدين حتى عام 2011.

ومع بداية الربيع العربي والثورة في مصر 25 يناير 2011، تزعمت أمريكا الثورة المضادة وكانت البداية فصل جنوب السودان في يوليو 2011، ثم البدء في إنشاء سد النهضة في 14 أكتوبر 2011 كي يكون أداة تهديد رئيسية للشعب المصري حتى يرضخ للثورة المضادة.

أصبحت إثيوبيا مصدر تهديد لكل جيرانها، فلم تعد فقط تهدد مصر والسودان، بل امتد تهديدها إلى كينيا حيث أقامت سدا على نهر أومو الذي يصل إلى كينيا ما سبب نقص في حصتها المائية، ونفس التهديد قد يحدث مع الصومال التي تحتل إثيوبيا جزءا من أراضيه هو إقليم أوجادين والذي ينبع منه عدة أنهار منها نهر شبيلي الذي يلتقي مع نهر جوبا في الصومال.



بهذا نرى أن إثيوبيا في أفريقيا تشبه إيران في آسيا من حيث تمدد كل منهما واحتلال أجزاء من الدول المجاورة، بل ولزيادة الضغط على دول المنطقة يتم استدعاء الشركات الصينية والأوروبية للإستثمار في إثيوبيا حتى لا تتمكن أي دولة من دول الجوار الأثيوبي من الضغط عليها ووقف تهديداتها إلا من خلال تنفيذ أجنداث الدول الكبرى في المنطقة والتي تهدف إلى استمرار الهيمنة الأجنبية عليها.

في نفس التوقيت الذي تهدد فيه إثيوبيا دول الجوار مصر والسودان والصومال وكينيا، فهي دولة حبيسة ليس لها منفذ بحري، وبالتالي فيمكن حصارها من كل الإتجاهات بالدول التي تهدد أمنها المائي، فكما هددت الدول الكبرى مصر والسودان وكينيا والصومال بإثيوبيا، هددت إثيوبيا بحصارها من دول الجوار إذا لم تنفذ أجنحتها في المنطقة، فأصبح العداء بين إثيوبيا وجيرانها متبادلا وأصبح الكل يحاصر الكل، إثيوبيا محاصرة بحريا، ودول الجوار محاصرة مائيا، لتظل المنطقة قابلة للإشتعال إذا تمردت أي من هذه الدول على الدول الكبرى.

### حلول مقترحة لمعالجة مشكلة المياه في السودان ومصر

كما أوضحنا من قبل فإن سد النهضة لن يكون مفيدا في تنمية إثيوبيا بل على العكس تماما، فسوف يكون مصدر تهديد لأمنها الداخلي، لماذا؟ لأن مصر والسودان بعد ملء خزان سد النهضة لن يفكرا أبدا في ضرب السد لأنه في منطقة سيقع الضرر في حالة ضرب السد على مصر والسودان، وسيتمثل الضرر الأثيوبي على الاستثمارات التي أهدرت في مشروع قابل للتدمير إما بفعل الزلازل التي تتعرض لها المنطقة للمقام عليها السد، وإما بفعل الفيضان الذي قد يؤدي إلى انهيار السد بفعل الأحمال الكبيرة التي تتمثل في مياه البحيرة 74مليار متر مكعب بالإضافة إلى كمية الطمي التي تصاحب تساقط المياه والتي تصل إلى 420مليار متر مكعب سنويا.

يجب أن يكون هناك حلا هندسيا، يسمح بتفريغ مياه البحيرة تدريجيا، ثم القيام بالتعديلات اللازمة لعمل فتحات المياه أسفل السد والتي تسمح بمرور مياه النيل الأزرق إلى مساره الطبيعي، ولن يتم ذلك إلا إذا توفرت الإرادة السياسية للدول الثلاث للقيام بهذه الأعمال، وهذا لن يحدث في ظل هيمنة الدول الكبرى على القرار السياسي لهذه الدول، وإذا لم تستطع أنظمة الحكم الدفاع عن أمنها القومي فعلى شعوب هذه الدول الضغط على حكوماتها إذا حدث تهديد حقيقي لها في حال قررت إثيوبيا بيع مياه النيل للسودان ومصر.

ولكي يتحقق هذا الحل يجب إحداث توازن قوى في المنطقة بين الهيمنة الأمريكية والصينية والروسية من جهة وتحالف جديد من دول أخرى معتبرة ولها ثقلها السياسي والعسكري تسعى لكسر هيمنة هذه الدول في القارة الأفريقية، بحيث يتم الضغط على إثيوبيا لوقف تهديدها لدول الجوار.

قوة مقابل قوة، تحالف يقابله تحالف مضاد، الصين وروسيا وأمريكا قوة وإن تبدو متضاربة أو متنافسة إلا أنها في نهاية الأمر تعمل لصالح أجنحتها وهي السيطرة على مصادر المياه لتهديد دول

المنطقة، القوة الأخرى يجب أن تكون دولا إسلامية ولتكن منظمة التعاون الإسلامي التي يجب عليها تفعيل اتفاقية الدفاع المشترك خاصة عندما يتم تهديد 150 مليون مواطن في أمنه المائي والغذائي، وكذلك تهديد الشعب الأثيوبي الذي يصل تعداده إلى 123 مليون نسمة في حال حدوث حرب بين الدول الثلاث لضمان أمنها القومي وعلى رأسه الأمن المائي والغذائي.

حل آخر ويقع ضمن الحل السياسي هو تفكيك إثيوبيا من الداخل وهي قابلة لذلك خاصة مع الصراع الموجود بين العرقيات المختلفة بها، ودعم شخصية رافضة للتهديدات الأثيوبية لدول الجوار لتولي الحكم، وبالتالي يمكن التفاهم معها لصالح جميع دول المنطقة بما فيها إثيوبيا.

والحل الأمثل لصالح كل دول النيل هو إعادة تصميم السد بما لا يضر بحصص مصر والسودان من المياه، في مقابل إقامة علاقات متوازنة مع إثيوبيا وتسمح لها السودان ومصر باستخدام الطرق البرية في نشاطها التجاري، وكذلك دعمها من خلال الطرق البحرية، وقد تم ذلك عبر العصور حتى تدخلت القوى الامبريالية للسيطرة على دول القارة من جهة وكذلك السيطرة على الطرق التجارية البرية والبحرية من جهة أخرى.

كما يجب أن تكون منطقة منابع النيل الأزرق والأبيض محميات طبيعية لا يجب إقامة عليها أي مشروعات مائية لحماية مصر والسودان، فكما تقوم الأمم المتحدة بتخصيص ملايين الكيلومترات كمحميات طبيعية لحماية الأحياء المائية والحيوانات البرية فالأولى أن تكون الحماية للبشر الذين قد يتعرضون لخطر الموت جوعا وعطشا نتيجة حجز مياه النهر خلف سد النهضة، وتكون هذه المناطق تحت حماية وسيادة مصر والسودان.

## خاتمة

الأمن المائي والغذائي لمصر والسودان يعني الآتي:

- الحفاظ على أمن منابع النيل واستمرار التدفق الطبيعي لمياهه.
- التنسيق بين دول حوض النيل في المشروعات المائية التي قد تؤثر على مياه النهر والتي تصل لمصر والسودان.
- تنمية العلاقات السياسية والإقتصادية والأمنية والمشروعات الخاصة بالطاقة مع دول حوض النيل.
- ضمان أمن واستقرار مصر والسودان وإثيوبيا وأوغندا لأن أي تهديد لأي دولة من تلك الدول يشكل تهديدا مباشرا لمصر والسودان.

وفكرة تدمير سد النهضة بعد الملء سواء بعملية عسكرية أو بفعل زلزال لوجوده في منطقة صخور بازلتية معرضة للإنهيار بالإضافة إلى أحمال السد (منشآته - مكوناته الخرسانية - الطمي الذي يحجزه جسم السد - 74مليار متر مكعب من الماء) سوف يضر كل من مصر والسودان وإثيوبيا،

وبالتالي لن تحرص تلك الدول على تدمير السد، والحل هو تفريغ السد من المياه بالطرق الفنية والهندسية المتاحة، ومنع إقامة أي سدود أخرى في حوض النيل الأزرق بعد أن أقامت إثيوبيا أربعة سدود حجم تخزينها 200 مليار متر مكعب وهي تزيد عن الاحتياجات المائية للشعب الأثيوبي.

مصالح شعوب دول حوض النيل إثيوبيا وأوغندا ومصر والسودان والبالغ تعدادهم 325 مليون نسمة (23% من سكان القارة السمراء) تعد أهم من مصالح بعض الشركات الإستثمارية والتي تعمدت الإضرار بالأمن المائي والغذائي لدول حوض النيل في مقابل مكاسبها المادية والسياسية والهيمنة على قرارات تلك الدول.



# العلاقات الاقتصادية بين تركيا ودول شمال أفريقيا

أ.د. دخان نور الدين \*

د. سليم بدرية \*\*

## ملخص

في مسعى مواصلة النجاحات الاقتصادية المحققة على المستوى المحلي، سيما مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة، عملت الحكومات التركية المتعاقبة، وفق خطط إستراتيجية اقتصادية طويلة المدى نحو التمدد تجاه مجالها الجغرافي، إذ وجدت في القارة السمراء بصفة عامة، وفي شمالها بصفة خاصة، مجالاً خصباً لنسج علاقات اقتصادية جديدة قوامها الاستثمار، والبحث عن أسواق بديلة، بحيث أصبحت اليوم تركيا تنافس وتزاحم كبرى القوى الإقليمية والدولية، حيث سمحت لها هذه الإستراتيجية المتبعة من بناء علاقات اقتصادية بينية متينة مع دول الشمال القارة الإفريقية، وهو الأمر الذي سيؤهلها مستقبلاً للعب أدواراً هامة في المنطقة.

**الكلمات المفتاحية:** تركيا، الحكومة التركية، الاقتصاد، أفريقيا.

\* جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.

\*\* جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.

# Economic relations between Türkiye and North African countries

Prof.Dr. Dokhan Noralddin

Dr. Salim Badrah

## Abstract

To continue the economic successes achieved at the local level, especially with the arrival of the Justice Development Party to power, successive Turkish governments worked, according to long-term economic strategic plans, towards expanding their geographical area, as they found space in the brown continent in general, and in the north in particular. Fertile to weave new economic relations based on investment and the search for alternative markets, so that today Turkey is competing and competing with major regional and international powers, as this strategy allowed it to build strong inter-economic relations with the countries of the North African continent, which will qualify it in the future to play an important role in the area.

**Keywords:** Türkiye, Turkish government, economy, Africa.

## مقدمة

بين نعمة ونقمة ما تتمتع به القارة السمراء شمالا، وجنوبا، وشرقا وغربا، من إمكانات ومقدرات، تأتي في مقدمتها شاسعة المساحة، إذ تربع القارة السمراء على حيز جغرافي يقدر بـ 30 مليون كم<sup>2</sup>، كما تتمتع بتضاريس جيواستراتيجية مهمة، وذلك من خلال إطلالها على المحيطات والبحار، ناهيك هذا عن غنى باطنها بالموارد الأولية كالنفط والغاز وغيرها من موارد الطاقة، ولعل هذا ما جعل معظم دولها تخضع لحكم الاستعمار الغاشم لسنين طوال، والذي أدى بها إلى استنزاف ثرواتها وتدمير بناها التحتية، فعلى الرغم من حصول جل الدول الإفريقية على الاستقلال، فقد واجهت الدول الإفريقية مجتمعة عدة إشكالات نذكر منها: إشكالية بناء الدولة، والتنمية الاقتصادية، والتنمية السياسية، وغيرها من إشكالات أخرى أثقلت كاهلها وأدت بها في بعض الأحيان إلى الوشك على الأفول، هو الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه أما القوى الأجنبية التي تعيش في ظل بيئة دولية تشهد قفزة تكنولوجية هائلة تستدعي الحصول على الموارد الأولية لمواكبة تطوراتها والتكيف معها، وبهذا الشكل انتقلت القارة الإفريقية من الاستعمار بشكلها التقليدي إلى الانتداب بشكله الاقتصادي الجديد.

وفي هذا السياق اتجهت تركيا صوب القارة الإفريقية عموما، وإلى شمال القارة على وجه التحديد، خاصة مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة، في مسعى دؤوب لمضاعفة نجاحاتها الاقتصادية المحققة منذ سنوات، إذ وصل الدخل القومي التركي إلى ما يقدر بـ 820 مليار دولار سنة 2014 في حين تطمح للوصول إلى 2 تريليون سنة 2023، ولقد وجدت في إفريقيا التي تعج بالفرص الاستثمارية والأسواق والموارد أفق لتحقيق مبتغاهما، في عدة مجالات وعلى كافة المستويات، ومن هنا نتساءل للإجابة عن إشكال جوهرى مفاده: ماهي أهم مجالات التعاون الاقتصادي بين تركيا ودول شمال إفريقيا؟ وما هي أهم محددات هذا التعاون؟ وماهي آفاقه؟

## أولاً- المراحل التاريخية لعلاقات تركيا بدول شمال أفريقيا

لم تكن تركيا من بين الدول الأوروبية الاستعمارية للدول الأفريقية، بحيث ليس لتركيا ميراث استعماري سابق في القارة الأفريقية، كما أنها لم تكن من بين تلك القوى التي نسجت خيوط الخريطة الاستعمارية في أفريقيا من خلال مؤتمر برلين 1884-1885، فالأخير قاد إلى تقسيم القارة الأفريقية إلى مناطق نفوذ خاضعة للقوى الاستعمارية، غير أن ذلك لا يعنى انعدام الصلة التاريخية بين تركيا والقارة الأفريقية، والتي تعود بجذورها إلى فترة وجود الإمبراطورية العثمانية، وقد يكون من اللائم وضع العلاقات التاريخية التركية الأفريقية في إطار عدد من المراحل الرئيسية، فالأخيرة ستساهم في معرفة للدول والانعكاسات المتعلقة بطبيعة كل مرحلة على البعد السياسي للعلاقات المعاصرة بين الطرفين<sup>1</sup>، وتتمثل تلك المراحل فيما يلي:

المرحلة الأولى في عهد الإمبراطورية العثمانية: يعود التاريخ التركي في القارة الأفريقية إلى القرن السادس عشر عندما دخل العثمانيون القارة لأول مرة عبر شمالها، ثم استمر التوسع العثماني يمتد عبر شواطئ البحر الأحمر ومرورا بالبحر الأبيض المتوسط وصولا إلى الأراضي الواقعة في اتجاه منطقة

<sup>1</sup> محمود زكريا محمود إبراهيم، العلاقات السياسية الأفريقية - التركية: المحددات والقضايا، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 2015، ص 3.

الساحل الأفريقي، وقد ظل العثمانيون في إفريقيا قوة حاكمة لأربعة قرون، وأسسوا خمس إدارات منفصلة تركزت في الجزائر وتونس وليبيا ومصر وإريتريا، غير أن القوات العثمانية انسحبت من القارة بعد ذلك تاركة معاقها الإدارية للقوى الاستعمارية الأوروبية، ورغم أن الإرث التاريخي العثماني في القارة الأفريقية ما يزال غنيا جدا، إلا أنه ما يزال أيضا غير مستكشف من قبل الأكاديميين، حيث كانت بوصلة تركيا، في العهد الجمهوري، موجهة عادة إلى الغرب<sup>2</sup>.

المرحلة الثانية الممتدة بين 1923-1998: هي المرحلة الممتدة من انهيار الإمبراطورية العثمانية وصولا إلى تبني خطة عمل "الانفتاح على أفريقيا"، ويلاحظ أن العلاقات المتبادلة بين الطرفين لم تكن مزدهرة بالشكل المطلوب، بل كانت تمثل واحدة من أدنى مستوى متبادل من العلاقات بين الطرفين، ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل المتعلقة بالجانبين التركي والأفريقي، أما المتعلقة بالجانب التركي تتمثل في كون السياسة الخارجية التركية خلال تلك المرحلة كانت تركز على العلاقات مع الدول الغربية حتى نهاية الحرب الباردة، حيث إن الظروف الدولية للحرب العالمية الثانية والحرب الباردة من جهة، والمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية لتركيا من جهة أخرى، حالت دون قدرة تركيا على تعزيز علاقاتها مع المجتمعات غير الغربية ومنها الدول الأفريقية كما أن عضوية تركيا في الأمم المتحدة في عام 1946 وانضمامها لحلف شمال الأطلسي ناتو في 1952 أثرت على السياسة الخارجية التركية، وذلك ليس على مستوى علاقتها مع الاتحاد السوفيتي فحسب، بل على مستوى علاقتها مع دول أفريقيا وآسيا، كما أن الاعتقاد التركي بعدم فعالية حركة عدم الانحياز في مواجهة التمدد والتوسع السوفيتي، قاد إلى إفراز نوعا من المواجهة بين الدول الأفريقية التي شاركت في حركة عدم الانحياز وتركيا، وهو ما بات جليا خلال مؤتمر باندونج في عام 1955، فضلا عن الإخفاق التركي لدعم قضية استقلال الجزائر في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1956، خلف جانبا سلبيا أضر بالعلاقات التركية الأفريقية بينما الأسباب المتعلقة بالجانب الإفريقي، فتكمن في المشكلات الداخلية التي عانت منها الدول الأفريقية، ومنها الكفاح المسلح ضد الاستعمار الأجنبي لنيل الاستقلال، وما يرتبط بذلك من عملية لبناء الدولة، وعلى الرغم من وجود بعض الاهتمام التركي حيال أفريقيا خلال هذه المرحلة مرحلة الحرب الباردة غير أنه بات قاصرا على أقاليم شمال أفريقيا، حيث لم تولي تركيا اهتماما بالجزء الجنوبي من القارة خلال تلك المرحلة، باستثناء ما لعبته من دور في حصول كل من غانا وناميبيا وزيمبابوي على استقلالهم، وخلال هذه المرحلة اعترفت تركيا باستقلال كافة الدول الأفريقية مع مطلع الستينيات من القرن العشرين<sup>3</sup>.

المرحلة الثالثة الممتدة بين 1998-2002: شهدت تركيا مشاكل عديدة في علاقاتها الدولية سنة 1997 والتي من أبرزها رفض الاتحاد الأوروبي ترشيح تركيا للانضمام له لأسباب متعلقة بالصراع مع اليونان وقبرص، وهو ما جعل الأتراك يجمدون الحوار السياسي مع الأوروبيين، ويتجهون إلى بدء انتهاج سياسة خارجية أوسع وأكثر انفتاحا على العالم الخارجي غير الغربي، وكانت القارة الأفريقية أحد أهم نقاط الارتكاز في هذا الموضوع، مع التركيز على الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء، ولتحقيق ذلك الغرض تبنت تركيا سنة 1998 خطة عمل سميت بـ "الانفتاح على أفريقيا" التي أعدتها

<sup>2</sup> سرحات أوركاشي، بروز دور تركيا في أفريقيا الصاعدة، ورقة تحليلية، مركز الجزيرة للدراسات، ص، 04.

<sup>3</sup> محمود زكريا محمود إبراهيم، مرجع سابق، ص 4، 05.



وزارة الخارجية وشارك في التحضير لها العديد من الفاعلين المحليين المتمثلين في رجال أعمال ومجتمع مدني وممثلي الوزارات وممثلي عديد الشركات والمؤسسات الخاصة، إضافة إلى الأفارقة الذين حضروا عديد الاجتماعات لمناقشة موضوع العلاقات التركية الأفريقية، وقد ارتكزت خطة الانفتاح على أربعة عوامل رئيسية أولها الشق الدبلوماسي الذي هدفت من خلاله تركيا إلى زيادة عدد التمثيليات الدبلوماسية في القارة الأفريقية ورفع مستوى التمثيل إلى أرقى درجاته وهي درجة السفارة، وثانيها الشق السياسي من خلال تبادل الزيارات الرسمية وهذا يرتبط بشكل وثيق مع الجانب الدبلوماسي، أما الشق الثالث فهو الجانب الاقتصادي والتنموي، حيث هدفت تركيا إلى تشجيع التبادل التجاري وتنشيط العلاقات الاقتصادية بين الطرفين وزيادة الدعم الإنساني والتنموي للقارة الأفريقية التي تعاني مشاكل تنموية كبيرة، أما الشق الرابع فهو الثقافي وذلك

من خلال تعميق أواصر التعاون الثقافي وتطويره، خاصة أن الأفارقة يتشاركون مع الأتراك في بعد ثقافي يشملهما وهي الثقافة الإسلامية والإرث الإسلامي الذي يشكل عاملا مشجعا يمكن الاستناد عليه في توثيق الصلات مع عديد الدول الأفريقية.

وعلى الرغم من هذه الإجراءات المفصلة التي جاءت بها خطة الانفتاح سنة 1998 بهدف تدشين مرحلة جديدة في العلاقات بين تركيا والدول الأفريقية إلا أن واقع التطبيق كان بعيدا عما كتب في الوثائق، وذلك بسبب المشاكل والاضطرابات السياسية الداخلية التي عانت منها تركيا بسبب تواجد ثلاثة أحزاب في الائتلاف الحكومي، إضافة إلى الزلزال الكبير الذي حدث في تركيا سنة 1999 والذي خلف خسائر بشرية ومادية كبيرة، وما تلاه من أزمة اقتصادية حادة وقعت بين سنتي 2000 و 2001، وللإشارة فإن وزير خارجية حكومة الائتلاف "إسماعيل جيم" صرح مرات عديدة موضحا رؤيته الجديدة للسياسة الخارجية التركية والتي تقوم على أبعاد متعددة تنظر من خلالها إلى القارة الأفريقية على أنها قارة مهمة لتركيا<sup>4</sup>.

## ثانياً- مجالات التعاون الاقتصادي بين تركيا ودول شمال إفريقيا

### أ- تركيا والجزائر:

تعتبر الجزائر أول وأكبر شريك لتركيا في إفريقيا، أما تركيا فهي ثاني شريك اقتصادي للجزائر بين الدول المنتمة لمنظمة التعاون الاقتصادي بعد الصين، وبالحدوث عن تعزيز التبادلات التجارية بين البلدين، فإن هناك وجود كثيف لرجال الأعمال الأتراك في الجزائر واهتمامهم بالسوق الجزائرية أما على المستوى العالمي فتركيا هي المورد السابع للجزائر بعد فرنسا، والصين، وإيطاليا، وإسبانيا، وألمانيا والأرجنتين. كما أن تركيا هي الزبون الثامن للصادرات الجزائرية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وإيطاليا، وإسبانيا، وفرنسا، وكندا، وهولندا، وبريطانيا<sup>5</sup>.

<sup>4</sup> خالد بقاص، العلاقات التركية الأفريقية الجديدة دراسة للأبعاد والأهداف والنتائج، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية تخصص دراسات إفريقية، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية قسم الدراسات الدولية، جامعة الجزائر، 2017، ص 62، 63.

<sup>5</sup> مداني بن شهرة، دور الشراكة الاقتصادية الثنائية الجزائرية التركية واقع وآفاق المجال الصناعي نموذجا، مجلة المنارة للدراسات الاقتصادية، العدد 1، 2017، ص 10، 12.

## ب- تركيا ومصر:

وكما أشرنا سابقا يعد العامل الاقتصادي محورا أساسيا في سياسة تركيا الخارجية، وقد اعتمد حزب العدالة والتنمية سياسة الانفتاح على العالم الخارجي، الأمر الذي أسهم في توجه تركيا نحو المزيد من العلاقات السياسية والاقتصادية مع دول العالم العربي خلال السنوات الخمس الأخيرة تدفقت رؤوس الأموال التركية نحو العديد من الدول العربية والإسلامية ولا سيما سوريا واليمن وليبيا ومصر والسودان، وباندلاع الثورات العربية، ووقوف تركيا إلى جانب هذه الثورات ضد أنظمتها التقليدية فقدت تركيا الكثير من استثماراتها، وتعرض رجال الأعمال والمستثمرون لنكبات واضحة جراء وقوفهم إلى جانب سياسة تركيا نحو الانفتاح على العالم العربي<sup>6</sup>.

حيث وصل حجم التبادل التجاري بين مصر وتركيا خلال العام 2010 إلى ما يقارب 3.1 مليار دولار، من بينها 900 مليون دولار صادرات مصرية للسوق التركي، فيما تتجاوز الاستثمارات التركية في السوق المصري 2 مليار دولار وترتبط الدولتان باتفاقية تجارة حرة موقعة في عام 2007.

وفي عام 2011، صرح وزير الطاقة التركي تانر يلدز بأن بلاده تعتزم التنقيب عن الغاز الطبيعي في البحر المتوسط بالتعاون مع مصر، وأنها تدرس استيراد الغاز منها، وتم توقيع مذكرتي تفاهم في مجال الطاقة مع مصر تتعلق الأولى بالتعاون مع طرف ثالث، والأخرى خاصة بالكهرباء، وتعتزم تركيا مد خط لنقل الكهرباء بين سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر وليبيا خلال سبع أو ثماني سنوات.

هذا وقد عرفت العلاقات الاقتصادية بين الجانبين تبادل الزيارات الرسمية خلال سنوات 2009-2012 حيث توجت تلك الزيارات بالتوقيع على ما يقرب من 50 اتفاقية جديدة لتعزيز التعاون المشترك بين البلدين في جميع المجالات. بالاتفاقيات الجديدة التي دخلت بالفعل حيز التنفيذ، وصل عدد اتفاقيات التعاون المشترك إلى 100 اتفاقية<sup>7</sup>.

البيان	2011	2012	2013	2014	2015
الصادرات التركية لمصر	2759	3679	3200	3297	3129
النسبة من إجمالي صادرات تركيا	%2	%2.4	%2.1	%2.1	%2.2
الواردات التركية من مصر	1382	1342	1628	1434	1215
النسبة من إجمالي واردات تركيا	0.57	0.56	0.64	0.59	0.58
إجمالي التبادل التجاري	4141	5021	4828	4731	4344
رصيد الميزان التجاري	1377	2337	1572	1863	1914

<sup>6</sup> برهان كورأوغلو، العلاقات التركية مع مصر بعد الثورة: الواقع والطموحات، ورفات تحليلية، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2011، ص 06.

<sup>7</sup> شيماء معروف فرحان، العلاقات التركية المصرية بعد عام 2011، مجلة اتجاهات سياسية، المجلد 3، العدد 10، 2020، ص 23، 24.

<sup>8</sup> المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2016، ص 03.

**الجدول رقم 1: الميزان التجاري بين مصر وتركيا الفترة 2011-2015 (بالمليار الدولار)<sup>8</sup>**

ما يمكن استنتاجه من خلال ما هو مبين في الجدول رقم 1 هو أن إجمالي التبادل التجاري كان الأفضل في عام 2012 من بين سنوات الرسومة في الجدول، بحيث شهد التبادل التجاري بين الجانبين تراجعاً مشهوداً خلال الأعوام التالية، أي بالتحديد سنة 2015، ولعل السبب الرئيس في ذلك هو توتر العلاقات السياسية بين البلدين خلال تلك الفترة.

أما فيما يتعلق بالعلاقات الاستثمارية بين مصر وتركيا، يجب أن ننوه إلى السياسة الرشيدة المنتهجة من طرف الساسة الأتراك والمتمثلة في تبني استراتيجية اتجاه الشرق تهدف لتحقيق التوازن في علاقات تركيا بالغرب، وتخفيف حدة ضغوط أوروبا لقبول تركيا بعضوية الاتحاد الأوروبي، عموماً بلغ إجمالي الاستثمارات التركية في مصر 978 مليون دولار، والمصرية في تركيا 58 مليون دولار وهذا ما أوردته الإحصائيات المبينة في الجدول أدناه<sup>9</sup>:

السنة	استثمارات تركيا في مصر	استثمارات مصرية في تركيا	السنة	استثمارات تركيا في مصر	استثمارات مصرية في تركيا
2001	5	18	2008	54	0
2002	5	8	2009	94	0
2003	5	13	2010	100	0
2004	5	8	2011	112	0
2005	7	2	2012	147	0
2006	9	3	2013	202	2
2007	38	0	2014	195	4

**الجدول رقم 2: الاستثمارات المتبادلة بين تركيا ومصر (بالمليون دولار)<sup>10</sup>**

يتضح جلياً من خلال الإحصائيات المرسومة في الجدول الفرق في القوة الاقتصادية بين الجانبين، بحيث بلغ إجمالي الاستثمارات التركية 978 مليون دولار، والمصرية 58 مليون دولار، ولعل مرد ذلك تلك الهزة الاقتصادية التي شهدتها مصر بعد الانقلاب العسكري سنة 2013.

ج-تركيا وتونس:

إن العلاقة بين تركيا وتونس ضاربة في عمق التاريخ، فقد ظلت تونس طيلة 300 عام ضمن إطار الدولة العثمانية، الأمر الذي يجعل التاريخ الداعم الرئيس للعلاقة بين الطرفين. عموماً شهدت فترة التسعينيات بداية توهج العلاقات الاقتصادية بين الجانبين، إذ وقع الطرفان في سنة 1991 على اتفاقية لحماية وتشجيع الاستثمار بينهما، كما وقعا في سنة 1992 اتفاقية للتعاون التقني

<sup>9</sup> عبد الحافظ الصاوي، العلاقات الاقتصادية المصرية التركية الواقع والأفاق، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2016، ص 6.

<sup>10</sup> المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2016، ص 07.

<sup>11</sup> Saliha Ergün, "The Past and Future Trade Relations between Tunisia and Turkey," [www.sde.org.tr/en/newsdetail/the-past-and-future-trade-relations-between-tunisia-and-turkey/2929](http://www.sde.org.tr/en/newsdetail/the-past-and-future-trade-relations-between-tunisia-and-turkey/2929)

والاقتصادي والتجاري<sup>11</sup>، ومع تولي حزب العدالة والتنمية مقاليد الحكم في تركيا، اتجهت العلاقات الاقتصادية بين تركيا وتونس نحو المزيد من التطور، وذلك بتوقيع الطرفين على اتفاقية تجارة حرة بينهما في سبتمبر 2004، وقد هدفت هذه الأخيرة إلى زيادة حجم التجارة بين الدولتين، والتي تبلغ حاليا 300 مليون دولار أمريكي، وفي فبراير 2005 قام وزير الخارجية التونسي الأسبق عبد الباقي الهرماسي بزيارة إلى أنقرة، حيث أعرب فيها عن رغبة بلاده في رفع حجم التجارة بين تونس وتركيا إلى نحو مليار دولار بحلول عام 2008، وأثبتت تلك الرغبة زيارة رجب طيب أردوغان لتونس في الفترة من بين 28-30 مارس 2005 عندما كان رئيسا للحكومة<sup>12</sup>.

وفي سنة 2011 عرفت العلاقات الاقتصادية التركية- التونسية ركودا وجمودا تاما وذلك على إثر اندلاع الحراك الشعبي الذي انطلق أواخر شهر ديسمبر 2010 واستمر حتى مطلع يناير 2011، بحيث تأثرت تونس اقتصاديا وبشكل رهيب من تلك الأحداث السياسية ذات المطالب الشعبية والساعية لتجسيد الديمقراطية، إذ أدت حالة عدم الاستقرار السياسي التي شهدتها تونس إلى مغادرة المستثمرين الأجانب، وتراجع عائدات السياحة، وقد زاد عدم الاستقرار السياسي من حالة الفقر التي يعيشها عديد من المواطنين التونسيين خاصة في المناطق الجنوبية والوسطى والتي كانت قبل سقوط نظام بن علي تعيش وضعاً اقتصادياً متدهوراً، غير أن الوضع الاقتصادي عاد لينتعش مع مطلع 2012، غير أن ذلك لم يدم طويلاً، حيث سجل النمو الاقتصادي سنة 2011 نسبة قدرت 1.9 % وارتفعت سنة 2012 لتبلغ نسبة 3.6 % ثم عادت سنة 2013 للتراجع حيث بلغت 2.6 %، وذلك بسبب التباطؤ والتراجع في الإنتاج الزراعي والصناعي، وقد سجلت نسبة البطالة تراجعاً من 16.7 % سنة 2012 إلى 15.3 % نهاية 2013، وقد اتبعت الحكومات المتعاقبة بعد 2011 سياسات مالية ونقدية توسعية وذلك لدعم الاقتصاد وتوفير فرص عمل، وقد أدت تلك السياسات إلى انخفاض نسبة التضخم من 6.3 % سنة 2013 إلى 5.5 % مع بداية سنة 2014<sup>13</sup>.

بعد الأزمة السياسية التي مرت بها تونس رجعت العلاقات التركية التونسية إلى حركتها الطبيعية، حيث بلغ حجم التبادل التجاري بين الطرفين سنة 2013 حوالي 1.182 مليون دولار، وبذلك عدت تونس سادس أكبر شريك لتركيا في إفريقيا، وبل وأصبحت تونس وجهة للاستثمارات التركية، إذ توجد بها حالياً 50 مؤسسة اقتصادية تركية في مجالات متعددة، ساعدت في خلق الألاف من فرص العمل، هذا ويعد مطار "النفیضة الحمامات" الدولي (شرق)، ومصنع "إسمنت قرطاج"، من أبرز المشاريع الاستثمارية المشتركة بين تونس وتركيا. وفي إطار الحديث عن الاستثمارات التركية في تونس، باشر المصنع التابع لشركة "أيكون" التركية عمله منذ سنة 2011، كأكبر منتج للإسمنت في شمال إفريقيا، بقيمة إنتاجية تقدر بمليونين و300 ألف طن سنوياً، وبطاقة تشغيلية مباشرة تقدر بألف و500 عامل في حين يعتبر مطار "النفیضة الحمامات" واحداً من أكبر المطارات بإفريقيا، والذي تنفذه شركة "تاف القابضة التركية" بتكلفة بلغت 520 مليون دولار، وكان المطار قد دخل حيز

<sup>12</sup> kaan Nazli, "Turkey and North Africa Challenge and Opportunity", www.esiwed.org/pdf/esi-turkey-tpq-id-33.pdf

<sup>13</sup> Nebahat Tanriverdi Yasar, "Turkey-Tunisia Relations on the Eve of Elections in Tunisia," Center for Middle Eastern Strategic Studies (ORSAM), Report No, 2014, p, 20.

الاستغلال منذ عام 2011، ومن المنتظر أن تبلغ سعة استقباله مع حلول 2020، نحو 20 مليون مسافر سنويا، وتعتبر تونس أيضا بوابة تركيا نحو أسواق إفريقيا، فهي تخاطب بالدرجة الأولى نحو 60 مليون مستهلك في ليبيا والجزائر<sup>14</sup>.

السنة	الصادرات التركية إلى تونس	الواردات التركية من تونس	الحجم	الميزان
2011	803	250	1.053	559
2012	797	195	992	602
2013	893	289	Oca.82	604
2014	915	197	1.112	718
2015	820	144	964	676

### الجدول رقم 3: التبادل التجاري بين تركيا وتونس 2011-2015 (بالمليون دولار)

يتضح من خلال الأرقام المسجلة في الجدول رقم 3 أن حجم الصادرات التركية يفوق بنسبة كبيرة حجم واردتها من تونس، هذا مما يجعل حجم التبادل التجاري بين الطرفين يعزز العلاقات الاقتصادية الثانية بين الدولتين.

#### د-تركيا والمغرب:

مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عرفت العلاقات التركية- المغربية تقدما ملحوظا، خاصة عندما وقع الجانبين في 7 نيسان 2004 على اتفاقية التجارة الحرة بن البلدين في أنقرة، حيث تضمنت هاته الاتفاقية إقامة منطقة صناعية للتبادل الحر بصورة تدريجية على مدى 10 سنوات اعتبارا من دخول الاتفاقية حيز التنفيذ مع معاملة تفضيلية لصالح المغرب، وسيستفيد المغرب بموجب هذه الاتفاقية من إعفاء كلي للمنتجات الصناعية ذات المنشأ المغربي فور دخول الاتفاق حيز التنفيذ، وفيما يخص المنتجات الفلاحية فقد تبادل الطرفان الأفضليات، وقد سمحت الاتفاقية للمنتجات التركية بتواجد جيد في السوق المغربي، وفي المقابل استفادت المغرب من السوق التركي لتصريف بعض منتجاتها، مما أدى إلى زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى نحو 8 مليار درهم مغربي سنة 2007 أي ما يعادل 800 مليون دولار سنة 2007.

وفي إطار التبادل التجاري بين البلدين، وصلت الواردات المغربية من تركيا نحو 6.9 مليار درهم مغربي (أي نحو 690 مليون دولار) سنة 2007، وهو ما نسبته 2.1% من إجمالي الواردات المغربية وقد احتلت تركيا المرتبة الحادي عشر (11) في ترتيب الموردين الرئيسيين للمغرب، وتمثلت الصادرات

<sup>14</sup> يسرى وناس، تركيا وتونس.. علاقات اقتصادية وثقافية تامت عقب الثورة، انظر الموقع:

https://www.aa.com.tr/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84- تاريخ التصفح : 2021 /01/12.

التركية نحو المغرب أساسا في المعادن والصلب، والأسلاك الخشنة والأقمشة القطنية والركبات الصناعية والجرارات الزراعي، أما فيما يخص الصادرات المغربية تجاه تركيا، فلم تتجاوز خلال سنة 2007 قيمة 110 مليون دولار، أي ما نسبته 0.9% من إجمالي الصادرات المغربية، وقد احتلت تركيا المرتبة الثالثة عشرة (13) بين المتعاملين الرئيسيين مع المغرب. وتمثل الصادرات المغربية في المنتجات الكيميائية وخاصة حمض الفوسفوريك، إضافة للمعادن والحديد والمواد والصفائح المعدنية

السنة	الصادرات التركية إلى المغرب	الواردات التركية من المغرب	الحجم	الميزان التجاري
2011	921	420	1.341	501
2012	1.015	429	1.444	586
2013	1.194	572	1.766	622
2014	1.407	640	2.047	767
2015	1.338	711	2.049	627

والفوسفات<sup>15</sup>.

#### الجدول رقم 4: التبادل التجاري بين تركيا والمغرب 2011-2015 (بالمليون دولار)<sup>16</sup>

ه- تركيا وليبيا:

تعتبر العلاقات التركية-الليبية علاقات عميقة تاريخيا حيث تعود إلى سنة 1552، بمعنى أن العلاقات تخطت 500 عام عندما كانت ليبيا جزءا من الدولة العثمانية، وانطلاقا من هذا العمق التاريخي اعتبرت تركيا ليبيا دولة مهمة في أجندة المصالح التركية، وهذا وتعتبر من الدول القليلة التي حدد الرئيس أردوغان لها مبعوثا خاصا لمتابعة العلاقات معها، وهو أمر الله إيشلر، والذي تم تعيينه في أكتوبر 2014، حيث تمتع ليبيا بمزايا اقتصادية مهمة بالنسبة لتركيا، إذ، تعتبر صاحبة أكبر احتياطي نفط في إفريقيا بحوالي 40 مليار برميل (الخامسة عربيا، 3.76% من الاحتياطي العالمي) بالإضافة إلى احتياطيات غاز تقدر بحوالي 54.6 تريليون قدم مكعب، ما يضعها في المرتبة الـ 21 عالميا في احتياطيات الغاز<sup>17</sup>.

وبهذا فإلى جانب التجارة الثنائية بين البلدين التي نشطت سنوات 2009-2010 والتي وصلت

<sup>15</sup> خالد بقاص مرجع سابق، ص 111، 113.

<sup>16</sup> خالد بقاص مرجع سابق، ص 113.

<sup>17</sup> محمود سمير الرنتيسي، ليبيا في سياسة تركيا الخارجية حقائق جديدة في معادلات البر والبحر، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، 2019، ص 2، 3.

2.4 مليار دولار، إلى أن المفارقة العجيبة التي سنذكرها في هاته النقطة أن ليبيا لم تكن محظوظة من ناحية الاستثمار الأجنبي التركي خاصة في مجال البناء والتعمير، حيث تكبدت خسائر في البنى التحتية وفقا لمشاريع مسندة لشركات تركيا بلغت 2.460 مليار دولار على إثر الانتفاضة التي عرفتها البلاد، لكن بعد هدوء الأوضاع السياسية، عاودت شركات البناء التركية البالغ عددها 200 شركة تركية لإنجاز 214 مشروعا في أكثر من 100 موقع بناء.

هذا ويواصل البلدان مساعيهم الجادة للمزيد من تعزيز الاستثمارات المشتركة داخل ليبيا خاصة في المجالات التالية: الطاقة، والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم، والتكنولوجيا، والاستشارات التعليمية، والمصارف، والنقل، والزراعة، ففي فبراير 2019، عقدت لجنة الأعمال الليبية والتركية اجتماعا مشتركا في إسطنبول للمناقشة وإعداد خطة عمل لتوسيع العلاقات التجارية، وفي هذا الاجتماع أكد وزير التجارة التركي روهسار بيكان على أن حجم التبادل التجاري بين البلدين قد وصل ما قيمته 1.9 مليار دولار<sup>18</sup>.

### التعاون الاقتصادي بين تركيا ودول شمال إفريقيا من منظور السياسة الدولية

خلف التواجد التركي في الداخل الإفريقي، جملة من التداعيات الدولية والإقليمية، خصوصا وأن تركيا ليست الدولة الأجنبية غير الأفريقية التي تتواجد في القارة، بل أن هناك عدة دول أجنبية تحاول المحافظة على أهدافها في الداخل الإفريقي، سواء داخل منطقة القرن الإفريقي، كالصين ودول الخليج وإيران والصين، وكذلك منطقة الساحل الإفريقي كالولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وكذلك منطقة غرب أفريقيا ولا سيما حرص فرنسا المحافظة على علاقاتها القوية مع المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا والتي تعرب بمجموعة إيكواس.

بل أضحى التواجد الدولي في أفريقيا أيضا يمثل حالة من التخوف والحذر للجانب التركي، وعدم تحقيق انطلاقة لأهدافه المرجوة في المنطقة، ففي هذا الصدد تحرص كل دولة على عدم الإضرار بمصالحها الأفريقية، فالتمدد التركي داخل القارة الأفريقية سيخلق حالة من التوتر في القارة، وبل وسيكون التواجد محل مراقبة ومتابعة من الدول الكبرى التي لها مصالح وأهداف قوية في القارة، والتي تحاول كل منها تضيق الخناق على التواجد التركي ووضع العراقيل التي تكبح جماحه وتمنعه من تحقيق أهدافه كاملة<sup>19</sup>، ولعل هذا ما جعل تركيا تتبنى سياسة اقتصادية أكثر شمولا، وتركز على التنمية، حيث بلغ حجم تجارتها ضمن مشروع "حزام واحد طريق واحد" 500 مليون دولار (6.2 مليار ليرة تركية) و 300 مليون دولار على التوالي، مع السودان والصومال، مقابل السياسات الاقتصادية التوسعية العنيفة التي تتبعها الصين، بالإضافة إلى هذه الدول، اكتسبت علاقات تركيا الاقتصادية مع إثيوبيا، أحد أكبر اقتصادات القارة، زخما ووصلت إلى حجم تجارة بلغ مليار دولار سنة 2021.

<sup>18</sup> Tankut Öztaş, Turkey - Libya Relations: Economic and Strategic Imperatives, researchcentre, İSTANBUL / TURKEY, 2019, p p, 14 , 15.

<sup>19</sup> فاروق حسين أبو صيف، الاستراتيجية التركية تجاه منطقة القرن الإفريقي، مجلة حمورابي، العدد 37، 2021، ص، 50.

وعند الأخذ بهذه الأنشطة الاقتصادية المتزايدة، فقد تجاوز حجم تجارة تركيا مع إفريقيا 20 مليار دولار سنة 2021، في هذا السياق، وعند الأخذ بالاعتبار المؤشرات الاقتصادية للسنوات العشر الماضية، يلاحظ أن حجم التجارة في إفريقيا قد زاد تدريجياً وأن الحصة الأهم مأخوذة من فرنسا. لذلك، واجهت أنشطة تركيا هذه معارضة قوية من قبل بعض الفاعلين التقليديين في القارة، وخاصة فرنسا، تعتبر باريس اهتمام أنقرة المتزايد بهذا الجزء من القارة بديلاً عن نفوذها الاستعماري الفرنسي في المنطقة<sup>20</sup>.

هذا وتعمل تركيا وفق استراتيجية بعيدة المدى في القارة السمراء على اللعب على الدور الاقتصادي لإعطاء سياساتها الخارجية فاعلية أكثر، وهذا من خلال العمل على تقديم إغراءات أكثر، مثل التعاون مع البنوك الإفريقية، والعمل ضمن مبدأ "أنت تكسب وأنا أكسب" وهو ما لا تفعله بعض الدول الأخرى<sup>21</sup>.

## الخاتمة

في الختام نخلص إلى أن تركيا تسير بخطى ثابتة ومتأنيئة، اتجاه القارة السمراء، التي شهدت دولها استنزافاً رهيباً لمواردها الطبيعية، من طرف الدول الاستعمارية، فتركيا نسجت خيوطاً اقتصادية متينة مع الدول الشمال الإفريقية، بل وأصبحت هذه الدول الشريك الرئيسي لتركيا في المجال الاقتصادي بالمنطقة، فانفتاح تركيا على شمال إفريقيا يعد جزءاً لا يتجزأ من السياسة الخارجية التركية، بحيث أصبحت تركيا منافساً قوياً للقوى التقليدية في المنطقة خاصة فرنسا، كيف لا وأصبحت تركيا تسيطر بالطول والعرض على الأسواق الأفريقية، فقد مكن هذا التعاون التركي مع دول الشمال الإفريقية وفي المجال الاقتصادي، من التواجد التركي ليس فقط في شمال القارة، بل تجاوز ذلك شرقها، وغربها وحتى جنوبها، هذا ويتوقع تعزيز المزيد من علاقات التعاون بين تركيا ودول القارة الإفريقية وفي شتى المجالات وعلى كافة المستويات: السياسية، والثقافية وحتى الاجتماعية والعسكرية.

<sup>20</sup> إسماعيل نعمان تلجي، العلاقات التركية الإفريقية: الديناميكيات، الدوافع، التوقعات، أنظر الموقع : <https://www.orsam.org.tr/ar/turkish-african-ties-dynamics-motivations-prospects>

<sup>21</sup> محمود سمير الرنتيسي، الدور التركي في شرق إفريقيا: الدوافع والمكاسب، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، 2015، ص، 06.



# دور الثقافة في حماية البيئة

أحلام الزهيري \*

## ملخص

هناك مقولة دائماً ما نتذكرها: (التعلم في الصغر كالنقش على الحجر)، ولهذه المقولة دلالات ومفاهيم كثيرة منها ما نتعلمه من مفاهيم ومبادئ في الصغر تبقى عالقة في الأذهان وسارية التطبيق حتى الكبر، لذا يكون من باب أولى أن نتقن تعليم المفاهيم والمبادئ الصحيحة السامية للصغار وفي المجالات كافة لكي تشكل أسساً قوية للمستقبل. ومن هذه المفاهيم؛ كيفية الاهتمام بالبيئة وكيفية حمايتها. إنَّ أساليب وطرق الحياة الصحيحة المتبعة في المجالات كافة ومنذ الصغر كفيلة بأن تنشئ بيئة صحية نقية في الجوانب والمعايير كافة مثل؛ الصحية، الاجتماعية، الاقتصادية، القانونية وغيرها. وقد تكون البيئة من أهم هذه المعايير في حياتنا التي تؤثر فينا وتؤثر بها.

يدور في أذهان بعضنا؛ كيف يمكن أن نحمي البيئة؟ وكيف نتعامل معها؟ الإجابة عن هذه الأسئلة قد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة المجتمعية لكل بلد. تبدأ بولادة الإنسان ونشأته، فهناك من يقدس البيئة ويستمر بالعناية بها كدوام الناسك العابد على صلواته، وهناك من ينتهك حقوقها كعدو شرس يتنحى كسب معركة ظالمة غير عادلة. كل ذلك تتحكم به العلاقة الصميمية بين ثقافة الشعوب والبيئة.

هناك اهتمام بالبيئة وعقدت مؤتمرات عدة بخصوصها منذ سنوات، فكان مؤتمر الأمم المتحدة الذي عقد في 1972 بمدينة ستوكهولم أول مؤتمر يعقد لمناقشة قضايا الاهتمام في البيئة وحمايتها، ناقش هذا المؤتمر أسباب إهمال الدول للجانب البيئي عند وضع الخطط المستقبلية للبلاد. كما ناقش أسباب غياب التنمية في أغلب دول العالم. ثم توالى مؤتمرات عدة وعقدت اتفاقيات بهذا الشأن وذلك لأهمية البيئة وارتباطها بحياة الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر. لذا تُعدّ حماية البيئة مطلباً أساسياً لاستمرار الحياة الإنسانية. إن الاهتمام بالبيئة يبدأ بالاهتمام بالإنسان وسلوكياته وذلك لأنَّ أحد الأسباب الرئيسة في تلوث البيئة هو الإنسان، وقد يكون عدوها الأول.

هذه الدراسة التي في متناولكم تتكون من مقدمة ومحورين وخاتمة؛ تضمن المحور الأول مفاهيم الثقافة والبيئة وماهية الثقافة البيئية، أما المحور الثاني فنناقشنا فيه بعض الأسباب التي تؤدي إلى تلوث البيئة ثم بعض الوسائل المتبعة في حماية البيئة، ثم أدرجنا أهم استنتاجاتنا في الخاتمة.

**الكلمات المفتاحية:** الثقافة، البيئة، الصحة، الثقافة البيئية.

\* باحثة من العراق، تحضر الدكتوراه حالياً بجامعة سلجوق في تركيا.

# The role of culture in protecting the environment

Ahlam Alzeheri

## Abstract

There is a saying that we always remember, which is (learning at a young age is like engraving on a stone). This saying has many connotations and concepts, including what we learn from concepts and principles in childhood remain stuck in the minds and are valid until old age. Therefore, it is a matter of priority that we master the teaching of correct sublime concepts and principles for young people in all fields, in order to form strong foundations for the future, and among these concepts: "How to take care of the environment and how to protect it." The correct lifestyle and methods followed in all fields since childhood are sufficient to create a healthy and pure environment in all aspects and standards: health, social, economic, legal and others. The environment may be one of the most important of these criteria in our lives, which affects us and is affected by us.

How do we protect the environment? How do we deal with it?

The answer to these questions may be closely related to the societal culture of each country. It begins with the birth and growing of human. There are those who sanctify the environment and persevere in taking care of it like a hermit worshipping in his prayers. On the other side, there may be those who violate its rights as a fierce enemy who wants to win an unfair and unjust battle. All of this is controlled by the intrinsic relationship between peoples' culture and the environment. Attention was paid to the environment and several conferences were held in this regard for years. The United Nations conference held in "1972" in Stockholm was the first conference to be held to discuss issues of concern for the environment and its protection.

There is no doubt that the issue of the environment has become one of the important topics in the current especially after the many changes that have occurred in societies, as well as the climate changes taking place. In this study, we will discuss some of those reasons and how to find solutions to them, because preserving the environment is the task of everyone and is not limited to a specific party.

**Keywords:** culture, environment, health, environmental culture

## المقدمة

تعتبر البيئة من المواضيع الرئيسية والمهمة التي تشغل تفكير الانسان منذ القدم، ليس لأنها المكان الذي يتواجد به فحسب بل لأنها تعد المنطلق لحياته بكل تفاصيلها، ففيها مصادر عيشه وبقائه واستمرارية وجوده. لقد كرم الله جل جلاله الانسان وجعله خليفته في الارض وسخر موجودات البيئة كلها لتلبي متطلباته واحتياجاته لكن في المقابل يتوجب على الانسان ان يستخدم البيئة وعناصرها بشكل جيد بحيث لا يسبب لها اي ضرر او خطر.

تواجه البيئة مخاطر عديدة لأسباب ترجع الى الانسان نفسه سواء بشكل مباشر او غير مباشر أو بسبب الطبيعة ذاتها. يعد التلوث من أهم المخاطر التي تواجهها البيئة. ويحدث التلوث البيئي لعدة اسباب منها الحروب، والكوارث أو بسبب الثورة التكنولوجية والصناعية التي شهدتها المجتمع في العصور الاخيرة. هذه الأسباب وغيرها العديد أثر على العناصر المكونة للبيئة مما أدى الى ظهور مشاكل بيئية كبيرة منها التلوث كما ذكرنا سابقاً، وظاهرة الاحتباس الحراري وغيرها. إن وجود المخاطر التي تهدد البيئة أفلقت الانسان وجعلته يفكر في كيفية مواجهتها والحد او التخلص منها.

للثقافة دور كبير في حماية البيئة ومن المؤكد ان اختلاف الثقافات بين الشعوب يؤدي الى اختلاف طرق الحفاظ على البيئة وحمايتها. هناك عدة طرق لحماية البيئة منها التشريعات والقوانين والتعليمات، والتربية والتعليم، والاعلام وغيرها من الادوات التي تحافظ على البيئة وتحميها.

هذه الدراسة التي في متناولكم تتكون من مقدمة ومحورين وخاتمة؛ تضمن المحور الأول الإطار المفاهيمي لمفردات الثقافة والبيئة والثقافة البيئية. أما المحور الثاني فناقشنا فيه بعض الأسباب التي تؤدي إلى تلوث البيئة والوسائل المتبعة في حماية البيئة، ثم أدرجنا أهم استنتاجاتنا في الخاتمة.

## المحور الأول: مفهوم الثقافة والثقافة البيئية

تربط الثقافة الأفراد مع الثقافة البيئية على الرغم من أن مفهوم الثقافة البيئية لم يحدد بشكل دقيق. سنحاول في هذا المحور الذي يقسم على قسمين، أن نتطرق إلى مفهوم الثقافة في القسم الأول، ونبين مفهوم الثقافة البيئية في القسم الثاني.

### أولاً: مفهوم الثقافة وأنواعها

للثقافة معنيان هما المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ فالثقافة لغة وحسب آراء بعض الباحثين العرب بأنها العمل أو السيف، ومن جهة أخرى تُعرّف الثقافة على أنّها الفطنة، فعند القول (ثقف الرجل ثقافة) يعني أنه صار رجلاً حاذقاً وذو فطنة<sup>1</sup>. أي أنّها تعني كل ما ينير العقل ويحسن الذوق أو يجعله راقياً مهذباً.

أما تعريف الثقافة اصطلاحاً فهي تنمية بعض الملكات العقلية أو تسوية بعض الوظائف البدنية ومنها تثقيف العقل وتثقيف البدن ومنها الثقافة الرياضية والثقافة الأدبية، أو الفلسفية. لذا فإن

<sup>1</sup> سعيد جويلي، حق الإنسان في البيئة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001، ص2.

الثقافة حسب مفهومهم تعني تهذيب العقل والسلوك والتعليم والتربية. العالم "سابير" عرف الثقافة على أنها: مجموعة الممارسات والمعتقدات المتوارثة اجتماعياً، التي تحدد جوهر حياتنا.<sup>2</sup>

إذن فحسب تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً، نرى أنّ الثقافة هي الفهم والتميز والإدراك والاطلاع الواسع في مختلف مجالات الحياة و فروع المعرفة، لذا يمكننا أن نميز بين التعليم والثقافة فليس كل متعلم مثقف، حيث نرى الكثير من المتعلمين لا يمتلكون ولو جزءاً يسيراً من الثقافة، بينما هناك العكس. فبالإمكان وجود أشخاص لم يحصلوا على تعليم كافٍ لكنهم يملكون حيزاً لا بأس به من الثقافة. إنّ الثقافة لا توجد في الجينات ولا يمكن أن تورث كبعض الصفات البيولوجية، لكنها تكتسب بالاطلاع الواسع والمعرفة الكبيرة المتنوعة وفي مختلف المجالات. فالثقافة هي انعكاس لسلوك الأفراد في المجتمع وهذا يؤدي إلى اختلاف المجتمعات في ثقافتها وتنوعها بتنوع سلوكيات الأفراد في تلك المجتمعات. فسلك الأفراد قد يراه مجتمع ما سلوكاً سلبياً، بينما يراه الآخر إيجابياً وذلك حسب المنظور الثقافي لذلك المجتمع، مثال ذلك أن هناك بعض العادات الخاصة بالأكل، فبعض الشعوب ترى أنّ إنهاء الطبق كاملاً وعدم ترك أي جزء ولو قليل منه دليل على لذة الأكل والاستمتاع بالوجبة، ومن هذه الشعوب هي اليابان والهند وبعض الشعوب العربية، لكن عند شعوب أخرى نراها تدل على أنك ما زلت جائع وهو تصرف معيب ولا تتقبله تلك الشعوب كما هو الحال في الصين.<sup>3</sup>

تأخذ الثقافة حيزاً كبيراً من اهتمام علم الاجتماع في بحوثهم ودراساتهم وهذا أدى إلى قيامهم بتقسيم الثقافة إلى أنواع عدة منها:

(1) الثقافة الرمزية: وهي الثقافة التي تشمل الأفكار والسلوكيات المجردة واللغة المعتمدة في مجتمع معين التي تعدّ ذات قيمة بالنسبة إلى الأفراد في ذلك المجتمع، ولها عناصر خاصة بها. سنحاول إيجاز بعض عناصرها وكما يأتي:

- القيم والأعراف: القيم هي مجموعة المبادئ الأخلاقية التي وجدت في مجتمع ما وتم اعتمادها. أما الأعراف، فهي تطبيق للقيم الموجودة في المجتمع، وهي أيضاً عبارة عن أفعال أو عادات يقوم المجتمع بتكرار فعلها، بحيث يجب أن لا تكون منافية للنظام العام والآداب للمجتمع وتحمل أشبه بصفة الإلزام، حتى أنها قد تكون إحدى مصادر القوانين في بعض البلدان. وتكون مكتوبة أحياناً وأخرى غير مكتوبة. لا تشكل هذه الأعراف صفة مطلقة لجميع المجتمعات فما يكون مسموح به في مجتمع لا يكون كذلك في مجتمع آخر وذلك لاختلاف الثقافات. فالثقافة نسبية بين الأفراد وكذلك بين المجتمعات.

- العادات والتقاليد: وهي قريبة جداً من القيم والأعراف، تكون هذه العادات أكثر وجوداً في المجتمعات المحافظة عكس المجتمعات المنفتحة، فتكون قادرة على مواكبة التطور والعصر بشكل أكبر من الأولى.

<sup>2</sup> <https://www.alukah.net/culture> تم الدخول الى الموقع في 2023-02-10

<sup>3</sup> بحث عن الثقافة ومفهومها، الدخول الى الموقع في 2023.2.7 <https://www.starshams.com>

- الرموز: لكل مجتمع مجموعة من الرموز يستخدمها المواطنون في تعاملهم وحياتهم اليومية قد تكون غير لفظية أو إشارات معينة، مثلاً رفع الإبهام في أمريكا يعني الإعجاب أو الرضى لكن في استراليا تعني الإساءة.
- اللغة: هي أسرع وأسهل سبل التعاون بين المجتمعات، وبحسب فرضية ساير وورف فإن اللغة ليست فقط طريقة التواصل بين الأفراد، بل هي أيضا وسيلة تساعد في بناء الأفكار أو تغييرها.
- (2) الثقافة المادية: وهي الثقافة المتعلقة بالعناصر الجسدية والمادية لمجتمع ما. ولها وسائل متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر:
- الطعام: تختلف الأطعمة باختلاف الشعوب، الاختلاف لا يكون في أنواعه فقط بل في الوسائل المستخدمة لذلك، ففي الصين تستخدم العيدان وفي دول أخرى تستخدم الشوكة والملقعة وغيرها<sup>4</sup>.
- اللبس: تختلف حسب طبيعة المجتمعات فنرى هناك ملابس لا يكون مخصصا للرجال كما في حال التنورة للرجل في بلاد العرب، وعكسه في المجتمع الاسكتلندي.
- اختلاف الثقافات والعرقية: انتشرت في مرحلة الاستعمار الأوروبي حيث كانوا يرون أنفسهم أعلى قيمة وتحضراً من المجتمعات الإفريقية، وكانوا يرون أنّ عليهم تصحيح مسار ثقافات تلك المجتمعات<sup>5</sup>.

## ثانيا: الثقافة البيئية

تعرف الثقافة البيئية بأنها عبارة عن اكتساب الفرد للمكونات المعرفية، والانفعالية والسلوكية من خلال تفاعله المستمر مع بيئته، التي تسهم في تشكيل سلوك جيد يجعل الفرد قادراً على التفاعل بصورة سليمة مع بيئته، ويكون قادراً على نقل هذا السلوك للآخرين<sup>6</sup>. أي أنّ الثقافة البيئية تعني مقدرة الفرد على استخدام فهمه للبيئة للتعايش معها والاستمتاع بها والحفاظ عليها من خلال سلوك يتبعه بوعي وإدراك، وهذا يؤدي إلى أن يقوم الفرد بدراسة البيئة من أجل الوقوف على معوقات ومشكلاتها البيئية من أجل إيجاد الحلول لتلك المشكلات، وكذلك إيجاد السبل لتطوير النظام البيئي والحفاظ عليه.

عندما نلاحظ صفات الشعب الياباني قد نستغرب اهتمامهم الكبير بالنظافة والدقة بأداء العمل، وهذا ما لاحظته الكثير في بطولة كأس العالم لكرة القدم التي أقيمت في قطر في عام 2022، وكيفية قيامهم بتنظيف الملعب وغرف الرياضيين على الرغم من خسارتهم. هذا جزء من ثقافتهم وتربيتهم وسلوكهم المعتاد، خاصة وأنهم يسرون على وفق مبدأ قديم لديهم هو: "الموتاي" وهو مبدأ قديم متبع ويعد فلسفة للشعب الياباني تجاه البيئة وعلاقتهم بها. وتعتمد فلسفتهم على ثلاثة

<sup>4</sup> مقالة عن الثقافة تعريفها وأقسامها، الدخول للموقع في 10.02.2023 <https://www.mdrcenter.com>

<sup>5</sup> طارق عامر، مقالة عن الثقافة، مفهومها وعناصرها. 2021، الدخول للموقع في 11.02.2023 <https://al3loom.com>

<sup>6</sup> <https://www.starshams.com>

مبادئ هي: التدوير، خفض الاستخدام، وإعادة الاستخدام، وهناك مبدأ رابع يطبقونه في حياتهم دائماً وهو "الاحترام"<sup>7</sup>، من خلال هذه الفلسفة وتطبيقها بين الشعب الياباني وتعليمها لأبنائهم منذ الصغر، أدى إلى وجود دولة اليابان بتلك النظافة والثقافة الصحية وفي كافة المجالات. في الوقت ذاته تتميز اليابان اقتصادياً في الاستهلاك، ونتيجة لذلك تكون هناك قلة في المخلفات المادية التي من الممكن إصابة البيئة بالضرر. فالثقافة البيئية هي ثقافة أخلاقية قبل أي شيء آخر وهذا ما كتبنا عنه في مبدأ "التعلم في الصغر كالنقش على الحجر"، فتبدأ بذور الثقافة البيئية منذ الصغر في العائلة التي واجهها التربية الصحيحة والتأكيد على حب الإنسانية والبيئة. قد يرى البعض أن بعض العادات البسيطة لا تسمن ولا تغني من جوع، لكننا نرى أنها النواة لنشوء الذرة ومن ثم الجزيئات التي تكوّن ذلك الكون الذي نعيش عليه. كلما كانت البدايات صحيحة فالنتائج حتما ستكون مذهلة.

ثم يأتي دور المدارس التي تكمل ما بدأت الأسرة حيث تعدّ الحلقة الثانية من مسلسل "حب البيئة وحماتها". ندرس في القانون بأن العرف عبارة عن عادة مكررة تلقى باحترام المجتمع، فهو اعتياد الناس على اتباع سلوك معين لدرجة الاعتقاد بأن هذا السلوك واجب الاتباع<sup>8</sup>. إذن الثقافة البيئية عبارة عن أخلاقيات وممارسات تكتسب من خلال المجتمع أو التجارب الفردية للأفراد من خلال الاطلاع على ثقافات المجتمعات الأخرى.

## المحور الثاني: أسباب تلوث البيئة وكيفية حمايتها

في ظل التطور الحاصل في مجالات الحياة كافة تتعرض البيئة إلى العديد من الأسباب التي تؤدي إلى تلوثها سواء بفعل الإنسان مباشرة أم بشكل غير مباشر. سنبحث في هذا مبحث الذي يقسم على قسمين؛ المطلب الأول منهما يبين بشكل موجز أسباب تلوث البيئة، أما المطلب الثاني فسنستطرد إلى ثقافة حماية البيئة وكما يأتي:

### أولاً: أسباب تلوث البيئة

هناك العديد من الأسباب المباشرة أو غير المباشرة التي تلوث البيئة أو تساعد على تلوثها. سنتناول بشكل مختصر بعض هذه الأسباب على سبيل المثال لا الحصر كالآتي:

1. الحروب و النزاعات المسلحة: من الأسباب المهمة التي تؤدي إلى تلوث النظام البيئي هي النزاعات المسلحة سواء كانت الخارجية أو الداخلية. حيث تستخدم في تلك النزاعات مختلف الأسلحة الفتاكة التي تؤثر بشكل مباشر على البيئة وتؤدي إلى الإضرار بها. وهذا ما دعا الدول إلى الإسراع في اتخاذ خطوات مهمة وسريعة للحفاظ على البيئة، ومن تلك الخطوات هي عقد الاتفاقيات لمنع الإضرار بالبيئة. وهذا من المبادئ المهمة للقانون الدولي فقد منع استخدام القوة أو اللجوء إلى الحرب لحل النزاعات الدولية وهذا ما نصت عليه المادة 4/2 من ميثاق الأمم المتحدة لذلك يُعد اللجوء إلى استخدام القوة لفض النزاعات هو عمل غير مشروع وتستوجب المسائلة الدولية على ذلك. منذ القرن التاسع عشر وإلى الآن لم يشترط للقيام بالمسؤولية الجنائية وجود "الخطأ"، بل اتجه القانون الدولي إلى أن مجرد وقوع "الضرر" يؤدي إلى قيام المسؤولية الدولية. ومن أنواع الضرر الذي يلحق بالبيئة، قد يكون هناك

<sup>7</sup> ليلي باكستر، دروس نتعلمها من اليابان للحفاظ على موارد العالم، مقالة منشورة في، آذار، 2020، <https://www.bbc.com/arabic/>

<sup>8</sup> تعريف ومفهوم العرف، 2017، <https://www.mohamah.net/law>

خلاف حول تحديد مقدار الضرر الحاصل في البيئة، ومنها فشل اتفاقية حظر استخدام تقنيات التغيير في البيئة<sup>9</sup>.

إنَّ الضرر لا يكون في وقت الحروب فقط بل قد يكون في وقت السلم، وهذا ما حدا بالدول إلى تحديد الطبيعة القانونية لذلك الضرر البيئي الذي يكون إما استخداماً للقوة وتهديداً للسلم، أو الإخلال به أو يكون عملاً من أعمال العدوان<sup>10</sup>. ونحن عشنا الأضرار البيئية التي تعرضت لها بلادنا عام 2003 من دول التحالف ضد العراق أو من خلال الإرهاب المتمثل بالمجموعات الإرهابية المتطرفة في العراق. لهذه يمنع على الدول إحداث الأضرار بالبيئة وتعرض للمسؤولية في حالة حدوث ذلك، وهذا ما دفع أغلب الدول إلى تضمين ذلك في تشريعاتها الوطنية تناغماً مع مبادئ القانون الدولي والذي له العلوية على القوانين الداخلية. وخير مثال على ذلك؛ المادة 11 من قواعد معاهدة هلسنكي التي تمنع الدول من القيام بنشاط ينتج عنه التلوث البيئي<sup>11</sup>. الأمثلة على ذلك كثيرة منها حادثة النفط المتسرب من السفينة توري كانيون في الجنوب الغربي للمملكة المتحدة، وعند عدم القدرة على إفراغ السفينة ومنع حدوث الأضرار قاموا بتفجيرها داخل البحر ومع ذلك سببت تلوثاً في المنطقة وصل إلى سواحل فرنسا بسبب النفط المتسرب منها<sup>12</sup>.

2. تلوث الهواء: قد يكون من أكثر الأسباب لتلوث النظام البيئي. إنَّ تلوث الهواء يكون بطرق مختلفة ولأسباب عدة منه؛ الغازات الدافئة التي هو موجودة بصورة طبيعية في البيئة ثم تضاعفت بسبب نشاط الإنسان. كذلك الاحتباس الحراري في الكرة الأرضية فضلاً عن التغييرات التي تطرأ على طبقة الأوزون، كل هذه الأسباب وغيرها تؤدي إلى تلوث الغلاف الجوي.

3. تلوث التربة: قد يكون هذا التلوث هو الأخطر لأنه من الممكن أن يكون غير واضح للإنسان، لكنه الأخطر لأنه يؤثر على حياة المخلوقات الحية كافة في الطبيعة وأحد أسبابه هي المواد الكيميائية والمبيدات المستخدمة في الزراعة ولتحسين التربة<sup>13</sup>.

4. التلوث المائي: وهو تلوث المياه بأحد المسببات لها كما ذكرنا في أعلاه السفينة التي تسرب منها النفط في البحر وبعد ذلك قاموا بتفجيرها خشية انتشار الأضرار، لكنها في الحقيقة قد تسببت بتلوث مياه البحر وهذا بدوره يؤثر أو يضر بالمخلوقات الحية كافة المتواجدة في تلك البقعة. والتلوث المائي لا يشمل مياه البحر بل يشمل أنواع المياه السطحية والجوفية كافة، أي الظاهرة والمخفية تحت سطح الأرض. قد تتلوث بسبب الزراعة واستخدام المواد الكيميائية أو بسبب مياه الصرف الصحي وغيرها.

5. النفايات النووية أو الكيميائية: لهذا النوع من النفايات ضرر كبير على البيئة سواء وجدت في التربة أم في الهواء، فهي لها خاصية الفتك بكل المخلوقات الحية التي تتواجد في مكان وجودها، لأن تلك النفايات خاصة بأنها تبقى نشطة وفعالة وهنا تكمن خطورتها على النظام البيئي.

<sup>9</sup> عبد العزيز مخيمر- دور المنظمات الدولية في حماية البيئة- القاهرة- دار النهضة العربية- 1986- ص124 وما بعدها

<sup>10</sup> عبد العزيز مخيمر، المصدر السابق، 128

<sup>11</sup> <https://ar.wikipedia.org/wiki>

<sup>12</sup> عبد السلام الشوي، الحماية الدولية للبيئة المائية من التلوث، 2013، المجلة العلمية لكليات التجارة، العدد العاشر، القاهرة- مصر، ص37.

<sup>13</sup> نادية عمران، المسؤولية الجنائية الدولية عن تلوث البيئة، 2020، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية، الجزائر، المجلد 9، العدد 3، ص 225



6. النفايات: حرق النفايات في العراء يؤدي إلى انبعاث غازات تسبب تلوث الهواء، هذا ينتشر في الدول النامية والدول الصناعية. وفي السنوات الأخيرة تم تدوير النفايات للإفادة منها في توليد الطاقة أو في إعادة تدويرها صناعياً. وقد يكون هذا تطبيق للفلسفة اليابانية باستخدام فلسفة "موتاياني" المتبعة لديهم التي ذكرناها في أعلاه<sup>14</sup>.

### ثانياً: ثقافة حماية البيئة

إن الثقافة البيئية تشكل أحد أهم الروافد التي أصبح الإنسان المعاصر ينادي بها، وهذا نظراً للأهمية الكبيرة التي تحتلها في الحياة البشرية، وبات من الملح إيلاء الأهمية القصوى لهذا الجانب لتجنب المزيد من التدهور في بيئتنا من خلال مجموعة من التدابير البيئية للمحافظة على بيئة صحية، و تتحمل مسؤوليته ذلك كل الجهات الرسمية وغير الرسمية وكل أفراد المجتمع مع مراجعة دور مؤسسات المجتمع المدني وعدم التخلي عن مكانتها الأساسية في تنمية الثقافة البيئية، وضرورة إسناد صلاحيات أكبر لجمعيات ومنظمات حماية البيئة وغيرها من الجهات ذات العلاقة لغرس قيم الثقافة البيئية في المجتمع. هناك وسائل عدة لحماية البيئة من خلال الدور الثقافي سنذكر بعض تلك الوسائل وكالاتي:

1. التوعية في مجال الثقافة البيئية؛ التوعية المستمرة لجميع الأفراد مهما كان عمرهم ومهما كان جنسهم وأينما تواجدوا بأهمية البيئة والمحافظة على المحيط من أجل الحفاظ على صحة الإنسان. وكذلك وجود وبقاء الكائنات الحية الأخرى سليمة حفاظاً عليها كجزء رئيس ومهم في الطبيعة من جهة، ومن جهة أخرى للحفاظ على التوازن البيئي. لا تتوقف الثقافة البيئية عند هذا الحد، بل تهدف إلى أن يتمتع الأفراد بجمال الطبيعة وسحر المحيط مما يؤثر على التوازن النفسي لديهم فتكون علاقتهم مع الطبيعة قوية متينة، وعلاقتهم فيما بينهم علاقة محبة ووثام وتعاون في إطار قيم سامية توظفها روح المواطنة.

وتهدف الثقافة البيئية إلى تطوير الوعي البيئي وخلق المعرفة البيئية الأساسية بغية بلورة سلوك بيئي إيجابي ودائم، الذي هو بمثابة الشرط الأساس كي يستطيع كل شخص أن يؤدي دوره بشكل فعال في حماية البيئة، وبالتالي المساهمة في الحفاظ على الصحة العامة. وهنا تكمن أهمية الثقافة البيئية والسعي الدؤوب لتطويرها بغية نشرها وإنضاجها لتتحول بذلك إلى مجال خاص مهم، وقائم بذاته قادر على أن يأخذ دوره في المناهج التدريسية في المراحل المدرسية والجامعية كافة، بهدف تنشئة أجيال بعقول جديدة تعي مفهوم الثقافة البيئية وتعمل على تطبيقها؛ وعليه فمن خلال الثقافة البيئية يمكن إحداث تغييرات في طرق التفكير والسلوك البيئي عند المجتمع، بحيث يتصرف كل شخص فيه وكأنه صاحب قرار واضح.

2. دور الدولة في نشر المفاهيم والمعلومات والقضايا البيئية، توضيح العلاقة البيئية القائمة في المجتمع من حيث تحديد موقع الفرد ودوره في هذه العلاقات، وكذلك من خلال تقديم نماذج

<sup>14</sup> نادية عمراني، المصدر السابق، 226



إيجابية للسلوكيات البيئية المتميزة التي تكون معياراً أخلاقياً يحدد علاقة الأفراد بالبيئة الطبيعية المحيطة بهم، بحيث تنظم هذه العلاقة بشكل شفاف وعادل يهتم بحقوق الأجيال القادمة. ودور الدول يبدأ منذ نشأة الفرد، أي منذ مرحلة الطفولة. ففي مراحل الابتدائية يبدأ دور الدولة من خلال التشجيع على نظافة البيئة وتمكين الأطفال من المشاركة فيها، من خلال الحملات التي تجري للتنظيف. لاحظت في تركيا هناك مشاركة للأطفال في تنظيف سواحل البحر من خلال نشاط مدرسي أو نشاط مشترك بين المدارس والمنظمات الحكومية أو غير الحكومية، وهذا تشجيع لهذه الأجيال على تحمل المسؤولية تجاه البيئة والإنسانية أجمع.

3. الرقابة الداخلية في الحفاظ على البيئة: من الضروري أن يتمتع الأفراد بالرقابة الداخلية دون الرقابة الخارجية لسلمة القانون عليهم. تتبع هذه الرقابة من خلال احترام القانون ووجوب تطبيقه، وحقيقة الأمر هذا ينتج من خلال ثقة المواطنين بدولهم. شعور المواطنة والإنسانية ضروري كي يتحقق الالتزام باحترام القانون وتطبيقه، فالحفاظ على البيئة لا يكون في مكان إقامة الفرد بل ينتقل معه أينما كان. ضرورة التعامل مع البيئة بشكل إنساني عالي أي الاهتمام بالمعنى الواسع لنطاق البيئة وليس المعنى الضيق لها.

إن احترام واجبات الأفراد وتقدير انجازاتهم البيئية يؤدي إلى تحقيق المواطنة البيئية العالمية التي تسعى إلى إحداث المشاركة البيئية بين الأفراد. وبذلك يتحدد الغرض الأساسي الذي يهدف إلى نشر الثقافة البيئية، والمتمثل في تنشئة مواطن يتمتع بصفة الالتزام البيئي الذي يحتم عليه إتباع ما يعرف أنه صواب ويتجنب ما يعرف أنه خطأ بيئي دون وجود رقابة خارجية على سلوكه، بحيث يتحرك تلقائياً نحو الاهتمام ببيئته بغض النظر عن الفواصل السياسية أو العلاقات الدولية، ويكون مؤمناً تماماً بأن الطبيعة لا تعرف هذه الحدود والفواصل، وهو بذلك يتعامل مع القضايا البيئية من خلال منظور عالمي وإنساني مجتمعي. ومن أمثلة الرقابة الداخلية للفرد بتطبيق القانون سأذكر مثال وهو أيضاً عن اليابان؛ حدثني أحد أفراد عائلتي وأثناء زيارته لطوكيو وفي وقت الفجر (الساعة الثالثة صباحاً) لاحظ أن الشوارع خالية من المارة والسيارات إلا من شخص ينتظر الإشارة الضوئية الخضراء تضيء كي يمر!!!، هذا يدل على الشعور الأخلاقي والواجب بتطبيق القانون دون مراقبة السلطة المختصة، وهذه إحدى الفوارق بين الدول المتقدمة المتحضرة والدول غير المتقدمة.

4. الاستعمال الحكيم للموارد الطبيعية يفيد الإنسان من موارد البيئة بشكل أخلاقي يحفظ حق الأجيال القادمة في هذه الموارد، وهو التوجه الذي تعتمده معظم الدول المتقدمة من خلال تنمية هذه الموارد واستعمالها بأفضل فاعلية دون تبذير. هذا العامل يرتبط بشكل وثيق بالعامل السابق وهو الرقابة الداخلية للأفراد على أنفسهم دون الرقابة الخارجية.

5. التشريعات القانونية: الحياة تحتاج إلى تنظيم وقوانين كي نبتعد عن الفوضى ونحترم باقي المخلوقات التي تعيش معنا في الكوكب نفسه. وهنا يتدخل القانون لإيجاد التوازن بين علاقات الأفراد مع الطبيعة بوضع قوانين تحمي حقوق الطرفين. أوضح الفيلسوف السياسي الانكليزي

(توماس هوس) بأن الحل الأفضل لتغيير سلوكيات الأفراد هو وجود التشريعات، لأن الإنسان بطبعه أناني ويميل إلى التصرف بأنانية، ويفضل مصلحته الذاتية على باقي المخلوقات الأخرى. لذا يجب أن تكون هناك تشريعات لتنظيم تلك العلاقة<sup>15</sup>. بعض التشريعات تشدد في حماية البيئة والأخرى ليست كذلك. نرى أن الدستور التركي شدد العقوبة على مجرمي البيئة فهؤلاء غير مشمولين بالعفو العام أو الخاص حسب المادة 169 منه، التي تبين بأنه من قام (تخريب، حرق، ازالة....) البيئة لا يمكن شمولهم بالعفو العام أو الخاص<sup>16</sup>.

6. التعليم: وتبدأ هذا المرحلة مع ولادة الطفل، فالمقصود بالتعليم هو التعليم الشامل، لأن الطفل كورقة بيضاء نملؤها بما نريد. هنا يبرز دور التعليم بترسيخ المفاهيم الصحيحة لدى الصغار وهناك طرق عدة لذلك سواء من خلال المناهج الدراسية أم النشاطات العلمية التي تناسب مع أعمار الصغار.

في بلدي (العراق) كان هناك تطبيق جميل للتلاميذ وهو تنظيف الصفوف من قبلهم (العمل الشعبي) دون مشاركة عمال النظافة بذلك. وهنا يبرز دور التعليم في بذر البذور الجيدة الصالحة للتعايش بمحبة وسلام وصحة مع الجميع في المحيط المشترك للإنسانية، وأيضا التشجيع على المحافظة على البيئة بشكل نظيف وجميل. وأيضا كان هناك تطبيق آخر في المدارس العراقية في مرحلة الابتدائية وهو زراعة (شتلة) من كل تلميذ، وهذا يحقق المآرب نفسها التي ذكرناها آنفاً. الاهتمام بالتعليم والمناهج التعليمية المهمة للتلاميذ لها دور كبير في حماية البيئة كما هو الحال في مادة الجغرافية، وضرورة تدريسها بشكل علمي جيد للطلاب. ونحن نلاحظ أهمية هذا المنهج التعليمي خاصة في ظل ظروف التغير المناخي الذي تتعرض له الكرة الأرضية والكوارث الطبيعية التي تتعرض لها البلدان. وقد عشنا في الأيام الأخيرة كارثة الزلزال التي ضرب جنوب تركيا وشمال سوريا و ما رافقه من مآسٍ للمواطنين في كلا البلدين، وكيفية مساهمة الجميع ومن أنحاء العالم كافة في تقديم المساعدة للمتضررين من الكارثة التي حصلت. هنا يبرز دور الثقافة والأخلاق التي تستوجب المساهمة في حماية الأرواح والبيئة من ذلك الحدث المهول. المشكلة البيئية لا تتعلق بمكون أو مجتمع ما، بل هي مشكلة الإنسانية أجمع وواجب حمايتها يقتضي مساهمة الجميع في ذلك، ونرى أن مشكلات البيئية هي مشكلات إنسانية عالمية بغض النظر عن المكان.

7. الإعلام: لا يخفى على الجميع ما للإعلام من أهمية في كافة مجالات الحياة، هو ما يسمى بالسلطة الرابعة لما له من تأثير على الأفراد. إن تأثيره يكون بشكل واسع في ثقافة الشعوب ومسار حياتهم من خلال الأدوات كافة التي يستخدمها الإعلام: التلفزيون، الإذاعة، والصحف والمجلات وغيرها. ونرى أن للإعلام دورا فعالا في موضوع حماية البيئة، وله وسائل عدة يمكن من خلالها تحقيق أهدافه في هذا المجال ومنها:

<sup>15</sup> توماس هوبز، مالك المكين، 2017، <https://www.aljazeera.net/blogs/2017/8/27/>

<sup>16</sup> الدستور التركي، المادة 169، 2013، دار نشر العدالة انقره. تركيا ص106

- برامج التوعية البيئية والصحية وبرامج التثقيف التي تنفذها المؤسسات الحكومية وكذلك البرامج التي تقوم بها المنظمات غير الحكومية الخاصة في البيئة وطرق المحافظة عليها، وبعض من هذه المنظمات له دور في وقت السلم كما في وقت الحرب، كما هو الحال مع لجنة الصليب الأحمر الدولية.

- تشجيع الأفراد على القيام بأعمال من شأنها حماية البيئة، منها زيارة المتاحف وحدائق الحيوانات والمحميات الطبيعية هذه الأعمال تزيد من شغف الأفراد بالبيئة وتكون هناك رغبة حقيقية بالحفاظ على تلك الأماكن وجماليتها ورونقها.

- القيام بورشات عمل أو عقد ندوات أو محاضرات للأفراد من أجل نشر مفهوم الثقافة البيئية بينهم.

- دور الإعلام مهم في ترسيخ فكرة الانتماء الحقيقي للبيئة، وحب الإنسان للبيئة. نرى أنَّ علاقة الأفراد بالبيئة هي علاقة طردية كلما مُنحت الاهتمام والمحبة كلما زاد عطاؤها وكرمها فتمنحنا الصحة، خاصة وأن صحتنا من صحة البيئة، فكلما كانت البيئة صحية نظيفة كلما كنا أصحاء نتنفس الهواء النقي وتتمتع أعيننا بجمال الطبيعة وسنحظى بسلام داخلي فضلاً عن السلام الخارجي. على الإنسان أن يتعود علاقة (الأخذ والعطاء)، قرأت في أحد كتب علم النفس أنَّ العلاقات في أغلبها تقوم على الأخذ والعطاء، فعندما تعطي الحب تأخذ مقابله الحب والاهتمام وهكذا حال علاقتنا بالبيئة.

قد يكون أكبر دليل على تأثير الإعلام في المجتمع في مواجهة الكوارث ما حصل في تركيا لمساندة ومساعدة المتضررين من الزلزال الأخير، حيث قامت 213 محطة تلفزيونية و562 إذاعة داخل وخارج تركيا بمشاركة مجموعة من الفنانين والإعلاميين والمشاهير لجمع تبرعات للمناطق المنكوبة من الزلزال، واستطاعت ان تجمع في سبع ساعات أكثر من 6 مليار دولار تحت عنوان ( تركيا قلب واحد)<sup>17</sup>. وهناك الكثير من الأمثلة على دور الإعلام في حماية البيئة. وفي ظل التطور التكنولوجي والاستخدام المتزايد لأدوات التواصل الاجتماعي الذي يشهده عصرنا هذا، نرى كيفية تأثير ذلك في المجتمعات، وهناك بلدان حصلت فيها ثورات وأشعلت فيها الشرارة الأولى للثورة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي. لذا على الجميع الاهتمام بهذا الجانب من أجل حماية البيئة وعناصرها الحيوية.

إن دور الإعلام في نشر الثقافة البيئية كبير ومهم جداً، فهو لم يكن جديداً بل يمتد لسنوات وكما ذكر الباحث عصام الحناوي، بأنَّ هناك جمعيات أنشئت للحفاظ على البيئة البرية منذ أكثر من 100 عام ووسائلها كانت الصحافة والمجلات العامة مثل مجلة الجغرافية في أمريكا وأوروبا<sup>18</sup>.

<sup>17</sup> <https://www.aa.com.tr/ar>

<sup>18</sup> <http://afedmag.com/web/ala3dadAlSabiaSections-d>

من ناحية أخرى هناك مؤسسات بدأت تظهر متخصصة في الإعلام البيئي كما هو الحال في الدول الاسكندنافية. لذا من واجبات الإعلام تهيئة الأرضية الجيدة لإعداد شعوب قادرة على التغيير أو تقبل التغيير، سواء التغيير في القيم التقليدية المتبعة أم العادات أو غيرها من المحرمات التي يخشون المساس بها. إنَّ التشجيع على إيجاد حوار مشترك بين الإعلام والمواطنين كي يشكّلوا وسيلة ضغط على القرارات الحكومية التي من الممكن أن تضر بالبيئة، سيحقق نتائج ايجابية وبشكل سريع. أيضا بمقدور الإعلام التقريب بين الجمهور وأصحاب القرار وهذا يدفع الأفراد إلى الشعور بالمسؤولية الحقيقية باتخاذ القرار وتطبيقه عمليا في الواقع، هنا سيكون كل شخص رقيب على نفسه والآخرين في حماية ونشر الثقافة البيئية وهنا تتحقق النتيجة المرجوة من التقارب بينهم.

8. في السنوات الأخيرة بدأ التركيز على استخدام الطاقة المستدامة والمتجددة مثل الشمس والرياح وغيرها، وذلك لأسباب عدة منها انخفاض تكلفتها مع مصادر الطاقة الأخرى "الأحفورية"، وأيضاً لحل مشكلات البيئة الناتجة عن مصادر الطاقة الأولى. في عدة دول يستخدمون الشمس لتوليد الطاقة الكهربائية أو توليد الطاقة الكهربائية من الماء وتسمى الطاقة الكهرومائية، وتعتبر الصين من أوائل الدول التي تستخدم تلك الطاقة وذلك من أجل التخلص من آثار الطاقة الأحفورية وكذلك الحفاظ على نظافة البيئة والحصول على طاقة نظيفة<sup>19</sup>.

جاء في المادة 16 من قانون البيئة العراقي المرقم 27 لسنة 2009 بتعريف التنمية المستدامة على أنها: التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تلبى احتياجات الجيل الحاضر دون التأثير على احتياجات الأجيال القادمة بالمحافظة على الأنظمة البيئية وبلااستخدام الرشيد للموارد الطبيعية<sup>20</sup> وإنَّ وجود قانون خاص يتعلق في البيئة دليل على أهميتها والعمل الجاد من أجل حمايتها والحفاظ عليها، وبكل تأكيد هناك العديد من القوانين الأخرى التي تعاقب على الإضرار بالبيئة سواء في القوانين العراقية أم غيرها من البلدان.

حقيقة الأمر نرى أنَّ وجود التشريعات المتعلقة بالبيئة وفي المجالات كافة بقدر أهمية وجودها، لكن تبقى الأهمية القصوى لها في التطبيق. يرتبط تطبيقها في كثير من الأحيان بثقافة الشعوب ومدى احترامها للقوانين و الجدية في تطبيقها وكما ذكرنا في أعلاه بعض الأمثلة على ذلك.

## الخاتمة

في ختام هذه الدراسة نرى أنَّ البيئة لم تعد تعريفا ماديا وأن عناصرها هو الأساس لها فقط، بل هناك العوامل الثقافية والإنسانية والأخلاقية جميعها تندرج تحت إطار البيئة. لذلك فعندما نتطرق إلى موضوع حماية البيئة سيكون هناك عامل الثقافة من ضمن العوامل الضرورية لتحقيق المحافظة

<sup>19</sup> موقع الأمم المتحدة، الطاقة المتجددة - أكثر اماناً،

<https://www.un.org/ar/climatechange/raising-ambition/renewable-energy>

<sup>20</sup> <http://wiki.dorar-aliraq.net/iraqilaws/law/> 20، الدخول الى الموقع في 2023,3,3

على البيئة وحمايتها من كل ما يضرها. الإنسان يكون جزءاً من أعداء البيئة، لذلك فإن التركيز على ثقافة الإنسان وتطويره سيكون من ضمن الأساسيات لحماية البيئة والحفاظ عليها. أصبحت مشكلات حماية البيئة هي مهمة عالمية إنسانية ولمسنا هذا في الكارثة التي حلت بتركيا وسوريا وكيفية توافد الجميع من أجل تقديم العون والمساعدة. لذلك فإن معالجة مشكلات البيئة وواحدة من أهم وسائلها يكون من خلال نشر الوعي الثقافي بين الأفراد وغرس القيم الثقافية الإنسانية للقيام بدور الحماية للبيئة. لا ننسى أيضاً دور التعليم وأثره البالغ في تحقيق الحماية البيئية.

الكل يشترك في الحفاظ على البيئة سواء المؤسسات الحكومية من خلال القيام بدورها الوظيفي أم منظمات المجتمع المدني من خلال التواصل بينها وبين الجمهور أو مع الدولة للمساهمة في اتخاذ القرارات المهمة لحماية البيئة ونشر الثقافة البيئية. لاشك أن صحة الأفراد من صحة البيئة، فكلما كنا نعيش في بيئة صحية جميلة كلما تمتعنا بصحة سواء على المستوى الداخلي الوجداني أو الخارجي، فالبيئة النظيفة تساعد الأفراد على التمتع بصحة جيدة خالية من الآثار السلبية سواء البدنية أم النفسية.

من الوارد جداً أن الأفراد أو الجهات الداعمة للبيئة من مؤسسات حكومية أو منظمات غير حكومية أو أي لجان أو جمعيات تعاني من ضعف التنسيق بين الجمعيات البيئية أو صعوبة نشر الإعلام لوسائل التثقيف البيئي مثل الصحف، المجلات وغيرها، لذا فعليها وضع خطط مدروسة وواعية من أجل تحقيق أهدافها وذلك بالتعاون الوثيق مع الأفراد أو فيما بينها. على الجميع أن يكون مخلصاً في عمله ومحباً للبيئة وكل المخلوقات التي عليها، فالمهندس أو مصمم المباني أو المنفذ للمشروع عليه الإخلاص في العمل لكي يجنب المخلوقات سوء عمله والكوارث التي من الممكن أن تحدث. جميعنا علينا واجب حماية البيئة التي تكون ثمارها لنا. يوصينا الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- بالنساء خيراً حيث يقول: "رفقاً بالقوارير" ونحن نقول لجميع الأفراد: رفقاً بالبيئة، رفقاً بالمخلوقات التي تعيش عليها، رفقاً بالموارد التي فوق أو تحت سطح الأرض. في الختام نود أن نقول بأن: البيئة تشبه الإنسان فلو كنت صديقاً مخلصاً له فستعطيك الكثير من النقاء والسلام والمحبة، وتشبهه بأنها صبورة مثله، لكن إياك أن تضغط عليها مراراً وتكراراً فستغضب عليك ويا ويلك من غضبها، وقد تفجر كل ذلك الغضب فيك وعليك. فكن صديقاً للبيئة وكن مخلصاً لها، فستعطيك حينها الكثير الكثير.

"أيها الإنسان كن كالورد يبعث الرائحة العطرة والجمال بوجوده ... وتبقى رائحته عطرة فواحة عند الرحيل..".



# خطاب الإعلام الدولي حول أزمة المواد الأساسية في العالم العربيّ خلال الحرب الروسية الأوكرانية

د. سميرة بالرجب\*

## ملخص

الدول العربية المستوردة للقمح والنفط والغاز وغيرها من المواد الأساسية، سواء في الشرق الأوسط أو في شمال أفريقيا، تأثرت من تبعات الأزمة الروسية الأوكرانية وانعكاساتها على الواقع الاقتصادي العالمي، إذ أن نقص المواد الأساسية، قد أفرز حالة من القلق والفوضى في ظل مشهد سياسي واقتصادي عربي متسم بالعشوائية والارتجال في مواجهة أزمة غذائية طارئة.

هذه التطورات جعلت وسائل الإعلام الدولية، ومنها الإخبارية الناطقة بالعربية، تسلط الضوء على التعاطي السياسي والاقتصادي العربيّ مع تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية، وما تشكله هذه الأزمة من تهديد للأمن الغذائيّ العربي وللاستقرار في أوضاع الطاقة في الدول العربية الفقيرة.

هذا البحث يضع الخطاب الإعلاميّ الدولي لعدد من القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية موضع الدراسة والتمحيص، فمن خلال الاعتماد على منهج وصفيّ تحليليّ يسعى هذا البحث إلى إمطة اللثام عن أساليب إدارة الأزمة الغذائية والطاقوية في عدد من الدول العربية من منظور إعلاميّ دولي، وذلك بالتركيز على أساليب التأطير الإعلامي، وطرق تعاطي الإعلام الدولي مع واقع الأزمات الاقتصادية في العالم العربي خلال الحرب في أوكرانيا.

**الكلمات المفتاحية:** الحرب الروسية الأوكرانية، الخطاب الإعلامي، الأزمة الاقتصادية، الاتصال السياسي.

\* باحثة في علوم الإعلام والاتصال، أستاذة مساعدة بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار بجامعة متوبة، تونس.

# International media discourse on the basic materials crisis in the Arab world during the Russian-Ukrainian war

Dr. Somiya Ragab

## Abstract

Arab countries importing wheat, oil, gas, and other basic materials, whether in the Middle East or North Africa, were affected by the consequences of the Russian-Ukrainian crisis and its repercussions on the global economic reality, as the shortage of basic materials has created a state of anxiety and chaos in light of a characterized Arab political and economic scene. Randomness and improvisation in the face of an emergency food crisis.

These developments made the international media, including Arabic-language news, shed light on the Arab political and economic response to the repercussions of the Russian-Ukrainian war, and the threat this crisis poses to Arab food security and the stability of the energy situation in poor Arab countries.

This research places the international media discourse of several Arabic-speaking news channels under study and scrutiny. By relying on a descriptive and analytical approach, this research seeks to uncover the methods of managing the food and energy crisis in several Arab countries from an international media perspective, by focusing on media framing methods, and the ways the international media dealt with the reality of the economic crises in the Arab world during the war in Ukraine.

**Keywords:** Russian-Ukrainian war, media discourse, economic crisis, political communication.



## مقدّمة

يقول الباحث أليستار بوخان Alastair Buchan في كتابه إدارة الأزمات بأنّ الأزمة لا تعدو أن تكون تحدّيًا ظاهراً أو ردّ فعل بين طرفين أو عدة أطراف، حاول كل منهم تحويل مجرى الأحداث لصالحه. أما كورال بيل Coral Bill فتعرّف الأزمة في كتابها “دراسة في إدارة الأزمات الدبلوماسية..اتفاقيات الأزمة”<sup>1</sup>: “بأنها ارتفاع الصراعات إلى مستوى يهدد بتغيير طبيعة العلاقات الدولية بين الدول”<sup>2</sup>.

وهو ما يتجسّد اليوم بشكل جليّ في واقعنا الراهن، إذ يعيش العالم اليوم على وقع تحولات جيوسياسية واقتصادية متسارعة يرحّج كثير من الدارسين والملاحظين أنّها مقدّمات لظهور نظام عالمي جديد تتنافس في مداره قوى متعدّدة ذات امكانات اقتصادية وعسكرية ونفوذ استراتيجيّ واقليميّ، فحين شارفت الحرب الباردة نهايتها، توالى التّداءات بنظام عالمي جديد، وقد جاءت تلك المطالب بأشكال متنوّعة<sup>3</sup>، ولمّا كانت المسألة طرحاً شائكاً ومعقّداً فإنّ للإعلام دوراً واضحاً في نقل مجريات هذه التحوّلات وتقديم قراءات متعدّدة حولها، خاصّة مع انطلاق ما عرف بالعملية العسكرية الروسية في أوكرانيا وتحوّلها إلى حرب بالوكالة بين الغرب والشرق.

تحتلّ الحرب الروسية-الأوكرانية مساحة كبيرة تكاد تغطّي على كلّ الأحداث منذ منتصف شهر شباط 2022؛ فما ان اندلعت الأعمال الحربية، حتّى انشغل المحلّلون والمفكّرون، وعلماء المستقبلات، بمحاولات إيجاد تصوّرات سواء لنتائج الحرب أو الانعكاسات التي ستتركها سواء على الفكر والسياسية الدوليين، أو انعكاساتها المباشرة على أقاليم معيّنة.

وعلى الرّغم أنّ الحرب الروسية - الأوكرانية بين دولتين، إلّا أنّها الحرب الأولى منذ انتهاء الحرب العالميّة الثانية التي تأخذ هذا الحجم من الاهتمام<sup>4</sup>.

ويؤكّد بعض الباحثين على أنّ “حجم الآثار والانعكاسات المتوقّعة للحرب، وبالذات الآثار الاقتصادية، وتهديد الحرب لمنظومات الأمن الاقتصادي للعديد من دول وأقاليم العالم، فالحرب واستمرارها يشكل تهديداً اقتصادياً لأمن الطاقة على مستوى القارة الأوروبية كما أنّ أغلب دول الشرق الأوسط باتت مهدّدة بأمنها الغذائي”<sup>5</sup> كما تفضّن الباحثون والمراقبون للمشهد العالميّ الساخن إلى أنّ الاهتمام الواضح بالحرب الروسية الأوكرانية في مختلف وسائل العالم، وأهميّة “حجم التغطية الإعلامية التي رافقت الحرب، فأغلب قنوات الإعلام الوزانة تبتّ أحداث الحرب على مدار الساعة؛ وتستضيف المحلّلين والمراقبين لكلّ جزئية من جزئيات الحرب، ممّا جعل المواطن العادي

<sup>1</sup> See: Coral Bill, A study in Diplomatic Management, the Conventions of Crisis, Oxford University Press; 1971, 138 pages.

<sup>2</sup> البلداوي، عبد الاله، ماهي الأزمة وكيف ندير الأزمات؟، تاريخ الزيارة: 18 مارس 2020، الرابط: <http://www.siironline.org/alab-wab/edare-%20eqtesad/27/1447.htm>

<sup>3</sup> نعوم تشومسكي، النّظام العالمي القديم والجديد، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ط1، ص 15. عدد ص 461.

<sup>4</sup> راند نعيرات، الحرب الروسية-الأوكرانية والتداعيات الاستراتيجية، دراسات مركّزة، رقم 10، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2022، ص 11.

<sup>5</sup> ألفرد كامر وآخرون، الحرب في أوكرانيا واصداؤها عبر مختلف مناطق العالم، النقد الدوليّ/ 17 مارس 2022/ الرابط: <https://www.imf.org/ar/News/Articles/2022/03/15-blog-how-war-in-Ukraine-is-reverberating-across-worlds-regions>

بحالة من الترقب، فضلا عن المراقبين والخبراء، وتحوّلت أحداث الحرب إلى أجندة يوميّة للمواطن العادي<sup>6</sup>. وهو ما دعانا إلى تسليط الضوء على وسائل الإعلام الناطقة بالعربيّة ومحاولة مقاربة الخطاب الإعلاميّ في علاقة بالتأثير الاقتصاديّ البيّن في الدّول العربيّة والدّي يترجمه نقص المواد الأساسية وصعوبة التزوّد بالمواد الغذائيّة والطاقوية في عدد من الأقطار العربيّة.

## إشكالية البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة على السؤال الإشكالي حول كيفية تغطية الإعلام الدّولي لأزمة التزوّد بالمواد الأساسية في العالم العربيّ بعد اندلاع الحرب في أوكرانيا، من خلال توظيف آليات الإخبار والتفسير، وتحليل خطاب الإعلام الدّوليّ حول واقع العالم العربيّ المتأزم اقتصاديًّا في زمن الحرب الروسية الأوكرانيّة.

## فرضيات البحث

يرتكز هذا البحث على فرضيتين، إذ نرجّح من خلال الفرضيّة الأولى لهذا البحث أن يكون الخطاب الإعلاميّ للقنوات الدّولية الناطقة باللغة العربيّة قد سلّط الضوء على المشهد السياسيّ في الدّول العربيّة وتعليل أزمة نقص المواد الغذائيّة والطاقويّة إلى تهرّل وعدم كفاءة في التعامل مع تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية.

أمّا الفرضية الثانية لهذا البحث فترجّح خطابا عدائيًّا للقنوات الدولية ذات الجذور الأوروبية تجاه الدّول العربيّة في تعاطيها مع أزمة التزوّد بالمواد الأساسية في الدّول العربيّة وخاصّة منها الدّول التي اتخذت مواقف مناهضة للتصوّر الأوكراني والغربي للحرب أو تلك التي التزمت الحياد في مواقفها إزاء الصّراع الغربي الشرقي على الأراضي الأوكرانية.

## منهجية البحث

يعتمد هذا البحث في المقام الأوّل على آليات تحليل المضمون وذلك باحتساب الحيز المخصص للدّول العربية المتعلق بموضوع أزمة التزوّد بالمواد الأساسية إبان الحرب الروسية الأوكرانية واستخراج الاستنتاجات من الناحية الكميّة أمّا كيفيا فنعتمد في هذا البحث نظرية تحليل الخطاب لمقاربة الخطاب الإعلاميّ من حيث الرسائل الموجهة وأساليب التأيير الإعلاميّ.

ونظرا لكثافة المادّة الإخباريّة التي قمنا باعتمادها كعيّنة لبحثنا فإنّ أكثر نماذج التأيير ملائمة للتحليل، تتمثّل في نموذج لينجر وسيمون<sup>7</sup> Lyenger & Simon الذي يتناول تصنيفا نوعيًّا للأطر الإخباريّة أكثر تجرّدا و مرونة من أي نموذج تأيير آخر إذ يقوم هذا النموذج على نوعين من الأطر الإخباريّة وهما: الإطار المحدّد المرتبط بأحداث محدّدة Episode Frame والإطار العام أو المجرّد Thematic Frame<sup>8</sup>.

<sup>6</sup> نعيّرات، المصدر السابق، ص 18.

<sup>7</sup> Shanto Iyengar & Adam Simon: News Coverage of the Gulf Crisis and Public Opinion: A Study of Agenda-Setting, Priming and Framing, Communication Research, Vol. 20, No. 3, June 1993, P 383-365

<sup>8</sup> الإطار العام: يعالج القضايا المثارة في سياق يتسم بالعموميّة أو التجريد، ويقدم براهين ودلالات عامّة، ويقدم وصفاً أوسع لها، وموجزا أكثر من خلال وضعها في سياق مناسب.

وهو ما يتيح استخراج المعطيات الإخبارية الخاصة بخطاب كل وسيلة إعلامية، والتعرّف إلى الملامح الكبرى للتأطير الإخباري لدى القائمين بالاتّصال في هذه الوسائل الإعلامية أي الأطر العامّة أو المجرّدة Thematic Frames.8 إذ يعتمد هذا البحث المنهج الوصفيّ التحليليّ حيث تُستمدّ نتائج من آليات التحليل والتأطير إضافة إلى اعتماد تقنية المقارنة بين خطاب ثلاثة مواقع الكترونية لقنوات إخبارية دوليّة ذات قاعدة جماهيرية كثيفة .

### عيّنة البحث

تتمثّل عيّنة هذا البحث وهي 'عيّنة قصديّة' في عدد من التغطيات الإعلامية لقنوات إخبارية دولية ناطقة بالعربيّة وهي: الجزيرة، العربيّة، Euronews و France24 ، إذ تتمحور التغطيات الإعلامية (موضوع هذا البحث) حول مواضيع ذات علاقة مباشرة بأزمة التزوّد بالمواد الأوّليّة سواء تلك الغذائيّة (القمح، الزيت النباتي) أو الطاقوية (الغاز، النفط) وذلك من الفترة الممتدة من (ديسمبر 2022 إلى شباط 2023). ونورد في الجدول التالي توصيفا للعيّنة المراد دراستها:

### جدول 1: عيّنة التغطيات الإعلامية حول أزمة المواد الأساسية بالبلدان العربية إبان الحرب الروسية الأوكرانية حسب كل قناة من القنوات الدوليّة

الوسيلة الإعلامية	عنوان التغطية الإعلامية	التاريخ	البلد/البلدان المعنيّة بالتغطية الإعلامية	الرابط
الجزيرة	تونس.. ارتفاع الأسعار ينذر بأزمة غذائية وانفجار اجتماعي وشيك	16.12.2022	تونس	<a href="https://www.aljazeera.net/ebusiness/2022/12/16">https://www.aljazeera.net/ebusiness/2022/12/16</a>
	حرب روسيا وأوكرانيا.. ما آثارها الاقتصادية على المنطقة العربية؟	27.02.2022	مصر، الأردن، لبنان، اليمن	<a href="https://www.aljazeera.net/ebusiness/2022/2/27">https://www.aljazeera.net/ebusiness/2022/2/27</a>
	ما أكثر الدول تضررا من أزمة الحبوب في أوكرانيا؟	23.06.2022	مصر، اليمن	<a href="https://www.aljazeera.net/ebusiness/2022/6/23/%D9%85%D8%">https://www.aljazeera.net/ebusiness/2022/6/23/%D9%85%D8%</a>
العربية	التاسعة هذا المساء   الشارع المصري يعاني من موجات غلاء غير مسبوقة.. وهذه هي الأسباب	11.01.2023	مصر	<a href="https://www.youtube.com/watch?v=gA7mpQttvIk">https://www.youtube.com/watch?v=gA7mpQttvIk</a>

د. سمية بالرجب

<a href="https://www.youtube.com/watch?v=EPAn3hQkXDc">https://www.youtube.com/watch?v=EPAn3hQkXDc</a>	مصر، السودان، تونس، المغرب	30.03.2022	صباح العربية   القمح.. أمن العالم الغذائي للهدد	
			تحذيرات من معاناة 13 مليون شخص من نقص التغذية في العالم إذا استمرت الحرب الأوكرانية فترة أطول	
<a href="https://www.alarabiya.net/asia/waq/economy/2023/01/2">https://www.alarabiya.net/asia/waq/economy/2023/01/2</a>	مصر	22.01.2023	الأسواق العربية   القمح الروسي لمصر بالروبل # روسيا تعكف على تطبيق آلية لتسوية مدفوعات صفقات تصدير # القمح إلى # مصر بـ # الروبل الروسي	
<a href="https://arabic.euronews.com/2022/03/30/tunisia-somalia-russian-invasion-ukraine-spoils-preparations-ramadan-high-prices">https://arabic.euronews.com/2022/03/30/tunisia-somalia-russian-invasion-ukraine-spoils-preparations-ramadan-high-prices</a>	تونس، الصومال، فلسطين، سوريا، مصر، اليمن، السعودية	30.03.2022	من تونس حتى الصومال.. غزو أوكرانيا يُفسد الاستعدادات لشهر رمضان جراء ارتفاع الأسعار	أورونيوز
<a href="https://arabic.euronews.com/2022/03/03/how-does-the-russia-">https://arabic.euronews.com/2022/03/03/how-does-the-russia-</a>	لبنان، السودان، المغرب، الجزائر، اليمن، تونس، مصر	3.03.2022	كيف تؤثر حرب روسيا وأوكرانيا في إمدادات القمح على الدول العربية؟	
<a href="https://arabic.euronews.com/next/2022/02/24/egypt-">https://arabic.euronews.com/next/2022/02/24/egypt-</a>	مصر	24.02.2022	مصر تبحث تمويل شراء السلع الأساسية تأهباً لتأثير غزو أوكرانيا على واردات القمح	
<a href="https://www.france24.com/ar/%D8%A7%D9%82%D8">https://www.france24.com/ar/%D8%A7%D9%82%D8</a>	لبنان، اليمن، مصر	9.03.2022	الحرب في أوكرانيا: ما هي الدول العربية المهددة بأزمة إمدادات القمح وما الحل؟	فرنانس 24
<a href="https://www.france24.com/ar/%">https://www.france24.com/ar/%</a>	العراق، تونس، سوريا	25.12.2022	حصاد العام وإنعكاساته على العالم العربي مع الدبلوماسي الفرنسي بيرتران بيزانسو - الجزء الثاني	
<a href="https://www.youtube.com/watch?v=Pr6D_JPbl7Y">https://www.youtube.com/watch?v=Pr6D_JPbl7Y</a>	الإمارات، قطر	18.07.2022	الإمارات تحل محل قطر وفرنسا تستعين بأبوظبي للعودة إلى العالم العربي، كيف؟	
<a href="https://www.france24.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82">https://www.france24.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82</a>	الأردن	17.12.2022	الأردن: استمرار الاحتجاجات على ارتفاع أسعار الوقود والحكومة تنشر المزيد من شرطة مكافحة الشغب	
<a href="https://www.france24.com/ar/%D8%A3%D">https://www.france24.com/ar/%D8%A3%D</a>	سوريا	19.12.2022	سوريا تستورد كميات متزايدة من القمح من شبه جزيرة القرم وسط اعتراض أوكراني	

## أولاً- الإعلام والحرب: أيّة علاقة؟

يقال إنّ الإعلام يمثّل مرآة عاكسة لما يعيشه العالم من أحداث ووقائع، أي أنّه يقدّم “الواقع”، لكنّ ذلك لا يشمل الإعلام الموجهّ أو لنقل الإعلام الدوليّ -إذ ما سلّمنا بأنّ المقولة الآتية الذكر صحيحة- إذ يعتمد الإعلام الدوليّ على استراتيجيّات معيّنة في الإخبار وهو ما ينعكس على الطرق المعتمدة في انتقاء الأخبار وبلورتها وإبرازها أي ما يعرف بالتأطير الإخباريّ، إذ يقوم الاطار الإعلاميّ ببناء “الواقع” من خلال التركيز على بعض جوانب الحدث أو إغفالها، وتتفق الأدبيات في وجود عدّة آليات رئيسيّة تستخدم في وضع الاطر الإعلامية في قضايا معيّنة ولعل من بين أبرز الأحداث الكبرى التي يمكن لآليات التأطير الإخباري أن تقوم مقام البوصلة الحقيقية لاكتشاف طرق الانتقال من نقل الأخبار إلى صناعة الأخبار، هي الأزمات التي تعيشها الدول وتكادها لسنوات طوال، كالحروب والأزمات الاقتصادية.

ويرى المختصّون أنّ علاقة الإعلام بالحرب لا تلبث أن تكون علاقة تكامل وتنافر في الوقت نفسه، إذ يظهر التكامل في الاستخدام المنهج للإعلام كأداة للدعاية زمن الحروب لتحقيق أهداف اتصالية وتوجيه الرأي العام نحو مساندة طرف ضدّ طرف مقابل، أمّا علاقة التنافر فتتجسّد في قدرة الإعلام على كشف خبايا القائمين على إدارة الحرب والترويج للرسائل الاتصالية والتحقق من الشائعات والأخبار المظلمة أثناء ما يعرف “بالحرب النفسية” التي وردت كمصطلح علميٍّ لأول مرة في كتاب ألفه الألمانيّ الكولونيل بلاو في عام 1930، وقد كان بلاو رئيسًا لمختبر الحرب النفسية بوزارة الدفاع الألمانيّة، ووضع آنذاك في كتابه أسس توظيف الإعلام في الحرب<sup>9</sup>.

ومادامت علاقة الإعلام بمن يقوم بالاتصال في زمن الحرب علاقة تحكّم وتمرّد فإنّ واقع الأزمات المفاجئ قد يفرض على هذه العلاقة اضطرابات عديدة غير متوقعة تفرض على وسائل الإعلام تحديد استراتيجيات لإدارة الأزمة في مستويات مختلفة.

وتختلف مستويات الأزمات باختلاف شدّة تعقّد الظروف المحيطة بها والإطار المكانيّ والزمنيّ لوقوعها “وعليه فإنّ الأزمة يمكن أن تحدث في أيّة جهة من الجهات وفي أيّ مكان أو زمان، ويمكن بشكل من الأشكال منع وقوع بعض الأزمات، في حين أنّ البعض الآخر لا يمكن معالجتها أو السيطرة المطلقة عليها وبالتالي لا يمكن احتواءها أو منعها من الظهور”<sup>10</sup>.

إذ من الجليّ للمتابعين للأزمات الدبلوماسية والسياسيّة أنّ للإعلام أهميّة بالغة في حشد الرأي العام ضدّ تيار معيّن من التيارات السياسيّة ودعم آخر منافس ممّا يزيد في تكبير الهوة الدبلوماسية أحيانًا بين الدّول ويفرز في المقابل “حربًا نفسيّة” ركيزتها الأساسية المعلومات والمعلومات المضادّة كما هو الحال مثلًا في أثر الاختلاف المذهبي بين إيران والمملكة العربيّة السعوديّة الذي نجد أصداءه

<sup>9</sup> مفهوم الحرب النفسية: هي حرب معنوية أو سيكولوجية، اختلف المتخصصون في ميناها اللغوي؛ فمنهم من يطلق عليها حرب العصابات والحرب الباردة ومنهم من يطلق عليها حرب الأفكار والحرب الدعائية، ولكنهم جميعًا اتفقوا على معناها القائل بأنها شكل من أشكال الصراع الذي يهدف إلى التأثير على الخصم وإضعاف معنوياته وتوجيه فكره وعقيدته وآرائه، لإحلال أفكار أخرى مكانها تكون في خدمة الطرف الذي يشن الحرب النفسية. هي استخدام الأنشطة التي تسبب الخوف والقلق لدى الأشخاص الذين تريد التأثير عليهم دون الإضرار بهم جسديًا.

<sup>10</sup> حسن الزاز، إدارة الأزمة بين نقطتي التحوّل والغليان، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والتوزيع والنشر، القاهرة، 2001، ص 13.

واضحة جليّة في وسائل إعلام البلدين نخصّ بالذّكر القنوات التلفزيونيّة الفضائيّة والمواقع الاخباريّة الإلكترونيّة.

وتتعاظم أهميّة البعد الإعلامي في إدارة الأزمة، بسبب تصاعد الدّور الذي تقوم به وسائل الإعلام في المجتمع نظرا لقدراتها الهائلة على التأثير النفسي في الأفراد والسيطرة الفكرية وإفناع الجمهور في المجتمعات المختلفة، والتحكّم في سلوكه وتوجيهه<sup>11</sup>.

وقد أشارت العديد من الدّراسات التي تناولت دور الإعلام في إدارة الأزمات سواء الدّاخلية مثل الأزمات الاجتماعيّة والبيئيّة والصناعيّة أو الأزمات الخارجيّة الدوليّة إلى أهميّة الدّور الذي تؤديه وسائل الإعلام أثناء الأزمات وبعدها، بل إنّ الأزمات تعتمد في إدارتها على وسائل الإعلام كأحد مكّونات استراتيجية مواجهة الأزمة<sup>12</sup>.

وهو ما نلاحظه في راهنا بشكل واضح في الحرب الروسية الأوكرانية التي فرضت إكراهات عديدة على الإعلام الدّولي الذي سرعان ما تحوّل إلى أوباق دعاية سواء للشقّ الشرقي أو الشقّ الغربي، كما أنّ عددا من وسائل الإعلام الروسية قد وقعت ضحيّة الحجب والمنع من إيصال الصوت المناهض للسياسات الغربية بإزاء الأزمة الأوكرانية خيفة تحوّل هذا الصوت الإعلاميّ إلى محرّك للشارع الأوروبي والغربي ضدّ القرارات السياسية والعقوبات الاقتصادية تجاه روسيا.

وهو ما قامت به -على سبيل الذكر لا الحصر- الهيئة الناظمة لوسائل الإعلام في ألمانيا التي "حظرت بث محطة "روسيا اليوم" التلفزيونية الروسية (الناطقة بالألمانية)، التي يعتبر منتقدها أنها ناطقة باسم الكرملين، على خلفية تصاعد التوتر بين الدول الغربية وموسكو بشأن أوكرانيا"<sup>13</sup>.

علاوة على قرار شركة "غوغل" الأمريكية، حجب القنوات على خدمة استضافة الفيديوها الخاصة بها على موقع يوتيوب، والمتعلّقة بقناة "RT" ووكالة "سبوتنيك" للأنباء، فيما يتعلّق بالوضع في أوكرانيا. وقالت "غوغل" أوروبا في "تويت": "نظرا للحرب المستمرة في أوكرانيا، فإننا نقوم على الفور بحظر قنوات "RT" و"سبوتنيك" على "YouTube" في جميع أنحاء أوروبا...سوف تستغرق أنظمتنا وقتا لتنفيذ ذلك بالكامل"<sup>14</sup>.

وهو ما يعكس مفارقات كبرى في مستوى قيمي لطالما نادى بها الدّول الغربية لعلّ من أبرزها حربية التعبير وحرية الإعلام، اللتان تحولتا في سياق الحرب الروسية الأوكرانية إلى محظورات تقع تحت مظلة العقوبات الاقتصادية والسياسية المسلّطة على الجانب الروسي.

<sup>11</sup> الوز، هزوان، الإعلام: أدوار وإمبارطويات، وزارة الثقافة الهيئة العامة السوريّة للكتاب، دمشق، 2012، ص51.

<sup>12</sup> المصدر نفسه.

<sup>13</sup> منع بث قناة "روسيا اليوم" على الأراضي الألمانية، موقع دوتشي فيل، تاريخ النشر 02.02.2022: الرابط: -منع-بث- قناة/https://www.dw.com/ar/

<sup>14</sup> يوتيوب يوقف بث قناتي "RT" و"سبوتنيك" في أوروبا، موقع روسيا اليوم، تاريخ النشر: 01.03.2022، الرابط: فرانس-برس-يوتيوب-يوقف-بث-قناتي-روسيا-اليوم-وسبوتنيك-الروسيين-في-أوروبا-1329834-https://arabic.rt.com/world/

## نتائج البحث

سمحت تطورات الحرب الروسية الأوكرانية بظهور موجة تركيز اعلامي لم يشهد العالم مثلها منذ حرب العراق سنة 2003 وذلك لما مثلته هذه الحرب من أهمية لدى الجمهور العالمي والعربي بشكل خاص.

وقد أصبحت تحاليل الإعلام تقوم بدور مهم في الإحاطة بمختلف المعلومات الخاصة بتأثير الأزمة الدولية الجديدة (الحرب الروسية الأوكرانية) في اقتصادات دول عديدة وفي مواقف سياسية لدول معينة. ففي حين اصطفّت بعض الدّول العربية مثل الجزائر وراء الجانب الروسي وقفت دول أخرى إلى جانب الشقّ المناهض، أي العربيّ، كدولة قطر التي اختارت الاصطفاف كدول عديدة إلى جانب الحلف الأوروبي الأمريكي في حربه بالوكالة على الأرض الأوكرانية، وهو ما يعطي انطبعا حول انقسامات في المشهد العربي حول تأييد هذا الطرف الروسي أو ذلك الأوكراني العربي وهو ما يشكّل انقساما واضحا في مستوى الخطاب السياسي والإعلامي على حدّ السّواء.

من جهة اخرى مثل تواصل ما عرف بالعملية العسكرية الروسية لحماية العمق الاستراتيجي والأمن الاقليمي والقومي الروسي على الأراضي الأوكرانية، سببا رئيسا في تأزم المبادلات التجارية بين دول النزاع ومختلف دول العالم خاصة منها دول العالم النامي ومنها الدول العربية.

فقد تأثرت صادرات القمح والغاز والزيوت النباتي والنفط نحو كثير من الدول العربية نتيجة الحرب الدائرة وأصبح المشهد العام حسب بعض المحللين خطيرا ومقلقا لبعض الدول التي تعول بشكل كبير على التزوّد من المواد الأساسية من روسيا وأوكرانيا ومنها نذكر: مصر، اليمن، لبنان، الصومال، تونس، ليبيا، الخ.

وقد وجد الإعلام في موضوع أزمة المواد الأساسية إبان الحرب الروسية الأوكرانية منطلقا لتغطيات إعلامية مركزة تراوحت بين الاخبار والتفسير والتحليل المختلفة. فالمسالة الاقتصادية من منظور الإعلام لا تعدو ان تكون فضاء للنقاش حول سياسات الدول العربية وقراراتها وطريقة التعاطي السياسي مع الأزمة العالمية الجديدة.

وقد وجدنا في خطاب كل من قناة الجزيرة (القطرية) والعربية (السعودية) وفرانس 24 وأرونيوز الأوروبيتين تركيزا واضحا على اضطرابات التزود بالمواد الأساسية في الدول العربية في ظل الحرب الروسية الأوكرانية، علاوة على عدد من زوايا التناول والنقل ذات الطابع السياسي والاجتماعي.

وهو ما دعانا الى إمطة اللّثام عن مدى حضور الطرح المبين آنفا ومدى تجسيده في الخطاب الإعلامي الدولي الناطق باللغة العربية في مستوى الاهداف والرسائل الاتصالية السياسية علاوة على اسلوب كل قناة وخلفياتها المختلفة في مقارنة موضوع أزمة التزود بالمواد الأساسية في العالم العربي زمن الحرب الجديدة.

## نسب التغطيات الخاصة للقنوات الدولية حول موضوع أزمة التزوّد بالمواد الأساسية في الدّول العربيّة

تشير بعض الدّراسات الاقتصاديّة إلى أنّ حجم التبادل التجاري للدول العربية مع روسيا في الفترة من 2019 إلى 2021 يتراوح بين 18 و21 مليار دولار، وتعتبر روسيا من أكبر مصدري النفط والغاز إلى مختلف دول العالم بما فيها حوالي 10 دول عربيّة.

وتعتبر روسيا من أكبر المصدرين للقمح والزيوت النباتي إلى الدّول العربية و “تعدّ مصر من أكبر الدول العربية المتضررة من أزمة الحرب الروسية على أوكرانيا، فعلى صعيد النفط فإن مصر حتى الآن -حسب بيانات ميزان المدفوعات لعام 2020-2021- يحقق الميزان التجاري النفطي بها عجزا بنحو 100 مليون دولار، وإذا ما استمر ارتفاع أسعار النفط فوارد أن يرتفع العجز بالميزان التجاري النفطي”<sup>15</sup>.

إذ توفّر روسيا وأوكرانيا نحو ثلاثين في المئة من صادرات القمح عالميا. وبعد الغزو، ارتفعت أسعار الحبوب وزيوت دوار الشمس والذرة، وأوكرانيا هي المصدرّة الأولى للدّول، والرابعة للثاني، عالميا. كما ارتفعت أسعار النفط والغاز بشكل حاد وبلغت مستويات لم تعهدها منذ أعوام، نظراً لدور روسيا الوازن في مجال الطاقة.

### جدول 2: نصيب كلّ منطقة عربية من التغطيات الإعلامية للقنوات الدولية حول موضوع الأزمة الاقتصادية العربية خلال الحرب الروسية الأوكرانية

لجزيرة	العربية	Euronews	France 24	
33,3%	20%	60%	40%	الشرق الأوسط
3,8%	6,6%	3,31%	13,3%	الخليج العربي
6,61%	13,3%	3,3%	20%	المغرب العربي

وقد حظي موضوع نقص التزوّد بالقمح والزيوت النباتي بمتابعة إعلامية واضحة إذ تشير نتائج هذا البحث إلى أنّ التركيز الإعلامي على موضوع الأزمة الاقتصادية في العالم العربيّ في قناة الجزيرة القطرية مقارنة بباقي المواضيع المطروحة خلال الفترة من ديسمبر 2022 إلى جانفي 2023 يمثّل 67 % بينما حظي موضوع الأزمة الاقتصادية بتفرعاته وزواياه المختلفة في علاقة بالحرب الروسية الأوكرانية في التغطيات الإعلامية لقناة العربية بنصيب 46.5 %، بينما بلغ معدّل التركيز الإعلامي لقناة فرانس 24 الفرنسية على العالم العربي في علاقة بتداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على التزوّد بالمواد الأولية وأزمة التبادل التجاري حوالي 80% من مجمل التغطيات الإعلامية في الفترة المبينة آنفا.

<sup>15</sup> عبد الحافظ الضاوي، مقال: حرب روسيا وأوكرانيا.. ما آثارها الاقتصادية على المنطقة العربية؟، الجزيرة. نت، تاريخ النشر: 27/2/2022، الرابط: <https://www.aljazeera.net/ebusines/27/2/2022/7-حرب>



أما قناة أورو نيوز Euronews فقد سلّطت الأضواء على الفضاء العربي في علاقة بتأثره بالحرب الروسية الأوكرانية من خلال تناول المواضيع الاقتصادية والسياسية وبلغ نصيب الدّول العربية من الخطاب الإعلامي لهذه الوسيلة الإعلامية حوالي 83.2 %، وبالعودة إلى الجدول رقم (2) فإننا نلاحظ أنّ كلّ بعض المناطق العربية التي أردنا أن نقسمها كما يلي:

منطقة الشرق الأوسط (مصر<sup>16</sup>، لبنان، الأردن، سوريا)، منطقة الخليج العربي (العراق، السعودية، قطر، الإمارات)، منطقة المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب، ليبيا) ومنطقة القرن الأفريقي (الصومال، السودان).

وحسب نتائج التحليل فإنّ منطقة الشرق الأوسط قد حظيت بنصيب الأسد من المتابعات الإعلامية في علاقة بموضوع نقص التزود بالمواد الأولية زمن الحرب الروسية الأوكرانية في مختلف الوسائل الإعلامية (عينة هذا البحث) مع تفوّق واضح للقنوات الدولية الأوروبية الناطقة باللغة العربية، أمّا منطقة الخليج العربي فلم تتجاوز 13.3 % في مختلف القنوات الدولية بما فيها القنوات الخليجية كقناة الجزيرة والعربية ويعود ذلك إلى أنّ أغلب الدّول الخليجية تمثّل قوّة اقتصادية في المجال الطاقويّ بل إنّ مسألة التزوّد بالمواد الأساسية لم تطرح في التغطيات الإعلامية إلا في علاقة بمادّة القمح والزيت النباتي.

أمّا منطقة المغرب العربي فقد كانت تحت مجهر قناة فرانس 24 بنسبة 20% من مجمل التغطية الخاصة بالمنطقة العربية ويرجع ذلك إلى أنّ الخطّ التحريري للقناة يوجّه الخطاب الإعلاميّ في المقام الأوّل إلى الدّول المغاربية ويركّز على الجمهور الناطق باللغة الفرنسية أو الدّيّ تجمعه علاقات تاريخية بفرنسا في العالم العربي بصفة عامة كلبنان وسوريا، ولكن يبقى الجمهور المغاربي الجمهور الأكثر استهدافا من قبل قناة فرانس 24، كما نجد اهتماما واضحا من قناة الجزيرة القطرية بالمنطقة المغاربية بنسبة 16.6 % من مجمل تغطياتها الإعلامية لموضوع الأزمة الاقتصادية العربية في زمن الحرب الروسية الأوكرانية.

ونستخلص أيضا أنّ منطقة القرن الأفريقي (السودان والصومال) قد حظيت بتركيز إعلامي واضح من قبل قناة الجزيرة القطرية بما معدّله 13,3% وهي نسبة مهمّة مقارنة بالاهتمام الإعلامي لباقي القنوات الدولية بأخبار هذه المنطقة في علاقة بأزمة التزوّد بالمواد الأساسية.

وهو ما يؤكّد على أنّ توجهات الإعلام الدولي القطري لا تتركز فقط على منطقة الشرق الأوسط بل تذهب إلى تناول ملفات مختلفة ومتنوعة في كلّ المناطق العربية في علاقتها بالأزمة الاقتصادية زمن الحرب.

<sup>16</sup> مصر تعدّ كل من روسيا وأوكرانيا من أهم مصادرها للحصول على احتياجاتها من القمح الذي تعدّ فيه مصر المستورد الأوّل على مستوى العالم، برصيد يقترب من 10 ملايين طن سنويا، وحدثت مشكلات في كل من روسيا وأوكرانيا بلا شك سوف يُوقف الصادرات من القمح، أو في أحسن الأحوال ستخفض كميات التصدير.

## ثانياً- قراءة في الخطاب الإعلامي للقنوات الدولية الناطقة بالعربية حول أزمة التزوّد بالمواد الأساسية في الدّول العربية خلال الحرب في أوكرانيا

إنّ الخطاب الإعلامي رغم تنوّع تعريفاته واختلاف الباحثين حول هذه التعريفات هو ضرب من ضروب الممارسة الاجتماعية إذ يرى الباحث محمد شومان إنّ "الأمر الأكثر أهمية هو أن نفهم أن الخطاب الإعلامي ليس شيئاً واحداً بل هناك عدد من الخطابات الإعلامية المتصارعة أو المتعاونة، كما أن هناك تداخلاً أو تعايشاً بين أكثر من خطاب"<sup>17</sup>. وبالإشارة إلى تعدّد الخطاب الإعلامي وتنوّعه فإنّ هذه الخطابات المتداخلة تعكس حقائق اجتماعية متباينة ومصالح متعارضة، ومع ذلك فقد تحدث استعارات في المفاهيم والأطروحات في إطار محاولة كل خطاب أن يواكب الواقع ويحظى بقدر أكبر من التأثير الاجتماعي<sup>18</sup>.

إذ إنّ في الحديث عن "الخطاب الإعلامي" استحضارا واضحا لوسائل الاتصال الجماهيريّ التي دونها لا يمكن لهذا "الخطاب" أن يصل إلى الجمهور بما يتيح المجال للحديث عن تداخل واضح بين مفهومين اثنين لا يفترقان في مستوى "الخطاب" وهما "الإعلام والاتصال" وتعرّف الباحثة "فيرجين جويار" Virginie Julliard الخطاب الإعلامي على أنّه كلّ عمليّة اتّصالية يكون موضوعها محلّ تداول أو تبادل بين طرفين، الأوّل مرسل والثاني متلقّي بحيث تجمع بينهما علاقة مبنية على "القصديّة" التي تصبغ بدورها على العمليّة الاتّصالية ذاتها وهو ما يسمّيه الباحث باتريك شارودو Patrick Charaudeau "بالعقد"<sup>20</sup>.

ويرى باحثون آخرون أنّ الخطاب الإعلامي هو عبارة عن: "صناعة تجمع بين اللغة والمعلومة ومحتواها الثقافي والآليات التقنية لتبليغها عبر الزّمان والمكان. إنّ الخطاب الإعلامي كما حدّده أحمد العاقد: "هو مجموع الأنشطة الإعلامية والتواصلية الجماهيرية: التقارير الإخبارية، الافتتاحيات، البرامج التلفزيونية، المواد الإذاعية وغيرها من الخطابات النوعية"<sup>21</sup>.

و يعتبر د. "سعيد يقطين ان الخطاب هو طريقة للقصّ أو "الحكي" "و قد تكون المادة الحكائية واحدة لكن ما يتغير في الخطاب هو محاولات كتابتها و نظمها فلو أعطينا لمجموعة من الكتاب الروائيين مادة قابلة لان تحكى وحددنا لهم سلفا شخصياتها وأحداثها المركزية و زمانها و فضاءها

<sup>17</sup> محمّد شومان، الخطاب الإعلامي: غموض المفهوم واختلاف أدوات التحليل، موقع الهدى للثقافة والإعلام، أنظر: <http://www.siiron-line.org/alabwab/alhoda-culture>

<sup>18</sup> المصدر نفسه.

<sup>19</sup> Patrick Charaudeau de l'Université Paris XIII examine quelles sont les conditions de réalisation de ce discours, quelle place il occupe dans les pratiques sociales, quelles sont ses contraintes, quelles sont ses possibles stratégies de mise en scène.

<sup>20</sup> Virginie Julliard, Sémiotique des contenus, L'ANALYSE DU DISCOURS, cours magistral, p7, voir plus: <https://www.etudier.com/dissertations/S%C3%A9miotologie/48214755.html>.

Voir aussi: « Tout acte de communication est un objet d'échange entre deux instances: l'une d'énonciation, l'autre de réception, dont le sens dépend de la relation d'intentionnalité qui s'instaure entre celles-ci. Pour décrire ce qui se joue dans l'acte de communication médiatique, Patrick Charaudeau utilise la métaphore du « contrat ».

<sup>21</sup> أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحفي من اللغة إلى السلطة، ط1، 2002، ص 110.

لوجدناهم يقدمون لنا خطابات تختلف باختلاف اتجاهاتهم ومواقفهم وإن كانت القصة التي يعالجون واحدة<sup>22</sup>، وهذا بالفعل ما يحدث مع "المادّة الإعلامية" التي تتنوّع طريقة قصّها لتصبح جملة من "القصص الخبريّة" عوض أن تكون "خبراً واحداً" إذ تختلف زوايا النّظر إلى الخبر ذاته.

ومن هذا المنطلق ونظراً لطبيعة المادّة الإعلامية باعتبارها مادة خاضعة إلى أساليب الحكيم والإخبار عن الأحداث والشخصيات مثلها في ذلك مثل الرواية وبما أن المادّة الإعلامية (الأخبار وغيرها) تخضع بشكل أو بآخر إلى تيارات ومحددات للتوجهات الإعلامية بما يطلق عليه "الخط التحريري" فإن المماثلة بين تعريف الخطاب لدى الروائيين لا ينأى كثيراً عن ذلك الخطاب الإعلامي فبقدر ما تتلون الأحداث في الرواية الواحدة منقولة من راوٍ إلى راوٍ بقدر ما تتلون القصة الخبرية من وسيلة إعلامية إلى أخرى. إذ يسعى الإعلام إلى مساعدة المتلقي على تكوين رأيه الخاص من خلال وصف الواقع وبث معلومات متوازنة تعبّر عن مختلف الآراء وتتوافق قدر المستطاع مع الوقائع<sup>23</sup>.

وانطلاقاً من هذا المدخل النظريّ يمكننا أن نعزّج على أبرز النتائج التي استخلصناها من هذا البحث من خلال التركيز على الخطابات الإعلامية المتباينة والمتصارعة أحياناً أخرى حول موضوع الأزمة الاقتصادية التي تكابدها المنطقة العربية زمن الحرب الروسية الأوكرانية.

## خطاب قناة الجزيرة القطرية حول أزمة المواد الأساسية في الدّول العربية خلال الحرب الروسية الأوكرانية

تتميّز التغطيات الإعلامية لقناة الجزيرة القطرية بالاستخدام المكثف لأساليب الاستمالة العاطفية للجمهور المتلقي إذ أنّ الدّارس لخطاب الجزيرة العربية بإزاء أزمة التزوّد بالمواد الأساسية يمكن أن يلاحظ بوضوح الحضور المكثّف للمصطلحات الآتية: "معاناة المواطن، منطقة الجوع والفقر، أزمة خانقة، مكابدة يومية لارتفاع الأسعار، فقدان الأدوية قد يؤدي إلى هلاك محتتم، الخ).

ففي تحليل أوليّ لخطاب الجزيرة العربيّة حول علاقة نقص المواد الأساسية كالقمح والزيت النباتي، لاحظنا أنّ مصر تحظى بنصيب الأسد من التغطيات الإعلامية وبمتابعة إعلامية لصيقة لمعاناة المواطن المصريّ، في ظلّ نقص واردات الحبوب والزيوت، وهو ما يوحى بتركيز إعلامي واضح للجزيرة على منطقة الشرق الأوسط وبخاصّة مصر، وقد حظي لبنان أيضاً بمساحة واضحة في التغطيات الإعلامية، في علاقة بالأزمة الاقتصادية التي خلفتها الحرب الروسية الأوكرانية، خاصّة فيما تعلق بموضوع نقص البنزين والمواد الطاقوية، إذ يمكن ملاحظة استخدام الجزيرة لعجم الصّراع من خلال توظيفها للمصطلحات التالية: «ساحة للمصارعة، الصراعات المحلية تخيم على بيروت، لبنان من أكثر الدّول المتضررة، في ظلّ أزمة سياسية واقتصادية خانقة.

<sup>22</sup> محمّد ناصر الخوالدة، مفهوم الخطاب كوسيلة اتّصاليّة، منتدى الشروق الإعلاميّ الأدبي، الدّمام، أنظر الرابط: <http://www.shrooq2.com>

<sup>23</sup> انظر: سلوى الشرفي، درس تحليل الخطاب، السنة الأولى من ماجستير البحث، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس. أنظر أيضاً: سميّة بالترجب، الخطاب السياسي للجزيرة الانكليزية: صورة الرئيس الأمريكي باراك أوباما نموذجاً، رسالة ماجستير البحث، جوان 2011، ص 35.

ويحضر نفس المعجم في علاقة بتغطيات قناة الجزيرة حول منطقة المغرب العربي وبالتحديد تونس، كما نجد معجما آخر وهو معجم الأزمة ويتمثل في المصطلحات التالية: " أزمة الخبر، أزمة توريد حادّة بالمواد الغذائية، أزمة قاتلة".

أمّا عن منطقة القرن الإفريقي (الصومال والسودان) فنلاحظ حضورا واضحا للاستمالات العاطفية بين سطور الخطاب الإعلامي لقناة الجزيرة ويتمثل ذلك في استخدام معجم الموت إذ نجد إشارات عديدة إلى امكانية هلاك الاطفال نتيجة نقص الغذاء أو الاشارة إلى تحوّل مناطق في الصومال والسودان إلى مساحات للفقر الغذائيّ نتيجة نقص في توفّر المواد الغذائية ونجد ذلك في المصطلحات الآتية: "نقص هائل" في الخبز والنفط، ترتفع تكلفة الغذاء العلاجي الذي يستخدمه الصندوق لعلاج الأطفال، مجاعة قاتلة، جوع".

أمّا عن آليات الإقناع العقلانيّ المعتمد من قبل القائم بالاتّصال في خطاب الجزيرة القطرية حول أزمة التزوّد بالمواد الأساسية في المناطق العربية نتيجة الحرب الروسية الأوكرانية فتتجسّد بوضوح في استخدام المعجم الاقتصادي الذي يحيل على تفسير الأوضاع الاقتصادية في العالم العربي بشكل تقني وعلمي ونجد هذا جليّا في استخدام القناة للمصطلحات العلمية الآتية: "المخزون الاقتصادي، الأمن الغذائي، عجز الميزان التجاري، الأعباء الضريبية، التضخّم، عجز الموازنة، فاتورة التضخم، الخ".

وقد قدّمت الجزيرة عددا من التغطيات المهمة التي استعملت خلالها آليات المقارنة والاحصاء والمنطق الرياضي، إضافة إلى الاستئناس بالمواد الاقتصادية العالمية والخبراء في مجال التجارة العالمية والشؤون المالية والاقتصاد السياسي.

## **خطاب قناة العربية السعودية حول أزمة المواد الأساسية في الدّول العربية خلال الحرب الروسية الأوكرانية**

على غرار قناة الجزيرة، نلاحظ تشابها في مستوى الخطاب الإعلامي لقناة العربية السعودية بإزاء أزمة التزوّد بالمواد الغذائية في المنطقة العربية إبان الحرب الروسية الأوكرانية حيث تقوم قناة العربية باعتماد خطاب مدجج بالاستمالات العاطفية وهي من أدوات ما يعرف باستراتيجية التوجيه الإعلامي، ويبرز ذلك بوضوح في حديثها عن منطقة الشرق الأوسط مع تركيز واضح على أزمة التزوّد بالمواد الغذائية في جمهورية مصر العربية و في المملكة الأردنية الهاشمية إذ نسجّل وجود تقارير خاصّة بهذين البلدين وريپورتاجات تتناول بوضوح معاناة المواطن المصري من فقدان بعض السلع والمواد الغذائية ونجد ذلك مجسّدا في استعمال معجم الأزمة من خلال العبارات التالية: "جشع التّجار، تداعيات الحرب الخطيرة على رغيف الخبز، الأزمة وصلت إلى وغيف الخبز، الشارع المصري يعاني من غلاء الأسعار، الخ".

كما نلاحظ استعمالا مدروسا للصورة فمن خلال الصور دون إرفاقها بتعليق صحفي يتجسّد خطاب شديد التأثير في تغطيات قناة العربية لأزمة السلع في المنطقة العربية كنتيجة للحرب الروسية

الأوكرانية، فبتمرير بضع ثواني من صور تجسد مواطنين في طوابير طويلة، أو مواطنين في حالة فقر مدقع أو من خلال التركيز على تفاصيل الازدحام على المخازن، يمكن للمشاهد أن يرسم صورة ذهنية تعمق هول الحرب الأوكرانية الروسية على حياة المواطن العربي ومدى تأثيرها في تفاصيل حياته اليومية وخطورة الوضع على أمنه الغذائي والطّاق.



صورة (2): من تقرير صحفي حول مساعي الحكومة المصرية لإعادة الاستقرار الاقتصادي بالبلاد بث بتاريخ 22 يناير 2023 على شاشة قناة العربية



صورة (1): من تقرير صحفي عن أزمة الخبز في الدول العربية بث بتاريخ 30 مارس 2022 على شاشة قناة العربية صورة

إذ نجد إشارات واضحة إلى تعكّر أحوال الشارع العربي وضرورة البحث عن حلول للأزمة الاقتصادية التي تصفها قناة العربية في تقاريرها بالخانقة والقاتلة، ومن المعاجم المستخدمة للإقناع، نجد توظيفاً واضحاً لأدوات الإقناع العقلاني من خلال جلسات حوارية مع خبراء ومختصين في المجال الاقتصادي مع اختيارهم بعناية وهنا تظهر الاستراتيجية التوجيهية في الخطاب، ويظهر المعجم الاقتصادي في عدد من الجمل والوحدات التركيبية مثل مصطلحات: "تعويم العملة، موجات الغلاء، نفاذ المخزون الاستراتيجي، نفاذ السلع، عسر الحركة الاقتصادية، اختلال الموازين التجارية، التضخم، الخ".

ونجد هذا المعجم موطّفاً بكثرة في التغطيات الخاصة بمنطقة المغرب العربي وتحديدًا في الحديث عن الأزمة الاقتصادية في تونس وأيضاً في الحديث عن الأزمة الاقتصادية في لبنان والسودان مع إلقاء اللوم على سياسات هذه الدول العربية وطريقة تعاملها مع إدارة الأزمة الاقتصادية خاصة فيما تعلّق بعجزها عن إيجاد حلول لشحّ المواد الأساسية ومعالجة النقص الفادح لهذه المواد في السوق.

## خطاب قناة فرانس 24 الفرنسية حول أزمة المواد الأساسية في الدول العربية خلال الحرب الروسية الأوكرانية

إنّ علاقة الإعلام بالحروب والصراعات علاقة لا تخلو من ترابط وتكامل، فالحروب تحدّد الأطر المختلفة للتأثير سواء تلك النفسية أو الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية ونجد في اقتفائنا لآثار هذه الأطر أطراً أخرى يحددها الإعلام ويني من خلالها رسائله الاتصالية، كقناة فرانس 24 التي حوّلت الحديث عن الحرب الروسية الأوكرانية إلى حديث مطوّل عن آثار هذه الحرب في العالم النامي وضرورة إيجاد الحلول الكفيلة لوقفها لما لها من تداعيات سلبية على المنطقة العربية و الإفريقية وغيرها من دول العالم النامي، ونلاحظ من خلال دراسة التغطيات الخاصة لقناة فرانس 24

للمشهد العالميّ في ظلّ الحرب المستعرة تركيزا كبيرا للقناة على منطقة المغرب العربية وبخاصّة تونس، حيث نالت هذه المنطقة نصيبا مهما من التركيز الإعلاميّ للقناة في علاقة بالمسألة الاقتصادية،

وقد حضر معجم الأزمة من خلال العبارات الآتية: «دول مهددة بأزمة امدادات القمح، ارتفاع ملحوظ في أسعار عديد المواد، تأثير مباشر على أسعار السميد والمعكرونة، أسعار القمح اللين ترتفع، ارتفاع واضح في أسعار السكر والزيت النباتي».

وقد أدّى الحضور الواضح لهذه المصطلحات دورا واضحا في التركيز على اقناع المشاهد بأنّ الحرب قد تطول وقد يكون لها آثار خطيرة على حياة المواطن التونسي والعربي بصفة عامة وهو نوع من أنواع التأطير الإعلامي الغاية منه لفت انتباه الجمهور إلى سوء تأثير القائم بالحرب على العالم ومدى خطورة استمرار هذا الفاعل في حربه في إشارة إلى الجانب الروسي الذي بدا في تغطيات قناة فرانس 24 السبب الرئيس في أزمة العالم العربي والمتسبب في مجاعات طالت بعض أطرافه كالصومال وبعض المناطق في السودان.

ويبدو أنّ فرانس 24 بتوظيفها للمعجم الاقتصادي تلمّح إلى أنّ سبب انخفاض مستويات التزوّد بالمواد الغذائية والطاقيّة قد يسبب غلاء فاحشا في الأسعار وضعفا في المقدرة الشرائية لدى المواطن العربي وهو ما أدته هذه الجملة التي جاءت في تقرير لقناة فرانس 24 حول موضوع أزمة التزوّد بالمواد الأساسية في المنطقة العربية، مثال على ما تبثه هذه القناة: «يؤثر غلاء الأسعار على الناس... ستواجه دول عربية كثيرة تعتمد على استيراد القمح الروسي والأوكراني تحديا كبيرا لضمان إمداداتها بهذه المادة الحيوية»، «على المدى القصير فإن أكثر الدول تضررا هي لبنان واليمن» و«الدول العربية المهتدة بأزمة إمدادات القمح» و«على المدى المتوسط فنخشى من كارثة كبيرة في مصر خصوصا». نستنتج من الجمل السابقة المتضمنة في ما تبثه قناة فرانس 24 ما يعرف في علوم الإعلام والاتصال بخطاب «التهويل» ومفاده توجيه الجمهور إلى انطباع عام بالسوء وباقتراب كارثة ما تحلّ بالمنطقة العربية، بينما الفاعل الرئيس في هذه الأزمة هو الجانب الروسي الذي يخوض حربا أثرت وتؤثر على التزوّد بالمواد الأساسية في العالم العربي.

## خطاب قناة أورو نيوز الأوروبية حول أزمة المواد الأساسية في الدول العربية خلال الحرب الروسية الأوكرانية

يشير الخطاب الإعلاميّ لقناة أورو نيوز الأوروبية في تغطياتها الإعلامية المختلفة حول موضوع أزمة التزوّد بالمواد الأساسية في المنطقة العربية جرّاء الحرب الروسية الأوكرانية إلى ما يعرف بالمعجم النفسي، إذ تركّز تغطيات أورو نيوز على عبارات لها صلة بالآثر النفسيّ لتداعيات الحرب وانعكاساتها على نفسية المواطن العربي كالعبارات التالية والمتكررة في تغطيات أورو نيوز ويظهر ذلك في المصطلحات التالية: «حالة إحباط، غلاء الأسعار يفسد أجواء رمضان، يكافح السكان في الشرق الأوسط، يعيش المواطن وضعفا نفسيا صعبا، تلقي النزاعات بثقلها على يومياتهم (اي العرب)، تزداد أوضاع الناس سوءا»، «تلقي الحرب الدائرة بين روسيا وأوكرانيا بظلالها على مواطني كثير من الدول العربية، من مصر ولبنان واليمن مروراً إلى دول المغرب العربي. وتتجلى ملامح آثار الحرب التي دخلت الخميس



يومها الثامن، في مواجهة مواطني الدول العربية مصاعب جمّة في توفير حصص الخبز ذلك أن روسيا وأوكرانيا أول موردي القمح بالنسبة لهم”.

وهو ما يحيلنا إلى الاستراتيجية التوجيهية في الخطاب التي تركّز على إطار إعلامي محدّد وموضوعه أنّ الأزمة الاقتصادية التي تسببت فيها الحرب الروسية الأوكرانية قد سببت أزمة نفسية في صفوف العرب، اي “توالد الأزمة”.

ولعلّ الفقرة الآتية من خطاب التغطية الإعلامية لقناة أرونيوز قد يلخّص الحضور الواضح للاستراتيجية التوجيهية في الخطاب: “من تونس حتى الصومال، يكافح السكان في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أجل تأمين قوتهم اليومي والحدّ الأدنى من احتياجاتهم الأساسية على وقع أزمات اقتصادية أو نزاعات تلقي بثقلها على يومياتهم. وزاد ارتفاع أسعار المواد الغذائية والوقود في الأسابيع الأخيرة الوضع سوءاً مع اقتراب شهر رمضان”.

نلاحظ أيضاً في قراءتنا للخطاب الإعلامي لقناة أرونيوز حضوراً واضحاً للاستراتيجية التلميحية وتظهر خاصة في سياق البرهنة على شدة خطورة نقص المواد الغذائية في العالم بصفة عامة وفي المنطقة العربية بشكل خاص وعلاقة ذلك باستمرار الجانب الروسي في حربه على الأراضي الأوكرانية وقد ركزت القناة على منطقة الشرق الأوسط في تغطياتها وتناولت بعض تقاريرها الإخبارية موضوع الوضع الصعب الذي يعيشه المواطنون الفلسطينيون في القطاع في شهر رمضان في ظل ارتفاع الأسعار مع النقص الحاد في القمح والسكر والزيت النباتي ونلاحظ ذلك في الجمل التالية: “يؤثر غلاء الأسعار على الناس ويُفسد أجواء رمضان.. ما جعل السكان في قطاع غزة (فلسطين) يشعرون بحالة من الإحباط- قبيل رمضان”.

وقد اعتمدت القناة أيضاً في تغطياتها الإعلامية أسلوب التكرار وهو أسلوب دعائي واضح مع المحافظة على لغة علمية تترجم تفاقم الأزمة الاقتصادية في العالم العربي وبخاصة في تونس إذ نجد المصطلحات العلمية الآتية: “أسعار المواد الغذائية تلتهب.. أسباب عدة وتداعيات كبيرة” و«.. وزاد ارتفاع أسعار المواد الغذائية والوقود في الأسابيع الأخيرة الوضع سوءاً مع اقتراب شهر رمضان”.

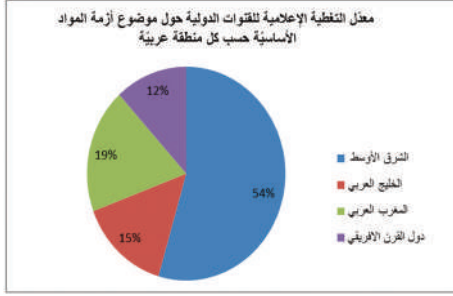
إذ توقّر روسيا وأوكرانيا نحو ثلاثين في المئة من صادرات القمح عالمياً. وبعد الغزو، ارتفعت أسعار الحبوب وزيت دوار الشمس والذرة، وتعدّ أوكرانيا هي المصدر الأول للحبوب، والرابعة للزيوت، عالمياً. كما ارتفعت أسعار النفط والغاز بشكل حاد وبلغت مستويات لم تعهدها منذ أعوام، نظراً لدور روسيا الوازن في مجال الطاقة.

### تحليل نتائج البحث

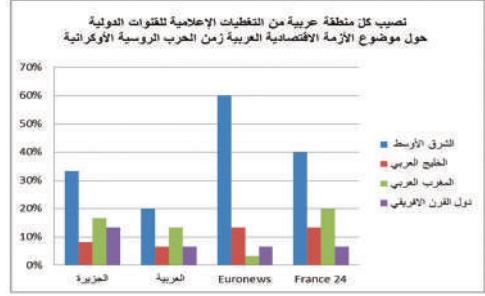
بالعودة إلى ما تقدّم من نتائج البحث فإنّه من الجلي أنّ التركيز الإعلامي للقنوات الدولية الناطقة بالعربية على المنطقة العربية والاهتمام بموضوع نقص المواد الأساسية من السوق في علاقة بتبعات الحرب الروسية الأوكرانية كان شديد الوضوح، ويظهر ذلك من نسبة كلّ منطقة عربية في أجنّات المتابعات الإعلامية لقناة الجزيرة والعربية وفرانس 24 أرونيوز، إذ بلغ معدّل الاهتمام

## د. سمّية بالرجب

بالاطار العام وهو موضوع الأزمة الاقتصادية في العالم العربي نتيجة الحرب الدائرة حوالي 40 % من إجمالي الأخبار التي قدّمت على شاشات القنوات التلفزيونية المشار إليها آنفاً في الفترة من ديسمبر 2022 إلى يناير 2023.



رسم بياني رقم (2)



رسم بياني رقم (1)

وبالنظر إلى الخطاب الإعلامي لكلّ قناة نلاحظ تبايناً في الاهتمام الذي أولته كلّ قناة من القنوات الدولية (عينة البحث) تجاه المناطق التالية: الشرق الأوسط، المغرب العربي، الخليج العربي والقرن الإفريقي (الصومال والسودان)، ويعود ذلك إلى الخطّ التحريري لكلّ قناة وإلى اهتماماتها في مستوى الاتصال السياسي.

إذ كان لمنطقة الشرق الأوسط نصيب الأسد من الاهتمام الإعلامي بما معدّلة 38.3% من مجمل تغطيات القنوات وقد ركّزت أغلب القنوات على السياسات التي تطبق في الدول الآتية: مصر، الأردن، لبنان وفلسطين في التعاطي مع الأزمة الاقتصادية التي أفرزتها الحرب الروسية الأوكرانية من خلال دراسة الإطار المحدّد وهو: نقص المواد الأساسية الغذائية والطاقة نتيجة اضطراب الصادرات من روسيا وأوكرانيا.

حظيت مصر باهتمام خاص من قبل قناة الجزيرة وكان التركيز واضحاً على تحميل السلطة الحاكمة في مصر مسؤولية معاناة المواطن المصري وذلك نتيجة ضعف الحلول البديلة لاستيراد القمح والقمح اللين لما يتبعه البلاد من سياسة الاعتماد الكامل على الواردات من روسيا وأوكرانيا مع تصوير حياة المواطن المصري الصعبة وتوجيه أصابع الاتهام إلى الأطراف المتحاربة في الشمال.



صورة (4): من تقرير لقناة الجزيرة حول تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على نسق تزوّد التونسيين بالبنزين والقمح والسكر



صورة (3): من تقرير لقناة الجزيرة حول تداعيات اضطراب توريد القمح والطاقة إلى العالم العربي



ونجد أيضا تركيزا واضحا على الأزمة السياسية الخانقة في تونس ومحاولة ربط العلاقة بين الأزمة السياسية والمديونية والحرب الأوكرانية الروسية وسوء الوضع الاقتصادي في تونس، مع استعمال لعدد من تقنيات التوجيه العاطفي والإقناعي ومعاجم لغوية لعلّ من أبرزها معجم الأزمة ومعجم الموت ومعجم الصّراع لبناء ما يعرف بخطاب التهويل الإعلامي.

الاهتمام نفسه نجده تقريبا في قناة العربية ولكن مع خطاب مؤيد للسلطة المصرية ومضاد للحرب الروسية الأوكرانية في محاولة إقناع المشاهد بأنّ ما يحدث هو المسؤول الأول والآخر عن غلاء الأسعار وضعف القدرة الشرائية وتبعات تعويم العملة وارتفاع منسوب التضخم في مصر، نجد أيضا تركيزا على تونس ولبنان، وقد ركزت قناة العربية على استخدام لغة الصورة لبثّ رسائل اتصالية تدين الحرب الروسية الأوكرانية وتطبع صورا ذهنية عن سلبية المشهد السياسي العربي في ذهن المتلقي.

أمّا فرانس 24 فتختلف من حيث المنهجية في التعامل مع أخبار المنطقة العربية زمن الحرب، فمعدّل اهتمامها بالمغرب العربي حلّ في المرتبة الثانية بعد الشرق الأوسط بنسبة 20% ومع ذلك بقي الخطاب الأعنف موجها إلى الحكومات المغاربية كالتونسية والجزائرية وتحميلها المسؤولية السياسية والأخلاقية تجاه شحّ التزوّد بالمواد الأساسية مع تركيز واضح على تحميل الطرف الروسي المسؤولية الأولى لتعكّر الأحوال الاقتصادية في العالم والإنذار بخطر حرب عالمية ثالثة وقد اعتمدت في ذلك خطاب التهويل بالتركيز على معجم الأزمة و الجلسات الإعلامية التفسيرية التي بثت خطابا علميا باعتماد معجم الاقتصاد ولكن بشكل يدين الجانب الروسي ويرى الجانب الأوكرانيّ في محاولة لاستمالة الرأي العام العربي نحو تبني الموقف الغربي من الحرب.

وهو أيضا ما قامت به قناة أرونيوز التي لم تختلف توجهاتها كثيرا عن قناة فرانس 24 الفرنسية إذ كان اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط كبيرا أي بنسبة 60% من مجمل التغطيات الإعلامية للمنطقة العربية في فترة دراسة عينة هذا البحث (ديسمبر 2022- يناير 2023) وهو ما زدنا اطلاعا عليه من خلال دراسة الرسائل الاتصالية للقناة وطريقتها في توجيه الرأي العام نحو تبني أفكار معادية للحرب الروسية الأوكرانية وللأساليب الفاشلة للحكومات العربية في التعاطي مع الأزمة الاقتصادية الخانقة على حدّ تعبير القناة مستعملة لمعجم نفسيّ وأساليب إقناعية لا تكاد تكون إلّا تطبيقا للاستراتيجية التوجيهية والتلميحية في الخطاب الإعلامي.

وعليه فإنّ هذه النتائج تؤكّد الفرضية الأولى لهذا البحث والقائلة بأنّ الخطاب الإعلاميّ للقنوات الدوليّة الناطقة باللغة العربيّة قد سلّط الضوء على المشهد السياسيّ في الدّول العربيّة مرجعا أزمة نقص المواد الغذائية والطاقيّة إلى ترهّل في التعامل مع تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية.

وتؤكّد أيضا الفرضية الثانية لهذا البحث التي تؤدي معنى اعتماد القنوات الدولية ذات الجذور الأوروبية لخطاب عدائيّ بإزاء الدّول العربيّة في تعاطيها مع أزمة التزوّد بالمواد الأوليّة في الدّول العربيّة وخاصّة منها الدّول التي اتخذت مواقف مناهضة للتصوّر الأوكراني والغربي للحرب أو تلك التي التزمت الحياد في مواقفها بإزاء الصّراع الغربي الشرقي على الأراضي الأوكرانية.

## الخاتمة

ألحقت الحرب الروسية الأوكرانية خسائر كبيرة بالعالم، وهو ما يؤكد أنها لم تعد مجرد شأن إقليمي يدور بين دولتين جارتين إذ كان لنيرانها المستعرة والمتواصلة إلى حدّ هذه اللحظة تداعيات اقتصادية كبيرة على مختلف الدول وبخاصة منها المنطقة العربية التي تعيش على وقع أزمات اقتصادية وسياسية خانقة، إذ بتوقف إمدادات الطاقة والوقود والمواد الغذائية يصبح العالم العربيّ أمام اختبار حقيقيّ لمدى نجاعة سياساته الاقتصادية، وهو سؤال لا ينفك الإعلام يطرحه يوميا ويسلّط الضوء على فرضيات تأزم الوضع أكثر فأكثر في ظلّ تطاحن شرقيّ عربيّ قد يكون مؤشرا على اقتراب حرب أكبر من تلك التي تدار بالوكالة على الأراضي الأوكرانية، وهو ما يؤدّي معنى الأهميّة البالغة للحضور الإعلاميّ وبخاصة منه الدوليّ في المشهد العالميّ الحالي ومدى قدرته على إدارة الأزمة الحالية في مستواها الاتّصالي والأخلاقي ومعلنا عن تحدّيات جديدة قد يشهدها في ظلّ الحرب الروسية الأوكرانية على المدى القريب والبعيد.

# إعادة استعمال القارورات البلاستيكية للسقي في المناطق الجافة في الجزائر

محمد زحاح\*

دليلة اولهاسي\*\*

## ملخص

تدخل عدة عوامل فيزيائية وبشرية واقتصادية في اختيار أحد أنظمة السقي لتطوير المناطق الجافة وشبه الجافة. وخلال العشرية الأخيرة، عرف السقي غير العقلاني في منطقة ورقلة بالجزائر تطور ارتكز أساسا على تدمير المياه الذي قد يشكل خطورة لاسيما خارج الموقع أو داخله. في كل المنطقة، يعد المحيط متضررا من المياه الفائضة لأن منسوب المياه الجوفية، الذي يميل إلى الارتفاع، يشكل على السطح مستنقعات تلوث البيئة. من جهة أخرى، فإن تفاقم الفضلات الصلبة في البيئة الطبيعية تساهم في تلوث محيط. من بين هذه النفايات "القارورات البلاستيكية". تمثل هذا العمل في القيام بتجربة تقنية جديدة مفادها مزج السقي الجوفي والتقطير لزيادة فعالية هذا الأخير بتقليص ضياع الماء بالتبخر. من أجل القيام بالتجربة، تم استعمال قارورات بلاستيكية مثقوبة مملوءة بالرمل وملفوفة في نسيج أرضي. يصل الماء إلى القارورات بواسطة أنبوب عادي شفاف يبلغ قطره 43 ملم. لبيان فعالية هذا النظام مقارنة بالتقطير تم تحديد كمية الماء المحصل عليها في الأرض في حالة، "التقطير" وحالة "القارورة". بالسقي بواسطة القارورة لمدة أربع (04) ساعات بتدفق قدره 0,0347 ل/ثا، كمية السقي المحصلة تتراوح ما بين 6 و 8 ملم دون ضياع بالتسرب في حين في حالة السقي بالتقطير في نفس الظروف فإن كمية المحصلة تتراوح بين 2 و 3 ملم. فكمية الماء قد ضاعت بالتبخر.

إن النتائج المحصل عليها هامة جدا لأننا، من جهة، نعيد استعمال منتجات محلية، ومن جهة أخرى وبما أن القارورات مدفونة فإننا نتجنب ضياع الماء عن طريق التبخر لا سيما في الفترات الجافة.

**الكلمات المفتاحية:** موارد، مياه، جفاف، سقي، قارورة، ورقلة.

\* جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

\*\* مختبر استغلال وتثمين الموارد الطبيعية في المناطق الجافة، ورقلة، الجزائر.

# Reuse of plastic bottles for Irrigation in arid regions in Algeria

Mohammed ZEHAH

Dalila OULHACI

## Abstract

Several physical, human, and economic factors come into play in the choice of an irrigation system for developing arid and semi-arid regions. Over the past decade, irrational irrigation in the Ouargla region has evolved to a certain extent based largely on water wastage which may pose risks to the environment both off-site and at the site. In the whole region, the environment is damaged by excess water because the water tables that tend to be high from swamps that pollute nature on the surface. Moreover, the increase of solid discharges in a natural environment contributes to damage to our environment. Among those discharges are "the plastic bottles". This work consists of experimenting with new techniques by combining underground irrigation and drip to increase the efficiency of the latter by reducing losses by evaporation. For the experiment, we used perforated plastic bottles, filled with sand and coated with geotextile fabric. The water reaches the bottles through a simple transparent hose 43mm in diameter. To demonstrate the effectiveness of this system with respect to drip, the quantity of water received in the soil was determined in the case of "drip" and in the case of "the bottle". By irrigating using the bottle for four (4) hours with a flow rate of 0,0347 l / s, the watering dose received varies between 6 and 7 mm without losses by infiltration, as much as in the case of drip irrigation under the same conditions, the dose received is only between 2.5 and 3 mm. The difference in water was therefore lost through evaporation.

The results obtained are very significant because on the one hand, we reuse local products and on the other hand as the bottles are buried, we avoid water losses by evaporation, especially in dry periods.

**Keywords:** Resources, Water, Arid, Irrigation, Bottle, Ouargla

## مقدمة

بتسارع مخيف أصبح الماء العذب من الموارد الأكثر نادرة في القرن الواحد والعشرين. فبرفع الإنتاج الإجمالي للماء ونجاعة الأنظمة المتنوعة للسقي، خاصة في إفريقيا، يمكن استعمال هذا المورد الذي يكثر عليه البحث<sup>1</sup>. كان السقي السطحي طيلة عدة قرون الطريقة الوحيدة المطبقة على الأراضي المزروعة إلا أنه تم تطوير، خلال هذا القرن، تقنيات سقي عصرية وجد متقنة لاسيما السقي عن طريق الترشيح والسقي بالتقطير. غير أن ضياع المياه بالتبخّر، خاصة في المناطق الجافة، جد معتبر مما ينقص من فعالية هذه التقنيات. فبالتالي، قد تكون الزراعة في هذه المناطق الصحراوية ذات الاستهلاك الكبير للماء، مهددة جدبا خاصة حول المدن الكبرى، إذا لم يتم القيام بما هو لازم لتصبح عقلانية كما تسمح به تقنيات السقي. إن التهديد محسوسا وسيتفاقم في العقود القادمة. فيكون على المزارع إذن القيام حتما بمحاربة دائمة وصعبة لضمان حياة مستقرة، وآمنة وناجحة لاسيما وأن في الصحراء لا يمكن لأي نبتة مدجنة من طرف الإنسان أن تثبت من دون ادخال عنصر الماء<sup>2</sup>. ويكون من المتناقض إزادة الزرع في الصحراء حيث أن الماء نادر والمناخ ساخن وجاف ويستدعي الأمر أكثر من أي منطقة أخرى أن يتم السقي في كل الفصول. بالفعل، في جميع مناطق العالم لا يتم اللجوء إلى السقي إلا إذا كانت الأمطار لا تكفي لرطوبة الأرض. في المناطق الجافة، ينبغي الشروع في السقي منذ البذور. ففي هذه المناطق ذات الأمطار غير المنتظمة، يتم السقي خلال مدة الجفاف لضمان الغلة ورفع الإنتاج.

يعرف كذلك السقي بالتقطير بالسقي الصغير أو السقي المحدد. يهدف توفير مياه السقي وتحسينها تحويل أنظمة السقي الموجودة (التقليدية) إلى أنظمة سقي متقنة<sup>3</sup>. يتمثل مبدأ متابعة هذا السقي في المحافظة باستمرار على بصيلة رطبة تحت المقطرات طيلة فترة السقي. لذا ينبغي السقي يوميا<sup>4</sup>، لا وبل مرتين في اليوم في الأراضي الرملية لتفادي ضياع الماء بسبب التسربات إذ يكون من الأفضل أن لا تجف البصيلة نظرا لكمية المياه الكبيرة اللازمة لإعادة تشكيلها. يوصل السقي بالتقطير الماء اللازم مباشرة إلى جذور النباتات. ينقل الماء إلى المزروعات عبر أنابيب مزودة بمقطرات وتسيل تحت شكل قطرات ذات تصريف ضعيف. يسمح نظام التقطير، بفضل استعمال المياه جد المألحة أو المألحة، بغلات أكبر مرتين وحتى ثلاث مرات من تلك المحصل عليها بمقتضى أنظمة سقي أخرى<sup>5</sup>. تتمثل مزايا السقي بالتقطير فيما يلي: سهولة إضفاء الطابع الآلي على هذه التقنية، إمكانية إجراء السقي في حالة وجود الرياح أو أثناء الرش، عدم تبليل الأوراق الشيء الذي يقلل من مشاكل الأمراض، عدم اتصال الماء بالمنتوج فالخطر الصحي للمواد الغذائية المتعلق بالماء من نوعية أدنى يكون مقلص. يتعين الإشارة إلى أن إضافة الأسمدة إلى ماء السقي

<sup>1</sup> Halwart M, Dam A, Van A, 2010 : Intégration de l'irrigation et de l'aquaculture en Afrique de l'Ouest: concepts, pratiques et perspectives d'avenir. Rome, FAO, 199p.

<sup>2</sup> Dubost Daniel, 1991: Ecologie, aménagement et développement agricole des oasis algériennes. Thèse de l'université de Tours. 423p.

<sup>3</sup> Messahel E M, 2002: Méthodes de travail et de calcul pour la détermination de la loi d'infiltration (Institut génierural : Université de Blida) d'hydraulique. Blida.

<sup>4</sup> Goldberg D. and Shmueli M, 1970 : Drip irrigation - a method used zone arid and desert conditions of high water and soi salinity. Transactions of the ASAE, No 13, pp. 38-41.

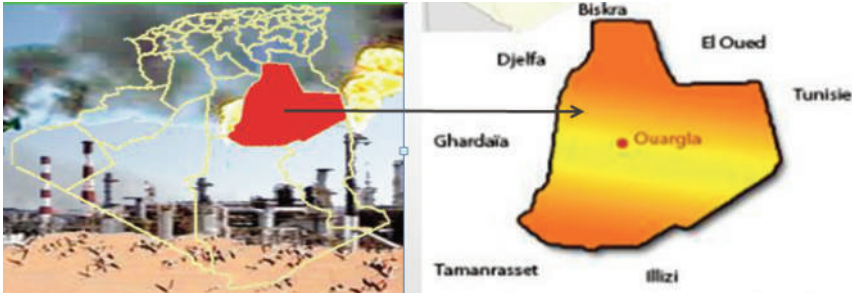
<sup>5</sup> Maillard R., 1973 - L'irrigation au « goutte à goutte »: Son application à l'olivier. L'Olivier, No 7, pp. 100-119.

يكون مفيد في المناطق الجافة. لا تكفي الأمطار في غسل الأسمدة الموزعة في الحقول، في الأرض<sup>6</sup>. يعتبر السقي الجوفي إحدى طرق السقي الجوفي المركزة على السكب المتكرر للماء (أو المستمر) على جزء حجم الأرض ويتمثل في دفن قلات مسامية في الأرض. لا توجد في متناولنا معلومات مؤكدة بخصوص أصل هذه الطريقة وقدمها إلا أن عدة تقارير تدل على أنها كانت مستعملة منذ عهد الرومان في كل من أفريقيا الشمالية والشرق الأوسط<sup>7</sup>. مهما كانت تقنية السقي المستعملة، فإن هدفها يتمثل في تزويد مساحة مزرعة بكمية الماء اللازمة بمقتضى طريقة مريحة تقنيا واقتصاديا بمعنى أن كمية الماء اللازمة لا تتجاوز بكثير كمية الماء المحددة بقدرة التخزين للأرض في منطقة الجذور للمزروعات فهذا يسمح ببلوغ نسبة مناسبة من زيادة المحصول ويضمن مردود مرتفع ومستقر. فلذا يتعين أن تكون الدراسات موجهة للتحكم في السقي عامة والتقطير خاصة الذي يعد تقنية بسيطة يمكن أن تناسب التدفقات الصغيرة وتقبل من طرف المزارعين. والهدف من هذا العمل هو إذن زيادة فعالية السقي المقطر وتقليص التسربات عن طريق التبخر. لهذا السبب تم قرار تطوير منهجية سقي مفادها مزج تقنيتين سقي "الترشيح والتقطير" التي تمكن من رطوبة موحدة على ارتفاع الجذور مع أدنى ضياع الماء عن طريق التبخر باستعمال القارورات البلاستيكية.

## البروتوكول التجريبي

### منطقة الدراسة

تقع منطقة الدراسة في ولاية ورقلة، إحدى الواحات الرئيسية لصحراء الجزائر. تقع ورقلة في الجنوب الشرقي من الجزائر على بعد 800 كلم من العاصمة. تبلغ مساحتها حوالي 2887 كلم<sup>2</sup>. تقع على ارتفاع 134 م من مستوى سطح البحر. يحد ورقلة، كل من ولايات الوادي، وبسكرة من الشمال الشرقي وولاية الجلفة من الشمال الغربي وولايات إليزي وتمنراست من الجنوب الشرقي وولاية غرداية من الغرب وتونس (شكل 1). تتمثل الإحداثيات الجغرافية (الطول) الشرق  $30^{\circ}19'5$  (العرض) الشمال  $31^{\circ}56'57$ .



شكل 1: الموقع الجغرافي لمنطقة ورقلة

<sup>6</sup> Kenworthy A. L, 1972 : Trickle irrigation surges ahead The concept and guidelines for use. Research report 165 (Farna Science), Agricultural Experiment Station East Lansing, Michigan State University Lansing Mich, May, pp. 15-17.

<sup>7</sup> Celestre P, 1973 : Irrigation goutte à goutte et quelques méthodes analogues. Bulletin d'irrigation et de drainage, N° 14 (l'irrigation goutte à goutte), FAO3 Rome, pp. 123-150.

## مناخ ورقلة

يعتبر مناخ ورقلة مناخ متباين على الرغم من خطها العرض الشمالي. يترجم الجفاف بدرجات حرارية مرتفعة في الصيف وقلة الأمطار في الشتاء لكن ليس فحسب بل بالتبخّر الهام كذلك الناتج عن جفاف الجو<sup>8</sup>.

تبلغ درجة الحرارة المتوسطة 22°C وتصل إلى 35°C في يوليو الشهر الأعلى درجات حرارة و 10°C في يناير بالنسبة للشهر الأكثر برودة. قد تبلغ درجات الحرارة القصوى 53°C و -7°C.

كما هو الحال بالنسبة لكل مناطق الصحراء، فالتفاوتات الليلية كذلك جد مرتفعة. ففي شهر يوليو متوسط التفاوت الليلي يبلغ 4,18°C فأشعة الشمس بالفعل جد مهمة (حصص التشميس تتغير من 74 إلى 89٪ مع متوسط 138 يوما في السنة حيث تكون السماء صافية كليا). غير أنه في الموسم البارد، تكون السماء غالبا مغطاة لكن من دون أمطار.

بالفعل، الأمطار غير منتظمة لأنها تتراوح ما بين 0 و 100 مم. تدل الدراسات أن التوزيع السنوي يتمثل في خمسة (5) أشهر من الجفاف شبه مطلق من مايو إلى سبتمبر. تعرف المنطقة من حين لآخر عواصف رعدية قوية من أكتوبر إلى يناير غير أنه، بصورة عامة، تكون شدة الأمطار ضئيلة نوعا ما.

تهب الرياح الأكثر قوة (تفوق 80 كلم/سا) من الشمال الشرقي والجنوب، والأكثر تكرار من الربع الشمالي. في فصل الشتاء تهب الرياح من الغرب وفي الربيع من الشمال والشمال الشرقي والغرب وفي الصيف من ربيع الشمال الشرقي. تهب الزوايا الرملية في الربيع باتجاه شمال شرقي وجنوب غربي. تلعب الرياح والزوايا الرملية خاصة دور مجفف. الرطوبة النسبية جد ضعيفة (معادل 24 كلم/سا في شهر يوليو).

في ورقلة، تعد الرطوبة المتعلقة بالهواء ضئيلة يبلغ متوسطها السنوي 43.45% (1992-2015)، وهي تتغير بشكل محسوس تبعا لفصول السنة. بالفعل، في فصل الصيف تنقص لغاية 25,06% في شهر يوليو تحت تأثير تبخر شديد والرياح الساخنة وترتفع في فصل الشتاء ويبلغ متوسطها أقصاه 64,04% خلال شهر ديسمبر، محطة الارصاد الجوية(2016).

في منطقة ورقلة كما هو الحال بالنسبة لكل وسط جاف، تكون الرطوبة أعلى في مساحة عارية منها تحت غطاء نباتي خاصة في فصل الصيف. يكون تبرير ذلك في درجات الحرارة العالية والقدرة القوية لتبخّر الهواء والرياح المجففة. فمتوسطها يبلغ 2279,46 مم/سنويا وحد أدنى قدره 85,68 مم في يناير وحد أقصاه 314,3 مم في أغسطس) محطة الارصاد الجوية(2016).

تبلغ الفترة المتوسطة للتشميس 3186,90 سا/شهريا بحد أقصى يبلغ 342,21 ساعة في يوليو وحد أدنى قدره 219,31 في شهر فيفري) محطة الارصاد الجوية(2016).

## مميزات مياه السقي

تم استخدام المياه المعالجة من محطة تصفية المياه المستعملة بسيدي خويلد. ظهرت الدراسة عند الخروج من المحطة نتائج تحليلات المعلمات التالية : نسبة الناقلية تتراوح بين 26000 و 38500  $\text{OS/cm}$  ، الطلب البيولوجي للأكسجين  $\text{DBO}_5$  بين 30 ملغم/لتر و 46.5 ملغم/لتر ، الطلب الكيميائي للأكسجين DCO بين 87.8 مجم / لتر و 104.6 ملغم / لتر ، المواد الصلبة العالقة بين 45 و 50 ملغم / لتر. و يتراوح التعكر بين 15 و 65 NTU. فيما يتعلق بمحتوى النتريت  $\text{NO}_2$  فهو يختلف من 0.082 ملغم / لتر إلى 0.108 ملغم/لتر ومحتوى النترات  $\text{NO}_3$  من 0.0225 إلى 2.33 ملليغرام/لتر إلى 0.268 ملليغرام/لتر. و يتراوح تركيز مركبات الفوسفات ( $\text{PO}_4$ ) بين 2.33 ملليغرام/لتر و 3.73 ملليغرام/لتر، لم يبق من الغرائيم إلا 56 جرثومة / 100 مل من القولونيات الكلية والمكورات العقدية ، و 26 جرثومة للإشريكية القولونية و 16 جرثومة للمكورات العقدية البرازية. الغياب التام للمطثيات في المياه الخام والنقية. تتوافق غالبية المعلمات عند مخرج المحطة مع معايير السقي الجزائرية. فقط المواد الصلبة المعلقة للمياه المعالجة كانت أعلى من المعيار المشار إليه في المجلة الرسمية (40 ملغم/لتر).

يرجع هذا المستوى العالي من المواد العالقة في المياه المعالجة إما إلى الانتشار الهائل للطحالب في مختلف مراحل المعالجة البيولوجية ، ولا سيما حوض التشطيب ، أو بسبب العواصف الرملية التي تنقل المواد إلى الأحواض.

## مميزات التربة

تلعب مميزات التربة دورا هاما في ميدان السقي والزراعة. تم إجراء تحاليل على التربة في مخبر الأثغال العمومية للجنوب (LTPS) لورقلة وأعطت النتائج بالنسبة للتحليل الحبيبي النسب التالية : 01,50% من الحصى، و61,95% من الرمل الخشن و36,55% من الرمل الرقيق (ناعم). يساوي عامل التجانس (1.96) أصغر من (2) ، ويساوي متوسط الكثافة الظاهرة (1.161  $\text{غ/سم}^3$ ) ويساوي متوسط الكثافة الفعلية (1.447  $\text{غ/سم}^3$ ). بالنسبة لمتوسط المسامية فهو يبلغ 52,27%. فالتربة ملمس رملي جد نفاذي ذا تحليل حبيبي موحد. فالتربة مهواة كما ينبغي وتسمح للماء من التوغل بسهولة في الأرض وسهل العمل ولكن يخزن بصعوبة الماء والعناصر المغذية.

## تحضير القارورات

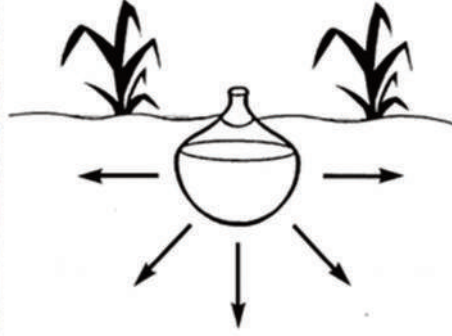
قصد تحسين وتجديد طريقة السقي عن طريق القلات المسامية المدفونة ( شكل 2)، استبدلنا هذه الأخيرة بقارورات بلاستيكية بسعة لتر (1) يتم إجراء ثقب قطرها 2مم متباعدة على مسافة سنتمترين (2) في الأربع اتجاهات (لدينا إذن 16 ثقب في الارتفاع و13 في الجوانب) ثم نغلف القارورات بقماش نسيجي أرضي لتوحيد رطوبة التربة حول القارورات من جهة و تفادي تغلغل البذور داخل القارورات من جهة أخرى (شكل 3). من أجل التثبيت وضمان المسامية، لا بد من ملء القارورات بمعدن مختار. إذن، قبل الشروع في التجربة وقصد دراسة سيلان الماء في المعدن واختيار الأكثر فعالية، نزود "بالتقطير" القارورات البلاستيكية الموضوعه فوق الطويلة مملوءة



بالرمل والحصى. في حالة القارورة المملوءة بالحصى، فإن الماء يخرج جد سريعا ليس فحسب بل ابتداء من الثقوب الأولى من الأعلى الشيء الذي يزيد ضياع الماء بالتبخر ويتطلب وقت طويل للوصول إلى الجذور. في حين أنه في حالة القارورة المملوءة بالرمل، يبدأ سيلان الماء من الأسفل الشيء الذي يسمح بترطيب الجذور ويقلل من الضياع بالتبخر. لذا نميل إلى اختيار الرمل لملء قارورات التجربة.



شكل 3: قارورة ذات ثقوب



شكل 2: قلة مدفونة في التربة (FAO, 1997)

نحفر حفرات صغيرة غير عميقة في تربة الحوض ونضع القارورات. بعد ذلك يتم الضغط برفق حول عنق القارورات بحيث تتجاوز حوافها قليلا سطح الأرض. يصل الماء إلى القارورات عن طريق أنبوب بسيط شفاف (للتحقق من أن الماء يصل إلى القارورات) قطره 43 مم متصل بمخزن ماء بلاستيكي سعته 500 لتر مزود بحنفية قريبة؛ في نهاية الأنبوب أي عند مدخل القارورة، نضع قطارة تدفقها يبلغ 0,0347 ل/ثا (حفنة مستعملة في المستشفيات) لتنظيم السيلان) شكل(4). تكمن مزية استعمال المخزن المائي في إمكانية ضخ العناصر الغذائية الصلبة (أسمدة) مع التركيز اللازم كون الحجم معلوم. بالنسبة للتقنية الثانية (التقطير)، نستعمل نفس قطارة التقنية الأولى وبنفس التدفق.

تعتمد الزراعة المختارة على الظروف المناخية لمنطقة الدراسة، وعلى نوعية ومدى توفر ماء السقي والقدرة الزراعية للأراضي. اختارنا للتجربة زراعة “العدس” التي تعتبر على الأرجح أول بقولية مهجنة من طرف الإنسان نظرا لخصائصها الرئيسية<sup>9</sup>.

<sup>8</sup> Dubief J, 1953: Essai sur l'hydrologie superficielle au Sahara Algérien. Thèse doctorat. Editeur: impr. "La Typo-Litho et Jules Carbonel réunies. Alger 460p.

<sup>9</sup> Muehlbauer FJ, Tullu A, 1997: Lens culinaris Medik. Purdue University, Center for New Crops and Plant Products.



شكل 4: سقي المدمج القارورة والتقظير

فهي مغروسة في المناطق الجافة وشبه الجافة<sup>10</sup>، لها دورة قصيرة فهي سريعة النمو. يتم ظهور النبتة<sup>10</sup> أيام بعد البذور<sup>11</sup>، فهي لا تحتاج إلى أسمدة ولا تحسين الأرض<sup>12</sup> ولا تتطلب سقي خاص بل لا يتم سقيها إلا في حالة الجفاف الطويل<sup>13</sup> فهي تنمو جيدا في تربة خفيفة وحتى رملية. تغرس البذور في فصل الربيع من أجل محصول بداية فصل الصيف.

### منهجية الحساب

نحدد بالنسبة للحالتين وبنفس ظروف السقي، رطوبة التربة قبل وبعد السقي لحساب مقدار السقي المتحصل عليه في التربة بمليمترات (مم) عن طريق المعادلة التالية:

$$D = P - (H_{fin} - H_{in}) \text{ (mm)}$$

يمثل عمق الطبقة المدروسة من الجذور (مم). بالنسبة للعدس يقدر بـ 3 سم P

$H_{in}$  يمثل الرطوبة الأولية أي قبل السقي بـ (%)

$H_{fin}$  يمثل الرطوبة النهائية أي بعد السقي بـ (%).

تحدد الرطوبة عن طريق مقياس الرطوبة) شكل 5)

في هذه التجربة، تكون الضياعات خلال السقي منعدمة لأنه يتم داخل أحواض بلاستيكية. لتحديد الضياع عن طريق الترشيح، نسترجع الماء الذي يخرج من الأسفل ونزنه. فطبقة الحصى تسهل الخروج. نتحصل على وزن الماء الضائع بالترشيح.

<sup>10</sup> Omar Idrissi, Houasli Chafika, 2012 : Comparaison de lignées avancées de lentille sous stress hydrique durant la phase de floraison et formation des gousses. Revue Nature & Technologie page pp 53-61.

<sup>11</sup> Brink M, Belay G, 2006: Céréales et légumes secs. Ressources végétales de l'Afrique tropicale. Fondation PROTA (Plant Resources Of Tropical), Wageningen, Pays-Bas. 102p.

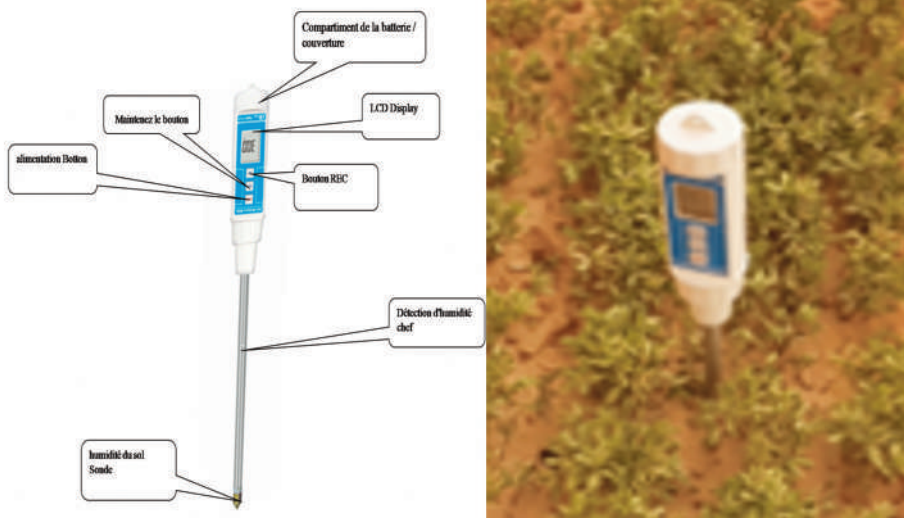
<sup>12</sup> El Saleh Y, Ozcan T, Erskine W, 1999: Factors affecting lentil harvest mechanisation. International Congress on Agricultural Mechanisation and Energy, 26-27 May, Adana- Turquie.

<sup>13</sup> Sarker A, Erskine W, 2006: Recent progress in the ancient lentil. Journal of Agricultural Science, p144.

نختار السقي لمدة أربع (4) ساعات والتوقف أربع ساعات وسقي مرة ثانية أربع (4) ساعات وذلك مرة في الأسبوع.

مدة السقي لكلتا الطريقتين 4 ساعات. فقط في حالة السقي باستخدام القارورات، يستغرق الماء وقتاً (t) قبل الخروج من الثقوب وترطيب التربة. للحصول على نفس وقت السقي في التقنيتين، نبدأ الري بالتنقيط (التقنية الثانية) عندما يبدأ الماء في الخروج من الفتحات الموجودة في القارورات (التقنية الأولى).

فقد تمت التجربة في ورقلة من 21 فيفري إلى 8 أبريل 2019.



شكل 5: مقياس الرطوبة ("Model: PMS 714" SOIL MOISTURE METER)

## تحليل النتائج ومناقشة

إن نتائج التجارب ملخصة في الجدول 1 بالنسبة للسقي عن طريق القارورة المدمجة بالتنقيط وفي الجدول 2 بتلك الخاصة بالسقي بالتنقيط.

بالنسبة للاحد عشرة السقيات، لدينا بالمعدل) ل5 تجارب) رطوبة أولية تقدر ب11,41%, بعد أربع ساعات سقي بالقارورة يتدفق قدره 0,0345ل/ث، تبلغ الرطوبة 34,73%, مخزن الماء سيبلغ 7مم. نوقف السقي ونواصله بعد أربع ساعات. الرطوبة الأولية كانت تقدر ب24,54% وبعد أربع ساعات وبنفس التدفق، بلغت الرطوبة 43,28%, وعيار السقيات بلغ 7مم.

وبالنسبة لحالة السقي بالتنقيط، بلغت الرطوبة الأولية 11,41%, وبعد أربع ساعات ويتدفق 0,0347ل/ث، بلغت الرطوبة 25,43%, مخزن الماء يساوي إذن 24, مم. نوقف السقي ونواصله بعد أربع ساعات. الرطوبة الأولية بلغت 20.90%، بعد أربع ساعات وبنفس التدفق، بلغت الرطوبة 33.07%، وبلغ عيار السقيات 3.64مم.

جدول ا: الرطوبة (بـ %) المتحصل عليها في التربة وعبارة السقي (بالعم) في حالة السقي  
المدمج القارورة والتقطير

D (mm)	متوسط	04/08	04/04	30/03	25/03	20/03	15/03	10/03	07/03	03/03	26/02	21/02	مدّة (د)	
6,99	11,41	10,1	11,7	12,3	10,7	9,8	11,7	13,9	14,2	10,8	11,2	9,1	0	سقي
		22,9	23,7	20,9	19,6	20,9	17,8	24,8	24,3	21,3	23,3	12,4	30	
		24,7	25,3	23,5	24,9	24,1	20,1	26,3	25,7	24,9	25,6	17,3	60	
		27,1	27,9	26,1	27,1	26,3	22,3	28,9	27,8	26,7	27,5	20,01	90	
		29,3	30,7	27,4	29,3	27,4	26,5	30,7	28,5	28,6	28,6	23,4	120	
		30,9	31,5	29,9	30,2	29,7	28,4	31,5	29,9	29,3	30,7	25,7	150	
		32,1	32,8	31,8	31,8	31,6	30,7	32,8	30,8	31,5	31,3	27,2	180	
		33,9	34,9	33,7	32,4	32,5	33,2	34,9	33,7	32,4	32,1	28,3	210	
		34,73	35,2	36,6	34,5	35,4	35,1	35,8	36,2	34,5	33,1	35,2	30,5	
		33,8	34,1	32,5	32,7	33,2	33,7	34,4	31,1	30,2	32,1	29,8	270	وقف السقي
		31,9	32,4	30,2	30,1	30,7	31,5	32,4	30,2	28,9	28,7	28,2	300	
		30,7	31,2	29,5	28,9	28,4	29,3	31,2	29,5	27,3	25,9	26,4	330	
		29,1	30,1	26,3	26,7	26,8	27,5	30,1	27,3	25,9	24,3	24,8	360	
		28,5	29,6	24,8	24,5	24,3	25,7	29,6	25,2	24,2	23,7	23,1	390	
		26,6	27,5	22,9	22,7	22,6	23,1	27,5	24,1	22,9	22,6	22	420	
		24,2	24,3	21,1	21,8	21,8	21,6	24,3	22,7	21,8	20,9	21,3	450	
		22,3	21,2	20,3	19,8	20,1	20,6	21,2	20,6	19,9	19,8	20,5	480	
5,67	24,54	24,6	25,7	24,5	23,7	24,3	24,3	25,7	24,5	23,7	23,6	25,3	510	سقي
		26,8	28,3	26,3	25,8	26,9	28,4	28,3	26,3	25,6	25,3	29,8	540	
		29,1	30,1	28,9	27,9	30,1	30,9	30,1	28,9	28,8	28,4	31,2	570	
		31,5	33,5	30,4	30,6	33,7	34,6	33,5	30,4	30,6	30,2	35,7	600	
		34,7	36,6	33,5	33,1	35,2	38,9	36,6	33,5	32,4	33,4	39,8	630	
		38,1	38,2	36,1	35,6	38,2	40,1	39,8	36,1	35,4	36,2	40,6	660	
		41,4	42,9	39,6	38,7	40,9	42,2	42,9	39,6	38,7	39,8	42,4	690	
		43,28	43,9	44,1	43,6	41,9	42,7	43,5	45,7	43,1	41,9	42,1	43,5	

**جدول 2. الرطوبة (بـ %) المتحصل عليها في التربة و عيار السقي (بالمم) في حالة السقي بالتقطير**

العيار المتحصل عليه		08/04	04/04	30/03	25/03	20/03	15/03	10/03	07/03	03/03	26/02	21/02
												سقي أول
	متوسط											الرطوبة المتحصل عليها في التربة بـ %
4,2	11,41	10,1	11,7	12,3	10,7	9,8	11,7	13,9	14,2	10,8	11,2	9,1
	25,43	28,5	23,7	25,4	19,9	22,2	28,6	25,5	27,2	28,6	25,8	24,3
												سقي ثان
	متوسط											الرطوبة المتحصل عليها في التربة بـ %
3,64	20,90	24,2	19,3	21,5	13,9	19,5	25,3	23,8	25,1	25,3	21,3	10,7
	33,07	35,5	34,12	33,7	25	29,1	38,6	32,3	36,7	31,6	30,7	36,4

تبين مقارنة نتائج عيار السقي (جدول 1 و جدول 2) المتحصل عليها من التقنيتين أن تلك المتعلقة بحالة السقي عن طريق القارورة المدمجة بالتقطير أكبر من تلك المتحصل عليها بالسقي بالتقطير فقط. تم ضياع الفرق إذن بالتبخر لأن الضياع بالترشيح والسيلان منعدمة.

تظهر المقارنة بين تقنيتي الري على الرسم البياني التالي ( شكل 6)

لكن حجم السقي في التقنية الأولى أكبر من الثانية لأن وقت السقي أكبر. (تدفق \* t)

أجريت أيضا تحليلات المياه عند مخرج القارورات وأظهرت انخفاصاً في الناقلية وفي معدل المواد الصلبة العالقة في الماء المصفى. هذا يثبت أن الرمال قد احتفظت بالأملح والمواد الصلبة العالقة.

أتاح الوقتان المتساويان إمكانية مقارنة العيارات المتلقاة في التربة المزروعة للتقنيتين (نفس معدل التدفق ونفس الوقت).

### الخاتمة

يتمثل الهدف من هذا العمل في تحديد عيار السقي بتقليص الضياع بالتبخر قصد توفير الماء، هذا المورد النادر. لقد اعتمدنا على مزايا وسلبيات مختلف طرق السقي المستعملة سابقا من طرف المزارعين واخترنا دمج السقي الجوفي لأن الماء موزع في الأعماق والسقي المحدد لأن بفضل الحقنة الماء موزع بالتقطير. نفترض أن هذا النظام جد منتظم وبسيط على التوزيع الواسع والزمني

من أجل تشجيع النمو والمردود بتوزيع الماء بمعدل ترددات وكميات محسوبة قصد تلبية حاجيات المزروعات التي تتغير حسب الوقت. منطقيا، هذا النظام قليل التكلفة مؤسس على تطبيق متكرر لحجم ضئيل الذي يقدم الماء عند الطلب بناء على عيار وتردد محسوب لتلبية دائما حاجيات المزروعات وتقليص ضياع الماء بالتبخر. من أجل بيان نجاعة هذا النظام مقارنة مع التقطير، لقد حددنا كمية الماء المتحصلة في التربة في "حالة التقطير" وفي حالة "القارورة". بالسقي عن طريق القارورة المدمج بالتقطير مدة أربع (04) ساعات بتدفق قدره 0,0347 ل/ث، عيار السقي المتحصل عليها تتراوح ما بين 6 و7 مم دون ضياع بالترشيح بينما في حالة السقي بالتقطير في نفس الظروف، العيار يكون يتراوح بين 4,20 و643 مم. الفرق إذن في الماء ضاع بالتبخر حيث أن، في هذا العمل، الضياع بالترشيح وبالتدفق منعدم. هذا يدل على أن السقي بواسطة القارورة أكثر نجاعة من السقي بالتقطير نظرا لأن كمية كبيرة من الماء ممتصة من النبتة وكمية صغيرة ضائعة بالتبخر.

في هذا السياق، نستطيع كذلك استنتاج أن استخدام القارورات البلاستيكية يسمح من ناحية بالحصول على تقنية سقي مناسبة ومن ناحية أخرى لزيادة التنقية عن طريق تخفيض من المواد العالقة. وبالتالي المحافظة على البيئة والحفاظ على الموارد المائية.

لا توجد كيفية عالمية لتطوير السقي. نعتقد أن النتائج المتحصل عليها جد معبرة لأن من جهة نستعمل مواد محلية الشيء الذي يعتبر اقتصادي وإيكولوجي (إعادة استعمال قارورات مستعملة بدلا من رميها) ومن جهة أخرى كون القارورات مدفونة فإننا نتفادى ضياع الماء بالتبخر خاصة في فترات الحار، صعود المياه الجوفية والملوحة وتسمح لنا بالأمل أن يكون لهذا النوع من السقي مستقبل.

قبل كل شيء، هذه الدراسة تجريبية، تصبو إلى الإجابة على تطبيقات عملية ولكن ليس فوراً لأنه من الضروري متابعة التجارب مع عدة تركيبات أخرى. نأمل أن نكون قمنا بخطوة صغيرة من أجل تقدم المعلومات في تقليص ضياع الماء بالتبخر مع إعطاء العيار اللازم للنبتة. لتصحيح هذه النتائج يكون من الضروري متابعة التجارب التي تتقن تدريجيا ويتطلب الوقت لكي تظهر مهارات محلية.

# دور التقنيات الحديثة للتشجير في التقليل من التلوث البيئي في المدن: مدينة كركوك العراقية أنموذجاً

د. سلجوق برهان باجلان\*

أ.د. شاهين عباس مصطفى\*\*

## ملخص

يعد التشجير من المواضيع المهمة التي نالت اهتماماً عالمياً واسعاً في الوقت الحاضر نتيجة التطور الحضاري والصناعي الحاصل في العالم، من خلال فوائده الجمالية والصحية والبيئية وذلك بتأثيره على عناصر المناخ المحلي كدرجات الحرارة المرتفعة والمنخفضة وعلى الرطوبة النسبية في الجو وكسر حدة الرياح وإعاقة تطاير الأتربة والرمال وزيادة نسبة الأوكسجين في الجو، والتقليل من الغازات الملوثة السامة والضوضاء. أصبحت قضية البيئة وحمايتها والمحافظة عليها واحدة من أهم قضايا العصر لذلك سارعت الدول النامية والمتقدمة إلى الاهتمام بمشاريع التشجير باعتبارها الركيزة الأساسية في تقليل التلوث البيئي الحاصل في ميادين الحياة المختلفة. تعاني المحافظات العراقية الكثير من المشكلات البيئية ومدينة كركوك تأخذ النصيب الأوفر من هذه المعاناة نتيجة وجود المصانع ومعامل الاسمنت وشركات المنتجات النفطية مما يؤدي إلى تلوث الهواء، وبات واضحاً ومعلوم أن مشاكل التلوث البيئي ناتجة عن جملة من الأسباب، منها قلة الغطاء النباتي (الأشجار والشجيرات) حيث أدت إلى حدوث ظاهرة التصحر وارتفاع نسبة الأتربة والغازات السامة، وقد ثبت أنها تؤثر سلباً على ذكاء الإنسان، لذلك لابد من وضع خطة علمية مدروسة تشارك فيها المؤسسات الحكومية والقطاعات الخاصة في حملة التشجير، وذلك لخفض حدة وآثار التلوث وفق صيغ ومعايير هندسية من خلال تشجير الشوارع وتقاطعاتها سواء في مداخلها أو في الشوارع الداخلية وجوانب الطرق وإنشاء مصدات رياح وأحزمة خضراء حول الشركات الصناعية، وينبغي أن تتصف الأشجار المقترحة زراعتها بخواص معينة كسرعة النمو والارتفاع واستقامة الساق واتساع الأوراق ومسافات الزراعة بين الأشجار والأنواع المستعملة من الأشجار والهدف من الزراعة. اشتملت الدراسة الحالية على وضع دراسة علمية بالتعاون مع المؤسسات والقطاعات الحكومية والخاصة وشركة الاتصالات المحلية في سبيل تنفيذ ونجاح عملية التشجير في جوانب الطرق والشوارع والمداخل والمساهمة في الحد من التلوث البيئي الحاصل في مدينة كركوك.

**الكلمات المفتاحية:** البيئة، التشجير، التلوث، التقنيات.

\* كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة كركوك، العراق.

\*\* رئيس قسم علوم الغابات بكلية الزراعة، جامعة كركوك، العراق.

# The role of modern techniques of afforestation in reducing environmental pollution in cities: Kirkuk city in Iraq as a Model.

Dr. Selcuk B. Bacalan

Prof. Dr. Shahin A. Mustafa

## Abstract

Afforestation (Planting) is one of the important topics that have received wide global attention at present as a result of the civilizational and industrial development taking place in the world through its aesthetic, health, and environmental benefits, by affecting the elements of the local climate such as high and low temperatures, relative humidity in the air, breaking the intensity of the winds, hindering the volatilization of dust and sand, and increasing of Oxygen in the atmosphere and reduce toxic polluting gases and noise. The issue of the environment and its protection and preservation have become one of the most important issues of the times, so developing and developed countries hastened to pay attention to afforestation projects as the main pillar in reducing environmental pollution occurring in various fields of life. Iraqi governorate suffers from many environmental problems and the Kirkuk governorate takes the largest share of these sufferings as a result of the presence of factories cement factories and petroleum products companies which leads to air pollution it has become clear and known that environmental pollution problems result from several reasons, including the reduce of vegetation (trees and shrubs), which led to the occurrence of the phenomenon of desertification and the high percentage of dust and toxic gases, and it has been proven that it negatively affects human intelligence. Therefore, it is necessary to develop a well-studied scientific plan in which governmental institutions and private sectors in the afforestation campaign reduce the severity and effects of pollution according to engineering formulas and standards through afforestation of streets and their intersections, whether at their entrances or in internal streets and roadsides, and the establishment of windbreaks and green belts around the industrial companies between trees and the types used of trees and the goal of cultivation, and The current study included a scientific study in cooperation with the government and private institutions and sectors and the local telecommunications company to implement and succeed the afforestation process in the streets, entrances and roadsides, and create vegetation in the districts of Kirkuk city.

**Keywords:** Environment, Afforestation, Pollution, technics.



## مقدمة

أخذت مشاريع التشجير نصيب كبير من اهتمام المؤسسات الزراعية والبيئية الهادفة إلى زيادة المساحات الخضراء داخل المدن، وذلك عن طريق تشجير الشوارع وانتشار الحدائق والمنتزهات العامة وملاعب الأطفال، ونظراً لزيادة المشاكل البيئية في الوقت الحالي والناجمة عن زيادة السكان وزيادة التقدم الصناعي والتكنولوجي وأنشطة الإنسان المتعددة، وزيادة استخدام الطاقة بالإضافة إلى المشكلات الناتجة عن العوامل الطبيعية من شدة الرياح وزيادة الجفاف وزحف الكثبان الرملية وغيرها، والتي ليس للإنسان دخل فيها، وبالتالي فإن الحاجة إلى زراعة النباتات في الوقت الحالي أصبحت ماسة جداً نظراً لدورها الهام في التقليل والحد من هذه المشاكل، وخاصة مشكلة التلوث البيئي بالغازات الناتجة عن الحياة اليومية للإنسان وممارساته والذي يعد من المشاكل الخطيرة التي تواجه العالم، حيث ينفق العالم مليارات الدولارات للتقليل من هذا التلوث الخطير، وخاصة غاز ثاني أكسيد الكربون والذي كان له الدور الأساسي في ظاهرة الاحتباس الحراري وتدهور طبقة الأوزون، وهنا يأتي دور الأشجار والشجيرات بوصفها عاملاً أساسياً لامتصاص هذه الزيادة الكبيرة في غاز ثاني أكسيد الكربون، وقد أثبت العلم الحديث أن الهكتار الواحد من الغابات أو ما شابهها من المساحات الخضراء يستهلك 8 كغم من ثاني أكسيد الكربون في الساعة، ومن جهة أخرى تقوم هذه الأشجار بفرز غاز الأوكسجين والذي يعتبر عصب الحياة للكائنات الحية.

وشهدت المحافظات العراقية وعلى مدى السنوات الماضية الإهمال في المساحات الخضراء والحدائق العامة والمنتزهات التي تحولت إلى مكبات للنفايات والمخلفات وأنقاض البناء، فضلاً عن عمليات القطع العشوائي للأشجار والنخيل والتي تسببت في فقدان جزء كبير من الحزام الأخضر.

تهدف هذه الدراسة إلى وضع خطة علمية هدفها تشجير الطرق ومداخل المدن والأراضي المهملة من خلال إنشاء الأحزمة الخضراء ومصدات الرياح وبناء سور نباتي حول الأفضية والنواحي في محافظة كركوك وتشجير الجزرات الوسطية للشوارع بهدف تقليل آثار التلوث البيئي والوضوأي من خلال التوصيات والمقترحات العلمية التي تقدم إلى الدوائر المعنية سواء البيئية أو السياحية وشركات النفط والغاز والمصانع .... إلخ.

## طرائق البحث المستخدمة

أولاً- آلية العمل بالمشروع:

1- يتحقق هذا المشروع بالتعاون المشترك بين (جامعة كركوك-كلية الزراعة مع المؤسسات الحكومية والقطاعات الخاصة في محافظة كركوك، في حالة قبول ومبادرة الطرف الآخر بهذه الدراسة والمشروع العلمي في حملة التشجير

2- يتحقق هذا المشروع بالتعاون مع شركة الاتصالات الوطنية (آسياسيل، كورك، أثير، عراقنا، زين).

3- يتم الاتفاق مع شركة الاتصالات لتحديد رقم خاص بالمشروع.

4- يرسل المشارك رسالة فارغة للرقم الخاص (رسالة واحدة تعادل شجرة واحدة).

5- تقيّم الشركة قيمة كل رسالة فارغة على سبيل المثال عندما نرسلها إلى شخص ما مثلاً ب (25 سنت) ما يعادل 250 دينار عراقي, وعندما يرسل الشخص الرسالة الفارغة إلى الرقم الخاص بالمشروع سوف تقيمه الشركة ب 1000 دينار وتأخذ الشركة 250 دينار حقها، وبقيّة المبالغ تجمعها وترسلها إلى اللجنة المختصة بالمشروع.

6- تشكيل لجنة خاصة لمتابعة آلية العمل.

ثانياً- بيانات تعريفية عن محافظة كركوك:

مساحة المحافظة: بحدود 3 مليون دونم.

عدد الأقسية: (كركوك - الحويجة - دافوق - دبس).

عدد النواحي: 7 (تازة. التون كوبري. ليلان. الرشاد. الرياض. العباسي. الزاب).

المحافظة تعتبر صناعية وزراعية في نفس الوقت.

شكل (1): خارطة تبين موقع كركوك بالنسبة للجغرافية الإدارية للعراق



شكل (2): خارطة تبين أقضية ونواحي محافظة كركوك.



### التشجير ودوره في حماية البيئة وسبل تنفيذه

- 1- تقليل التلوث الحاصل في المدن حيث تعمل الأشجار والشجيرات على زيادة الأوكسجين في الجو من خلال عملية التمثيل الضوئي وامتصاص غاز ثاني أوكسيد الكربون الذي يعتبر من أهم مسببات التلوث.
- 2- تلطيف الجو عن طريق عملية النتح وتحسين المناخ فوجود النبات والأشجار في مكان يؤدي إلى خفض درجات الحرارة خاصة في فصل الصيف.
- 3- تخفيف أشعة الشمس وشدتها من خلال أوراق الأشجار النباتية.
- 4- امتصاص الاصوات وتخفيف حدة الضوضاء في الأماكن المزدحمة.
- 5- إيقاف زحف الرمال والحد من ظاهرة التصحر وتقليل سرعة الهواء المحمل بالأترربة مما يؤدي إلى ترسيب الملوثات العالقة بالجو فيصبح الهواء نقيا.
- 6- حماية التربة والحد من مشكلة تعرية التربة وانجرافها بفعل عوامل التعرية كالرياح والمياه
- 7- حماية المدن من الرياح الشديدة وكسر حداثها فالشجرة المتوسطة تمتص يوميا 107 كغم من  $CO_2$  وتنتج يوميا 140 لترا من  $O_2$

## المشاكل البيئية في محافظة كركوك

- 1- تلوث مصادر المياه بمياه الصرف الصحي ومطروحات المصانع والمصرفة إلى الأنهار والمصادر المائية (نهر الزاب الأسفل، مجرى نهر الخاصة، وادي النفط ...) بدون المعالجات المطلوبة في أغلب الحالات.
- تردي نوعية الهواء المحيط من الأنشطة الملوثة وخاصة القطاع النفطي والصناعي وقطاع النقل والمواصلات ومحارق المستشفيات والعادات السلبية في المجتمع مثل استعمال الإطارات في عملية تحضير المواد العازلة للسطوح.
- 3- مشكلة التلوث بالعناصر الثقيلة السامة والمواد المسرطنة والمبيدات.
- 4- زيادة ملوحة التربة بسبب عدم استخدام التقنيات الحديثة بالري.
- 5- تلوث المياه الجوفية.
- 6- تدهور النظام البيئي الطبيعي ومن أهمها، التصحر، تدمير الغابات، القطع الجائر للأشجار.
- 7- فقدان التنوع الأحيائي بفعل العواصف الترابية المتكررة.
- 8- الإرهاب البيئي وعمليات تفجير الأنابيب النفطية.
- 9- قلة الوعي البيئي لدى المواطنين وأصحاب القرار على حد سواء.
- 10- استخدام التقنيات القديمة في الإنتاج الصناعي مثل استخدام مادة TEL (رابع إثيلات الرصاص) السامة والخطرة في إنتاج البنزين المحسن.
- 11- عدم تواجد وحدات معالجة للمخلفات السائلة والغازية المنبعثة من الأنشطة النفطية والصناعية وفي حالة تواجدها في بعض المنشآت فإنها لا تعمل بالكفاءة المطلوبة.
- 12- عدم التنسيق والتعاون بين الجهات الملوثة للبيئة من جهة والدوائر البيئية والجامعات من جهة أخرى.

## الجدول (1) : الأشجار والشجيرات الملائمة لامتصاص الأبخرة

### والغازات السامة

النوع	الاسم العلمي	البلدان
الكازورينا	<i>Casuarina equiseti folia</i>	ليبيا، تونس، المغرب، مصر، قبرص، سوريا، العراق وغيرها
كينيا الكافور	<i>E. camaldulensis</i>	ليبيا، تونس، المغرب، مصر، الجزائر، سوريا، إيران، العراق، الهند، اليمن وغيرها
كينيا	<i>E. gomphocephala</i>	ليبيا، مصر، المغرب، سوريا، إيران وغيرها
الصنوبر الحلبي	<i>Pinus halepensis</i>	سوريا، لبنان، إيران، فلسطين وبلدان البحر المتوسط
صنوبر بروتيا	<i>Pinus brutia</i>	
السرو الأقي	<i>Cupressus sempervirnis</i>	سوريا، العراق، لبنان، الأردن وفلسطين
	<i>Var. horizontalis</i>	
السرد الفضي	<i>C. arizonica</i>	سوريا، العراق، لبنان، الأردن وفلسطين
السبج	<i>Melia Azadlar indica</i>	الهند واليمن
لوز المالابار	<i>Terminalia catapa</i>	الهند واليمن
الأكاسيا العربية	<i>Acasia arabica</i>	الهند
الأثل	<i>Tamarix articulata</i>	كل البلدان المذكورة

المصدر: عبد الرزاق، علي، رحاب طاهر احمد ومحمد احمد نجم الدين (2012). واقع التلوث البيئي في محافظة كركوك، وزارة البيئة، دائرة حماية وتحسين البيئة في المنطقة الشمالية، نشرة فنية.



## جدول (2) : الأشجار والشجيرات المستخدمة في تشجير جوانب الطرق ومداخلها في مدينة كركوك.

Scientific name	Family Name	Arabic Name
<u>Pinus brutia</u> tea	Pinaceae	صنوبر
<u>Platanus</u> spp.	platanaceae	الجنار
<u>Salix</u> spp	salicaceae	الصفصاف
<u>Populus</u> spp.	Salicaceae	الاسفندان
<u>Eucalyptus</u> spp.	Myrtaceae	اليوكالبتوس
<u>Cupresses</u> spp.	Cupressaceae	سرو
<u>Grataegus</u> spp.	Rosaceae	زعرور
<u>Melia azedarach</u>	Meliaceae	السجج
<u>Thuja occidentalis</u>	Cupressaceae	ثويا
<u>Olea europaea</u>	Oleaceae	الزيتون
<u>Morus nigra</u>	Moraceae	التوت
<u>Ficus carica</u>	Moraceae.	التين

المصدر: يوحنا، عادل هرمز (2001). تشجير جوانب الطرق في محافظة نينوى واختيار الأنواع الملائمة للتشجير في نينوى.

### الاستخدام غير الآمن للمبيدات

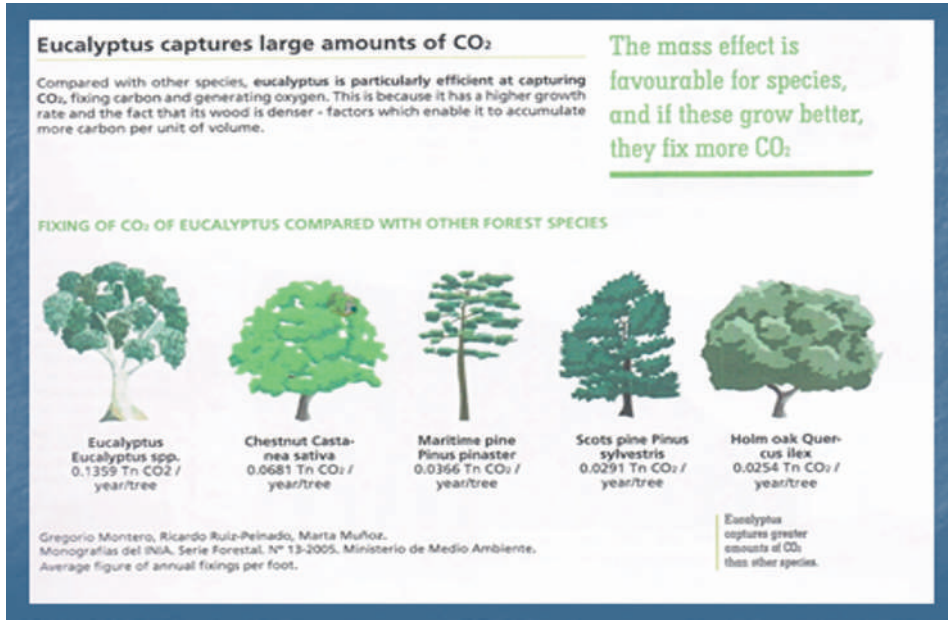
تستخدم كميات كبيرة من المبيدات غير المسجلة لدى اللجنة الوطنية لتسجيل واعتماد المبيدات في العراق نتيجة لرخص ثمنها مقارنة بالمبيدات المستوردة من قبل وزارة الزراعة، وسهولة تهريبها عبر الحدود، ولتوفرها بكميات كبيرة في الأسواق المحلية. وقد تم تشكيل لجنة وطنية وممثلة بها وزارة البيئة لتسجيل واعتماد المبيدات في العراق وتمنع تسجيل المبيدات المحظورة ضمن اتفاقية ستوكهولم.

دور التقنيات الحديثة للتشجير في التقليل من التلوث البيئي في المدن: مدينة كركوك العراقية أنموذجاً

## النساليب والطرق المتبعة في المحافظة على الغطاء النباتي

- 1- العناية والاهتمام بالغطاء النباتي وعدم البناء على حساب الأراضي الزراعية.
- 2- إقامة حملات تأسيسية لعملية التشجير.
- 3- مشاركة الدوائر والمؤسسات الحكومية في التشجير وجعلها مناسبة خاصة تسمى بيوم التشجير، من خلال بث الوعي والثقافة التشجيعية نحو حب الأشجار والشجيرات النباتية.
- 4- عدم إهمال التربة الزراعية والاستفادة منها قدر الإمكان.
- 5- عدم قطع الأشجار أو حرقها.
- 6- تثبت الكثبان الرملية من خلال اختيار الأنواع الشجرية الملائمة.

شكل (3): أشجار الكينا (يوكالبتوس) ودورها في امتصاص CO<sub>2</sub>



للصن: مصطفى، شاهين عباس (2010). التشجير ودوره في حماية البيئة- الندوة العلمية للتشجير في محافظة كركوك - جامعة كركوك.

## التوصيات والمقترحات المقدمة في سبيل تنفيذ إنجاز عملية التشجير

- 1- إصدار المجلات والنشرات والكتيبات في مجال التشجير وزراعة النباتات.
- 2- بث الإرشادات والتوجيهات والرسائل عن طريق الإذاعة والتلفزيون والاتصالات (أسياسيل، كورك، إلخ) التي توضح أهمية التشجير.

3- تدريب طلبة المدارس على زراعة الأشجار وإشراكهم في أسبوع الشجرة وتوعيتهم بأهمية العناية بأبي نبتة وعدم إتلافها أو قلعها أو قطفها.

4- التوعية والإرشاد للمواطنين للاهتمام بعمليات التشجير وإبراز المنافع وأهميتها البيئية.

5- تجميل شوارع المدن والمناطق المختلفة.

6- توفير المستلزمات المطلوبة من آليات الخاصة بالتشجير.

7- التعاون مع مديريات الزراعة والبلدية والإرشاد الزراعي، وذلك بإزالة الأشجار اليابسة داخل المدينة وخارجها وزراعتها بشتلات وأنواع ملائمة للمنطقة، كما يتم صبغ جذوع الأشجار الموجودة في جوانب الطرق بمادة بيضاء فسفورية وإعطاء جمالية للأشجار والسياح، فضلا عن حمايتها من الآفات الحشرية والقوارض.

8- إصدار قانون حماية الغابات والتشديد في العقوبات ضد المخالفين لحمايتهم من التجاوزات.

9- عدم السماح لأصحاب المصانع من تأسيس المعامل داخل المدن، لأن ذلك يكون سببا لانبعاث الغازات السامة والملوثة الأمر الذي يؤدي إلى تلوث البيئة ومراقبتهم من قبل مديرية البيئة وفرض غرامات مالية وقانونية في حالة القيام بهذا الأمر.

10- أكثر الصناعات توليها للبيئة هي معامل الجص والحجر والأسمنت وأفران الحديد، لذلك ينبغي إلزام أصحابها ببناء مداخن خاصة وبارتفاعات عالية ووضع مرشحات خاصة للغازات المنبعثة منها.

11- توفير الحماية والدعم لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة وحثها على الكشف عن بؤر التلوث والفساد البيئي.

12- التنسيق بين وزارة التعليم العالي والتربية ووزارة البيئة والسياحة من خلال وضع برامج ودورات ذات مناهج تخصصية، لتأهيل خريجي علوم الحياة والجغرافية والكيمياء وهندسة البيئة للعمل في دوائر حماية البيئة والموارد المائية.

13- إن كل ما يتم اقتراحه في هذه الآلية سيكون معطلا وأداءه ضعيفا إذا لم تكن أجهزة الرقابة فعالة، ليس في مجال الرقابة وتوثيق عناصر الخلل والعبث بالبيئة فقط، بل المهم ماذا بعد هذه التقارير التي توثق عناصر الخلل. وهذا يتطلب وجود أجهزة فعالة ومتخصصة تتولى محاسبة ومقاضاة الجهات المسببة لها، أفرادا أم دوائر أم شركات أم جهات أخرى. كما يتطلب استحداث فرع للشرطة يتولى عملية حماية البيئة والأشجار من القطع العشوائي والرعي الجائر والزراعة المتنقلة، وواجبه تنفيذ الأوامر القضائية ومتابعة ومراقبة للسبب للتلوث بشكل مباشر وتقديمهم للعدالة، كما ينبغي إدخال مواد دراسية تتعلق بالبيئة في كليات التربية وكليات القانون تتولى تأهيل خريجين يدركون ويفعلون القوانين والتشريعات الخاصة بالبيئة والموارد



دور التقنيات الحديثة للتشجير في التقليل من التلوث البيئي في المدن: مدينة كركوك العراقية أمودجا

المائية، بحيث يتم اعتبار عناصر البيئة ومكوناتها الأساسية قيما عليا والمساس بها وتخريبها والعبث بها وعدم المحافظة عليها جنابة يعاقب عليها القانون.

### المراجع العلمية

- 1- بدر، مصطفى (1985). تنسيق وتجميل المدن والقرى - الطبعة الأولى - الجامعة الاسكندرية - مصر.
- 2- الجواهري، عماد احمد ورضا عبد الجبار الشمري (2012). مشكلات المياه في العراق، الواقع والحلول المقترحة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة القادسية، العراق.
- 3- نحال، ابراهيم واديب رحمة ومحمد نبيل الشبلي (1988). الحراج والمشاتل الحراجية، مديرية الكتب والمعلومات الجامعية، حلب - سوريا.
- 4- عبد الله، ياووز شفيق (1988). أسس تنمية الغابات، الطبعة الثانية، دار المكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل - العراق.
- 5- عبد الله، ياووز شفيق وعادل ابراهيم الكناني (1990). الغابات والتشجير دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل، العراق.
- 6- عبد الرزاق، علي، رحاب طاهر احمد ومحمد احمد نجم الين (2012). واقع التلوث البيئي في محافظة كركوك، وزارة البيئة، دائرة حماية وتحسين البيئة في المنطقة الشمالية، نشرة فنية.
- 7- السعيد، ابراهيم حسن (2001). تشجير الشوارع وتقاطعها وسبل تنفيذها، عام التشجير في نينوى - العراق.
- 8- شاربازيري، علي عثمان وشاهين عباس مصطفى (2013). الأخطاء التصميمية الشائعة في الحدائق والمتنزهات العامة، الندوة العلمية الثالثة - جامعة كركوك - كلية الزراعة.



# مساهمة الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاك الطاقة

أ.د. السعيد سليمان عواشيرة\*

## ملخص

هدف هذا البحث إلى تحديد أهم إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة، والتعرف على درجة الوعي المعرفي بذلك لدى السائقين، مستخدماً المنهج التحليلي الوصفي وأداتين بحثيتين لجمع البيانات تمثلتا في: استمارة تحليل واستبانة صُممتا لغرض ذلك. وجاءت عينة التحليل ممثلة بأدبيات الموضوع المتوفرة في حدود علم الباحث، في حين جاءت عينة سائقي السيارات ممثلة بـ 135 فرداً، وتم اختيار العينتين بطريقة عرضية، من مدينة باتنة الواقعة شرق العاصمة الجزائرية، وأنجز البحث خلال شهري أبريل ومايو سنة 2022م الموافق لشهري رمضان وشوال سنة 1443هـ، وتم ضبطه وتوجيه أهدافه وتحليله بهذا الشكل والمضمون خلال شهري أكتوبر ونوفمبر 2022، وفي الإجابة عن أسئلة البحث تم استخدام جملة من الأساليب الإحصائية: (النسبة المئوية، المتوسط الفرضي والمتوسط الحسابي)، وأفادت نتائج التحليل إلى ورود 24 إجراء لتوظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة منها: 12 إجراء متعلقاً بما بعد الصيانة الدورية، و12 إجراء متعلقاً بمرحلة ما بعد الصيانة التنبؤية، في حين أشارت نتائج الوصف إلى انخفاض درجة الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة لدى أفراد عينة البحث، وقد حاول البحث تفسير هذا الأخير والخروج بجملة من التوصيات ذات العلاقة.

**الكلمات التعريفية:** الصيانة الوقائية، الصيانة الدورية، الصيانة التوقعية، ترشيد استهلاك

الطاقة، الوعي المعرفي.

\* أستاذ جامعي، جامعة باتنة 1، الجزائر.

# The contribution of preventive maintenance of cars to rationalizing energy consumption

Dr. Alsaïd Awashria

## Abstract

The aim of this research is to identify the most important procedures for employing preventive maintenance of cars in rationalizing their energy consumption, and to identify the degree of cognitive awareness of this among drivers, using the descriptive analytical approach and two research tools for data collection, which are: an analysis form and a questionnaire designed for this purpose; So that their psychometric characteristics were recognized, and the sample of the analysis was represented by the literature on the subject available within the limits of the researcher's knowledge, while the sample of car drivers represented by 135 individuals, and the two samples were chosen in an accidental way, from the city of Batna, east of the Algerian capital, and the research was completed during the months of April and May The year 2022 AD, corresponding to the months of Ramadan and Shawwal of the year 1443 AH, - and its objectives were set and directed and edited in this form and content during the months of October and November 2022 - and in answering the research questions, a number of statistical methods were used: (percentage, hypothetical mean and arithmetic mean), and the results of the analysis reported to 24 procedures were received to employ the preventive maintenance of cars in rationalizing their energy consumption, including: 12 procedures related to the periodic maintenance dimension, and 12 procedures related to the predictive maintenance dimension, while the results of the description indicated a low degree of cognitive awareness of the role of preventive maintenance of cars in rationalizing their energy consumption among the members of the research sample, The research has tried to explain the latter and come up with a number of relevant recommendations.

**Keywords:** preventive maintenance, periodic maintenance, predictive maintenance, rationalization of energy consumption, cognitive awareness.

## مقدمة

تعتبر الطاقة عصب اقتصاد الدول وسبيلا لتحقيق الرفاه الاجتماعي، فيها تتمكن من توفير بيئة العمل من تدفئة وتبريد وإضاءة، وبها تتمكن من تجهيز الكثير من أغذيتنا وطهيها، فالطاقة هي الوسيلة الرئيسة التي يعتمدها الإنسان لتحقيق عالم أفضل وراحة أكبر وسعادة ورفاه أمثل، كما أنها تعتبر المفتاح الرئيسي لنمو الحضارة الإنسانية على امتداد الحقب التاريخية لحياة الإنسان على الأرض، ومنه يمكن قياس مدى تقدم الإنسان في قدرته على التحكم بالطاقة واستغلال مصادرها بالصورة التي تعطي أفضل النتائج<sup>1</sup>.

فلا كينونة للصحة والتعليم والتدريب والصناعة والنقل إلا بها، ونظرا لاتساع نطاق كل ذلك، زاد بموجبه معدل استهلاك الطاقة في هذه المجالات وعلى رأسها مجال النقل، والذي يعد شغلنا الشاغل في هذا البحث؛ فنظرا لتزايد وسائل النقل كماً وكيفاً وفي ظل ظروف ثقافية وتنظيمية عاشها ويعيشها العالم بأكمله، شهد الوضع زيادة كبيرة في مقادير الطاقة المستهلكة في الآونة الأخيرة بمختلف أنواعها، مما شكل وبشكل تهديدا للمخزون الطاقوي للدول من جهة، وإضراراً بالبيئة من جهة ثانية، فتشير بعض الإحصائيات إلى أن الاستهلاك العالمي للطاقة عرف تزايداً مستمراً<sup>2</sup>، فبعد أن كان سنة 1965 يبلغ 3826.3 مليون طن مكافئ نفط، ارتفع ليبلغ سنة 1970 مقدار 4983.3 مليون طن مكافئ نفط، وفي سنة 1977 مقدار 6313.7 مليون طن مكافئ نفط، وفي 1987 مقدار 7599.1 مليون طن مكافئ نفط، وبعد 10 سنوات وصل إلى 8907.3 مليون طن مكافئ نفط، ليبلغ سنة 2007 ما مقداره 11099.3 مليون طن مكافئ نفط.

وبالرغم من تعدد وتنوع الحيل وأساليب الحفاظ على الطاقة ومصادرها البديلة، إلا أنه ثمة اعتراف عالمي متزايد، بأن إجراءات الحفاظ على الطاقة وترشيد استهلاكها، هو خير مصدر من مصادر الطاقات البديلة، فتحسين كفاءة الاستعمال النهائي هو مصدر طاقة رخيصة؛ حيث أن كلفة ترشيد kWh-1 هي أقل بأضعاف من كلفة توليده، وفي الوقت الذي تساهم فيه مصادر الطاقات المتجددة الناتجة عن: رياح، شمس، مياه، بنسبة لا تتجاوز 1% من استهلاك الطاقة العالمي لعام واحد، فإن ترشيد استهلاك الطاقة وتحسين كفاءة استخدامها يساهم بأضعاف هذه النسبة<sup>3</sup>.

يتنافى الاستغلال غير الرشيد للطاقة مع مسعى التنمية المستدامة، كما يتنافى قبل ذلك مع الالتزام بالتعاليم الإسلامية التي تحث على عدم الإسراف والتبذير في استغلال موارد البيئة واستغلال الطاقة، فترشيد استهلاك الطاقة مطلب والتزام ديني إسلامي قبل أن يكون مطلباً اقتصادياً في أروقة الأمم المتحدة، هذه الأخيرة التي أشارت في تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا في 18 ديسمبر 2007، والوسوم (بترشيد استهلاك الطاقة وتحسين كفاءتها في القطاعات العليا لإنتاج الطاقة في دول مختارة وهم أعضاء بالإسكوا) في المادة-ثالثا/ الفقرة-أ إلى أن: (الصيانة الوقائية أمر ضروري في

<sup>1</sup> سمير بن حماد، استهلاك الطاقة في الجزائر - دراسة تحليلية وقياسية- رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

<sup>2</sup> المصدر نفسه.

<sup>3</sup> جاويش إبراهيم، ترشيد استهلاك الطاقة - نحو اقتصاد أفضل وبيئة آمنة-، مجلة جامعة دمشق، المجلد 16، العدد 1، ص 105-128، 2000.

قطاع إنتاج النفط، ولذلك قامت شركات نفط في عدد من دول الإسكوا باستخدام برامج حاسوب مخصصة لتصميم وتخطيط وتنفيذ برامج الصيانة الوقائية لترشيد استهلاك الطاقة)، وهذا يشير إلى دور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة، والذي كان من الواجب الإلمام بمختلف إجراءات ذلك والوعي بها، ليس في هذا المجال فحسب بل في مختلف المجالات ومن بينها مجال النقل بمختلف جوانبه، والتركيز على الجانب الأكثر استهلاكاً للطاقة فيه.

وإن كان هذا الأمر الذي أشار إليه التقرير يتعلق بمستوى الشركات الكبرى وبأساليب حاسوبية وتخطيط متقن، فإنه من الأجدر أن تضاهيه سلوكيات متعلقة بمستوى نشاطات الأفراد اليومية، تكون بأساليب وتقنيات في متناولهم تسعى لنفس المسعى وهو ترشيد استهلاك الطاقة، ومن أكثر نشاطات الأفراد اليومية ذات الصلة هو استخدامهم لسياراتهم من أجل التنقل لقضاء حاجاتهم، خاصة في ظل زيادة عدد مستخدمي السيارات وعزوفهم عن النقل العام لمبررات ذاتية وموضوعية، وما الازدحام الذي نشهده في طرقاتنا لدليل واضح على هذا الأمر. بالإضافة إلى أن الاستهلاك الرئيسي للطاقة في قطاع النقل يتمثل حوالي 80% منه في وقود السيارات، وأن قطاع النقل يستهلك حوالي الربع من إجمالي الطاقة المستهلكة في الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية<sup>4</sup>.

وجاء في دليل المستخدم لحفظ وترشيد استهلاك الطاقة لوزارة الثروة والطاقة المعدنية الأردنية، أنه لتقليل كمية الاستهلاك والطاقة الضائعة يستوجب اتباع الإرشادات وهي في مجملها متعلقة بالصيانة الوقائية، وهو ما أكدته تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا سنة 2013 بصيغة أخرى؛ إذ أشار إلى أنه من متطلبات ترشيد استهلاك الطاقة هي الصيانة الوقائية، وهو ما يفرض الكشف عن مختلف الإجراءات التطبيقية لذلك، ويعطي نوعاً من الواجهة والمنطقية للبحث فيها وفي أبعادها المختلفة.

وإن كان ترشيد الطاقة من خلال الصيانة الوقائية للسيارات أمر أثبتته البحوث والدراسات، وأقرته بعض التقارير الدولية والمنظمات الحكومية، فإنه كسلوك لدى السائقين في المدن أمر مفروض بناء على ذلك، لكن في الحقيقة هذا لا يمكن فرضه بالقوة الخشنة والقوانين والتشريعات والرسوم والغرامات فقط، بل يتعدى إلى فرضه بالقوة الناعمة، وذلك بتوعية السائقين بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة وتعريفهم بإجراءات ذلك؛ إذ أن توعيتهم بذلك سيقبلون بتجسيد الأمر طواعية، وهذا الوعي في حقيقة الأمر هو كل مُركب يمس مختلف جوانب الشخصية البشرية، فهو يشمل الجانب المعرفي والوجداني والمهاري. ويعد الوعي المعرفي أساس كل من الوعي الوجداني والمهاري؛ إذا لا كينونة للوعي الوجداني والمهاري بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة، ما لم نؤسس ونفعل الوعي المعرفي بذلك، وهذا ما يستدعي الكشف عن درجة الوعي المعرفي لدى سائقي السيارات بذلك.

وعلى هذا الأساس يأتي هذا البحث محاولاً تحديد أهم إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة، والكشف عن درجة الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة لدى عينة من السائقين بمدينة باتنة بالجزائر.

<sup>4</sup> سمير بن حماد، المصدر السابق.

## أسئلة البحث

تحدد مشكلة هذا البحث في السؤالين الآتيين:

- ماهي إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة؟
- ما درجة الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة لدى سائقي السيارات؟

## أهداف البحث

إن بحثنا هذا يهدف أساسا إلى:

- 1- تحديد أهم إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة.
- 2- الكشف عن درجة الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة لدى سائقي السيارات.

## أهمية البحث

يستقي هذا البحث أهميته من أهمية الموضوعات التي يتناولها بالبحث والدراسة، والمتمثلة في: الصيانة الوقائية وترشيد استهلاك الطاقة، ولا أحد ينكر أهمية هذه المتغيرات، إضافة إلى أهمية قضايا أخرى مرتبطة بمعالجة البحث.

فمن المتفق عليه أن الصيانة الوقائية تعمل على تقليل التوقفات والعطلات غير المبرمجة، وتخفيض كلفة الأعمال لعمال الصيانة بسبب تنظيم أعمال هذه الأخيرة، وتقليل التوقفات الكبيرة لأغراض التصليح والتي تقل بدورها في العطلات البسيطة، وزيادة كفاءة المعدات والآليات المُصانة وتقليل الحاجة إلى بدائلها، وهو ما يقلل الحاجة إلى رؤوس الأموال الموجهة إلى هذا الجانب، كما تساهم في تحديد المواد الاحتياطية ذات الكلفة العالية والمعدات الحرجة، من حيث كلف الصيانة المطلوبة لها من خلال المعلومات المتوفرة لنظام الصيانة الوقائية، وسيطرة أفضل على الأدوات الاحتياطية وتقليل المخزون المطلوب لها، وتحسين ظروف السلامة لمستعملي المعدات والآليات التي تحظى بتلك الصيانة. إضافة إلى منع وخفض المخلفات الناتجة عنها، وتقليل التلوث بسبب تسرب الأبخرة<sup>5</sup>. تشير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا إلى أن القيادة الصديقة للبيئة، لها دور في تخفيض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون وتوفير في استهلاك الطاقة، ولها منافع على الصعيدين الشخصي والعام، كما نصت عليه مقررات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا عام 2013.

وإذا كان ترشيد استهلاك الطاقة من أهمية الصيانة الوقائية، فإن هذا البحث يستمد أهميته من أهمية ترشيد استهلاك الطاقة نفسها، والتي تظهر في الاستغلال الأمثل لمصادر الطاقة الأحفورية بما يساعد في الحفاظ على هذه المصادر للأجيال القادمة، وخفض الاستثمارات اللازمة لبناء محطات

<sup>5</sup> مغبر، فاطمة الزهراء (2010/2011)، تخطيط أعمال الصيانة باستخدام الأساليب الكمية، دراسة حالة مؤسسة ALZINC، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، الجزائر. ص: 26-63.

التوليد، وتقليل تكاليف الصيانة اللازمة للشبكات الكهربائية، وخفض استهلاك الوقود بمحطات التوليد الحرارية بما يساهم في خفض انبعاث غازات الاحتباس الحراري وتحسين البيئة وغير ذلك<sup>6</sup>.

كما يستقي هذا البحث أهميته من أهمية القطاع الذي يبحث فيه، ألا وهو قطاع النقل الذي يسمح بتنقل الأفراد لتحصيل حاجاتهم وقضاء أمورهم اليومية في مختلف جوانب الحياة، دون أن ننسى مساهمته في تحقيق الميزة التنافسية في مجال الصناعة والتجارة والسياحة، ولا أحد ينكر تطوره الملحوظ من حيث الكم في مختلف العواصم والمدن الإسلامية، وما الازدحام الذي تشهده شوارعها لدليل قاطع حول ذلك.

ومما لا شك فيه أن الوعي من شأنه إكساب هذا البحث أهمية من جهة أخرى، فالوعي يعمل على توليف الأفكار والخيارات بصورة فورية، ويعد مفتاح إدراك وتلقي احتمالات غير محدودة وتوفير فرص جديدة، كما يسمح للفرد لأن يكون على دراية بالماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل ويوفر معرفة عميقة واسعة النطاق. وبه يتم تعلم إدراك المتناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واتخاذ الإجراءات المناسبة ضد العناصر والمتغيرات المخالفة للواقع<sup>7</sup>.

ومما يكسب هذا البحث أهمية عملية في ميدان القياس في الموضوع ذاته، هو تقديم إنتاج عملي يتمثل في: تصميم استبيان لقياس الوعي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة، ولا ننسى أن هذا البحث يكتسب أهميته من ناحية أخرى، من كونه بحثاً أصيلاً في موضوعه ومنهجه وأدواته وطريقة تناوله وعرضه؛ وقد يكتسب ذلك من مختلف التوصيات التي يصل إليها. كما قد يكون هذا البحث بداية لبحوث أخرى أكثر عمقا وتوسعا وفائدة؛ بحيث يساهم هذا البحث من خلال فكرته وموضوعه ومنهجه وأدواته ونتائجه، في فتح آفاق جديدة لمزيد من الدراسات والبحوث ذات العلاقة.

## حدود البحث

اقتصرت البحث الحالي على الحيز الذي ترسمه الحدود الآتية:

أولاً- زمنياً: أجري البحث خلال شهري أبريل ومايو من سنة 2022م/رمضان وشوال من سنة 1443هـ، وتم ضبطه وتوجيه أهدافه وتحريره بهذا الشكل والمضمون خلال شهر أكتوبر 2022.

ثانياً- جغرافياً: مدينة باتنة الواقعة شرق العاصمة الجزائرية.

ثالثاً - بشرياً: جاءت عينة البحث في جانبه الوصفي ممثلة بـ 135 فرداً من سائقي السيارات.

رابعاً - وثائقياً: جاءت عينة البحث في جانبه التحليلي ممثلة بما توفر لدى الباحث من أدبيات متعلقة بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة.

<sup>6</sup> شناي، هاجر ومحسن، زبيدة (2018)، جهود الدولة الجزائرية في الحفاظ وترشيد استهلاك الطاقة الكهربائية، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد 1، المجلد 5، ص: 58.

<sup>7</sup> الحدراوي، رافد حميد والذبحاوي، عامر عبد الكريم والزيدي، حيدر حمودي، دور الوعي الاستراتيجي في تحقيق التنمية المستدامة التنظيمية، دراسة استطلاعية في معمل سميت النجف الأشرف، مجلة آداب الكوفة، كلية الآداب، مجلد 43، عدد1، أبريل (499- 522)، 2022.



خامسا- موضوعيا: اقتصر البحث على بعد من أبعاد الوعي فقط نظرا لتعددتها واتساعها؛ بحيث اكتفى بتناول البعد المعرفي (الوعي المعرفي)، وهذا لا يعني أن البعد الوجداني والسلوكي غير مهمين.

## المحور الأول: ماهية الصيانة الوقائية

### أولا- تعريف الصيانة الوقائية:

هي مجموع الإجراءات والأفعال التي تسمح بالحفاظ على التجهيزات، إما بتصليحها أو منع العطل عنها<sup>8</sup>، وتعرف كذلك بأنها: أعمال التصليح والحفاظ على رأس المال المادي لتأمينه من التعطلات والأعطاب<sup>9</sup>. وعرفت أيضا بأنها: مجموعة من النظم الفنية التي تقوم بها إدارة الصيانة لتقليل الأعطال، وجعل الأصول في حالة تشغيلية جيدة، أو إعادة تلك الحالة الجيدة لها عندما تتعطل<sup>10</sup>. في حين يعترفها البعض بأنها: إصلاح التلف الناتج عن الاستعمال، وكذلك الوقاية من هذا التلف لتجنب وقوعه والمحافظة على القدرة لأداء العمل بشكل اقتصادي<sup>11</sup>.

وتصنف الصيانة نوعيا إلى: صيانة علاجية وصيانة وقائية، فأما العلاجية فيُقصد بها عمل الإصلاحات اللازمة للآلات، حينما تتوقف عن العمل لأسباب فنية كحدوث كسر أو تآكل في أحد أجزائها<sup>12</sup>. وهذا النوع من الصيانة يتم بعد حدوث العطل، لذلك لا يمكن التنبؤ بوقوعه، وبالتالي فإن السيطرة عليه تصبح ضعيفة، بجانب أنه يؤدي إلى توقف الخدمة في أوقات حرجية<sup>13</sup>.

أما الثانية -الصيانة الوقائية- فيقصد بها اتخاذ الإجراءات التي تكفل عدم توقف الآلات عن العمل<sup>14</sup>، فهي نظام ذو خطوات يتم تطبيقه على المعدات بمجرد بدء دخولها الخدمة لتقليل فرص حدوث الأعطال والتوقفات، وبالتالي فرصة التنبؤ بوقوع العطل وإصلاحه في أقل وقت وبأقل تكلفة<sup>15</sup>.

### ثانيا- أبعاد الصيانة الوقائية:

للصيانة الوقائية بعدان أساسيان: صيانة دورية، وصيانة تنبؤية<sup>16</sup>، وتشتمل الصيانة الدورية على التنظيف والفحص والتفتيش الدوري للمعدات، واستبدال بعض الأجزاء والمكونات قبل تلفها،

<sup>8</sup> Daniel, Loubert (1992), le management des savoirs-faires dans l'entreprise. les éditions de l'organisation. Parise, P:131.

<sup>9</sup> Mare, N (1996), Reussire sa maintenance, Editions Mare Nostrum, Parise, P: 14.

<sup>10</sup> فوزي، شعبان مذكور (1999): إدارة الصيانة والأمن الصناعي، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ص:6.

<sup>11</sup> طرطار، أحمد (2001)، الترشيد الاقتصادي للطاقات الإنتاجية في المؤسسة، الجزائر، ديوان للطبوعات الجامعية، ص: 66.

<sup>12</sup> حسن، عادل (1998)، التنظيم الصناعي وإدارة الإنتاج، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة. ص: 182-184.

<sup>13</sup> ساعد بوغينينة، وهيبه قرمش زهرة، دور الأساليب الكمية في اتخاذ القرارات لتنفيذ عمليات الصيانة بأقل كلفة، ورقة علمية مقدمة في للتلقي الوطني السادس حول الأساليب الكمية ودورها في اتخاذ القرارات الإدارية يومي 27-28 جانفي 2009، الجزائر، جامعة سكيكدة، كلية علوم التسيير والعلوم الاقتصادية، ص:8.

<sup>14</sup> حسن، عادل (1998)، المصدر السابق.

<sup>15</sup> ساعد بوغينينة، وهيبه قرمش زهرة، المصدر السابق.

<sup>16</sup> مصطفى حافظ محمد الجندي، الصيانة الوقائية، تصفح بتاريخ 13 مارس 2017، ص: 2-6، استرجع بتاريخ 10 مارس 2022،

<http://kenanaonline.com/users/safetyking/posts/609383>

وبالتالي تعطل العملية الإنتاجية، ولذلك فإن الفترة الدورية للتغيير تعتمد على العمر الافتراضي المعتاد أو المتوقع لهذا الجزء، ويتم تخطيط هذه الصيانة مسبقاً دون خروج المعدات عن الخدمة، طبقاً لتوصيات الشركة المنتجة وحسب جدول الصيانة الموضوع لذلك، وتعتمد فترات الصيانة الدورية على ما هو مذكور في كتيب تشغيل وصيانة المعدات وكذلك خبرة العاملين وسجل تاريخ صيانتها.

أما **الصيانة التنبؤية (التوقعية)** فهي تشمل جميع أعمال الصيانة للمحافظة على أجزاء المعدات حتى نهاية عمرها الافتراضي، من خلال المراقبة الدورية لبعض العناصر التشغيلية الأساسية، وملاحظة أي تغيير قد يتسبب في الإقلال من كفاءة الأداء، وذلك قبل وصولها إلى حالة الإخفاق الكامل، وهذا النوع من الصيانة يحاول اكتشاف الأعطال عن طريق التنبؤ بحالة المعدات الداخلية وفحص درجة الحرارة لبعض النقاط في المعدات عن طريق اللمس باليد، وكذلك قياس الاهتزازات على نقاط معينة للمعدات، أو ملاحظة بعض الأصوات غير الطبيعية.

### ثالثاً- متطلبات الصيانة الوقائية للسيارات:

تتطلب الصيانة الوقائية تحقيق جملة من السلوكيات، يمكن الإشارة إلى أهمها في النقاط الآتية:

1. التنظيف والتزييت والتشحيم الجيد: لمنع التآكل السريع لها أو انخفاض طاقتها الإنتاجية، ويتم وفق جداول منتظمة يراعى فيها نوع وطبيعة الآلة وماهية الأجزاء التي يجب الكشف عليها دورياً، على أن يتم ذلك بناء على تعميمات الشركة المنتجة لها والمذكورة في الكاتالوك المصاحب لها<sup>17</sup>.
2. تفحص ضغط الإطارات وتدويرها: ويكون ذلك مرة على الأقل شهرياً قبل السير بسرعة مرتفعة، مع الحرص على إجراء ذلك حالما يكون الإطار في حالة برودة، وتغيير مكانها في السيارة دورياً وفقاً لطرائق التغيير الشائعة والمعمول بها كل 10000 كلم تقريباً<sup>18</sup>.
3. التريب (الشد والتثبيت): الربط بإحكام وشد وتثبيت أجزاء السيارة كالبراغي والصواميل أمر هام لضمان سلامتها، كما تقلل كثيراً من أعطالها، فقد يؤدي وجود برغي غير مربوط بشكل جيد إلى حدوث عدم استقامة بين هيكل السيارة وأجزاء أخرى منها، مما يؤدي إلى زيادة الاهتزازات وتآكل أجزائها الدوارة وتعرض بعض أجزائها للفك أو الارتخاء<sup>19</sup>.
4. مراقبة منظومة القيادة والتوجيه: ويتعلق الأمر بفحص مدى قساوة مقود السيارة وإمكانية استعادة الوضعية بعد الدوران بسلاسة، وتقضي مدى انسحاب السيارة إلى إحدى الجهات وتمايلها من ناحية لأخرى<sup>20</sup>.

<sup>17</sup> الغرفة، التجارية الصناعية (1403هـ)، أهمية الصيانة الوقائية في الشركات والمؤسسات الصناعية، الرياض، إدارة البحوث بالغرفة التجارية والصناعية بالرياض، ص: 13.

<sup>18</sup> اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا)، 2013، القيادة الاقتصادية البيئية للمركبات: حل عملي لتخفيف استهلاك الوقود والتلوث البيئي في لبنان، الأمم المتحدة، نيو يورك. ص: 45/50-53/75-73.

<sup>19</sup> مصطفى حافظ محمد الجندي، المصدر السابق.

<sup>20</sup> اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا)، المصدر السابق.

5. التفتيش والفحص: بهدف التأكد من صلاحية جميع الأجزاء المتحركة وغير المتحركة بالسيارة حتى لا تتوقف فجأة، وإعداد تقرير مفصل بنتائج عملية التفتيش للاستفادة منه في أعمال الصيانة الإصلاحية. كما يتم إعداد جدول زمني لقطع الغيار المختلفة ومواعيد استبدالها على ضوء العمر الافتراضي لكل قطعة وظروف التشغيل الفعلية<sup>21</sup>.
6. فحص المكابح دوريا وترويض مجموعة البطائن الاحتكاكية أو الكوليات الجديدة: يجب إجراء الفحوصات الدورية من أجل العمل الفعال والأمن للمكابح، ويجدر بعد تركيب البطائن بشكل مناسب، وتجنب الاستعمال الشديد للمكابح حتى عدة مئات الكيلومترات، كي يتم التموذج الصحيح للبطائن الاحتكاكية وإطالة فترة خدمتها<sup>22</sup>.
7. التنبؤ بحالة السيارة من خلال الحدس والحواس وتحليل اهتزازاتها وزيوته: تهدف الصيانة الوقائية إلى جعل فنيي الصيانة قادرين على استخدام حواسهم للتعرف على حال السيارة والتنبؤ به، كأن يستخدموا حاسة البصر في مراجعة قراءة العدادات المختلفة، ومراجعة زيوت المحرك ومراجعة التوصيلات المختلفة، لاكتشاف أي تسرب للمياه أو الزيوت وتحليلها واستهلاك الوقود أو الطاقة الكهربائية، أو ملاحظة أي اختلاف في لون دخان عادم محركات الاحتراق الداخلي، أو كأن يستخدموا حاسة السمع في تمييز الأصوات غير العادية التي تنجم عن هزات غير عادية في الآلات الدوارة أو في أجزائها ومحاولة تحليلها، أو كأن يستخدموا حاسة الشم في اكتشاف الروائح التي تنجم عن احتراق عوازل كهربائية نتيجة سخونة زائدة أو نتيجة زيادة الأحمال الكهربائية، أو كأن يستخدموا حاسة اللمس في اكتشاف السخونة الزائدة في أجزاء داخلية<sup>23</sup>.
8. الحرص على الموازنة بين العجلة والإطار: يمكن أن تصبح مجموعة العجلة مع الإطار غير متوازنة بسبب الاضطراب في التركيب، أو انزياح الشرائط أو فقدان الكتلة الوزنية نتيجة تآكل الرسم الخارجي، ويؤدي عدم توازن الإطارات عند السرعات العالية ولو كان قليلا، إلى اهتزاز العجلة للأعلى والأسفل أو تمايلها من جهة إلى أخرى، وفي هذه الحالة يجب أن تخضع مجموعة العجلة والإطار إلى الموازنة السكونية والديناميكية<sup>24</sup>.

## المحور الثاني: تعريف ترشيد استهلاك الطاقة

### أولاً- تعريف ترشيد استهلاك الطاقة

يعرف ترشيد الاستهلاك بأنه: الاستعمال الأمثل للموارد والأموال والاعتدال والتوازن في الإنفاق، والسعي لتحقيق منفعة الإنسان وعدم المبالغة، وذلك عبر إجراءات وخطط واعية توجه الفرد للطريق الأمثل لتحقيق تنمية مستدامة، هدفها حفظ حقوق الأجيال الحالية والمقبلة<sup>25</sup>. لا يعني

<sup>21</sup> الغرفة، التجارية الصناعية (1403هـ)، المصدر السابق.

<sup>22</sup> اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا)، المصدر السابق.

<sup>23</sup> بلحاج محمد كريم، زهرة وخيدر، دور وسائل الإعلام في ترشيد استهلاك الطاقة، مجلة الاتصال والصحافة، مجلد7، العدد2، ص73، 2020.

<sup>24</sup> اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا)، المصدر السابق.

<sup>25</sup> بلحاج محمد كريم، زهرة وخيدر، المصدر السابق.

ترشيد الاستهلاك تقليل الاستهلاك، وإنما يعني بالتحديد: الاستهلاك الأمثل، بحيث يتم اعتماد أساليب وتدابير حكيمة رشيدة في عملية الاستهلاك -ومهما كان مجالها- لتحقيق أفضل الفوائد والنتائج من عملية الاستهلاك تلك، ومنها وقف الهدر وتجنب الفاقد وتوفير التكاليف المترتبة عن ذلك.

أما الطاقة فتعرّف بأنها: القوة التي تحرك الآلات التي نستعملها في الحياة اليومية، ولكي تقوم بعمل شاق في مكاننا من أجل الحصول على الراحة اللازمة: التدفئة، الإنارة والتبريد. وهي كذلك: القدرة على إنجاز عمل، وهي تظهر في أشكال مختلفة مثل الطاقة الحركية أو الكامنة أو على شكل حرارة أو عمل ميكانيكي أو طاقة كهربائية أو طاقة التفاعلات الكيميائية<sup>26</sup>.

تتنوع مصادر الطاقة الأولية في العالم من التقليدية كالطاقة الأحفورية والنفط والغاز الطبيعي والفحم، إلى الطاقات المتجددة كالطاقة المائية وطاقة الكتلة الحيوية وطاقة الرياح والطاقة الشمسية بأنواعها وطاقة المحيطات... الخ، إضافة إلى الطاقات الأخرى كالطاقة النووية وطاقة الحرارة الجوفية وغيرها<sup>27</sup>.

يمكن اعتبار ترشيد استهلاك الطاقة بأنه مجموعة من الإجراءات أو التقنيات التي تؤدي إلى خفض استهلاك الطاقة، دون المساس براحة الأفراد أو إنتاجيتهم واستخدام الطاقة عند الحاجة الحقيقية لها؛ حيث أن تحسين كفاءة الطاقة وترشيد استهلاكها لا يعني الحد من استهلاك الطاقة، بقدر ما يعني استخدام هذه الطاقة بأسلوب أكثر كفاءة بما يحد من إهدارها<sup>28</sup>.

### ثانيا- إجراءات ترشيد استهلاك الطاقة

تتعدد وتتنوع إجراءات ترشيد استهلاك الطاقة، نذكر منها<sup>29</sup>:

- 1- تحسين المردود وتقليل الضياعات والمفايد في تجهيزات المنشآت القائمة المستهلكة للطاقة.
- 2- إدخال التكنولوجيا وطرائق الإنتاج الحديثة الأكثر كفاءة في المنشآت والمعدات الجديدة.
- 3- التحول من استخدام المواد ذات الاستهلاك الكثيف للطاقة، نحو أنماط معيشية ذات استهلاك أقل.
- 4- تغيير المنتج بإنقاص وزنه مثلا دون المساس بفاعلية وظيفته التي يؤديها.
- 5- إعادة استخدام المنتج كالأواني الزجاجية مثلا.
- 6- تدوير مخلفات الإنتاج للحصول على الطاقة أو مواد أولية للإنتاج.

<sup>26</sup> سمير بن حماد، المصدر السابق.

<sup>27</sup> جاويش إبراهيم، المصدر السابق.

<sup>28</sup> شناي، المصدر السابق.

<sup>29</sup> عقون، شراف وكافي فريدة (2018)، ترشيد استهلاك الطاقة: السبيل نحو تحقيق النمو المستدام في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 49، المجلد 4، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص: 338.

ومن متطلبات ذلك أيضا نذكر<sup>30</sup>:

أولاً- استصدار القوانين والسياسات واللوائح الكفيلة بالتقليل من الاستهلاك المفرط للطاقة بالقطاع الصناعي والأماكن العامة، ويشمل ذلك القوانين والإجراءات الإجبارية، وإرساء البنية التحتية اللازمة للتقليل من الإفراط في استخدام الطاقة والتسعيرة والضرائب الإضافية، والحلول التقنية من خلال الإنفاق على البحث والتطوير لإيجاد تقنيات جديدة تحد من الاستهلاك المفرط للطاقة.

ثانيا- اللجوء إلى مصادر الطاقة غير النفطية والطاقات المتجددة.

ثالثا - الربط التنقلي العام من سكك حديدية وغيرها من وسائل النقل العام، وذلك للتقليل من استخدام أدوات التنقل الخاصة، مما يساعد في التقليل من استهلاك وقود السيارات.

### ثالثا- إجراءات ترشيد استهلاك السيارات للطاقة باستخدام الصيانة الوقائية

جاء في دليل المستخدم لحفظ وترشيد استهلاك الطاقة لوزارة الثروة والطاقة المعدنية الأردنية، أنه لتقليل كمية الاستهلاك والطاقة الضائعة يستوجب اتباع الإرشادات الآتية:

1. تجنب تحميل المركبات والشاحنات حمولة أكثر من الحمولة المقررة في رخصة المركبة أو الشاحنة، لأن ذلك يزيد من الاستهلاك النوعي للمحروقات.
2. المحافظة على سلامة الإطارات وعلى مستوى ضغط الهواء فيها، إذ أن انخفاض الضغط في الإطارات يزيد من معدل استهلاك الوقود.
3. وضع أنظمة تتبّع لحركة المركبات خاصة للشركات والمؤسسات، للحد من استخدام وسائل النقل لغير الأغراض المخصصة لها.
4. عدم ترك السيارة شغالة لأكثر من دقيقة لأي أمر، فترك السيارة شغالة لمدة 3 دقائق تعادل سير مسافة كيلو متر واحد.
5. الالتزام بالسرعات المقررة على الطرق؛ إذ أن أفضل سرعة لأقل استهلاك نوعي للوقود هي بحدود 80 كم/الساعة، وأن معدل استهلاك الوقود يزيد بما يقارب 25 إلى 30% من معدل الاستهلاك عند السير بسرعات تقل عن 30 كم/الساعة أو بسرعات تزيد عن 120 كم/الساعة.

يجد المحلل لهذه الإرشادات أنها سلوكيات وقائية تدرج ضمن ما يعرف بالصيانة الوقائية الدورية، ويؤكد لنا الدور الإيجابي لهذه الأخيرة في ترشيد استهلاك الطاقة، وهو ما جاء في تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا 2013 بصيغة أخرى؛ إذ أشار إلى أنه من متطلبات ترشيد استهلاك الطاقة:

<sup>30</sup> زريبه، نوري عياد والطلابي، سعد فتحي (2014) فرص ترشيد استهلاك الطاقة في الدول العربية، ورقة مقدمة لمؤتمر الطاقة العربي العاشر (الطاقة والتعاون العربي)، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، (23/21 ديسمبر 2014)، ص: 24، استرجع بتاريخ: 2022/4/12، الموقع:

أولاً- التحلي بمبادئ وأسس السياقة الصديقة للبيئة خاصة في ظل الزحم المروري الذي تعرفه المدن، والنتائج عن الارتفاع الرهيب في عدد السيارات وعزوف المواطنين عن النقل الجماعي، ويأتي ذلك من خلال السلوكيات والطرائق التقنية للقيادة الاقتصادية، من مثل: زيادة السرعة بسلاسة، والمحافظة على سرعة ثابتة، وتجنب السير بسرعات عالية، وتخفيفها بسلاسة.

ثانياً- الصيانة الوقائية لوسائل النقل: ينبغي تعزيز برنامج صيانة السيارة؛ فحتى يكون أداء السيارة على أفضل وجه ولتظل محتفظة بأفضل قيمة عند إعادة بيعها يجب صيانتها بشكل جيد. أما إذا تُركت السيارة في وضع سيئ، فقد يؤثر ذلك سلباً على استهلاكها للوقود وعلى نفقات تشغيلها. ومن سلوكيات الصيانة المحققة لترشيد استهلاك الوقود: نفخ الإطارات بالضغط اللائم، وتغيير الزيت بشكل دوري، بالإضافة إلى بقية متطلبات الصيانة الوقائية المفترض ترشيدها لاستهلاك الطاقة والتي ستلخصها لنا الإجابة عن السؤال الأول من أسئلة البحث، والتي يشير ما سبق إلى أنها تمس كلاً من الصيانة الوقائية الدورية والصيانة الوقائية التنبؤية/التوقعية معاً.

### المحور الثالث: الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة

#### أولاً- تعريف الوعي

أشارت زينب محمود شعبان إلى أنه جاء في معجم اللغة العربية المعاصر (وعى يعي وعياً فهو واع)، ووعى الشخص الأمر أي (أدركه على حقيقته)، ووعى الشخص حديثاً أي (حفظه وقبله وفهمه وتدبره). وبذلك فإن الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وإدراكه وحفظه وفقهه والإحاطة به، وفي القواميس الغربية وُجد مصطلح الوعي في مصطلح (Awareness)؛ إذ يعرفه قاموس كامبردج بأنه المعرفة بوجود شيء ما، أو فهم موقف أو موضوع في الوقت الحالي بناء على المعلومات أو الخبرة. كما أفادت في السياق نفسه إلى تعدد مرادفات الوعي في القاموس الحر؛ حيث يشير الوعي إلى: المعرفة، والإدراك، والوعي الذاتي، والشعور البديهي، والإحساس، والعلم، والإلمام، والفهم، والاعتراف، والانتباه إلى الشيء، والتعارف على الشيء أو الحالة<sup>31</sup>. أما من حيث الاصطلاح فهناك عدة تعريفات اصطلاحية للوعي، من بينها: هو (حالة ومحتوى، والوعي حالة؛ أي نوع من الانتباه واليقظ والإدراك الكامل، وهو حالة من الإيجابية والحيوية في التعامل مع الأوضاع والأشياء والقضايا والكون بأسره، ومن حيث كونه محتوى، فهو تلك الأفكار والمشاعر والخصائص التي يدركها الفرد عن الأشياء والقضايا المحيطة به والكون ككل)<sup>32</sup>.

يرى كراثول (Krathwohl) بأن الوعي يمثل خطوة في تكوين الجوانب الوجدانية بما تتضمنه من اتجاهات وقيم، ويؤكد على أنه في مستوى الوعي لا يكون الاهتمام موجهاً إلى الذاكرة أو القدرة على استرجاع المعلومات، بقدر الاهتمام بأن الفرد يدرك أشياء معينة في الموقف أو الظاهرة، ومعنى

<sup>31</sup> شعبان، زينب محمود، (2019)، أزمة الوعي الاجتماعي لدى الطالب المعلم ودور مؤسسات الإعداد في مواجهتها، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، المجلد: 34، العدد: 2، الجزء: 1، أبريل. (101-190).

<sup>32</sup> سامح عبد الرحيم، وفتحي زيادي، (1997): وعي معلمي المستقبل بالمشكلات الاجتماعية، دراسة ميدانية، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، مجلد: 10، العدد: 3، جامعة المنيا، مصر، (305-350).

ذلك أن الوعي يتضمن مكونا معرفيا يجعل الجانب الوجداني ملازما للجانب المعرفي<sup>33</sup>. وأشار أحمد حسين اللقاني وعلي الجمل إلى أن الوعي هو (امتلاك المتعلم وإدراكه للجوانب المختلفة الإيجابية والسلبية للسلوك، وهو أول المستويات الوجدانية، ويندرج تحت مستوى الاستقبال في تصنيف المجال الوجدان<sup>34</sup>).

ليس للوعي بُعد واحد فقط، فهو ليس جانبا وجدانيا شعوريا بحتا، بل يتعدى إلى الجانب المعرفي كذلك؛ وهذا ما أشار إليه كراثول-كما ذكر الكندي-، في أن الوعي وعلى الرغم من وقوعه في الجانب الوجداني أساسا والذي يمثل أولى مستوياته، إلا أنه مبني على أساس معرفي، وبالتالي فإنه لا يمكن للجوانب الوجدانية أن تأخذ شكلها الصحيح، إلا إذا قامت على معارف تمتاز بالكفاية والوضوح. كما يعرف أيضا أنه (نشاط شعوري يصدر عن الفرد نتيجة ردة فعل ما، وغالبا ما يكون هذا النشاط الوجداني مشعبا بالجوانب المعرفية ليس في مستوى التذكر، ولكن عند مستوى الإدراك)<sup>35</sup>.

من خلال تحليلنا لمضمون هذا التعريف نستنتج أن مكونات الوعي لا تنحصر في المكونين المعرفي والوجداني فقط، وإنما تتعدى إلى مكون ثالث إضافة لهما، وهو المكون السلوكي المهاري، وفي العنصر الموالي لكل بعد على حدة.

هو الإدراك والإلمام بالمعلومات والمعارف ذات الصلة بالآثار الإيجابية للصيانة الوقائية للسيارات في الاقتصاد وفي الطاقة التي تستهلكه، والعلم في كيفية وإجراءات توظيفها في سبيل تحقيق ذلك، ويعبر عنه كميًا بالدرجة التي يتحصل عليها المستجيب على الاستبيان المعد لقياسه.

### ثالثا- أبعاد الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاكها للطاقة:

يمكن تصنيف أبعاد الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاكها للطاقة، وفقا لأبعاد الصيانة الوقائية إلى بعدين أساسيين:

أ- بُعد الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية الدورية في ترشيد استهلاكها للطاقة: ويشمل الإدراك والإلمام بالمعلومات والمعارف المتعلقة بكيفيات وإجراءات توظيف الصيانة الوقائية الدورية للسيارة، بغرض تخفيض استهلاكها للطاقة إضافة إلى المحافظة عليها وضمان فاعليتها.

ب- بُعد الوعي المعرفي بدور الصيانة الوقائية التنبؤية في ترشيد استهلاكها للطاقة: ويشمل الإدراك والإلمام بالمعلومات والمعارف المتعلقة بكيفيات وإجراءات توظيف الصيانة

<sup>33</sup> الكندي، عادل بن محمد، (بدون سنة)، الوعي للروبي: مفهومه، أهميته، أهدافه، محاوره، مؤسساته، وثيقة السلامة على الطريق في الناهج الدراسية العمانية كإنموذج، المديرية العامة لتطوير الناهج، دائرة تطوير مناهج العلوم الإنسانية، قسم المهارات الحياتية. (1-20) للوقع: <https://home.moe.gov.om/images/library/file/Book2077172363.pdf>

<sup>34</sup> اللقاني، أحمد حسين، والجمل، علي أحمد، (1996): معجم المصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس، القاهرة: عالم الكتب.

<sup>35</sup> صبري، ماهر إسماعيل ومحمد، أسامة خيري، (2007)، الوعي الوقائي لدى طلاب المدارس الثانوية الصناعية وعلاقته بممارستهم لبعض السلوكيات الخطرة، سلسلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، المجلد الأول، العدد الثالث. (134-159).

الوقائية التوقعية للسيارة بغرض تخفيض استهلاكها للطاقة، إضافة إلى المحافظة عليها وضمن فاعليتها.

### المحور الرابع: إجراءات الجانب الإجرائي للبحث

يعود استعمال الباحث لمنهج دون آخر إلى أسلوب تناوله لموضوع بحثه، ولذلك فإن المنهج الملائم لأسلوب معالجة مشكلة هذا البحث هو: المنهج التحليلي الوصفي. ومعنى ذلك: تحليلي في تحليله لأدبيات الموضوع في إجابته عن السؤال الأول للبحث، ووصفي في وصفه لواقع الوعي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة إجابة عن السؤال الثاني للبحث.

#### أولاً- أدوات البحث:

اعتمد هذا البحث على أداتين بحثيتين تم تصميمهما، وتمثلتا في استمارة تحليل المحتوى في ضوء إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة واستبيان الوعي بذلك. وفيما يلي توضيح لذلك:

#### 1. تصميم استمارة تحليل المحتوى في ضوء إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة

أ. تحديد فئات التحليل ووحداته: لتحديد فئات التحليل تم إجراء قراءة لأدبيات الصيانة الوقائية وأبعادها، وقد أفادت بوجود بعدين أساسيين للصيانة الوقائية:

- بعد الصيانة الوقائية الدورية.

- بعد الصيانة الوقائية التوقعية/التنبؤية.

وفيهما تحددت فئات التحليل، في حين تحددت وحدات التحليل في الفكرة.

ب. التعرف على الصدق الظاهري للاستمارة: اعتماداً على طريقة استطلاع آراء المحكمين؛ كما تم اعتماد صدق البناء، وهو يرتبط بالمهارات المنهجية للباحث وإدراكه الكامل بالإطار النظري لمشكلة البحث.

ت- التعرف على ثبات الاستمارة: للتعرف على ثبات استمارة التحليل تم اعتماد طريقة إعادة التحليل؛ حيث تم تحليل نموذج من أدبيات موضوع البحث والمتمثل في: (تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا 2013، وبعد ثلاثة أسابيع من التحليل الأول تم اختيار باحث آخر ليعيد التحليل مرة ثانية لنفس عينة التحليل، ومنذ البداية كنا نتطلع لنسبة اتفاق تفوق 75%، وبعد ذلك تم حساب نقاط الاتفاق بين التحليلين، وتم استخدام معادلة (هولستي) لحساب معامل الاتفاق، وجاءت قيمته مساويتين ل: 0.96 و 0.88 على الترتيب، وهما أكبر مما كنا نتطلع إليه 0.75 والصورة النهائية للاستمارة ملحقة بالبحث ويمثلها الملحق رقم (1).



## ثانيا- تصميم استبيان الوعي بإجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة

أ- في صياغة عبارات الاستبيان، تم الاعتماد على ما تم رصده من تحليل المحتوى المتعلق بالإجابة عن السؤال الأول للبحث؛ بحيث جاء عددها الإجمالي مقدر بـ 24 عبارة، موزعة بالتساوي على بُعدي الصيانة الوقائية: الدورية والتنبؤية (التوقعية).

ب- من أجل الاستئناس باتمءاء كل عبارة لنوع الصيانة الوقائية (دورية أو تنبؤية) ومناسبة صياغة العبارات لما أعدت له من جهة، ووضوحها من جهة أخرى، تم عرض العبارات الأربعة والعشرين على ثلاثة خبراء في صيانة السيارات من العاملين ببعض ورش صيانة ذلك في مدينة باتنة بالجزائر، وتمت الموافقة على التصنيف. كما تمت إعادة صياغة بعض العبارات وترتيبها بالتناوب لتفادي الرتابة في إجابة المستجيبين عنها.

ت- تم حساب خصائصه السيكمترية على عينة استطلاعية بلغت 30 فردا، اختيرت بطريقة عرضية بولاية باتنة الواقعة شرق العاصمة الجزائرية؛ بحيث تم حساب ثباته باستخدام ألفا كرونباخ، وجاءت قيمته 0.80.

في حين وللتعرف على صدق الاستبيان تم استخدام طريقة الاتساق الداخلي، من خلال حساب الارتباطات بين درجة كل عبارة بالدرجة الكلية للمحور الثاني بمعامل الارتباط "كارل بيرسون"، حيث كانت جميع معاملات الارتباط دالة إحصائيا عند مستوى معنوي 0.05، وتشير تلك النتائج إلى ثبات الاستبيان وصدقه.

ووفقا لما سبق جاءت الصورة النهائية لقائمة تقدير الوعي بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة موضع التصميم ممثلة بـ 24 عبارة، موزعة بالتساوي على بعدي الصيانة الوقائية كما يلي:

- بُعد الوعي بدور الصيانة الوقائية الدورية في ترشيد استهلاك الطاقة: ينتمي إليه 12 عبارة، وهي العبارات ذات الأرقام الفردية (1, 3, 5, ..., 23)
- بُعد الوعي بدور الصيانة الوقائية التنبؤية (التوقعية) في ترشيد استهلاك الطاقة: ينتمي إليه 12 عبارة، وهي ذوات الأرقام الزوجية (2, 4, 6, ..., 24)
- كما جاء لكل عبارة ثلاثة بدائل، وهي: (نعم، غير متأكد، لا)، في حين تم اعتماد مفتاح تصحيح (تكميم هذه البدائل) يتكون من ثلاثة أرقام، وهي على الترتيب: 3, 2, 1، (الصورة النهائية بالملحق رقم (2)، والصورة النهائية للاستبيان ملحقة بالبحث، ويمثلها الملحق رقم (2)).

## ثالثا- مجتمع البحث وعينته

تمثلت عينة البحث في جانبه الوصفي في أدبيات الموضوع المتوفرة في حدود علمنا والمتعلقة بدور الصيانة الوقائية في ترشيد الطاقة، ودليل المستخدم لحفظ وترشيد استهلاك الطاقة لوزارة الثروة

والطاقة المعدنية الأردنية). في حين تمثل مجتمع البحث في جانبه الوصفي في أصحاب السيارات الخاصة بمختلف أنواعها من غير تحديد أو تخصيص والقاطنين بمدينة باتنة بالجزائر، ونظرا لتعذر إحصاء تعداد مجتمع البحث، لم تتمكن من اختيار العينة بطريقة عشوائية، لذلك لجأنا إلى الاعتماد على العينة العرضية. وقد جاءت ممثلة بـ 135 فردا بعد ضبطها من حيث استرجاع نسخ الاستبيان التي تم توزيعها وقبوله.

#### رابعا- عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الأول وتحليلها وتفسيرها

نص السؤال الأول للبحث على: ما هي إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم تحليل عينة التحليل المذكورة سابقا؛ متخذين من الفكرة وحدة للتحليل، وبُعدي الصيانة الوقائية (الدورية والتنبؤية) فنتين لذلك، وتم عد الإجراءات المدرجة في كل فئة، وكذا مجموعهما الكلي وحساب النسبة المئوية لذلك في كل حالة، والنتائج يلخصها الجدول رقم (1):

الأهمية النسبية	عدد الإجراءات	إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها الطاقة
50 %	12	الصيانة الدورية
50 %	12	الصيانة التوقعية
100 %	24	الصيانة الوقائية ككل

جدول رقم (1): تعداد إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات ببعديها (الدورية/ التنبؤية) في ترشيد استهلاكها للطاقة وأهميتها النسبية.

يشير الجدول رقم (1) إلى رصد جملة من إجراءات ترشيد استهلاك الطاقة من خلال الصيانة الوقائية للسيارات، قدرت بـ 24 إجراء، موزعة بالتساوي على بعدي الصيانة الوقائية الدورية والتنبؤية؛ إذ بلغ عدد الإجراءات في كل بعد 12 إجراء، أي بأهمية نسبية مقدرة بـ 50% لكل بعد من أبعاد الصيانة. ففيما يتعلق ببعدي الصيانة الدورية تم رصد الإجراءات الآتية:

- 1- الحرص على تغيير زيت محرك السيارة دوريا حسب دليل التصنيع.
- 2- تنظيف السيارة من الداخل والخارج كلما تطلبت حالتها ذلك.
- 3- تغيير موضع عجلات السيارة دوريا وفقا للطرائق التقنية المعتمدة.
- 4- استبدال أجزاء من السيارة حال اكتشاف نهاية صلاحيتها (عجلات، فلتير هواء، فلتير زيت)
- 5- الكشف عن مختلف أجزاء السيارة التالفة والمتآكلة.
- 6- مراقبة مدى وجود توازن بين عجلات السيارة وإطاراتها دوريا.
- 7- تطبيق تعليمات السياقة الصحيحة.

8- استعمال الزيت المناسب لمحرك السيارة المحتوي على إضافات مخففة للاحتكاك.

9- القيام بفحوصات دورية لمكابح السيارة.

10- إعادة النظر في موعد الصيانة الدورية للسيارة عند تغيير طريقة تشغيلها.

11- تفقد ضغط عجلات السيارة حينما تكون باردة وبشكل دوري.

12- الحرص على الفحوص والتغييرات الدورية لسائل التبريد.

في حين تم في بعد الصيانة الوقائية (التنبؤية) رصد الإجراءات الآتية:

1- اكتشاف الاهتزازات التي تظهر على السيارة.

2- العمل على اكتشاف تلوث زيت محرك السيارة.

3- ترقب مدى انسحاب السيارة إلى إحدى الجهات.

4- فحص لون دخان محرك السيارة من حين لآخر

5- التمييز بين الصوت العادي للسيارة والصوت الناجم عن اهتزازاتها غير الطبيعية.

6- الكشف عن مدى تمايل السيارة إلى جهة معينة.

7- الحرص على التعرف على مواصفات زيت محرك السيارة ومدى ضرورة استبدالها.

8- اكتشاف أية رائحة تنبعث من السيارة قد تكون ناجمة عن احتراق العوازل الكهربائية.

9- تفقد مدى قساوة مقود السيارة ودرجة صعوبة استعادة وضعيتها بعد الدوران.

10- العمل على اكتشاف الحرارة الزائدة في أجزاء السيارة من خلال تحسسها باليد.

11- تتبع التوصيلات المختلفة في السيارة باليد لاكتشاف حالات تسرب الماء أو الزيت أو الوقود.

12- تحسس صرير إطارات السيارة عند المنعرجات.

### خامسا- عرض وتحليل النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني وتفسيرها

نص السؤال الثاني للبحث على: ما درجة وعي أصحاب السيارات بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة، وللإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية لاستجابات أصحاب السيارات على استبيان الوعي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة، ومقارنتها بالمتوسط الفرضي للاستبيان نفسه.

وجاءت النتائج كما هي ملخصة في الجدول رقم (2) الآتي:

العينة	المتوسط الفرضي للبنء	الرتبة	المتوسط الحسابي للبنء	عدد البنوء	المتوسط الحسابي للبنء	الوعي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة
135	2	1	1.64	12	19.72	دور الصيانة الدورية
		2	1.53	12	18.43	دور الصيانة التوقعية
		/	1.59	24	38.15	دور الصيانة ككل

جدول رقم (2): المتوسطات الحسابية لاستجابات عينة أصحاب السيارات على استبيان الوعي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة

يشير الجدول رقم (2) إلى أن المتوسطات الحسابية لدرجة وعي أصحاب السيارات من أفراد عينة البحث بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة ككل وكذا في كل بعد من بُعدي ذلك، أقل من المتوسط الفرضي والمقدر بـ2 درجة. وهو ما يؤكد انخفاض درجة وعي أصحاب السيارات بدور الصيانة الوقائية لها في ترشيد استهلاكها للطاقة عن المتوسط الفرضي لذلك، كما يشير الجدول ذاته إلى وجود اختلاف بين متوسطي درجات بعدي الصيانة؛ بحيث احتل بُعد الوعي بدور الصيانة الدورية المرتبة الأولى، في حين جاء بعد الوعي بدور الصيانة التوقعية في المرتبة الثانية.

يمكن تفسير انخفاض درجة وعي أصحاب السيارات بدور الصيانة الوقائية لها في ترشيد استهلاك الطاقة بالدرجة الأولى، إلى تجاهل مدارس تعليم السيادة والتدريب عليها لهذه القضية في برامجها ودوراتها التدريبية للمرشحين لنيل رخصة السيادة، وتركيزهم على أمور متعلقة بالسيادة العادية، رغم أن الأمر يتطلب التوجه نحو التدريب على السيادة الخضراء وتوعيتهم بأهميتها وضرورتها، بدلا من الاكتفاء بتعليم المرشحين قوانين المرور وأساليب السيادة فقط.

كما قد يعود جزء من ذلك إلى مناهج التعليم في مختلف المراحل التعليمية، التي تكون قد أغفلت إدراج الموضوع ضمناً أو صراحة ضمن برامجها، سواء في مواد التربية البيئية أو التربية الإسلامية أو في مواد أخرى. وكذلك الأمر لوسائل الإعلام المختلفة يحتمل أن يكون دورها الممارس في المجال محدوداً أو منعدماً أو غير فعال. ومن بين العوامل التي قد تكون سبباً في ذلك هو نقص الثقافة العامة حول هذا الموضوع لدى أصحاب السيارات، وعدم تفانيهم في معرفة المعلومات والمعارف المتعلقة بهذا الموضوع وكأن الأمر لا يعنيهم، والعارف بها غلبت على ثقافته اليومية وتصرفاته ثقافة التبذير والإسراف.

## خاتمة وتوصيات

يمكن الخروج بجملة من التوصيات نذكر منها:

- يتعين على القائمين على تصميم البرامج التعليمية، تضمين برامج التربية البيئية والإسلامية بمعارف ومهارات حول دور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاك الطاقة.

- يتعين على القائمين على مدارس تعليم السياقة تمكين المترشحين لنيل رخصة السياقة من كل المعلومات والمعارف المتعلقة بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة.
- يتعين على مدارس تعليم السياقة التوجه في أهدافها إلى تعليم كل من السياقة الصحيحة والسيافة الخضراء الصديقة للبيئة جنباً إلى جانب وعدم إهمال أي منهما.
- تفعيل دور المساجد في تجسيد مفهوم الرشادة والحكمة في مجال الطاقة من خلال الصيانة الوقائية للسيارات.
- تمكين الجمعيات الخيرية ومختلف أطراف المجتمع المدني كل في حدود إمكانياته وصلاحيته، من المشاركة بما يضمن الرفع من مستوى الوعي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة لدى أصحاب السيارات.
- يتعين على الإعلام البيئي تحمل مسؤوليته في سياق تنمية الوعي موضع البحث، باستخدام مختلف قنوات الاتصال ووسائله حديثة وتقليدية، سمعية بصرية، ورقية وإلكترونية في كل وقت، وعدم الاكتفاء بذلك في المناسبات البيئية فقط.
- الإشادة والاعتزاز بأصحاب السيارات الواعين بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاكها للطاقة.
- تقديم مكافآت مادية وجوائز معتبرة لكل فرد يُثبت وعيه بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة.
- إجراء بحوث ودراسات في الموضوع نفسه بأدوات ومناهج بحثية أخرى، وتحديد إجراءات أخرى لتوظيف الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة، وتقصي درجة الوعي الوجداني والسلوكي بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة لدى السائقين.

## ملاحق

### ملحق رقم (1)

## استمارة تحليل المحتوى في ضوء إجراءات توظيف الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة

اسم ولقب القائم بالتحليل: .....

المحتوى المحلل: .....

تاريخ اجراء التحليل: .....

نتائج التحليل:

فئات التحليل		الإجراء	الفكرة
صيانة وقائية تنبؤية	صيانة وقائية دورية		
			-2
			-3
			....
			-ن
			عدد الإجراءات في كل فئة
			المجموع الكلي للإجراءات

## ملحق رقم (2)

### استبيان الوعي بدور الصيانة الوقائية للسيارات في ترشيد استهلاكها للطاقة

#### التعليمات

- 1- يهدف استخدام هذا السلم إلى مستوى ودرجة وعيك بدور الصيانة الوقائية في ترشيد استهلاك الطاقة.
- 2- يتكون السلم من 24 عبارة، تصف عددا من السلوكيات التي يمكن أن تفي بمتطلبات الصيانة الوقائية والتي تعمل على ترشيد استهلاك الطاقة ويقابل كل عبارة ثلاثة ألفاظ (نعم، غير متأكد، لا).
- 3- المطلوب منك التفضل بقراءة كل عبارة من العبارات التي يتكون السلم منها، واختيار لكل عبارة اختيارا واحدا فقط من بين الاختيارات الثلاثة بما يتناسب وتصرفك في الواقع وليس حسب ما يجب أن يكون.
- 4- ليس هناك اختيارات صحيحة وأخرى خاطئة، المهم أن يتوافق اختيارك وتقديرك حقا.
- 5- البيانات الخاصة باستخدام هذا السلم سوف لن تستخدم في أي غرض سوى أغراض البحث العلمي.

## العبارات

أرى بأن:	نعم	غير متأكد	لا
1- تنظيف مختلف جوانب السيارة من الغبار والأوساخ وغيرها يجعل السيارة تستهلك مقدار أقل من الوقود.			
2- وضع الاهتزازات التي تظهر على السيارة في الحسبان سبيل للتخفيف من استهلاكها للوقود.			
3- تغيير زيت محرك السيارة دوريا حسب كتالوقها من العوامل المساهمة في جعل السيارة تستهلك نسبة أقل من الوقود.			
4- اكتشاف تلوث زيت محرك السيارة وعمل ما يلزم من شأنه التمكين من التقليل من كمية الوقود المستهلكة.			
5- تغيير مكان عجلات السيارة دوريا وفقا للطرائق التقنية المعتمدة أسلوب فعال لجعل السيارة تستهلك كمية أقل من الوقود.			
6- الكشف عن مدى انسحاب السيارة إلى إحدى الجهات ومعالجة السبب يساهم في التخفيض من نسبة الوقود المستهلكة.			
7- استبدال أجزاء من السيارة حال اكتشاف نهاية صلاحيتها (عجلات، فلتير هواء، فلتير زيت، ...) يجعلها تستهلك كمية أقل من الوقود.			
8- كشف تغير لون دخان محرك السيارة وفعل اللازم يؤدي إلى تقليص مقدار الوقود الذي تستهلكه.			
9- الكشف عن أجزاء السيارة التالفة والمتآكلة وفعل ما يلزم يعد من السبل المحققة لتخفيض كمية الوقود المستهلكة.			
10- التمييز بين الصوت العادي للسيارة والصوت الناجم عن اهتزازاتها غير الطبيعية والتدخل المناسب يجعلها أقل استهلاكاً لكمية الوقود.			
11- ضمان وجود توازن بين عجلات السيارة وإطاراتها دوريا من شأنه تخفيض مقدار الوقود المستهلك.			
12- وضع الاحساس بتمايل السيارة إلى جهة أخرى وفعل ما يلزم يعتبر من مسببات الاقتصاد في وقودها.			
13- سيطرة السيارة وفقا لتعليمات السياقة الصحيحة يعد أحد العوامل البشرية المقلصة للوقود المستهلك.			
14- التعرف على مواصفات زيت محرك السيارة واستبدالها للضرورة يسمح بتحقيق الاقتصاد في استهلاكها للوقود.			
15- استعمال الزيت المناسب لمحرك السيارة المحتوي على إضافات مخففة للاحتكاك يجعلها أقل استهلاكاً للوقود.			

أرى بأن:	نعم	غير متأكد	لا
16- اكتشاف الروائح الناتجة عن احتراق العوازل الكهربائية بالسيارة وتدارك الأمر يقلل من كمية الوقود المستهلك.			
17- إجراء فحوصات دورية لمكابح السيارة يعتبر من العوامل المساهمة في الاقتصاد في الوقود الذي تستهلكه.			
18- اكتشاف قساوة مقود السيارة وصعوبة استعادة الوضعية بعد الدورانات وتدارك ذلك له دور في تخفيض نسبة الوقود المستهلكة.			
19- إعادة النظر في موعد الصيانة الدورية للسيارة عند تغيير طريقة تشغيلها يمكن له تحقيق الاقتصاد في الوقود.			
20- تتبع التوصيلات المختلفة في السيارة باليد لاكتشاف حالات تسرب مختلف السوائل وفعل اللازم من الأمور المعززة لترشيد استهلاك الوقود.			
21- تفقد ضغط عجلات السيارة حينما تكون باردة وبشكل دوري يعد من العوامل المساهمة في تقليل كمية الوقود المستهلكة.			
22- اكتشاف الحرارة الزائدة في أجزاء السيارة والتصرف وفقا لما يلزم يجعل السيارة تستهلك كمية أقل من الوقود.			
23- الفحص والتغيير الدوري لسائل تبريد السيارة يسمح بالاقتصاد في الوقود المستهلك بمقدار ما.			
24- تحسس صرير إطارات عند المنعرجات ووضع ذلك في الحسبان يسمح بالتقليل من كمية الوقود المستهلكة.			



